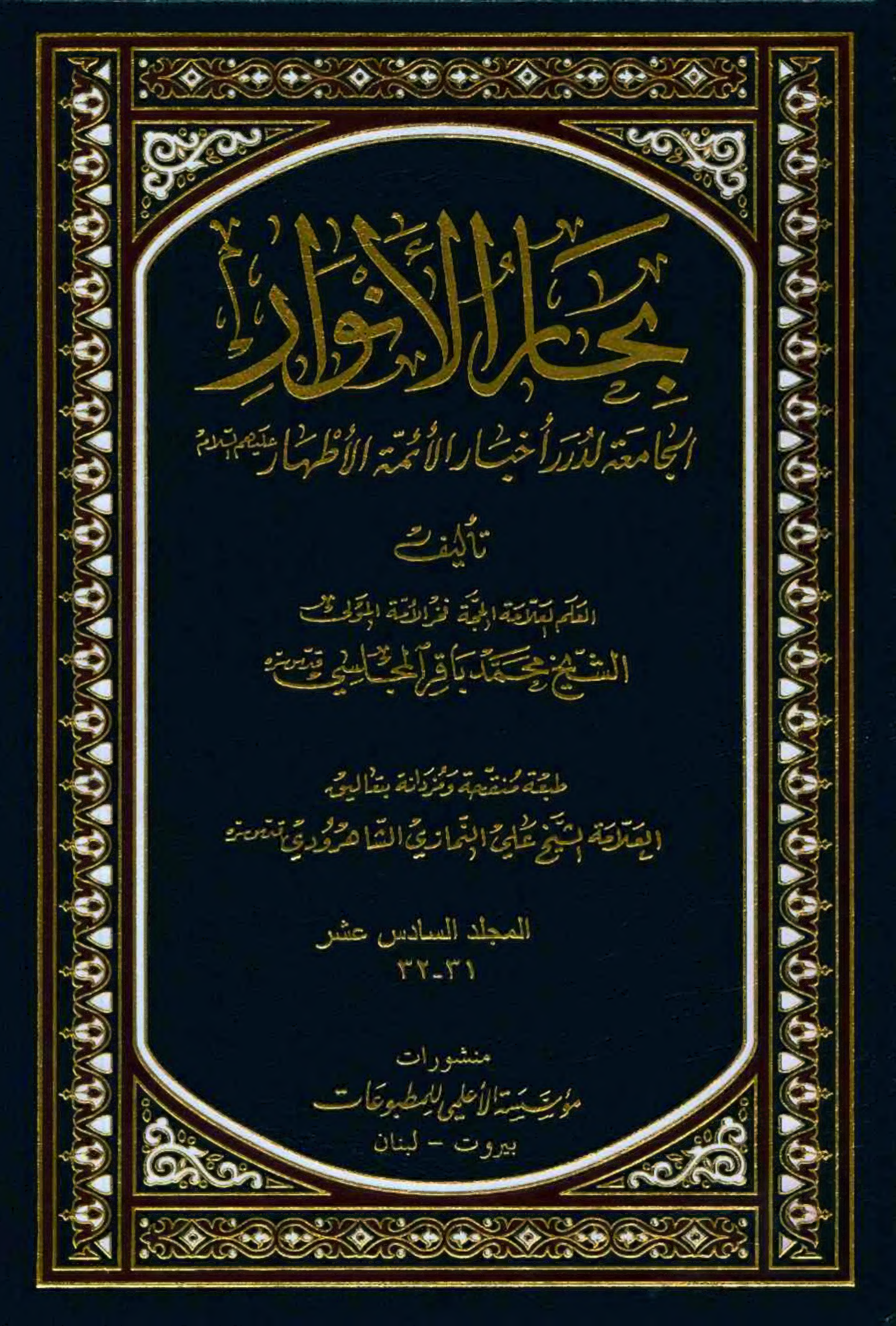

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد السادس عشر
٣١-٣٢
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


والكاظمين الغيظ
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

٣١ - ٣٢

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الحادي والثلاثون

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب ستر زهرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تتمة ٢٣ - باب تفصيل مثالب عمر والاحتجاج بها على المخالفين

الطعن الرابع عشر: أنّه أبدع في الدين بدعاً كثيرة:

منها: صلاة التراويح، فإنّه كانت بدعة، لما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: أيّها النّاس، إنّ الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، ألا فلا تجمعوا ليلاً في شهر رمضان في النافلة، ولا تصلّوا صلاة الضحى، فإنّ قليلاً في سنّة خير من كثير في بدعة، ألا وإنّ كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار[(١)].

وقد روي أنّ عمر خرج في شهر رمضان ليلاً فرأى المصابيح في المسجد فقال: ما هذا؟ فقيل له: إنّ الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوّع. فقال: بدعة ونعمت البدعة[(٢)].

وقد روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلّي بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرّفهم أنّ ذلك خلاف السنّة، فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدّموا بعضهم، فبعث إليهم الحسن عليه السلام، فدخل عليهم المسجد ومعه الدرّة، فلمّا رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا: وا عمراه! هذه الروايات أوردها السيّد رحمه الله في الشافي[(٣)].

وحاصل الاستدلال أنّ التراويح كانت بدعة جماعتها، بل أصلها ووضعها وأمر بها عمر، وكلّ بدعة حرام، أمّا الأولى فلاعترافه بكونها بدعة كما مرّ.

وروى عنه صاحب النهاية وغيره من علمائهم[(٤)].

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وصاحب جامع الأصول، عن أبي سلمة أنّه سأل عائشة: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيرها على إحدى عشرة ركعة، يصلّي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلّي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلّي ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ قال: يا عائشة إنّ عينيّ تنامان ولا ينام قلبي[(٥)].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٣٨٠.

(٢) جامع الاصول، ج ٦ ص ١٢٢ ح ٤٢٢٢، صحيح البخاري، ج ٣ ص ٩٨ كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان، ذيل حديث ١١٦.

(٣) الشافي، ج ٤ ص ٢١٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج ١ ص ١٠٦.

(٥) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٩٨ كتاب صلاة التراويح ح ١١٩، صحيح مسلم ص ٣٥٠ باب ١٢٥ ح ١٧٢٠، جامع الاصول ج ٦ ص ٩٣ ح ٤١٩٨.

وروى مسلم وصاحب الجامع أيضاً، عن أبي سلمة، قال: أتيت عائشة، فقلت: أي أمّة، أخبريني عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: كانت صلاته في شهر رمضان وغيره ثلاث عشرة ركعة بالليل، منها ركعتا الفجر(١).

ورويا روايات أخر قريبة من ذلك(٢).

وروى في جامع الأصول، عن زيد بن ثابت، قال: احتجر النبيّ ﷺ حجيرة بخصفة أو حصير، قال عفان: في المسجد. وقال عبد الأعلى: في رمضان. فخرج رسول الله ﷺ يصلّي فيها، قال: فتبع إليه رجال وجاءوا يصلّون بصلاته، قال: ثم جاءوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله ﷺ مغضباً، فقال لهم: ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنّه ستكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة(٣).

أخرجه البخاري ومسلم وأخرج أبو داود ولم يذكر: في رمضان. وفي رواية النسائي أنّ رسول الله ﷺ اتّخذ حجرة في المسجد من حصير فصلّى رسول الله ﷺ فيها ليالي، فاجتمع إليه ناس ثم فُقد صوته ليلة فظنّوا أنّه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج فلم يخرج، فلمّا خرج للصبح قال: ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتّى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلّوا أيّها الناس في بيوتكم، فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة(٤).

وعن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ يقدم في رمضان، فجئت فقمت إلى جنبه وجاء فقام أيضاً حتّى كنّا رهطاً، فلمّا أحسّ النبيّ ﷺ أنّا خلفه جعل يتجوّز في الصلاة، ثم دخل رحله فصلّى صلاة لا يصلّيها عندنا، قلنا له حين خرج: أفطنت بنا الليلة؟ قال: نعم ذاك الذي حملني على ما صنعت(٥).

وقد ذكر أخباراً كثيرة نحواً ممّا ذكرنا تركناها لقلّة الجدوى في تكرارها.

فظهر من بعض أخبارهم أنّه ﷺ ما كان يزيد في شهر رمضان شيئاً من النوافل، ومن بعضها أنّه ﷺ لم يرض بإيقاع النافلة جماعة، فإبداع هذا العدد المخصوص في الشريعة وجعلها سنّة أكيدة بدعة لم يأمر بها النبيّ ﷺ ولم يأت بها فظهر أنّ قول بعضهم - إنّ النبيّ ﷺ أتى بها ثم تركها من غير نسخ - لا مستند له، ولو كانت سنّة مرغوباً فيها ومندوباً

(١) صحيح مسلم، ص ٣٤٣ باب ١٢٥ ح ١٧٢٢.
(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل، جامع الاصول ج ٦.
(٣) جامع الاصول، ج ٦ ص ١١٨ ح ٤٢١٨.
(٤) سنن النسائي، ج ٣ ص ١٩٨ كتاب قيام الليل باب الحث على الصلاة في البيوت.
(٥) جامع الاصول، ج ٦ ص ١١٥ ح ٤٢١٦.

إليها فلِم كان يتركه رسول الله ﷺ ويخرج إليهم مغضباً، ويقول: عليكم بالصلاة في بيوتكم؟ ولا كان يترك صلاته ويهرب منهم. ولا خلاف في أنّ الجماعة - في كلّ صلاة تجوز فيها - عبادة، ولها فضل عظيم، فلو جازت في هذه الصلاة وفي غيرها من النوافل لما أغضبه الاجتماع، ولا كان يأمرهم بالصلاة في بيوتهم في غير المكتوبة.

وأمّا التعليل الوارد في رواياتهم المرويّة عن الكذّابين المشهورين فلا يخفى على عاقل أنّه من مفترياتهم، وليس في أخبار أهل البيت عليهم السلام شيء من ذلك، فإنّ المواظبة على الخير والاجتماع على الفعل المندوب إليه لا يصير سبباً لأن يفرض على الناس، وليس الربّ تعالى غافلاً عن وجوه المصالح حتّى يتفطّن بذلك الاجتماع، ويظهر له الجهة المحسنة لإيجاب الفعل، وكيف أمرهم ﷺ مع ذلك الخوف بأن يصلّوها في بيوتهم؟ ولِم لَم يأمرهم بترك الرواتب خشية الافتراض؟

ثم المناسب لهذا التعليل أن يقول: خشيت أن يفرض عليكم الجماعة فيها، لا أن يفرض عليكم صلاة الليل، كما في بعض رواياتهم.

وقد ذهبوا إلى أنّ الجماعة مستحبة في بعض النوافل كصلاة العيد والكسوف والاستسقاء والجنازة، ولم يصر الاجتماع فيها سبباً للافتراض، ولم ينه عن الجماعة فيها لذلك، فلو صحّت الراوية لكانت محمولة على أنّ المراد النهي عن تكلّف ما لم يقرأ الله به، والتحذير من أن يوجب عليهم صلاة الليل لارتكاب البدعة في الدين، ففيه دلالة واضحة على قبح فعلهم وأنّه مظنّة العقاب، وإذا كان كذلك فلا يجوز ارتكابه بعد ارتفاع الوحي أيضاً.

وأمّا أنّ عمر ابتدعها، فلا خلاف فيه(١).

وأمّا أنّ كلّ بدعة ضلالة، فقد استفيض في أخبار الخاصّة والعامّة. فروى مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: أمّا بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمّد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة(٢).

وروى البخاري ومسلم، عنه ﷺ أنّه قال: من رغب عن سنّتي فليس منّي(٣).

ورويا أيضاً عنه ﷺ، أنّه قال: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه، فوالله إنّي لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية(٤).

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ص ٥٤، تاريخ ابن سمنة حوادث سنة ٢٣هـ، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤١، تاريخ الطبري، ج ٥ ص ٢٢، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٨١ وغيرهم كثير.

(٢) صحيح مسلم، ج ١٢ ص ٣٧ والنووي في شرحه ج ٤ ص ٢٢٦.

(٣) صحيح البخاري، ج ٦ ص ١١٢ كتاب النكاح، صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٣.

(٤) صحيح البخاري، ج ٨ ص ١٣٦ كتاب الاعتصام، صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٢١ كتاب الفضائل.

وروينا أيضاً له، عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ[١].

وحكى في جامع الأصول، عن الترمذي وأبي داود، عن العرباض بن سارية: إيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة[٢].

وقال في فتح الباري شرح البخاري: قد أخرج أحمد بسند جيّد، عن عصيف بن الحارث، قال: قال رسول الله ﷺ: ما أحدث قوم بدعة إلاّ رفع من السنّة مثلها[٣].

وأخبارنا في ذلك متواترة.

وما زعمه بعض فقهاء العامّة من انقسام البدعة بالأقسام الخمسة لا وجه له، بل يظهر من عموم النصوص أنّ كلّ ما أُحدث في الدين ممّا لم يرد في الشريعة خصوصاً أو عموماً فهو بدعة محرّمة، فكلّ ما فعل على وجه العبادة ولم يكن مستفاداً من دليل شرعيّ عامّ أو خاصّ فهو بدعة وتشريع، سواء كان فعلاً مستقلاً ووصفاً لعبادة متلقّاة من الشارع، كفعل الواجب على وجه الندب وبالعكس، وإيجاب وصف خاصّ في عبادة مخصوصة، فلو أوجب أحد إيقاع الطواف مثلاً جماعة، أو زعمه مستحبّاً، أو استحبّ عدداً مخصوصاً في الصلاة وبالجملة كلّ فعل أو وصف في فعل أتى به المكلّف على غير الوجه الذي وردت به الشريعة وتضمّن تغيير حكم شرعيّ وإن كان بالقصد والنية - فلا ريب في أنّه بدعة وضلالة.. وأمّا ما دلّ عليه دليل شرعيّ سواء كان قولاً أو فعلاً عامّاً أو خاصّاً فهو من السنّة.

وقد ظهر من رواياتهم أنّ النبيّ ﷺ لم يصلّ عشرين ركعة يسمّونها التراويح، وإنّما كان يصلّي ثلاث عشرة ركعة، ولم يدلّ شيء من رواياتهم التي ظفرنا بها على استحباب هذا العدد المخصوص فضلاً عن الجماعة فيها، والصلاة وإن كانت خيراً موضوعاً يجوز قليلها وكثيرها إلاّ أنّ القول باستحباب عدد مخصوص منها في وقت مخصوص على وجه الخصوص بدعة وضلالة، ولا ريب في أنّ المتّبعون لسنّة عمر يزعمونها على هذا الوجه سنة وكيدة، بل عزيمة، ويجعلونها من شعائر دينهم.

ولو سلّمنا انقسام البدعة بالأقسام الخمسة وتخصيص كونها ضلالة بالبدعة المحرّمة، فلا ريب أنّ هذا ممّا عدّوه من البدع المحرّمة لما عرفت، والأقسام الأُخرى من البدع التي عدّوها ليست من هذا القبيل، بل هي ممّا ورد في الشريعة عموماً أو خصوصاً، فلا ينفعهم التقسيم، والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

ومنها: أنّه وضع الخراج على أرض السواد ولم يعط أرباب الخمس منها خمسهم،

---

(١) صحيح البخاري، ج ٨ ص ١٤٧ باب ما ذكر النبي ﷺ وصحيح مسلم، ج ٢ ص ٤٢ كتاب الأقضية.

(٢) جامع الاصول، ج ١ ص ٢٧٩ ح ٦٧.

(٣) فتح الباري، ج ١٣ ص ٢١٤.

وجعلها موقوفة على كافة المسلمين، وقد اعترف بجميع ذلك المخالفون، وقد صرّح بها ابن أبي الحديد وغيره، وكلّ ذلك مخالف للكتاب والسنّة وبدعة في الدين[1].

قال العلاّمة رحمه الله في كتاب منتهى المطلب: أرض السواد هي الأرض المغنومة من الفرس التي فتحها عمر بن الخطاب، وهي سواد العراق، وحدّه في العرض من منقطع الجبال بحلوان إلى طرف القادسية المتّصل بعذيب من أرض العرب، ومن تخوم الموصل طولاً إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقيّ دجلة، فأمّا الغربي الذي يليه البصرة فإسلاميّ مثل شطّ عثمان بن أبي العاص، وما والاها كانت سباخاً ومواتاً فأحياها ابن أبي العاص وسمّيت هذه الأرض سواداً؛ لأنّ الجيش لمّا خرجوا من البادية رأوا هذه الأرض والتفاف شجرها فسمّوها السواد لذلك.

وهذه الأرض فتحت عنوة، فتحها عمر بن الخطاب ثم بعث إليها بعد فتحه ثلاث أنفس: عمّار بن ياسر على صلاتهم أميراً، وابن مسعود قاضياً ووالياً على بيت المال، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، وفرض لهم في كلّ يوم شاة شطرها مع السواقط لعمّار، وشطرها للآخرين.

ومسح عثمان بن حنيف أرض الخراج، واختلفوا في مبلغها، فقال الساجي: اثنان وثلاثون ألف ألف جريب. وقال أبو عبيدة: ستة وثلاثون ألف ألف جريب. ثم ضرب على كلّ جريب عشرة دراهم، وعلى الكرم ثمانية دراهم، وعلى جريب الشجر والرطبة ستة دراهم، وعلى الحنطة أربعة دراهم، وعلى الشعير درهمين، ثم كتب بذلك إلى عمر فأمضاه.

وروي أنّ ارتفاعهما كان في عهد عمر مئة وستين ألف ألف درهم، فلمّا كان زمن الحجّاج رجع إلى ثمانية عشر ألف ألف درهم، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رجع إلى ثلاثين ألف ألف درهم في أوّل سنة، وفي الثانية بلغ ستين ألف ألف درهم، فقال: لو عشت سنة أُخرى لرددتها إلى ما كان في أيّام عمر، فمات في تلك السنة، فلمّا أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام أمضى ذلك لأنّه لم يمكنه أن يخالف ويحكم بما يجب عنده فيه[2].

قال الشيخ رحمه الله: والذي يقتضيه المذهب أنّ هذه الأراضي وغيرها من البلاد التي فتحت عنوة يخرج خمسها لأرباب الخمس وأربعة الأخماس الباقية تكون للمسلمين قاطبة، الغانمون وغيرهم سواء في ذلك، ويكون للإمام النظر فيها ويقبلها ويضمنها بما شاء ويأخذ ارتفاعها ويصرفه في مصالح المسلمين وما ينوبهم من سدّ الثغور وتقوية المجاهدين وبناء القناطر وغير ذلك من المصالح، وليس للغانمين في هذه الأرضين على وجه التخصيص شيء، بل هم والمسلمون فيه سواء، ولا يصحّ بيع شيء من هذه الأرضين ولا هبته ولا معاوضته ولا تملّكه ولا وقفه ولا رهنه ولا إجارته ولا إرثه، ولا يصحّ أن يبنى دوراً ومنازل

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٨١. (٢) منتهى المطلب، ج ٢ ص ٩٣٧.

ومساجد وسقايات ولا غير ذلك من أنواع التصرّف الذي يتبع الملك، ومتى فعل شيء من ذلك كان التصرّف باطلاً وهو باقٍ على الأصل.

ثم قال رحمه الله: وعلى الرواية التي رواها أصحابنا أنّ كلّ عسكر أو فرقة غزت بغير أمر الإمام فغنمت تكون الغنيمة للإمام خاصّة، تكون هذه الأرضون وغيرها ممّا فتحت بعد الرسول صلى الله عليه وآله - إلاّ ما فتح في أيّام أمير المؤمنين عليه السلام إن صحّ شيء من ذلك - للإمام خاصّة، وتكون من جملة الأنفال التي له خاصّة لا يشركه فيها غيره. انتهى كلامه رفع الله مقامه[1].

أقول: فالبدعة فيه من وجوه: **أحدها**: منع أرباب الخمس حقّهم، وهو مخالف لصريح آية الخمس وللسنّة أيضاً، حيث ذكر ابن أبي الحديد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم خيبر وصيّرها غنيمة وأخرج خمسها لأهل الخمس. وكان الباعث على ذلك إضعاف جانب بني هاشم، والحذر من أن يميل الناس إليهم لنيل الحطام فتنتقل إليهم الخلافة فينهدم ما أسّسوه يوم السقيفة وشيّدوه بكتابة الصحيفة.

وثانيها: منع الغانمين بعض حقوقهم من أرض الخراج وجعلها موقوفة على مصالح المسلمين، وهذا إلزامي عليهم لما اعترفوا به من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم الأرض المفتوحة عنوة بين الغانمين، وبه أفتى الشافعي وأنس بن مالك والزبير وبلال كما ذكره المخالفون[2].

وما ذكروه من أنّه عوّض الغانمين ووقفها فهو دعوى بلا ثبت، بل يظهر من كلام الأكثر خلافه، كما يستفاد من كلام ابن أبي الحديد وغيره.

وثالثها: أنّ سيرة الرسول صلى الله عليه وآله في الأراضي المفتوحة عنوة كانت أخذ حصّته عليه السلام من غلّتها دون الدراهم المعيّنة، وسيأتي بعض القول في ذلك في باب العلّة التي لم يغيّر عليه السلام بعض البدع في زمانه.

ومنها: أنّه زاد الجزية عمّا قرّرها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو حرام على مذهب فقهائهم الأربعة إلاّ أحمد في رواية[3].

ومنها: تغريب نصر بن الحجّاج وأبي ذؤيب من غير ذنب من المدينة، فقد روى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن محمد بن سعدي، قال: بينا عمر يطوف في بعض سكك المدينة إذا سمع امرأة تهتف من خدرها:

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها ... أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجّاج
إلى فتىً ماجد الأعراق مقتبلٍ ... سهل المحيّا كريم غير مِلْجاج

---

(١) المبسوط، ج ٢ ص ٣٤.

(٢) سنن أبي داود كتاب الخراج والإمارة باب ما جاء في حكم أرض خيبر ح ٣٠١٠، جامع الاصول ج ٢ ص ٦٧١، بداية المجتهد ج ١ ص ٤٠١، كتاب الأم للشافعي ج ٤ ص ١٨١، المغني ج ٢ ص ٥٧٨.

(٣) المغني، ج ١ ص ٥٦٦.

تنميه أعراقُ صدقٍ حين تُنْسبه   أخي قداحٍ عن المكروب فيّاج
سامي النّواظر من بهرٍ له قدمٌ   يضيءُ صورته في الحالك الدّاجي

فقال: ألا لا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق في خدورهنّ! عليّ بنصر بن حجّاج، فأتي به، وإذا هو أحسن الناس وجهاً وعيناً وشعراً، فأمر بشعره فجزّ، فخرجت له وجنتان كأنّهما قمر، فأمره أن يعتم فاعتمّ، ففتن النساء بعينيه، فقال عمر: لا والله لا تساكنني بأرض أنا بها. فقال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: هو ما أقول لك فسيّره إلى البصرة.

وخافت المرأة التي تسمّع عمر منها ما سمع أن يبدر إليها منه شيء، فدسّت إليه أبياتاً:

قل للأمير الذي يُخشى بوادره   ما لي أو نصر بن حجّاج
إنّي بُليت أبا حفص بغيرهما   شرب الحليب وطرفٍ فاترٍ ساجي
لا تجعل الظنّ حقّاً أو تبيّنه   إنّ السّبيل سبيل الخائف الراجي
ما منيةٌ قلتها عرضاً بضائرة   والنّاس من هالكٍ قِدماً ومن ناجي
إنّ الهوى رمية التقوى فقيّده   حفظي أقرّ بألجامٍ وأسراجي

فبكى عمر وقال: الحمد لله الذي قيّد الهوى بالتقوى.

وكان لنصر أمّ فأتى عليه حين واشتدّ عليها غيبة ابنها، فتعرّضت لعمر بين الأذان والإقامة، فقعدت له على الطريق، فلمّا خرج يريد الصلاة هتفت به وقالت: يا أمير المؤمنين، لأجثينّك غداً بين يدي الله عزّ وجلّ، ولأخاصمنّك إليه، أجلست عاصماً وعبد الله إلى جانبيك وبيني وبين ابني الفيافي والقفار والمفاوز والجبال؟: قال: من هذه؟ قيل: أمّ نصر بن الحجّاج. فقال لها: يا أمّ نصر، إنّ عاصماً وعبد الله لم يهتف بهما العواتق من وراء الخدور.

قال: وروى عبد الله بن يزيد، قال: بينا عمر يعس ذات ليلة إذ انتهى إلى باب مجافٍ وامرأة تغنّي بشعر:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها   أم هل سبيل إلى نصر بن حجّاج

وذكر نحو ما مرّ.

ثم روى عن الأصمعي أنّ نصر بن الحجّاج كتب إلى عمر كتاباً هذه صورته: لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجّاج: سلام عليك، أمّا بعد يا أمير المؤمنين:

لعمري لئن سيّرتني أو حرمتني   لما نلت من عرضي عليك حرامُ
ألِن غنّت الذلفاء يوماً بمُنيةٍ   وبعض أمانيّ النّساء غرامُ
ظننت بي الظّنّ الذي ليس بعده   بقاء فما لي في النّديّ كلام
وأصبحت منفيّاً على غير ريبةٍ   وقد كان لي بالمكّتين مقام
سيمنعني عمّا تظنّ تكرّمي   وآباء صدقٍ صالحون كرام

ويمنعها ممّا تمنّت صلاتها وحالٌ لها في دينها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجع؟ فقد جُبّ منّي كاهل وسنام!

فقال عمر: أما ولي إمارة فلا. وأقطعه أرضاً بالبصرة وداراً، فلمّا قُتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة.

قال: وروى عبد الله بن يزيد أنّ عمر خرج ليلة يعس فإذا نسوة يتحدّثن، وإذا هنّ يقلن: أيّ فتيان المدينة أصبح؟ فقالت امرأة منهنّ: أبو ذؤيب والله. فلمّا أصبح عمر سأل عنه، فإذا هو من بني سليم، وإذا هو ابن عمّ نصر بن حجّاج، فأرسل إليه، فحضر، فإذا هو أجمل الناس وأملحهم، فلمّا نظر إليه قال: أنت والله ذئبهنّ - ويكرّرها ويردّدها - لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أبداً. فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت لا بدّ مسيّري فسيّرني حيث سيّرت ابن عمّي نصر بن الحجّاج. فأمر بتسييره إلى البصرة، فأُشخص إليها. انتهى ما حكاه ابن أبي الحديد(١).

وقد روى قصّة نصر بن حجّاج جلّ أرباب السير، وربّما عدّ أحبّاء عمر ذلك من حسن سياسته(٢).

ووجه البدعة فيه ظاهر، فإنّ إخراج نصر من المدينة وتغريبه ونفيه عن وطنه بمجرّد أنّ امرأة غنّت بما يدلّ على هواها فيه ورغبتها إليه، مخالف لضرورة الدين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ولا ريب في أنّ التغريب تعذيب عنيف وعقوبة عظيمة، ولم يجعل الله تعالى في دين من الأديان حسن الوجه ولا قبحه منشأ لاستحقاق العذاب في الدنيا وفي الآخرة، وقد كان يمكنه دفع ما زعمه مفسدة من افتتان النساء به بأمر أخفّ من التغريب وإن كان بدعة أيضاً، وهو أن يأمره بالحجاب وستر وجهه عن النساء أو مطلقاً حتى لا يفتتن به أحد.

ثم ليت شعري ما الفائدة في تسيير نصر إلى البصرة، فهل كانت نساء البصرة أعفّ وأتقى من نساء المدينة، مع أنّها مَهبِط إبليس ومَغرِس الفتنة.

اللهمّ إلاّ أن يقال: لما كانت المدينة يومئذٍ مستقرّ سلطنة عمر كان القاطنون بها أقرب إلى الضلال ممّن نشأ في مغرس الفتنة، وقد حمل أصحابنا على ما يناسب هذا المقام ما روي في فضائل عمر: ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلاّ سلك فجّاً غير فجّك، وكأنّه المصداق لما قيل:

وكنتُ امرأً من جند إبليس فارتقت بي الحال حتّى صار إبليس من جندي

وهذه البدعة من فروع بدعة أُخرى له عدّوها من فضائله، قالوا: هو أوّل من عسّ في عمله بنفسه، وهي مخالفة للنهي الصريح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢١١-٢١٢.

(٢) طبقات ابن سعد، ج ٣ ص ٢٨٥، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٥٥٧ وغيرهما.

ومنها: بدعة الطلاق، روى في جامع الأُصول، عن طاووس، قال: إنّ أبا الصهباء كان كثير السؤال لابن عباس، قال: أما علمت أنّ الرجل إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر؟ قال ابن عباس: بلى كان الرجل إذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر، فلمّا أن رأى الناس قد تتابعوا عليها قال: أجيزوهنّ عليهم[١].

وفي رواية مسلم: إنّ أبا الصهباء قال لابن عباس: هات من هناتك، ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة؟ فقال: قد كان ذلك، فلمّا كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم[٢].

وفي رواية عنه أنّ ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم؟ فأمضاه عليهم[٣].

وفي أُخرى أنّ أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم إنّما كان الثلاث تجعل واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم[٤].

وأخرج أبو داود أيضاً، والنسائي هذه الرواية الأخيرة[٥] انتهى كلام جامع الأُصول.

ووجه البدعة في جعل الواحدة ثلاثاً واضح، وسيأتي تفصيل أحكام تلك المسألة في كتاب الطلاق إن شاء الله تعالى[٦].

ومنها: تحويل المقام عن موضعه، كما ورد في كثير من أخبارنا. وقال ابن أبي الحديد: قال المؤرّخون: إنّ عمر أوّل من سنّ قيام شهر رمضان في جماعة وكتب به إلى البلدان، وأوّل من ضرب في الخمر ثمانين، وأحرق بيت رُويشد الثقفي وكان نبّاذاً، وأوّل من عسّ في عمله بنفسه، وأوّل من حمل الدُّرّة وأدّب بها - وقيل بعده: كانت درّة عمر أهيب من سيف الحجّاج - وأوّل من قاسم العمّال وشاطرهم أموالهم، وهو الذي هدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد

(١) جامع الأصول، ج ٧ ص ٥٩٧ ح ٥٧٥٧.

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٥٧٤ كتاب الطلاق، ح ١٤٧٢.

(٣) صحيح مسلم، ج ١ ص ٥٧٤، مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٣١٤.

(٤) صحيح مسلم، ج ١ ص ٥٧٤، الدر المنثور للسيوطي، ج ١ ص ٢٧٩.

(٥) سنن أبي داود، ج ١ ص ٣٤٤، سنن النسائي، ج ٦ ص ١٤٥.

(٦) اجتهاد الخليفة في الطلاق الثلاث ورأيه في حد الخمر وصلاة الميت تجد تفصيلها في كتاب الغدير للأميني ج ٦ ط الأعلمي [النمازي].

فيه، وأدخل دار العباس فيما زاد، وهو الذي أخّر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت... إلى آخر ما ذكره[(١)].

وقد أشار على تحويل المقام صاحب الكشّاف، قال: إن عمر سأل المطلب بن أبي وداعة: هل تدري أين كان موضعه الأول؟ قال: نعم. فأراه موضعه اليوم[(٢)].

وروى ثقة الإسلام في الكافي، بإسناده عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أدركت الحسين صلوات الله عليه؟ قال: نعم، أذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل في السيل والناس يقومون على المقام يخرج الخارج يقول: قد ذهب به... ويخرج منه الخارج فيقول: هو مكانه.. قال: فقال لي: يا فلان، ما صنع هؤلاء؟ فقلت له: أصلحك الله! يخافون أن يكون السيل قد ذهب بالمقام. فقال: ناد: إنّ الله قد جعله علَماً لم يكن ليذهب به، فاستقرّوا. وكان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّله أهل الجاهليّة إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم عليه السلام، فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟ فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقداره بنسعٍ فهو عندي. فقال: تأتيني به. فأتاه به فقاسه ثم ردّه إلى ذلك المكان[(٣)].

ومنها: تغيير الجزية عن النصارى، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ بني تغلب من نصارى العرب أنفوا واستنكفوا من قبول الجزية، وسألوا عمر أن يعفيهم عن الجزية ويؤدّوا الزكاة مضاعفاً، فخشي أن يلحقوا بالروم، فصالحهم على أن صرف ذلك عن رؤوسهم وضاعف عليهم الصدقة فرضوا بذلك[(٤)].

وقال البغوي في شرح السنّة: روي أنّ عمر بن الخطاب رام نصارى العرب على الجزية، فقالوا: نحن عرب لا نؤدّي ما يؤدّي العجم، ولكن خذ منّا كما يأخذ بعضكم من بعض. يعنون: الصدقة، فقال عمر: هذا فرض الله على المسلمين. قالوا: فزد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية. فراضاهم على أن ضعّف عليهم الصدقة. انتهى.

فهؤلاء ليسوا بأهل ذمّة لمنع الجزية، وقد جعل الله الجزية على أهل الذمّة ليكونوا أذلاّء صاغرين، وليس في أحد من الزكاة[(٥)] صغار وذلّ، فكان عليه أن يقاتلهم ويسبي ذراريهم لو أصرّوا على الاستنكاف والاستكبار.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٤٢. (٢) تفسير الكشاف، ج ١ ص ١٨٥.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٤١١ باب ١٣٧ ح ٢.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٢١٨ ج ٢ باب ضمان المزكى، ح ١٦١٢.
(٥) هكذا هو، والظاهر: وليس في أخذ الزكاة.

ومنها: ما روي أنّ عمر أطلق تزويج قريش في سائر العرب والعجم، وتزويج العرب في سائر العجم، ومنع العرب من التزويج في قريش، ومنع العجم من التزويج في العرب، فأنزل العرب مع قريش والعجم مع العرب منزلة اليهود والنصارى، إذ أطلق تعالى للمسلمين التزويج في أهل الكتاب، ولم يطلق تزويج أهل الكتاب في المسلمين(١).

وقد زوّج رسول الله ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود الكندي وكان مولى لبني كندة، ثم قال: أتعلمون لم زوّجت ضباعة بنت عمّي من المقداد؟ قالوا: لا. قال: ليتّضع النكاح فيناله كلّ مسلم، ولتعلموا أنّ أكرمكم عند الله أتقاكم. فهذه سنّة، وقد قال رسول الله ﷺ: من رغب عن سنّتي فليس منّي(٢).

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: أتزوّج الموالي بالعربيات؟! فقال: تتكافأ دماؤكم ولا تتكافأ فروجكم؟(٣)!

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٤).

ومنها: المسح على الخفّين، كما رواه الشيخ في التهذيب، باسناده عن رقبة بن مصقلة، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فسألته عن أشياء، فقال: إنّي أراك ممّن يفتي في مسجد العراق؟ فقلت: نعم. قال: فقال لي: من أنت؟ فقلت: ابن عمّ لصعصعة. فقال: مرحباً بك يابن عمّ صعصعة. فقلت له: ما تقول في المسح على الخفّين؟ فقال: كان عمر يراه ثلاثاً للمسافر ويوماً وليلة للمقيم، وكان أبي لا يراه في سفر ولا حضر. فلمّا خرجت من عنده فقمت على عتبة الباب، فقال لي: أقبل يابن عمّ صعصعة. فأقبلت عليه، فقال: إنّ القوم كانوا يقولون برأيهم فيخطئون ويصيبون، وكان أبي لا يقول برأيه(٥).

وبإسناده، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: جمع عمر بن الخطاب أصحاب النبيّ ﷺ وفيهم عليّ عليه السلام، وقال: ما تقولون في المسح على الخفّين؟ فقام المغيرة بن شعبة، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يمسح على الخفّين. فقال عليّ عليه السلام: قبل المائدة أو بعدها؟ فقال: لا أدري. فقال عليّ عليه السلام: سبق الكتاب الخفّين، إنّما أنزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة(٦).

أقول: لعلّ الترديد من الراوي، أو لكون ذلك ممّا اختلفوا فيه، فتردّد عليه السلام إلزاماً على الفريقين.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٤ ص ٤٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج ٢٠ ص ٦٢.
(٣) مستدرك الوسائل، ج ١٤ ص ١٨٦.
(٤) سورة الحجرات، الآيتان: ١٠ و١٣.
(٥) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ١٩٣ باب ١٦ ح ١٩.
(٦) صحيح البخاري، ج ١ ص ٤١٥ كتاب الصلاة في الثياب، باب الصلاة في الخف.

ومخالفة هذه الرأي للقرآن واضح، فإنّ الخفّ ليس بالرِجل الذي أمر الله بمسحه، كما أنّ الكُمّ ليس باليد، والنقاب ليس بالوجه، ولو غسلهما أحد لم يكن آتياً بالمأمور به، كما أشار عليه السلام إليه بقوله: سبق الكتاب الخفّين.

وقد ورد المنع من المسح على الخفّين في كثير من أخبارهم، فعن عائشة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره. وروي عنها أنّها قالت: لأن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحبّ إليّ من أن أمسح على خفّي[1].. وعنها، قالت: لأن يقطع رجلاي بالمواسي أحبّ إليّ من أن أمسح على الخفّين[2].

ورووا المنع منه، عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وغيرهما، وسيأتي بعض القول فيه في محلّه[3].

ومنها: نقص تكبير من الصلاة على الجنائز وجعلها أربعاً، قال ابن حزم في كتاب المحلّى: واحتجّ من منع أكثر من أربع بخبر رويناه من طريق وكيع، عن سفيان الثوري، عن عامر بن شقيق، عن أبي وائل، قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فاستشارهم في التكبير على الجنازة، فقالوا: كبّر النبيّ صلى الله عليه وآله سبعاً وخمساً وأربعاً. فجمعهم عمر على أربع تكبيرات[4].

وهو خلاف ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله، كما رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبّر على جنائزنا أربعاً، وإنّه كبّر على جنازة خمساً، فسألته، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكبّرها[5].

ورواه في جامع الأُصول، عن مسلم والنسائي وأبي داود والترمذي، وقال: وفي رواية النسائي أنّ زيد بن أرقم صلّى على جنازة فكبّر عليها خمساً وقال: كبّرها رسول الله صلى الله عليه وآله[6].

وروى ابن شيرويه في الفردوس أن النبيّ صلى الله عليه وآله كان يصلّي على الميّت خمس تكبيرات.

فالراويات كما ترى صريحة في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكبّر خمس تكبيرات، وظاهر كان الدوام، ولو سلّم أنّه قد كان يكبّر أربعاً فلا ريب في جواز الخمس، فالمنع من الزيادة على الأربع من أسوأ البدع.

ومنها: ما رواه في الموطأ وحكاه في جامع الأُصول، عن ابن المسيّب، قال: أبى عمر

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٢٣ ح ٩٦ و٩٧.
(٢) المصنف لعبد الرزاق، ج ١ ص ٢٢١ ح ٨٦٠.
(٣) سنن البيهقي، ج ١ ص ٢٧٢، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠، مسند احمد ج ١ ص ٣٢٣.
(٤) المحلى، ج ٥ ص ١٢٤.
(٥) صحيح مسلم، ص ٤٢٩ باب ٢٣ ح ٢٢١٣ كتاب الجنائز.
(٦) جامع الأصول وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن الترمذي في كتاب الجنائز.

أن يورث أحد من الأعاجم إلاّ أحداً ولد في العرب. قال: وزاد رزين: وامرأة جاءت حاملاً فولدت في العرب، فهو يرثها إن ماتت وترثه إن مات ميراثه من كتاب الله. انتهى(١).

ومضادة هذا المنع للآيات والأخبار، بل مخالفته لما علم ضرورة من دين الإسلام من ثبوت التوارث بين المسلمين ممّا لا يريب فيه أحد.

ومنها: القول بالعول والتعصيب في الميراث كما سيأتي، وروت الخاصّة والعامّة ذلك بأسانيد جمّة يأتي بعضها، ولنورد هنا خبراً واحداً رواه الشهيد الثاني رحمه الله وغيره، عن أبي طالب الأنباري، عن أبي بكر الحافظ، عن علي بن محمد بن الحصين، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن أبي إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، قال: دخلت على ابن عباس، فجرى ذكر الفرائض والمواريث، فقال ابن عباس: سبحان الله العظيم! أترون الذي أحصى رمل عالج عدداً جعل في مال نصفين وثلثاً وربعاً (أو قال: نصفاً ونصفاً وثلثاً) وهذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث؟!

فقال له زفر بن أوس البصري: يا أبا العباس، فمن أوّل من أعال الفرائض؟ فقال: عمر بن الخطاب، لمّا التفّت عنده الفرائض ودفع بعضها بعضاً، فقال: والله ما أدري أيّكم قدّم الله وأيّكم أخّر؟ وما أجد شيئاً هو أوسع إلاّ أن أُقسم عليكم هذا المال بالحصص، وأُدخل على كلّ ذي حقّ ما دخل عليه من عول الفريضة. وايم الله لو قدّم من قدّم الله وأخّر من أخّر الله ما عالت فريضة. فقال له زفر بن أوس: فأيّها قدّم وأيّها أخّر؟ فقال: كلّ فريضة لم يهبطها الله عزّوجلّ عن فريضة إلاّ إلى فريضة، فهذا ما قدّم الله. وأمّا ما أخّر فكلّ فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلاّ ما بقي، فتلك التي أخّر.

وأمّا الذي قدّم فالزوج له النصف، فإذا دخل عليه ما يزيله عنه رجع إلى الربع لا يزيله عنه شيء، والزوجة لها الربع، فإذا زالت عنه صارت إلى الثمن لا يزيلها عنه شيء، والأُمّ لها الثلث، فإذا زالت عنه صارت إلى السدس لا يزيلها عنه شيء، فهذه الفرائض التي قدّم الله عزّوجلّ ، وأمّا التي أخّر ففريضة البنات والأخوات لهنّ النصف والثلثان، فإذا أزالتهنّ الفرائض عن ذلك لم يكن لهنّ إلاّ ما بقي، فتلك التي أخّر. فإذا اجتمع ما قدّم الله تعالى وما أخّر، بدئ بما قدّم الله فأُعطي حقّه كاملاً، فإن بقي شيء كان لمن أخّر [الله]، وإن لم يبق شيء فلا شيء له.

فقال له زفر بن أوس: فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر؟ فقال: هبته والله، وكان امرأً مهيباً. قال الزهري: والله لولا أن تقدّم ابن عباس إمام عدل كان أمره على الورع أمضى أمراً وحكم به وأمضاه لما اختلف على ابن عباس اثنان(٢).

---

(١) الموطأ، ج ٢ ص ١٢ كتاب الفرائض باب ميراث أهل الملل.

(٢) شرح اللمعة الدمشقية، ج ٨ ص ٨٩.

ومنها: التثويب، وهو قول: الصلاة خير من النوم، في الأذان. فقد روى في جامع الأُصول ممّا رواه عن الموطأ، قال عن مالك أنّه بلغه المؤذّن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من النوم. فأمره عمر أن يجعلهما في الصبح.. ويظهر منها أنّ ما رووه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بالتثويب من مفترياتهم، ويؤيّده أنّ رواياتهم في الأذان خالية عن التثويب(١).

الطعن الخامس عشر: أنّه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز، فأعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كلّ سنة، وحرم أهل البيت عليهم السلام خمسهم الذي جعله الله لهم، وكان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال يوم مات على سبيل القرض(٢)، ولم يجز شيء من ذلك، أمّا الأول فلأنّ الفيء والغنائم ونحو ذلك ليست من الأموال المباحة التي يجوز لكلّ أحد التصرّف فيها كيف يشاء، بل هي من حقوق المسلمين يجب صرفه إليهم على الوجه الذي دلّت عليه الشريعة المقدّسة، فالتصرف فيها محظور إلاّ على الوجه الذي قام عليه دليل شرعيّ، وتفضيل طائفة في القسمة وإعطاؤها أكثر ممّا جرت السنّة عليه لا يمكن إلاّ بمنع من استحقّ بالشرع حقّه، وهو غصب لمال الغير وصرف له في غير أهله، وقد جرت السنّة النبويّة بالاتّفاق على القسم بالتسوية.

وأوّل من فضّل قوماً في العطاء هو عمر بن الخطاب كما اعترف به ابن أبي الحديد وغيره من علمائهم(٣).

قال ابن أبي الحديد: روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: استشار عمر الصحابة بمن يبدأ في القسم والفريضة؟ فقالوا: ابدأ بنفسك. فقال: بل أبدأ بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وذوي قرابته. فبدأ بالعباس. قال ابن الجوزي: وقد وقع الاتّفاق على أنّه لم يفرض لأحدٍ أكثر ممّا فرض له، روي أنّه فرض له خمسة عشر ألفاً، وروي أنّه فرض له اثني عشر ألفاً، وهو الأصحّ، ثم فرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وآله لكلّ واحدة عشرة آلاف، وفضّل عائشة عليهنّ بألفين فأبت، فقال: ذلك لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا أخذت فشأنك. واستثنى عن الزوجات جويرية وصفيّة، ففرض لكلّ واحدةٍ منهنّ ستّة آلاف، فقالت عائشة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعدل بيننا. فعدل عمر بينهنّ وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهنّ.

ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدراً لكلّ واحدة خمسة آلاف، ولمن شهدها من

(١) جامع الأصول، ج ٥ ص ٢٨٦ ح ٣٣٦٠، موطأ مالك ج ١ ص ٧٢ كتاب الصلاة.
(٢) أخبار عمر للطنطاوي، ص ١٢٢، طبقات ابن سعد، ج ٣ ص ٢٢٣، الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ٢٤٧، وشرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢١٤.
(٣) الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٢٨٢.

الأنصار لكلّ واحد أربعة آلاف، وقد روي أنّه فرض لكلّ واحدٍ ممّن شهد بدراً من المهاجرين أو من الأنصار أو غيرهم من القبائل خمسة آلاف، ثم فرض لمن شهد أُحداً وما بعدها إلى الحديبية أربعة آلاف، ثم فرض لكلّ من شهد المشاهد بعد الحديبية ثلاثة آلاف، ثم فرض لكلّ من شهد المشاهد بعد رسول الله ﷺ ألفين وخمسمائة وألفين، وألفاً وخمسمائة وألفاً واحداً إلى مائتين، وهم أهل هجر، ومات عمر على ذلك.

قال ابن الجوزي: وأدخل عمر في أهل بدر ممّن لم يحضر بدراً أربعة، وهم الحسن والحسين عليهما السلام وأبو ذرّ وسلمان، ففرض لكلّ واحد منهم خمسة آلاف.

قال ابن الجوزي: فأمّا ما اعتمده في النساء فإنّه جعل نساء أهل بدر على خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء من بعد ذلك على ثلاثمائة، وجعل نساء أهل القادسية على مائتين، ثم سوّى بين النساء بعد ذلك. انتهى[١].

وروى البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيد عديدة: أنّ النبيّ ﷺ قال للأنصار في مقام التسلية قريباً من وفاته: ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض[٢].

وهل يريب عاقل في أنّ هذا القول - بعد أن كان يسوّي المهاجرين والأنصار مدّة حياته - إخبار بما يكون بعده من التفضيل، ويتضمّن عدم إباحته وعدم رضاه ﷺ به؟

ويؤيّد حظر التفضيل ومخالفة السنّة في القسمة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أبطل سيرة عمر في ذلك، وردّ الناس إلى السنّة والقسم بالسويّة، وهو عليه السلام يدور مع الحقّ ويدور الحقّ معه حيثما دار بنصّ الرسول ﷺ، كما تظافرت به الروايات من طرق المخالف والمؤالف، ومع ذلك احتجّ عليه السلام على المهاجرين والأنصار لمّا كرهوا عدله في القسمة، وأنكروه عليه بمخالفة التفضيل للشريعة، وألزمهم العدل في القسمة، فلم يردّه عليه أحد منهم، بل أذعنوا له وصدّقوا قوله، ثم فارقه طلحة والزبير ومن يقفو أثرهما رغبة في الدنيا وكراهة للحقّ، كما سيأتي في باب بيعته عليه السلام وغيره.

وقد قال ابن أبي الحديد في بعض كلامه:

فإن قلت: إنّ أبا بكر قد قسم بالسوّية، كما قسمه أمير المؤمنين عليه السلام، ولم ينكروا عليه كما أنكروا على أمير المؤمنين عليه السلام؟

قلت: إنّ أبا بكر قسم محتذياً بقسم رسول الله ﷺ، فلمّا ولي عمر الخلافة وفضّل قوماً على قوم ألفوا ذلك ونسوا تلك القسمة الأولى، وطالت أيّام عمر، وأُشرِبت قلوبهم حبّ

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٣٣٢.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٨٩ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، صحيح مسلم كتاب الإمارة، ص ٨٨٠ باب الأمر بالصبر، ح ٤٧٥٦، سنن الترمذي كتاب الفتن، ح ٢١٩٠.

المال وكثرة العطاء، وأمّا الذين اهتضموا فقنعوا ومُرّنوا على القناعة، ولم يخطر لأحد من الفريقين أنّ هذه الحال تنتقض أو تتغيّر بوجه ما، فلمّا ولي عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه، فازداد وثوق العوام بذلك، ومن ألف أمراً شقّ عليه فراقه وتغيير العادة فيه، فلمّا ولي أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، وقد نُسي ذلك ورُفض، وتخلّل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة، فشقّ ذلك عليهم [وأنكروه] وأكبروه حتى حدث ما حدث من نقض البيعة ومفارقة الطاعة، ولله أمر هو بالغه[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض احتجاجه على طلحة والزبير: وأمّا ما ذكرتما من أمر الأُسوة فإنّ ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوىً مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فُرغ منه فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قَسْمه، وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عُتبى، أخذ الله بقلوبكم وقلوبنا إلى الحق وألهمنا وإيّاكم الصّبر[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: قد تكلّم عليه السلام في معنى النفل والعطاء، فقال: إنّي عملت بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، وصدق عليه السلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله سوّى بين الناس في العطاء وهو مذهب أبي بكر.

ثم قال: إنّ طلحة والزبير قد نقما عليه الاستبداد وترك المشاورة، وانتقلا من ذلك إلى الوقيعة فيه بمساواة الناس في قسمة المال، وأثنيا على عمر وحمدا سيرته وصوّبا رأيه، وقالا: إنّه كان يفضّل أهل السوابق. وضلّلا عليّاً فيما رأى، وقالا: إنّه أخطأ، وإنّه خاف سيرة عمر وهي السيرة المحمودة. واستنجدا عليه بالرؤساء من المسلمين الذين كان عمر يفضّلهم وينفلهم في القسم على غيرهم، والناس أبناء الدنيا، ويحبّون المال حبّاً جمّاً، فتنكّرت على أمير المؤمنين عليه السلام بتنكّرهما قلوب كثيرة، ونغلت عليه نيّات كانت من قبل سليمة. انتهى[٣].

وبالجملة من راجع السير والأخبار لم يبق له ريب في أنّ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في القسمة هو العدل تأسّياً برسول الله صلى الله عليه وآله واتّباعاً لكتابه، وقد احتجّ عليه السلام على المصوّبين لسيرة عمر في تركه العدل بأنّ التفضيل مخالف للسنّة، فلم يقدر أحد على ردّه، وصرّح عليه السلام أنّ التفضيل جور وبذل المال في غير حقّه تبذير وإسراف كما سيأتي.

وروى ابن أبي الحديد، عن هارون بن سعد، قال: قال عبد الله بن جعفر لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونةٍ أو نفقة! فوالله ما لي نفقة إلاّ أن أبيع دابّتي. فقال: لا والله، ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٧ ص ٤٢.
(٢) نهج البلاغة، ص ٤٣٧ خ ٢٠٣.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١١ ص ١١.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢٣٧.

وذكر ابن أبي الحديد أيضاً أنّ عمر أشار على أبي بكر في أيّام خلافته بترك التسوية فلم يقبل، وقال: إنّ الله لم يفضّل أحداً على أحد، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾(١) ولم يخصّ قوماً دون قوم(٢).

ثم لم يستند عمر فيما زعمه صواباً إلى شبهة فضلاً عن حجّة ولو أقام حجّة على ما زعمه لحكاه الناصرون.

وقد روى ابن الأثير في الكامل ذلك، إلاّ أنّه لم يصرّح بالمشير ستراً عليه(٣).

وهل يرتاب عاقل في أنّه لو كان إلى جواز التفضيل ومصانعة الرؤساء والأشراف للمصالح سبيل، لما عدل أمير المؤمنين عليه السلام إلى العدل والتسوية، مع ما رآه عياناً من تفرّق أصحابه عنه لذلك وميلهم إلى معاوية بقبضه عنهم ما عوّدهم به عمر بن الخطاب كما سيأتي، ولم يكن يختار أمراً يوجب حدوث الفتن وإراقة الدماء، ولما كان يمنع عقيلاً صاعاً من برّ فيذهب إلى معاوية.

فإن قيل: فلم كان الحسنان عليهما السلام يقبلان التفضيل، وأبوهما عليه السلام لِمَ رضي بذلك.

قلنا: إمّا للتقيّة كما مرّ مراراً، أو لأنّ عمر لما حرمهم حقّهم من الخمس والفيء والأنفال فلعلّهما أخذا ما أخذا عوضاً من حقوقهم.

ويمكن أن يقال: لمّا كان أمير المؤمنين عليه السلام ولي الأمر فلعلّ ما أخذاه صرفه عليه السلام في مصارفه، وكان الأخذ من قبيل الاستنقاذ من الغاصب والاستخلاص من السارق.

ثم من غريب ما ارتكبه عمر من المناقضة في هذه القصّة أنّه نبذ سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وراء ظهره وأعرض عنه رأساً، وفضّل من شاء على غيره، ثم لمّا قالت عائشة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعدل بيننا، عدل بين الثلاث وبين غيرهنّ سوى عائشة، وقد كان فضّل عائشة بألفين، فكيف كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وآله في التسوية بين ثمان من الزوجات حجّة؟ ولم تكن حجّة في العدل بين التسع، ولا بين المهاجرين والأنصار وغيرهم؟

واعلم أنّ أكثر الفتن الحادثة في الإسلام من فروع هذه البدعة، فإنّه لو استمرّ الناس على ما عوّدهم الرسول من العدل وجرى عليه الأمر في أيّام أبي بكر لما نكث طلحة والزبير بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تقم فتنة الجمل، ولم يستقرّ الأمر لمعاوية، ولا تطرّق الفتور إلى أتباع أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره، ولو كان المنازع له في أوّل خلافته معاوية لدفعه بسهولة ولم ينتقل الأمر إلى بني أميّة، ولم يحدث ما أثمرته تلك الشجرة الملعونة من إراقة الدماء المعصومة، وقتل الحسين عليه السلام وشيوع سبّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر، ثم انتقال

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٨ ص ٢٨٠.
(٣) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٢٩٠.

الخلافة إلى بني العباس وما جرى من الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام وعلى سائر أهل الإسلام.

وقد كان من الدواعي على الفتن والشرور بدعته الأخرى وهي الشورى؛ إذ جعل طلحة والزبير مرشّحين للخلافة نظيرين لأمير المؤمنين عليه السلام، فشقّ عليهما طاعته والصبر على الأسوة والعدل، وهذا في غاية الوضوح.

وقد روى ابن عبد ربّه في كتاب العقد - على ما حكاه العلاّمة رحمه الله عنه في كشف الحقّ - قال: إنّ معاوية قال لابن الحصين: أخبرني: ما الذي شتّت أمر المسلمين وجماعتهم ومزّق ملأهم، وخالف بينهم؟ فقال: قتل عثمان. قال: ما صنعت شيئاً. قال: فسير عليّ إليك. قال: ما صنعت شيئاً. قال: ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين. قال: فأنا أخبرك: إنّه لم يشتّت بين المسلمين ولا فرّق أهواءهم إلاّ الشورى التي جعلها عمر في ستّة. ثم فسّر معاوية ذلك، فقال: لم يكن من الستّة رجل إلاّ رجاها لنفسه، ورجاها لقومه، وتطلّعت إلى ذلك نفوسهم، ولو أنّ عمر استخلف كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف(١).

وقد حكى ابن أبي الحديد أيضاً عن معاوية، وقد تمّم إثارة الفتنة بإغواء معاوية وعمرو بن العاص وإطماعهما في الخلافة، وكان معاوية عامله على الشام، وعمرو بن العاص أميره وعامله على مصر، فخاف أن يصير الأمر إلى عليّ عليه السلام، فقال - لمّا طُعن وعلم بأنّه سيموت -: يا أصحاب محمّد، تناصحوا فإن لم تفعلوا غَلَبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. روى ذلك ابن أبي الحديد.

ثم حكى عن شيخنا المفيد رحمه الله، أنّه قال: كان غرض عمر بإلقاء هذه الكلمة إلى الناس أن تصل إلى عمرو بن العاص ومعاوية فيتغلّبا على مصر والشام لو أفضى الأمر إلى عليّ عليه السلام (٢).

وبالجملة جميع ما كان وما يكون في الإسلام من الشرور إلى يوم النشور إنّما أثمرته شجر فتنته، فغرس أصل الفتن يوم السقيفة، وربّاها ببدعه من التفضيل في العطاء ووضع الشورى وغير ذلك، فهو السهيم في جميع المعاصي والإجرام، والحامل لجملة الأوزار والآثام، كما مرّ في الأخبار الكثيرة.

وأمّا الخمس فالآية صريحة في أنّ لذي القربى فيه حقّاً وإن اختلفوا في قدره، ولم ينكر أحد أنّ عمر بن الخطاب لم يعطهم شيئاً من أرض السواد ولا من خراجها، وكذلك منع سهمهم من أرض خيبر ومن سائر الغنائم وجعل الغنائم من بيت المال ووقف خراجها على مصالح، كما مرّ.

---

(١) العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٨١، كشف الحق، ص ٣٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٧١.

وروى في جامع الأُصول من صحيحي أبي داود والنسائي، عن يزيد بن هرمز، قال: إنّ نجدة الحروري حين حجّ في فتنة ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن يراه؟ فقال له: لقربى رسول الله ﷺ، قسّمه رسول الله ﷺ لهم، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا ورددناه عليه وأبينا أن نقبله. هذه رواية أبي داود[1].

وفي رواية النسائي قال: كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن هو؟ قال يزيد بن هرمز: فأنا كتبت كتاب ابن عباس إلى نجدة، كتب إليه: كتبت تسألني عن سهم ذي القربى لمن هو؟ وهو لنا أهل البيت، وقد كان عمر دعانا إلى أن ينكح [منه] أيّمنا ويجدي منه عائلنا، ويقضي منه عن غارمنا، فأبينا إلاّ أن يسلّمه إلينا، وأبى ذلك فتركنا عليه.

وفي رواية أُخرى له مثل أبي داود، وفيه: وكان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم، ويقضي عن غارمهم، ويعطي فقيرهم، وأبى أن يزيدهم على ذلك. انتهى[2].

وهي مع صحّتها عندهم تدلّ على أنّ عمر منع ذوي القربى بعض حقّهم الذي أعطاهم رسول الله ﷺ ويفهم منها أنّ هذا المنع إنّما كان خوفاً من قوّة بني هاشم لو وصل إليهم ما فرض الله لهم من الخمس فيميل الناس إليهم رغبة في الدنيا فيمكنهم طلب الخلافة، وقد كان خمس الخراج من سواد العراق وحده اثنين وثلاثين ألف ألف درهم في كلّ سنة - على بعض الروايات - سوى خمس خيبر وغيرها، ولا ريب أنّ قيمة خمس تلك الأراضي أضعاف أضعاف هذا المبلغ، وكذا خمس الغنائم المنقولة المأخوذة من الفرس وغيرهم مال خطير، فلو أنّهم لم يغصبوا هذا الحقّ بل أدّوا إلى بني هاشم وسائر ذوي القربى حقّهم لم يفتقر أحد منهم أبداً، فوزر ما أصابهم من الفقر والمسكنة في أعناق أبي بكر وعمر وأتباعهما إلى يوم القيامة.

وأمّا الفرض، فقد قال ابن أبي الحديد: روى ابن سعد في كتاب الطبقات أنّ عمر خطب فقال: إنّ قوماً يقولون: إنّ هذا المال حلال لعمر.. وليس كما قالوا، لاها الله إذن! أنا أُخبركم بما أستحلّ منه: يحلّ لي منه حلّتان، حلّة في الشتاء وحلّة في القيظ، وما أحجّ عليه وأعتمر من الظهر، وقوتي وقوت أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا أفقرهم، ثم أنا بعد رجلٌ من المسلمين يصيبني ما أصابهم.

وروى ابن سعد أيضاً أنّ عمر كان إذا احتاج أتى إلى صاحب بيت المال فاستقرضه، فربّما عسر عليه القضاء فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه، فيحتال له، وربّما خرج عطاؤه فقضاه.

ولقد اشتكى مرّةً فوصف له الطبيب العسل، فخرج حتى صعد المنبر وفي بيت المال عكّة، فقال: إن أذنتم لي فيها أخذتها وإلاّ فهي عليّ حرام. فأذنوا له فيها.

(١) جامع الأصول، ج ٢ ص ٦٩٥ ح ١١٩٧، سنن أبي داود كتاب الخراج والإمارة ح ٢٩٨٢.
(٢) سنن النسائي، ج ٧ ص ١٢٨ في قسم الفيء.

ثم قال : إنّما مثلي ومثلكم كقومٍ سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم لينفق عليهم ، فهل يحلّ له أن يستأثر منها بشيء[(١)]؟

وروى أخباراً أُخر أيضاً من هذا الباب ظنّاً منه أنّها تعينه على دفع الطعن ، مع أنّها ممّا يؤيّده ، إذ بعضها يدلّ على أنّه كان يرى الأخذ من بيت المال مجّاناً حراماً ولو كان للضرورة ، إلاّ أن يأذن ذوو الحقوق في ذلك ، فيرد حينئذٍ أنّ الاستئذان ممّن حضره حين صعد المنبر في الأكل من العسل لا يغني من جوع ، فإنّ الحقّ لم يكن منحصراً في هؤلاء ، ولم يكونوا وكلاء لمن غاب عنه حتى يكفيه إذنهم في التناول منه ، مع أنّ بيت المال مصرفه مصالح المسلمين وليس مشتركاً بينهم كالميراث ونحوه ، فإذا لم يكن للحاضرين حاجة مصحّحة للأخذ منه لم يكن لهم فيه حقّ حتى ينفع إذنهم في الأخذ . وكون أخذ الإمام من المصالح لا سيّما للدواء لا ينفع ، فإنّه لو تمّ لدلّ على عدم الحاجة إلى الاستئذان مطلقاً ، فهذه الاستئذان دائر بين أن يكون ناقصاً غير مفيد وبين أن يكون لغواً لا حاجة إليه ، فيدلّ إمّا على الجهل وقلّة المعرفة أو على الشيد والمكر لأخذ قلوب العوام ، كما يقال : يتورَّع من سواقط الأوبار ويجرُّ الأحمال مع القطار .

الطعن السادس عشر : أنّه كان يتلوّن في الأحكام حتى روي أنّه قضى في الجدّ بسبعين قضية ، وهذا يدلّ على قلّة علمه ، وأنّه كان يحكم بمجرّد الظنّ والتخمين والحدس من غير ثبت ودليل ، ومثل هذا لا يليق بإمامة المسلمين ورئاسة الدنيا والدين .

الطعن السابع عشر : أنّه همّ بإحراق بيت فاطمة عليها السلام ، وقد كان فيه أمير المؤمنين وفاطمة والحسنان عليهم السلام ، وهدّدهم وآذاهم مع أنّ رفعة شأنهم عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله ، ممّا لا ينكره أحد من البشر إلاّ من أنكر ضوء الشمس ونور القمر ، وقد تقدّم القول فيه مستوفى فيما غبر[(٢)] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ج ١٢ ص ٣٣٦ عن طبقات ابن سعد .

(٢) قال في أوائل كتاب الإمامة والسياسة (ط الأعلمي ص ١٩) : إنّ أبا بكر رضي الله عنه تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ كرّم الله وجهه ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ ، فأبوا ان يخرجوا . فدعا بالحطب وقال : والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها . فقيل له : يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة . فقال : وإن . فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً ؛ الخ . وليعلم أنّ خبر الاحراق قد رواه غير ابن قتيبة ممّن لا يحتمل التشيّع في حقّه ، منهم : ابوعمر أحمد بن محمّد القرطبي المالكي المشهور بابن عبد ربّه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ وهو من أكابر علماء السنّة ، في المجلّد الثاني من كتاب العقد الفريد وهو من الكتب الممتعة ما هذا لفظه (ص ٢٠٥) : الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر عليّ والعبّاس والزبير ، فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطّاب جئت لتحرق دارنا؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت به الأمّة ، فخرج عليّ حتّى دخل على أبي بكر فبايعه ؛ انتهى . ونقل الفاضل في كتابه المسمّى بالرسول الأعظم مع خلفائه ص ٧٤ : انّ تهديد عمر لأمير=

الطعن الثامن عشر: ما وقع منه في قصّة الشورى، فقد أبدع فيها أموراً كثيرة:

منها: إنّه خرج عن النصّ والاختيار جميعاً، فإنّه قال قاضي القضاة في المغني: قد ثبت عند كلّ من يقول بالاختيار أنّه إذا حصل العقد من واحد برضا أربعة صار إماماً، واختلفوا فيما عدا ذلك، فلا بدّ فيما يصير به إماماً من دليل فما قارنه الإجماع يجب أن يحكم به.

وحكى عن شيخه أبي علي، أنّه قال: إنّ ما روي عن عمر أنّه قال: إن بايع ثلاثة وخالف اثنان فاقتلوا الاثنين.. من أخبار الآحاد، ولا شيء يقتضي صحّته، فلا يجوز أن يطعن به في الإجماع. فكلامهم صريح في أنّ الإمامة بالاختيار أنّه لا يكون بأقلّ من خمسة، وقد ثبت عن عمر خلافه[١].

ومنها: أنّه وصف كلّ واحد منهم بوصف زعم أنّه يمنع من الإمامة، ثم جعل الأمر في من له هذه الأوصاف.

وقد روى السيّد في الشافي، عن الواقدي بإسناده عن ابن عباس، قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأُمّة محمّد ﷺ؟ وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبكم؟ يعني عليّاً، قلت: نعم والله هو لها أهل في قرابته من رسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه. قال: إنّ فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين عن طلحة؟ قال: فابن الزهو والنخوة. قلت: عبد الرحمن؟ قال: هو رجل صالح على ضعف فيه. قلت: فسعد؟ قال: صاحب مقنبٍ وقتال لا يقوم بقرية لو حمّل أمرها. قلت: فالزبير؟ قال: وعْقَةٌ لَقِس، مؤمن الرضا كافر الغضب، شحيح، وإنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف. قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه[٢].

قال السيد رحمه الله: وقد روى من غير هذا الطريق أنّ عمر قال لأصحاب الشورى: روحوا إليّ. فلما نظر إليهم قال: قد جاءني كلّ واحد منهم يهزّ[٣] عقيرته يرجو أن يكون خليفة، أمّا أنت يا طلحة أفلست القائل: إن قبض النبيّ ﷺ لننكحن أزواجه من بعده، فما جعل الله محمّداً بأحقّ ببنات أعمامنا [منّا]، فأنزل الله تعالى فيك: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[٤] وأمّا أنت يا زبير، فوالله ما لان قلبك يوماً ولا

= المؤمنين عليه السلام بحرق داره إن لم يبايع ثبت بالنصوص المتواترة ونصّ عليه أكثر المؤرخين، فقد جاء في كلّ من الإمامة والسياسة وشرح النهج لابن أبي الحديد وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٢ ط دار المعارف؛ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٦؛ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥؛ واعلام النساء ج ٣ ص ٢٠٥؛ والأموال لابي عبيد ص ١٣١؛ ومروج الذهب ج ١ ص ٤٠٤. [النمازي].

(١) المغني، ج ٢٠ ص ٢١. (٢) الشافي، ج ٤ ص ٢٠٢.

(٣) في بيان المؤلف: يهرّ، بالراء. (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

ليلة، وما زلت جِلفاً جافياً. وأمّا أنت يا عثمان فوالله لروثة خير منك. وأمّا أنت يا عبد الرحمن فإنّك رجل عاجز تحبّ قومك جميعاً. وأمّا أنت يا سعد فصاحب عصبيّة وفتنة.. وأمّا أنت يا عليّ فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم. فقام عليّ عليه السلام مولّياً يخرج، فقال عمر: والله إنّي لأعلم مكان الرجل لو ولّيتموه أمركم لحملكم على المحجّة البيضاء. قالوا: من هو؟ قال: هذا المولّي من بينكم. قالوا: فما يمنعك من ذلك.؟ قال: ليس إلى ذلك سبيل(١).

وفي خبر آخر رواه البلاذري في تاريخه: أنّ عمر لمّا خرج أهل الشورى من عنده، قال: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق. فقال عبد الله بن عمر: فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً(٢).

فوصف كما ترى كلّ واحد من القوم بوصف قبيح يمنع من الإمامة، ثم جعلها في جملتهم حتى كأنّ تلك الأوصاف تزول في حال الاجتماع، ونحن نعلم أنّ الذي ذكره إن كان مانعاً من الإمامة في كلّ واحد على الانفراد فهو مانع مع الاجتماع، مع أنّه وصف عليّاً عليه السلام بوصف لا يليق به ولا ادّعاه عدوّ قطّ عليه، بل هو معروف بضدّه من الركانة والبعد عن المزاح والدعابة، وهذا معلوم ضرورة لمن سمع أخباره عليه السلام، وكيف يظنّ به ذلك، وقد روي عن ابن عباس أنّه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أطرق هبنا أن نبتدئه بالكلام؟ وهذا لا يكون إلاّ من شدّة التزمُّت والتوقّر وما يخالف الدعابة والفكاهة.

ومنها: أنّه قال: لا أتحمّلها حيّاً وميّتاً.. وهذا إن كان على عدوله عن النصّ على واحد بعينه فهو قول متملّس متخلّص لا يفتات على الناس في آرائهم، ثم نقض هذا بأن نصّ على ستة من بين العالم كلّه، ثم رتّب العدد ترتيباً مخصوصاً يؤول إلى أنّ اختيار عبد الرحمن هو المقدّم، وأيّ شيء يكون من التحمّل أكبر من هذا؟ وأيّ فرق بين أن يتحمّلها بأن ينصّ على واحد بعينه وبين أن يفعل ما فعله من الحصر والترتيب؟

ومنها: أنّه أمر بضرب أعناق قوم أقرّ بأنّهم أفضل الأمّة، إن تأخّروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيّام، ومعلوم أنّ بذلك لا يستحقّون القتل؛ لأنّهم إذا كانوا إنّما كلّفوا أن يجتهدوا آراءهم في اختيار الإمام فربّما طال زمان الاجتهاد وربّما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض، فأيّ معنىً للأمر بالقتل إذا تجاوز الأيّام الثلاثة؟

ثم إنّه أمر بقتل من يخالف الأربعة، ومن يخالف العدد الذي فيه عبد الرحمن، وكلّ ذلك ممّا لا يستحقّ به القتل(٣).

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٠٣.
(٢) أنساب الأشراف، ج ٥ ص ١٨.
(٣) الشافي، ج ٤ ص ٢٠٤.

وما تمسّكوا به من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل في الشورى طائعاً وبايع غير مكره، فتدلّ رواياتهم على خلاف ذلك، فقد روى الطبري في تلك القصّة أنّ عبد الرحمن قال: يا عليّ، لا تجعلنّ على نفسك سبيلاً، فإنّي نظرت فشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان. فخرج عليّ عليه السلام وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

وفي رواية الطبري: أنّ الناس لمّا بايعوا عثمان تلكّأ عليّ عليه السلام، فقال عثمان: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، فرجع عليّ عليه السلام حتى بايعه وهو يقول: خدعة وأيّ خدعة!

وروى السيّد رحمه الله، عن البلاذري، عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن أبي مخنف في إسناد له أنّ علياً عليه السلام لمّا بايع عبد الرحمن عثمان كان قائماً فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلاّ ضربت عنقك، ولم يكن يومئذ مع أحد سيف غيره، فخرج عليّ عليه السلام مغضباً، فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلاّ جاهدناك. فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان.

فأيّ رضا هاهنا، وأيّ إجماع؟! وكيف يكون مختاراً من يهدّد بالقتل والجهاد؟.

وقد تكلّم في هذا اليوم المقداد وعمّار رضي الله عنهما وجماعة في ذلك عرضوا نصرتهم على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: والله ما أجد أعواناً عليهم ولا أحبّ أن أعرّضكم لما لا تطيقون[2].

وأمّا دخوله عليه السلام في الشورى فسيأتي ما روي من العلل في ذلك، وأيّ علّة أظهر من أنّهم رووا أنّ عمر أوصى أبا طلحة في خمسين رجلاً حاملي سيوفهم على عواتقهم في إحضار القوم وقتلهم لو لم يعيّنوا خليفة في الأيّام المعيّنة.

وقال السيّد رحمه الله بعد إيراد بعض الروايات من طرقهم ممّا يدلّ على عدم رضاه عليه السلام بالشورى وبما ترتّب عليه: وهذه الجملة التي أوردناها قليل من كثير في أنّ الخلاف كان واقعاً، والرضا كان مرتفعاً، والأمر إنّما تمّ بالحيلة والمكر والخداع، وأوّل شيء مكر به عبد الرحمن أنّه ابتدأ فأخرج نفسه عن الأمر ليتمكّن من صرفه إلى من يريد، وليقال: إنّه لولا إيثاره الحقّ وزهده في الولاية لما أخرج نفسه منها، ثم عرض على أمير المؤمنين عليه السلام ما يعلم أنّه لا يجيب إليه ولا يلزمه الإجابة إليه من السيرة فيهم بسيرة الرجلين، وعلم أنّه عليه السلام لا يتمكّن من أن يقول: إنّ سيرتهما لا تلزمني، لئلاّ ينسب إلى الطعن عليهما، وكيف يلتزم بسيرتهما وكلّ واحد منهما لم يسر بسيرة الآخر. بل اختلفا وتباينا في كثير من الأحكام، هذا بعد أن قال لأهل الشورى: وثّقوا لي من أنفسكم بأنّكم ترضون باختياري إذا أخرجت نفسي. فأجابوه - على ما رواه أبو مخنف بإسناده - إلى ما عرض عليهم، إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه قال: أنظر. لعلمه بما يجرّ هذا المكر، حتى أتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) الشافي، ج ٤ ص ٢١١.

عرض وبإجابة القوم إيّاه إلاّ عليّاً عليه السلام ، فأقبل أبو طلحة على عليّ عليه السلام ، فقال: يا أبا الحسن، إنّ أبا محمّد ثقة لك وللمسلمين. فما بالك تخالفه وقد عدل بالأمر عن نفسه، فلن يتحمّل المأثم لغيره؟! فأحلف عليّ عليه السلام عبد الرحمن أن لا يميل إلى هوىً، وأن يُؤثر الحقّ ويجتهد للأُمّة ولا يحابي ذا قرابة، فحلف له. وهذا غاية ما يتمكّن منه أمير المؤمنين عليه السلام في الحال، لأنّ عبد الرحمن لمّا أخرج نفسه من الأمر فظنّت به الجماعة الخير، وفوّضت إليه الاختيار، لم يقدر أمير المؤمنين عليه السلام على أن يخالفهم وينقض ما اجتمعوا عليه، فكان أكثر ما تمكّن منه أن أحلفه وصرّح بما يخاف من جهته من الميل إلى الهوى وإيثار القرابة، غير أنّ ذلك كلّه لم يغن شيئاً[1].

ومنها: أنّه نسب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الفكاهة والبطالة، وذمّه عموماً في ضمن ذمّ جميع الستة، وكان يهتمّ ويبذل جهده في منع أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة حسداً وبغياً، ويفي هذا في القدح. واستبعاد ابن أبي الحديد هذا وادّعاؤه الظنّ بأنّها زيدت في كلامه غريب لاشتمال جلّ رواياتهم عليه، وليس هذا ببدع منه.

فقد روى ابن أبي الحديد عنه، أنّه قال: يا بن عباس، لقد أجهد هذ ا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء! قال ابن عباس: قلت: من هو؟ قال: الأجلح. يعني عليّاً عليه السلام، قلت: وما يقصد بالرياء؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس للخلافة.

وروى عن الشعبي في كتاب الشورى، وعن الجوهري في كتاب السقيفة، عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: مشيت وراء عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين انصرف من عند عمر، والعباس بن عبد المطلب يمشي في جانبه، فسمعته يقول للعباس: ذهبت منّا والله. فقال: كيف علمت؟ قال: ألا تسمعه يقول: كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن؟ وسعد لا يخالف عبد الرحمن؛ لأنّه ابن عمّه، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره، فإذا اجتمع هؤلاء! فلو أنّ الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عنّي شيئاً، دع أنّي لست أرجوهما ولا أحدهما، ومع ذلك فقد أحبّ عمر أن يعلمنا أنّ لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا، لا لعمر الله! ما جعل الله ذلك لهم علينا كما لم يجعل لأُولاهم على أُولانا، أما والله لئن لم يمت عمر لأذكرنّه ما أتى إلينا قديماً، ولأعلّمنّه سوء رأيه فينا وما أتى إلينا حديثاً، ولئن مات - وليموتنّ- ليجمعنّ هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنّا، ولئن فعلوها ليروني حيث يكرهون، والله ما بي رغبة في السلطان ولا أُحبّ الدنيا، ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسنّة[2]. وقد ورد في الروايات التصريح بأنّه أراد بهذا التدبير قتل أمير المؤمنين عليه السلام، كما سيأتي في أخبار الشورى.

وروى أبو الصلاح رحمه الله في كتاب تقريب المعارف، عن أمير المؤمنين أنّه قال: ثم إنّ عمر

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢١١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ٣٧.

هلك وجعلها شورى وجعلني سادس ستة كسهم الجدّة، وقال: اقتلوا الأقل، وما أراد غيري، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربّي، وألزقت كلكلي بالأرض... الخبر.

وروى ابن أبي الحديد في الشرح، وابن الأثير في الكامل، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه أنّه قال يوماً لابن عباس: أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين: قال: ولكنّي أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت، ووفقت فأصابت. فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عنّي غضبه فيسمع. قال: قل ما تشاء. قال: أمّا قول أمير المؤمنين: إنّ قريشاً اختارت لأنفسها فأصابت ووفقت.. فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾(١)، وقد علمت يا أمير المؤمنين أنّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محدود.. وأمّا قولك: إنّهم أبوا أن يكون لنا النبوّة والخلافة، فإنّ الله تعالى وصف قوماً بالكراهة، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝﴾(٢) وأمّا قولك: إنّا كنّا نجحف.. فلو جحفنا بالخلافة لجحفنا بالقرابة، ولكنّ أخلاقنا مشتقّة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله في حقّه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾، وقال له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

فقال عمر: على رسلك يا بن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلاّ غشّاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول. فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغشّ فإنّ قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهّره الله وزكّاه، وهم أهل البيت الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤)، وأمّا قولك: حقداً.. فكيف لا يحقد من غُصب شيئه، ويراه في يد غيره؟! فقال عمر: أمّا أنت يا عبد الله فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أُخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك.

فقال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر حسداً وظلماً. قال: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: حسداً.. فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجنّة، فنحن بنو آدم المحسودون، وأمّا قولك.. ظلماً.. فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقّ من هو؟ ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألم يحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله، واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله ﷺ؟! فنحن أحقّ برسول الله من سائر قريش! فقال عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.
(٢) سورة محمد ﷺ، الآية: ٩.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

فقام فلمّا ولّى هتف به عمر: أيّها المنصرف، إنّي على ما كان منك لراعٍ حقّك. فالتفت ابن عباس فقال: إنّ لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كلّ المسلمين حقّاً برسول الله ﷺ، فمن حفظ فحقّ نفسه حفظ، ومن أضاع فحقّ نفسه أضاع. ثم مضى، فقال عمر لجلسائه: واهاً لابن عباس! ما رأيته يحاجّ أحداً قطّ إلاّ خصمه(١).

وروى أيضاً ابن أبي الحديد، عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته وقد أُلقي له صاع من تمر على خَصَفة فدعاني إلى الأكل، فأكلتُ تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، فشرب من جرّة كانت عنده، واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله ويكرّر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله.؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلّفت ابن عمّك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر، قلت: خلّفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان ويقرأ القرآن. قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هلى بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أنّ رسول الله ﷺ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان رسول الله ﷺ في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يزيغ في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام! وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم.

قال: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً(٢).

وروى أيضاً أنّه قال عمر لابن عباس: يا عبد الله، أنتم أهل رسول الله ﷺ وبنو عمّه فما منع قومكم منكم؟ قال: لا أدري، والله ما أضمرنا لهم إلاّ خيراً. قال: اللهمّ غفراً! إنّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخاً وبذخاً، ولعلّكم تقولون: إنّ أبا بكر أوّل من أخّركم، أما إنّه لم يقصد ذلك ولكن حضر أمرٌ لم يكن بحضرته أحزم ممّا فعل، ولولا رأي أبي بكر فيّ لجعل لكم من الأمر نصيباً، ولو فعل ما هنّأكم مع قومكم، إنّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره(٣).

وروى أيضاً، عن الزبير بن بكّار، عن ابن عباس أنّه قال عمر في كلام كان بينهما: يابن عباس، إنّ صاحبكم إن ولي هذا الأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به، فليتني أراكم بعدي!

وروى أيضاً فيه، عن أبي بكر الأنباري في أماليه، أنّ عليّاً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس، فلمّا قام عرّض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب، فقال عمر: حقّ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٢٨، الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٣٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٠٦.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ١٩٩.

لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأُمّة وذو سابقتها وذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه؟ قال: كرهناه على حداثة السنّ وحبّه بني عبد المطلب[1].

فقد ظهر من تلك الأخبار أنّ عمر كان يبذل جهده في منع أمير المؤمنين عن الخلافة، مع أنّه كان يعترف مراراً أنّه كان أحقّ بها، وأنّ الله ورسوله ﷺ كانا يرتضيانه لها.

ومنها: أنّهم رووا أنّه قال بعدما طُعن: لو كان سالم حيّاً لم يخالجني فيه شكّ واستخلفته.. مع أنّ الخاصّة والعامّة - إلاّ شذوذاً لا يعبأ بهم - اتّفقت على أنّ الإمامة لا تكون إلاّ في قريش، وتظافرت بذلك الروايات، ورووا أنّه شهد عمر يوم السقيفة بأنّ النبيّ ﷺ قال: الأئمّة من قريش. وذلك مناقضة صريحة ومخالفة للنصّ والاتّفاق.

وأمّا المقدّمة الأُولى: فروى ابن الأثير في الكامل، عن عمر بن ميمون، أنّ عمر بن الخطاب لمّا طُعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت؟ قال: لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته وقلت لربّي إن سألني: سمعت نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمّة. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته وقلت لربّي إن سألني: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله. فقال له رجل: أدُلّك على عبد الله بن عمر. فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أُموركم ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شرّاً فقد صرف عنّا حسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أُمّة محمّد ﷺ[2].

وروى السيّد ﵀ في الشافي، وابن أبي الحديد في شرح النهج، عن الطبري مثله.

وروى السيّد ﵀، عن أحمد بن محمد البلاذري في كتاب تاريخ الأشراف، عن عفّان بن مسلم، عن حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي رافع: أنّ عمر بن الخطاب كان مستنداً إلى ابن عباس وعنده ابن عمر وسعيد بن زيد، فقال: اعلموا أنّي لم أقل في الكلالة شيئاً، ولم أستخلف بعدي أحداً، وأنّه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حرّ من مال الله. فقال سعيد ابن زيد: أما إنّك لو أشرت إلى رجل من المسلمين ائتمنك الناس. فقال عمر: لقد رأيت من أصحابي حرصاً سيّئاً وإنّي جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستّة الذين مات رسول الله وهو عنهم راض. ثم قال: لو أدركني أحد الرجلين لجعلت هذا الأمر إليه ولوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة الجرّاح، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، فأين أنت من عبد الله بن عمر؟ فقال له: قاتلك الله! ما أردت والله أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته.. قال عفّان: يعني بالرجل الذي أشار إليه بعبد الله بن عمر: المغيرة بن شعبة[3].

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٤٧. (٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٣٤.
(٣) الشافي، ج ٣ ص ١٩٧.

وقد ذكر هذه الرواية قاضي القضاة ولم يطعن فيها.

وأمّا المقدّمة الثانية: فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما، وصاحب جامع الأصول، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، الناس معادن، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، تجدون من خير الناس أشدّ كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه(١).

ورووا جميعاً، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان(٢).

وروى البخاري، عن معاوية، أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ، إنّ الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلاّ أكبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين(٣).

وروى مسلم، عن جابر أنّه ﷺ قال: الناس تبع لقريش في الخير والشر(٤).

وروى صاحب جامع الأصول، عن الترمذي بإسناده، عن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قريش ولاة الناس في الخير والشرّ إلى يوم القيامة(٥).

وقال قاضي القضاة في المغني في بحث أنّ الأئمّة من قريش: قد استدلّ شيوخنا على ذلك بما روي عنه ﷺ أنّ الأئمّة من قريش(٦).

وروى أيضاً أنه قال: هذا الأمر لا يصلح إلاّ في هذا الحيّ من قريش.

وقوّوا ذلك بما كان يوم السقيفة من كون ذلك سبباً لصرف الأنصار عمّا كانوا عزموا عليه، لأنّهم عند هذه الرواية انصرفوا عن ذلك وتركوا الخوض فيه.

وقوّوا ذلك بأنّ أحداً لم ينكره في تلك الحال، فإنّ أبا بكر استشهد في ذلك بالحاضرين، فشهدوا به حتى صار خارجاً عن باب خبر الواحد إلى الاستفاضة.

وقوّوا ذلك بأنّ ما جرى هذا المجرى، إذا ذُكر في ملأ الناس وادّعى عليهم المعرفة فتركهم النكير يدلّ على صحّة الخبر المذكور.

وقال شارح المواقف في بحث شروط الإمامة: اشترط الأشاعرة والجبائيان أن يكون الإمام قرشيّاً، ومنعه الخوارج وبعض المعتزلة، لأن قوله ﷺ: الأئمّة من قريش.. ثم الصحابة علموا بمضمون هذا الحديث، فإنّ أبا بكر استدلّ به يوم السقيفة على الأنصار حين نازعوا في الإمامة بمحضر الصحابة فقبلوه وأجمعوا عليه، فصار دليلاً قطعيّاً يفيد اليقين باشتراط القرشيّة(٧). ثم أجاب عن حجّة المخالف.

---

(١) صحيح البخاري، ج ٦ ص ٣٨٥ كتاب الأنبياء باب المناقب، صحيح مسلم كتاب الإمارة، ح ١٨١٨.

(٢) - (٣) صحيح البخاري، ج ٦ ص ٣٨٩.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإمارة، ح ١٨١٩.

(٥) جامع الأصول، ج ٤ ص ٤٤ ح ٢٠٢٠. وسنن الترمذي كتاب الفتن.

(٦) المغني، ج ٢١ ص ٢٣٤.

(٧) شرح المواقف للجرجاني، ج ٨ ص ٣٥٠.

وأجاب قاضي القضاة عن المناقضة بأنّه يحتمل أن يريد عمر أنّه لو كان سالم حيّاً لم يتخالجه الشكّ في إدخاله في المشورة والرأي دون التأهيل للإمامية(١).

وبطلانه واضح، فإنّ الروايات كما عرفت صريحة في الاستخلاف وتفويض الأمر إليه، ولا تحتمل مثل هذا التأويل، كما لا يخفى على المنصف.

ثم إنّ قوله في سالم وأبو عبيدة دليل ظاهر على جهله، فإنّ ما رووا عنه من الامتناع عن التعيين والتنصيص معلّلاً بقوله: ما أردت أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً.. بعد اعترافه بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو ولي الأمر لحمل الناس على الحقّ، يدلّ على أنّه إنّما عدل عن النصّ احتياطاً وخوفاً من الله تعالى، وحذراً من أن يسأل يوم القيامة عمّا يفعله من استخلفه، فلذلك ترك الاستخلاف وجعل الأمر شورى ليكون أعذر عند الله تعالى، ومع ذلك تمنّى أن يكون سالم حيّاً حتى يستخلفه وينصّ عليه، ولم يخف من السؤال عن استخلافه، وظنّ أنّ ما سمعه ابن عمّه في سالم أنّه شديد الحبّ لله تعالى، حجّة قاطعة على استحقاقه للخلافة، مع أنّ شدّة الحبّ لله ليس أمراً مستجمعاً لشرائط الإمامة، ولا يستلزم القدرة على تحمّل أعباء الخلافة، وشدّة الحبّ لله لها مراتب شتّى، فكيف يستدلّ بالخبر على أنّها بلغت حدّاً يمنع صاحبها عن ارتكاب المنكرات أصلاً؟ ولو كان مثل ذلك قاطعاً للعذر كيف لم يكن وصف أمير المؤمنين عليه السلام في خبر الطير بأنّه أحبّ الخلق إلى الله تعالى.. حجّة تامّة، مع أنّ المحبوبيّة إلى الله أبلغ من الحبّ لله، وشدّة الحبّ لا يستلزم الفضل على جميع الخلق، فلمَ لم يصرّح باسم أمير المؤمنين عليه السلام ليعتذر يوم القيامة بهذا الخبر وسائر النصوص المتواترة والآيات المتظافرة الدالّة على فضله وإمامته وكرامته؟

ولنعم ما قال أبو الصلاح في كتاب تقريب المعارف: إنّ ذلك تحقيق لما ترويه الشيعة من تقدّم المعاهدة بينه وبين صاحبه وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة على نزع هذا الأمر من بني هاشم لو قد مات محمّد صلى الله عليه وآله، ولولا ذلك لم يكن لتمنّيه سالماً وإخباره عن فقد الشكّ فيه - مع حضور وجوه الصحابة وأهل السوابق والفضائل والذرائع التي ليس لسالم منها شيء- وجه يعقل، وكذا القول في تمنّيه أبا عبيدة بن الجرّاح. انتهى.

وبالجملة صدر عنه في الشورى ما أبدى الضغائن الكامنة في صدره، وبذلك أسّس أساساً للفتنة والظلم والعدوان على جميع الأنام إلى يوم القيام.

قال ابن أبي الحديد: حدّثني جعفر بن مكّي الحاجب، قال: سألت محمد بن سليمان حاجب الحجّاب - قال ابن أبي الحديد: وقد رأيت أنا محمداً هذا، وكانت لي به معرفة غير مستحكمة، وكان ظريفاً أديباً، وقد اشتغل بالرياضيات من الفلسفة، ولم يكن يتعصّب

---

(١) المغني، ج ٢١ ص ٢٣٦.

لمذهب بعينه - قال جعفر: سألته عمّا عنده في أمر عليّ عليه السلام وعثمان؟ فقال: هذه عداوة قديمة بين بني عبد شمس وبين بني هاشم.. وساق الكلام إلى قوله:

وأمّا السبب الثاني في الاختلاف في أمر الإمامة، فهو أنّ عمر جعل الأمر شورى بين الستّة ولم ينصّ على واحد بعينه، إمّا منهم أو من غيرهم، فبقي في نفس كلّ واحد منهم أنّه قد رشّح للخلافة، وأنّه أهل للملك والسلطنة، فلم يزل ذلك في نفوسهم وأذهانهم مصوّراً بين أعينهم مرتسماً في خيالاتهم، منازعة إليه نفوسهم، طامحة نحوه عيونهم، حتى كان من الشقاق بين عليّ عليه السلام وعثمان ما كان، وحتى أفضى الأمر إلى قتل عثمان، وكان أعظم الأسباب في قتله طلحة، وكان لا يشكّ في أنّ الأمر له بعده لوجوه، منها سابقته، ومنها أنّه كان ابن عمّ أبي بكر، وكان لأبي بكر في نفوس أهل ذلك العصر منزلة عظيمة أعظم منها الآن، ومنها أنّه كان سمحاً جواداً، وقد كان نازع عمر في حياة أبي بكر، وأحبّ أن يفوّض أبو بكر الأمر إليه، فما زال يفتل في الذّروة والغارب في أمر عثمان، وينكّر له القلوب، ويكدّر عليه النفوس، ويغري أهل المدينة والأعراب وأهل الأمصار به، وساعده الزبير وكان أيضاً يرجو الأمر لنفسه.

ولم يكن رجاؤهما الأمر بدون رجاء عليّ عليه السلام، بل رجاؤهما كان أقوى؛ لأنّ عليّاً عليه السلام دحضه الأوّلان وأسقطاه وكسرا ناموسه بين الناس وصار نسياً منسيّاً، ومات الأكثر ممّن كان يعرف خصائصه التي كانت له في أيّام النبوّة وفضله، ونشأ قوم لا يعرفونه ولا يرونه إلاّ رجلاً من عرض المسلمين، ولم يبق له من فضائله إلاّ أنّه ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وزوج ابنته وأبو سبطيه، ونسي ما وراء ذلك، واتّفق له من بغض قريش وانحرافها ما لم يتّفق لأحد.

وكانت قريش تحبّ طلحة والزبير؛ لأنّ الأسباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودةً فيهما، وكانا يتألّفان قريشاً في أواخر أيّام عثمان ويعدانهم بالعطاء والإفضال، وهما عند أنفسهما وعند الناس خليفتان بالقوّة لا بالفعل؛ لأنّ عمر نصّ عليهما وارتضاهما للخلافة، وعمر كان متّبع القول، مرضيّ الفعال، مطاعاً نافذ الحكم في حياته ومماته؛ فلما قتل عثمان، أرادها طلحة وحرص عليها، فلولا الأشتر وقوم معه من شجعان العرب جعلوها في عليّ عليه السلام لم تصل إليه أبداً.

فلمّا فاتت طلحة والزبير، فتقا ذلك الفتق العظيم، وأخرجا أمّ المؤمنين معهما، وقصدا العراق وأثارا الفتنة، وكان من حرب الجمل ما قد علم وعرف، ثم كان حرب الجمل مقدّمة وتمهيداً لحرب صفّين، فإنّ معاوية لم يكن ليفعل ما فعل لولا طمعه بما جرى في البصرة، ثم أوهم أهل الشام أنّ عليّاً عليه السلام قد فسق بمحاربة أمّ المؤمنين، ومحاربة المسلمين، وأنّه قتل طلحة والزبير وهما من أهل الجنّة، ومن يقتل مؤمناً من أهل الجنّة فهو من أهل النار.

فهل كان الفساد المتولّد في صفّين إلاّ فرعاً للفساد الكائن يوم الجمل؟ ثم نشأ من فساد

صفّين وضلال معاوية كلّ ما جرى من الفساد والقبيح في أيّام بني أُميّة ونشأت فتنة ابن الزبير فرعاً من يوم الدار؛ لأنّ عبد الله كان يقول: إنّ عثمان لما أيقن بالقتل نصّ عليّ بالخلافة، ولي بذلك شهود؛ منهم مروان بن الحكم. . أفلا ترى كيف تسلسلت هذه الأُمور فرعاً على أصل، وغصناً من شجرة، وجذوة من ضرام؟! وهكذا يدور بعضه على بعض وكلّه من الشورى في الستة. قال: وأعجب من ذلك قول عمر، وقد قيل له: إنك استعملت سعيد بن العاص ومعاوية وفلاناً وفلاناً من المؤلّفة ومن الطّلقاء وأبناء الطلقاء وتركت أن تستعمل عليّاً والعباس والزبير وطلحة؟ فقال: فأمّا عليّ فأنبه من ذلك، وأمّا هؤلاء النفر من قريش فإنّي أخاف أن ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها الفساد. . فمن يخاف من تأميرهم لئلاّ يطمعوا في الملك، ويدّعيه كلّ واحد منهم لنفسه، كيف لم يخف من جعلهم ستّة متساوين في الشورى، مرشّحين للخلافة؟! وهل شيء أقرب إلى الفساد من هذا؟!

وقد رووا أنّ الرشيد رأى يوماً محمّداً وعبد الله - ابنيه - يلعبان ويضحكان، فسّر بذلك، فلمّا غابا عن عينه بكى، فقال له الفضل بن الربيع: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا مقام جَذَل لا مقام حزن؟ فقال: أما رأيت لعبهما ومودّة بينهما؟ أما والله ليتبدلنّ ذلك بغضاً وسيفاً، ولتختلسن كلّ واحد منهما نفس صاحبه عن قريب، فإنّ الملك عقيم. وكان الرشيد قد عقد الأمر لهما على ترتيب، هذا بعد هذا، فكيف من لم يرتّبوا في الخلافة، بل جعلوا فيها كأسنان المشط؟!

فقلت أنا لجعفر: هذا كلّه تحكيه عن محمد بن سليمان، فما تقول أنت؟ فقال:

إذا قالت حذام فصدّقوها ... فإنّ القول ما قالت حذام[1]

فقد ظهر أنّ جميع الفتن الواقعة في الإسلام من فروع الشورى والسقيفة وسائر ما أبدعه وأسّسه هذا (. . .) وأخوه عليهما (. . .).

بيان: قوله: يهر عقيرته. الهرير: الصّوت والنباح، والعقيرة كفعِيلةٍ أيضاً: الصّوت، أي: يرفع صوته. وفي بعض النسخ بالزاي. وعُفَيرته بالفاء على التصغير، والعُفْرة: بياض الإبط، ولعلّ المعنى: يحرّك منكبيه للخيلاء، والأول أظهر. قال الجوهري: العقيرة: السّاق المقطوعة، وقولهم: رفع فلانٌ عقيرته أي: صوته. وأصله أنّ رجلاً قُطِعت إحدى رجليه فرفَعَها ووضعها على الأُخرى وصرخ، فقيل بعد لكل رافع صوته: قد رفع عقيرته.

الطعن التاسع عشر: إنّه أوصى بدفنه في بيت النبيّ ﷺ وكذلك تصدّى لدفن أبي بكر هناك، وهو تصرّف في ملك الغير من غير جهة شرعيّة، وقد نهى الله الناس عن دخول بيته ﷺ من غير إذن بقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[2]، وضربوا

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ٢٠. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

المعاول عند أذنه صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ (١). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حرمة المسلم ميّتاً كحرمته حيّاً.

وتفصيل القول في ذلك: أنّه ليس يخلو موضع قبر النبيّ صلى الله عليه وآله من أن يكون باقياً على ملكه أو يكون انتقل في حياته إلى عائشة كما ادّعاه بعضهم.. فإن كان الأول لم يخل من أن يكون ميراثاً بعده أو صدقة. فإن كان ميراثاً فما كان يحلّ لأبي بكر وعمر من بعده أن يأمرا بدفنهما فيه إلاّ بعد إرضاء الورثة، ولم نجد أحداً خاطب أحداً من الورثة على ابتياع هذا المكان ولا استنزله عنه بثمن ولا غيره.. وإن كان صدقة فقد كان يجب أن يرضي عنه جماعة المسلمين، ويبتاعه منهم - إن جاز الابتياع- لما يجري هذا المجرى.. وإن كان نقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله والحجّة فيه، فإنّ فاطمة عليها السلام لم يقنع منها في انتقال فدك إلى ملكها بقولها ولا شهادة من شهد لها.

وأمّا استدلال بعضهم بإضافة البيوت إليهنّ في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ (٢) فمن ضعيف الشبهة، إذ هي لا تقتضي الملك وإنّما تقتضي السكنى، والعادة في استعمال هذه اللفظة فيما ذكرناه ظاهرة، قال الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (٣) ولم يرد تعالى إلاّ حيث يسكنّ وينزلن دون حيث يملكن بلا شبهة، وأيضاً قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ متأخر في الترتيب عن قوله: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾، فلو كان هذا دالاً على ملكيّة الزوجات لكان ذلك دالاً على كونها ملكه صلى الله عليه وآله، والجمع بين الآيتين بالانتقال لا يجديهم، لتأخر النهي عن الدخول من غير إذن عن الآية الأُخرى في الترتيب، والترتيب حجّة عند كلّهم أو جلّهم، مع أنّه ظاهر أنّ البيوت كانت في يده صلى الله عليه وآله يتصرّف فيها كيف يشاء، واختصاص كلّ من الزوجات بحجرة لا يدلّ على كونها ملكاً لها.

وأمّا اعتذارهم بأنّ عمر استأذن عائشة في ذلك، حيث روى البخاري، عن عمر بن ميمون في خبر طويل يشمل على قصّة قتل عمر، قال: قال لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أُمّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. (قال): فسلّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أُريده لنفسي ولأُوثرنّ به اليوم على نفسي. فلمّا أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ فقال: الذي تحبّ يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك. قال: فإذا أنا قبضت

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

فاحملوني، ثم سلّم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردّتني ردّوني إلى مقابر المسلمين[١].

فهذا دليل واضح على جهله أو تسويله وتمويهه على العوام، لما قد عرفت من أنّه إن كان صدقة يشترك فيه المستحقّون كما يدلّ عليه الخبر الذي افتراه أبو بكر، فتحريم التصرّف فيه بالدفن ونحوه واضح، وإن كان ميراثاً فالتصرّف فيه قبل القسمة من دون استئذان جميع الورثة أيضاً محرّم، ولا ينفع طلب الإذن من عائشة وحدها.

ومن أعجب العجب أنّ الجهّال من المخالفين - بل علماؤهم - يعدّون هذا الدفن من مناقبهما وفضائلهما، بل يستدلّون به على استحقاقهما للإمامة والخلافة.

وقد روى الشيخ المفيد قدّس الله روحه في مجالسه أنّ فضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي مرّ بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه، فقال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة. فدنا منه فسلّم عليه، فردّ وردّ القوم بأجمعهم السلام عليه، فقال: يا أبا حنيفة رحمك الله! إنّ لي أخاً يقول: إنّ خير الناس بعد رسول الله عليّ بن أبي طالب، وأنا أقول: إنّ أبا بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه، فقال: كفى بمكانهما من رسول الله ﷺ كرماً وفخراً، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره، فأيّ حجّة أوضح لك من هذه؟! فقال له فضّال: إنّي قد قلت ذلك لأخي، فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله فقد أساءا وما أحسنا إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما. فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال له: لم يكن له ولا لهما خاصّة، ولكنّهما نظرا في حقّ عائشة وحفصة فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما. فقال فضّال: قد قلت له ذلك، فقال: أنت تعلم أنّ النبيّ ﷺ مات عن تسع نساء، ونظرنا فإذا لكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام ابنته تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم، نحّوه عنّي، فإنّه والله رافضيّ خبيث. انتهى[٢].

ثم على تقدير جواز دفنهما هناك فلا دلالة له على فضلهما بمعنى زيادة الثواب والكرامة عند الله تعالى، فإنّ ذلك إنّما يكون بالصالحات من الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣]. نعم لو كان ذلك بوصيّة من النبيّ ﷺ لكان كاشفاً عن فضل ودليلاً على شرف.

وما رُوي من أنّه يلحق الميّت نفع في الآخرة بالدفن في المشاهد المشرّفة، فإنّما هو في

(١) صحيح البخاري، ج ٥ ص ١٩ كتاب المناقب باب مناقب عثمان.

(٢) الفصول المختارة، ج ٢ ص ٤٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الحقيقة إكرام لصاحب المشهد بالتفضّل على من حلّ بساحته وفاز بجواره، إن كان من شيعته والمخلصين له.

٢٤ - باب نسب عمر وولادته ووفاته وبعض نوادر أحواله وما جرى بينه وبين أمير المؤمنين صلوات الله عليه

١ - فس: قال علي بن إبراهيم: ثم حرّم الله عزّوجلّ نكاح الزواني، فقال: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وهو ردّ على من يستحلّ التمتّع بالزواني والتزويج بهنّ، وهنّ المشهورات المعروفات بذلك في الدنيا، لا يقدر الرجل على تحصينهنّ ونزلت هذه الآية في نساء مكّة، كنّ مستعلنات بالزنا: سارة، وحنتمة، والرباب، كنّ يتغنّين بهجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله، فحرّم الله نكاحهنّ، وجرت بعدهنّ في النساء من أمثالهنّ[2].

قال العلاّمة نوّر الله ضريحه في كتاب كشف الحق، وصاحب كتاب إلزام النواصب: روى الكلبي وهو من رجال أهل السنّة في كتاب المثالب، قال: كانت صهاك أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف، فوقع عليها نفيل بن هاشم، ثم وقع عليها عبد العزّى بن رياح، فجاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطاب[3].

وقال الفضل بن روزبهان الشهرستاني في شرحه بعد القدح في صحّة النقل: إن أنكحة الجاهليّة على ما ذكره أرباب التواريخ على أربعة أوجه:

منها: أن يقع جماعة على امرأة ثم (إن) ولد منها يحكم فيه القائف، أو تصدّق المرأة، وربّما كان هذه من أنكحة الجاهليّة.

وأورد عليه شارح الشرح رحمه الله: بأنه لو صحّ ما ذكره لما تحقّق زنا في الجاهليّة، ولما عدّ مثل ذلك في المثالب، ولكان كلّ من وقع على امرأة كان ذلك نكاحاً منه عليها، ولم يسمع أحد أنّ من أنكحة الجاهليّة كون امرأة واحدة في يوم واحد أو شهر واحد في نكاح جماعة من الناس.

ثم إنّ الخطاب - على ما ذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب - ابن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن القرط بن زراح بن عديّ بن كعب القرشي، وأمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

قال: وقد قالت طائفة في أمّ عمر: حنتمة بنت هشام بن المغيرة، ومن قال ذلك فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام، والحرث بن هشام (بن) المغيرة، وليس كذلك، وإنّما هي بنت عمّه؛ لأنّ هشام بن المغيرة والحرث بن المغيرة أخوان لهاشم

(١) سورة النور، الآية: ٣.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٧١.
(٣) كشف الحق، ص ٣٤٨.

والد حنتمة أمّ عمر، وهشام والد الحرث وأبي جهل[١].

وحكى بعض أصحابنا عن محمد بن شهرآشوب وغيره، أنّ صهاك كانت أمة حبشية لعبد المطلب، وكانت ترعى له الإبل، فوقع عليها نفيل فجاءت بالخطاب، ثم إنّ الخطّاب لما بلغ الحلم رغب في صهاك، فوقع عليها فجاءت بابنة، فلفتها في خرقة من صوف ورمتها خوفاً من مولاها في الطريق، فرآها هاشم بن المغيرة مرميّة فأخذها وربّاها وسمّاها: حنتمة، فلمّا بلغت رآها خطّاب يوماً فرغب فيها وخطبها من هاشم فأنكحها إيّاه فجاءت بعمر بن الخطاب، فكان الخطاب أباً وجدّاً وخالاً لعمر، وكانت حنتمة أمّاً وأختاً وعمّةً له، فتدبّر.

وأقول: وجدت في كتاب عقد الدرر لبعض الأصحاب روى بإسناده، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن الزيّات، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كانت صهاك جارية لعبد المطلب، وكانت ذات عجز، وكانت ترعى الإبل، وكانت من الحبشة، وكانت تميل إلى النكاح، فنظر إليها نفيل جدّ عمر فهواها وعشقها من مرعى الإبل فوقع عليها، فحملت منه بالخطاب، فلمّا أدرك البلوغ نظر إلى أمّه صهاك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بحنتمة، فلمّا ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في صوف وألقتها بين أحشاء مكّة، فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد، فحملها إلى منزله وربّاها وسمّاها الحنتمة، وكانت شيمة العرب من ربّى يتيماً يتّخذه ولداً، فلمّا بلغت حنتمة نظر إليها الخطاب فمال إليها وخطبها من هشام، فتزوّجها فأولد منها عمر، وكان الخطاب أباه وجدّه وخاله، وكانت حنتمة أمّه وأخته وعمّته. وينسب إلى الصادق عليه السلام في هذا المعنى شعر:

من جدّه خاله ووالده ... وأمّه أخته وعمّته
أجدر أن يبغض الوصيّ وأن ... ينكر يوم الغدير بيعته

وقال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام: لم يُسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر.. في الكلام رمزٌ إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن، كما يقال: إنّ آل سعد بن أبي وقّاص ليسوا من بني زهرة بن كلاب، وإنّهم من بني عذرة من قحطان، وكما يقال: إنّ آل زبير بن العوّام من أرض مصر من القبط، وليسوا من بني أسد بن عبد العزّى.

ثم قال: قال شيخنا أبو عثمان في كتاب مفاخرات قريش: . . . بلغ عمر بن الخطاب أنّ أناساً من رواة الأشعار وحملة الآثار يقصبون الناس ويثلبونهم في أسلافهم، فقام على المنبر، فقال: إيّاكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول، فلو قلت لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلاّ من لا وصمة فيه، لم يخرج منكم أحد. فقام رجل من قريش نكره أن نذكره، فقال: إذا كنت أنا وأنت - يا أمير المؤمنين- نخرج؟! فقال: كذبت، بل كان يقال لك: يا قين ابن قين، اقعد!.

---

(١) الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢ ص ٤٥٨.

قلت: الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان عمر يبغضه لبغضه أباه خالداً؛ ولأنّ المهاجر كان علويّ الرأي جدّاً، وكان أخوه عبد الرحمن بخلافه. شهد المهاجر صفّين مع عليّ عليه السلام، وشهدها عبد الرحمن مع معاوية، وكان المهاجر مع عليّ عليه السلام يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه؛ ولأنّ الكلام الذي بلغ عمر بلغه من المهاجر، وكان الوليد بن المغيرة - مع جلالته في قريش وكونه يسمّى ريحانة قريش، ويسمّى العدل، ويسمّى الوحيد - حدّاداً يصنع الدروع بيده. ذكر ذلك فيه ابن قتيبة في كتاب المعارف.

وروى أبو الحسن المدائني هذا الخبر في كتاب أُمّهات الخلفاء. وقال: إنّه روي عند جعفر بن محمد عليه السلام بالمدينة، فقال: لا تلمه يا بن أخي، إنّه أشفق أن يُحدَج بقصّة نفيل بن عبد العزّى وصهاك أمة الزبير بن عبد المطلب، ثم قال: رحم الله عمر، فإنّه لم يعد السنّة، وتلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] انتهى[2].

بيان: قال الجوهري: حَدَجَه بذنب غيره: رماه به.

انظر كيف بيّن عليه السلام رداءة نسب عمر وسبب مبالغته في النهي عن التعرّض للأنساب، ثم مدحه تقيّة، وما أومى إليه من قصّة أمة الزبير هو ما رواه الكليني طيّب الله تربته في روضة الكافي، عن الحسين، عن أحمد بن هلال، عن زرعة، عن سماعة، قال: تعرّض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيلي، فقالت له: إنّ هذا العمري قد آذاني. فقال لها: عديه وأدخليه الدهليز. فأدخلته، فشدّ عليه فقتله وألقاه في الطريق، فاجتمع البكريّون والعمريّون والعثمانيّون، وقالوا: ما لصاحبنا كفو؟ لن نقتل به إلاّ جعفر بن محمد، وما قتل صاحبنا غيره. وكان أبو عبد الله عليه السلام قد مضى نحو قبا، فلقيته بما اجتمع القوم عليه. فقال: دعهم.

قال: فلمّا جاء ورأوه وثبوا عليه، وقالوا: ما قتل صاحبنا أحد غيرك، وما نقتل به أحداً غيرك. فقال: لتكلّمني منكم جماعة. فاعتزل قوم منهم، فأخذ بأيديهم فأدخلهم المسجد، فخرجوا وهو يقولون: شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد، معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا ولا يأمر به، انصرفوا.

قال: فمضيت معه، فقلت: جعلت فداك! ما كان أقرب رضاهم من سخطهم! قال: نعم، دعوتهم فقلت: أمسكوا وإلاّ أخرجت الصحيفة. فقلت: وما هذه الصحيفة جعلني الله فداك؟ فقال: أمّ الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب، فسطر بها نفيل فأحبلها، فطلبه الزبير، فخرج هارباً إلى الطائف، فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف، فقالوا: يا أبا عبد الله، ما تعمل ها هنا؟ قال: جاريتي سطر بها نفيلكم. فهرب منه إلى الشام، فخرج الزبير في تجارة له إلى الشام، فدخل على ملك الدومة، فقال له: يا أبا عبد الله، لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك أيّها الملك؟ فقال: رجل من أهلك قد أخذت ولده فأُحبّ أن تردّه عليه. قال: ليظهر

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١١ ص ٤٧.

لي حتى أعرفه. فلمّا أن كان من الغد دخل إلى الملك فلمّا رآه الملك ضحك، فقال: ما يضحكك أيّها الملك؟ قال: ما أظنّ هذا الرجل ولدته عربية، لمّا رآك قد دخلت لم يملك استه أن جعل يضرط. فقال: أيّها الملك، إذا صرت إلى مكة قضيت حاجتك.

فلمّا قدم الزبير تحمل عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع إليه ابنه فأبى، ثم تحمل عليه بعبد المطلب، فقال: ما بيني وبينه عمل، أما علمتم ما فعل في ابني فلان، ولكن امضوا أنتم إليه. فقصدوه وكلّموه، فقال لهم الزبير: إنّ الشيطان له دولة، وإنّ ابن هذا ابن الشيطان، ولست آمن أن يترأس علينا، ولكن أدخلوه من باب المسجد عليّ على أن أحمي له حديدة وأخط في وجهه خطوطاً، وأكتب عليه وعلى ابنه أن لا يتصدر في مجلس، ولا يتأمّر على أولادنا، ولا يضرب معنا بسهم. قال: ففعلوا وخطّ وجهه بالحديد، وكتب عليه الكتاب، وذلك الكتاب عندنا. فقلت لهم: إن أمسكتم وإلاّ أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم. فأمسكوا.

وتوفّي مولىً لرسول الله ﷺ لم يخلّف وارثاً، وخاصم فيه ولد العباس أبا عبد الله عليه السلام، وكان هشام بن عبد الملك قد حجّ في تلك السنة، فجلس لهم، فقال داود بن علي: الولاء لنا. وقال أبو عبد الله عليه السلام: بل الولاء لي. فقال داود بن علي: إنّ أباك قاتل معاوية. فقال: إن كان قاتل معاوية فقد كان حظّ أبيك فيه الأوفر، ثم فرّ بجنايته (بخيانته). وقال: والله لأُطوّقنّك غداً طوق الحمامة. فقال له داود بن علي: كلامك هذا أهون عليّ من بعرة في وادي الأزرق. فقال: أما إنّه وادٍ ليس لك ولا لأبيك فيه حقّ. قال: فقال هشام: إذا كان غداً جلست لكم.

فلمّا أن كان من الغد خرج أبو عبد الله عليه السلام ومعه كتاب في كرباسة، وجلس لهم هشام، فوضع أبو عبد الله عليه السلام الكتاب بين يديه، فلمّا قرأه قال: ادعوا لي جندل الخزاعي وعكاشة الضميري. وكانا شيخين قد أدركا الجاهليّة، فرمى الكتاب إليهما، فقال: تعرفان هذه الخطوط؟ قالا: نعم، هذا خطّ العاص بن أُميّة، وهذا خطّ فلان وفلان لفلان من قريش، وهذا خطّ حرب بن أُميّة فقال هشام: يا أبا عبد الله، أرى خطوط أجدادي عندكم؟ فقال: نعم، قال: قد قضيت بالولاء لك. قال: فخرج وهو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة

قال: قلت: ما هذا الكتاب جعلت فداك؟ قال: فإنّ نفيلة كانت أمة لأمّ الزبير ولأبي طالب وعبد الله، فأخذها عبد المطلب فأولدها فلاناً، فقال له الزبير: هذه الجارية ورثناها من أمّنا وابنك هذا عبد لنا. فتحمل عليه ببطون قريش. قال: فقال: قد أجبتك على خلّة، على أن لا يتصدّر ابنك هذا في مجلس، ولا يضرب معنا بسهم. فكتب عليه كتاباً وأشهد عليه، فهو هذا الكتاب[١].

(١) الروضة من الكافي المطبوع مع الأصول، ح ٣٧٢.

بيان: قوله: تعرَّض. أي: أراد الفجور معها ومراودتها. قوله: فقالت له. أي: للعقيلي مولاها. قوله: فشدَّ عليه. أي: حمل عليه، وقد كان كمِن له في الدهليز. قوله: فلقيته. أي: قال سماعة: فذهبت إليه وأخبرته بالواقعة. قوله عليه السلام: فسطر بالسين المهملة. أي: زخرف لها الكلام وخدعها. قال الجزري: سطر فلانٌ على فلانٍ: إذا زخرف له الأقاويل ونمّقها، وتلك الأقاويل: الأساطير والسُّطر، وفي بعض النسخ: بالشين المعجمة.

قال الفيروزآبادي: يقال: شطر شطره. أي: قصد قصده، أو هو تصحيف شَغَرَ بها بالغين المعجمة. أي: رفع رجلها للجماع. قوله عليه السلام: على ملك الدّومة. أي: دومة الجُندل، وهي بالضمّ: حِصنٌ بين المدينة والشّام، ومنهم من يفتح الدّال.

قوله: تحمل عليه ببطون قريش. أي: كلّفهم الشّفاعة عند الزبير ليدفع إليه الخطاب، فلمّا يئس من ذلك ذهب إلى عبد المطلب ليتحمّل على زبير بعبد المطلب مضافاً إلى بطون قريش، فقال عبد المطلب لنفيل: ما بيني وبينه عمل - أي: معاملة وأُلفة - أما علمتم أنه - يعني زبيراً - ما فعل بي في ابني فلان؟ وأشار بذلك إلى ما سيأتي من قصّة العباس في عجز الخبر، قال: ولكن امضوا أنتم - يعني نفيلاً - مع بطون قريش إلى الزبير. قوله: أن لا يتصدّر. أي: لا يجلس في صدر المجلس. قوله: ولا يضرب معنا بسهم. أي: لا يشترك معنا في قسمة شيءٍ لا ميراثٍ ولا غيره. قوله عليه السلام: فقد كان حظّ أبيك. أيّ: جدّك عبد الله بن العباس فيه الأوفر، أي: أخذ حظّاً وافراً من غنائم تلك الغزوة، وكان من شركائها وأعوانه عليه السلام فيها. قوله عليه السلام: ثم فرّ بجنايته.. إشارة إلى جناية عبد الله في بيت مال البصرة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أقول: قد مرّ في باب (. . .) الثلاثة من تفسير علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال عليه السلام: الوحيد ولد الزنا، وهو زفر.. إلى آخر الآيات[1].

أما حَسَب عمر:

فحكى العلاّمة في كتاب كشف الحقّ، عن ابن عبد ربّه في كتاب العقد أنّ عمر كان حطّاباً في الجاهليّة كأبيه الخطاب.

وقال مؤلّف إلزام النواصب: روى ابن عبد ربّه في كتاب العقد في استعمال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص، فقال عمرو: قبّح الله زماناً عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب، والله إنّي لأعرف الخطاب يحمل حزمة من حطب وعلى ابنه مثلها وما معه إلاّ تمرة ولا تنفع منفعة[2].

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٦.
(٢) العقد الفريد، ج ١ ص ٤٨.

وقال ابن الأثير في النهاية في تفسير الخَبط : وهو ورق الشجر في حديث عمر : لقد رأيتني في هذا الجبل أحتطب مرَّةً وأختبط أُخرى. أي : أضرب الشَّجر لينثر الخبط منه.

وقال ابن أبي الحديد : كتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو عامله في مصر كتاباً ووجّه إليه محمد بن مسلمة ليأخذ منه شطر ماله، فلمّا قدم عليه اتّخذ له طعاماً وقدّمه إليه، فأبى أن يأكل، فقال له : ما لك لا تأكل طعامنا؟ قال : إنّك عملت لي طعاماً هو تقدمة للشرّ، ولو كنت عملت لي طعام الضّيف لأكلته، فأبعد عنّي طعامك وأحضرني مالك. فلمّا كان الغد أحضر ماله، فجعل محمد يأخذ شطراً ويعطي عمراً شطراً، فلمّا رأى عمرو ما حاز محمد من المال، قال : يا محمد، أقول؟ قال : قل ما تشاء. قال : لعن الله يوماً كنت فيه والياً لابن الخطاب! فوالله لقد رأيته ورأيت أباه، وإنّ على كلّ واحد منهما عباءة قطوانية، مؤتزراً بها ما يبلغ مأبِض ركبتيه، على عنق كلّ واحد منهما حزمة من حطب، وإنّ العاص بن وائل لفي مزرّرات الديباج. فقال محمد : إيهاً يا عمرو، فعمر والله خير منك، وأمّا أبوك وأبوه ففي النار(١).

وقال أيضاً : قرأت في تصانيف أبي أحمد العسكري أنّ عمر كان يخرج مع الوليد بن المغيرة في تجارة للوليد إلى الشام، وعمر يومئذٍ ابن ثماني عشرة سنة، وكان يرعى للوليد إبله ويرفع أحماله، ويحفظ متاعه، فلمّا كان بالبلقاء لقيه رجلٌ من علماء الرّوم، فجعل ينظر إليه، ويطيل النّظر لعمر، ثم قال : أظنّ اسمك يا غلام عامراً أو عمران أو نحو ذلك؟ قال : اسمي عمر. قال : اكشف عن فخذيك، فكشف، فإذا على أحدهما شامة سوداء في قدْر راحة الكفّ، فسأله أن يكشف عن رأسه، فإذا هو أصلع، فسأله أن يعتمد بيده، فاعتمد فإذا أعسر أيسر. فقال له : أنت ملك العرب. قال : فضحك عمر مستهزئاً، فقال : أوتضحك؟ وحقّ مريم البتول أنت ملك العرب وملك الروم والفرس. فتركه عمر وانصرف مستهيناً بكلامه، فكان عمر يحدّث بعد ذلك ويقول : تبعني ذلك الروميّ راكب حمار فلم يزل معي حتى باع الوليد متاعه وابتاع بثمنه عطراً وثياباً، وقفل إلى الحجاز، والروميّ يتبعني، لا يسألني حاجة ويقبّل يدي كلّ يوم إذا أصبحت كما يقبّل يد الملك، حتى خرجنا من حدود الشام ودخلنا في أرض الحجاز راجعين إلى مكّة، فودّعني ورجع، وكان الوليد يسألني عنه فلا أُخبره، وما أراه إلاّ هلك، ولو كان حيّاً لشخص إلينا(٢).

أقول: أعسر أيسر : أي كان يعمل بيديه جميعاً، والذي عمل بالشّمال فهو أعسر. وإخبار الرومي إمّا من جهة الكهانة، أو كان قرأ في الكتب أوصاف فراعنة هذه الأُمة ومن يغصب حقوق الأئمّة، فإنّه كما كانت أوصاف أئمّتنا عليهم السلام مسطورة في الكتب كانت أوصاف أعدائهم أيضاً مذكورة فيها، كما يدلّ عليه أخبارنا؛ ولذا كان يقبّل يديه؛ لأنّه كان يعلم أنّه

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٢٢.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٣١١.

يخرّب دين من ينسخ أديانهم، كما قبّل إبليس يد أبي بكر في أوّل يوم صعد منبر النبيّ ﷺ واستبشر بذلك، وهذه الأخبار صارت باعثة لإسلامه وصاحبه ظاهراً، طمعاً في الملك كما ذكره القائم عليه السلام لسعد بن عبد الله؛ ولذا أخبره بالملك لا بالخلافة والرئاسة الدينيّة.

وقال ابن الأثير في النهاية في تفسير المبرطِش: فيه: كان عمر في الجاهليّة مبرطِشاً، وهو الساعي بين البائع والمشتري شِبه الدَّلاّل، ويُروى بالسّين المهملة بمعناه. وذكر ذلك صاحب القاموس وقال: هو - بالمهملة -: الّذي يكتري للنّاس الإبل والحمير ويأخذ عليه جُعلاً.

ويدلّ اعتذار عمر عن جهله بسنّة الاستئذان بقوله: ألهاني عنه الصفق بالأسواق، كما رواه البخاري وغيره، وقد مرّ على أنّه كان مشتغلاً به في الإسلام أيضاً.

وقال في الاستيعاب: إليه كانت السفارة في الجاهليّة، وذلك أنّ قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر منافراً ومفاخراً ورضوا به، وذكر نحو ذلك في روضة الأحباب.

فقد ظهر بما ذكرناه أنّ قولة بعض العامّة: إنّ عمر كان من صناديد قريش وعظمائهم في الجاهليّة.. إنّما نشأ من شدّة العصبيّة وفرط الجهل بالآثار، ومتى كان عظيم من العظماء حطّاباً، وراعياً للبعير، ومبرطشاً للحمير، ومدّاحاً للقوم، ومفاخراً من قبل القبيلة؟ فكانت دناءة نسبه ورذالة حسبه وسفالة أفعاله شواهد ما صدر عنه في خواتم أعماله كما عرفت...

وأمّا مقتله وكيفيّة قتله:

فقال مؤلّف العدد القويّة رحمه الله نقلاً من كتب المخالفين: في يوم السادس والعشرين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طُعن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب القرشيّ العدويّ أبو حفص. قال سعيد بن المسيّب: قتل أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب وطعن معه اثني عشر رجلاً، فمات منه، فرمى عليه رجل من أهل العراق برنساً ثم برك عليه، فلمّا رأى أنّه لا يستطيع أن يتحرّك وجأ بنفسه فقتلها.

عن عمر بن ميمون، قال: أقبل عمر فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ففاجأ عمر قبل أن تستوي الصفوف ثم طعنه ثلاث طعنات، فسمعت عمر يقول: دونكم الكلب فقد قتلني. وماج الناس وأسرعوا إليه، فجرح ثلاثة عشر رجلاً، فانكفى عليه رجل من خلفه احتضنه، وحمل عمر وماج الناس حتى قال قائل: الصلاة عباد الله طلعت الشمس. فقدّموا عبد الرحمن بن عوف فصلّى بأقصر سورتين في القرآن: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ و﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾. ودخل الناس عليه، فقال: يا عبد الله بن عباس، أخرج فناد في الناس: أعن ملأ منكم هذا؟ فخرج ابن عباس فقال: أيّها الناس، عمر يقول: أعن ملأ منكم هذا؟ فقالوا: معاذ الله، والله ما علمنا ولا اطّلعنا. فقال: ادعوا لي الطبيب. فدعي الطبيب،

فقال: أيّ الشراب أحبّ إليك؟ قال: النبيذ، فسقي نبيذاً فخرج من بعض طعناته، فقال بعض الناس: هذا دم، هذا صديد. فقال: اسقوني لبناً. فسقي لبناً، فخرج من الطعنة. فقال له الطبيب: ما أرى أن تمسي، فما كنت فاعلاً فافعل.. وذكر باقي الخبر في الشورى وتقديمه لصهيب في الصلاة، وقوله في عليّ عليه السلام: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم. يعني عليّاً، فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدم عليّاً؟ فقال: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميتاً.

قال عبد الله بن الزبير: غدوت مع عمر بن الخطاب إلى السوق وهو متكئ على يدي، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فقال له: ألا تكلّم مولاي يضع عنّي من خراجي؟ قال: كم خراجك؟ قال: دينار. فقال عمر: ما أرى أن أفعل، إنّك لعامل محسن، وما هذا بكثير. ثم قال له عمر: ألا تعمل لي رحىً؟ قال: بلى. فلمّا ولّى، قال أبو لؤلؤة: لأعملنّ لك رحىً يتحدّث بها ما بين المشرق والمغرب. قال ابن الزبير: فوقع في نفسي قوله، فلمّا كان في النداء لصلاة الصبح خرج أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ستة طعنات، إحداهنّ من تحت سرّته وهي قتلته، وجاء بسكين لها طرفان، فلمّا جرح عمر جرح معه ثلاثة عشر رجلاً في المسجد ثم أُخذ، فلمّا أُخذ قتل نفسه.

واختلف في سنّ عمر: فقيل: توفي وهو ابن ثلاث وستين. وقال عبد الله بن عمر: توفي عمر وهو ابن بضع وخمسين. وعن سالم بن عبد الله أنّ عمر قبض وهو ابن خمس وخمسين. وقال الزهري: توفي وهو ابن أربع وخمسين. وقال قتادة: توفي وهو ابن اثنتين وخمسين. وقيل: مات وهو ابن ستين.

عن الزهري قال: صلّى عمر على أبي بكر حين مات، وصلّى صهيب على عمر، وروي عن عمر أنّه قال في انصرافه في حجّته التي لم يحجّ بعدها: الحمد لله ولا إله إلاّ الله، يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادي - يعني ضجنان - أرعى غنماً للخطاب، وكان فظّاً غليظاً يتعبني إذا عملت ويضربني إذا قصّرت، وقد أصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه، ثم تمثّل:

لا شيء ممّا ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويؤدى المال والولد
لم يغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجنّ فيما بينها يرد
أين الملوك التي كان لعزّتها ... من كلّ أوب إليها وافدٌ يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بدّ من ورده يوماً كما وردوا

أمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وقال عمر: ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين.

أسلم ظاهراً بعد أربعين رجلاً وأحد عشر امرأة، بويع له بالخلافة لمّا مات أبو بكر

باستخلافه له سنة ثلاث عشرة. كان آدم شديد الأدمة طوالاً، كثّ اللحية، أصلع أعسر أيسر، وقيل: كان طويلاً جسيماً، أصلع شديد الصلع، أبيض، شديد حمرة العينين، في عارضيه خفّة. وقيل: كان رجلاً آدم ضخماً كأنّه من رجال سدوس. مدّة ولايته عشر سنين وستة أشهر وأيّام[١].

أقول: قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: كانت مدّة خلافته عشر سنين وستة أشهر، وقتل يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقدي وغيره: لثلاث بقين من ذي الحجّة، طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة. قال: ومن أحسن شيء يروى في مقتل عمر وأصحّه ما حدّثنا خلف بن قاسم، عن سهل - بإسناد ذكره - عن عمرو بن ميمون... وساق الخبر مثل ما مرّ إلى قوله: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً. ثم روى الخبر الثاني عن الواقدي بإسناده عن عبد الله بن الزبير.

ثم قال: واختلف في شأن أبي لؤلؤة، فقال بعضهم: كان مجوسياً. وقال بعضهم: كان نصرانياً... وجاء بسكين له طرفان، فلمّا جرح عمر جرح معه ثلاثة عشر رجلاً في المسجد ثم أُخذ، فلمّا أُخذ قتل نفسه[٢].

أقول: ما ذكر أنّ مقتله كان في ذي الحجّة هو المشهور بين فقهائنا الإماميّة، وقال إبراهيم ابن الكفعمي رحمه الله في الجنّة الواقية في سياق أعمال شهر ربيع الأول: إنّه روى صاحب مسارّ الشيعة أنّه من أنفق في اليوم التاسع منه شيئاً غفر له، ويستحبّ فيه إطعام الإخوان وتطييبهم والتوسعة في النفقة ولبس الجديد والشكر والعبادة، وهو يوم نفي الهموم، وروي أنّه ليس فيه صوم، وجمهور الشيعة يزعمون أنّ فيه قتل عمر بن الخطاب، وليس بصحيح.

قال محمد بن إدريس في سرائره: من زعم قتل فيه فقد أخطأ بإجماع أهل التواريخ والسير، وكذلك قال المفيد رحمه الله في كتاب التواريخ. وإنّما قُتل يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، نصّ على ذلك صاحب الغرّة وصاحب المعجم وصاحب الطبقات وصاحب كتاب مسارّ الشيعة وابن طاووس، بل الإجماع حاصل من الشيعة وأهل السنّة على ذلك. انتهى.

والمشهور بين الشيعة في الأمصار والأقطار في زماننا هذا هو أنّه اليوم التاسع من ربيع الأول، وهو أحد الأعياد، ومستندهم في الأصل ما رواه خلف السيّد النبيل عليّ بن طاووس رحمة الله عليهما في كتاب زوائد الفوائد، والشيخ حسن بن سليمان في كتاب المحتضر، واللفظ هنا للأخير، وسيأتي بلفظ السيّد قدّس سرّه في كتاب الدعاء.

---

(١) العدد القوية، ص ٣٢٨، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة، ج ٢ ص ٤٥٩.

(٢) الاستيعاب، ج ٢ ص ٤٦٧.

قال الشيخ حسن: نقلته من خطّ الشيخ الفقيه عليّ بن مظاهر الواسطي، بإسناد متّصل، عن محمد بن العلاء الهمداني الواسطي ويحيى بن محمد بن جريح البغدادي، قالا: تنازعنا في ابن الخطاب فاشتبه علينا أمره، فقصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمي صاحب أبي الحسن العسكري عليه السلام بمدينة قم، وقرعنا عليه الباب، فخرجت إلينا صبيّة عراقيّة من داره، فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول بعيده فإنّه يوم عيد. فقلنا: سبحان الله! الأعياد عند الشيعة أربعة: الأضحى، والفطر، ويوم الغدير، ويوم الجمعة. قالت: فإنّ أحمد بن إسحاق يروي عن سيّده أبي الحسن عليّ بن محمد العسكري عليه السلام أنّ هذا اليوم هو يوم عيد، وهو أفضل الأعياد عند أهل البيت عليهم السلام وعند مواليهم. قلنا: فاستأذني لنا بالدخول عليه، وعرّفيه بمكاننا، فدخلت عليه وأخبرته بمكاننا، فخرج علينا وهو متّزر بمئزر له محتبي بكسائه يمسح وجهه، فأنكرنا ذلك عليه، فقال: لا عليكما، فإنّي كنت اغتسلت للعيد. قلنا: أو هذا يوم عيد؟ قال: نعم. وكان يوم التاسع من شهر ربيع الأول، قالا جميعاً: فأدخلنا داره وأجلسنا على سرير له، وقال: إنّي قصدت مولانا أبا الحسن العسكري عليه السلام مع جماعة إخوتي - كما قصدتماني - بسرّ من رأى، فاستأذنا بالدخول عليه فأذن لنا، فدخلنا عليه صلوات الله عليه في مثل هذا اليوم- وهو يوم التاسع من شهر ربيع الأول - وسيّدنا عليه السلام قد أوعز إلى كلّ واحد من خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجُدُد، وكان بين يديه مجمرة يحرق العود بنفسه، قلنا: بآبائنا أنت وأمّهاتنا يابن رسول الله! هل تجدّد لأهل البيت في هذا اليوم فرح؟ فقال: وأيّ يوم أعظم حرمة عند أهل البيت من هذا اليوم؟! ولقد حدّثني أبي عليه السلام أنّ حذيفة بن اليمان دخل في مثل هذا اليوم - وهو التاسع من شهر ربيع الأول - على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، قال حذيفة: رأيت سيّدي أمير المؤمنين مع ولديه الحسن والحسين عليهم السلام يأكلون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتبسّم في وجههم عليهم السلام ويقول لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: كلا هنيئاً لكما ببركة هذا اليوم، فإنّه اليوم الذي يهلك الله فيه عدوّه وعدوّ جدّكما، ويستجيب فيه دعاء أُمّكما، كلا فإنّه اليوم الذي يقبل الله فيه أعمال شيعتكما ومحبّيكما، كلا فإنّه اليوم الذي يصدق فيه قول الله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾[1]، كلا فإنّه اليوم الذي يتكسّر فيه شوكة مبغض جدّكما، كلا فإنّه يوم يفقد فيه فرعون أهل بيتي وظالمهم وغاصب حقّهم، كلا فإنّه اليوم الذي يقدم الله فيه إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباءً منثوراً.

قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله، وفي أُمّتك وأصحابك من ينتهك هذه الحرمة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم يا حذيفة، جبتٌ من المنافقين يترأس عليهم ويستعمل في أُمتي الرياء، ويدعوهم إلى نفسه، ويحمل على عاتقه درّة الخزي، ويصدّ الناس عن سبيل الله، ويحرّف كتابه، ويغيّر سنّتي، ويشتمل على إرث ولدي، وينصّب نفسه علماً، ويتطاول على إمامه من

(١) سورة النمل، الآية: ٥٢.

بعدي، ويستحلّ أموال الله من غير حلّها، وينفقها في غير طاعته، ويكذّبني ويكذّب أخي ووزيري، وينحّي ابنتي عن حقّها، وتدعو الله عليه ويستجيب الله دعاءها في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، لم لا تدعو ربّك عليه ليهلكه في حياتك؟ قال: يا حذيفة، لا أُحبّ أن أجترئ على قضاء الله لما قد سبق في علمه، لكنّي سألت الله أن أجعل اليوم الذي يقبضه فيه فضيلة على سائر الأيّام، ليكون ذلك سنّة يستنّ بها أحبّائي وشيعة أهل بيتي ومحبّوهم، فأوحى إليّ جلّ ذكره، فقال لي: يا محمّد، كان في سابق علمي أن تمسّك وأهل بيتك محن الدنيا وبلاؤها، وظلم المنافقين والغاصبين من عبادي من نصحتهم وخانوك، ومحضتهم وغشوك، وصافيتهم وكاشحوك، وأرضيتهم وكذّبوك، وأنجيتهم وأسلموك فإنّي بحولي وقوّتي وسلطاني لأفتحنّ على روح من يغصب بعدك عليّاً حقّه ألف باب من النيران من سفال الفيلوق، ولأصلينّه وأصحابه قعراً يشرف عليه إبليس فيلعنه، ولأجعلنّ ذلك المنافق عبرةً في القيامة لفراعنة الأنبياء وأعداء الدين في المحشر، ولأحشرنّهم وأولياءهم وجميع الظلمة والمنافقين إلى نار جهنّم زرقاً كالحين أذلّة خزايا نادمين، ولأخلدنّهم فيها أبد الآبدين.

يا محمّد، لن يرافقك وصيّك في منزلتك إلاّ بما يمسّه من البلوى من فرعونه وغاصبه الذي يجترئ عليّ ويبدّل كلامي، ويشرك بي ويصدّ الناس عن سبيلي، وينصّب من نفسه عجلاً لأُمّتك، ويكفر بي في عرشي، إنّي قد أمرت ملائكتي في سبع سماواتي لشيعتكم ومحبّيكم أن يتعيّدوا في هذا اليوم الذي أقبضه [فيه] إليّ وأمرتهم أن ينصبوا كرسيّ كرامتي حذاء البيت المعمور ويثنوا عليّ ويستغفروا لشيعتكم ومحبّيكم من ولد آدم، وأمرت الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق كلّهم ثلاثة أيّام من ذلك اليوم، ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك ولوصيّك.

يا محمّد، إنّي قد جعلت ذلك اليوم عيداً لك ولأهل بيتك ولمن تبعهم من المؤمنين وشيعتهم، وآليت على نفسي بعزّتي وجلالي وعلوّي في مكاني لأحبونّ من تعيّد في ذلك اليوم محتسباً ثواب الخافقين، ولأشفعنّه في أقربائه وذوي رحمه، ولأزيدنّ في ماله إن وسّع على نفسه وعياله فيه، ولأعتقنّ من النار في كلّ حول في مثل ذلك اليوم ألفاً من مواليكم وشيعتكم، ولأجعلنّ سعيهم مشكوراً، وذنبهم مغفوراً، وأعمالهم مقبولة.

قال حذيفة: ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل إلى بيت أُمّ سلمة، ورجعت عنه وأنا غير شاكّ في أمر الشيخ، حتى ترأس بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وأُتيح الشرّ وعاد الكفر، وارتدّ عن الدين، وتشمّر للملك، وحرّف القرآن، وأحرق بيت الوحي، وأبدع السنن، وغيّر الملّة، وبدلّ السنّة، وردّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وكذّب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، واغتصب فدكاً، وأرض المجوس واليهود والنصارى، وأسخن قرّة عين المصطفى ولم يرضها، وغيّر

السّنن كلّها، ودبّر على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وأظهر الجور، وحرّم ما أحلّ الله، وأحلّ ما حرّم الله، وألقى إلى الناس أن يتّخذوا من جلود الإبل دنانير، ولطم وجه الزكيّة، وصعد منبر رسول الله غصباً وظلماً، وافترى على أمير المؤمنين عليه السلام وعانده وسفه رأيه.

قال حذيفة: فاستجاب الله دعاء مولاتي عليها السلام على ذلك المنافق، وأجرى قتله على يد قاتله رحمة الله عليه، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام لأهنّئه بقتل المنافق ورجوعه إلى دار الانتقام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا حذيفة أتذكر اليوم الذي دخلت فيه على سيّدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا وسبطاه نأكل معه، فدلّك على فضل ذلك اليوم الذي دخلت عليه فيه؟ قلت: بلى يا أخا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: هو والله هذا اليوم الذي أقرّ الله به عين آل الرسول، وإنّي لأعرف لهذا اليوم اثنين وسبعين اسماً. قال حذيفة: قلت: يا أمير المؤمنين، أحبّ أن تسمعني أسماء هذا اليوم، وكان يوم التاسع من شهر ربيع الأول.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا يوم الاستراحة، ويوم تنفيس الكربة، ويوم الغدير الثاني، ويوم تحطيط الأوزار، ويوم الخيرة، ويوم رفع القلم، ويوم الهدو، ويوم العافية، ويوم البركة، ويوم الثارات، ويوم عيد الله الأكبر، ويوم يستجاب فيه الدعاء، ويوم الموقف الأعظم، ويوم التوافي، ويوم الشرط، ويوم نزع السواد، ويوم ندامة الظالم، ويوم انكسار الشوكة، ويوم نفي الهموم، ويوم القنوع، ويوم عرض القدرة، ويوم الصفح، ويوم فرح الشيعة، ويوم التوبة، ويوم الإنابة، ويوم الزكاة العظمى، ويوم الفطر الثاني، ويوم سيل النغاب، ويوم تجرّع الريق، ويوم الرضا، ويوم عيد أهل البيت، ويوم ظفرت به بنو إسرائيل، ويوم يقبل الله أعمال الشيعة، ويوم تقديم الصدقة، ويوم الزيارة، ويوم قتل المنافق، ويوم الوقت المعلوم، ويوم سرور أهل البيت، ويوم الشاهد ويوم المشهود، ويوم يعضّ الظالم على يديه ويوم القهر على العدوّ، ويوم عدم الضلالة، ويوم التنبيه، ويوم التصريد، ويوم الشهادة، ويوم التجاوز عن المؤمنين، ويوم الزهرة، ويوم العذوبة، ويوم المستطاب به، ويوم ذهاب سلطان المنافق، ويوم التسديد، ويوم يستريح فيه المؤمن، ويوم المباهلة، ويوم المفاخرة، ويوم قبول الأعمال، ويوم التبجيل، ويوم إذاعة السرّ، ويوم نصر المظلوم، ويوم الزيارة، ويوم التودّد، ويوم التحبّب، ويوم الوصول، ويوم التزكية، ويوم كشف البدع، ويوم الزهد في الكبائر، ويوم التزاور، ويوم الموعظة، ويوم العبادة، ويوم الاستسلام.

قال حذيفة: فقمت من عنده - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وقلت في نفسي: لو لم أدرك من أفعال الخير وما أرجو به الثواب إلاّ فضل هذا اليوم لكان مناي.

قال محمد بن العلاء الهمداني، ويحيى بن محمد بن جريح: فقام كلّ واحد منّا وقبّل رأس أحمد بن إسحاق بن سعيد القمي، وقلنا: الحمد لله الذي قيّضك لنا حتى شرّفتنا بفضل هذا اليوم. ورجعنا عنه، وتعيّدنا في ذلك اليوم.

قال السيّد: نقلته من خطّ محمد بن علي بن محمد بن طيّ رحمه الله ووجدنا فيما تصفّحنا من الكتب عدّة روايات موافقة لها فاعتمدنا عليها، فينبغي تعظيم هذا اليوم المشار إليه وإظهار السرور فيه.

بيان: في القاموس: احتبى بالثّوب: اشتمل. وفي بعض النسخ مكان قوله محتبي بكساء: يفوح مسكاً وهو.. قوله عليه السلام: ويوم سيل النغاب. وهو مقابل قولهم: غصّ بريقه. في القاموس: نغَب الرِّيق كمنع ونصر وضرب: ابتَلَعه، والطّائر حسا من الماء، والإنسان في الشُّرب: جرَع، والنُّغْبة: الجُرْعة. وفي بعض النسخ: يوم سبيل الله... قوله عليه السلام: ويوم ظفرت به بنو إسرائيل. أي: يشبه ذلك اليوم، فإنّه كان فرعون هذه الأُمّة أو كان ظفر بني إسرائيل أيضاً في هذا اليوم، والوجهان جاريان في بعض الفقرات الأُخر كنزع السواد.. والتّصْرِيد: التّقليل.. وكأنّه سقط بعض الفقرات من الرواة، وبضمّ بعض النسخ يتمّ العدد.

أقول: وقال السيد علي بن طاووس قدّس الله روحه في كتاب الإقبال بعد ذكر اليوم التاسع من ربيع الأول: اعلم أنّ هذا اليوم - وجدنا فيه رواية - عظيم الشأن، ووجدنا جماعة من العجم والإخوان يعظّمون السرور فيه، ويذكرون أنّه يوم هلاك بعض من كان يهوّن بالله جلّ جلاله ورسوله صلوات الله عليه وآله ويعاديه، ولم أجد فيما تصفّحت من الكتب إلى الآن موافقة أعتمد عليها للرواية التي رويناها عن ابن بابويه تغمّده الله بالرضوان، فإن أراد أحد تعظيمه مطلقاً لسرّ يكون في مطاويه غير الوجه الذي ظهر فيه احتياطاً للرواية فهكذا عادة ذوي الدراية، وإن كان يمكن أن يكون تأويل ما رواه أبو جعفر بن بابويه في أنّ قتل من ذكر كان في تاسع ربيع الأول، لعلّ معناه أنّ السبب الذي اقتضى عزم القاتل على قتله كان في ذلك اليوم، ويمكن أن يسمّى مجازاً سبب القتل بالقتل، أو يكون توجّه القاتل من بلده في ذلك اليوم أو وصول القاتل إلى مدينة القتل فيه.

وأمّا تأويل من تأوّل أنّ الخبر بالقتل وصل إلى بلد ابن بابويه فيه فلا يصحّ؛ لأنّ الحديث الذي رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام تضمّن أنّ القتل كان في ذلك اليوم، فكيف يصحّ هذا التأويل؟[1] انتهى ملخّص كلامه نوّر الله ضريحه.

ويظهر منه ورود رواية أُخرى عن الصادق عليه السلام بهذا المضمون رواها الصدوق رحمه الله، ويظهر من كلام خلفه الجليل ورود عدّة روايات دالّة على كون قتله في ذلك اليوم، فاستبعاد ابن إدريس وغيره رحمة الله عليهم ليس في محلّه؛ إذ اعتبار تلك الروايات مع الشهرة بين أكثر الشيعة سلفاً وخلفاً لا يقصر عمّا ذكره المؤرّخون من المخالفين، ويحتمل أن يكونوا غيّروا هذا اليوم ليشتبه الأمر على الشيعة فلا يتّخذوه يوم عيد وسرور.

(١) إقبال الأعمال، ص ٧٦.

فإن قيل: كيف اشتبه هذا الأمر العظيم بين الفريقين مع كثرة الدواعي على ضبطه ونقله؟

قلنا: نقلب الكلام عليكم، مع أنّ هذا الأمر ليس بأعظم من وفاة الرسول ﷺ، مع أنّه وقع الخلاف فيه بين الفريقين، بل بين كلّ منهما مع شدّة تلك المصيبة العظمى، وما استتبعته من الدواهي الأخرى، مع أنّهم اختلفوا في يوم القتل كما عرفت وإن اتّفقوا في كونه في ذي الحجة، ومن نظر في اختلاف الشيعة وأهل الخلاف في أكثر الأمور التي توفّرت الدواعي على نقلها مع كثرة حاجة الناس إليها، كالأذان والوضوء والصلاة والحجّ وتأمّل فيها، لا يستبعد أمثال ذلك، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

٢ - ما: جماعة، عن أبي الفضل، عن صالح بن أحمد ومحمّد بن القاسم، عن محمد بن تسنيم، عن جعفر بن محمد بن حكيم، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن رقيّة بن مصقلة بن عبد الله بن جويعة بن حمزة العبدي، عن أبيه، عن جدّه عبد الله قال: قدمنا وفد عبد القيس في إمارة عمر بن الخطاب، فسأله رجلان منّا عن طلاق الأمة، فقام معهما وقال: انطلقا. فجاء إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال: يا أصلع، كم طلاق الأمة؟ قال: فأشار بإصبعيه هكذا: يعني اثنتين. قال: فالتفت عمر إلى الرجلين، فقال: طلاقها اثنتان. فقال له أحدهما: سبحان الله! جئناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك فجئت إلى الرجل، والله ما كلّمك. فقال: ويلك! أتدري من هذا؟ هذا عليّ بن أبي طالب، سمعت النبيّ ﷺ يقول: لو أنّ السماوات والأرض وضعتا في كفّة ووضع إيمان عليّ في كفّة لرجح إيمان عليّ(١).

٣ - د: قال أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري - ليس التاريخي -: لمّا ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ قال: أكرموا كريم كلّ قوم. فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وإن خالفكم. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورغبوا في الإسلام، ولا بدّ من أن يكون لهم فيهم ذريّة، وأنا أُشهد الله وأُشهدكم أنّي قد عتقت نصيبي منهم لوجه الله تعالى فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقّنا أيضاً لك. فقال: اللهمّ اشهد أنّي قد عتقت ما وهبوني لوجه الله. فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول الله. فقال: اللهمّ اشهد أنّهم قد وهبوا لي حقّهم وقبلته، وأُشهدك أنّي قد عتقتهم لوجهك. فقال عمر: لِم نقضت عليّ عزمي في الأعاجم، وما الذي رغّبك عن رأيي فيهم؟ فأعاد عليه ما قال رسول الله ﷺ في إكرام الكرماء، فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصّني وسائر ما لم يوهب لك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهمّ اشهد على ما قاله وعلى عتقي إيّاهم.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٧٥ مجلس ٢٣ ح ١١٨٨.

فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء لا يكرهن على ذلك ولكن يخيّرن، ما اخترنه عمل به. فأشار جماعة إلى شهربانويه بنت كسرى، فخيّرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور، فقيل لها: من تختارين من خطابك؟ وهل أنت ممّن تريدين بعلاً؟ فسكتت. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد أرادت وبقي الاختيار. فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أتته كريمة قوم لا وليّ لها وقد خطبت يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل؟ فإن استحيت وسكتت جعلت إذنها صماتها، وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا، لم تكره على ما تختاره.. إنّ شهربانويه أريت الخطّاب فأومأت بيدها واختارت الحسين بن عليّ عليه السلام، فأُعيد القول عليها في التخيير، فأشارت بيدها وقالت بلغتها: هذا إن كنت مخيّرة. وجعلت أمير المؤمنين وليّها، وتكلّم حذيفة بالخطبة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت شهربانويه، وأُختك مرواريد بنت كسرى؟ قالت: آريه[1].

٤ - **يب:** محمّد بن علي بن محبوب، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام، قال: دخل عليّ عليه السلام وعمر الحمّام، فقال عمر: بئس البيت الحمّام، يكثر فيه العناء، ويقلّ فيه الحياء، فقال عليّ عليه السلام: نعم البيت الحمّام، يذهب الأذى يذكّر بالنار[2].

٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج إلى الروم: وقد توكّل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة والّذي نصرهم وهم قليلٌ لا ينتصرون ومنعهم وهم قليلٌ لا يمتنعون حيٌّ لا يموت. إنّك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفةٌ دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجعٌ يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرّباً وأحفز معه أهل البلاءِ والنّصيحة، فإن أظهر الله فذاك تحبُّ، وإن تكن الأُخرى كنت رداءً للنّاس ومثابةً للمسلمين[3].

توضيح: وقد توكّل الله: أي صار وكيلاً، ويروى: تكفّل، أي: صار كفيلاً، والحوزة: النّاحية، وبيضة الملك. قوله عليه السلام: فتنكب، قال ابن أبي الحديد: مجزوم معطوف على تسر. قوله عليه السلام: كانفةٌ. أي: جهةٌ عاصمةٌ، من قولك كنفت الإبل: جعلت لها كنيفاً من الشّجر يستتر به. قوله عليه السلام: مجرّباً على المفعول: أي جرّبته الأُمور وأحكمته. ويمكن أن يُقرأ على اسم الفاعل وإن كان الخلاف المشهور. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة بكسر الميم مخفّفاً من الحرب. وحفَزْتُه: دفعْتُه من خلفه وسقته سوقاً شديداً. وأهل البلاء: أي

(١) العدد القوية، ص ٥٦، وأورده الطبري في دلائل الإمامة، ص ٨١.
(٢) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ٢٠١ باب ١٨ ح ٢٤. (٣) نهج البلاغة، ص ٢٨٢ خ ١٣٢.

المختبرين الممتحنين أو الذين لهم حقوق في الإسلام كقوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾.. والرِّدءُ بالكسر: العون.. والمثابة: المرْجع.

فإن قلت: فما بال أمير المؤمنين عليه السلام شهد الحروب بنفسه؟ قلت: لوجهين:

أحدهما: أنّه كان عالماً من جهة النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه لا يقتل في هذه الحروب.

ثانيهما: أنّه كان عالماً بأنّه لا يقوم مقامه في تلك الحروب أحد، ولم يجد مجرّباً من أهل البلاء والنصيحة، فبعض المجرّبين لم يكونوا من أهل النصيحة له، وبعض أهل النصيحة لم يكونوا مجرّبين، ومن كان مجرّباً ناصحاً - كمالك وأضرابه - فمع قلّتهم ربّما لم يطعهم الناس.

٦ - **نهج:** ومن كلامه عليه السلام لعمر بن الخطّاب وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه:

إنَّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرةٍ ولا بقلّةٍ وهو دين الله الّذي أظهره، وجنده الّذي أعدَّه وأمدَّ حتّى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع، ونحن على موعودٍ من الله، والله منجزٌ وعده وناصرٌ جنده.

ومكان القيّم بالأمر مكان النِّظام من الخرز يجمعه ويضمُّه فإن انقطع النِّظام تفرّق وذهب ثمَّ لم يجتمع بحذافيره أبداً، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً واستدر الرَّحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنَّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتّى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمَّ إليك ممَّا بين يديك.. إنَّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه استرحتم. فيكون ذلك أشدَّ لكلبهم عليك وطمعهم فيك.

فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإنَّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره.. وأمَّا ما ذكرت من عددهم فإنَّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنَّما كنَّا نقاتل بالنَّصر والمعونة[1].

بيان: قال ابن أبي الحديد: قد اختلف في الحال الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام، فقيل: قاله في غزاة القادسيّة، وقيل: في غزاة نهاوند، ذهب إلى الأخير محمّد بن جرير، وإلى الأول المدائني[2].

ونظام العقد: الخيط الجامع له. بحذافيره: أي بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه. قوله عليه السلام: وأصلهم. أي: اجعلهم صالين لها، يقال: صليت اللحم: إذا شويته، أو ألقهم في نار الحرب دونك، أو من صلي فلانٌ بالأمر: إذا قاسى حرَّها وشدَّتها. والعورة: الخلل في الثّغر وغيره، وكلُّ ممكن للسَّتر. لكلبهم: أي لمرَضِهم وشِدَّتهم. قوله عليه السلام: فأمّا ما ذكرت، جواب لما

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٤ خ ١٤٤. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ٦٨.

قال عمر من أن هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين وأنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم.

ثم اعلم أنّ هذا الكلام وما تقدّم يدلّ أنّهم كانوا محتاجين إليه عليه السلام في التدبير وإصلاح الأمور التي يتوقّف عليها الرئاسة والخلافة، فهو عليه السلام كان أحقّ بها وأهلها، وكانوا هم الغاصبين حقّه. وأمّا إراءتهم مصالحهم فلا يدلّ على كونهم على الحقّ، لأنّ ذلك كان لمصلحة الإسلام والمسلمين لا لمصلحة الغاصبين، وجميع تلك الأمور كان حقّه عليه السلام قولاً وفعلاً وتدبيراً فكان يلزمه القيام بما يمكنه من تلك الأمور، ولا يسقط الميسور بالمعسور.

باب نادر

قال أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد: أخبرني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر، عن فارس بن موسى، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن شيبة، عن محمد ابن يحيى الطوسي، عن محمد بن خالد الدمشقي، عن سعيد بن عبد الرحمن بن خارجة الرقّي، قال: قال معاوية بن فضلة: كنت في الوفد الذين وجّههم عمر بن الخطاب وفتحنا مدينة حلوان، وطلبنا المشركين في الشعب فلم نقدر عليهم، فحضرت الصلاة فانتهيت إلى ماء فنزلت عن فرسي وأخذت بعنانه، ثم توضّأت وأذّنت، فقلت: الله أكبر الله أكبر. فأجابني شيء من الجبل وهو يقول: كبرت تكبيراً: ففزعت لذلك فزعاً شديداً ونظرت يميناً وشمالاً، فلم أر شيئاً، فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله، فأجابني وهو يقول: الآن حين أخلصت. فقلت: أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: نبيّ. فقلت: حيّ على الصلاة. فقال: فريضة افترضت. فقلت: حيّ على الفلاح. فقال: قد أفلح من أجابها، فاستجاب لها. فقلت: قد قامت الصلاة. فقال: البقاء لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وعلى رأسها الساعة.

فلمّا فرغت من أذاني ناديت بأعلى صوتي حتّى أسمعت ما بين لابتي الجبل، فقلت: إنسيّ أم جنّي؟ قال: فأطلع رأسه من كهف الجبل، فقال: ما أنا بجنّي ولكنّي إنسيّ. فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رزيب بن ثملا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام، أشهد أنّ صاحبكم نبيّ، وهو الذي بشّر به عيسى بن مريم، ولقد أردت الوصول إليه فحالت فيما بيني وبينه فارس وكسرى وأصحابه.

ثم أدخل رأسه في كهف فركبت دابّتي ولحقت بالناس وسعد بن أبي وقّاص أميرنا، فأخبرته بالخبر، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، فجاء كتاب عمر يقول: إلحق الرجل. فركب سعد وركبت معه حتّى انتهينا إلى الجبل، فلم نترك كهفاً ولا شعباً ولا وادياً إلاّ التمسناه فيه فلم نقدر عليه، وحضرت الصلاة فلمّا فرغت من صلاتي ناديت بأعلى صوتي: يا صاحب الصوت الحسن والوجه الجميل قد سمعنا منك كلاماً حسناً فأخبرنا من أنت يرحمك الله؟ أقررت بالله ونبيّه صلى الله عليه وآله.

قال: فأطلع رأسه من كهف الجبل فإذا شيخ أبيض الرأس واللحية، له هامة كأنّها رحى، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قلنا: وعليك السلام ورحمة الله، من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رزيب بن ثملا وصيّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام، كان يسأل ربّه لي البقاء إلى نزوله من السماء وقراري في هذا الجبل، وأنا موصيكم سدّدوا وقاربوا وإيّاكم وخصالاً تظهر في أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فإن ظهرت فالهرب الهرب، ليقوم أحدكم على نار جهنّم حتّى تطفأ منه خير له من البقاء في ذلك الزمان. قال معاوية بن فضلة: قلت له: يرحمك الله! أخبرنا بهذه الخصال لنعرف ذهاب دنيانا وإقبال آخرتنا.

قال: نعم، إذا استغنى رجالكم برجالكم، واستغنت نساؤكم بنسائكم، وانتسبتم إلى غير مناسبكم، وتولّيتم إلى غير مواليكم، ولم يرحم كبيركم صغيركم، ولم يوقّر صغيركم لكبيركم، وكثر طعامكم فلم تروه إلاّ بأغلى أسعاركم، وصارت خلافتكم في صبيانكم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلّوا الحرام وحرّموا الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، واتّخذوا القرآن ألحاناً ومزامير في أصواتهم، ومنعتم حقوق الله من أموالكم، ولعن آخر أُمّتكم أوّلها، وزوّقتم المساجد، وطوّلتم المنابر، وحلّيتم المصاحف بالذهب والفضة، وركب نساؤكم السروج، وصار مستشار أُموركم نساؤكم وخصيانكم، وأطاع الرجل امرأته، وعقّ والديه، وضرب الشابّ والديه، وقطع كلّ ذي رحمٍ رحمه، وبخلتم بما في أيديكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وكنزتم الذهب والفضة، وشربتم الخمر، ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر، ومنعتم الزكاة ورأيتموها مغرماً، والخيانة مغنماً، وقُتل البريء لتعتاظ العامّة بقتله، واختسلت قلوبكم فلم يقدر أحد منكم يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وقحط المطر فصار قيظاً، والولد غيظاً، وأخذتم العطاء فصار في السقاط، وكثر أولاد الخبيثة - يعني الزنا - وطففت المكيال، وكلب عليكم عدوّكم، وضربتم بالمذلّة، وصرتم أشقياء، وقلّت الصدقة حتّى يطوف الرجل من الحول إلى الحول ما يعطى عشرة دراهم، وكثر الفجور، وغارت العيون، فعندها نادوا فلا جواب لهم. يعني دعوا فلم يستجب لهم.

قال الكراجكي رحمه الله: اعلم أيّدك الله أنّ قوله في هذا الخبر: ولعن آخر أُمّتكم أوّلها. ممّا يظنّ الناصبي أنّ فيه طعناً علينا، لما نحن فيه من ذمّ الظالمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك ظنّ فاسد؛ لأنّا إنّما نلعن من ثبت عندنا ظلمه، وقد لعن الله تعالى الظالمين في كتابه، فقال: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ من أصحابه من يغيّر بعده ويبدّل ويغوي ويفتن ويضلّ ويظلم ويستحقّ العقاب الأليم والخلود في الجحيم.

فممّا روي عنه في ذلك قوله صلى الله عليه وآله لأصحابه: لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر

(١) سورة هود، الآية: ١٨.

وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضبّ لاتبعتموهم. فقالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟!

وقوله ﷺ: وقد ذكرت عنده فتنة الدجّال: ألا وإنّي لفتنة بعضكم أخوف منّي لفتنة الدجّال.

وقوله ﷺ لأصحابه: إنّكم لمحشورون يوم القيامة حفاة عراة، وإنّه سيجاء برجال من أُمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصحابي! فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

وقوله ﷺ في حجّة الوداع لأصحابه: ألا لأُخبرنّكم ترتدّون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إنّي قد شهدت وغبتم.

وقوله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى.

وقوله ﷺ: يكون لأصحابي بعدي زلة يعمل بها قوم يكبّهم الله عزّوجلّ في النار على مناخرهم.

وحدّثني من طريق العامّة عبد الله بن عثمان بن حماس بمدينة الرملة، عن أبي الحسن أحمد بن محبوب، عن أبي العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، عن كثير بن عبد أبي الحسن الحذّاء، عن محمد بن حمير، عن مسلمة بن علي، عن عمر بن ذرّة، عن فلانة الحرمي، عن أبي مسلم الخولاني، عن أبي عبيدة بن الجرّاح، عن عمر بن الخطاب، قال: أخذ رسول ﷺ بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه، فقال: يا عمر، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، أتاني جبرئيل آنفاً فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، فقلت: أجل، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، فممّ ذاك يا جبرئيل؟ قال: إنّ أُمّتك مفتتنةٌ بعدك بقليل من الدهر غير كثير. فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كلّ سيكون. فقلت: ومن أين ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلّون. وأوّل ذلك من قبل أمرائهم وقرّائهم، يمنع الأُمراء الحقوق فيسأل الناس حقوقهم فلا يعطونها فيفتتنوا ويقتتلوا، ويتّبع القرّاء هوى الأُمراء فيمدّونهم في الغيّ ثم لا يقصرون: فقلت: يا جبرئيل، فبم يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكفّ والصبر، إن أُعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه.

فهذا بعض ما ورد من الأخبار في أنّه كان بعد رسول الله ﷺ من ضلّ وأضلّ، وظلم وغشم، ووجب لعنه والبراءة منه من فعله، فأمّا الوجه الذي يجب أن يحمل عليه ما تضمّنه الخبر الذي أوردناه من قوله ﷺ: ولعن آخر أُمّتكم أوّلها: فهو ما استحلّه الظالمون المبغضون لأمير المؤمنين عليه السلام من لعنه والمجاهرة بسبّه وذمّه. قلت: فلسنا نشكّ في أنّه قد

برئت منه الخوارج ولعنه معاوية ومن بعده من بني أُميّة على المنابر، وتقرّب أكثر الناس إلى ولاة الجور بذمّه، ونشأ أولادهم على سماع البراءة منه وسبّه[١].

٢٥ - باب تفصيل مثالب عثمان وبدعه والاحتجاج بها على المخالفين بما رووه في كتبهم وبعض أحواله

الطعن الأول: أنّه ولّى أُمور المسلمين من لا يصلح لذلك ولا يؤتمن عليه، ومن ظهر منه الفسق والفساد، ومن لا علم له؛ مراعاةً لحرمة القرابة، وعدولاً عن مراعاة حرمة الدين والنظر للمسلمين، حتّى ظهر ذلك منه وتكرّر، وقد كان عمر حذّره من ذلك حيث وصفه بأنّه كلف بأقاربه، وقال له: إذا وليت هذا الأمر فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس[٢] فوقع منه ما حذّره إيّاه، وعوتب عليه فلم ينفع العتب، وذلك نحو استعماله الوليد بن عقبة وتقليده إيّاه حتّى ظهر منه شرب الخمر، واستعماله سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأُمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة، وتوليته عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن عامر بن كريز، حتى روي عنه في أمر ابن أبي سرح أنّه لما تظلّم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر كاتبه بأن يستمر على ولاية[٣] وأبطن خلاف ما أظهر، وهذه طريقة من غرضه خلاف الدين. وروي أنّه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر وغيره ممّن يرد عليه، وظفر بذلك الكتاب، ولذلك عظم التظلّم من بعد وكثر الجمع، وكان ذلك سبب الحصار والقتل، وحتى كان من أمر مروان وتسلّطه عليه وعلى أُموره ما قتل بسببه.

ولا يمكن أن يقال: إنّه لم يكن عالماً بأحوال هؤلاء الفسقة، فإنّ الوليد كان في جميع أحواله من المجاهرين بالفجور وشرب الخمور، وكيف يخفى على عثمان، وهو قريبه ولصيقه وأخوه لأُمّه؟! ولذا قال سعد بن أبي وقّاص في رواية الواقدي وقد دخل الكوفة: يا أبا وهب، أمير أم زائر؟ قال: بل أمير. فقال سعد: ما أدري أحمقتُ بعدك أم كستَ بعدي؟! فقال: ما حمقتَ بعدي ولا كست بعدك، ولكنّ القوم ملكوا فاستأثروا. فقال سعد: ما أراك إلاّ صادقاً.

وفي رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، أنّ الوليد لمّا دخل الكوفة مرّ على مسجد عمرو بن زرارة النخعي فوقف، فقال عمرو: يا معشر بني أسد، بئس ما استقبلنا به أخوكم ابن عفّان، أمن عدله أن ينزع عنّا ابن أبي وقّاص الهيّن الليّن السهل القريب ويبعث علينا بدله أخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر قديماً وحديثاً؟! واستعظم الناس مقدمه، وعزل سعد به، وقالوا: أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أُمّة محمّد ﷺ.

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ج ١ ص ١٤١.

(٢) طبقات ابن سعد، ج ٣ ص ٢٤٧، الرياض النضرة، ج ٢ ص ٧٦.

(٣) هكذا، والظاهر: ولايته.

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة الوليد: أُمّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس، أُمّ عثمان بن عفّان، والوليد بن عقبة أخو عثمان لأُمّه يكنّى أبا وهب، أسلم يوم فتح مكة، وولاّه عثمان بالكوفة وعزل عنها سعد بن أبي وقّاص، فلمّا قدم الوليد على سعد قال له: والله ما أدري أكستَ بعدنا أم حمقنا بعدك؟! فقال: لا تجزعنّ أبا إسحاق، فإنّما هو الملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون. فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً.

قال: وروى جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسّان، عن ابن سيرين، قال: لمّا قدم الوليد بن عقبة أميراً على الكوفة أتاه ابن مسعود فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت أميراً. فقال ابن مسعود: ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس؟.

وله أخبار فيها نكارة وشناعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله غفر الله لنا وله، فلقد كان من رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين، كان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون: كان الوليد بن عقبة فاسقاً شريب خمر، وكان شاعراً كريماً أخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي كثيرة مشهورة يسمج بنا ذكرها ها هنا، ونذكر منها طرفاً: ذكر عمر بن شبية بإسناده عن ابن شوذب، قال: صلّى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم، فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم.

قال: وحدّثنا محمد بن حميد، عن جرير، عن الأجلح، عن الشعبي في حديث الوليد بن عقبة حين شهدوا عليه، فقال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه ... أنّ الوليد أحق بالغدر
نادى وقد تمّت صلاتهم ... أأزيدكم سكراً وما يدري؟
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر

وذكر أبياتاً أُخر في ذلك عنه، ثم قال: وخبر صلاته بهم سكران، وقوله لهم: أزيدكم؟ بعد أن صلّى الصبح أربعاً، مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار.

ثم قال: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن - فيما علمت - أنّ قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾(١) نزلت في الوليد بن عقبة، وذلك أنّه بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً فأخبر عنهم أنّهم ارتدّوا وأبوا من أداء الصدقة، وذلك أنّهم خرجوا إليه فهاجمهم ولم يعرف ما عندهم، فانصرف عنهم وأخبر بما ذكرنا، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت فيهم، فأخبروه أنّهم متمسّكون بالإسلام ونزلت الآية. وروى عن مجاهد وقتادة مثل ما ذكرنا.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

وعن ابن أبي ليلى في وقله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾. قال: نزلت في الوليد بن عقبة ابن أبي معيط.

ومن حديث الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[1]. انتهى كلام ابن عبد البرّ[2].

وقال المسعودي في مروج الذهب: كان عمّاله على أعماله جماعة، منهم: الوليد بن عقبة على الكوفة، وهو ممّن أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه من أهل النار، وعبد الله بن أبي سرح على مصر، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام، وعبد الله بن عامر على البصرة، وصرف عن الكوفة الوليد وولاّها سعيد بن العاص.

وكان السبب في صرف الوليد على ما روي أنّه كان يشرب مع ندمائه ومغنّيه من أوّل الليل إلى الصباح، فلمّا أذّن المؤذّنون للصلاة خرج متفضّلاً في غلائله، فتقدّم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلّى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل: إنّه قال في سجوده وقد أطال: الشراب فأسقني. فقال له بعض من كان خلفه: ما تريد؟ لا زادك الله بخير، والله ما أعجب إلاّ ممّن بعثك إلينا والياً، وعلينا أميراً وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي.

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصى المدينة، وشاع بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر، فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدي وأبو جندب بن زهير الأزدي وغيرهما فوجدوه سكراناً مضجعاً على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ، ثم تقيّأ عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان بن عفّان فشهدوا عنده على الوليد أنّه يشرب الخمر، فقال عثمان: وما يدريكم أن ما شرب خمر؟ فقالوا: هو الخمرة التي كنّا نشرب في الجاهليّة. وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه فزبرهما ودفع في صدورهما، وقال: تنحّيا عنّي! فخرجا وأتيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخبراه بالقصّة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود؟ فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدل بحجّة أقمت عليه الحدّ.

فلمّا حضر الوليد دعاهما فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجّة، فألقى عثمان السوط إلى عليّ عليه السلام، فقال عليّ لابنه الحسن عليه السلام: قم يا بني، فأقم عليه ما أوجب الله عليه. فقال: يكفينيه بعض من ترى. فلمّا نظر عليّ عليه السلام إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحدّ عليه توقّياً لغضب عثمان لقرابته منه أخذ عليّ السوط ودنا منه، فلمّا أقبل نحوه سبّه الوليد وقال: يا

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٢) الاستيعاب، ج ٣ ص ٦٣٤.

صاحب مكث! فقال عقيل بن أبي طالب وكان في من حضر: إنّك لتتكلّم يا بن أبي معيط كأنّك لا تدري من أنت؟ وأنت علج من أهل صفورية.. وكان ذكر أنّ أباه يهوديّ منها، فأقبل الوليد يروغ من عليّ عليه السلام فاجتذبه وضرب به الأرض وعلاه بالسوط، فقال له عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا؟ قال: بلى وشرّ من هذا، إذا فسق ومنع حقّ الله أن يؤخذ منه.

فولّى سعيد بن العاص، فلمّا دخل سعيد الكوفة أبى أن يصعد المنبر إلاّ أن يغسل وأمر بغسله، وقال: إنّ الوليد كان نجساً رجيماً. فلمّا اتّصلت أيّام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور أنكرت عليه، وابتزّ الأموال، وقال في بعض الأيّام أو أنّه كتب إلى عثمان: إنّما هذا السواد قطين لقريش. فقال له الأشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بسيوفنا ومراكز رماحنا بنياناً لك ولقومك؟ ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكباً فذكر سوء سيرة سعيد وسألوه عزله، ومكث الأشتر وأصحابه أيّاماً لا يخرج إليهم من عثمان في سعيد شيء، واتّصلت أيّامهم بالمدينة... إلى آخر القصّة[1].

وروى ابن الأثير في الكامل قصّة شرب الوليد، وقال: الصحيح أنّ الذي جلده هو عبد الله ابن جعفر[2].

وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج روايات عديدة في قصّة الوليد وشربه الخمر ونزول الآية فيه وغير ذلك، حكاها عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني.

ومنها: ما رواه أبو الفرج بإسناده، عن عليّ عليه السلام: أنّ امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تشتكي إليه الوليد، وقالت: إنّه يضربها. فقال لها: ارجعي إليه وقولي له: إنّ رسول الله مدّ يده وقال: اللهمّ عليك بالوليد.. مرّتين أو ثلاثاً.

وعن أبي عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي أنّ الوليد تقيّأ في المحراب لمّا شرب الخمر بالكوفة، وصلّى الصبح أربعاً، وقرأ بالمأمومين رافعاً صوته:

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا

فشخص بعض أهل الكوفة إلى عثمان... إلى آخر القصّة[3].

وعن ابن الأعرابي: أنّ أبا زبيد - وهو أحد ندماء الوليد - وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دار عقيل بن أبي طالب عند باب المسجد واستوهبها منه فوهبها له، وكان ذلك أوّل الطعن عليه من أهل الكوفة، لأنّ أبا زبيد كان يخرج من داره حتّى يشقّ المسجد إلى الوليد، فيسمر عنده ويشرب معه فيخرج ويشقّ المسجد وهو سكران.

وروى في كتاب الاستيعاب بإسناده، عن أبي عثمان، قال: رأيت الذي يلعب بين يدي

(١) مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٥٢. (٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٥٣.
(٣) الأغاني للأصفهاني، ج ٥ ص ٨٤-١٠٩.

الوليد بن عقبة فيري أنّه يقطع رأسه رجل ثم يعيده، فقام إليه جندب بن كعب فضرب وسطه بالسيف، وقال: قولوا له فليحيي نفسه الآن. قال: فحبس الوليد جندباً وكتب إلى عثمان، فكتب عثمان: أن خلّ سبيله، فتركه.

وبإسناده عن إبراهيم، قال: كان ساحر يلعب بين يدي الوليد يريهم أنّه يدخل في فم الحمار ويخرج من ذنبه أو من دبره، ويدخل في است الحمار ويخرج من فيه، ويريهم أنّه يضرب رأس نفسه فيرمي به ثم يشتدّ فيأخذه ثم يعيده مكانه، فانطلق جندب إلى الصيقل وسيفه عنده، فقال: وجب أجرك فهاته. قال: فأخذه واشتمل عليه، ثم جاء إلى الساحر مع أصحابه وهو في بعض ما كان يصنع، فضرب عنقه، فتفرّق أصحاب الوليد ودخل هو البيت، وأُخذ جندب وأصحابه فسجنوا، فقال لصاحب السجن: قد عرفت السبب الذي سجنّا فيه، فخلّ سبيل أحدنا حتّى يأتي عثمان. فخلّى سبيل أحدهم، فبلغ ذلك الوليد فأخذ صاحب السجن فصلبه، قال: وجاء كتاب عثمان: أن خلّ سبيلهم ولا تعرض لهم، ووافى كتاب عثمان قبل قتل المصلوب فخلّى سبيله(١).

وقال المسعودي: ضرب عنق السجّان وصلبه بالكناسة(٢).

وقال ابن عبد البرّ في ترجمة سعيد بن العاص: كان سعيد هذا أحد أشراف قريش استعمله عثمان على الكوفة ثم عزله، وولي الوليد بن عقبة فمكث مدّة ثم شكاه أهل الكوفة فعزله وردّ سعيداً فردّه أهل الكوفة وكتبوا إلى عثمان: لا حاجة لنا في سعيدك ولا وليدك. وكان في سعيد تجبّر وغلظة وشدّة سلطان(٣).

وروى ابن أبي الحديد، عن الواقدي والمدائني وابن الكلبي وغيرهم، قال: وذكره الطبري في تاريخه، وغيره من المؤرّخين، أنّ علياً عليه السلام لمّا ردّ المصريّين رجعوا بعد ثلاثة أيّام فأخرجوا صحيفة في أنبوبة رصاص، وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالموضع المعروف بالبُوَيْب على بعير من إبل الصدقة، ففتّشنا متاعه، لأنّنا استربنا بأمره فوجدنا فيه هذه الصحيفة. ومضمونها: أمر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو ابن الحمق، وحَلْق رؤوسهما ولحاهما وحبسهما، وصلب قوم آخرين من أهل مصر. وقيل: إنّ الذي أُخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي.

وجاء الناس إلى عليّ عليه السلام وسألوه أن يدخل إلى عثمان فيسأله عن هذه الحال، فقام فجاء إليه فسأله، فأقسم بالله ما كتبت ولا أمرت، فقال محمد بن مسلمة: صدق، هذا من عمل مروان. فقال: لا أدري. وكان أهل مصر حضوراً، فقالوا: أفيجترئ عليك ويبعث غلامك على جمل من إبل الصدقة، وينقش على خاتمك، ويبعث إلى عاملك بهذه الأمور

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، ج ١ ص ٢١٨.
(٢) مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٥٤.
(٣) الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢ ص ٩.

العظيمة وأنت لا تدري؟! قال: نعم. قالوا: إنّك إمّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققتَ الخلع لما أمرت به من قتلنا وعقوبتنا بغير حقّ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك، وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من يقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك منه... إلى آخر الخبر(١).

الطعن الثاني: أنّه لو لم يقدم عثمان على أحداث توجب خلعه والبراءة منه لوجب على الصحابة أن ينكروا على من قصده من البلاد متظلّماً، وقد علمنا أنّ بالمدينة قد كان كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ولم ينكروا على القوم بل أسلموه ولم يدفعوا عنه، بل أعانوا قاتليه ولم يمنعوا من قتله، وحصروه ومنعوا الماء عنه وتركوه بعد القتل ثلاثة أيّام لم يدفن، مع أنّهم متمكّنون من خلاف ذلك، وذلك من أقوى الدلائل على ما ذكر، ولو لم يكن في أمره، إلاّ ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: الله قتله وأنا معه. وأنّه كان في أصحابه من يصرّح بأنّه قتل عثمان ومع ذلك لا يقيدهم ولا ينكر عليهم، وكان أهل الشام يصرّحون بأنّ مع أمير المؤمنين قتلة عثمان، ويجعلون ذلك من أوكد الشبه ولا ينكر عليهم، مع أنّا نعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو أراد منعهم من قتله والدفع عنه مع غيره لما قتل، فصار كفّه عن ذلك مع غيره من أدلّ الدلائل على أنهم صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث، وأنّهم لم يقبلوا ما جعله عذراً، ولا يشكّ من نظر في أخبار الجانبين في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن كارهاً لما وقع في أمر عثمان.

فقد روى السيّد رحمه الله في الشافعي، عن الواقدي، عن الحكم بن الصلت، عن محمد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، قال: رأيت عليّاً عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حين قتل عثمان وهو يقول: ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه.

وقد روى محمد بن سعد، عن عفّان، عن حرير بن بشير، عن أبي جلدة، أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول وهو يخطب فذكر عثمان وقال: والله الذي لا إله إلاّ هو ما قتلته ولا مالأت على قتله، ولا ساءني(٢).

ورواه أبو بشير، عن عبيدة السلماني، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: من كان سائلي عن دم عثمان فإنّ الله قتله وأنا معه.

وقد روي هذا اللفظ من طرق كثيرة، وقد رواه شعبة، عن أبي حمزة الضبعي، قال: قلت لابن عباس: إنّ أبي أخبرني أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: ألا من كان سائلي عن دم عثمان فإنّ الله قتله وأنا معه. قال: صدق أبوك، هل تدري ما يعني بقوله؟ إنّما عنى أنّ الله قتله وأنا مع الله.

قال السيّد رحمه الله: فإن قيل: كيف يصحّ الجمع بين معاني هذه الأخبار؟ قلنا: لا تنافي بين الجميع، لأنّه تبرّأ من مباشرة قتله والمؤازرة عليه، ثم قال: ما أمرت بذلك ولا نهيت عنه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٣٦٢.
(٢) الشافي، ج ٤ ص ٣٠٧.

يريد أنّ قاتليه لم يرجعوا إليّ ولم يكن منّي قول في ذلك بأمر ولا نهي، فأمّا قوله: الله قتله وأنا معه.. فيجوز أن يكون المراد الله حكم بقتله وأوجبه وأنا كذلك! لأنّ من المعلوم أنّ الله لم يقتله على الحقيقة، فإضافة القتل إلى الله لا يكون إلاّ بمعنى الحكم والرضا، وليس يمتنع أن يكون ممّا حكم الله به ما لم يتولّه بنفسه، ولا أزر عليه، ولا شايع فيه.

فإن قال: هذا ينافي قوله عليه السلام: ما أحببت قتله ولا كرهته.. وكيف يكون من حكم الله وحكمه أن يقتل وهو لا يحبّ قتله؟

قلنا: يجوز أن يريد بقوله: ما أحببت قتله ولا كرهته.. أنّ ذلك لم يكن منّي على سبيل التفصيل ولا خطر لي ببال، وإن كان على سبيل الجملة يحبّ قتل من غلب على أمور المسلمين، وطالبوه بأن يعتزل، لأنّه بغير حقّ مستولٍ عليهم فامتنع من ذلك، ويكون فائدة هذا الكلام التبرّؤ من مباشرة قتله والأمر به على سبيل التفصيل أو النهي، ويجوز أن يريد، أنّني ما أحببت قتله إن كانوا تعمّدوا القتل ولم يقع على سبيل الممانعة وهو غير مقصود، ويريد بقوله: ما كرهته.. أنّي لم أكرهه على كلّ حال ومن كلّ وجه[1]. انتهى.

وأقول: يمكن أن يكون المعنى: إنّي ما أحببت قتله لتضمّنه الفتن العظيمة التي نشأت بعد قتله من ارتداد آلاف من المسلمين وقتلهم وعدم استقرار الخلافة عليه صلوات الله عليه، ولا كرهته لأنّه كان كافراً مستحقّاً للقتل، فلا تنافي بين الأمرين.

وأمّا تركه غير مدفون ثلاثة أيّام:

فقد رواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب قال: لمّا قتل عثمان ألقي على المزبلة ثلاثة أيّام، فلمّا كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً فيهم حويطب بن عبد العزّى، وحكيم بن حزام وعبد الله ابن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم فلمّا ساروا إلى المقبرة ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن: والله لئن دفنتموه ها هنا لنخبرنّ الناس غداً. فاحتملوه - وكان على باب وإنّ رأسه على الباب ليقول طق طق - حتى ساروا به إلى حُشّ كوكب فاحتفروا له، وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح في حقّ، فلمّا أخرجوه ليدفنوه صاحت، فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك. قال: فسكتت، فدفن[2].

وروى ابن أبي الحديد، عن محمد بن جرير الطبري، قال: بقي عثمان ثلاثة أيام لا يدفن، ثم إنّ حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلّما عليّاً عليه السلام في أن يأذن في دفنه ففعل، فلمّا سمع الناس بذلك قعد له قوم في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، ومعهم الحسن بن عليّ عليه السلام وابن الزّبير وأبو جهم بن حذيفة بين المغرب والعشاء، فأتوا به حائطاً من

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٣٠٨.

(٢) الاستيعاب، ج ٣ ص ٨٠.

حيطان المدينة، يعرف بحشّ كوكب، وهو خارج البقيع، فصلّوا عليه، وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه، فأرسل عليّ عليه السلام فمنع من رجم سريره، وكفّ الذين راموا منع الصلاة عليه، ودفن في حشّ كوكب، فلمّا ظهر معاوية على الإمرة أمر بذلك الحائط فهدم وأُدخل في البقيع، وأمر الناس فدفنوا موتاهم حول قبره حتّى اتّصل بمقابر المسلمين بالبقيع.

وقيل: إنّ عثمان لم يغسّل، وإنّه كفّن في ثيابه التي قتل فيها(١).

وقد روى ذلك ابن الأثير في الكامل والأعثم الكوفي في الفتوح مطابقاً لما حكاه ابن أبي الحديد، وزاد الأعثم: إنّهم دفنوه بعدما ذهب الكلاب بإحدى رجليه، وقال: صلّى عليه حكيم بن حزام أو جبير بن مطعم(٢).

ولا يخفى على ذي مسكة من العقل دلالته على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان راضياً بكونه مطروحاً ثلاثة أيّام على المزبلة، بل على أنّه لم يأذن في دفنه إلاّ بعد الأيّام الثلاثة، فلو كان أمير المؤمنين عليه السلام معتقداً لصحّة إمامته، بل لو كان يراه كأحد من المسلمين ومن عرض الناس لما رضي بذلك بل كان يعجّل في تجهيزه ودفنه، ويأمر بدفنه في مقابر المسلمين حتى لا يلتجئ المجهّزون له إلى دفنه في حشّ كوكب.

والحشّ هو المخرج، وكان ذلك الموضع بستاناً كان الناس يقضون الحوائج فيه كما هو دأبهم في قضاء الحاجة في البساتين، وكوكب اسم رجل من الأنصار، كما ذكره في الاستيعاب.

والإمام الذي رضي له أمير المؤمنين عليه السلام بمثل تلك الحال فحاله غير خفيّ على أُولي الألباب، ولا ريب في أنّه لو لم يكن عليه السلام راضياً بقتله لجاهد قاتليه، فإنّه ليس في المنكرات أشنع وأقبح من قتل إمام فرض الله طاعته على العالمين، وحكم الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ من مات ولم يعرفه كان ميتته ميتة جاهليّة، وقد صرّح عليه السلام في كثير من كلماته بأنّه لم ينه عن قتله ولم ينصره، وأنّه كان في عزلة عن أمره كما سيأتي.

وهل يريب اللبيب في أنّه عليه السلام لو كان نصره أو أنكر قتله لبالغ في إظهار ذلك للناس وفي مكاتباته إلى معاوية، فإنّه لم يكن لمعانديه عليه السلام شبهة أقوى من اتّهامه بقتل عثمان، وإنّما كان عليه السلام يقتصر على التبرّي من قتله، لأنّه لم يكن من المباشرين، وذلك ممّا لا يرتاب فيه من له معرفة بالسير والآثار. وحينئذٍ فالكفّ عن نصرة عثمان والذبّ عنه إمّا مطعن لا مخلص عنه في من يدور الحقّ معه حيثما دار في أعيان الصحابة الكبار، حيث لم يدفعوا شرذمة قليلة

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٣٦٨.
(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٩١، تاريخ ابن الأعثم، ج ١ ص ٤٣٠.

عن إمامهم في دار عزّهم حتى قتلوه أهون قتلة، وطرحوه في المزابل، ولم يتمكّن رهطه وعشيرته من دفنه في مقابر المسلمين. أو هو قدح في ذلك الإمام حيث اختلس الخلافة وغصبها من أهلها ولم يخلع نفسه منها.

فلينظر الناصرون له في أمرهم بعين الإنصاف، وليتحرّزوا عن اللجاج والاعتساف.

الطعن الثالث: أنّه ردّ الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ، وقد امتنع أبو بكر من ردّه، فصار بذلك مخالفاً للسنّة ولسيرة من تقدّمه، وقد شرط عليه في عقد البيعة اتّباع سيرتهما.

قال السيّد ﵀ في الشافي: روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أنّ الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبيّ ﷺ إلى الطائف، وقال: لا يساكنني في بلد أبداً. فجاءه عثمان فكلّمه فأبى، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك، ثم كان من عمر مثل ذلك، فلمّا قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه، فمشى في ذلك عليّ ﵇ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعمّار بن ياسر حتى دخلوا على عثمان، فقالوا له: إنّك قد أدخلت هؤلاء القوم - ايعنون الحكم ومن معه - وقد كان النبيّ ﷺ أخرجهم وأبو بكر وعمر، وإنّا نذكّرك الله والإسلام ومعادك، فإن لك معاداً ومنقلباً، وقد أبت ذلك الولاة قبلك ولم يطمح أحد أن يكلّمهم فيهم، وهذا شيء نخاف الله عليك فيه. فقال عثمان: إنّ قرابتهم منّي حيث تعلمون، وقد كان رسول الله حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم، وإنّما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم، ولن يضرّكم مكانهم شيئاً، وفي الناس من هو شرّ منهم.

فقال عليّ ﵇: لا أجد شرّاً منه ولا منهم. ثم قال عليّ ﵇: هل تعلم عمر يقول: والله ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب الناس، ووالله إن فعل ليقتلنّه؟ قال: فقال عثمان: ما كان أحد منكم يكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه وينال من القدرة ما أنال إلاّ أدخله، وفي الناس من هو شرّ منه. قال: فغضب عليّ ﵇، وقال: والله لتأتينا بشرّ من هذا إن سلمت، وسترى يا عثمان غبّ ما تفعل. ثم خرجوا من عنده(١).

وما ادّعاه بعض المتعصّبين من أنّ عثمان اعتذر بأنّه استأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فليس في الكتب منه عين ولا أثر، وهذا الخبر ليس فيه إلاّ أنّ الرسول أطمعه في ردّه، ثم صرّح بأنّ القرابة هي الموجبة لردّه ومخالفته رسول الله ﷺ.

وقال السيّد: وقد روي من طرق مختلفة أنّ عثمان لمّا كلّم أبا بكر وعمر في ردّ الحكم أغلظا له وزبراه، وقال له عمر: يخرجه رسول الله ﷺ وتأمرني أن أدخله؟! والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل: غيّر عهد رسول الله ﷺ. والله لأن أشقّ باثنتين كما تشقّ الأبلُمَة أحبّ إليّ من أن أخالف رسول الله ﷺ أمراً، وإيّاك يا بن عفّان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٦٩.

وما رأينا عثمان قال في جواب هذا التعنيف والتوبيخ من أبي بكر وعمر: إنّ عندي عهداً من الرسول ﷺ لا أستحقّ معه عتاباً ولا تهجيناً.. وكيف تطيب نفس مسلم موقّر لرسول الله ﷺ معظّم له بأن يأتي إلى عدوّ لرسول الله ﷺ يصرّح بعداوته والوقيعة فيه حتى يبلغ به الأمر إلى أن كان يحكي مشية رسول الله ﷺ فطرده وأبعده ولعنه حتى صار مشهوراً بأنّه طريد رسول الله ﷺ، فيكرمه ويردّه إلى حيث أُخرج منه، ويصله بالمال العظيم، إمّا من مال المسلمين أو من ماله؟ إنّ هذا لعظيم كبير![1].

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس عمّ عثمان وأبو مروان بن الحكم، كان من مسلمة الفتح، وأخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده فنزل الطائف، وخرج معه ابنه مروان، وقيل: إنّ مروان ولد بالطائف فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولي عثمان فردّه إلى المدينة وبقي فيها وتوفّي في آخر خلافة عثمان.

واختلف في السبب الموجب لنفي الرسول ﷺ إيّاه، فقيل: كان يتحيّل ويختفي ويتسمّع ما يسرّه رسول الله ﷺ إلى كبائر أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفّار وفي المنافقين، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته.. إلى أُمور غيرها كرهت ذكرها، ذكروا أنّ النبيّ ﷺ كان إذا يمشي يتكفّأ وكان الحكم يحكيه، فالتفت النبيّ ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك، فقال ﷺ: فكذلك فلتكن. فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذٍ، ثم روى أخباراً في لعنه[2].

وأمّا التمسّك بالاجتهاد في هذا الباب فهو أوهن وأهجن؛ لأنّ الرسول ﷺ إذا حظر شيئاً أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد في خلافه، ولو سوّغنا الاجتهاد في مقابل النصّ لم نأمن أن يؤدّي الاجتهاد إلى تحليل الخمر وإسقاط الصلاة، وإنّما يجوز الاجتهاد عندهم فيما لا نصّ فيه كما ذكره السيد رحمه الله.

وقد ورد في أخبارنا إيواء عثمان المغيرة بن أبي العاص، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك ولعن من يحمله ومن يطعمه ومن يسقيه وأهدر دمه.. وفعل جميع ذلك، وقتل رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وزنى بجاريتها وقد مرّت في باب أحوالها عليها السلام.

الطعن الرابع: ما صنع بأبي ذر رضي الله عنه من الإهانة والضرب والاستخفاف والتسيير مع علوّ شأنه الذي لا يخفى على أحد.

فقد روى السيد رحمه الله في الشافي وابن أبي الحديد في شرح النهج واللفظ للسيد، أنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشّر الكافرين بعذاب

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٧٠. (٢) الاستيعاب، ج ١ ص ٣١٧.

أليم. ويتلو قول الله عزّوجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(١)، فرفع ذلك مروان إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذرّ نائلاً مولاه: أن انته عمّا يبلغني. فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله، فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخيرٌ لي من أن أرضي عثمان بسخط الله! فأغضب عثمان ذلك، فأحفظه وتصابر، وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضاه؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذرّ: يابن اليهوديّين، أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولُّعك بأصحابي، إلحق بالشام. فأخرجه إليها، فكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذرّ: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلةً فلا حاجة لي فيها. وردّها عليه.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذرّ: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهو الإسراف. وكان أبو ذرّ رحمه الله تعالى يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله وفي سنّة نبيّه ﷺ، والله إنّي لأرى حقّاً يطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذّباً، وأثرة بغير تقىً، وصالحاً مستأثراً عليه.

وقال حبيب بن مسلمة الفهريّ لمعاوية: إنّ أبا ذرّ لمفسدٌ عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم فيه حاجة. فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد، فاحمل جنيدباً إليّ أغلظ مركب وأوعره. فوجّه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلاّ قتب، حتّى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد، فلمّا قدم أبو ذرّ المدينة بعث إليه عثمان أن الحق بأيّ أرضٍ شئت. فقال: بمكة؟ قال: لا. قال: فبيت المقدس؟ قال: لا. قال: فبأحد المِصرين؟ قال: لا، ولكنّي مسيّرك إلى الرَّبذة. فسيّره إليها، فلم يزل بها حتّى مات.

وفي رواية الواقدي، أنّ أبا ذرّ لمّا دخل على عثمان قال له: لا أنعم الله بك عيناً يا جندب. فقال أبو ذرّ: أنا جندب وسمّاني رسول الله ﷺ: عبد الله، فاخترت اسم رسول الله الذي سمّاني به على اسمي. فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنّا نقول: إنّ يد الله مغلولة وإنّ الله فقير ونحن أغنياء؟! فقال أبو ذرّ: لو كنتم لا تزعمون، لأنفقتم مال الله على عباده، ولكنّي أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خَوَلاً، ودين الله دَخَلاً، ثم يريح الله العباد منهم. فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبيّ الله ﷺ؟ فقالوا: ما سمعناه. فقال عثمان: ويلك يا أبا ذرّ! أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذرّ لمن حضر: أما تظنّون أنّي صدقت؟ فقالوا: لا والله ما

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

ندري، فقال عثمان: ادعوا لي علياً. فدعي، فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذرّ: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فحدّثه، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: هل سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: لا، وصدق أبو ذرّ. فقال: كيف عرف صدقه؟ فقال: لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذرّ. فقال من حضر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله جميعاً: لقد صدق أبو ذرّ. فقال أبو ذرّ: أُحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم تتّهموني؟ ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله!

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده، عن صهبان مولى الأسلميّين، قال: رأيت أبا ذرّ يوم دُخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟ فقال له أبو ذرّ: قد نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشّني. فقال عثمان: كذبت، ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها، قد قلبت الشام علينا. فقال له أبو ذرّ: اتّبع سنّة صاحبيك، لا يكون لأحدٍ عليك كلام. فقال له عثمان: ما لك ولذلك لا أُمّ لك؟ فقال أبو ذرّ: والله ما وجدت لي عذراً إلاّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من الأرض. فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً، فقال: أُشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(١). فأجابه عثمان بجوابٍ غليظ لم أُحبّ أن أذكره، وأجابه عليّ عليه السلام بمثله.

ثمّ إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذرّ ويكلّموه، فمكث كذلك أيّاماً، ثم أمر أن يُؤتى به، فلمّا أُتي به ووقف بين يديه، قال: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنّك لتبطش بي بَطْش جبّار فقال: اخرج عنّا من بلادنا. فقال أبو ذرّ: فما أبغض إليّ جوارك فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ فقال: إنّما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، أفأردّك إليها؟ قال: إذن أخرج إلى العراق؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبهة وطعن على الأئمّة. قال: فأخرج إلى مصر؟ قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت. فقال أبو ذرّ: هو إذن التعرّب بعد الهجرة، أخرج إلى نجد؟ فقال عثمان: الشرف الشرف الأبعد، أقصى فأقصى. فقال أبو ذرّ: قد أبيت ذلك عليّ. قال: امض على وجهك هذا، ولا تعدون الرّبذة. فخرج إليها.

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

أقول: الجواب الغليظ الذي لم يحبّ ذكره هو قوله (. . .) بفيك التراب وقوله عليه السلام: بل بفيك التراب. كما رواه في تقريب المعارف.

ثم قال: وروى الواقدي، عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة أنّ أبا الأسود الدؤليّ قال: كنت أُحبّ لقاء أبي ذرّ لأسأله عن سبب خروجه، فنزلت الرّبذة، فقلت له: ألا تخبرني، خرجت من المدينة طائعاً أو أُخرجت؟ قال: أما إنّي كنت في ثغر من الثغور أُغني عنهم، فأُخرجت إلى مدينة الرسول، فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأُخرجت منها إلى ما ترى. ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وآله، فضربني برجله، فقال: لا أراك نائماً في المسجد. فقلت: بأبي أنت وأمّي، غلبتني عيني فنمت فيه. فقال: كيف تصنع إذا أخرجوك؟ فقلت: إذن ألحق بالشام، فإنّها أرض مقدّسة، وأرض بقية الإسلام، وأرض الجهاد. فقال: كيف بك إذا أخرجوك منها؟ قال: فقلت له: أرجع إلى المسجد. قال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضرب به. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلّك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع. . . فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقينّ الله عثمان وهو آثم في جنبي.

وكان يقول بالرّبذة: ما ترك الحقّ لي صديقاً. وكان يقول فيها: ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً. . . ثم قال السيد رحمه الله: والأخبار في هذا الباب أكثر من أن نحصرها وأوسع من أن نذكرها[1].

أقول: وروى المسعودي في مروج الذهب أبسط من ذلك إلى أن قال: لمّا ردّ عثمان أبا ذر رحمه الله إلى المدينة على بعير عليه قتب يابس، معه خمسمائة من الصقالبة يطردون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد يتلف، فقيل له: إنّك تموت من ذلك! فقال: هيهات! لن أموت حتى أُنفى. وذكر ما ينزل به من هؤلاء فيه، وساق الحديث إلى قوله: فقال له عثمان: وارِ وجهك عنّي. قال: أسير إلى مكة. قال: لا والله. قال: فإلى الشام؟ قال: لا والله. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا والله. فاختر غير هذه البلدان. قال: لا و الله لا أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان. فسيّرني حيث شئت من البلاد. قال: إنّي مسيّرك إلى الرّبذة. قال: الله أكبر! صدق رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ. قال: وما قال لك؟ قال: أخبرني أنّي أُمنع من مكة والمدينة وأموت بالرّبذة، ويتولّى دفني نفر يردون من العراق إلى نحو الحجاز.

وبعث أبو ذرّ إلى جمل (له) فحمل عليه امرأته، وقيل: ابنته، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الرّبذة، ولمّا طلع عن المدينة ومروان يسيّره عنها طلع عليه عليّ بن أبي

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٩٣-٢٩٨.

طالب عليه السلام وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر، فاعترض مروان وقال: يا عليّ إنّ أمير المؤمنين ينهى الناس أن يمنحوا أبا ذرّ أو يسقوه، فإن كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه السوط، فضرب بين أُذني ناقة مروان وقال: تنحّ، نحّاك الله إلى النار. ومضى مع أبي ذرّ فشيّعه ثم ودّعه وانصرف، فلمّا أراد عليّ عليه السلام الانصراف بكى أبو ذرّ وقال: رحمكم الله أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ عليه السلام، فقال عثمان: يا معشر المسلمين، مَن يعدوني من عليّ؟ ردّ رسولي عمّا وجّهته له، وفعل وفعل، والله لنعطيه حقّه. فلمّا رجع عليّ استقبله الناس وقالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذرّ. فقال علي عليه السلام: غضب الخيل على اللجم. فلمّا كان بالعشيّ وجاء عثمان قال: ما حملك على ما صنعت بمروان؟ ولم اجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري؟ فقال: أمّا مروان فاستقبلني بردّي، فرددته عن ردّي، وأمّا أمرك لم أردّه. فقال عثمان: ألم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ وعن تشييعه؟ فقال عليّ عليه السلام: أوكلّما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك، لعمر الله ما نفعل. فقال عثمان: أقد مروان. قال: وممّ أُقيده؟ قال: ضربت بين أُذني راحلته وشتمته فهو شاتمك وضارب بين أُذني راحلتك! قال عليّ عليه السلام: أمّا راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل، وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنّك بمثله لا كذب فيه ولا أقول إلاّ حقاً.

قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته؟ فوالله ما أنت بأفضل عندي منه! فغضب عليّ عليه السلام وقال: لي تقول هذا القول؟! أمروان يُعدل بي؟! فلا والله أنا أفضل منك وأبي أفضل من أبيك، وأمّي أفضل من أمّك، وهذه نبلي قد نثلتها فانثل نبلك. فغضب عثمان واحمرّ وجهه وقام فدخل، وانصرف عليّ عليه السلام فاجتمع إليه أهل بيته ورجال المهاجرين والأنصار، فلمّا كان من الغد واجتمع الناس [إلى عثمان] شكا إليهم علياً عليه السلام وقال: إنّه يغشّني ويظاهر من يغشّني. يريد بذلك أبا ذرّ وعمّاراً أو غيرهما، فدخل الناس بينهما حتى اصطلحا. وقال عليّ عليه السلام: والله ما أردت بتشييعي أبا ذرّ إلاّ الله تعالى. انتهى[1].

وقد مرّ في باب أحوال أبي ذرّ تلك القصّة وفضائله ومناقبه من طرق أهل البيت عليهم السلام.

وروى ابن الأثير في جامع الأصول برواية الترمذي، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرّ، أشبه عيسى في ورعه. قال عمر: أفنعرف ذلك له يا رسول الله؟ قال: نعم، فاعرفوا له.

وعن بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم.

---

(١) مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٥٧.

قيل: يا رسول الله، سمِّهم لنا؟ قال: عليّ منهم- يقول ذلك ثلاثاً - وأبو ذرّ والمقداد وسلمان، أمرني بحبّهم وأخبرني أنّه يحبّهم.

وعن ابن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق من أبي ذرّ. قال: أخرجه الترمذي.

وعن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ، شبيه عيسى بن مريم. فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله، أفنعرف ذلك له؟ قال: نعم، فاعرفوه.

قال: أخرجه الترمذي، وقال: قد روى بعضهم هذا الحديث فقال: أبو ذرّ يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم[1].

أقول: وإذا كان أبو ذرّ رضوان الله عليه من الذين يحبّهم الله وأمر رسوله بحبّهم فإيذاؤه والإهانة به في حكم المعاداة لله ولرسوله، وإذا كان أصدق الناس لهجةً فحال من شهد عليه بالكذب والضلال معلوم، وما اشتملت عليه القصّة من منازعته مع أمير المؤمنين عليه السلام وشتمه يكفي في القدح فيه ووجوب لعنه.

الطعن الخامس: أنّه ضرب عبد الله بن مسعود حتّى كسر بعض أضلاعه، وقد رووا في فضله في صحاحهم أخباراً كثيرة، وكان ابن مسعود يذمّه ويشهد بفسقه وظلمه.

قال السيد رحمه الله في الشافي: قد روى كلّ من روى السيرة من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم أنّ ابن مسعود كان يقول: ليتني وعثمان برمل عالج يحثو عليّ وأحثو عليه حتى يموت الأعجز منّي ومنه.

ورووا أنّه كان يطعن عليه فيقال له: ألا خرجت إليه لنخرج معك؟ فيقول: والله لأن أزاول جبلاً راسياً أحبّ إليّ من أن أزاول ملكاً مؤجّلاً. وكان يقول في كلّ يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً: إنّ أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمّد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار. وإنّما كان يقول ذلك معرضاً بعثمان حتى غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه ونهاه عن خطبته هذه فأبى أن ينتهي، فكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان يستقدمه عليه.

وقد روي عنه من طرق لا تحصى كثرةً أنّه كان يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح بعوضة.

وأوصى عند موته أن لا يصلّي عليه عثمان، ولمّا أتاه عثمان في مرضه وطلب منه الاستغفار قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي.

---

(١) جامع الأصول، ج ٨ ص ٥٦٧ ح ٦٣٧٧، وسنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي ذر رضي الله عنه، ج ٢ ص ٢١٣.

وروى الواقدي بإسناده، وغيره، أنّ عثمان لمّا استقدمه المدينة دخلها ليلة جمعة، فلمّا علم عثمان بدخوله، قال: أيّها الناس، إنّه قد طرقكم الليلة دويبة من تمرّ على طعامه تقيء وتسلح. فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكنّي صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، وصاحبه يوم أُحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين.

قال: وصاحت عائشة: أيا عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ؟! فقال عثمان: اسكتي. ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود: أخرجه إخراجاً عنيفاً. فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه. فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكفار بأمر عثمان.

وفي رواية أُخرى، أنّ ابن زمعة الذي فعل به ما فعله كان مولىً لعثمان أسود، وكان مشذّباً طوالاً.

وفي رواية، أنّ فاعل ذلك يحموم مولى عثمان. وفي رواية، أنّه لمّا احتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله: أنشدك الله أن تخرجني من مسجد خليلي رسول الله ﷺ. قال الراوي: فكأنّي أنظر إلى حموشة ساقي عبد الله بن مسعود ورجلاه يختلفان على عنق مولى عثمان حتى أُخرج من المسجد، وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: لساقا ابن أُمّ عبد أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أُحد.

وقد روى محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي: أنّ عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذرّ، وهذه قصّة أُخرى؛ وذلك أنّ أبا ذرّ لمّا حضرته الوفاة بالرّبذة وليس معه إلاّ امرأته وغلامه أوصى إليهما أن غسّلاني ثم كفّناني ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأوّل ركبٍ يمرّون بكم قولا لهم: هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. فلمّا مات فعلا ذلك، وأقبل ابن مسعود في ركبٍ من العراق معتمرين، فلم يرعهم إلاّ الجنازة على قارعة الطريق قد كادت الإبل تطؤها، فقام إليهم العبد، فقال: هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله ﷺ، قال: تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فواروه[1]. هذا بعض ما رواه في الشافي آخذاً من كتبهم المعتبرة[2].

وقد رووا في أُصولهم المشهورة كجامع الأُصول والاستيعاب وصحاحهم المتداولة مناقب جمّة لابن مسعود لم ينقلوا مثلها لعثمان تركناها مخافة الإطناب، فضربه وإخراجه وإهانته وإيذاؤه من أعظم الطعون على عثمان (...).

الطعن السادس: ما صنع بعمّار بن ياسر رضي الله عنه الذي أطبق المؤالف والمخالف على

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٧٩-٢٨٣.

(٢) كأنساب الأشراف للبلاذري، ج ٥ ص ٣٦ وابن كثير في تاريخه، ج ٧ ص ١٦٣. وتاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٤٧ وتاريخ الخميس، ج ٢ ص ٢٦٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٧.

فضله وعلوّ شأنه، ورووا أخباراً مستفيضة دالّة على كرامته وعلوّ درجته.

قال السيد رحمه الله في الشافي: ضرْب عمّار ممّا لم يختلف فيه الرواة وإنّما اختلفوا في سببه. فروى عباس عن هشام الكلبي، عن أبي مخنف في إسناده أنّه كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلّ كلام شديد حتى غضب فخطب، وقال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام. فقال له عليّ عليه السلام: إذن تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه. فقال عمّار: أُشهد الله أنّ أنفي أوّل راغم من ذلك. فقال عثمان: أعليّ يابن ياسر وسميّة تجتري؟ خذوه. فأخذوه، ودخل عثمان فدعا به وضربه حتّى غشي عليه، ثم أُخرج فَحمل إلى منزل أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب، فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال: الحمد لله، ليس هذا أوّل يوم أُذينا فيه في الله تعالى.

فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم: يا عثمان أمّا عليّ فاتّقيته، وأمّا نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أُميّة عظيم الشأن. فقال عثمان: وإنّك لها هنا يا بن القسرية! قال: فإنّهما قسريّتان. وكانت أُمّه وجدّته قسريّتين من بجيلة، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج، فأُتي به أمّ سلمة فإذا هي قد غضبت لعمّار، وبلغ عائشة ما صنع بعمّار فغضبت، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله ونعلاً من نعاله وثوباً من ثيابه، وقال: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم، وهذا ثوبه وشعره ونعله لم يبل بعد.

وروى آخرون أنّ السبب في ذلك أنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه، فقيل: عبد الله بن مسعود. فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه، فعندها وطئ عثمان عمّاراً حتّى أصابه الفتق.

وروى آخرون: أنّ المقداد وطلحة والزبير وعمّاراً وعدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه، وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمّار الكتاب فأتاه به فقرأ منه صدراً، فقال عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟ فقال: لأنّي أنصحهم لك. فقال: كذبت يابن سميّة. فقال: أنا والله ابن سميّة وأنا ابن ياسر. فأمر غلمانه، فمدّوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهما في الخفّين على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه.

ثم قال رحمه الله: وقد روي من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أنّ عماراً كان يقول: ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع، وأنا شرّ الأربعة، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، وأنا أعد أنّه قد حكم بغير ما أنزل الله.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

وروي عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنّه قيل له: بأيّ شيء أكفرتم عثمان؟ فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله.

ثم ساق السيّد الكلام إلى أن قال: فلا عذر يسمع من إيقاع نهاية المكروه بمن روي أنّ النبيّ ﷺ قال فيه: عمّار جلدة ما بين العين والأنف، ومتى تنكى الجلدة تدم الأنف.. وروي أنّه قال ﷺ: ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار؟! وروي عن خالد أنّ رسول الله ﷺ قال: من عادى عمّاراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله.

وأيّ كلام غليظ سمعه عثمان من عمّار يستحقّ به ذلك المكروه العظيم الذي تجاوز مقدار ما فرضه الله تعالى في الحدود؟ وإنّما كان عمّار وغيره يثبّون عليه أحداثه ومعايبه أحياناً على ما يظهر من سيّئ أفعاله، وقد كان يجب عليه أحد أمرين: إمّا أن ينزع عمّا يواقف عليه من تلك الأفعال، أو أن يبيّن عذره فيها وبراءته منها ما يظهر ويشتهر وينتشر، فإن أقام مقيم بعد ذلك على توبيخه وتفسيقه زجره عن ذلك بوعظ أو غيره، ولا يقدم على ما يفعله الجبابرة والأكاسرة من شفاء الغيظ بغير ما أنزل الله تعالى وحكم به. انتهى(١).

وعندي أنّ السبب الحامل لعثمان على ما صنع بعمّار هو أنّ عمّاراً كان من المجاهرين بحبّ عليّ عليه السلام، وأنّ من غلبه على الخلافة غاصب لها، فحملته عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام وحبّه للرئاسة على إهانته وضربه حتى حدث به الفتق وكسر ضلعاً من أضلاعه، فإنّه قد ذكر ابن الأثير في الكامل وغيره في غيره في قصّة الشورى أنّ عمّاراً كان يقول لابن عوف: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً (عليه السلام). وعارضه في ذلك عبد الله بن أبي سرح وغيره واشتدّ الأمر وشتم بعضهم بعضاً(٢).

وروى المسعودي في مروج الذهب، أنّ عمّاراً حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل داره ومعه بنو أُميّة، فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عمي، قالوا: لا. قال: يا بني أُميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة. فانتهره عثمان وساءه ما قال، وأنهى هذا القول على المهاجرين والأنصار، فقام عمّار في المسجد، فقال: يا معشر قريش، أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم مرّة هاهنا ومرّة هاهنا فما أنا بآمن أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهل هذا البيت بعد نبيّكم(٣).

وروى ابن أبي الحديد، عن أبي بكر الجوهري: إنّ أبا سفيان قال لمّا بويع عثمان: كان

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٨٩-٢٩٣.
(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٣٧.
(٣) مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٦٠.

هذا الأمر في تيم، وأنّى لتيم هذا الأمر. ثم صار إلى عديّ فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلى منازلها واستقر الأمر قراره، فتلقّفوها تلقّف الكرة!

قال: وقال أبو بكر: وحدّثني مغيرة بن محمد المهلّبي، قال: ذاكرت إسماعيل بن إسحاق القاضي بهذا الحديث، وإنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبي أنت! أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أميّة تداول الوالدن الكرة، فوالله ما من جنّة ولا نار. وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبي سفيان: اعزب! فقال: يا بنيّ، هاهنا أحد؟ قال الزبير: نعم والله لا كتمتها عليك.

قال: فقال إسماعيل: هذا باطل. قلت: وكيف ذلك؟ قال: ما أنكر هذا من أبي سفيان، ولكن أنكر أن يكون عثمان سمعه ولم يضرب عنقه[١]. انتهى.

وإنّما أوردت هذا الخبر ليظهر لك حقيقة إسلام القوم. ولنرجع إلى بعض ما كنّا فيه:

روى ابن أبي الحديد نقلاً من كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري بإسناده، عن أبي كعب الحارثي، قال: أتيت المدينة فأتيت عثمان بن عفّان وهو الخليفة يومئذٍ فسألته عن شيء من أمر ديني وقلت: يا أمير المؤمنين، إنّي رجل من أهل اليمن من بني الحارث بن كعب، وإنّي أريد أن أسألك عن أشياء، فأمر حاجبك أن لا يحجبني. فقال: يا وثاب، إذا جاءك هذا الحارثي فأذن له. قال: فكنت إذا جئت قرعت الباب، قال: من ذا؟ فقلت: الحارثي. فيقول: ادخل.

فدخلت يوماً فإذا عثمان جالس وحوله نفر سكوت لا يتكلّمون كأنّ على رؤوسهم الطير، فسلّمت ثم جلست، فلم أسأله عن شيء لما رأيت من حالهم وحاله، فبينا أنا كذلك إذ جاء نفر فقالوا: إنّه أبى أن يجيء. قال: فغضب وقال: أبى أن يجيء؟! اذهبوا فجيئوا به، فإن أبى فجرّوه جرّاً. قال: فمكث قليلاً فجاءوا ومعهم رجل آدم طوال أصلع في مقدّم رأسه شعرات وفي قفاه شعرات، فقلت: من هذا؟ قالوا: عمّار بن ياسر. فقال له عثمان: أنت الذي تأتيك رسلنا فتأبى أن تجيء؟ قال: فكلّمه بشيء لم أدر ما هو، ثم خرج فما زالوا ينفضّون من عنده حتّى ما بقي غيري، فقام، فقلت: والله لا أسأل عن هذا الأمر أحداً، أقول: حدّثني فلان حتّى أدري ما يصنع.

فتبعته حتى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى سارية وحوله نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يبكون. فقال عثمان: يا وثاب، عليّ بالشرط. فجاءوا فقال: فرّقوا بين هؤلاء، ففرّقوا بينهم، ثم أقيمت الصلاة فتقدّم عثمان فصلّى بهم، فلمّا كبّر قالت امرأة من حجرتها: يا أيّها الناس... ثم تكلّمت فذكرت رسول الله ﷺ وما بعثه الله به، ثم قالت: تركتم أمر الله وخالفتم عهده... ونحو هذا، ثم صمتت، وتكلّمت امرأة أخرى بمثل ذلك فإذا هما

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢٨٨.

عائشة وحفصة، قال: فسلّم عثمان وأقبل على الناس وقال: لتنّ هاتين لفتّانتان يحلّ لي سبّهما وأنا بأصلهما عالم. فقال له سعد بن أبي وقّاص: أتقول هذا لحبائب رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال: وفيم أنت وما هاهنا؟ ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه فانسلّ سعد، فخرج من المسجد، فاتّبعه عثمان فلقي علياً عليه السلام بباب المسجد، فقال له عليّ عليه السلام: أين تريد؟ قال: أُريد هذا الذي... كذا وكذا يعني سعداً يشتمه، فقال له عليّ عليه السلام: أيّها الرجل، دع عنك هذا؟ قال: فلم يزل بينهما كلام حتّى غضبا، فقال عثمان: ألست الذي خلّفك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم تبوك؟ فقال عليّ عليه السلام: ألست الفارّ عن رسول الله يوم أُحد؟ قال: ثم حجز الناس بينهما.

قال: ثم خرجت من المدينة حتى انتهيت إلى الكوفة فوجدت أهلها أيضاً بينهم شرق نشبوا في الفتنة وردّوا سعيد بن العاص فلم يدعوه يدخل إليهم، فلمّا رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومي[1].

وقد مرّ وسيأتي الأخبار في فضل عمّار، وهو أشهر من الشمس في رابعة النهار، وقد روى ابن عبد البرّ في الاستيعاب وغيره، عن عائشة، قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه إلاّ قلت، إلاّ عمّار بن ياسر، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ملئ عمّار إيماناً حتى أخمص قدميه. وبرواية أُخرى: حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أُذنه إيماناً[2].

وعن خالد بن الوليد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أبغض عمّاراً أبغضه الله. قال خالد: فما زلت أُحبّه من يومئذٍ.

وعن أنس عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: اشتاقت الجنّة إلى عليّ وعمّار وسلمان وبلال.

وعن عليّ عليه السلام قال: جاء عمّار بن ياسر يستأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله يوماً فعرف صوته، فقال: مرحباً بالطيّب المطيّب، ائذنوا له[3].

وروى في المشكاة، عن الترمذي، عن أبي هريرة في حديث، قال: عمّار هو الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله[4].

وعن أنس، عنه صلى الله عليه وآله، قال: قال: إنّ الجنّة تشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خيّر عمّار بين أمرين إلاّ اختار أشدّهما على

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ٥.

(٢) الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢ ص ٤٧٨.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ١٠٠، البداية والنهاية، ج ٧ ص ٣١١ وغيرهما كثير.

(٤) مشكاة المصابيح، ج ٣ ص ٢٧٨ ح ٦٢٢٣.

بدنه(١).

وعن أحمد بإسناده، عن خالد بن الوليد، قال: كان بيني وبين عمّار بن ياسر كلام فأغلظت له في القول، فانطلق عمّار يشكوني إلى رسول الله ﷺ، قال: فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبيّ ﷺ، قال: فجعل يغلظ له ولا يزيده إلاّ غلظة والنبيّ ﷺ ساكت لا يتكلّم، فبكى عمّار وقال: ألا تراه؟ فرفع النبيّ ﷺ رأسه، وقال: من عادى عمّاراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله. قال خالد: فخرجت فما كان شيء أحبّ إليّ من رضا عمّار، فلقيته بما رضي فرضي(٢).

وروى في جامع الأصول، عن البخاري، عن عكرمة، عن أبي سعيد الخدري في ذكر المسجد، قال: كنّا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبيّ ﷺ فجعل رسول الله ﷺ ينفض التراب عنه، ويقول: ويح عمّار! يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار. فقال: ويقول عمّار: أعوذ بالله من الفتن(٣) وروى من صحاحهم الأخبار السالفة بأسانيد.

ولا يخفى على عاقل ملاحظة الأخبار السابقة التي رووها في صحاحهم حال من ضرب وشتم وأهان وعادى رجلاً قال فيه النبيّ ﷺ: إنّ من عاداه فقد عادى الله ومن أبغضه فقد أبغض الله، وإنّ الجنّة تشتاق إليه، وإنّه مملوءٌ إيماناً، وإنّ الله أجاره من الشيطان.. وكفى بذلك (...) وطغياناً وشقاقاً.

الطعن السابع: أنّه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصّة وأحرق المصاحف(٤) وأبطل ما لا شكّ أنّه منزل من القرآن، وأنّه مأخوذ من الرسول ﷺ، ولو كان ذلك حسناً لسبق إليه رسول الله ﷺ، وسيأتي في كتاب القرآن أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جمع القرآن بعد وفاة النبيّ ﷺ كما أوصى به فجاء به إلى المهاجرين والأنصار، فلمّا رأى أبو بكر وعمر اشتماله على فضائح القوم أعرضا عنه وأمرا زيد بن ثابت بجمع القرآن وإسقاط ما اشتمل منه على الفضائح، ولما استخلف عمر سأل عليّاً عليه السلام أن يدفع إليه القرآن الذي جمعه ليحرقه ويبطله، فأبى عليه السلام عن ذلك، وقال: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من ولدي، ولا يظهر حتّى يقوم القائم من أهل البيت عليه السلام فيحمل الناس عليه ويُجري السنّة على ما يتضمّنه ويقتضيه... وسيأتي الأخبار الكثيرة في ذلك من طرق الخاصّة والعامّة.

وتفصيل القول في ذلك، أنّ الطعن فيه من وجهين:

---

(١) سنن الترمذي باب مناقب عمار ومسند أحمد وغيره.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٨٩.

(٣) جامع الأصول، ج ٩ ص ٤٤ ح ٦٥٨٣ وسيرة ابن هشام، ج ٢ ص ١١٥.

(٤) التاج الجامع للأصول، ج ٤ ص ٣٤، صحيح البخاري باب جمع القرآن سنن أبي داوود كتاب المصاحف، جامع الأصول، ج ٢ ص ٥٠٣ ح ٩٧٥.

الأول: جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت إبطال للقرآن المنزل، وعدول عن الراجح إلى المرجوح في اختيار زيد بن ثابت من حملة قراءة القرآن، بل هو ردّ صريح لقول الرسول ﷺ على ما يدلّ عليه صحاح أخبارهم.

والثاني: أنّ إحراق المصاحف الصحيحة استخفاف بالدين ومحادّة لله ربّ العالمين.

أمّا الثاني فلا يخفى على من له حظّ من العقل والإيمان.

وأمّا الأوّل فلأنّ أخبارهم متظافرة في أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، وأنّ النبيّ ﷺ لم ينه أحداً عن الاختلاف في قراءة القرآن بل قرّرهم عليه، وصرّح بجوازه، وأمر الناس بالتعلّم من ابن مسعود وغيره ممّن منع عثمان من قراءتهم، وورد في فضلهم وعلمهم بالقرآن ما لم يرد في زيد بن ثابت، فجمع الناس على قراءته وحظر ما سواه ليس إلاّ ردّاً لقول رسول الله ﷺ وإبطالاً للصحيح الثابت من كتاب الله عزّ وجلّ.

فأمّا ما يدلّ من رواياتهم على أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، وعلى تقرير النبيّ ﷺ على الاختلاف في القراءة، فمنها ما رواه البخاري، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبرئيل على حرف فراجعته فزادني، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتّى انتهى على سبعة أحرف(١).

وروى في جامع الأُصول، عن البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والنسائي بأسانيدهم، عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأه على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتربّصت حتّى سلّم فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة الّتي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر. فقرأته القراءة الّتي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت، إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه.

قال في جامع الأُصول: أخرجه الجماعة، وقال الترمذي هذا حديث صحيح(٢).

روى مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي في صحاحهم - وأورده في المشكاة وفي جامع الأُصول - عن أُبيّ بن كعب، قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي فقرأ قراءة أنكرتها،

(١) صحيح البخاري، ج ٦ ص ٩٧ باب فضائل القرآن.

(٢) جامع الأصول، ج ٢ ص ٤٧٧ ح ٩٣٩.

ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلمّا قضيت الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما النبيّ ﷺ فقرأ فحسّن شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهليّة، فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني، ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنّما أنظر إلى الله فرقاً. فقال لي: يا أُبيّ، أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هوّن على أمّتي. فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين. فرددت إليه: أن هوّن على أمّتي. فردّ إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكلّ ردّة رددتكها مسألة تسألنيها. فقال: اللهمّ اغفر لأمّتي، اللهمّ اغفر لأمّتي، وأخّرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلّهم حتّى إبراهيم عليه السلام (١).

أقول: وقد رووا روايات كثيرة بتلك المضامين(٢) لا نطيل الكلام بإيرادها، وفي بعضها قال: لقي رسول الله ﷺ جبرئيل، فقال: يا جبرئيل، إنّي بُعثت إلى أمّة أمّيّين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتاباً قطّ. فقال لي: يا محمّد، إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف.

فهذه الأخبار كما ترى صريحة في جواز القراءة على الوجوه المختلفة، وأنّ كلاًّ من الأحرف السبعة من كلام الله المنزل، وفي بعض الروايات تصريح بأنّه ﷺ كره المنع من القراءات المتعدّدة، فجمع الناس على قراءة واحدة، والمنع عمّا سواها ردٌّ صريح ومضادّة لنصّ الرسول ﷺ.

وما قيل من أنّ المراد بنزوله على سبعة أحرف اشتماله على سبعة معانٍ كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهي ونحو ذلك.. فالأخبار تدفعه؛ لأنّها ناطقة بأنّ السبعة الأحرف ممّا يختلف به اللفظ وليس الاختلاف فيها مقصوراً على المعنى.

وكذا ما يقال من أنّ هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطتها عنه الأئمّة وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف وأخبروا بصحّتها، وإنّما حذفوا عنها ما لم يثبت متواتراً، وأنّ هذه الأحرف تختلف معانيها تارةً وألفاظها أُخرى.. فهو مردود بأنّ من راجع السير وكتب القراءة علم أنّ مصحف عثمان لم يكن إلاّ حرفاً واحداً، وأنّه أبطل ما سوى ذلك الحرف، ولذلك نقم عليه ابن مسعود وغيره، وكان غرضه رفع

---

(١) صحيح مسلم، ج ١ ص ٢٢٥ ح ٨٢٠، سنن الترمذي كتاب القراءات ح ٢٩٤٥، سنن أبي داوود كتاب الصلاة، ح ١٤٧٧، جامع الأصول، ج ٢ ص ٤٧٩ ح ٤٩٠.

(٢) منها: سنن الترمذي، ج ١١ ص ٦٢، صحيح مسلم، ج ٢ ص ٢٠٢.

الاختلاف وجمع الناس على أمر واحد واختيار هؤلاء السبعة من بين القرّاء، والاقتصار على قراءتهم، ورفض من سواهم من القرّاء على كثرتهم، إنّما هو من فعل المتأخّرين.

وقد تشعّبت القراءات واختلفت كلمة القرّاء بعدما جمع عثمان الناس على قراءة زيد بن ثابت، وكتب المصاحف السبعة على المشهور بين القرّاء، فبعث بواحد منها إلى الكوفة وبواحد إلى البصرة، وإلى كلّ من الشام ومكة واليمن والبحرين بواحد، وأمسك في المدينة مصحفاً كانوا يقولون له: الإمام، ثم لمّا كانت تلك المصاحف مجرّدة عن النقط وعلامة الإعراب ونحو ذلك، وكانت الكلمات المشتملة على حرف الألف مرسومة فيها بغير ألف، اختلفت القراءات بحسب ما تحتمله صورة الكتابة، فقرأ كلّ بما ظنّه أولى من حيث المعنى أو من جهة قواعد العربية واللغة، إلاّ في مواضع يسيرة لم يتّفقوا على صورة الكتابة، والظاهر أنّها نشأت من كتّاب المصاحف السبعة، واختلافها إمّا لأنّ كلاًّ منهم كتب الكلمة بلغة كانت عنده أصحّ كالصراط بالصاد والسين، أو للسهو والغفلة، أو لاشتباه حصل في صورة الكتابة.

وبالجملة جميع القرّاء المتأخّرين عن عصر الصحابة السبعة وغيرهم يزعمون مطابقة قراءتهم لمصحف من مصاحف عثمان، بل للقراءة الواحدة التي جمع عثمان الناس عليها وأمر بترك ما سواها، فهذه القراءات إنّما تشعّبت عن مصاحف عثمان، ولذلك اشترط علماء القراءة في صحّة القراءة ووجوب اعتبارها ثلاثة شروط: كونها منقولة عن الثقات، وكونها غير مخالفة للقواعد، وكونها مطابقة لرسم مصحف من تلك المصاحف بحيث تحتملها صورة الكتابة وإن كانت محتملة لغيرها، وادّعوا انعقاد الإجماع على صحّة كلّ قراءة كانت كذلك، ولمّا كثر اختلاف القرّاء وتكثّرت القراءات الصحيحة عندهم جرى المتأخّرون منهم على سنّة عثمان في إبطال القراءات، فاقتصر طائفة منهم على السبعة، وزاد طائفة ثلاثة، وزاد بعضهم على العشرة، وطرح بعضهم الثلاثة من العشرة، وزاد عشرين رجلاً، وزاد الطبري على السبعة نحو خمسة عشر رجلاً[1]، وقد فعلوا بالرواة عن السبعة أو العشرة أو فوقهما ما فعلوا بهؤلاء، فاعتبروا قوماً من الرواة وطرحوا أكثرهم.

وقد بسط الجزري في النشر الكلام في ذلك، قال بعد إيراد تشعّب القراءات وكثرتها ما هذا لفظه: بلغنا عن بعض من لا علم له أنّ القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أنّ الأحرف السبعة التي أشار إليها النبيّ ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهّال أنّ القراءات الصحيحة هي التي في الشاطبيّة والتيسير، وأنّها هي المشار إليها بقوله ﷺ: أُنزل القرآن على سبعة أحرف، حتّى إنّ بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين: أنه شاذّ.

---

(١) تفسير الطبري، ج ١ ص ١٥.

ثم قال: وإنّما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا: أُنزل القرآن على سبعة أحرف. . وسمعوا قراءات السبعة، فظنّوا أنّ هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمّة المتقدّمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القرّاء وخطّؤوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بيّن مراده ليخلّص من لا يعلم من هذه الشبهة؟ ثم نقل مثل هذا الكلام عن إمامه أبي العباس المهدوي(١).

أقول: فظهر أنّ تعدّد تلك القراءات لا ينفع في القدح فيما فعله عثمان من المنع من غير قراءة زيد بن ثابت وجمع الناس عليها.

ثم لو تنزّلنا عن هذا المقام وقلنا بجواز جمع الناس على قراءة واحدة فنقول: اختيار زيد ابن ثابت على مثل عبد الله بن مسعود والمنع من قراءته وتعلّم القرآن منه، مخالفة صريحة لأمر الرسول ﷺ على ما تظافرت به أخبارهم الصحيحة عندهم، فقد روى ابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: استقرئوا القرآن من أربعة نفر. فبدأ بابن أمّ عبد. . وعن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أمّ عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة.

قال: وقال ﷺ: من أحبّ أن يسمع القرآن غضّاً فليسمعه من ابن أمّ عبد. وبعضهم يرويه: من أراد أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد. وعن عبد الله مثله. وعن أبي وائل، قال: سمعت ابن مسعود يقول: إنّي لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم، وما في كتاب الله سورة ولا آية إلاّ وأنا أعلم فيما نزلت، ومتى نزلت. قال أبو وائل: فما سمعت أحداً أنكر عليه ذلك.

وعن حذيفة قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ عبد الله كان من أقربهم وسيلة، وأعلمهم بكتاب الله عزّوجلّ.

وعن أبي ظبيان قال: قال لي عبد الله بن عباس: أيّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأُولى، قراءة ابن أمّ عبد. فقال لي: بل هي القراءة الأخيرة، إنّ رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرئيل في كلّ عام مرّة، فلمّا كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرّتين، فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدّل.

وعن علقمة، قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات فقال: جئتك من الكوفة وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلبه. فغضب عمر غضباً شديداً وقال: ويحك! ومن هو؟ قال: عبد الله بن مسعود. قال: فذهب عنه الغضب، وسكن وعاد إلى حاله، وقال: والله ما أعلم من الناس أحداً هو أحقّ بذلك منه.

---

(١) النشر في القراءات العشر، ج ١ ص ٣٦.

قال: وسئل عليّ عليه السلام عن قوم من الصحابة منهم ابن مسعود، فقال: أمّا ابن مسعود فقرأ القرآن وعلم السنّة وكفى بذلك.

وعن شقيق، عن أبي وائل، قال: لمّا أمر عثمان في المصاحف بما أمر، قام عبد الله بن مسعود خطيباً، فقال: تأمرونني أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت؟ والذي نفسي بيده لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة، وإنّ زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب مع الغلمان، والله ما نزل من القرآن شيء إلاّ وأنا أعلم في أيّ شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله منّي، ولو أعلم أحداً أعلم منّي بكتاب الله تبلغنيه الإبل لأتيته. قال: ثم استحيا ممّا قال: فقال، وما أنا بخيركم. قال شقيق: فقعدت في الحلق فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فما سمعت أحداً أنكر عليه ولا ردّ ما قال[1].

وروى في جامع الأصول، عن البخاري ومسلم والترمذي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: ذكر عنده عبد الله بن مسعود، فقال: لا أزال أُحبّه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله وسالم، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب. استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ، وأُبيّ.

وفي رواية الترمذي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة[2].

وروي من الصحاح أكثر الأخبار السالفة بأسانيد، فهذا ما رووه في ابن مسعود وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر الناس بأخذ القرآن منه، وصرّح بأنّ قراءته مطابقة للقرآن المنزل، فالمنع من قراءته وإحراق مصحفه ردّ على الرسول صلى الله عليه وآله ومحادّة لله عزّ وجلّ، ومع التنزّل عن مخالفة النصّ أيضاً نقول: كان على عثمان أن يجمعهم على قراءة عبد الله دون زيد؛ إذ قد روي في فضل عبد الله ما سمعت ولم يذكروا لزيد بن ثابت فضلاً يشابه ما روي في عبد الله سنداً ولا متناً، وقد رووا ما يقدح فيه ولم يذكر أحد منهم قدحاً في عبد الله، والإطناب في ذلك يوجب الخروج عمّا هو المقصود من الكتاب، ومن أراد ذلك فليرجع إلى الاستيعاب وغيره ليظهر ما ذكرنا.

وقال في الاستيعاب: كان زيد عثمانيّاً ولم يكن في من شهد شيئاً من مشاهد عليّ عليه السلام مع الأنصار[3].

فظهر أنّ السبب الحامل لهم على تفويض جمع القرآن إليه أوّلاً، وجمع الناس على قراءته

---

(١) الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢ ص ٣١٩-٣٢٣.

(٢) جامع الأصول، ج ٨ ص ٥٦٨ ح ٦٣٧٨، صحيح البخاري، ج ٩ ص ٤٢ كتاب فضائل القرآن، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، ج ٢٤٦٤ سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب ابن مسعود، ح ٣٨١٢.

(٣) الاستيعاب، ج ١ ص ٥٥٤.

ثانياً، تحريف الكلم عن مواضعه، وإسقاط بعض الآيات الدالّة على فضل أهل البيت عليهم السلام والنصّ عليهم، كما يظهر من الأخبار المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ولو فوّضوا إلى غيره لم يتيسّر لهم ما حاولوا.

ومن جملة القراءات الّتي حظرها وأحرق المصحف المطابق لها قراءة أُبيّ بن كعب ومعاذ ابن جبل، وقد عرفت في بعض الروايات السابقة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بالأخذ عنهما.

هذا سوق الطعن على وجه الإلزام وبناء الكلام على الروايات العاميّة، وأمّا إذا بني الكلام على ما روي عن أهل البيت عليهم السلام فتوجّه الطعن أظهر وأبين، كما ستطّلع عليه في كتاب القرآن إن شاء الله.

توضيح: قوله: فسقط في نفسي. يقال: للنّادم المتحسّر على فعلٍ فعله: سُقط في يده وهو مسقوطٌ في يده، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾[1] ولعلّه هنا أيضاً بهذا المعنى. وقال بعض شرّاح الحديث من العامّة: سُقط - ببناء مجهول - أي ندمت ووقع في خاطري من تكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله ما لم أقدر على وصفه، ففاعل سقط محذوف، أي: سقط في نفسي ما لم يسقط مثله في الإسلام ولا في الجاهليّة، لأنّه كان في الجاهليّة غافلاً أو متشكّكاً، وكان من أكابر الصحابة، وما وقع له فهو من نزغة الشيطان وزال ببركة يد النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: أي وقع في نفسي من تصويب قراءة الرجلين أشدّ ممّا كنت في الجاهليّة، لأنّه كان إمّا جاهلاً أو متشكّكاً، ووسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب[2].

قوله: ففِضْت. بكسر الفاء. قوله: عرقاً. تمييز، كقولهم تصبّب الفرس عرقاً. وقال الكرماني: إسناد الفيضان إلى نفسه، وإن كان مستدركاً بالتميّز فإنّ فيه إشارة إلى أنّ العرق فاض منه حتّى كأنّ النفس فاضت معه، ومثله قولهم: سالت عيني دمعاً.

الطعن الثامن: أنّه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة من بيت مال المسلمين، نحو ما روي أنّه دفع إلى أربعمئة من قريش - زوّجهم بناته - أربعمائة ألف دينار، وأعطى مروان مائة ألف عند فتح إفريقية، ويروى خمس إفريقية.

وروى السيد رحمه الله، عن الواقدي بإسناده، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص.

وروى أيضاً أنّه ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها.

وقد روى أبو مخنف والواقدي جميعاً، أنّ الناس أنكروا على عثمان إعطاءه سعيد بن أبي العاص مائة ألف، فكلّمه عليّ عليه السلام والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن في ذلك، فقال: إنّ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.
(٢) صحيح مسلم للنووي، ج ٦ ص ١٠٢.

لي قرابة ورحماً. فقالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذو رحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا: فهداهما والله أحبّ إلينا من هداك.

وقد روى أبو مخنف أنّه لمّا قدم على عثمان عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص من مكة وناس معه أمر لعبد الله بثلاثمائة ألف ولكلّ واحد واحد من القوم بمائة ألف، وصكّ بذلك على عبد الله بن الأرقم وكان خازن بيت المال، فاستكثره وردّ الصكّ به، ويقال: إنّه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتاب دين فأبى ذلك. وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان: إنّما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازناً للمسلمين وإنّما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبداً. وجاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر، ويقال: بل ألقاها إلى عثمان، فدفعها عثمان إلى نائل مولاه.

وروى الواقدي أنّ عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت المال إلى عبد الله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم، فلمّا دخل بها عليه قال له: يا أبا محمد، إنّ أمير المؤمنين أرسل إليك يقول لك: إنّا قد شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم أهل حاجة، ففرّق هذا المال فيهم، واستعن به على عيالك. فقال عبد الله بن الأرقم: ما لي إليه حاجة وما عملت لأن يثيبني عثمان، والله لئن كان هذا من مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن أعطى ثلاثمائة ألف درهم، ولئن كان من مال عثمان ما أُحبّ أن أرزأ من ماله شيئاً.

وروى الواقدي، عن أسامة بن زيد، عن نافع مولى الزبير، عن عبد الله بن الزبير، قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة، فأعطى عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم.

وروى الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن أُمّ بكر بنت المسور، قالت: لمّا بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور ممّن دعاه فقال مروان وهو يحدّثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكتّ كان خيراً لك، لقد غزوت معنا إفريقية وإنّك لأقلّنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفّنا ثقلاً، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين.

وروى الكلبي، عن أبيه، عن أبي مخنف: أنّ مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي ألف درهم ومائة ألف دينار وكلّم عثمان فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان. هذا ما أورده السيّد رحمه الله من الأخبار[1].

وروى المسعودي وغيره من مؤرّخي الخاصّة والعامّة أكثر من ذلك[2]. وهذا عدول عن

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٧٣-٢٧٦.

(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٣٨، البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٥٢.

سنّة النبيّ عليه وسيرة المتقدّمين عليه، وأصل الخروج عن العدول في القسمة وإن كان من بدع عمر إلاّ أنّ عثمان ترك العدل رأساً بحيث لم يخف بطلانه وتضمّنه للجور العظيم والبدعة الفاحشة على العوام أيضاً، ولمّا اعتاد الرؤساء في أيّامه بالتوثّب على الأموال واقتناء الذخائر ونسوا سنّة الرسول في التسوية بين الوضيع والشريف، شقّ عليهم سيرة أمير المؤمنين عليه فعدلوا عن طاعته ومال طائفة منهم إلى معاوية وخرج عليه طلحة والزبير فقامت فتنة الجمل وغيرها، فهذه البدعة - مع قطع النظر عن خطر التصرّف في أموال المسلمين - كانت من موادّ الشرور والفتن الحادثة بعدها إلى يوم النشور.

الطعن التاسع: أنّه عطّل الحدود الواجبة كالحدّ في عبيد الله بن عمر، فإنّه قتل الهرمزان بعد إسلامه فلم يُقد به، وقد كان أمير المؤمنين عليه يطلبه.

روى السيد رحمه الله في الشافي، عن زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح أنّ أمير المؤمنين عليه أتى عثمان بعدما استخلف، فكلّمه في عبيد الله ولم يكلّمه أحد غيره، فقال: اقتل هذا الفاسق الخبيث الذي قتل امرأً مسلماً. فقال عثمان: قتلوا أباه بالأمس وأقتله اليوم؟! وإنّما هو رجل من أهل الأرض. فلمّا أبى عليه مر عبيد الله على عليّ عليه، فقال له: يا فاسق إيه! أما والله لئن ظفرت بك يوماً من الدهر لأضربنّ عنقك. فلذلك خرج مع معاوية على أمير المؤمنين عليه.

وروى القباد، عن الحسن بن عيسى، عن زيد، عن أبيه أنّ المسلمين لمّا قال عثمان: إنّي قد عفوت عن عبيد الله بن عمر. قالوا: ليس لك أن تعفو عنه. قال: بلى، إنّه ليس لجفينة والهرمزان قرابة من أهل الإسلام، وأنا أولى بهما لأنّي وليّ المسلمين، فقد عفوت. فقال عليّ عليه: إنّه ليس كما تقول، إنّما أنت في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين، وإنّما قتلهما في إمرة غيرك، وقد حكم الوالي الذي قبلك الذي قتلا في إمارته بقتله، ولو كان قتلهما في إمارتك لم يكن لك العفو عنه، فاتّق الله! فإنّ الله سائلك عن هذا.

ولمّا رأى عثمان أنّ المسلمين قد أبوا إلاّ قتل عبيد الله أمره فارتحل إلى الكوفة وأقطعه بها داراً وأرضاً، وهي التي يقال لها: كويفة ابن عمر، فعظم ذلك عند المسلمين وأكبروه وكثر كلامهم فيه. وروي عن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهم أنّه قال: ما أمسى عثمان يوم ولي حتّى نقموا عليه في أمر عبيدا لله بن عمر، حيث لم يقتله بالهرمزان(١). انتهى ما رواه السيّد رحمه الله.

وروى الشيخ في مجالسه، عن أحمد بن محمد بن الصلت، عن ابن عقدة، عن جعفر بن عبد الله العلوي، عن عمّه القاسم بن جعفر العلوي، عن عبد الله بن محمد بن عبد الله، عن

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٣٠٤.

أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، أنّ الناس كلّموا عثمان في أمر عبيد الله بن عمر وقتْله الهرمزان، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، قد أكثرتم في أمر عبيد الله بن عمر والهرمزان، وإنّما قتله عبيد الله تهمة بدم أبيه، وإنّ أولى الناس بدم الهرمزان الله ثم الخليفة، ألا وإنّي قد وهبت دمه لعبيد الله. فقام المقداد بن الأسود فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان لله كان الله أملك به منك، وليس لك أن تهب ما الله أملك به منك. فقال: ننظر وتنظرون. فبلغ قول عثمان عليّاً عليه السلام فقال: والله لئن ملكت لأقتل عبيد الله بالهرمزان. فبلغ ذلك عبيد الله فقال: والله لئن ملك لفعل[(١)].

وقال ابن الأثير في الكامل وابن عبد البرّ في الاستيعاب وصاحب روضة الأحباب وكثير من أرباب السير، قتل عبيد الله بن عمر بأبيه ابنة أبي لؤلؤة وقتل جفينة والهرمزان وأشار عليّ عليه السلام على عثمان بقتله بهم فأبى، ثم ذكر في الكامل رواية تتضمّن عفوا ابن هرمزان عن عبيد الله، وأنّ عثمان مكّنه من قتله، ثم قال: والأول أصحّ؛ لأنّ عليّاً عليه السلام لمّا ولي الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر وليّ الدم لم يتعرّض له علـيّ عليه السلام[(٢)]. انتهى.

وإذا تأمّلت فيما نقلنا لا يبقى لك ريب في بطلان ما أجاب به المتعصّبون من المتأخّرين، وكفى في طعنه معارضته أمير المؤمنين عليه السلام - الذي لا يفارق الحقّ باتّفاقهم - معه في ذلك، والله العاصم عن الفتن والمهالك.

الطعن العاشر: أنّه حمى الحمى عن المسلمين، مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم شرعاً سواء في الماء والكلأ. وأجاب قاضي القضاة وغيره بأنّه حماه لإبل الصدقة، وقد روى عنه هذا الكلام بعينه، وأنّه قال: إنّما فعلت ذلك لإبل الصدقة، وقد أطلقته الآن، وأنا أستغفر الله[(٣)].

وردّ عليهم السّيد رحمه الله بأنّ المرويّ بخلاف ما ذكر؛ لأنّ الواقدي روى بإسناده، قال: كان عثمان يحمي الربذة والسرف والنقيع فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ولا لبني أُميّة، حتّى كان آخر الزمان، فكان يحمي السرف لإبله وكانت ألف بعير، ولإبل الحكم بن أبي العاص، ويحمي الربذة لإبل الصدقة، ويحمي النقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بني أُميّة.

على أنّه لو كان إنّما حماه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيباً؛ لأنّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله أباحا الكلأ وجعلاه مشتركاً، فليس لأحد أن يغيّر هذه الإباحة. ولو كان في هذا الفعل مصيباً، وأنّما حماه لمصلحة تعود على المسلمين، لما جاز أن يستغفر الله منه ويعتذر؛ لأنّ الاعتذار إنّما يكون من الخطأ دون الصواب[(٤)]. انتهى.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٧٠٩ مجلس ٤٢ ح ١٥١٣.

(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٤٠، الاستيعاب، ج ٢ ص ٤٣١.

(٣) المغني، ج ٢٠ ص ٥٢. (٤) الشافي، ج ٤ ص ٢٧٨.

وقد روى البخاري في صحيحه، عن ابن عباس والصعب بن جثامة أنّ رسول الله ﷺ قال: لا حمى إلاّ لله ولرسوله[١] فجعل الحمى مختصّاً بإبله وإبل الحكم وخيل بني أُميّة مناقضة لنصّه ﷺ. وقال ابن أبي الحديد في شرح الخطبة الشقشقيّة: إنّ عثمان حمى المراعي حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلّهم إلاّ عن بني أُميّة[٢].

الطعن الحادي عشر: أنّه أعطى من بيت المال الصدقة المقاتلة وغيرها، وذلك ممّا لا يحلّ في الدين، ودفع الاعتراضات الواردة عليه مذكور في الشافي[٣].

الطعن الثاني عشر: إتمامه الصلاة بمنى مع كونه مسافراً، وهو مخالف للسنّة ولسيرة من تقدّمه. فقد روى في جامع الأصول، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: صلّى بنا عثمان بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود، فقال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ثم تفرّقت بكم الطرق، فيا ليت حظّي من أربع ركعات ركعتان متقبّلتان. قال: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود. وفي أُخرى لأبي داود زيادة: ومع عثمان صدراً من إمارته[٤] ثم أتمّها وذكر الحديث.

وفي رواية النسائي، قال: صلّى عثمان بمنى أربعاً حتى بلغ ذلك عبد الله بن مسعود، فقال: لقد صلّيت مع رسول الله ﷺ ركعتين... وله في أُخرى، قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ في السفر ركعتين، ومع أبي ركعتين، ومع عمر ركعتين[٥].

وروى البخاري ومسلم والنسائي على ما أورده صاحب جامع الأُصول، عن عبد الله بن عمر، صلّى رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وأبو بكر بعده، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان صدراً من خلافته، ثم إنّ عثمان صلّى بعد أربعاً، وكان ابن عمر إذا صلّى مع الإمام صلّى أربعاً، وإذا صلّى وحده صلّى ركعتين[٦].

قال: أخرجه البخاري ومسلم من طرق أُخرى، عن رسول الله ﷺ أنّه صلّى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين، وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثم أتمّها أربعاً.

وأخرجه البخاري ولم يقل: وغيره. وفي رواية النسائي مختصر، قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، مع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين.

وفي جامع الأُصول، عن عروة بن الزبير أنّ رسول الله ﷺ صلّى بمنى ركعتين، وأنّ أبا بكر صلاّها بمنى ركعتين، وأنّ عمر بن الخطاب صلاّها بمنى ركعتين، وأنّ عثمان صلاّها

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد، ح ١٤٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٥٤.
(٣) الشافي، ج ٤ ص ٢٧٨.
(٤) جامع الأصول، ج ٥ ص ٧٠٤ ح ٤٠٢٠.
(٥) سنن النسائي، ج ٣ ص ١٢٠.
(٦) صحيح البخاري، ج ٢ ص ٤٦٤ كتاب تقصير الصلاة باب الصلاة بمنى، صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، ح ٦٩٤.

ركعتين شطر إمارته ثم أتمّها بعد. . . قال: أخرجه الموطأ[١].

وعن أنس، قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى ومع أبي بكر ومع عمر ركعتين ومع عثمان صدراً من إمارته. . . قال: أخرجه النسائي[٢].

عن عمران بن حصين، قال وقد سأل عن صلاة المسافر، فقال: حججت مع رسول الله ﷺ فصلّى ركعتين، وحججت مع أبي بكر فصلّى ركعتين، ومع عمر فصلّى ركعتين، ومع عثمان ستّ سنين من خلافته أو ثماني سنين فصلّى ركعتين. . . قال: أخرجه الترمذي[٣].

وعن موسى بن سلمة، قال: سألت ابن عباس: كيف أُصلّي إذا كنت بمكة إذا لم أُصلّ مع الإمام؟ قال: ركعتين، سنّة أبي القاسم ﷺ.

وفي رواية النسائي، قال: تفوتني الصلاة في جماعة وأنا بالبطحاء، ما ترى أُصلّي؟ قال: ركعتين، سنّة أبي القاسم ﷺ.

وعن حارثة بن وهب، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ - ونحن أكثر ما كنّا وآمنه - بمنى ركعتين. أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

وفي رواية أبي داود والنسائي، قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ بمنى والناس أكثر ما كانوا، فصلّى بنا ركعتين في حجّة الوداع.

وقال ابن الأثير في الكامل: إنّ كثيراً من الأصحاب عابوا عليه ما صنع بمنى. قال: وفي سنة تسع وعشرين حجّ عثمان فضرب فسطاطه بمنى، وكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة، وكان أوّل ما تكلّم به الناس في عثمان ظاهراً حين أتمّ الصلاة بمنى، فعاب ذلك غير واحد من الصحابة، وقال له عليّ عليه السلام: ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر يصلّون ركعتين وأنت صدراً من خلافتك، فما أدري ما ترجع إليه؟ ألم تصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وصلّيتهما أنت ركعتين؟ قال: بلى، ولكنّي أُخبرت أن بعض من حجّ من اليمن وجفاة الناس قالوا: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، واحتجّوا بصلاتي وقد اتّخذت بمكة أهلاً ولي بالطائف مال.

فقال عبد الرحمن: ما في هذا عذر. أمّا قولك: اتّخذت بها أهلاً . . فإنّ زوجك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وأنّها تسكن بسكناك، وأمّا مالك بالطائف، فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال، وأمّا قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والإسلام قليل ثم أبو بكر وعمر صلّوا ركعتين، وقد ضرب الإسلام بجرانه. فقال: اعمله بما

---

(١) جامع الأصول، ج ٥ ص ٧٠٦ ح ٤٠٢٢، الموطأ ج ١ ص ٤٠٢ كتاب الحج.

(٢) سنن النسائي، ج ٣ ص ١٢٠ كتاب تقصير الصلاة.

(٣) سنن الترمذي كتاب الصلاة، ح ٥٤٥.

أرى. فخرج من عنده فلاقى ابن مسعود، فقال: والخلاف شرّ، وقد صلّيت بأصحابي أربعاً. فقال عبد الرحمن: قد صلّيت بأصحابي ركعتين، وأمّا الآن فسوف أصلّي أربعاً. قال: وقيل كان ذلك سنة ثلاثين[١].

وروى نحو ذلك صاحب روضة الأحباب، وقال: أنكر الأصحاب عليه ضرب الفسطاط بمنى وإطعامه الناس؛ إذ كان ذلك من شعار أهل الجاهليّة ولم يقدم عليه أحد منذ بعث النبيّ ﷺ إلى ذلك الزمان، وقد سألوا رسول الله ﷺ: لنضربنّ لك فسطاطاً بمنى؟ فقال: لا، منى مناخ من سبق.

وروى في جامع الأصول، عن عائشة أنّها قالت: قلت: يا رسول الله، ألا نبني لك بمنى بيتاً يظلّل من الشمس؟ فقال: لا، إنّما هو مناخ لمن سبق إليه. قال: أخرجه الترمذي وأبو داود[٢].

ثم إنّ الشافعي ذهب إلى أنّ قصر الصلاة رخصة ليس بعزيمة، لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، وقال: والقصر أفضل[٣] وقال مالك وأبو حنيفة: إنّه عزيمة، ويدلّ عليه من طرق الجمهور روايات كثيرة، ونفي الجناح لا ينافي كون القصر عزيمة[٤]، وسيأتي القول فيه في بابه، مع أنّ القول بالتخيّر لا ينفع في دفع الطعن عنه؛ إذ لو كان له سبيل إليه لما اعتذر بالأعذار الواهية كما عرفت، بل يظهر من إعراض المعترض والمعتذر عنه رأساً اتّفاق الأصحاب على بطلانه.

الطعن الثالث عشر: جرأته على الرسول ﷺ ومضادّته له. فقد حكى العلاّمة رحمه الله في كتاب كشف الحقّ[٥]، عن الحميدي، قال: قال السدّي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ إنّه لمّا توفي أبو سلمة وعبد الله بن حذافة وتزوّج النبيّ ﷺ امرأتيهما: أمّ سلمة وحفصة، قال طلحة وعثمان: أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا تنكح نساؤه إذا مات؟ والله لو قد مات لقد أجلنا على نسائه بالسهام. وكان طلحة يريد عائشة، وعثمان يريد أمّ سلمة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[٦] وأنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٧].

الطعن الرابع عشر: عدم إذعانه لقضاء رسول الله ﷺ بالحقّ، فقد روى العلاّمة رحمه الله في كشف الحقّ، عن السديّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٥١.
(٢) جامع الأصول، ج ٣ ص ٤٣٧ ح ١٧٧٥.
(٣) الأم للشافعي، ج ١ ص ١٧٩.
(٤) المجموع، ج ٤ ص ٣٣٧.
(٥) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٠٤.
(٦) سورة الأحزاب، الآيات: ٥٣ و٥٤ و٥٧.
(٧) سورة النور، الآية: ٥٧.

يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾... الآيات[١]، وقال: نزلت في عثمان بن عفّان لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير فغنم أموالهم، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: ائت رسول الله صلى الله عليه وآله فاسأله أرض كذا وكذا، فإن أعطاكها فأنا شريك فيها، وآتيه أنا فأسأله إيّاها فإن أعطانيها فأنت شريكي فيها. فسأله عثمان أولاً فأعطاه إيّاها، فقال له عليّ عليه السلام: أشركني. فأبى عثمان، فقال: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وآله. فأبى أن يخاصمه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقيل له: لم لا تنطلق معه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقال: هو ابن عمّه فأخاف أن يقضي له! فنزلت الآيات، فلمّا بلّغ النبيّ [عثمان] ما أنزل الله فيه أقرّ لعليّ عليه السلام بالحق[٢].

وقد مرّ هذا من تفسير عليّ بن إبراهيم، وأنّها نزلت فيه بوجه آخر[٣].

الطعن الخامس عشر: أنّه زعم أنّ في المصحف لحناً. فقد حكى العلاّمة رحمه الله في الكتاب المذكور، عن تفسير الثعلبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[٤]، قال: قال عثمان: إنّ في المصحف لحناً. فقيل له: ألا تغيّره؟ فقال: دعوه فلا يحلّل حراماً ولا يحرّم حلالاً، ورواه الرازي أيضاً في تفسيره[٥].

الطعن السادس عشر: تقديمه الخطبتين في العيدين، وكون الصلاة مقدّمة على الخطبتين قبل عثمان ممّا تظافرت به الأخبار العاميّة، فقد روى مسلم في صحيحه، عن عطاء، قال: سمعت ابن عباس يقول: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يصلّي قبل الخطبة[٦] وعن عطاء، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعته يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قام يوم الفطر فصلّى فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب الناس[٧] وعن نافع، عن ابن عمر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأبا بكر وعمر كانوا يصلّون العيدين قبل الخطبة[٨].

والأخبار في ذلك من طرق أهل البيت عليهم السلام مستفيضة. وقال العلاّمة رحمه الله في المنتهى: لا نعرف في ذلك خلافاً إلاّ من بني أميّة. وروى الكليني، عن عليّ بن محمد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الخطبة في العيدين بعد الصلاة، وإنّما أحدث الخطبة قبل الصلاة عثمان[٩]. وروى الشيخ في التهذيب بإسناده،

---

(١) سورة النور، الآيات: ٤٧-٥٠.
(٢) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٠٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٧.
(٤) سورة طه، الآية: ٦٣.
(٥) نهج الحق وكشف الصدق، ص ١٤٦، تفسير فخر الرازي، ج ٢٢ ص ٧٥.
(٦) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣٢٥ كتاب العيدين، ح ٨٨٤.
(٧) سنن أبي داوود كتاب الصلاة باب خطبة العيد، ح ١١٤١.
(٨) صحيح البخاري، ج ٢ ص ٣٧٥ كتاب العيدين.
(٩) الكافي، ج ٣ ص ٢٣٩ باب ٢٥٩ ح ٣.

عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام في صلاة العيدين، قال: الصلاة قبل الخطبتين، وكان أوّل من أحدثها بعد الخطبة عثمان لمّا أحدث أحداثه، كان إذا فرغ من الصلاة قام الناس ليرجعوا، فلمّا رأى ذلك قدّم الخطبتين واحتبس الناس للصلاة[١].

الطعن السابع عشر: إحداثه الأذان يوم الجمعة زائداً على ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو بدعة محرّمة، ويعبّر عنه تارة بالأذان الثالث؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله شرّع للصلاة أذاناً وإقامة فالزيادة ثالث، أو مع صلاة الصبح، وتارة بالأذان الثاني، والوجه واضح، وهو ما يقع ثانياً بالزمان، أو ما لم يكن بين يدي الخطيب؛ لأنّه الثاني باعتبار الإحداث سواء وقع أولاً بالزمان أو ثانياً. وقال ابن إدريس: ما يفعل بعد نزول الإمام[٢].

وقد روى إحداث عثمان الأذان الثالث يوم الجمعة ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ثلاثين من الهجرة، ورواه صاحب روضة الأحباب، ورواه من أصحاب صحاحهم البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي على ما رواه في جامع الأُصول عنهم، عن زيد بن السائب في روايات عديدة، منها: أنّه كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر إذا خرج الإمام أُقيمت الصلاة، فلمّا كان عثمان نادى النداء الثالث على الزوراء[٣].

وروي عن الشافعي أنّه قال: ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر أحبّ إليّ.

الطعن الثامن عشر: ما ذكره في روضة الأحباب أنّه لمّا حجّ في سنة ست وعشرين من الهجرة أمر بتوسيع المسجد الحرام، فابتاع دار من رضي بالبيع من الساكنين في جوار المسجد، ومن لم يرض به أخذ داره قهراً، ثم لمّا اجتمعوا إليه وشكوا وتظلّموا أمر بحبسهم حتّى كلّمه فيهم عبد الله بن خالد بن الوليد فشفّعه فيهم وأطلقهم[٤].

ولا ريب في أنّ غصب الدور وجعلها مسجداً حرام في الشريعة باتّفاق المسلمين.

الطعن التاسع عشر: أنّه لم يتمكّن من الإتيان بالخطبة. فقد روى في روضة الأحباب أنّه لمّا كان أوّل جمعة من خلافته صعد المنبر فعرضه العيّ فعجز عن أداء الخطبة وتركها، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: أيّها الناس، سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عيّ نطقاً، وإنّكم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال، أقول قولي واستغفروا الله لي ولكم. فنزل. قال: وفي رواية قال: الحمد لله... وعجز عن الكلام.

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر، ج ٢ ص ٣٦١. (٢) السرائر، ج ١ ص ٣٠٤.

(٣) صحيح البخاري ج٢ ص ٣٢٦ كتاب الجمعة، سنن أبي داوود ج١ ص ١٧١ كتاب الصلاة ح ١٠٨٧، سنن الترمذي ج١ ص ٦٧ وغيرهم.

(٤) راجع تاريخ الطبري، ج ٥ ص ٤٧ حوادث سنة ٢٦، والكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٣٦.

وفي رواية أنّه قال: أوّل كلّ مركب صعب، وإنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل، وإن أعش فآتكم الخطبة على وجهها، ويعلم الله إن شاء الله تعالى[١].

وقال ابن أبي الحديد في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: وإنّا لأمراءُ الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه. . . إنّه روى أبو عثمان في كتاب البيان والتبيين أنّ عثمان صعد المنبر فأُرتج عليه. فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب، وسآتيكم الخطبة على وجهها. . . ثم نزل.

قال: وخطب مروان بن الحكم فحصر، فقال: اللهمّ إنّا نحمدك ونستعينك ونشرك بك: . قال: وخطب مصعب بن حيّان خطبة نكاح فحصر، فقال: لقّنوا موتاكم لا إله إلاّ الله. فقالت أمّ الجارية: عجّل الله موتك، ألهذا دعوتك، انتهى[٢].

والظاهر من هذه الروايات أنّ الخطبة كانت خطبة الجمعة الواجبة، وأنّ عثمان لمّا حصر وعرضه العيّ ترك الخطبة ولم يأمر أحداً بالقيام بها وإقامة الصلاة، وإلاّ لرووه ولم يهملوا ذكره، فالأمر في ذلك ليس مقصوراً على العجز والقصور بل فيه ارتكاب المحظور، فيكون أوضح في الطعن.

الطعن العشرون: جهله بالأحكام. فقد روى العلاّمة قدّس الله روحه في كشف الحقّ، عن صحيح مسلم، وأورده صاحب روضة الأحباب أنّ امرأة دخلت على زوجها فولدت لستة أشهر فرفع ذلك إلى عثمان فأمر برجمها، فدخل عليه عليّ عليه السلام، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُ فِى عَامَيْنِ﴾[٤]. فلم يصل رسوله إليهم إلاّ بعد الفراغ من رجمها، فقتل المرأة لجهله بحكم الله عزّ وجلّ[٥]، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد، ج ٣ ص ٤٣ وتاريخ أبي الفدا، ج ١ ص ١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٣ ص ١١ نقلاً عن البيان والتبين، ج ١ ص ٢٨٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥. (٤) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٥) راجع الموطأ ج ٢ ص ١٧٦، السنن الكبرى، ج ٧ ص ٤٤٢. تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٧، الدر المنثور، ج ٦ ص ٤٠.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٤. أقول: رأي الخليفة في الجمع بين الأختين بالملك، ورأيه في ردّ الأخوين الأم عن الثلث، ورأيه في صيد الحرم، ورأيه في قراءة الصلاة وتركه القراءة والروايات المنقولة من طرق العامة في وجوب قراءة سورة الحمد، وذكر آراء الأئمة الأربعة، ورأيه في عدة المختلعة، والكلمات من العامة حول الحديث المختلف للعشرة المبشرة بالجنة. تجدها في كتاب الغدير ج ٨ وج ١٠. [النمازي].

ومن الشواهد على جهله أن مرويّاته في كتب الجمهور، مع حرص أتباعه من بني أميّة والمتأخّرين عنهم في إظهار فضله، لم يزد على مائة وستة وأربعين. وقد رووا عن أبي هريرة الدوسي خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً، وذلك إمّا لغلبة الغباوة حيث لم يأخذ في طول الصحبة إلاّ نحواً ممّا ذكر، أو لقلّة الاعتناء برواية كلام الرسول ﷺ، وكلاهما يمنعان عن استئهال الخلافة والإمامة[١].

تذييل وتتميم:

اعلم أنّ عبد الحميد بن أبي الحديد بعدما أورد مطاعن عثمان، أجاب عنها إجمالاً، فقال: إنّا لا ننكر أنّ عثمان أحدث أحداثاً أنكرها كثير من المسلمين، ولكنّا ندّعي مع ذلك أنّها لم تبلغ درجة الفسق، ولا أحبطت ثوابه، وأنّها من الصغائر المكفّرة، وذلك لأنّا قد علمنا أنّه مغفور له، وأنّه من أهل الجنّة لثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه من أهل بدر، وقد قال رسول الله ﷺ: إنّ الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. وعثمان - وإن لم يشهد بدراً - لكنّه تخلّف على رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وضمن رسول الله ﷺ لسهمه وأجره باتّفاق سائر الناس.

والثاني: أنّه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٢]، وهو وإن لم يشهد تلك البيعة ولكنّه كان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ولأجله كانت بيعة الرضوان، حيث أُرجف بأنّ قريشاً قتلت عثمان، فقال رسول الله ﷺ: إن كانوا قتلوه لأضرمنّها عليهم ناراً. ثم جلس تحت الشجرة، وبايع الناس على الموت. ثم قال: إن كان عثمان حيّاً فأنا أبايع عنه. فمسح بشماله على يمينه، وقال: شمالي خير من يمين عثمان. روى ذلك أهل السير متّفقاً عليه.

والثالث: أنّه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنّهم من أهل الجنّة. وإذا كانت هذه الوجوه دالّة على أنّه مغفور له، وأنّ الله تعالى قد رضي عنه، وأنّه من أهل الجنّة، بطل أن يكون فاسقاً؛ لأنّ الفاسق يخرج عندنا من الإيمان وينحبط ثوابه، ويحكم له بالنار، ولا يغفر له، ولا يرضى عنه، ولا يرى الجنّة ولا يدخلها، فاقتضت هذه الوجوه أن يحكم بأنّ كلّ ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفّرة توفيقاً بين الأدلّة[٣]. انتهى كلامه.

ويرد على ما ذكره إجمالاً أنّ المستند في جميع تلك الوجوه ليس إلاّ ما تفرّد المخالفون بروايته، ولا يصحّ التمسّك به في مقام الاحتجاج كما مرّ مراراً، والأصل في أكثرها ما رواه البخاري، عن عثمان بن عبد الله، قال: قال رجل من أهل مصر لعبد الله بن عمر: إنّي سائلك

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص ٤٢٩، فتح الباري، ج ١ ص ١٦٧.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨. (٣) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٥١.

عن شيء فحدّثني، هل تعلم أنّ عثمان فرّ يوم أُحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنّه تغيّب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنّه تغيّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أُبيّن لك، أمّا فراره يوم أحد فأشهد أنّ الله تعالى عفا عنه وغفر له، وأمّا تغيّبه عن بدر فإنّه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال رسول الله ﷺ: إنّ لك أجر رجل ممّن شهد بدراً وسهمه. وأمّا تغيّبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة. فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده. فقال: هذه لعثمان، ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[١].

وابن عمر هو الذي قعد عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام وبايع رِجل الحجّاج، ولا عبرة بقوله وروايته، مع قطع النظر عن سائر رواة الخبر، وحديث العشرة المبشّرة أيضاً ممّا تفرّدوا بروايته، وسيأتي في قصّة الجمل تكذيب أمير المؤمنين عليه السلام هذه الرواية، ويؤيّد ضعفه أيضاً أنّه ليس بمرويّ في صحاحهم إلاّ عن رجلين عدّا أنفسهما من جملة العشرة، وهما سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل وعبد الرحمن بن عوف، والتهمة في روايتهما لتزكيتهما أنفسهما واضحة.

ويؤكّده أيضاً ما ذكره السيّد الأجل رحمه الله في الشافي من أنّه تعالى لا يجوز أن يُعلم مكلّفاً يجوز أن يقع منه القبيح والحسن وليس بمعصوم من الذنوب بأنّ عاقبته الجنّة؛ لأنّ ذلك يغريه بالقبيح، ولا خلاف في أنّ أكثر العشرة لم يكونوا معصومين من الذنوب، وقد أوقع بعضهم بالاتّفاق كبائر وإن ادّعى المخالفون أنّهم تابوا منها. قال: وممّا يبيّن بطلان هذا الخبر أنّ أبا بكر لم يحتجّ به لنفسه ولا احتجّ له به في مواطن وقع فيه الاحتياج إلى الاحتجاج كالسقيفة وغيرها، وكذلك عمر، وعثمان لمّا حصر وطولب بخلع نفسه وهمّوا بقتله، وقد رأيناه احتجّ بأشياء تجري مجرى الفضائل والمناقب، وذكر القطع له بالجنّة أولى منها وأحرى بأن يعتمد عليه في الاحتجاج، وفي عدول الجماعة عن ذكره دلالة واضحة على بطلانه[٢]. انتهى.

ويؤيّد بطلانه أيضاً أنّ كثيراً من أعيان المهاجرين والأنصار كانوا بين قاصد لقتل عثمان خارج عليه وبين راضٍ بقتله، وتركوه بعد قتله منبوذاً بالعراء غير مدفون حتى دفن في المزبلة بعد ثلاثة أيّام، وكيف يظنّ ذلك بأمثال هؤلاء مع علمهم بكونه من أهل الجنّة؟ وكيف لم يحتجّ أنصاره من بني أُميّة عليهم بهذا؟ وهل يظنّ بأمير المؤمنين عليه السلام أن يتركه كذلك ثلاثة أيّام مع علمه بذلك؟ وأيضاً لو صحّ ذلك لزم كفر طلحة بكونه من المستحلّين لقتله، ولا ريب في أنّ استحلال قتل من شهد له رسول الله ﷺ بالجنّة لصغائر مكفّرة ليس بأدون من استحلال شرب جرعة من الخمر، وكذلك يلزم كفر كلّ من المتخاصمين يوم الجمل لكون

---

(١) صحيح البخاري، ج ٦ ص ١٢٢.
(٢) الشافي، ج ٤ ص ٣٠.

كلّ منهما مستحلّين لقتل الآخر مع الشهادة لهما بالجنّة، والأوّل باطل عند المخالفين، والثاني عند الجميع، فإنّ من الخصمين أمير المؤمنين عليه السلام وقد استحلّ قتل طلحة والزبير، والقول بعدم علمهم بهذه الشهادة ظاهر الفساد.

ويؤكّد بطلانه أيضاً ما روي من أنّ عمر بن الخطاب سأل حذيفة عن عدّ رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاه في جملة المنافقين؛ إذ لو كان ممّن قطع له بالجنّة لم يختلجه الشكّ في النفاق.

ثم لو قطعنا النظر عن تفرّد المخالفين بتلك الروايات ودلالة الشواهد والأدلّة المعارضة لها على وضعها وبطلانها، نقول: يرد على ما استند إليه من الرواية أنّها إمّا أن تُحمل على ظاهرها الذي فهمه ابن أبي الحديد من الرخصة العامّة والمغفرة الشاملة لما تقدّم من ذنبهم وما تأخّر، أو يتطرّق التجوّز إليها وتخصيص عمومها.

وعلى الأوّل يلزم سقوط التكليف عن البدريّين والرخصة لهم في ارتكاب المحرّمات كبائرها وصغائرها، ولو كان الفعل ممّا يؤدّي إلى الكفر كالاستخفاف بالقرآن ونحو ذلك، وهذا لو لم يكن الاعتقاد مندرجاً في العمل المشتمل عليه الرواية وإلاّ فالأمر أوضح، والبدريّون على المشهور كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بسهامهم وهم غائبون، وعدّتهم ثمانية، وسقوط التكليف عن هؤلاء القوم مخالف للإجماع ولضرورة الدين، ولم يدّع أحد العصمة في أهل البدر إلاّ في عليّ عليه السلام، ولا ريب في أنّ الباقين كانوا يكتسبون الآثام ويقارفون الذنوب، وفي إعلامهم بالمغفرة لهم في الذنوب التي يرتكبونها بعد ذلك إغراء ظاهر لهم بالقبيح، وهو قبيح.

وعلى الثاني: فإمّا أن يخصّص الرخصة بالصغائر ويعمّم المغفرة بالذنوب السالفة والمستأنفة، وحينئذٍ يتوجّه مع مخالفة الضرورة والإجماع أنّه لا يستلزم المدّعى؛ إذ الرخصة في الصغائر وغفرانها ممّا لا يوجب كون ما صدر منهم من الصغائر المكفّرة، ومع ذلك تعميم المغفرة المبتني عليه الوجهان مخالف للظاهر، وهو ظاهر.

وإمّا أن يخصّص المغفرة بالذنوب السالفة ويكون المراد بلفظة: اعملوا ما شئتم.. المبالغة في حسن ما عملوا في بدر وإظهار الرضا الكامل لعملهم الصالح من غير رخصة لهم في الأيّام الآتية، وحينئذٍ فلا تعلّق للرواية بالمدّعى. هذا على تقدير تسليم المساواة التي ادّعاها ابن أبي الحديد في عثمان للبدريّين. ومستند من رواه من أهل السير ليس إلاّ قول ابن عمر كما عرفت.

وأمّا ما تمسّك به ثانياً من أنّه في حكم من بايع بيعة الرضوان، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع عنه، فبعد تسليم صحّة الرواية يتوجّه عليه أنّه لا دلالة على المدّعى بوجوه:

الأول: أنّ دخول عثمان وأضرابه في المؤمنين ممنوع، وقد علّق الله الرضا في الآية على الإيمان والبيعة دون البيعة وحدها حتى يكون جميع من بايع تحت الشجرة مرضيّاً، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يدلّ على نفاق الثلاثة و (...).

الثاني: أنّ كون الألف واللام للاستغراق ممنوع، كما أشار إليه السيد ﷺ في الشافي حيث قال: الظاهر عندنا أنّ آلة التعريف مشتركة متردّدة بين العموم والخصوص، وإنّما يحمل على أحدهما بدلالة غير الظاهر، وقد دلّلنا على ذلك في مواضع كثيرة، وخاصّة في كلامنا المنفرد للوعيد من جملة [جواب] مسائل أهل الموصل.

قال عليّ عليه السلام: إنّه تعالى قد وصف من رضي عنه ممّن بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنّها لم تحصل لجميع المبايعين، فيجب أن يختصّ الرضا بمن اختصّ بتلك الأوصاف؛ لأنّه تعالى قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١)، ولا خلاف بين أهل النقل أنّ الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر وعمر فرجع كلّ واحد منهما منهزماً ناكصاً على عقبيه، فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، كرّار غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. فدعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان أرمد فتفل في عينيه فزال ما كان يشتكي وأعطاه الراية ومضى متوجّهاً وكان الفتح على يديه... فيجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية، ومن كان معه في ذلك الفتح من أهل البيعة تحت الشجرة لتكامل الشرائط فيهم، ويجب أن يخرج عنها من لم يجتمع له الشرائط، وليس لأحد أن يقول: إنّ الفتح لجميع المسلمين وإن تولاه بعضهم وجرى على يديه، فيجب أن يكون جميع أهل بيعة الرضوان ممّن رزق الفتح وأُثيب به، وهذا يقتضي شمول الرضا للجميع؛ وذلك لأنّ هذا عدول عن الظاهر؛ لأنّ من فعل الشيء بنفسه هو الذي يضاف إليه على سبيل الحقيقة، ويقال: إنّه أُثيب به ورزق إيّاه، ولو جاز ذلك جاز أن يوصف من كان بخراسان من المسلمين بأنّه هزم جنود الروم وفتح حصونهم وإن وصفنا بذلك من - يتولاه ويجري على يديه(٢). انتهى.

ودخول عثمان في جملة من جرى الفتح على أيديهم (مع أنّه) ممّا لم يذكره أرباب السير؛ بل الظاهر عدمه كما خرج عنهم المتقدّمان عليه، فهو في محلّ المنع، كما أنّ دخوله في من أنزلت عليه السكينة ممنوع.

الثالث: أنّه بعد تسليم شمول الآية لا دلالة للرضا عن المؤمنين حال البيعة، أولها على أنّه لا يصدر عنهم كبيرة بعد ذلك حتى يكون أحداث عثمان من الصغائر المكفّرة، وقد كان أهل بيعة الرضوان على ما ذكره أرباب السير ألفاً وخمسمائة أو ثلاثمائة، وقد كان منهم من يرتكب المحرّمات، وهل يقول عاقل بعدم صدور كبيرة واحدة عن أحد من هؤلاء مع كثرتهم؟!

وما تمسّك به من حديث بشارة العشرة فبعد ما عرفت من أنّها من الروايات التي تفرّدوا بها وقامت الشواهد على ضعفها وبطلانها، يتوجّه عليه أنّ الرواية على تقدير صحّتها لا تدلّ على صلاحيّة الإمامة؛ إذ ليس جميع أهل الجنّة مستأهلين للإمامة، وليس المانع عنه مقصوراً على

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٢) الشافي، ج ٤ ص ١٨.

ارتكاب الكبيرة المخرجة عن الإسلام الموجبة لدخول النار على ما زعمه ابن أبي الحديد وأصحابه.

ومن جملة الموانع الضعف عن القيام بأمر الإمامة وعدم القدرة على دفع الأشرار والجهل بالأحكام، وعدم استقرار الرأي لضعف العقل ونحو ذلك.

ومن جملة مطاعنه: الضعف عن منع الأشرار والفسّاق من بني أُميّة، وقد عزم غير مرّة على عزل كثير منهم لما رأى من ظلمهم وانحراف الناس عنه لأجلهم، فحال مروان بينه وبين ما أراد حتى حصبوه على المنبر، وآل الحال إلى الحصر والقتل.

ومنها: الجهل بكثير من الأحكام كما عرفت، فبعد تسليم الرواية أيضاً لا يتمّ الجواب.

أقول: وعدّ أبو الصلاح في تقريب المعارف من بدعه تقليد عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة للخؤولة التي بينهما، وعبد الله بن أبي سرح على مصر للرضاعة التي بينهما، ويعلى ابن أميّة على اليمن، وأُسيد بن الأخنس بن شريق على البحرين لكونه ابن عمّته، وعزل المأمونين من الصحابة على الدين المختارين الولاية المرضيّين السيرة. قال:

ومنها: استخفافه بعليّ عليه السلام حين أنكر عليه تكذيب أبي ذرّ.

ومنها: عزل عبد الله بن الأرقم عن بيت المال لمّا أنكر عليه إطلاق الأموال لبني أُميّة بغير حقّ.

ومنها: قوله لعبد الرحمن بن عوف: يا منافق.. وهو الذي اختاره وعقد له.

ومنها: حرمانه عائشة وحفصة ما كان أبو بكر وعمر يعطيانهما، وسبّه لعائشة وقوله وقد أنكرت عليه الأفاعيل القبيحة: لئن لم تنتهي لأُدخلنّ عليك الحجرة سودان الرجال وبيضانها!

ومنها: حماية الكلأ وتحريمه على المسلمين وتخصّصه به ومنع غلمانه الناس منه، وتنكيلهم بمن أراده.

ومنها: ضربه عبد الله بن حذيفة بن اليمان حتى مات من ضربه، لإنكاره عليه ما يأتيه غلمانه إلى المسلمين في رعي الكلأ.

ومنها: أكله الصيد وهو محرم مستحلاً، وصلاته بمنى أربعاً، وإنكاره متعة الحجّ.

ومنها: ضربه عبد الرحمن بن حنبل الجمحي وكان بدريّاً مئة سوط، وحمله على جمل يطاف به في المدينة لإنكاره عليه الأحداث وإظهاره عيوبه في الشعر، وحبسه بعد ذلك موثقاً بالحديد حتّى كتب إلى عليّ وعمّار من الحبس:

أبلغ عليّاً وعمّاراً فإنّهما ... بمنزل الرشد إنّ الرشد مبتدر
لا تتركا جاهلاً حتّى توقّره ... دين الإله وإن هاجت به مرر
لم يبق لي منه إلاّ السيف إذ علقت ... حبائل الموت فينا الصادق البرر
يعلم بأنّي مظلوم إذا ذكرت ... وسط النّدي حجاج القوم والغدر

فلم يزل عليّ عليه السلام بعثمان يكلّمه حتّى خلّى سبيله على أن لا يساكنه بالمدينة، فسيّره إلى خيبر، فأنزله قلعة بها تسمّى القموص، فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان وساروا إليه من كلّ بلد، فقال في الشعر:

لولا عليّ فإنّ الله أنقذني ... على يديه من الأغلال والصفد
لمّا رجوت لدى شدّ بجامعة ... يمنى يديّ غياث الفوت من أحد
نفسي فداء عليّ إذ يخلّصني ... من كافر بعدما أغضى على صمد

ومنها: تسيير حذيفة بن اليمان إلى المدائن حين أظهر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وأنكر أفعاله، فلم يزل يعرّض بعثمان حتّى قتل.

ومنها: نفي الأشتر ووجوه أهل الكوفة عنها إلى الشام حين أنكروا على سعيد بن العاص، ونفيهم من دمشق إلى حمص.

ومنها: معاهدته لعليّ عليه السلام ووجوه الصحابة على الندم على ما فرط منه والعزم على ترك معاودته، ونقض ذلك والرجوع عنه مرّة بعد مرّة، وإصراره على ما ندم منه وعاهد الله تعالى وأشهد القوم على تركه من الاستئثار بالفيء وبطانة السوء وتقليد الفسقة أُمور المسلمين.

ومنها: كتابه إلى ابن أبي سرح بقتل رؤساء المصريّين والتنكيل بالأتباع وتخليدهم الحبس؛ لإنكارهم ما يأتيه ابن أبي سرح إليهم ويسير به فيهم من الجور الذي اعترف به وعاهد على تغييره.

ومنها: تعريضه نفسه ومن معه من الأهل والأتباع للقتل، ولم يعزل ولاة السوء.

ومنها: استمراره على الولاية مع إقامته على المنكرات الموجبة للفسخ، وتحريم التصرّف في أمر الأُمّة، وذلك تصرّف قبيح؛ لكونه غير مستحقّ عندهم مع ثبوت الفسق.

بيان: قوله: مبتدَر على بناء المفعول، أي: ينبغي أن يُبتدر إليه. قوله: حتى توقّره. بصيغة الخطاب بقصد كلّ واحد، أو بصيغة الغيبة. فقوله: دين الإله فاعل. وهيجان المرّة: كناية عن السفاهة والغضب في غير محلّه. قوله: يعلم. أي: الصادق البرّ، أو على بناء المجهول. . وقوله: حجاج القوم: مفعول مكان فاعل ذكرت. والنَّدِي بالتشديد وكسر الدال: مجتمع القوم. قوله: لمّا رجوت. مفعول غداة الغوثة، كما في بعض النسخ، وفي بعضها: غياث الفوت. قوله: لدى شدّ. ظرفه، أي: لمّا رجوت عند شدّ يدي اليمنى إلى عنقي بالجامعة. الغياث من الفوت أو غداة الغوث: أي غداة يغيثني فيه غياث. قوله: بعدما أغضى. أي: أغمض عن حقّي. على صمد: أي عمدٍ.

ثم قال رحمه الله في التقريب: وأمّا النكير على عثمان فظاهر مشهور من أهل الأمصار، وقطّان المدينة من الصحابة والتابعين، يغني بشهرة جملته عن تفصيله، ونحن نذكر من ذلك طرفاً يستدلّ به على ما لم نذكره، فمن ذلك:

نكير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

ما رواه الثقفي من عدّة طرق، عن قيس بن أبي حازم، قال: أتيت عليّاً عليه السلام أستشفع به على عثمان، فقال: إلى حمّال الخطايا.

وروى الثقفي أنّ العباس كلّم عليّاً في عثمان، فقال: لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت، ولكن أبى أن يقيم كتاب الله.

وروى الثقفي، عن عليّ عليه السلام، قال: دعاني عثمان، فقال: أغن عنّي نفسك ولك عير أوّلها بالمدينة وآخرها بالعراق. فقلت: بخ بخ قد أكثرت لو كان من مالك. قال: فمن مال من هو؟ قلت: من مال قوم ضاربوا بأسيافهم. قال لي: أوهناك تذهب؟! ثم قام إليّ فضربني حتّى حجره عنّي الربو، وأنا أقول له: أما إنّي لو شئت لانتصفت.

وذكر الواقدي في كتاب الدار، قال: دخل سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وعليّ بن أبي طالب عليه السلام على عثمان فكلّموه في بعض ما رأوا منه، فكثر الكلام بينهم، وكان عليّ عليه السلام من أعظمهم عليه، فقام عليّ عليه السلام مغضباً فأخذ الزبير بثوبه، فقال: اجلس. فأبى، فقال عثمان: دعه فوالله ما علمت أنّه لمّا يكل، والله لقد علم أنّها لا تكون فيه ولا في واحد من ولده.

وروى الواقدي في كتابه، عن ابن عباس أنّ أوّل ما تكلّم الناس في عثمان ظاهراً أنّه صلّى بمنى أوّل ولايته ركعتين حتّى إذا كانت السنة السادسة أتمّها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وتكلّم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتّى جاءه عليّ في من جاءه، فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيّك صلى الله عليه وآله صلّى ركعتين ثم أبا بكر وعمر وأنت صدراً من ولايتك، فما هذا؟ قال عثمان: رأي رأيته.

نكير أُبيّ بن كعب:

وذكر الثقفي في تاريخه بإسناده، قال: جاء رجل إلى أُبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر، إنّ عثمان قد كتب لرجل من آل أبي معيط بخمسين ألف درهم إلى بيت المال. فقال أُبيّ: لا يزال تأتوني بشيء ما أدري ما هو فيه؟ فبينا هو كذلك إذ مرّ به الصكّ، فقام فدخل على عثمان، فقال: يابن الهاوية، يابن النار الحامية، أتكتب لبعض آل أبي معيط إلى بيت مال المسلمين بصكّ بخمسين ألف درهم؟! فغضب عثمان وقال: لولا أنّي كفيتك لفعلت بك كذا وكذا.

وذكر الثقفي في تاريخه، قال: فقام رجل إلى أُبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر، ألا تخبرني عن عثمان ما قولك فيه؟ فأمسك عنه، فقال له الرجل: جزاكم الله شرّاً يا أصحاب محمّد! شهدتم الوحي وعاينتموه ثم نسألكم التفقّه في الدين فلا تعلمونا! فقال أُبيّ عند ذلك: هلك أصحاب العقدة وربّ الكعبة، أما والله ما عليهم آسي ولكن آسي على من أهلكوا، والله

لئن أبقاني الله إلى يوم الجمعة لأقومنّ مقاماً أتكلّم فيه بما أعلم، أقتلت أو استحييت. . .
فمات رحمه الله يوم الخميس.

نكير أبي ذرّ:

روى الثقفي في تاريخه بإسناده، عن ابن عباس، قال: استأذن أبو ذرّ على عثمان فأبى أن يأذن له، فقال لي: استأذن لي عليه. قال ابن عباس: فرجعت إلى عثمان فاستأذنت له عليه، قال: إنّه يؤذيني. قلت: عسى أن لا يفعل. فأذن له من أجلي، فلمّا دخل عليه قال له: اتّق الله يا عثمان، فجعل يقول: اتّق الله. وعثمان يتوعّده، قال أبو ذر: إنّه قد حدّثني نبيّ الله صلى الله عليه وآله أنّه يجاء بك وبأصحابك يوم القيامة فتبطحون على وجوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطؤكم كلّما مرّت آخرها ردّت أوّلها، حتّى يفصل بين الناس.

قال يحيى بن سلمة: فحدّثني العرزمي أنّ في هذا الحديث: ترفعوني حتّى إذا كنتم مع الثريّا ضرب بكم على وجوهكم فتطؤكم البهائم.

وذكر الثقفي في تاريخه أنّ أبا ذرّ لمّا رأى أنّ عثمان قد أمر بتحريق المصاحف، فقال: يا عثمان، لا تكن أوّل من حرق كتاب الله فيكون دمك أوّل دم يهراق.

وذكر في تاريخه، عن ثعلبة بن حكيم، قال: بينا أنا جالس عند عثمان وعنده أُناس من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله من أهل بدر وغيرهم فجاء أبو ذرّ يتوكّأ على عصاه، فقال: السلام عليكم. فقال: اتّق الله يا عثمان، إنّك تسمع كذا وكذا، وتصنع كذا وكذا. . وذكر مساويه، فسكت عثمان حتى إذا انصرف، قال: من يعذرني من هذا الذي لا يدع مساءة إلاّ ذكرها. فسكت القوم فلم يجيبوه، فأرسل إلى عليّ عليه السلام، فجاء، فقام في مقام أبي الذرّ، فقال: يا أبا الحسن، ما ترى أبا الذرّ لا يدع لي مساءة إلاّ ذكرها؟ فقال: يا عثمان، إنّي أنهاك عن أبي ذرّ، ياعثمان أنهاك عن أبي ذرّ - ثلاث مرّات - اتركه كما قال الله تعالى لمؤمن آل فرعون: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(١). قال له عثمان: بفيك التراب! قال له عليّ عليه السلام: بل بفيك التراب. ثم انصرف.

وروى الثقفي في تاريخه أنّ أبا ذرّ دخل على عثمان وعنده جماعة، فقال: أشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليجاء بي يوم القيامة أو بك وبأصحابك حتى تكون بمنزلة الجوزاء من السماء، ثم يرمى بنا إلى الأرض فتوطأ علينا البهائم حتّى يفرغ من محاسبة العباد. فقال عثمان: يا أبا هريرة، هل سمعت هذا من النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقال: لا. قال أبو ذرّ: أُنشدك الله! سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ؟ قال: أمّا هذا فقد سمعت. فرجع أبو ذرّ وهو يقول: والله ما كذبت.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

وذكر الثقفي في تاريخه: عن عبد الله شيدان السلمي أنّه قال لأبي ذرّ: مالكم ولعثمان ما تهون عليه؟ فقال: بلى والله لو أمرني أن أخرج من داري لخرجت ولو حبواً، ولكنّه أبى أن يقيم كتاب الله.

وذكر الثقفي في تاريخه أنّ أبا ذرّ أُلقي بين يدي عثمان، فقال: يا كذّاب، فقال عليّ عليه السلام: ما هو بكذّاب. قال: بلى، والله إنّه لكذّاب. قال عليّ عليه السلام: ما هو بكذّاب. قال عثمان: الترباء في فيك يا عليّ! قال عليّ عليه السلام: بل الترباء في فيك يا عثمان. قال عليّ عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ. قال: أما والله على ذلك لأُسيرنّه. قال أبو ذرّ: أما والله لقد حدّثني خليلي عليه الصلاة والسلام أنّكم تخرجوني من جزيرة العرب.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن سهل بن الساعدي، قال: كان أبو ذرّ جالساً عند عثمان وكنت عنده جالساً إذ قال عثمان: أرأيتم من أدّى زكاة ماله هل في ماله حقّ غيره؟ قال كعب: لا. فدفع أبو ذرّ بعصاه في صدر كعب، ثم قال: يابن اليهوديّين، أنت تفسّر كتاب الله برأيك؟! ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾(١) إلى قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾(٢)، ثم قال: ألا ترى أنّ على المصلّي بعد إيتاء الزكاة حقّاً في ماله؟ ثم قال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ من بيت مال المسلمين مالاً فنفرّقه في ما ينوبنا من أمرنا ثم نقضيه؟ ثم قال أناس منهم: ليس بذلك بأس. وأبو ذرّ ساكت، فقال عثمان: يا كعب، ما تقول؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذرّ عصاه فوجأ بها في صدره، ثم قال: أنت يابن اليهوديّين تعلّمنا ديننا؟! فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي؟! إلحق بمكينك وغيّب عنّي وجهك.

وذكر الثقفي، عن الحسين بن عيسى بن زيد، عن أبيه، أنّ أبا ذرّ أظهر عيب عثمان وفراقه للدين، وأغلظ له حتى شتمه على رؤوس الناس وبرئ منه، فسيّره عثمان إلى الشام.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن عبد الرحمن، أنّ أبا ذرّ زار أبا الدرداء بحمص فمكث عنده ليالي فأمر بحماره فأُوكف، فقال أبو الدرداء: لا أراني الله مشيعك. وأمر بحماره فأُسرج، فسارا جميعاً على حماريهما فلقيا رجلاً شهد الجمعة عند معاوية بالجابية فعرفهما الرجل ولم يعرفاه فأخبرهما خبر الناس، ثم إنّ الرجل قال: وخبر آخر كرهت أن أُخبركم به الآن وأراكم تكرهانه. قال أبو الدرداء: لعلّ أبا ذرّ قد نفي؟ قال: نعم والله. فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرّات، ثم قال أبو الدرداء: فارتقبهم واصطبر كما قيل لأصحاب الناقة، اللهمّ إن كانوا كذّبوا أبا ذرّ فإنّي لا أكذّبه، وإن اتّهموه فإنّي لا أتّهمه، وإن استغشّوه فإنّي لا

(١) - (٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

أستغشه، إنّ رسول الله ﷺ كان يأتمنه حيث لا يأتمن أحداً، ويسرّ إليه حيث لا يسرّ إلى أحد، أما والذي نفس أبي الدرداء بيده لو أنّ أبا ذرّ قطع يميني ما أبغضته بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ.

وذكر الثقفي في تاريخه بإسناده، قال: قام معاوية خطيباً بالشام، فقال: أيّها الناس، إنّما أنا خازن فمن أعطيته فالله يعطيه ومن حرمته فالله يحرمه. فقام إليه أبو ذرّ فقال: كذبت والله يا معاوية، إنّك لتعطي من حرم الله وتمنع من أعطى الله. وذكر الثقفي، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ، قال: قلت لمعاوية: أما أنا فأشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ أحدنا فرعون هذه الأمّة. فقال معاوية: أمّا أنا فلا.

وعنه، عن عبد الملك ابن أخي أبي ذرّ، قال: كتب معاوية إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ قد حرّف قلوب أهل الشام وبغّضك إليهم فما يستفتون غيره، ولا يقضي بينهم إلاّ هو. فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل أبا ذرّ على ناب صعبة وقتب، ثم ابعث معه من ينجش به نجشاً عنيفاً حتى يقدم به عليّ. قال: فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلاّ مسح، ثم بعث معه من يسيّره سيراً عنيفاً، وخرجت معه فما لبث الشيخ إلاّ قليلاً حتّى سقط ما يلي القتب من لحم فخذيه وقرح، فكنّا إذا كان الليل أخذت مُلائي فألقيتها تحته، فإذا كان السحر نزعتها مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك، حتّى قدمنا المدينة وبلّغنا عثمان ما لقي أبو ذرّ من الوجع والجهد، فحجبه جمعة وجمعة حتّى مضت عشرون ليلة أو نحوها، وأفاق أبو ذرّ ثم أرسل إليه وهو معتمد على يدي فدخلنا عليه وهو متكي فاستوى قاعداً، فلمّا دنا أبو ذرّ منه قال عثمان:

لا أنعم الله بعمرو عينا تحيّة السخط إذا التقينا

فقال له أبو ذرّ: لم؟ فوالله ما سمّاني الله عمرواً ولا سمّاني أبواي عمرواً، وإنّي على العهد الذي فارقت عليه رسول الله ﷺ ما غيّرت ولا بدّلت.

فقال له عثمان: كذبت، لقد كذبت على نبيّنا وطعنت في ديننا، وفارقت رأينا، وضغّنت قلوب المسلمين علينا. ثم قال لبعض غلمانه: ادع لي قريشاً. فانطلق رسوله فما لبثنا أن امتلأ البيت من رجال قريش. فقال لهم عثمان: إنّا أرسلنا إليكم في هذا الشيخ الكذّاب، الذي كذب على نبيّنا وطعن في ديننا، وضغّن قلوب المسلمين علينا، وإنّي قد رأيت أن أقتله أو أصلبه أو أنفيه من الأرض. فقال بعضهم: رأينا لرأيك تبع. وقال بعضهم: لا تفعل، فإنّه صاحب رسول الله ﷺ وله حقّ. فما منهم أحد أدّى الذي عليه، فبينا هم كذلك إذ جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتوكّأ على عصا ستراً فسلّم عليه ونظر ولم يجد مقعداً فاعتمد على عصاه، فما أدري، أتخلف عهد أم يظنّ به غير ذلك؟ ثم قال عليّ عليه السلام: فيما أرسلتم إلينا؟ قال عثمان: أرسلنا إليكم في أمر قد فرّق لنا فيه الرأي فاجمع رأينا ورأي المسلمين فيه على أمر.

قال عليّ عليه السلام: ولله الحمد، أما إنّكم لو استشرتمونا لم نألكم نصيحة. فقال عثمان: إنّا

أرسلنا إليكم في هذا الشيخ الذي قد كذب على نبيّنا، وطعن في ديننا، وخالف رأينا، وضغّن قلوب المسلمين علينا، وقد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو ننفيه من الأرض. قال عليّ عليه السلام: أفلا أدلّكم على خير من ذلكم وأقرب رشداً؟ تتركونه بمنزلة مؤمن آل فرعون ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. قال له عثمان: بفيك التراب! فقال له عليّ عليه السلام: بل بفيك التراب، وسيكون به. فأمر بالناس فأُخرجوا.

وعنه في تاريخه بإسناده، عن عبد الرحمن بن معمّر، عن أبيه، قال: لمّا قدم بأبي ذرّ من الشام إلى عثمان كان ممّا أبّنه به أن قال: أيّها الناس، إنّه يقول: إنّه خير من أبي بكر وعمر. قال أبو ذرّ: أجل أنا أقول، والله لقد رأيتني رابع أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما أسلم غيرنا، وما أسلم أبو بكر ولا عمر، ولقد وليا وما وليت، ولقد ماتا وإنّي لحيّ. فقال عليّ عليه السلام: والله لقد رأيته وإنّه لربع الإسلام. فردّ عثمان ذلك على عليّ عليه السلام وكان بينهما كلام، فقال عثمان: والله لقد هممت بك. قال عليّ عليه السلام: وأنا والله لأهمّ بك. فقام عثمان ودخل بيته، وتفرّق الناس.

وعنه في تاريخه، عن الأحنف بن قيس، قال: بينما نحن جلوس مع أبي هريرة إذ جاء أبو ذرّ، فقال: يا أبا هريرة، هل افتقر الله منذ استغنى؟ فقال أبو هريرة: سبحان الله، بل الله الغنيّ الحميد، لا يفتقر أبداً ونحن الفقراء إليه. قال أبو ذرّ: فما بال هذا المال يجمع بعضه إلى بعض؟ فقال: مال الله قد منعوه أهله من اليتامى والمساكين. ثم انطلق. فقلت لأبي هريرة: ما لكم لا تأبون مثل هذا؟ قال: إنّ هذا رجل قد وطّن نفسه على أن يذبح في الله، أما إنّي أشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ، فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم برّاً وزهداً ونسكاً فعليكم به.

وعنه في تاريخه، عن المغرور بن سويد، قال: كان عثمان يخطب فأخذ أبو ذرّ بحلقة الباب، فقال: أنا أبو ذرّ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح في قومه من تخلّف عنها هلك ومن ركبها نجا. قال له عثمان: كذبت. فقال له عليّ عليه السلام: إنّما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾. فما أتمّ حتّى قال عثمان: بفيك التراب. فقال عليّ عليه السلام: بل بفيك التراب.

وذكر الواقدي في تاريخه، عن سعيد بن عطاء، عن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن جدّه، قال: لمّا صدّ الناس عن الحجّ في سنة ثلاثين أظهر أبو ذرّ بالشام عيب عثمان، فجعل كلّما دخل المسجد أو خرج شتم عثمان وذكر منه خصالاً كلّها قبيحة، فكتب معاوية بن أبي سفيان على عثمان كتاباً يذكر له ما يصنع أبو ذرّ. وذكر الواقدي ما تضمّنه الكتاب حذفناه

اختصاراً. فكتب إليه عثمان: أمّا بعد، فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت من أبي ذرّ جنيدب، فابعث إليّ به واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها، وابعث معه دليلاً يسير به الليل والنهار حتّى لا ينزل عن مركبه فيغلبه النوم فينسيه ذكري وذكرك.

قال: فلمّا ورد الكتاب على معاوية حمله على شارف ليس عليه إلاّ قتب، وبعث معه دليلاً، وأمر أن يغذّ به السير حتّى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه، قال: فلقد أتانا آتٍ ونحن في المسجد ضحوة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقيل: أبو ذرّ قد قدم المدينة. فخرجت أعدو فكنت أوّل من سبق إليه، فإذا شيخ نحيف آدم طوال أبيض الرأس واللحية يمشي مشياً متقارباً، فدنوت إليه، فقلت: يا عمّ ما لي أراك لا تخطو إلاّ خطواً قريباً. قال: عمل ابن عفّان، حملني على مركب وعر وأمر بي أن أتعب، ثم قدم بي عليه ليرى فيّ رأيه. قال: فدخل به على عثمان، فقال له عثمان: لا أنعم الله لك عيناً يا جنيدب... وساق الحديث كما مرّ برواية ابن أبي الحديد.

ثم قال أبو الصلاح رحمه الله: وذكر الواقدي في تاريخه، عن صهبان مولى الأسلميّين، قال: رأيت أبا ذرّ يوم دُخل به على عثمان عليه عباء مدرعاً قد درع بها على شارف حتى أُنيخ به على باب عثمان. فقال: أنت الذي فعلت وفعلت؟ فقال: أنا الذي نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشّني.. وساق الحديث كما رواه ابن أبي الحديد إلى قوله، قال: امض على وجهك هذا ولا تعدونّ الربذة. فخرج أبو ذرّ إلى الربذة، فلم يزل بها حتى توفي.

نكير عمّار بن ياسر:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن سالم بن أبي الجعد، قال: خطب عثمان الناس ثم قال فيها: والله لأؤثرن بني أميّة، ولو كان بيدي مفاتيح الجنّة لأدخلتهم إيّاها، ولكنّي سأعطيهم من هذا المال على رغم أنف من رغم. فقال عمّار بن ياسر: أنفي والله ترغم من ذلك. قال عثمان: فأرغم الله أنفك. فقال عمّار: وأنف أبي بكر وعمر ترغم. قال: وإنّك لهناك يابن سميّة... ثم نزل إليه فوطئه فاستُخرج من تحته وقد غشي عليه وفتقه.

وذكر الثقفي، عن شقيق، قال: كنت مع عمّار فقال: ثلاث يشهدون على عثمان وأنا الرابع، وأنا أسوأ الأربعة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3]، وأنا أشهد لقد حكم بغير ما أنزل الله.

وعنه في تاريخه، قال: قال رجل لعمّار يوم صفّين: علامَ تقاتلهم يا أبا اليقظان؟! قال: على أنّهم زعموا أنّ عثمان مؤمن ونحن نزعم أنّه كافر.

---

(١) - (٢) سورة المائدة، الآيتان: ٤٤-٤٥. (٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

وعنه في تاريخه، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي، قال: انتهيت إلى عمّار في مسجد البصرة وعليه برنس والناس قد أطافوا به وهو يحدّثهم من أحداث عثمان وقتله، فقال رجل من القوم وهو يذكر عثمان: رحم الله عثمان! فأخذ عمّار كفّاً من حصى المسجد فضرب به وجهه، ثم قال: استغفر الله يا كافر، استغفر الله يا عدوّ الله. وأوعد الرجل فلم يزل القوم يسكّنون عمّاراً عن الرجل حتى قام وانطلق وقعدت القوم حتّى فرغ عمّار من حديثه وسكن غضبه، ثم إنّي قمت معه فقلت له: يا أبا اليقظان رحمك الله! أمؤمناً قتلتم عثمان بن عفّان أم كافراً؟ فقال: لا، بل قتلناه كافراً، بل قتلناه كافراً.

وعنه، عن حكيم بن جبير، قال: قال عمّار: والله ما أخذني أسى على شيء تركته خلفي غير أنّي وددت أنّا كنّا أخرجنا عثمان من قبره فأضرمنا عليه ناراً.

وذكر الواقدي في تاريخه، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: أتيت عمّار بن ياسر وعثمان محصور، فلمّا انتهيت إليه قام معي فكلّمته، فلمّا ابتدأت الكلام جلس ثم استلقى ووضع يده على وجهه، فقلت: ويحك يا أبا اليقظان! إنّك كنت فينا لمن أهل الخير والسابقة ومن عُذّب في الله، فما الذي تبغي من سعيك في فساد المؤمنين؟ وما صنعت في أمير المؤمنين؟ فأهوى إلى عمامته فنزعها عن رأسه، ثم قال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه، يا أبا إسحاق، إنّي أريد أن تكون خلافة كما كانت على عهد النبيّ ﷺ فأمّا أن يعطي مروان خمس إفريقية، ومعاوية على الشام، والوليد بن عقبة شارب الخمر على الكوفة، وابن عامر على البصرة، والكافر بما أُنزل على محمد ﷺ على مصر، فلا والله لا كان هذا أبداً حتّى يبعج في خاصرته بالحقّ.

نكير عبد الله بن مسعود

وذكر الثقفي في تاريخه، عن الأعمش، عن شقيق، قال: قلنا لعبد الله: فيم طعنتم على عثمان؟ قال: أهلكه الشحُّ وبطانة السوء.

وعنه، عن قيس بن أبي حازم وشقيق بن سلمة، قال: قال عبد الله بن مسعود: لوددت أنّي وعثمان برمل عالج فنتحاثى التراب حتى يموت الأعجز.

وعنه وعن جماعة من أصحاب عبد الله منهم علقمة بن قيس، ومسروق بن الأخدع، وعبيدة السلماني، وشقيق بن سلمة وغيرهم، عن عبد الله، قال: لا يعدل عثمان عند الله جناح بعوضة. وفي أخرى: جناح ذباب.

وعنه، عن عبيدة السلماني، قال: سمعت عبد الله يلعن عثمان، فقلت له في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يشهد له بالنار.

وعنه، عن خثيمة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود، قال: بينا نحن في بيت ونحن

اثنا عشر رجلاً نتذاكر أمر الدجّال وفتنته إذ دخل رسول الله ﷺ، فقال: ما تتذاكرون من أمر الدجّال؟ والذي نفسي بيده إنّ في البيت لمن هو أشد على أُمّتي من الدجّال... وقد مضى من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير عثمان، والذي نفسي بيده لوددت أنّي وعثمان برمل عالج نتحاثى التراب حتى يموت الأعجز.

وعنه، عن علقمة، قال: دخلت على عبد الله بن مسعود، فقال: صلّى هؤلاء جمعتهم؟ قلت: لا. قال: إنّما هؤلاء حمر، إنّما يصلّي مع هؤلاء المضطر ومن لا صلاة له. فقام بيننا فصلّى بغير أذان ولا إقامة.

وعنه، عن أبي البختري، قال: دخلوا على عبد الله حيث كتب عبد الرحمن يسيّره وعنده أصحابه، فجاء رسول الوليد، فقال: إنّ الأمير أرسل إليك أنّ أمير المؤمنين يقول: إمّا أن تدع هؤلاء الكلمات وإمّا أن تخرج من أرضك. قال: ربّ كلمات لا أختار مصري عليهن. قيل: ما هنّ؟ قال: أفضل الكلام كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمّد ﷺ، وشرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ محدثة ضلالة. فقال ابن مسعود: ليخرجنّ منها ابن أُمّ عبد ولا أتركهنّ أبداً، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقولهنّ.

وقد ذكر ذلك أجمع وزيادة عليه الواقدي في كتاب الدار تركناه إيجازاً.

نكير حذيفة بن اليمان:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن قيس بن أبي حازم، قال: جاءت بنو عبس إلى حذيفة يستشفعون به على عثمان، فقال حذيفة: لقد أتيتموني من عند رجل وددت أنّ كلّ سهم في كنانتي في بطنه.

وعنه، عن حارث بن سويد، قال: كنا عند حذيفة فذكرنا عثمان، فقال: عثمان والله ما يعدو أن يكون فاجراً في دينه أو أحمق في معيشته.

وعنه، عن حكيم بن جبير، عن يزيد مولى حذيفة، عن أبي شريحة الأنصاري، أنّه سمع حذيفة يحدّث، قال: طلبت رسول الله ﷺ في منزله فلم أجده وطلبته فوجدته في حائط نائماً رأسه تحت نخلة، فانتظرته طويلاً فلم يستيقظ فكسرت جريدة فاستيقظ. فقال ما شاء الله أن يقول، ثم جاء أبو بكر، فقال: ائذن لي. ثم جاء عمر فأمرني أن آذن له، ثم جاء عليّ عليه السلام فأمرني أن آذن له وأبشره بالجنّة، ثم قال: يجيئكم الخامس لا يستأذن ولا يسلّم، وهو من أهل النار، فجاء عثمان حتى وثب من جانب الحائط، ثم قال: يا رسول الله، بنو فلان يقابل بعضهم بعضاً.

وذكر الواقدي في تاريخه، عن أبي وائل، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: لقد دخل عثمان قبره بفجره.

وعنه، عبد الله بن السائب، قال: لمّا قتل عثمان أتى حذيفة وهو بالمدائن، فقيل: يا أبا عبد الله، لقيت رجلاً آنفاً على الجسر فحدّثني أنّ عثمان قتل. قال: هل تعرف الرجل؟ قلت: أظنّني أعرفه وما أثبته. قال حذيفة: إنّ ذلك عيثم الجنّي، وهو الذي يسير بالأخبار. فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم، فقيل لحذيفة: ما تقول في قتل عثمان؟ فقال: هل هو إلاّ كافر قتل كافراً أو مسلم قتل كافراً؟ فقالوا: أما جعلت له مخرجاً؟ فقال: الله لم يجعل له مخرجاً.

وعنه، عن حسين بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي وائل: حدّثنا، فقد أدركت ما لم ندرك. فقال: اتّهموا القوم على دينكم فوالله ما ماتوا حتى خلطوا، لقد قال حذيفة في عثمان: إنّه دخل حفرته وهو فاجر.

نكير المقداد

وذكر الثقفي في تاريخه، عن همام بن الحارث، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون على عثمان وإذا رجل يمدحه، فوثب المقداد بن الأسود فأخذ كفّاً من حصىً أو تراب فأخذ يرميه به، فرأيت عثمان يتّقيه بيده.

وذكر في تاريخه، عن سعيد بن المسيّب، قال: لم يكن المقداد يصلّي مع عثمان ولا يسمّيه أمير المؤمنين. وذكر، عن سعيد أيضاً، قال: لم يكن عمّار ولا المقداد بن الأسود يصلّيان خلف عثمان ولا يسمّيانه أمير المؤمنين.

نكير عبد الرحمن بن حنبل القرشي:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن الحسين بن عيسى بن زيد، عن أبيه، قال: كان عبد الرحمن بن حنبل القرشي وهو من أهل بدر من أشدّ الناس على عثمان، وكان يذكره في الشعر ويذكر جوره ويطعن عليه ويبرأ منه ويصف صنائعه، فلمّا بلغ ذلك عثمان عنه ضربه مائة سوط وحمله على بعير وطاف به في المدينة، ثم حبسه موثقاً في الحديد.

نكير طلحة بن عبيد الله:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن مالك بن النصر الأرجي أنّ طلحة قام إلى عثمان، فقال له: إنّ الناس قد جمعوا لك وكرهوك للبدع التي أحدثت، ولم يكونوا يرونها ولا يعهدونها، فإن تستقم فهو خير لك، وإن أبيت لم يكن أحد أضرّ بذلك منك في دنيا ولا آخرة.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن سعيد بن المسيّب، قال: انطلقت بأبي أقوده إلى المسجد، فلمّا دخلنا سمعنا لغط الناس وأصواتهم، فقال أبي: يا بني، ماهذا؟ فقلت: الناس محدقون بدار عثمان. فقال: من ترى من قريش؟ قلت: طلحة. قال: اذهب بي إليه فأدنني منه. فلمّا دنا منه، فقال: يا أبا محمد، ألا تنهى الناس من قتل هذا الرجل؟ قال: يا أبا سعيد، إنّ لك داراً فاذهب فاجلس في دارك، فإنّ نعثلاً لم يكن يخاف هذا اليوم.

وذكر في تاريخه، عن الحسين بن عيسى، عن أبيه: أنّ طلحة بن عبيد الله كان يومئذٍ في جماعة الناس عليه السلاح عند باب القصر يأمرهم بالدخول عليه.

وذكر، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: انتهيت إلى المدينة أيّام حصر عثمان في الدار فإذا طلحة بن عبيد الله في مثل الخزّة السوداء من الرجال والسلاح، مطيف بدار عثمان حتّى قُتل. وذكر عنه، قال: رأيت طلحة يرامي الدار وهو في خزّة سوداء عليه الدرع قد كفر عليها بقباء، فهم يرامونه ويخرجونه من الدار ثم يخرج فيراميهم حتى دُخل عليه من دار من قبل دار ابن حزم فقُتل.

وذكر الواقدي في تاريخه، عن عبد الله بن مالك، عن أبيه، قال: لمّا أشخص الناس لعثمان لم يكن أحد أشدّ عليه من طلحة بن عبيد الله. قال مالك: واشترى منّي ثلاثة أدرع وخمسة أسياف، فرأيت تلك الدروع على أصحابه الذين كانوا يلزمونه قبل مقتل عثمان بيوم أو يومين.

وذكر الواقدي في تاريخه، قال: ما كان أحد من أصحاب محمّد ﷺ أشدّ على عثمان من عبد الرحمن بن عوف حتّى مات، ومن سعد بن أبي وقّاص حتّى مات عثمان وأعطى الناس الرضا، ومن طلحة وكان أشدّهم، فإنّه لم يزل كهف المصريّين وغيرهم يأتونه بالليل يتحدّثون عنده إلى أن جاهدوا، فكان وليّ الحرب والقتال وعمل المفاتيح على بيت المال، وتولّى الصلاة بالناس ومنعه ومن معه من الماء، وردّ شفاعة عليّ عليه السلام في حمل الماء إليهم، وقال له: لا والله ولا نعمت عين ولا بركت ولا يأكل ولا يشرب حتّى يعطي بنو أُميّة الحقّ من أنفسها.

وروى قوله لمالك بن أوس وقد شفع إليه في ترك التأليب على عثمان: يا مالك، إنّي نصحت عثمان فلم يقبل نصيحتي وأحدث أحداثاً وفعل أُموراً ولم نجد بدّاً من أن نغيّرها، والله لو وجدت من ذلك بدّاً ما تكلّمت ولا ألّبت.

نكير الزبير بن العوّام:

وذكر الواقدي في تاريخه، قال: عتب عثمان على الزبير، فقال: ما فعلت ولكنّك صنعت بنفسك أمراً قبيحاً، تكلّمت على منبر رسول الله ﷺ بأمر أعطيت الناس فيه الرضا، ثم لقيك مروان وصنعت ما لا يشبهك، حضر الناس يريدون منك ما أعطيتهم، فخرج مروان فآذى وشتم، فقال له عثمان: فإنّي أستغفر الله.

وذكر في تاريخه أنّ عثمان أرسل سعيد بن العاص إلى الزبير فوجده بأحجار الزيت في جماعة، فقال له: إنّ عثمان ومن معه قد مات عطشاً. فقال له الزبير: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾(١).

(١) سورة سبأ، الآية: ٥٤.

نكير عبد الرحمن بن عوف:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن الحسن بن عيسى بن زيد، عن أبيه، قال: كثر الكلام بين عبد الرحمن بن عوف وبين عثمان، حتى قال عبدالرحمن: أما والله لئن بقيت لك لأُخرجنّك من هذا الأمر كما أدخلتك فيه، وما غررتني إلاّ بالله.

وذكر الثقفي، عن الحكم قال: كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين عثمان كلام، فقال له عبد الرحمن: والله ما شهدتَ بدراً، ولا بايعت تحت الشجرة، وفررت يوم حنين. فقال له عثمان: وأنت والله دعوتني إلى اليهوديّة.

وعنه، عن طارق بن شهاب، قال: رأيت عبد الرحمن بن عوف يقول: يا أيّها الناس، إنّ عثمان أبى أن يقيم فيكم كتاب الله. فقيل له: أنت أوّل من بايعه، وأوّل من عقد له. قال: إنّه نقض وليس لناقضٍ عهد.

وعنه، عن أبي إسحاق، قال: ضجّ الناس يوماً حين صلّوا الفجر في خلافة عثمان فنادوا بعبد الرحمن بن عوف فحوّل وجهه إليهم واستدبر القبلة، ثم خلع قميصه من جيبه، فقال: يا معشر أصحاب محمّد، يا معشر المسلمين، أُشهد الله وأُشهدكم أنّي قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا. فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]. فنظروا من الرجل، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وعنه، قال: أوصى عبد الرحمن أن يُدفن سرّاً لئلاّ يصلّي عليه عثمان.

وذكر الواقدي في تاريخه، عن عثمان بن السريد، قال: دخلت على عبد الرحمن بن عوف في شكواه الذي مات فيه أعوده، فذُكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاغيتكم هذا قبل أن يتمادى في ملكه. قالوا: فأنت ولّيته! قال: لا عهد لناقض.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن بلال بن حارث، قال: كنت مع عبد الرحمن جالساً فطلع عثمان حتّى صعد المنبر، فقال عبد الرحمن: فقدت أكثرك شعراً.

وذكر فيه أنّ عثمان أنفذ المسور بن مخرمة إلى عبد الرحمن يسأله الكفّ عن التحريض عليه، فقال له عبد الرحمن: أنا أقول هذا القول وحدي؟ ولكنّ الناس يقولون جميعاً: إنّه غيّر وبدّل. قال المسور: قلت: فإن كان الناس يقولون فدع أنت ما تقول فيه فقال عبد الرحمن: لا والله ما أجده يسعني أن أسكت عنه. ثم قال له: قل له: يقول لك خالي: اتّق الله وحده لا شريك له في أمّة محمّد وما أعطيتني من العهد والميثاق لتعملنّ بكتاب الله وسنّة صاحبك، فلم تف.

وذكر فيه أنّ ابن مسعود قال لعبد الرحمن في أحداث عثمان: هذا ممّا عملت. فقال عبد الرحمن: قد أخذت إليكم بالوثيقة فأمركم إليكم.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩١.

وذكر فيه قال: قال عليّ عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف: هذا عملك. فقال عبد الرحمن: فإذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي.

نكير عمرو بن العاص:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن لوط بن يحيى الأزدي، قال: جاء عمرو بن العاص فقال لعثمان: إنّك ركبت من هذه الأمّة النهابير وركبوها بك، فاتّق الله وتب إليه. فقال: يابن النابغة، قد تبت إلى الله وأنا أتوب إليه، أما إنّك مِمّن يؤلّب عليّ ويسعى في الساعين، قد لعمري أضرمتها فأسعر وأضرم ما بدا لك. فخرج عمرو حتّى نزل في أداني الشام.

وذكر فيه، عن الزهري، قال: إنّ عمرو بن العاص ذكر عثمان، فقال: إنّه استأثر بالفيء فأساء الأثرة، واستعمل أقواماً لم يكونوا بأهل العمل من قرابته وآثرهم على غيرهم، فكان في ذلك سفك دمه وانتهاك حرمته.

وعنه فيه، قال: قام عمرو إلى عثمان، فقال: اتّق الله يا عثمان! إمّا أن تعدل وإمّا أن تعتزل. فلمّا أن نشب الناس في أمر عثمان تنحّى عن المدينة وخلف ثلاثة غلمة له ليأتوه بالخبر، فجاء اثنان بحصر عثمان، فقال: إنّي إذا نكأت قرحة أدميتها، وجاء الثالث بقتل عثمان وولاية عليّ عليه السلام، فقال: وا عثماناه! ولحق بالشام.

وذكر الواقدي في تاريخه أنّ عثمان عزل عمرو بن العاص عن مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة فجعل يأتي عليّاً عليه السلام فيوليّه على عثمان[1]، ويأتي الزبير ويأتي طلحة ويلقى الركبان يخبرهم بإحداث عثمان، فلمّا حصر عثمان الحصار الأول خرج إلى أرض فلسطين، فلم يزل بها حتّى جاءه خبر قتله، فقال: أنا أبو عبد الله، إنّي إذا أحلّ قرحة نكأتها، إنّي كنت لأحرّض عليه حتّى إنّي لأحرّض عليه الراعي في غنمه.

فلمّا بلغه بيعة الناس عليّاً عليه السلام كره ذلك وتربّص حتى قُتل طلحة والزبير ثم لحق بمعاوية.

نكير محمد بن مسلمة الأنصاري:

وذكر الثقفي في تاريخه، عن داود بن الحصين الأنصاري، أنّ محمد بن مسلمة الأنصاري قال يوم قتل عثمان: ما رأيت يوماً قطّ أقرّ للعيون ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم.

وروى فيه، عن أبي سفيان مولى آل أحمد، قال: أتيت محمد بن مسلمة الأنصاري فقلت: قتلتم عثمان؟ فقال: نعم وايم الله ما وجدت رائحة هي أشبه برائحة يوم بدر منها.

وقد ذكر الواقدي في تاريخه، عن محمد بن مسلمة مثل ما ذكره الثقفي.

---

(١) الظاهر: فيؤلّبه.

نكير أبي موسى:

وذكر الواقدي في تاريخه، قال: لمّا ولّى عثمان عبد الله بن عامر بن كريز البصرة قام أبو موسى الأشعري خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد أتاكم رجل كثير العمّات والخالات في قريش، يبسط المال فيهم بسطاً، وقد كنت قبضته عنكم.

نكير جبلة بن عمرو الساعدي:

وذكر الواقدي في تاريخه، عن عامر بن سعد، قال: أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيّئ جبلة بن عمرو الساعدي، مرّ به عثمان وهو جالس في نادي قومه وفي يد جبلة بن عمرو جامعة، فسلّم وردّ القوم، فقال جبلة: لِم تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ قال: ثم أقبل على عثمان، فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة؟ فوالله إنّي لأتخيّر الناس. فقال: مروان تخيّرته؟! ومعاوية تخيّرته؟! وعبد الله بن عامر ابن كريز تخيّرته؟! وعبد الله بن سعد تخيّرته؟! منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله ﷺ دمه. فانصرف عثمان، فما زال الناس مجترئون عليه.

وذكر فيه، عن عثمان بن السريد، قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو على باب داره ومعه جامعة، فقال: يا نعثل، والله لأقتلنّك أو لأحملنّك على جرباء، ولأُخرجنّك إلى حرّة النار. ثم جاءه مرّة أُخرى وهو على المنبر فأنزله عنه.

وذكر فيه أنّ زيد بن ثابت مشى إلى جبلة ومعه ابن عمّه أبو أُسيد الساعدي، فسألاه الكفّ عن عثمان. فقال: والله لا أقصر عنه أبداً، ولا ألقى الله فأقول: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

نكير جهجاه بن عمرو الغفاري:

وذكر الواقدي في تاريخه، عن عروة، قال: خرج عثمان إلى المسجد ومعه ناس من مواليه فنجد الناس يتنابونه يميناً وشمالاً، فناداه بعضهم: يا نعثل، وبعضهم غير ذلك، فلم يكلّمهم حتى صعد المنبر فشتموه فسكت حتى سكتوا، ثم قال: أيّها الناس، اتّقوا واسمعوا وأطيعوا، فإنّ السامع المطيع لا حجّة عليه، والسامع العاصي لا حجّة له. فناداه بعضهم: أنت أنت السامع العاصي. فقام إليه جهجاه بن عمرو الغفاري وكان ممّن بايع تحت الشجرة فقال: هلمّ إلى ما ندعوك إليه. قال: وما هو؟ قال: نحملك على شارف جرباء فتلحقك بجبل الدخان. قال عثمان: لست هناك لا أُمّ لك! وتناول جهجاه الغفاري عصاً في يد عثمان وهي عصا النبي ﷺ، فكسرها على ركبته. ودخل عثمان داره فصلّى بالناس سهل بن حنيف.

وذكر فيه، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة - الحديث، وقال فيه: إنّ عثمان قال له: قبّحك الله وقبّح ما جئت به. قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك إلاّ عن ملأ من الناس، وقام إلى عثمان شيعته من بني أُميّة فحملوه فأدخلوه الدار، وكان آخر يوم رأيته فيه.

نكير عائشة:

وذكر الطبري في تاريخه والثقفي في تاريخه، قال: جاءت عائشة إلى عثمان، فقالت: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر. قال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنّة، ولكن أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل. قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله ﷺ. قال: أولم تجئ فاطمة عليها السلام تطلب ميراثها من رسول الله ﷺ، فشهدت أنت ومالك بن أوس البصري أنّ النبيّ ﷺ لا يورث، وأبطلت حقّ فاطمة وجئت تطلبينه؟ لا أفعل. وزاد الطبري: وكان عثمان متكئاً فاستوى جالساً، وقال: ستعلم فاطمة أيّ ابن عمّ لها منّي اليوم! ألستِ وأعرابي يتوضأ ببوله شهدت عند أبيك...

قالا جميعاً في تاريخهما: فكان إذا خرج عثمان إلى الصلاة أخرجت قميص رسول الله ﷺ وتنادي أنّه قد خالف صاحب القميص. وزاد الطبري يقول: هذا قميص رسول الله ﷺ لم تُبلَ وقد غيّر عثمان سنّته، اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن موسى الثعلبي، عن عمّه، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون، وإذا كفّ مرتفعة وصاحب الكفّ يقول: يا أيّها الناس، العهد حديث، هاتان نعلا رسول الله وقميصه، إنّ فيكم فرعون أو مثله. فإذا هي عائشة تعني عثمان، وهو يقول: اسكتي إنّما هذه امرأة، رأيها رأي المرأة.

وذكر في تاريخه، عن الحسن بن سعيد، قال: رفعت عائشة ورقات من ورق المصحف بين عودين من وراء حجابها وعثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان، أقم ما في كتاب الله إن تصاحب غادراً، وإن تفارق عن قليّ. فقال عثمان: أما والله لتنتهين أو لأُدخلنّ عليك حمران الرجال وسودانها!

قالت عائشة: أما والله إن فعلت لقد لعنك رسول الله ﷺ ثم ما استغفر لك حتّى مات.

وذكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أخرجت عائشة قميص رسول الله ﷺ، فقال لها عثمان، لئن لم تسكتي لأملأنّها عليك حبشاناً. قالت: يا غادر يا فاجر، أخرجت أمانتك ومزّقت كتاب الله. ثم قالت: والله ما ائتمنه رجل قطّ إلاّ خانه، ولا صحبه رجل قطّ إلاّ فارقه عن قليّ. وذكر فيه، قال: نظرت عائشة إلى عثمان، فقالت: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾(١).

وذكر فيه، عن عكرمة: أنّ عثمان صعد المنبر فاطّلعت عائشة ومعها قميص رسول الله ﷺ ثم قالت: يا عثمان، أشهد أنّك بريءٌ من صاحب هذا القميص. فقال عثمان: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٢)... الآية.

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٨.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١٠.

وذكر فيه، عن أبي عامر مولى ثابت، قال: كنت في المسجد فمرّ عثمان فنادته عائشة: يا غادر يا فاجر، أخربت أمانتك وضيّعت رعيّتك، ولولا الصلوات الخمس لمشى إليك رجال حتّى يذبحوك ذبح الشاة. فقال لها عثمان: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ﴾[1]... الآية.

وذكر فيه، أنّ عثمان صعد، فنادت عائشة ورفعت القميص، فقالت: لقد خالفت صاحب هذا. فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء عدوّة الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ﴾.... الآية. فقالت له: يا نعثل يا عدوّ الله، إنّما سمّاك رسول الله باسم نعثل اليهودي الذي باليمن... ولاعنته ولاعنها.

وذكر فيه، عن القاسم بن صعب العبدي، قال: قام عثمان ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نسوة يَكِبْن (يكتبن) في الآفاق لتنكث بيعتي ويهراق دمي، والله لو شئت أن أملأ عليهنّ حجراتهنّ رجالاً سوداً وبيضاً لفعلت، ألستُ ختن رسول الله على ابنتيه؟ ألست جهّزت جيش العسرة؟ ألم أكُ رسولَ رسول الله إلى أهل مكة؟ قال: إذ تكلّمت امرأة من وراء الحجاب، قال: فجعل تبدو لنا خمارها أحياناً، فقالت: صدقت، لقد كنت ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه فكان منك فيهما ما قد علمت، وجهّزت جيش العسرة وقد قال الله تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[2]، وكنتَ رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة غيّبك عن بيعة الرضوان لأنّك لم تكن لها أهلاً. قال: فانتهرها عثمان، فقالت: أما أنا فأشهد أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ لكلّ أمّة فرعون، وإنّك فرعون هذه الأمّة.

وذكر فيه من عدّة طرق، قال: لمّا اشتدّ الحصار على عثمان تجهّزت عائشة للحجّ، فجاءها مروان وعبد الرحمن بن عتاب بن الأسيد فسألاها الإقامة والدفع عنه، فقالت: قد عزيت غرائري وأدنيت ركابي وفرضت على نفسي الحجّ، فلست بالتي أُقيم. فنهضا ومروان يتمثّل:

فحرق قيس على البلاد ... حتّى إذا اشتعلت أجذما

فقالت: أيّها المتمثّل بالشعر ارجع. فرجع، فقالت: لعلّك ترى أنّي إنّما قلت هذا الذي قلته شكّاً في صاحبك، فوالله لوددت أنّ عثمان مخيط عليه بعض غرائري حتى أكون أقذفه في اليمّ. ثم ارتحلت حتى نزلت بعض الطريق فلحقها ابن عباس أميراً على الحجّ، فقالت له: يا ابن عباس، إنّ الله قد أعطاك لساناً وعلماً فأُنشدك الله أن تخذل عن قتل هذا الطاغية غداً. ثم انطلقت فلمّا قضت نسكها بلغها أنّ عثمان قتل، فقالت: أبعده الله بما قدّمت يداه، الحمد لله الذي قتله. وبلغها أنّ طلحة ولي بعده، فقالت: أيهن ذا الإصبع. فلمّا بلغها أنّ علياً عليه السلام بويع، قالت: وددت أنّ هذه وقعت على هذه!.

وذكر الواقدي في تاريخه كثيراً ممّا ذكره الثقفي، وزاد في حديث مروان ومجيئه إلى

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

عائشة، أنّ زيد بن ثابت كان معه وأنّها قالت: وددت والله أنّك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلّ واحد منكما رحى، وأنّه في البحر، وأمّا أنت يا زيد فما أقل والله من له مثل ما لك من عضدان العجوة.

وذكر من طريق آخر أنّ المكلّم لها في الإقامة مع مروان عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، قالت: لا والله ولا ساعة، إنّ عثمان غيّر فغيّر الله به أثركم والله. وترك أصحاب محمّد ﷺ. وزاد في خطابها لابن عباس عتاب: إنّك قد أُعطيت لساناً وجدلاً وعقلاً وبياناً، وقد رأيت ما صنع ابن عفّان، اتّخذ عباد الله خولاً. فقال: يا أُمّه، دعيه وما هو فيه لا ينفرجون عنه حتى يقتلوه. قالت: بعّده الله.

ومن طريق آخر: إيّاك أن تردّ الناس عن هذه الطاغية، فإنّ المصريّين قاتلوه.

وروى عن ابن عباس، قال: دخلت عليها البصرة فذكّرتها هذا الحديث، فقالت: ذلك المنطق الذي تكلّمت به يومئذٍ هو الذي أخرجني، لم أر بي توبة إلاّ الطلب بدم عثمان ورأيت أنّه قتل مظلوماً. قال: فقلت لها: فأنت قتلتيه بلسانك، فأين تخرجين؟! توبي وأنت في بيتك، أو أرضي ولاة دم عثمان ولده. قالت: دعنا من جدالك فلسنا من الباطل في شيء.

وذكر الواقدي، عن عائشة بنت قدامة، قالت: سمعت عائشة زوج النبيّ ﷺ تقول وعثمان محصور قد حيل بينه وبين الماء: أحسن أبو محمد حين حال بينه وبين الماء. فقال لها: يا أُمّه، على عثمان! فقالت: إنّ عثمان غيّر سنّة رسول الله ﷺ وسنّة الخليفتين من قبله فحلّ دمه.

وذكر الواقدي في تاريخه، عن كريمة بنت المقداد، قالت: دخلت على عائشة، فقالت: إنّ عثمان أرسل إليّ أن أُرسل إلى طلحة فأبيت، وأرسل إليّ أن أقيمي ولا تخرجي إلى مكة، فقلت: قد جلبت ظهري وغربت غرائري، وإنّي خارجة غداً إن شاء الله، لا والله ما أراني أرجع حتّى يقتل. قالت: قلت: بما قدّمت يداه، كان أبي - تعني المقداد - ينصح له فيأبى إلاّ تقريب مروان وسعيد بن عامر. قالت عائشة: حبّهم والله صنع ما ترين، حمل إلى سعيد بن العاص مائة ألف، وإلى عبد الله بن خالد بن أسيد ثلاثمائة ألف، وإلى حارث بن الحكم مائة ألف، وأعطى مروان خمس إفريقية لا يدري كم هو، فلم يكن الله ليدع عثمان.

وذكر في تاريخه، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أبيه، عن عائشة أنّها كانت أشدّ الناس على عثمان تحرّض الناس عليه وتؤلّب حتى قُتل، فلمّا قُتل وبويع عليّ عليه السلام طلبت بدمه[1].

---

(١) في كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه: ولمّا هرب بنو اميّة لحقوا بمكّة فاجتمعوا إلى عايشة وكانوا ينتظرون أي يلي الأمر طلحة لأنّ هوى عايشة كان معه وكانت من قبل تشنع على عثمان ويحضّ عليه وتخرج راكبة بغلة رسول الله ﷺ ومعها قميصه وتقول: هذا قميص رسول الله ما بلى وقد بلى دينه، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً، فلمّا صار الأمر إلى عليّ كرهته وعادت إلى مكّة بعد ان كانت متوجّهة إلى=

وأمثال هذه الأقوال وأضعافها المتضمّنة للنكير على عثمان من الصحابة أو التابعين منقولة في جميع التواريخ، وإنّما اقتصرنا على تاريخي الثقفي والواقدي، لأنّ لنا إليها طريقاً، ولأن لا يطول الكتاب، وفيما ذكرناه كفاية، ومن أراد العلم بمطابقة التواريخ لما أوردناه في هذين التاريخين فليتأمّلها يجدها موافقة.

ثم أطبق أهل الأمصار وقطّان المدينة من المهاجرين والأنصار - إلاّ النفر الذي اختصّهم عثمان لنفسه وآثرهم بالأموال كزيد بن ثابت وحسّان وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير ومروان وعبد الله بن عمر - على حصره في الدار ومطالبته بخلع نفسه من الخلافة أو قتله، إلى أن قتلوه على الإصرار إلى ما أنكروا عليه ومن ظفروا به في الحال من أعوانه، وأقام ثلاثاً لا يتجاسر أحد من ذويه أن يصلّي عليه ولا يدفنه خوفاً من المسلمين إلى أن شفعوا إلى عليّ عليه السلام في دفنه، فأذن في ذلك على شرط أن لا يدفنوه في مقابر المسلمين، فحُمل إلى حشّ كوكب مقبرة اليهود، ولمّا أراد النفر الذين حملوه الصلاة عليه منعهم من ذلك المسلمون ورجموهم بالأحجار، فدفن بغير صلاة، ولم يزل قبره منفرداً من مقابر المسلمين إلى أن ولي معاوية فأمر بأن يدفن الناس من حوله حتى اتّصل المدفن بمقابر المسلمين، ولم يُسأل عنه أحد من بعد القتل من وجوه المهاجرين والأنصار - كعليّ عليه السلام وعمّار ومحمد بن أبي بكر وغيرهم وأماثل التابعين - إلاّ قال: قتلناه كافراً.

وهذا الذي ذكرناه من نكير الصحابة والتابعين على عثمان موجود في جميع التواريخ وكتب الأخبار، ولا يختلف في صحّته مخالط الأهل والسير والآثار، وإن أحسن الناس كان فيه رأياً من أمسك عن نصرته ومعونة المطالبين له بالخلع، وكفّ عن النكير عنه وعنهم كما ذكرناه من مواليه وبني أُميّة، ومن عداهم بين قاتل ومعاون بلسانه أو بيده أو بهما، ومعلوم تخصّص قاتليه بولاية عليّ عليه السلام وكونهم بطانة له وخواصّاً كمحمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والأشتر وغيرهم من المهاجرين والأنصار وأهل الأمصار، وتولّي الكافة لهم تولّي الصالحين والمنع منهم بالأنفس والأموال وإراقة الدماء في نصرتهم والذبّ عنهم ورضاهم بعليّ عليه السلام مع علمهم برأيه في عثمان والتأليب عليه وتولّي الصلاة وهو محصور بغير أمره، واتّخاذه مفاتح لبيوت الأموال، واتّخاذ قتلته أولياء خاصّة أصفياء، وإطباقهم على اختياره وقتالهم معه والدفاع عنه وعنهم، واستفراغ الوسع في ذلك، وعدم نكير من أحد من الصحابة أو التابعية يعتدّ بنكيره، ثم اشتهر التديّن بتكفير عثمان بعد قتله وكفر من تولاّه من عليّ عليه السلام وذريّته وشيعته ووجوه الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، وحفظ عنهم التصريح بذلك بحيث

= مدينة ونادت: ألا إنّ الخليفة قتل مظلوماً فاطلبوا بدم عثمان، فأوّل من استجاب لها عبد الله بن عامر ثمّ قام سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني اميّة؛ الخ. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «عيش»].

لا يحتاج إلى ذكره، غير أن في ذكره إيناساً للبعيد عن سماع العلم، وتنبيهاً للغافل من سنة الجهل.

فمن ذلك ما رووه من طرقهم أنّ علياً عليه السلام خطب الناس بعد قتل عثمان فذكر أشياء قد مضى بيانها، من جملتها قوله عليه السلام: سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همّته بطنه وفرجه، ويله! لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له، شغل عن الجنّة، والنار أمامه.

ورووا عن علي بن خرور، عن الأصبغ بن نباتة، قال: سأل رجل علياً عليه السلام عن عثمان، فقال: وما سؤالك عن عثمان؟ إنّ لعثمان ثلاث كفرات، وثلاث غدرات، ومحلّ ثلاث لعنات، وصاحب بليّات، لم يكن بقديم الإيمان ولا ثابت الهجرة، وما زال النفاق في قلبه، وهو الذي صدّ الناس يوم أُحد... الحديث طويل.

وذكر الثقفي في تاريخه، عن عبد المؤمن عن رجل من عبد القيس، قال: أتيت علياً عليه السلام في الرحبة، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدّثنا عن عثمان؟ قال: ادن. فدنوت، قال: ارفع صوتك. فرفعت صوتي، قال: كان ذا ثلاث كفرات، وثلاث غدرات، وفعل ثلاث لعنات، وصاحب بليّات، ما كان بقديم الإيمان ولا حديث النفاق. يجزي بالحسنة السيّئة... في حديث طويل.

وذكر في تاريخه، عن حكيم بن جبير، عن أبيه، عن أبي إسحاق وكان قد أدرك علياً عليه السلام، قال: ما يزن عثمان عند الله ذباباً. فقال: ذباباً؟! فقال: ولا جناح ذباب. ثم قال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[1].

وذكر فيه، عن أبي سعيد التيمي، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا يعسوب المؤمنين وعثمان يعسوب الكافرين... وعن أبي الطفيل: وعثمان يعسوب المنافقين.

وذكر فيه، عن هبيرة بن مريم، قال: كنّا جلوساً عند عليّ عليه السلام، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان، ثم قال: إنّي لم أُسمّه باسم عثمان الشيخ الكافر، إنّما سمّيته باسم عثمان بن مظعون.

وذكر في تاريخه، من عدّة طرق أنّ علياً عليه السلام كان يستنفر الناس ويقول: انفروا إلى أئمّة الكفر وبقيّة الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله صلى الله عليه وآله، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، والله إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء.

وذكر فيه، عن عمر بن هند، عن عليّ عليه السلام، أنّه قال: لا يجتمع حبّي وحبّ عثمان في قلب رجل إلاّ اقتلع أحدهما صاحبه.

وروى فيه من طرق، أنّ جيفة عثمان بقيت ثلاثة أيّام لا تدفن، فسأل علياً عليه السلام رجال من

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

قريش في دفنه فأذن لهم على أن لا يدفن مع المسلمين في مقابرهم ولا يصلّى عليه، فلمّا علم الناس بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، فخرجوا به يريدون به حشّ كوكب مقبرة اليهود، فلمّا انتهوا به إليهم رجموا سريره.

وروى فيه من طرق، عن عليّ عليه السلام، أنّه قال: من كان سائلاً عن دم عثمان فإنّ الله قتله وأنا معه.

وروى فيه عن مالك بن خالد الأسدي، عن الحسن بن إبراهيم، عن آبائه، قال: كان الحسن بن عليّ عليه السلام يقول: معشر الشيعة، علّموا أولادكم بغض عثمان، فإنّه من كان في قلبه حبّ لعثمان فأدرك الدجّال آمن به، فإن لم يدركه آمن به في قبره.

ورووا فيه عن بكر بن أيمن، عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: إنّا وبني أميّة تعادينا في الله، فنحن وهم كذلك إلى يوم القيامة، فجاء جبرئيل عليه السلام براية الحقّ فركزها بين أظهرنا، وجاء إبليس براية الباطل فركزها بين أظهرهم، وإنّ أوّل قطرة سقطت على وجه الأرض من دم المنافقين دم عثمان بن عفّان.

وروى فيه عن الحسين عليه السلام أنّ عثمان جيفة على الصراط من أقام عليها أقام على أهل النار، ومن جاوزه إلى الجنة.

وروى فيه عن حكيم بن جبير، يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ عثمان جيفة على الصراط يعطف عليه من أحبّه ويجاوزه عدوّه.

وروى فيه عن محمد بن بشر، قال: سمعت محمد بن الحنفيّة يلعن عثمان ويقول: كانت أبواب الضلالة مغلقة حتى فتحها عثمان.

وروى فيه عن عبد الله بن شريك، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام، أنّه قال: لا تكون حرب سالمة حتى يبعث قائمنا ثلاثة أراكيب في الأرض: ركب يعتقون مماليك أهل الذمّة، وركب يردّون المظالم، وركب يلعنون عثمان في جزيرة العرب.

وروى قتيبة عن أبي سعد التيمي، قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: ثلاث يشهدن على عثمان بالكفر وأنا الرابع. وقد ذكرنا هذا الحديث وشهادة عمّار عليه بالكفر في مقام بعد مقام.

وروى فيه عن يحيى بن جعدة، قال: قلت لزيد بن أرقم: بأيّ شيء كفّرتم عثمان؟ قال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وعمل بغير كتاب الله.

ومن طريق آخر، قال: كفّرناه بثلاث: فرّق كتاب الله ونبذه في الحشوش، وإنزال المهاجرين بمنزلة من حارب الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وجعل المال دولة بين الأغنياء، فمن ثم أكفرناه وقتلناه.

وروى فيه عن أنس بن عمرو، قال: قلت لزبيد الإمامي: إنّ أبا صادق قال: والله ما يسرّني

أن في قلبي مثقال حبّة خردل حبّاً لعثمان ولو أن لي أُحداً ذهباً، وهو شرٌّ عندي من حمار مجدّع لطحان. فقال زبيد: صدق أبو صادق.

وروى فيه عن الحكم بن عيينة، قال: حضرنا في موضع، فقال طلحة بن مصرف الإمامي: يأبى قلبي إلاّ حبّ عثمان. فحكيت ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: لعن الله قلبه.

ورووا عن إبراهيم أنّه قال: إنّ عثمان عندي شرٌّ من قرون.

ورووا فيه عن سفيان، عن الحسن البصري، قال: سألته فقلت: أيّهما أفضل: عثمان أم عمر بن عبد العزيز؟ قال: ولا سواء من جاء إلى أمر فاسد فأصلحه خيراً ومن[1] جاء إلى أمر صالح فأفسده.

ورووا فيه عن جويبر، عن الضحّاك، قال: قال لي: يا جويبر، اعلم أنّ شرّ هذه الأُمّة الأشياخ الثلاثة. قلت: من هم؟ قال: عثمان وطلحة والزبير.

ورووا فيه عن الوليد بن زرود الرقّي، عن أبي جارود العبدي، قال: أمّا عجل هذه الأُمّة فعثمان، وفرعونها معاوية، وسامريها أبو موسى الأشعري وذو الثدية وأصحاب النهر ملعونون، وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروى عن أبي الأرقم، قال: سمعت الأعمش يقول: والله لوددت أنّي كنت وجأت عثمان بخنجر في بطنه فقتلته.

وررووا عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، قال: يرفع عثمان وأصحابه يوم القيامة حتّى يبلغ بهم الثريّا، ثم يطرحون على وجوههم.

وروى فيه عن أبي عبيدة الذهلي، قال: والله لا يكون الأرض سلماً سلماً حتّى يلعن عثمان ما بين المشرق والمغرب لا ينكر ذلك أحد.

وروى فيه أنّ عبد الرحمن بن حنبل الجمحي - وكان بدريّاً - قال:

ذق يا أبا عمرو بسوء الفعل ... وذق صنيع كافر ذي جهل
لمّا سددت باب كلّ عدل ... ورمت نقض حقّنا بالبطل
غدا عليك أهل كلّ فضل ... بالمشرفيّات القضاب الفصل
فذقت قتلاً لك أيّ قتل ... كذاك نجزي كلّ عاتٍ وغل

في أمثال هذه الأقوال المحفوظة عن الصحابة والتابعين ذكر جميعها يخرج عن الغرض، وفي بعض ما ذكرناه كفاية في المقصود، والمنّة لله.

وقال رحمه الله في موضع آخر: تناصر الخبر من طريقي الشيعة وأصحاب الحديث بأنّ عثمان

---

(١) الظاهر: خيرٌ، أو من. . .

وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن من جملة أصحاب العقبة الذين نفّروا برسول الله ﷺ، وأنّ عثمان وطلحة القائلان: أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه؟! والله لو قد مات لأجلبنا[1] على نسائه بالسهام. وقول طلحة: لأتزوجنّ أُمّ سلمة. فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[2].

وقول عثمان يوم أُحد: لألحقنّ بالشام، فإنّ لي بها صديقاً يهودياً. وقول طلحة: لألحقنّ بالشام فإنّ لي بها صديقاً نصرانياً. فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3].

وقول عثمان لطلحة وقد تنازعا: والله إنّك أوّل أصحاب محمّد ﷺ تزوّج بيهوديّة. فقال طلحة: وأنت والله لقد قلت ما ينجينا هاهنا إلاّ أن نلحق بقومنا.

بيان: الرّبو بالفتح: النَّفَس العالي. وأسي على مصيبته - بالكسر - يأسي أسىً: أي حزن، وقد أسِيْتُ لفلانٍ: أي حزنت له. قوله: إنّ في هذا الحديث. أي: روى الغزرمي مكان فتبطحون على وجوهكم هكذا: ترفعون. أي: يرفعكم الملائكة إلى مكان الثريّا من السماء ثم يضربونكم على الأرض على وجوهكم فتطؤكم البهائم، وهذا أشدّ في التعذيب. وقوله: ليجاء بي. لعلّ هذا الترديد والتبهيم للتقيّة والمصلحة مع وضوح المقصود. قوله لعنه الله: التربَاء في فيك يا عليّ. التربَاءُ بالفتح أو بضم التاء وفتح الراء: لغتان في التُّراب، انظر هذا الذي خانت أُمّه أباه كيف شتم وعقّ مولاه، لعنة الله عليه وعلى من ولاّه.

وقال الجوهري: النّاب: المسنَّة من النُّوق. وقال: فلانٌ ينجش نجشاً. أي: يسرع. . . والشّارف من النّوق: المسِنَّة الهرمة. وأغذَّ السَّير وفيه: أسرع. وبَعَج بطنه بالسّكين- كمَنَع- شقَّه. والنَّهابير: المهالك. والتنجيد: العدو. وقال في النهاية: كان أعداءُ عثمان يسمُّونه: نعثلاً تشبيهاً برجلٍ من مصر كان طويل اللحية اسمه: نعثل، وقيل: النّعثل: الشَّيخ الأحمق، وذكر الضّباع. انتهى.

ويقال: زعِر الشَّعر والريش: قلَّ، والزَّعارة: سوءُ الخلق. والغرارة بالكسر: الجوالق. قولها: أنّ هذه. - أي: السماء - وقعت على هذه. أي: الأرض. وقال الفيروزآبادي: العضد والعضيد: الطَّريقة من النَّخل، والجمع كغربانٍ. والمعنى أنّ ذلك أموالاً كثيرة تحميه لبقائها أو حصلتها ببركته. وقال في القاموس: الرَّكب: ركبان الإبل اسم جمع أو جمعٌ، وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل، والأركُوب بالضّمّ: أكثر من الرَّكب.

---

(١) كذا، والظاهر: لأجلنا.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١.

٢٦ - باب الشورى واحتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على القوم في ذلك اليوم

١ - **ل:** أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن الحكم بن مسكين، عن أبي الجارود وهشيم بن أبي ساسان وأبي طارق السرّاج، عن عامر بن واثلة، قال: كنت في البيت يوم الشورى، فسمعت عليّاً عليه السلام وهو يقول: استخلف الناس أبا بكر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه، واستخلف أبو بكر عمر وأنا و الله أحقّ بالأمر وأولى به منه، إلّا أن عمر جعلني مع خمسة أنا سادسهم لا يعرف لهم عليّ فضل، ولو أشاء لاحتججت عليهم بما لا يستطيع عربيّهم ولا عجميّهم - المعاهد منهم والمشرك - تغيير ذلك.

ثم قال: نشدتكم بالله أيّها النفر، هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد ساق رسول الله صلى الله عليه وآله لربّ العالمين هدياً فأشركه فيه.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله بطير يأكل منه، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجئته، فقال: اللهمّ وإلى رسولك وإلى رسولك.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين رجع عمر يجبّن أصحابه ويجبّنونه قد ردّ راية رسول الله صلى الله عليه وآله منهزماً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطينّ الراية غداً رجلاً ليس بفرّار، يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله عليه. فلمّا أصبح قال: ادعوا لي عليّاً. فقالوا: يا رسول الله، هو رَمِد ما يطرف. فقال: جيئوني به. فلمّا قمت بين يديه تفل في عيني وقال: اللهمّ أذهب عنه الحرّ والبرد. فأذهب الله عنّي الحرّ والبرد إلى ساعتي هذه، وأخذت الراية فهزم الله المشركين وأظفرني بهم.. غيري. قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر المزيّن بالجناحين في الجنّة يحلّ فيها حيث يشاء.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطيّ: الحسن والحسين ابنيْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّديْ شباب أهل الجنّة.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعة منه وسيّدة نساء أهل الجنّة.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من فارقك فارقني ومن فارقني فارق الله.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول

الله ﷺ لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي طاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يغشاهم بالسيف.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما من مسلم وصل إلى قلبه حبّي إلّا كفّر الله عنه ذنوبه، ومن وصل حبّي إلى قلبه فقد وصل حبّك إلى قلبه، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت الخليفة في الأهل والولد والمسلمين في كلّ غيبة، عدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله، ووليّك وليّي ووليّي وليّ الله.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا عليّ، من أحبّك ووالاك سبقت له الرحمة ومن أبغضك وعاداك سبقت له اللعنة. فقالت عائشة: يا رسول الله، ادع الله لي ولأبي لا نكون ممّن يبغضه ويعاديه. فقال ﷺ: اسكتي، إن كنت أنت وأبوك ممّن يتولّاه ويحبّه فقد سبقت لكما الرحمة، وإن كنتما ممّن يبغضه ويعاديه فقد سبقت لكما اللعنة، ولقد خبثت أنت، وأبوك أوّل من يظلمه، وأنت أوّل من يقاتله.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لي: يا علي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ومنزلك مواجه منزلي كما يتواجه الإخوان في الخلد؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا علي، إنّ الله خصّك بأمر وأعطاكه ليس من الأعمال شيء أحبّ إليه ولا أفضل منه عنده: الزهد في الدنيا، فليس تنال منها شيئاً ولا تنال منك، وهي زينة الأبرار عند الله عزّوجلّ يوم القيامة، فطوبى لمن أحبّك وصدق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد بعثه رسول الله ﷺ ليجيء بالماء كما بعثني، فذهبت حتى حملت القربة على ظهري ومشيت بها، فاستقبلتني ريح فردّتني حتى أجلستني، ثم قمت فاستقبلتني ريح فردّتني ثم أجلستني، ثم قمت فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال لي: ما حبسك؟ فقصصت عليه القصّة، فقال: قد جاءني جبرئيل فأخبرني، أمّا الريح الأُولى فجبرئيل كان في ألف من الملائكة يسلّمون عليك، وأمّا الثانية فميكائيل جاء في ألف من الملائكة يسلّمون عليك.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم من قال له جبرئيل: يا محمد، أترى هذه المواساة من عليّ؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان يكتب لرسول الله ﷺ كما جعلت أكتب فأغفى رسول الله ﷺ فأنا أرى أنّه يملي عليّ، فلمّا انتبه قال له[1]: يا علي، من أملى عليك من

---

(١) الظاهر: لي.

هاهنا إلى هاهنا؟ فقلت: أنت يا رسول الله. فقال: لا، ولكن جبرئيل أملاه عليك.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ كما قال لي: لولا أن [أخاف أن] لا يبقى أحد إلّا قبض من أثرك قبضة يطلب بها البركة لعقبه من بعده، لقلت فيك قولاً لا يبقى أحد إلّا قبض من أثرك قبضة.. [غيري]؟ فقالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: احفظ الباب فإنّ زوّاراً من الملائكة يزورني فلا تأذن لأحد منهم. فجاء عمر فرددته ثلاث مرّات وأخبرته أنّ رسول الله ﷺ محتجب وعنده زوّار من الملائكة وعدّتهم كذا وكذا، ثم أذنت له فدخل، فقال: يا رسول الله، إنّي جئت غير مرّة كلّ ذلك يردّني عليّ ويقول: إنّ رسول الله ﷺ محتجب وعنده زوّار من الملائكة وعدّتهم كذا وكذا، فكيف علم بالعدّة؟ أعاينهم؟ فقال: لا، يا علي قد صدق، كيف علمت بعدّتهم؟ فقلت: اختلفت عليّ التحيّات وسمعت الأصوات فأحصيت العدد. قال: صدقت، فإنّ فيك سنّة من أخي عيسى. فخرج عمر وهو يقول: ضربه لابن مريم مثلاً. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. قال: يضجّون ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[1]. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ كما قال لي: إنّ طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار علي، ليس من مؤمن إلّا وفي منزله غصن من أغصانها.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: تقاتل على سنّتي وتبرئ ذمّتي.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد جاء إلى رسول الله ﷺ ورأسه في حجر جبرئيل عليه السلام فقال لي: ادن دونك رأس ابن عمّك فأنت أولى به منّي.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد وضع رسول الله ﷺ رأسه في حجره حتى غابت الشمس ولم يصلّ العصر فلمّا انتبه رسول الله ﷺ قال: يا عليّ، صلّيت؟ قلت: لا. فدعا رسول الله ﷺ فردّت الشمس بيضاء نقيّة فصلّيت ثم انحدرت.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أمر الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ أن يبعث ببراءة، فبعث بها مع أبي بكر فأتاه جبرئيل، فقال: يا محمّد، إنّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك. فبعثني رسول الله ﷺ فأخذتها من أبي بكر فمضيت بها وأدّيتها عن رسول الله ﷺ، فأثبت الله

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٧.

على لسان رسوله أنّي منه . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت إمام من أطاعني، ونور أوليائي، والكلمة التي ألزمتها المتّقين . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنّتي التي وعدني ربّي، جنّات عدن قضيب غرسه الله بيده، ثم قال: كن، فكان، فليوال عليّ بن أبي طالب وذريّته من بعده، فهم الأئمّة، وهم الأوصياء أعطاهم الله علمي وفهمي، لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى، لا تعلّموهم فهم أعلم منكم، يزول الحقّ معهم أينما زالوا . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: قضى فانقضى، إنّه لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لي: أهل ولايتك يخرجون يوم القيامة من قبورهم على نوق بيض، شراك نعالهم نور يتلألأ، قد سهلت عليهم الموارد، وفرّجت عنهم الشدائد، وأعطوا الأمان، وانقطعت عنهم الأحزان حتى ينطلق بهم إلى ظلّ عرش الرحمن، توضع بين أيديهم مائدة يأكلون منها حتى يفرغ من الحساب، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ حين جاء أبو بكر يخطب فاطمة عليها السلام، فأبى أن يزوّجه، وجاء عمر يخطبها فأبى أن يزوّجه، فخطبت إليه فزوّجني، فجاء أبو بكر وعمر فقالا: أبيت أن تزوّجنا وزوّجته؟ فقال رسول الله ﷺ: ما منعتكما وزوّجته، بل الله منعكما وزوّجه . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل سمعتم رسول الله ﷺ يقول: كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي. فأيّ سبب أفضل من سببي؟ وأيّ نسب أفضل من نسبي؟ إنّ أبي وأبا رسول الله ﷺ لأخوان، وإنّ الحسن والحسين ابنيْ رسول الله ﷺ وسيّديْ شباب أهل الجنّة ابناي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ زوجتي سيّدة نساء أهل الجنّة . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إنّ الله خلق الخلق ففرقهم فرقتين، فجعلني في خير الفرقتين، ثم جعلهم شعوباً فجعلني في خير شعبة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت، ثم اختار من أهل بيتي أنا وعليّاً وجعفراً، فجعلني خيرهم، فكنت نائماً بين ابنيْ أبي طالب عليه السلام فجاء جبرئيل ومعه ملك فقال: يا جبرئيل، إلى أيّ هؤلاء أرسلت؟ فقال: إلى هذا، ثم أخذ بيدي فأجلسني . . غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سدّ رسول الله ﷺ أبواب المسلمين كلّهم ولم يسدّ

بابي، فجاءه العباس وحمزة وقالا: أخرجتنا وأسكنته؟ فقال لهما: ما أنا أخرجتكم وأسكنته بل الله أخرجكم وأسكنه، إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى أخي موسى عليه السلام أن اتّخذ مسجداً طهوراً واسكنه أنت وهارون وابنا هارون، وإنّ الله عزّوجلّ أوحى إليّ أن اتّخذ مسجداً طهوراً واسكنه أنت وعليّ وابنا عليّ.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد وقى رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث جاء المشركون يريدون قتله، فأضجعت في مضجعه وذهب رسول الله صلّى الله عليه وآله نحو الغار وهم يرون أنّي أنا هو، فقالوا: أين ابن عمّك؟ فقلت: لا أدري. فضربوني حتى كادوا يقتلونني.. [غيري]؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله كما قال لي: إنّ الله أمرني بولاية عليّ فولايته ولايتي وولايتي ولاية ربّي، عهد عهده إليّ ربّي وأمرني أن أُبلّغكموه، فهل سمعتم؟ قالوا: نعم قد سمعناه. قال: أما إنّ فيكم من يقول: قد سمعت، وهو يحمل الناس على كتفيه ويعاديه. قالوا: يا رسول الله، أخبرنا بهم. قال: أما إنّ ربّي قد أخبرني بهم وأمرني بالإعراض عنهم لأمر قد سبق، وإنّما يكتفي أحدكم بما يجد لعليّ في قلبه.. [غيري]؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قتل من بني عبد الدّار تسعة مبارزةً غيري كلّهم يأخذ اللواء، ثم جاء صواب الحبشي مولاهم وهو يقول: والله لا أقتل بسادتي إلّا محمّداً. قد أزبد شدقاه واحمرّتا عيناه، فاتّقيتموه وحدتم عنه، وخرجت إليه فلمّا أقبل كأنّه قبّة مبنيّة، فاختلفت أنا وهو ضربتين فقطعته بنصفين وبقيت رجلاه وعجزه وفخذاه قائمة على الأرض ينظر إليه المسلمون ويضحكون منه.. [غيري].؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قتل من مشركي قريش مثل قتلي؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد جاء عمرو بن عبد ودّ ينادي: هل من مبارز؟ فكعتم عنه كلّكم فقمت أنا، فقال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: إلى أين تذهب؟ فقلتُ: أقوم إلى هذا الفاسق. فقال: إنّه عمرو بن عبد ودّ. فقلت: يا رسول الله، إن كان هو عمرو بن عبد ودّ فأنا عليّ بن أبي طالب. فأعاد عليّ صلّى الله عليه وآله الكلام وأعدت عليه، فقال: امض على اسم الله. فلمّا قربت منه قال: من الرجل؟ قلت: عليّ بن أبي طالب. قال: كفو كريم ارجع يابن أخي فقد كان لأبيك معي صحبة ومحادثة فأنا أكره قتلك. فقلت له: يا عمرو، إنّك قد عاهدت الله أن لا يخيّرك أحد ثلاث خصالٍ إلّا اخترت إحداهنّ. فقال: اعرض عليّ. قلت: تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وتقرّ بما جاء من عند الله. قال: هات غير هذه. قلت: ترجع من حيث جئت. قال: والله لا تحدّث نساء قريش بهذا أنّي رجعت عنك. فقلت: فانزل

فأُقاتلك. قال: أمّا هذه فنعم، فنزل فاختلف أنا وهو ضربتين فأصاب الحَجَفة وأصاب السيف رأسي، وضربته ضربة فانكشفت رجليه فقتله الله على يدي، ففيكم أحد فعل هذا؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد حين جاء مرحب وهو يقول:

أنا الذي سمّتني أمّي مرحب   شاك السلاح بطل مجرّب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فخرجت إليه فضربني وضربته، وعلى رأسه نقير من جبل لم يكن تصلح على رأسه بيضة من عظم رأسه، ففلقت النقير ووصل السيف إلى رأسه فقتلته، ففيكم أحد فعل هذا؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، فأخذ رسول الله ﷺ كساءً خيبريّاً فضمّني فيه وفاطمة والحسن والحسين، ثم قال: يا ربّ، هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا سيّد ولد آدم وأنت يا عليّ سيّد العرب؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان رسول الله ﷺ في المسجد إذ نظر إلى شيء ينزل من السماء فبادره ولحقه أصحابه فانتهى إلى سودان أربعة يحملون سريراً، فقال لهم: ضعوا. فوضعوا، فقال: اكشفوا عنه. فكشفوا فإذا أسود مطوّق بالحديد، فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قالوا: غلام الرياحيّين كان قد أبق عنهم خبثاً وفسقاً فأمرونا أن ندفنه في حديده كما هو. فنظرت إليه، فقلت: يا رسول الله، ما رآني قطّ إلّا قال: أنا والله أُحبّك، والله ما أحبّك إلّا مؤمن ولا أبغضك إلّا كافر. فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، لقد أثابه الله بذا، هذا سبعون قبيلاً من الملائكة كلّ قبيل على ألف قبيل قد نزلوا يصلّون عليه. ففكّ رسول الله ﷺ حديدته وصلّى عليه ودفنه؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لي: أُذن لي البارحة في الدعاء فما سألت ربّي شيئاً إلّا أعطانيه، وما سألت لنفسي شيئاً إلّا سألت لك مثله وأعطانيه. فقلت: الحمد لله؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: نشدتكم بالله، هل علمتم أنّ رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى بني خزيمة[2] ففعل ما فعل فصعد رسول الله ﷺ المنبر فقال: (اللهمّ) إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرّات، ثم قال: اذهب يا عليّ. فذهبت فوديتهم ثم ناشدتهم بالله هل بقي شيء؟ فقالوا: إذ نشدتنا بالله فميلغة كلابنا، وعقال بعيرنا. فأعطيتهم لهما، وبقي معي ذهب

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) في المصدر: جذيمة.

كثير فأعطيتهم إيّاه، وقلت: هذا لذمّة رسول الله ﷺ ولما تعلمون ولما لا تعلمون ولروعات النساء والصبيان. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، قال: والله ما يسرّني يا عليّ أنّ لي بما صنعت حمر النعم؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: نشدتكم بالله، هل سمعتم رسول الله ﷺ يقول: يا عليّ، عرضت عليَّ أُمّتي البارحة فمرّ بي أصحاب الرايات، فاستغفرت لك ولشيعتك؟ فقالوا: اللهمّ نعم. قال: نشدتكم بالله، هل سمعتم رسول الله ﷺ قال: يا أبا بكر، اذهب فاضرب عنق ذلك الرجل الذي تجده في موضع كذا وكذا. فرجع، فقال: قتلته؟ قال: لا، وجدته يصلّي. فقال: آمركما بقتله، فتقولان وجدناه يصلّي؟! فقال: يا علي، اذهب فاقتله، فلمّا مضيت قال: إن أدركه قتله. فرجعت فقلت: يا رسول الله، لم أجد أحداً. فقال: صدقت، أما إنّك لو وجدته لقتلته؟ فقالوا: اللهمّ نعم.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ كما قال لي: إنّ وليّك في الجنّة وعدوّك في النار؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: نشدتكم بالله، هل علمتم أنّ عائشة قالت لرسول الله ﷺ: إنّ إبراهيم ليس منك وإنّه ابن فلان القبطي. قال: يا علي، اذهب فاقتله، فقلت: يا رسول الله، إذا بعثتني أكون كالمسمار المحمّى في الوبر أو أتثبّت؟ قال: لا، بل تثبّت. فذهب (فذهبت) فلمّا نظر إليّ استند إلى حائط فطرح نفسه فيه فطرحت نفسي على أثره، فصعد على نخل فصعدت خلفه، فلمّا رآني قد صعدت رمى بإزاره فإذا ليس له شيء ممّا يكون للرجال، فجئت فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: الحمد لله الذي صرف عنّا السوء أهل البيت؟ فقالوا: اللهمّ نعم. فقال: اللهمّ اشهد(1).

بيان: قوله ﷺ: لولا أن لا يبقى. ظاهره عدم جواز الاستشفاء والتبرّك بتراب قدم الإمام، وهو بعيد، ولعلّه ذكر هذا وأراد لازمه وهو الغلوّ والاعتقاد بالأُلوهيّة، كما ورد في أخبار أُخر: لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لم تمرّ بملأ إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به.. . أو هو مبنيّ على أنّ وضوح الأمر بهذا الحدّ ينافي الابتلاء الذي لا بدّ منه في التكليف، والأول أظهر.

والزَّوْر بالفتح، والزُّوّار بالضم: جمع الزّائر كسفرٍ وسفّارٍ جمع سافرٍ. وقال الجوهري: كعت عن الأمر أكيع وأكاع، إذا هِبته وجَبُنت. وقال: رجلٌ شاكٌ في السلاح وشاكُ السلاح، والشّاكُ السلاح وهو اللابس السلاح التّام. وقال: الشَّوكة: شدَّة البأس والحدُّ في السلاح، وقد شاك الرَّجل يشاك شوكاً، أي: ظهرت شوكته وحدَّته فهو شائك السلاح، وشاكي السلاح أيضاً مقلوبٌ منه.

(1) الخصال، ص ٥٥٣ باب الأربعين فما فوق، ح ٣١.

والبَطَل بالتحريك: الشُّجاع. والنَّقير: ما نقر من الحجر والخشب ونحوه، ذكره الفيروزآبادي. قوله عليه السلام: إلى شيء ينزل من السماء. أي: إنّه صلى الله عليه وآله لمّا نظر إلى الملائكة ينزلون قام ومشى حتى انتهى إلى تلك الجنازة وعلم أنّ نزولهم لذلك.

وقال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعثه ليدي قوماً قتلهم خالد بن الوليد، فأعطاهم ميلَغَة الكلب، هي الإناءُ الذي يلغُ فيه الكلب، يعني أعطاهم قيمة كلّ ما ذهب حتّى قيمة الميلغَة.

٢ - ج: روى عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه، قال: إنّ عمر بن الخطاب لمّا حضرته الوفاة وأجمع على الشورى، بعث إلى ستة نفر من قريش: إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإلى عثمان بن عفّان، وإلى زبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وأمرهم أن يدخلوا إلى بيت ولا يخرجوا منه حتى يبايعوا لأحدهم، فإن اجتمع أربعة على واحد وأبى واحد أن يبايعهم قتل، وإن امتنع اثنان وبايع ثلاثة قُتلا، فاجتمع رأيهم على عثمان، فلمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما همّ القوم به من البيعة لعثمان، قام فيهم ليتّخذ عليهم الحجّة، فقال عليه السلام لهم: اسمعوا منّي فإن يك ما أقول حقّاً فاقبلوا وإن يك باطلاً فأنكروا.

ثم قال لهم: أُنشدكم بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد صلّى إلى القبلتين كلتيهما.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم من بايع البيعتين - بيعة الفتح وبيعة الرضوان - غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أخوه المزيَّن بالجناحين في الجنّة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد عمّه سيّد الشهداء.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد زوجته سيّدة نساء أهل الجنّة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد ابناه ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهما سيّدا شباب أهل الجنّة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد عرف الناسخ من المنسوخ.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيراً.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد عاين جبرئيل عليه السلام في مثال دحية الكلبي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أدّى الزكاة وهو راكع.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد مسح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وأعطاه الراية يوم خيبر فلم يجد حرّاً ولا برداً.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ بأمر الله، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أخو رسول الله صلى الله عليه وآله في الحضر ورفيقه في السفر..

غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق وقتله.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم من سمّاه الله في عشر آيات من القرآن مؤمناً.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد ناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى به في وجوه الكفّار فانهزموا.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد وقفت الملائكة معه يوم أحد حين ذهب الناس.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قضى دين رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد اشتاقت الجنّة إلى رؤيته.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد شهد وفاة رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد غسّل رسول الله ﷺ وكفنه.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ ورايته وخاتمه.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد جعل رسول الله ﷺ طلاق نسائه بيده.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد حمله رسول الله ﷺ على ظهره حتى كسّر الأصنام على باب الكعبة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد نودي باسمه يوم بدر: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أكل مع رسول الله ﷺ من الطائر الذي أُهدي إليه.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت صاحب رايتي في الدنيا وصاحب لوائي في الآخرة.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قدّم بين يدي نجواه صدقة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد خصف نعل رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا أخوك وأنت أخي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: اللهمّ عليّ أحبّ الخلق إليّ وأقولهم بالحقّ.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد استقى مائة دلو بمائة تمرة وجاء بالتمر فأطعمه رسول الله ﷺ وهو جائع.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد سلّم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يوم بدر.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد غمّض [عين] رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان أوّل داخل على رسول الله ﷺ وآخر خارج من عنده.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد مشى مع رسول الله ﷺ فمرّ على حديقة، فقلت: ما أحسن هذه الحديقة! فقال رسول الله ﷺ: وحديقتك في الجنّة أحسن من هذه. حتى مررت على ثلاث حدائق كلّ ذلك يقول رسول الله: حديقتك في الجنّة أحسن من هذه.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني يوم القيامة.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده ويد امرأته وابنيه حين أراد أن يباهل نصارى أهل نجران.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أوّل طالع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس، فإنّه أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وخير الوصيّين وأولى الناس بالناس. فقال أنس: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار. فكنت أنا الطالع، فقال رسول الله ﷺ لأنس: ما أنت يا أنس بأوّل رجل أحبّ قومه.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1]. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي ولده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[2].. إلى آخر السورة - غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3] غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد علّمه رسول الله ﷺ ألف كلمة كلّ كلمة مفتاح ألف كلمة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد ناجاه رسول الله ﷺ يوم الطائف، فقال أبو بكر وعمر: ناجيت عليّاً دوننا؟! فقال لهم ﷺ: ما أنا ناجيته بل الله أمرني بذلك.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد سقاه رسول الله ﷺ من المهراس.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أقرب الخلق منّي يوم القيامة، يدخل بشفاعتك الجنّة أكثر الخلق من ربيعة ومضر[4].. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا عليّ أنت تكسى حين أكسى.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة.. غيري؟ قالوا: لا.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٥.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٩.
(٤) في المصدر: أكثر من عدد ربيعة ومضر.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض هذا.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من أحبّ شعراتي هذه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله. فقيل له: وما شعراتك يا رسول الله؟ قال: عليّ والحسن والحسين وفاطمة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت خير البشر بعد النبيّين..غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت الفاروق تفرق بين الحقّ والباطل.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أفضل الخلائق عملاً يوم القيامة بعد النبيّين.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ كساءه وحطّه عليه وعلى زوجته وابنيه، ثم قال: اللهمّ أنا وأهل بيتي إليك لا إلى النار.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله ﷺ الطعام وهو في الغار ويخبره الأخبار.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: لا سرّ دونك.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أقدمهم سلماً، وأفضلهم علماً، وأكثرهم حلماً.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قتل مرحب اليهودي مبارزة فارس اليهود.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد عرض عليه النبيّ ﷺ الإسلام فقال له: أنظرني حتى ألقى والدي. فقال النبيّ ﷺ فإنّها أمانة عندك. فقلت: وإن كانت أمانة عندي فقد أسلمت.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها، فمشى به مائة ذراع، ثم عالجه بعده أربعون رجلاً فلم يطيقوه.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾[1]، فكنت أنا الذي قدّم.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: منزلي مواجه منزلك في الجنّة.. غيري؟ قالوا: لا. قال نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: قاتل الله من قاتلك، وعادى الله من عاداك.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول الله ﷺ حين أراد أن يسير رسول الله ﷺ إلى المدينة

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

ووقاه بنفسه من المشركين حين أرادوا قتله غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أولى الناس بأمّتي من بعدي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت يوم القيامة عن يمين العرش والله يكسوك ثوبين أحدهما أخضر والآخر وردي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد صلّى قبل الناس بسبع سنين وأشهر.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربّي - والحجزة: النور - وأنت آخذ بحجزتي وأهل بيتي آخذون بحجزتك.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت كنفسي وحبّك حبّي وبغضك بغضي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ولايتك كولايتي عهد عهده إليّ ربّي وأمرني أن أبلّغكموه.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: اللهمّ اجعله لي عوناً وعضداً وناصراً.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: المال يعسوب الظلمة، وأنت يعسوب المؤمنين.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: لأبعثنّ إليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أطعمه رسول الله ﷺ رمّانة وقال: هذه من رمّان الجنّة لا ينبغي أن يأكل منه إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألت ربّي شيئاً إلّا أعطانيه، ولم أسأل ربّي شيئاً إلّا سألت لك مثله.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أقومهم بأمر الله، وأوفاهم بعهد الله، وأعلمهم بالقضيّة، وأقسمهم بالسويّة، وأعظمهم عند الله مزيّة.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: فضلك على هذه الأمّة كفضل الشمس على القمر، وكفضل القمر على النجوم.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يُدخل الله وليّك الجنّة وعدوّك النار.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: الناس من أشجار شتّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ﷺ في آيتين من القرآن.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا سيّد ولد آدم وأنت سيّد العرب [والعجم] ولا فخر.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: موعدك وموعد شيعتك الحوض إذا خافت الأمم ووضعت الموازين..

غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه، اللهمّ إنّي أستودعكه.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت تحاجّ الناس فتحجّهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والقسم بالسويّة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ يوم بدر بيده فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطه وهو يقول: ألا إنّ هذا ابن عمّي ووزيري فوازروه وناصحوه وصدّقوه فإنّه وليّكم.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أُنزلت فيه هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١) غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان جبرئيل أحد ضيفانه.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أعطاه رسول الله ﷺ حنوطاً من حنوط الجنّة، ثم قال: اقسمه أثلاثاً، ثلثاً لي تحنّطني به، وثلثاً لابنتي، وثلثاً لك.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان إذا دخل على رسول الله ﷺ حيّاه وأدناه وتهلّل له وجهه.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا أفتخر بك يوم القيامة إذا افتخرت الأنبياء بأوصيائها.. غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد سرّحه رسول الله ﷺ بسورة براءة إلى المشركين من أهل مكة بأمر الله.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إنّي لأرحمك من ضغائن في صدور أقوام عليك لا يظهرونها حتى يفقدوني، فإذا فقدوني خالفوا فيها.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أدّى الله عن أمانتك، أدى الله عن ذمّتك.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد فتح حصن خيبر، وسبى بنت مرحب فأدّاها إلى رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت قسيم النار تخرج منها من زكى وتذر فيها كلّ كافر.. غيري؟ قالوا: لا. قال: هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ترد عليّ الحوض أنت وشيعتك رِواء مرويّين مبيضة وجوههم، ويرد عليّ عدوّك ظماء مظمئين مفحمين مسودّة وجوههم.. غيري؟ قالوا: لا.

ثم قال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله ورضوانه: أما إذا أقررتم على أنفسكم واستبان لكم ذلك من قول نبيكم ﷺ فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأنهاكم عن سخطه ولا تعصوا أمره، وردّوا الحقّ إلى أهله، واتّبعوا سنّة نبيكم، فإنّكم إذا خالفتم خالفتم الله، فادفعوها إلى من هو أهلها وهي له.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

قال: فتغامزوا بينهم وتشاوروا، وقالوا: قد عرفنا فضله وعلمنا أنّه أحقّ الناس بها، ولكنّه رجل لا يفضّل أحداً على أحد، فإن ولّيتموها إيّاه جعلكم وجميع الناس فيها شرعاً سواء، ولكن ولّوها عثمان فإنّه يهوى الذي تهوون. فدفعوها إليه(١).

بيان: صلّى إلى القبلتين: أي معاً في صلاة واحدة أو جمع(٢) في مكة بين الكعبة وبيت المقدس، مع أنّه لا استبعاد في عدم إتيان غيره بالصلاة إلى تحوّل القبلة، فإنّ الصلاة في أوّل الأمر لم تكن واجبة يأتي بها جميع المسلمين لكنّه بعيد.

ولعلّ المراد ببيعة الفتح: بيعة افتتاح تبليغ الرسالة يوم جمع بني عبد المطلب، فإنّهم لم يكونوا داخلين في تلك البيعة، ويحتمل عدم دخول بعضهم في بيعة فتح مكة، وبعضهم في بيعة الرضوان.

قوله عليه السلام: أوّل داخل... إلى آخره. أي: كلّ يوم أو في أوّل سنة بمكة وعند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقال الجوهري: المِهْراس: حجرٌ منقورٌ يُدقّ فيه ويُتوضّأ. قوله عليه السلام: من أحبّ شعراتي. تشبيههم بالشعرات لكونهم منه صلى الله عليه وآله وموجبين لحسنه كما أن الشعر بالنسبة إلى الإنسان كذلك. قوله عليه السلام: بعد النبيّين. أي: بعد درجة النبيّين من حيث المجموع، فإنّ فيهم من هو أفضل منه، ويحتمل أن يكون هذا للتقيّة والمصلحة لئلّا يغلق فيه الناس، أو يكون هذا حاله عليه السلام قبل الإمامة وبعده ويكون أفضل منهم، وبه يجمع بين الأخبار.

قوله عليه السلام: أنظرني. لعلّه عليه السلام أراد أن يُشرك والده في الإسلام رعاية لحقّه بعد إظهار ما يجب من الطاعة والقبول، فلمّا قال له الرسول صلى الله عليه وآله: إنّها أمانة عندك.. علم أنّه صلى الله عليه وآله لا يحبّ انتشار الأمر، فخاف من إعلام والده ذلك، فبادر إلى البيعة وما يستحبّ من إظهار كمال المتابعة والانقياد.

قوله عليه السلام: رضي الله عنه في آيتين من القرآن، إحداهما قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) الآية، والأخرى: قال الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٤)، أو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٦)، والأخير أظهر للأخبار الكثيرة الدالّة على نزولها فيه عليه السلام وفي شيعته، ويحتمل أن يكون المراد بالتثنية مطلق التكرار نحو: لبّيك وسعديك، فيشمل الجميع.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ص ١٣٤.

(٢) كذا، والظاهر جمع.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٦) سورة البينة، الآيتان: ٧-٨.

قوله عليه السلام: أدّى الله. دعاء أو خبر، أي: يوفّقك الله لأداء الأمانات والذمم والعهود، والأول أظهر.

٣ - ل: فيما أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام اليهوديّ السائل عمّا امتحن به من بين الأوصياء:

وأمّا الرابعة - يا أخا اليهود - فإنّ القائم بعد صاحبه كان يشاورني في موارد الأمور فيصدرها عن أمري ويناظرني في غوامضها فيمضيها عن رأيي لا أُعلمه أحداً ولا يعلمه أصحابي، لا يناظره في ذلك غيري، ولا يطمع في الأمر بعده سواي، فلمّا أن أتته منيّته على فجأة بلا مرض كان قبله ولا أمر كان أمضاه في صحّة من بدنه، لم أشكّ أنّي قد استرجعت حقّي في عافية بالمنزلة التي كنت أطلبها، والعاقبة التي كنت ألتمسها، وأنّ الله سيأتي بذلك على أحسن ما رجوت وأفضل ما أمّلت، فكان من فعله أن ختم أمره بأن سمّى قوماً أنا سادسهم ولم يسوّني بواحد منهم ولا ذكر لي حالاً في وراثة الرسول صلى الله عليه وآله ولا قرابة ولا صهراً ولا نسباً، ولا كان لواحد منهم مثل سابقة من سوابقي، ولا أثر من آثاري، وصيّرها شورى بيننا، وصيّر ابنه فيها حاكماً علينا، وأمره أن يضرب أعناق النفر الستة الذين صيّر الأمر فيهم إن لم ينفّذوا أمره، وكفى بالصبر على هذا يا أخا اليهود صبراً.

فمكث القوم أيّامهم كلّها كلّ يخطب لنفسه وأنا ممسك، إلى أن سألوني عن أمري، فناظرتهم في أيّامي وأيّامهم، وآثاري وآثارهم، وأوضحت لهم ما لم يجهلوه من وجه استحقاقي لها دونهم، وذكّرتهم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم، وتأكيد ما أكّده من البيعة لي في أعناقهم، دعاهم حبّ الإمارة وبسط الأيدي والألسن في الأمر والنهي، والركون إلى الدنيا، والاقتداء بالماضين قبلهم إلى تناول ما لم يجعل الله لهم، فإذا خلوت بالواحد ذكّرته أيّام الله وحذّرته ما هو قادم عليه وصائر إليه التمس منّي شرطاً أن أُصيّرها له بعدي، فلمّا لم يجدوا عندي إلّا المحجّة البيضاء والحمل على كتاب الله عزّ وجلّ ووصيّة الرسول صلى الله عليه وآله وإعطاء كلّ امرئ منهم ما جعله الله له ومنعه ما لم يجعل الله له، أزالوها عنّي إلى ابن عفّان طمعاً إلى التبجّح معه فيها، وابن عفّان رجل لم تسوّ به وبواحد ممّن حضره حال له قطّ فضلاً عمّن دونهم، لا ببدر التي هي سنام فخرهم، ولا غيرها من المآثر التي أكرم الله بها رسوله صلى الله عليه وآله ومن اختصّه معه من أهل بيته.

ثم لم أعلم القوم أمسوا من يومهم ذلك حتى ظهرت ندامتهم، ونكصوا على أعقابهم، وأحال بعضهم على بعض، كلّ يلوم نفسه ويلوم أصحابه، ثم لم تطل الأيّام بالمستبدّ بالأمر - ابن عفّان - حتى أكفروه وتبرؤوا منه، ومشى إلى أصحابه خاصّة وسائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه يستقيلهم من بيعته ويتوب إلى الله من فلتته. فكانت هذه يا أخا اليهود أكبر من أُختها وأفظع، وأحرى أن لا يصبر عليها، فنالني منها الذي لا يبلغ وصفه ولا يحدّ وقته، ولم يكن عندي فيه إلّا الصبر على ما أمضّ وأبلغ منها.

ولقد أتاني الباقون من الستة من يومهم كلّ راجع عمّا كان ركب منّي، يسألني خلع ابن عفّان والوثوب عليه وأخذ حقّي، ويعطيني صفقته وبيعته على الموت تحت رايتي، أو يردّ الله عزّوجلّ حقّي، فوالله يا أخا اليهود ما منعني منها إلّا الذي منعني من أُختيها قبلها، ورأيت الإبقاء على من بقي من الطائفة أبهج لي وآنس لقلبي من فنائها، وعلمت أنّي إن حملتها على دعوة الموت ركبته، أمّا نفسي فقد علم من حضر ممّن ترى ومن غاب من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله أنّ الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الشديد الحرّ من ذي العطش الصدي.

ولقد كنت عاهدت الله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة على أمر وفينا به لله عزّوجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وآله، فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم لما أراد الله عزّوجلّ، فأنزل الله فينا: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] حمزة وجعفر وعبيدة، وأنا والله المنتظر يا أخا اليهود وما بدّلت تبديلاً، وما سكتني عن ابن عفّان وحثّني على الإمساك إلّا أنّي عرفت من أخلاقه فيما اختبرت منه بما لم يدعه حتى يستدعي الأباعد إلى قتله وخلعه فضلاً عن الأقارب، وأنا في عزلة، فصبرت حتى كان ذلك، لم أنطق فيه بحرف من لا، ولا نعم.

ثم أتاني القوم وأنا علم الله كاره لمعرفتي بما تطاعموا به من اعتقاد الأموال والمرح في الأرض، وعلمهم بأنّ تلك ليست لهم عندي وشديد عادة منتزعة، فلمّا لم يجدوا عندي تعلّلوا الأعاليل.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه، فقال: أليس كذلك؟ فقالوا: بلى يا أمير المؤمنين[2].

بيان: عمّن دونهم: أي من لم يحضر، أو عند الناس، فإنّ فيهم من كان أكثر سوابق ممّن حضر كأهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله والمقداد وعمّار وغيرهم.

٤ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن علي بن محمد الكندي، عن حسن بن حسين، عن أبي غيلان سعد بن طالب، عن أبي إسحاق، عن أبي الطفيل، قال: كنت في البيت يوم الشورى وسمعت عليّاً عليه السلام يقول:

أُنشدكم الله جميعاً، أفيكم أحد صلّى القبلتين مع رسول الله صلّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: أُنشدكم بالله جميعاً هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فأُنشدكم بالله جميعاً هل فيكم أحد هو أخو رسول الله صلّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: أُنشدكم الله هل فيكم أحد له أخٌ مثل أخي جعفر؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أُنشدكم الله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة؟ قالوا:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) الخصال، ص ٣٧٤ باب السبعة، وسط حديث ٥٨.

اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطيّ الحسن والحسين ابنيْ رسول الله ﷺ سيّديْ شباب أهل الجنّة؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأناشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله ﷺ فقدّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فأناشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: أنشدكم بالله هل فيكم أحد أُتي النبيّ ﷺ بطير، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر. فدخلت عليه، فقال: اللهمّ وإليّ. فلم يأكل معه أحد.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: اللهمّ اشهد[1].

٥ - ج: عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد، وساق الحديث إلى أن قال: قال عليه السلام: يا عمرو، لو أنّ الأمّة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة فقيل لك: ولّها من شئت، من كنت تولي؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين. قال: نعم. فسقتهم وخيارهم؟ قال: نعم. قال: قريش وغيرهم؟ قال: العرب والعجم. قال: أخبرني يا عمرو، أتتولّى أبا بكر وعمراً أو تتبرّأ منهما؟ قال: أتولّاهما. قال: ياعمرو، إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فإنّه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولّاهما فقد خالفتهما، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً، ثم جعلها عمر شورى بين ستة فأخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم بشيء ما أراك ترضى به أنت ولا أصحابك.

قال: وما صنع؟ قال: أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيّام وأن يتشاوروا أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلّا ابن عمر يشاورونه، وليس له من الأمر شيء، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيّام قبل أن يفرغوا ويبايعوا أن تضرب أعناق الستة جميعاً، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيّام وخالف اثنان أن تضرب أعناق الاثنين، أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى في المسلمين؟ قالوا: لا[2].

٦ - ٧ - يب، كا: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن عبد الكريم: مثله[3].

٨ - ج: في خبر أبي الهذيل حين ناظر الشيعي الذي يرمى بالجنون، قال له: أخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صيّرها شورى في ستة وزعم أنّهم من أهل الجنّة، فقال: إن خالف

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٣٢ مجلس ١٢ ح ٦٦٧. (٢) الاحتجاج، ص ١١٨.

(٣) تهذيب الأحكام ص ١٠٨٥ ج ٦ باب ٥٧ ح ٢، الكافي ج ٥ ص ٣٠٢ باب ٧ ح ١.

اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين، وإن خالف ثلاثة لثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذي ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف، فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنّة؟!.

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر لمّا طعن دخل عليه عبد الله بن العباس قال: فرأيته جزعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا الجزع؟ فقال: يا بن عباس، ما جزعي لأجلي ولكن لهذا الأمر، من يليه بعدي؟ قال: قلت ولّها طلحة بن عبيد الله. قال: رجل له حدّة، كان النبيّ ﷺ يعرفه فلا أولّي أمور المسلمين حديداً. قال: قلت: ولّها زبير بن العوّام. قال: رجل بخيل، رأيته يماكس امرأته في كبّة من غزل، فلا أولّي أمور المسلمين بخيلاً. قال: قلت: ولّها سعد بن أبي وقّاص. قال: رجل صاحب فرس وقوس وليس من أحلاس الخلافة. [قال]: قلت: ولّها عبد الرحمن بن عوف. قال: رجل ليس يحسن أن يكفي عياله. قال: قلت: ولّها عبد الله بن عمر. فاستوى جالساً وقال: يا بن عباس، ما الله أردت بهذا، أولّي رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته؟ [قال]: قلت: ولّها عثمان بن عفّان. فقال: والله لئن ولّيته ليحملنّ آل أبي معيط على رقاب المسلمين، ويوشك إن فعلها أن يقتلوه. قالها ثلاثاً، ثم سكتُّ لما أعرف من معاندته لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال لي: يابن عباس، اذكر صاحبك. قال: قلت: ولّها عليّاً. قال: والله ما جزعي إلّا لما أخذنا الحقّ من أربابه، والله لئن ولّيته ليحملنّهم على المحجّة العظماء، وإن يطيعوه يُدخلهم الجنّة.

فهو يقول هذا ثم صيّرها شورى بين الستة، فويل له من ربّه.. الخبر[1].

بيان: من أحلاس الخلافة: أي من يلازمها ويليق بها. قال في النهاية - في حديث الفتن عدَّ فتنة الأحلاس: جمع حَلْسٍ وهو الكساءُ الذي يلي ظهر البعير تحت القَتَب. شبَّهها به للزومها ودوامها، ومنه الحديث: كونوا أحلاس بيوتكم. أي: الزموها. ومنه: نحن أحلاس الخيل: يريدون لزومهم ظهورها.

٩ -**ع:** أبي: علي، عن أبيه، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا كتب عمر كتاب الشورى بدأ بعثمان في أوّل الصحيفة وأخّر عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام فجعله في آخر القوم، فقال العباس: يا أمير المؤمنين، يا أبا الحسن، أشرت عليك في يوم قبض رسول الله ﷺ أن تمدّ يدك فنبايعك فإنّ هذا الأمر لمن سبق إليه، فعصيتني حتى بويع أبو بكر، وأنا أشير عليك اليوم أنّ عمر قد كتب اسمك في الشورى وجعلك آخر القوم وهم يخرجونك منها، فأطعني ولا تدخل في الشورى، فلم يجبه بشيء، فلمّا بويع عثمان قال له العباس: ألم أقل لك؟ قال له: يا عمّ، إنّه قد خفي عليك أمر، أما سمعت قوله على المنبر: ما كان الله ليجمع لأهل البيت الخلافة والنبوّة؟ فأردت أن يكذّب نفسه بلسانه فيعلم الناس أنّ قوله بالأمس كان كذباً باطلاً، وأنّا نصلح للخلافة. فسكت العباس[2].

---

(١) الاحتجاج، ص ١٥٠.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٠٣ باب ١٣٤ ح ١.

٩ - ١٠ - **ب:** عنهما، عن حنّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سأل رجل فقال: ما منع عمر بن الخطاب أن يجعل عبد الله بن عمر في الشورى؟ فقال: قد قيل ذلك لعمر، فقال: كيف أجعل رجلاً لم يحسن أن يطلّق(١)؟

١١ - **ما:** المفيد، عن الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن محمد بن علي، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن لوط بن يحيى، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لمّا بويع عثمان سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبد الرحمن بن عوف: والله يا عبد الرحمن، ما رأيت مثل ما أُتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم! فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟ قال: إنّي والله أحبّهم لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله لهم ويعتريني والله وجد لا أبثّه بثّة لتشرّف قريش على الناس بشرفهم واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من أيديهم. فقال له عبد الرحمن: ويحك! والله لقد اجتهدت نفسي لكم. قال له المقداد: والله قد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم يوم بدر وأُحد. فقال له عبد الرحمن: ثكلتك أُمّك يا مقداد! لا يسمعنّ هذا الكلام منك الناس، أمَ والله إنّي لخائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة

قال جندب: فأتيته بعدما انصرف من مقامه، فقلت له: يا مقداد، أنا من أعوانك. فقال: رحمك الله، إنّ الذي نريد لا يغني فيه الرجلان والثلاثة. فخرجت من عنده فأتيت عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فذكرت له ما قال وما قلت، قال: فدعا لنا بخير(٢).

١٢ - **جا:** الكاتب: مثله(٣).

١٣ - **شا:** روى يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي صادق، قال: لمّا جعلها عمر شورى في ستة، فقال: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن.. . خرج أمير المؤمنين عليه السلام من الدار - وهو معتمد على يد عبد الله بن العباس - فقال: يابن العباس، إنّ القوم قد عادوكم بعد نبيّكم كمعاداتهم لنبيّكم صلى الله عليه وآله في حياته، أمَ والله لا ينيب بهم إلى الحقّ إلّا السيف. فقال له ابن عباس: وكيف ذلك؟ قال: أما سمعت قول عمر: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد فكونوا مع الثلاثة الذين عبد الرحمن فيهم واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن؟! قال ابن عباس: بلى. قال: أولا تعلم أنّ عبد الرحمن ابن عمّ سعد، وأنّ عثمان صهر عبد الرحمن؟! قال: بلى. قال: فإنّ عمر قد علم أنّ سعداً وعبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي، وأنّه من بويع منهم كان الاثنان معه، وأمر

---

(١) قرب الإسناد، ص ١٠٠ ح ٣٣٨.
(٢) أمالي الطوسي، ص ١٩١ مجلس ٧ ح ٣٢٣.
(٣) أمالي المفيد، ص ١٦٩ ح ٥.

بقتل من خالفهم ولم يبال أن يقتل طلحة إذا قتلني وقتل الزبير، أمَ والله لئن عاش عمر لأُعرّفنّه سوء رأيه فينا قديماً وحديثاً، ولئن مات ليجمعنّي وإيّاه يوم يكون فيه فصل الخطاب(١).

١٤ - **شا:** روى عمرو بن سعيد، عن جيش الكناني، قال: لمّا صفق عبد الرحمن على يد عثمان [بالبيعة] في يوم الدار، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: حرّكك الصهر وبعثك على ما فعلت، والله ما أمّلت منه إلّا ما أمّل صاحبك من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم(٢).

بيان: قال الجوهري: قال الأصمعيُّ مَنْشِم بكسر الشين: اسم امرأة كانت بمكّة عطّارة، وكانت خُزاعة وجُرهم إذا أرادوا القتال تطيَّبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثُرت القتلى فيما بينهم، وكان يقال: أشأم من عطر منْشِم، فصار مثلاً. قال زهير: تفانوا ودقُّوا بينهم عطر منْشِم، ويقال: هو حبُّ بلسان.

١٥ - **جا:** عمر بن محمد الصيرفي، عن العباس بن المغيرة، عن أحمد بن منصور الرمادي، عن أحمد بن صالح، عن عتيبة، عن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن بحرية الكندي، قال: إنّ عمر بن الخطاب خرج ذات يوم فإذا هو بمجلس فيه عليّ عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن وطلحة والزبير، فقال عمر: أكلّكم يحدّث نفسه بالإمارة بعدي؟! فقال الزبير: نعم، كلّنا يحدث نفسه بالإمارة بعدك ويراها له أهلاً، فما الذي أنكرت؟ فقال عمر: أفلا أحدّثكم بما عندي فيكم فسكتوا، فقال عمر: ألا أُحدّثكم عنكم؟ فسكتوا، فقال له الزبير: حدّثنا وإن سكتنا. فقال: أمّا أنت يا زبير فمؤمن الرضا كافر الغضب، تكون يوماً شيطاناً ويوماً إنساناً، أفرأيت اليوم الذي تكون فيه شيطاناً من يكون الخليفة يومئذٍ؟ وأمّا أنت يا طلحة، فوالله لقد توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّه عليك لعاتب. وأمّا أنت يا عليّ، فإنّك صاحب بطالة ومزاح، وأمّا أنت يا عبد الرحمن فوالله إنّك لما جاء بك من خير أهل، وإنّ منكم لرجلاً لو قسّم إيمانه بين جند من الأجناد لوسعهم، وهو عثمان(٣).

١٦ - **جا:** علي بن بلال، عن علي بن عبد الله الإصفهاني، عن الثقفي، عن يوسف بن سعيد الأرحبي، عن عبيد الله بن موسى العبسي، عن كامل، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: لمّا حضر القوم الدار للشورى جاء المقداد بن الأسود الكندي رحمه الله، فقال: أدخلوني معكم، فإنّ لله عندي نصحاً ولي بكم خيراً. فأبوا، فقال: أدخلوا رأسي واسمعوا منّي. فأبوا عليه ذلك، فقال: أمّا إذا أبيتم فلا تبايعوا رجلاً لم يشهد بدراً، ولم يبايع بيعة الرضوان، وانهزم يوم أُحد يوم التقى الجمعان. فقال عثمان: أمَ والله لئن وليتها لأردنّك إلى ربّك الأول. فلمّا نزل بالمقداد الموت قال: أخبروا عثمان أنّي قد رددت إلى ربّي الأول والآخر. فلمّا بلغ عثمان موته جاء حتى أتى قبره، فقال: رحمك الله إن كنت وإن كنت.. يثني عليه خيراً، فقال له الزبير:

---

(١) - (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٥١-١٥٢. (٣) أمالي المفيد، ص ٦٢ ح ٨.

لأعرفنّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادي

فقال: يا زبير، تقول هذا؟ أتراني أُحبّ أن يموت مثل هذا من أصحاب محمّد ﷺ وهو عليّ ساخط[1]؟

١٧ - **فض**: روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه خطب ذات يوم وقال: أيّها الناس، أنصتوا لما أقول رحمكم الله! أيّها الناس، بايعتم أبا بكر وعمر وأنا والله أولى منهما وأحقّ منهما بوصيّة رسول الله ﷺ فأمسكتُ، وأنتم اليوم تريدون تبايعون عثمان، فإن فعلتم وسكتّ والله ما تجهلون فضلي ولا جهله من كان قبلكم، ولولا ذلك قلت ما لا تطيقون دفعه. فقال الزبير: تكلّم يا أبا الحسن.

فقال عليّ عليه السلام: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد وحّد الله وصلّى مع رسول الله ﷺ قبلي؟ أم هل أحد أعظم عند رسول الله ﷺ مكاناً منّي؟ أم هل فيكم أحد من كان يأخذ ثلاثة أسهم: سهم القرابة وسهم الخاصّة وسهم الهجرة.. غيري؟ أم هل فيكم أحد جاء إلى رسول الله ﷺ باثنتي عشرة تمرة غيري؟ أم هل فيكم أحد من قدّم بين يدي نجواه صدقة لمّا بخل الناس ببذل مهجته غيري؟ أم هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، وليبلّغ الحاضر الغائب؟! فهل كان في أحد.. غيري؟

أم هل فيكم من أمر الله عزّ وجلّ بمودّته في القرآن حيث يقول: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، هل قال من قبل لأحد غيري؟ أم هل فيكم من غمّض عيني رسول الله ﷺ غيري؟ أم هل فيكم من وضع رسول الله ﷺ في حفرته غيري؟ أم هل فيكم من جاءته آية التنزيه مع جبرئيل عليه السلام وليس في البيت إلّا أنا والحسن والحسين وفاطمة، فقال جبرئيل عليه السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم قال: يا محمّد، ربّك يقرئك السلام ويقول لك: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3] الآية، هل كان ذلك اليوم غيري؟

أم هل فيكم من ترك بابه مفتوحاً من قبل المسجد لمّا أمر الله، حتى قال عمر: يا رسول الله، أخرجتنا وأدخلته فقال: الله عزّ وجلّ أدخله وأخرجكم.. غيري؟ أم هل فيكم من قاتل وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله غيري؟ أم هل فيكم من له سبطان مثل سبطيّ: الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، ابنا أحد غيري؟ أم هل فيكم من قال له النبيّ ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيّ بعدي.. غيري؟.

---

(١) أمالي المفيد، ص ١١٤ ح ٧.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

أم هل فيكم من قال رسول الله ﷺ في حقّه يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، يفتح على يده بالنصر. فأعطاها أحداً غيري؟ أم هل فيكم من قال رسول الله ﷺ يوم الطائر المشويّ: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي. فأتيت أنا معه، هل أتاه أحد غيري؟ أم هل فيكم من سمّاه الله عزّ وجلّ: وليّه.. غيري؟ أم هل فيكم من طهّره الله من الرجس في كتابه.. غيري؟ أم هل فيكم من زوّجه الله بفاطمة بنت رسول الله ﷺ غيري؟ أم هل فيكم من باهل به النبيّ ﷺ غيري؟ قال: فعند ذلك قام الزبير وقال: ما سمعنا أحداً قال أصحّ من مقالك، وما ننكر منه شيئاً، ولكن الناس بايعوا الشيخين ولم نخالف الإجماع. فلمّا سمع ذلك نزل وهو يقول: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(١).

١٨ - «د» عن ابن عباس، قال: بينا أمشي مع عمر يوماً إذ تنفّس نفساً ظننت أنّه قد قُصِمت أضلاعه، فقلتُ: سبحان الله! والله ما أخرج منك هذا إلّا أمر عظيم. فقال: ويحك يابن عباس! ما أدري ما أصنع بأُمة محمّد (ﷺ)؟ قلت: ولمَ، وأنت قادر أن تضع ذلك مكان الثقة؟ قال: إنّي أراك تقول: إنّ صاحبك أولى الناس بها. يعني عليّاً عليه السلام، قلت: أجل والله، إنّي لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته وصهره. قال: إنّه كما ذكرت، ولكنّه كثير الدعابة. وفي رواية: فيه دعابة.

وفي رواية: لله درُّهم إن ولّوها الأُصيلع! كيف يحملهم على الحقّ، ولو كان السيف على عنقه! فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه؟! قال: إن لم أستخلف وأتركهم فقد تركهم من هو خير منّي. قلت: فعثمان؟ قال: والله لو فعلت لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس يعملون فيهم بمعصية الله حتى يقتلوه، والله لو فعلت لفعل، ولو فعل لفعلوا، فوثب الناس إليه فقتلوه.

وفي رواية: كلف بأقاربه. قلت: طلحة بن عبد الله؟ قال: الأكنع، هو أزهى من ذلك، ما كان الله ليراني أولّيه أمر أُمّة محمّد ﷺ على ما هو عليه من الزهو.

وفي رواية: قال: فيه نخوة - يعني كبراً - قلت: الزبير بن العوّام؟ قال: إذن كان يلاطم الناس في الصاع والمدّ.

وفي رواية: كافر الغضب مؤمن الرضا. قلت: سعد بن أبي وقّاص؟ قال: ليس بصاحب ذاك، ذلك صاحب مقنب يقاتل به.

وفي رواية: صاحب مقنب خيل. قلت: عبد الرحمن بن عوف؟ قال: نعم الرجل ذكرت، ولكنّه ضعيف عن ذلك. وفي رواية: ذلك الرجل ليّن أو ضعيف.

وفي رواية: ذاك الرجل لو ولّيته جعل خاتمه في إصبع امرأته، والله يابن عباس، ما يصلح هذا الأمر إلّا للقويّ في غير عنف، واللّيّن في غير ضعف، والجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل. هذا آخر ما نقلت من كتاب الاستيعاب(٢).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.
(٢) العدد القوية، ص ٢٥١.

بيان: الأصيلع: تصغير الأصلع، وهو الّذي انحسر الشّعر عن رأسه.

وقال في النهاية: كلفت بهذا لأمر أكلف به: إذا ولعت به وأحببته. وقال في حديث عمر أنّه قال عن طلحة لمّا عرض عليه للخلافة: الأكتع إنّ فيه نخوة وكبراً. الأكنع: الأشلّ، وقد كنعت أصابعه كنعاً، إذا تشنّجت ويبست، وقد كانت يده أُصيبت يوم أحد لمّا وقى بها رسول الله صلى الله عليه وآله فشلّت وقال: الزّهو: الكبر والفخر وقال في حديث عمر: فذكر له سعد، فقال: ذاك إنّما يكون في مقنب من مقانبكم المقنب بالكسر: جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هو دون المئة. يريد أنّه صاحب حرب وجيوش، وليس بصاحب هذا الأمر.

١٩ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى: لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ، وصلة رحم، وعائدة كرم، فاسمعوا قولي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود، حتى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة(١).

توضيح: قوله عليه السلام: إلى دعوة حقّ. أي: لن يدعو أحد قبلي إلى حقّ فما لم أدع إليه لم يكن حقّاً، أو لم يسبقني أحد إلى إجابة دعوة حقّ، فما لم أُجب إليه لا يكون حقّاً. ونضى السيف من غمده وانتضاه: أخرجه قال ابن ميثم رحمه الله: إشارة إلى ما علمه عليه السلام من حال البغاة والخوارج والناكثين لعهد بيعته وما وقع بعد هذا اليوم من قتل الحسين عليه السلام وظهور بني أميّة وغيرهم، وأشار بأئمّة أهل الضلالة إلى طلحة والزبير، وبأهل الضلالة إلى أتباعهم، وبأهل الجهالة إلى معاوية ورؤساء الخوارج وأُمراء بني أُميّة، وبشيعتهم إلى أتباعهم.

٢٠ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدّثنا حسن بن محمد بن شعبة الأنصاري ومحمد بن جعفر بن رمسيس الهبيري بالقصر وعلي بن محمد بن الحسن بن كاس النخعي بالرملة، وأحمد بن محمد بن سعيد الهمداني جميعاً، عن أحمد بن يحيى بن زكريا الأزدي الصوفي، عن عمرو بن حمّاد بن طلحة القناد، عن إسحاق بن إبراهيم الأزدي، عن معروف ابن خربوذ وزياد بن المنذر وسعيد بن محمد الأسدي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني، قال: لمّا احتضر عمر بن الخطاب جعلها شورى بين ستة: بين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفّان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبدالرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر في من يشاور ولا يولّى.

قال أبو الطفيل: فلمّا اجتمعوا أجلسوني على الباب أردّ عنهم الناس، فقال عليّ عليه السلام: إنّكم قد اجتمعتم لما اجتمعتم له فأنصتوا فأتكلّم فإن قلت حقّاً صدقتموني، وإن قلت باطلاً ردّوا عليّ ولا تهابوني، إنّما أنا رجل كأحدكم:

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨٧ خ ١٣٧.

أنشدكم بالله، هل فيكم أحد له مثل ابن عمّي ﷺ أقرب إليه رحماً منّي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له أخٌ مثل أخي جعفر ذي الجناحين مضرّج بالدماء الطيّار في الجنّة؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء عالمها في الجنّة؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد صلّى القبلتين مع رسول الله ﷺ قبلي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له سهمان في كتاب الله في الخاصّ والعامّ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد ترك رسول الله ﷺ بابه مفتوحاً يحلّ له ما يحلّ لرسول الله ﷺ ويحرم عليه ما يحرم على رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم رجل ناجى رسول الله ﷺ عشر مرّات يقدّم بين يدي نجواه صدقة.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ ما قال في غزاة تبوك: إنّما أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ مقالته يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد وصّى رسول الله ﷺ في أهله وماله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قتل المشركين كقتلي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد غسّل رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب عهداً برسول الله ﷺ منّي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد نزل في حفرة رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فاصنعوا ما أنتم صانعون.

فقال طلحة والزبير عند ذلك: نصيبنا منها لك يا علي. فقال عبد الرحمن بن عوف: قلّدوني هذا الأمر على أن أجعلها لأحدكم. قالوا: قد فعلنا. فقال عبد الرحمن: هلمّ يدك يا عليّ تأخذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر. فقال عليّ عليه السلام: آخذها بما فيها على أن أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ جهدي. فخلّى عن يد عليّ وقال: هلمّ يدك يا عثمان، خذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر. فقال: نعم. ثم تفرّقوا(١).

وروى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث المناشدة.

٢١ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر العلوي

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٥٤ مجلس ٢٠ ح ١١٦٩.

الحسني وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن المؤمّل الصيرفي، قالا: حدّثنا محمد بن علي بن خلف العطّار، عن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن ربيعة بن عجلان، عن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع، قال: لمّا اجتمع أصحاب الشورى - وهم ستة نفر - منهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف، أقبل عليهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: أُنشدكم بالله أيّها النفر، هل فيكم من أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: منزلتك منّي يا عليّ منزلة هارون من موسى؟ أتعلمون قال ذلك لأحد غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: يا أيّها النفر، هل فيكم من أحد له سهمان: سهم في الخاصّ وسهم في العامّ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا[1].

قال: وذكر الحديث نحو طريق أبي الأسود الدؤلي، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

بيان: السهم في الخاصّ إشارة إلى السهم الذي أعطاه رسول الله لقتال الملائكة معه، أو إلى السهم الذي خصّه الرسول صلى الله عليه وآله من تعليمه ومعاشرته في الخلوة مضافاً إلى ما كان له عليه السلام مع سائر الصحابة، والأول أظهر.

٢٢ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أبي طالب محمد بن أحمد بن أبي معشر السلمي الحرّاني بحرّان، عن أحمد بن أسود أبي عليّ الحنفيّ القاضي، عن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي، عن أبيه، عن عمر بن أذينة العبدي، عن وهب بن عبد الله بن أبي ذبي الهنائي، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، عن أبيه أبي الأسود، قال: لمّا طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب جعل الأمر بين ستة نفر: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان بن عفّان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، وسعد بن مالك، وعبد الله بن عمر معهم يشهد النجوى وليس له في الأمر نصيب، وأمرهم أن يدخلوا لذلك بيتاً ويغلقوا عليهم بابه.

قال أبو الأسود: فكنت على الباب أنا ونفر معي حاجتهم أن يسمعوا الحوار الذي يجري بينهم، فابتدر الكلام عبد الرحمن بن عوف، فقال: ليذكر كلّ رجل منكم رجلاً إن أخطأه هذا الأمر كانت الخيرة لصاحبه. فقال الزبير: قد اخترت عليّاً. وقال طلحة: قد اخترت عثمان. وقال سعد: قد اخترت عبد الرحمن. فقال عبد الرحمن: قد رضي القوم بنا وقد جعل الأمر فينا، ولنا أيّها الثلاثة، فأيّكم يخرج عن هذا الأمر نفسه ويختار للمسلمين رجلاً رضى في الأمّة، فأمسك الشيخان. فعاد عبد الرحمن لكلامه، فقال له عليّ عليه السلام: كن أنت ذلك الرجل. قال: فإنّه لم يبق إلّا أنت وعثمان، فأيّكما يتقلّد هذا الأمر على أن يسير في الأمّة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة صاحبيه أبي بكر وعمر فلا يعدوهما؟ قال عليّ عليه السلام: أنا آخذها على أن أسير في الأمّة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله جهدي وطوقي وأستعين على ذلك

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٥٦ مجلس ٢٠ ح ١١٧٠.

بربّي. قال: فما عندك أنت يا عثمان؟ قال: أسير في الأُمّة بسيرة رسول الله ﷺ وسيرة أبي بكر وعمر.

قال: فردّها على عليّ عليه السلام ثلاثاً، وعلى عثمان ثلاثاً كلّ رجل منهما يقول مثل قوله الأول، فلمّا توافقوا على رأي واحد، قال لهم عليّ عليه السلام: إنّي أحبّ أن تسمعوا منّي قولاً أقول لكم. قالوا: قل يا أبا الحسن. قال: فإنّي أسألكم بالله الذي يعلم سرّكم وجهركم هل فيكم من رجل قال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا... وذكر المناشدة نحوه[1].

٢٣ - **ما:** أحمد بن محمد بن الصلت، عن أبي عقدة الحافظ، عن جعفر بن عبد الله العلوي، عن عمّه القاسم بن جعفر العلوي، عن عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جدّه: أنّ القوم حين اجتمعوا للشورى، فقالوا فيها وناجى عبد الرحمن كلّ رجل منهم على حدة، ثم قال لعليّ: عليك عهد الله وميثاقه لئن وليت لتعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال عليّ عليه السلام: عليّ عهد الله وميثاقه لئن وليت أمركم لأعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه. فقال عبد الرحمن لعثمان كقوله لعلي عليه السلام، فأجابه: أن نعم. فردّ عليهما القول ثلاثاً، كلّ ذلك يقول عليّ عليه السلام كقوله، ويجيبه عثمان: أن نعم. فبايع عثمان عبد الرحمن عند ذلك[2].

٢٤ - **إرشاد القلوب:** عن أبي المفضّل بإسناده، عن أبي ذرّ رضي الله عنه، أنّ عليّاً عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص، أمرهم عمر بن الخطاب أن يدخلوا بيتاً ويغلقوا عليهم بابه ويتشاوروا في أمرهم وأجّلهم ثلاثة أيّام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قُتل ذلك، وإن توافق أربعة وأبى اثنان قُتل الاثنان، فلمّا توافقوا جميعاً على رأي واحد قال لهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّي أُحبّ أن تسمعوا منّي ما أقول لكم، فإن يكن حقّاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فأنكروه. قالوا: قل.

قال: أُنشدكم بالله - أو قال: أسألكم بالله - الذي يعلم سرائركم ويعلم صدقكم إن صدقتم ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد آمن قبلي بالله ورسوله وصلّى القبلتين قبلي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد أُمّر بقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3] سواي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد نصر أبوه رسول الله ﷺ وكفله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فهل فيكم أحد أخوه ذو الجناحين في الجنّة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٥٦ مجلس ٢٠ ح ١١٧١.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٧٠٩ مجلس ٤٢ ح ١٥١٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

أحد وحّد الله قبلي ولم يشرك به شيئاً؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد عمّه حمزة سيّد الشهداء غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد زوجته سيّدة نساء أهل الجنّة غيري؟. قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد ابناه سيّدا شباب أهل الجنّة غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فهل فيكم أحد أعلم بناسخ القرآن ومنسوخه والسنّة منّي؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد سمّاه الله عزّوجلّ في عشر آيات من القرآن: مؤمناً.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد ناجى رسول الله صلّى الله عليه وآله عشر مرّات يقدّم بين يدي نجواه صدقة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، ليبلّغ الشاهد الغائب ذلك.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار لا يولّي الدبر، يفتح الله على يديه؛ وذلك حيث رجع أبو بكر وعمر منهزمين، فدعاني وأنا أرمد فتفل في عيني، وقال: اللهمّ أذهب عنه الحرّ والبرد.. فما وجدت بعدها حرّاً ولا برداً يؤذياني، ثم أعطاني الراية، فخرجت بها ففتح الله على يدي خيبر، فقتلت مقاتليهم وفيهم مرحب وسبيت ذراريهم، فهل كان ذلك غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ وأشدّهم لي ولك حبّاً يأكل معي من هذا الطير.. فأتيت فأكلت معه، فهل كان غيري. قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ عليكم رجلاً نفسه كنفسي وطاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يعصاكم أو يقعصكم بالسيف.. غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً.. هل كان غيري؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: فهل فيكم من سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة وفيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ليلة القليب لمّا جئت بالماء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة.. وذلك يوم أُحد، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه.. فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد نودي به من السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد من يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبيّ صلّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّي قاتلت على تنزيل القرآن وستقاتل أنت يا عليّ على تأويله.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد غسّل رسول الله صلّى الله عليه وآله مع الملائكة المقرّبين بالروح والريحان تقلّبه لي الملائكة وأنا أسمع قولهم وهم يقولون: استروا عورة نبيكم ستركم الله.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل من كفّن رسول الله صلّى الله عليه وآله ووضعه في حفرته غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل أحد بعث الله عزّ وجلّ إليه بالتعزية حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام تبكيه إذ سمعنا حسّاً على الباب وقائلاً يقول - نسمع حسّه ولا نرى شخصه وهو يقول -: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ربكم عزّ وجلّ يقرئكم السلام ويقول لكم: إنّ في الله خلفاً من كلّ مصيبة، وعزاء من كلّ هالك، ودركاً من كلّ فوت، فتعزّوا بعزاء الله، واعلموا أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . وأنا في البيت وفاطمة والحسن والحسين أربعة لا خامس لنا سوى رسول الله صلى الله عليه وآله مسجّى بيننا. . غيرنا؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد رُدّت عليه الشمس بعدما غربت أو كادت تغيب حتى صلّى العصر في وقتها. . غيري. قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله، بأخذ براءة من أبي بكر بعدما انطلق أبو بكر بها فقبضتها منه فقال أبو بكر بعدما رجع: يا رسول الله، أنزل فيّ شيء؟ فقال: إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا عليّ. . غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي، ولو كان بعدي لكنته يا عليّ. . غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم من قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا كافر. . غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل تعلمون أنّه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا سددت أبوابكم ولا أنا فتحت بابه بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه؟. قالوا: نعم. قال: أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ناجاني يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك، فقال بعضكم: يا رسول الله، إنّك قد انتجيت عليّاً دوننا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا انتجيته بل الله عزّ وجلّ انتجاه؟ قالوا: نعم. قال: أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الحقّ من بعدي مع عليّ وعليّ مع الحقّ يدور الحقّ معه حيثما دار؟ قالوا: نعم.

قال: فهل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإنّكم لن تضلّوا ما اتّبعتموهما واستمسكتم بهما؟ قالوا: نعم. قال: فهل فيكم أحد وقى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وردّ كيد المشركين واضطجع في مضجعه، وشرى بذلك من الله نفسه. . غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد حيث آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه وكان له أخاً غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل أحد ذكره الله عزّ وجلّ بما ذكرني إذ قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾(١) غيري؟ قال: فهل سبقني منكم أحد إلى الله ورسوله؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أتى الزكاة وهو راكع، فنزلت فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠-١١.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(١) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد برز لعمرو بن عبد ودّ حيث عبر خندقكم وحده ودعا جميعكم إلى البراز فنكصتم عنه، وخرجت إليه فقتلته وفتّ الله بذلك في أعضاد المشركين والأحزاب.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد ترك رسول الله ﷺ بابه مفتوحاً في المسجد يحلّ له ما يحلّ لرسول الله ﷺ ويحرم عليه ما يحرم على رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه آية التطهير حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢) غيري وغير زوجتي وابنيّ؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا سيّد ولد آدم عليه السلام وعليّ سيّد العرب.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألت الله عزّ وجلّ لي شيئاً إلّا سألت لك مثله.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد كان صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلّها غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب تحت قدميه فرمى بها في وجوه الكفّار فانهزموا.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قضى دين رسول الله ﷺ وأنجز عداته غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد اشتاقت الملائكة إلى رؤيته فاستأذنت الله تعالى في زيارته غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ وأداته غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد استخلفه رسول الله ﷺ في أهله وجعل أمر أزواجه إليه من بعده.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد حمله رسول الله ﷺ على كتفه حتى كسّر الأصنام التي كانت على الكعبة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد اضطجع هو ورسول الله ﷺ في لحاف واحد إذ كفلني.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت صاحب رايتي ولوائي في الدنيا والآخرة.. غيري؟ فقالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد كان أوّل داخل على رسول الله ﷺ وآخر خارج من عنده ولا يحجب عنه.. غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم من نزلت فيه وفي زوجته وولديه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٣) إلى سائر ما اقتصّ الله تعالى من ذكرنا في هذه السورة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٤) غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾(٥) إلى آخر ما اقتصّ الله تعالى من خبر

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٩.
(٥) سورة السجدة، الآية: ١٨.

المؤمنين. . غيري. قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي زوجته وولديه آية المباهلة، وجعل الله عزّ وجلّ نفسه نفس رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1] لمّا وقيت رسول الله ﷺ ليلة الفراش. . غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد سقى رسول الله ﷺ من المهراس لمّا اشتدّ ظمؤه وأحجم عن ذلك أصحابه. . غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: اللهمّ إنّي أقول كما قال عبدك موسى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾[2] إلى آخر دعوة موسى عليه السلام إلّا النبوّة. . غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد هو أدنى الخلائق برسول الله ﷺ يوم القيامة وأقرب إليه منّي كما أخبركم بذلك صلوات الله عليه وآله. . غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إنّ من شيعتك رجلاً يدخل في شفاعته الجنّة مثل ربيعة ومضر. . غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت وشيعتك هم الفائزون وتردون يوم القيامة رواء مرويّين ويرد عدوّكم ظماءً مقمحين. . غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من أحبّ هذه الشعرات فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله تعالى، ومن أبغضها وآذاها فقد أبغضني وآذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله تعالى لعنه الله وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً. فقال أصحابه: وما شعراتك هذه يا رسول الله؟ قال: عليّ وفاطمة والحسن والحسين غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الأعظم الذي يفرق بين الحقّ والباطل غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد طرح عليه رسول الله ﷺ ثوبه وأنا تحت الثوب وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: اللهمّ أنا وأهل بيتي هؤلاء إليك لا إلى النار غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ بالجحفة بالشجيرات من خم: من أطاعك فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله تعالى غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد كان رسول الله ﷺ بينه وبين زوجته؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد جلس بين رسول الله ﷺ وزوجته، فقال له رسول الله ﷺ: لا ستر دونك يا عليّ. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد احتمل باب خيبر يوم فتحت حصنها ثم مشى به ساعة ثم ألقاه فعالجه بعد ذلك أربعون رجلاً فلم يقلّوه من الأرض غيري؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
(٢) سورة طه، الآيات: ٢٥-٣١.

قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت معي في قصري ومنزلك تجاه منزلي في الجنّة غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أولى الناس بأمّتي من بعدي، والى الله من والاك وعادى الله من عاداك، وقاتل الله من قاتلك بعدي.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد صلّى مع رسول الله ﷺ سبع سنين وأشهراً قبل الناس غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إنّك عن يمين العرش يا عليّ يوم القيامة يكسوك الله عزّوجلّ بردين: أحدهما أحمر والآخر أخضر غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أطعمه رسول الله ﷺ من فاكهة الجنّة لمّا هبط بها جبرئيل عليه السلام وقال: لا ينبغي أن يأكله في الدنيا إلّا نبي أو وصيّ نبيّ غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أقومهم بأمر الله، وأوفاهم بعهد الله، وأعلمهم بالقضية، وأقسمهم بالسويّة، وأرأفهم بالرعيّة.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت قسيم النار تخرج منها من آمن وأقرّ، وتدع فيها من كفر.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد قال للعين وقد غاضت: انفجري. فانفجرت، فشرب منها القوم وأقبل رسول الله ﷺ والمسلمون معه فشرب وشربوا وشربت خيلهم وملؤوا رواياهم.. غيري؟ قالوا: لا. قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله ﷺ حنوطاً من حنوط الجنّة، قال: اقسم هذا أثلاثاً: ثلثاً لي حنّطني به، وثلثاً لابنتي، وثلثاً لك.. غيري قالوا: لا.

قال: فما زال يناشدهم ويذكر لهم ما أكرمه الله تعالى وأنعم عليه به حتى قام قائم الظهيرة ودنت الصلاة، ثم أقبل عليهم وقال: أما إذا أقررتم على أنفسكم وبان لكم من سببي الذي ذكرت، فعليكم بتقوى الله وحده، وأنهاكم عن سخط الله فلا تعرضوا له ولا تضيّعوا أمري، وردّوا الحقّ إلى أهله، واتّبعوا سنّة نبيكم ﷺ وسنّتي من بعده، فإنكم إن خالفتموني خالفتم نبيّكم فقد سمع ذلك منه جميعكم، وسلّموها إلى من هو أهل وهي له أهل، أما والله ما أنا بالراغب في دنياكم، ولا قلت ما قلت لكم افتخاراً ولا تزكية لنفسي، ولكن حدّثت بنعمة ربّي وأخذت عليكم بالحجّة. ونهض إلى الصلاة.

قال: فتوامر القوم فيما بينهم وتشاوروا، فقالوا: فقد فضّل الله عليّ بن أبي طالب بما ذكر لكم، ولكنّه رجل لا يفضّل أحداً على أحد ويجعلكم ومواليكم سواء، وإن ولّيتموه إيّاها ساوى بين أسودكم وأبيضكم، ووضع السيف على عاتقه، ولكن ولّوها عثمان فهو أقدمكم ميلاداً، وألينكم عريكة، وأجدر أن يتبع مسرّتكم، والله رؤوف رحيم[1].

٢٥ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن الحسن بن علي بن زكريّا، عن أحمد بن عبيد

---

(١) إرشاد القلوب، ص ٢٣٠-٢٣٥.

الله، عن الربيع بن سيار، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد يرفعه إلى أبي ذر رَحِمَهُ اللَّهُ: مثله(١).

إيضاح: قال الجوهري: عصوته بالعصا: ضربته بها، والعصا مقصوراً: مصدر قولك عصي بالسيف يعصى: إذا ضرب به. وقال: قصعت هامته: إذا ضربتها ببسط كفّك وقصع الله شبابه. وفي النهاية: فقصعه الله أي: دفعه وكسره. وفي بعض النسخ بالفاء وهو الكسر والدّفع الشّديد. وقال الجوهري: فتَّ الشَّيءَ. أي: كسره، يقال: فتَّ عضدي وهدَّ ركني. وقال الفيروزآبادي: فتَّ في ساعده: أضعفه.

الإقماح: رفع الرَّأس وغضُّ البصر، يقال: أقمحه الغلُّ: إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه. وفي بعض النسخ: مظمئين، كما في الروايات الأُخر على التأكيد، وفي بعضها: مفحمين. أي: مسكتين بالحجّة.

أقول: قال أرباب السير والمحدّثون من المخالفين: لمّا طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب وعلم أنّه قد انقضت أيّامه واقترب أجله، قال له بعض أصحابه: لو استخلفت يا أمير المؤمنين! فقال: لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته وقلت لربّي إن سألني: سمعت نبيّك يقول: أبو عبيدة أمير هذه الأُمّة.. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته، وقلت لربّي إن سألني: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله. فقال له رجل: ولّ عبد الله بن عمر. فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟! رواه ابن الأثير في الكامل والطبري، عن شيوخه بطرق متعدّدة، ثم قال: لا إرب لعمر في خلافتكم فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، فإن تك خيراً فقد أصبنا منه، وإن تك شرّاً فقد صرف عنّا، حسب آل عمر أن يحاسب منهم واحد ويسأل عن أمر أُمّة محمّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). فخرج الناس ورجعوا إليه، فقالوا له: لو عهدت عهداً! فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي أن أولّي أمركم رجلاً هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فرهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنّة فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضمّها إليه ويصيّرها تحته، فخفت أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً، وعلمت أنّ الله غالب أمره.

ثم قال: عليكم بالرهط الذين قال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنّهم من أهل الجنّة ومات وهو راضٍ عن هذه الستة من قريش: عليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم. ثم قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي، ولن يضيّع الله دينه. ثم قال: ادعوهم لي. فدعوهم، فدخلوا عليه وهو ملقىً على فراشه يجود بنفسه، فنظر

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٤٥ مجلس ٢٠ ح ١١٦٨.

إليهم فقال: أكلّكم يطمع في الخلافة؟ فوجموا، فقال لهم ثانية، فأجابه الزبير، وقال: ما الذي يبعدنا منها؟ وليتها أنت فقمت بها ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة.

فقال عمر: أفلا أُخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل، فإنّا لو استعفيناك لم تعفنا فقال: أمّا أنت يا زبير، فوعقة لقس، مؤمن الرضا كافر الغضب، يوماً إنسان ويوماً شيطان، ولعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مُدّ من شعير، فإن أفضت إليك - فليت شعري - من يكون للناس يوم تكون شيطاناً؟ ومن يكون يوم تغضب إماماً؟ وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأُمّة وأنت على هذه الصفة. ثم أقبل على طلحة وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر - وقد تقدّم ذكره - فقال له: أقول أم أسكت؟ قال: قل، فإنّك لا تقول من الخير شيئاً. قال: أما إنّي أعرفك منذ إصبعك يوم أُحد والبأو الذي حدث لك، ولقد مات رسول الله ﷺ وهو ساخط عليك للكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب(١).

والكلمة المذكورة هي أنّه لمّا نزلت آية الحجاب قال طلحة: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ؟ كذا ذكره ابن أبي الحديد عن شيخه الجاحظ(٢).

وروى المفسّرون، عن مقاتل، قال: قال طلحة بن عبيد الله: لئن قُبض رسول الله ﷺ لأنكحنّ عائشة بنت أبي بكر، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾(٣) الآية. وقد مرّ في رواية علي بن إبراهيم أنّ طلحة قال: لئن أمات الله محمّداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا.

ثم قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: لو قال لعمر قائل: أنت قلت: إنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن الستة، فكيف تقول لطلحة: إنّه مات ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها.. لكان قد رماه بمشاقصه، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا؟ فكيف هذا؟؟

ثم أقبل على سعد بن أبي وقّاص، فقال: إنّما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وسهم، وما زهرة والخلافة وأُمور الناس؟ ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف، فقال: وأمّا أنت يا عبد الرحمن، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك، ولكن لا يصلح لهذا الأمر من فيه ضعف كضعفك، وما زهرة وهذا الأمر؟! ثم أقبل على عليّ عليه السلام، فقال: لله أنت، لولا دعابة فيك! أما والله لئن وليتهم لتحملنّهم على المحجّة البيضاء والحقّ الواضح. ثم أقبل على عثمان، فقال: هيهاً إليك كأنّي بك قد قلّدتك

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٩٣ حوادث سنة ٢٣ هـ.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٤٤. (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بني أُميّة وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً، والله لئن فعلوا لتفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلنّ. ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي، فإنّه كائن.

قال ابن أبي الحديد: ذكر هذا الخبر كلّه أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانيّة، وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر[1].

وقال الزمخشري في الفائق: إنّ عمر دخل عليه ابن عباس حين طعن، فرآه مغتمّاً لمن يستخلف بعده، فجعل ابن عباس يذكر له أصحابه، فذكر عثمان، فقال: إنّه كلف بأقاربه. وروي: أخشى حفده وأثرته. قال: فعليّ؟ قال: ذاك رجل فيه دعابة! قال: فطلحة؟ قال: لولا بأو فيه. وروى أنّه قال: الأكنع، إنّ فيه بأواً ونخوة. قال: فالزبير؟ قال: وعقة لقس. وقال روي: ضرس ضبس. أو قال: ضمس. وروي: لا يصلح أن يلي هذا الأمر إلّا حصيف العقدة قليل الغرّة، الشديد في غير عنف. فعبد الرحمن؟ قال: أوه! ذكرت رجلاً صالحاً واكنّه ضعيف، وهذا الأمر لا يصلح له إلّا اللين من غير ضعف والقويّ من غير عنف، واللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، البخيل في غير وكف. قال: فسعد بن أبي وقّاص؟ قال: ذاك يكون في مقنب من مقانبكم. ثم فسّر ألفاظه، فقال: الكلف: الإيلاع بالشيء مع شغل القلب والمشقّة، يقال: كلف فلان بهذا الأمر وبهذه الجارية، فهو بها كلف مكلف، ومنه المثل: لا يكن حبّك كلفاً ولا بغضك تلفاً، وهو من كلف الشيء بمعنى تكلّفه.. الحفد: الجمع وهو من أخوات الحفل والحفش، ومنه المحفد بمعنى المحفل، واحتفد بمعنى احتفل، عن الأصمعي. وقيل لمن يخف في الخدمة، وللسائر إذا خبّ: حافد؛ لأنّه يحتشد في ذلك، ويجمع له نفسه، ويأتي بخطاه متتابعة، وتقول العرب للأعوان والخدم: الحفدة، وأخشى حفده، أي: خفوفه في مرضاة أقاربه.

الأثرة: الاستئثار بالفيء وغيره. الدعابة كالمزاحة، ودعب يدعب كمزح يمزح، ورجل دعب ودعابة. البأو: العجب والكبر. الأكنع: الأشل، وقد كنعت أصابعه كنعاً إذا تشنّجت، وقد كانت أُصيبت يده مع رسول الله ﷺ وقاه بها يوم أُحد. النخوة: العظمة والكبر. وقد نخا كزها وانتخى. رجل وعقة لعقة ووعق لعق: إذا كان فيه حرص ووقوع في الأمر بجهل وضيق نفس وسوء خلق. ويخفّف فيقال: وعقة ووعق، وهو من العجلة والتسرّع، ويقال: ما أوعقك عن كذا. أي: ما أعجلك.

لقست نفسه إلى الشيء إذا نازعت إليه وحرصت عليه لقساً، والرجل لقس، وقيل: لقست: خبثت. وعن أبي زيد: اللقس: هو الذي يلقّب الناس ويسخر منهم، ويقال: النقس

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٤٥.

- بالنون - ينقس الناس نقساً. الضرس: الشرس، الزعر من الناقة الضروس، وهي التي تعضّ حالبها، ويقال: اتّق الناقة بجز ضراسها، أي: بحدثان نتاجها وسوء خلقها، وذلك لشدّة عطفها على ولدها في هذا الوقت. الضبس والضمس قريبان من الضرس، يقال: فلان ضبس شر، وجمعه أضباس. الضمس: المضغ. الوكف: الوقوع في المآثم والعيب، وقد وكف فلان يوكف وكفاً وأوكفته أنا إذا أوقعته. قال:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائهم وكف

وهو من وكف المطر إذا وقع، ومنه توكّف الخبر وهو توقّعه. المقنب من الخيل: الأربعون والخمسون. وفي كتاب العين زهاءُ ثلاثمائة. يعني أنّه صاحب جيوش وليس يصلح لهذا الأمر[1]. انتهى كلام الزمخشري.

وروى ابن عبد البرّ في الاستيعاب أنّه قال في عليّ عليه السلام: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم. فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم عليّاً؟ قال: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً[2].

وحكاه السيد رحمه الله في الشافي، عن البلاذري في تاريخه، عن عفّان بن مسلم، عن حمّاد ابن مسلمة، عن علي بن زيد، عن أبي رافع، أنّ عمر بن الخطاب كان مستنداً إلى ابن العباس وعنده ابن عمر وسعيد بن زيد، فقال: اعلموا أنّي لم أقل في الكلالة شيئاً، ولم أستخلف بعدي أحداً، وأنّه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حرّ من مال الله. فقال سعيد بن زيد: أما إنّك لو أشرت إلى رجل من المسلمين ائتمنك الناس. فقال عمر: لقد رأيت من أصحابي حرصاً شنيعاً وأنا جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ. ثم قال: لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجرّاح. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، فأين أنت عن عبد الله بن عمر؟ فقال له: قاتلك الله! والله ما أردت الله بها، ما أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلّق امرأته. قال عفّان: يعني بالرجل الذي أشار إليه بعبد الله بن عمر: المغيرة بن شعبة[3].

وقال في موضع آخر منه: روى محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن عبد الله الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عيينة، عن ابن عباس، قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله؟ وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتمّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبكم؟ يعني عليّاً عليه السلام. قلت: نعم والله هو لها أهل في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره وسابقته وبلائه. فقال عمر: إنّ فيه بطالة وفكاهة. قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فإنّ فيه الزهو والنخوة. قلت: عبد الرحمن؟ قال: رجل صالح على ضعف

---

(١) الفائق للزمخشري، ج ٣ ص ٢٧٥ ط دار المعرفة.
(٢) الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة، ج ٢ ص ٤٦٩.
(٣) الشافي، ج ٤ ص ١٩٧.

فيه. قلت: فسعد؟ قال: ذلك صاحب مقنب وقتال لا يقوم بقرية لو حمّل أمرها. قلت: فالزبير؟ قال: وعقة لقس، مؤمن الرضا كافر الغضب، شحيح، وإنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لقويّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف. قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه(١).

وروى أحمد بن أعثم في تاريخه، أنّ كلامه في حقّ الستّة كان قبل أن يطعنه أبو لؤلؤة بيومين أو ثلاثة، وذلك أنّه لمّا هدّده أبو لؤلؤة - وقد تقدّم ذكره - صعد المنبر في غده وذكر رؤيا رآها في ليلته، ثم قال: لا أرتاب في اقتراب أجلي فإذا كان ذلك فاختاروا رجلاً من الستة الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. وذكرهم بأسمائهم، ثم نزل فأخذ بيد عبد الله بن العباس وخرج من المسجد، ثم تنفّس الصعداء وقال: إنّي لا أجزع من الموت ولكن أحزن على هذا الأمر بعدي. فقال له عبد الله: ما تقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد لاح لك أمره في الهجرة والقرابة والسوابق؟ فقال: صدقت يا بن عباس، وإنّي لأعلم منه أنّه لو صار إليه لأقام الناس على المحجّة البيضاء، ولكنّي يمنعني منه دعابه فيه وحرصه على هذا الأمر. ثم ذكر كلاً من الباقين وعابه بنحو ممّا ذكر آنفاً، ثم تأسّف على فقد معاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبي عبيدة، ثم دخل داره.

قال: ثم طعنه أبو لؤلؤة بعد ذلك بخنجر له رأسان وقبضته في وسطه كما تقدّم.

قال: ولم يكن طلحة يومئذٍ بالمدينة، فقال عمر: انتظروا بطلحة ثلاثة أيّام فإن جاء وإلّا فاختاروا رجلاً من الخمسة(٢).

وقال محمد بن جرير الطبري: إن طلحة لم يذكر في هذا المجلس ولم يكن يومئذٍ بالمدينة. ثم قال لهم: انهضوا إلى حجرة عائشة فتشاوروا فيها. ووضع رأسه وقد نزفه الدم، فدخلوا الحجرة وتناجوا حتّى ارتفعت أصواتهم، فقال عبد الله بن عمر: إنّ أمير المؤمنين لم يمت بعد ففيم هذا اللغط؟ وانتبه عمر وسمع الأصوات، فقال: أعرضوا عنها فإذا أنا متّ فتشاوروا ثلاثة أيّام، وليصلّ بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع من موتي إلّا وعليكم أمير، وليحضر عبد الله بن عمر مشيراً وليس له شيء من الأمر، وطلحة بن عبيد الله شريككم في الأمر، فإن قدم إلى ثلاثة أيّام فأحضروه أمركم، وإلّا فأرضوه، ومن لي برضا طلحة؟ فقال سعد: أنا لك به ولن نخالف إن شاء الله.

ثم ذكر وصيّته لأبي طلحة الأنصاري وماخصّ به عبد الرحمن بن عوف من كون الحقّ في الفئة التي هو فيها، وأمره بقتل من يخالف، ثم خرج الناس، فقال عليّ للعباس: عدل بالأمر عنّي يا عمّ! قال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي

---

(١) الشافي، ج ٤ ص ٢٠٢. (٢) الفتوح لابن الأعثم، ج ١ ص ٣٢٣.

رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن. فسعد لا يخالف ابن عمّه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان، فيولّيها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم يغنيا شيئاً. فقال العباس: لم أرفعك إلى شيء إلّا رجعت إليّ مستأخراً بما أكره، أشرت عليك عند مرض رسول الله ﷺ أن تسأله عن هذا الأمر في من هو؟ فأبيت، وأشرت عليك عند وفاته أن تعاجل البيعة فأبيت، وقد أشرت عليك حين سمّاك عمر في الشورى اليوم أن ترفع نفسك عنها ولا تدخل معهم، فأبيت، فاحفظ عنّي واحدة، كلّما عرض عليك القوم الأمر فقل: لا، إلّا أن يولّوك، واعلم أنّ هؤلاء لا يبرحون يدفعونك عن هذا الأمر حتّى يقوم لك به غيرك، وايم الله لا تناله إلّا بشرّ لا ينفع معه خير.

فقال عليّ عليه السلام: أما إنّي أعلم أنّهم سيولّون عثمان، وليحدثنّ البدع والأحداث، ولئن بقي لأذكّرنّك، وإن قتل أو مات ليتداولنّها بنو أُميّة بينهم، وإن كنت حيّاً لتجدنّي حيث يكرهون، ثم تمثّل:

حلفت بربّ الراقصات عشيّة غدون خفافاً يبتدرون المحصّبا
ليحتلبنّ رهط ابن يعمر غدوة بخيعاً بنو الشدّاخ ورداً مصلّبا

قال: ثم التفت فرأى أبا طلحة الأنصاري فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لا ترع أبا حسن. وهذا الذي حكيناه عن الطبري[١].

ذكره ابن الأثير في الكامل. قالوا: ثم قال عمر: ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري. فدعوه له، فقال: يا أبا طلحة، إنّ الله طالما أعزّ بكم الإسلام، فإذا عدتم من حفرتي فاختر خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفهم، وخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله واجمعهم في بيت، وقِف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتّفق خمس وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعة، وأبى اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتّفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف، فإن أصرّت الثلاثة الأُخرى على خلافها فاضرب أعناقها.

وفي رواية ابن الأثير: فإن رضي ثلاثة فحكّموا عبد الله بن عمر، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن واقتلوا الباقين[٢].

ثم قال: وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتّفقوا على الأمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم. فلمّا دُفن عمر، جمعهم أبو طلحة الأنصاري في بيت المسور بن مخرمة، وقيل: في بيت المال، وقيل: في حجرة عائشة بإذنها، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفهم، فجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٩٤.
(٢) الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٣٥.

على باب البيت، فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولا حضرنا وكنّا في أهل الشورى؟.

ثم تكلّم أهل الشورى فأشهدهم طلحة بن عبيد الله على نفسه أنّه قد وهب حقّه من الشورى لعثمان؛ وذلك لعلمه أنّ الناس لا يعدلون به علياً عليه‌السلام وعثمان، وأنّ الخلافة لا تخلص له، فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب عليّ عليه‌السلام بهبته أمراً لا انتفاع له به؛ وذلك كان لانحرافه عن عليّ عليه‌السلام لكونه تيمياً وابن عمّ أبي بكر، وقد كان في صدور بني هاشم حنق وغيظ على بني تيم لخلافة أبي بكر، وكذا في صدور تيم على بني هاشم، فلمّا رأى زبير ذلك قال: وأنا أُشهدكم على نفسي أنّي قد وهبت حقي من الشورى لعليّ عليه‌السلام . وذلك لما دخلته من حميّة النسب! وذلك لأنّه كان ابن عمّة أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وهي صفيّة بنت عبد المطلب، وكان أبو طالب عليه‌السلام خاله.

فبقي من الستة أربعة، فقال سعد بن أبي وقّاص: وأنا قد وهبت حقّي لابن عمّي عبد الرحمن. وذلك لأنّهما كانا من بني زهرة، وكان سعد يعلم أنّ الأمر لا يتمّ له، فلمّا لم يبق إلّا الثلاثة قال عبد الرحمن لعليّ عليه‌السلام وعثمان: أيّكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلّم منهما أحد، فقال عبد الرحمن: أُشهدكم أنّي قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما. فأمسكا، فبدأ بعليّ عليه‌السلام ، فقال له: أُبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فقال: بل على كتاب الله وسنّة رسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله واجتهاد رأيي. فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك عليه، فقال: نعم. فعاد إلى عليّ عليه‌السلام فأعاد قوله، فعل عبد الرحمن ذلك ثلاثاً، فلمّا رأى أنّ علياً غير راجع عمّا قاله، وأنّ عثمان ينعم له بالإجابة، صفق على يد عثمان، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عليّ عليه‌السلام : والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم. قالوا: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن فلم يكلّم أحدهما الآخر حتى مات عبد الرحمن[(١)].

وروى ابن أبي الحديد، عن أبي هلال العسكري في كتاب الأوائل: استجيبت دعوة عليّ عليه‌السلام في عثمان وعبد الرحمن فما ماتا إلّا متهاجرين متعاديين، ولمّا بنى عثمان قصره طمار والزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلمّا نظر إلى البناء والطعام، قال: يابن عفّان، لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك، وإنّي أستعيذ الله من بيعتك. فغضب عثمان، وقال: أخرجه عنّي يا غلام. فأخرجوه، وأمر الناس أن لا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلّا ابن عباس، كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض، ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتى مات[(٢)].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٤٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٥١.

والذي يظهر من رواية ابن الأثير في الكامل ومحمد بن جرير في تاريخه هو أنّه لم يتحقّق بيعة عثمان في اليوم الأول من الشورى.

قال ابن الأثير: كان عبد الرحمن يدور لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمراء الأجناد يشاورهم، حتى إذا كانت الليلة التي صبيحتها تستكمل الأيّام الثلاثة التي أجّلها عمر أتى منزل المسور بن مخرمة فأيقظه وقال: إنّي لم أذق في هذه الليلة كثير غمض، فانطلق فادع الزبير وسعداً.

فدعاهما فبدأ بالزبير، فقال له: خلّ ابني عبد مناف وهذا الأمر. فقال: نصيبي لعليّ عليه السلام. وقال لسعد: اجعل نصيبك لي. فقال: إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان فعليّ أحبّ إليّ، أيّها الرجل، بايع لنفسك وأرحنا. فقال له: جعلت على نفسي أن أختار وإن لم أفعل لم أردها، إنّي رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل ما رأيت أكرم منه فمرّ كأنّه سهم ولم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها ولم يعرج، ودخل بعير يتلوه واتّبع أثره حتّى خرج منها، ثم دخل فحل عبقريّ يجرّ خطامه ومضى قصد الأوّلين، ثم دخل بعير رابع فوقع في الروضة، ولا والله لا أكون الرابع، إن أحداً ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما فيرضى الناس عنه.

قال: وأرسل المسور يستدعي عليّاً، فناجاه طويلاً، ثم أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرّق بينهما الصبح، فلمّا صلّوا الصبح جمع الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار وإلى أُمراء الأجناد فاجتمعوا حتى ارتجّ المسجد بأهله.

فقال: أيّها الناس، إنّ الناس قد أحبّوا أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم فأشيروا عليّ. فقال عمّار: إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع عليّاً عليه السلام. فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار، إن بايعت عليّاً عليه السلام قلنا سمعاً وطاعةً. فقال عبد الله بن أبي سرح: إن أردت أن لا يختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: صدق، إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا. فشتم عمّار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين؟! فتكلّم بنو هاشم وبنو أُميّة، فقال عمّار: أيّها الناس، إنّ الله أكرمنا بنبيّه فأنّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم؟ فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يابن سميّة، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها؟ فقال سعد بن أبي وقّاص: يا عبد الرحمن، افرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس. فقال عبد الرحمن: إنّي قد نظرت وشاورت فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً. ودعا عليّاً عليه السلام، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسيرة الخليفتين من بعده. قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي. ودعا عثمان، فقال له مثل ما قال لعليّ، فقال: نعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، فقال: اللهمّ اسمع واشهد، اللهمّ إنّي جعلت ما برقبتي من ذاك في رقبة عثمان. فبايعه.

فقال عليّ عليه السلام : ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1]، والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك، والله كلّ يوم في شأن. فقال عبد الرحمن: يا عليّ، لا تجعلنّ على نفسك سبيلاً. يعني يقتلك أبو طلحة حسب ما أمر به عمر، فخرج عليّ عليه السلام وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال عمّار: يا عبد الرحمن، لقد تركته وإنّه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. ثم قال المقداد: تالله ما رأيت مثل ما أُتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم، إنّي لأعجب من قريش! إنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ أحداً أقضى بالحقّ ولا أعلم ولا أتقى منه، أما والله لو أجد أعواناً عليه لقاتلتهم. فقال عبد الرحمن: اتّق الله يا مقداد! فإنّي خائف عليك الفتنة. وقال عليّ عليه السلام : إنّي لأعلم ما في أنفسهم، إنّ الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر في صلاح شأنها، فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش.

قال: وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان، فقيل له: بايع لعثمان. فقال: كلّ قريش راضٍ به؟ قالوا: نعم. فأتى عثمان، فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك وإن أبيت رددتها. قال: أردّها. قال: نعم. أكلّ الناس بايعوك؟ قال: نعم. قال: قد رضيت، لا أرغب عمّا أجمعوا عليه. وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد، قد أصبت إن بايعت عثمان. وقال لعثمان: لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا. فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور، لو بايعت غير عثمان لبايعته ولقلت هذه المقالة.

قال: وكان المسور يقول: ما رأيت أحداً مدّ قوماً فيما دخلوا فيه بمثل ما مدّهم عبد الرحمن. ثم قال ابن الأثير: وقد ذكر أبو جعفر رواية أُخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة قريباً ممّا تقدّم، غير أنه قال: لمّا دفنوا عمر جمعهم عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرّق، فتكلّم عثمان... وذكر ابن الأثير ما خطب به عثمان ثم الزبير ولا حاجة بنا إلى إيراد خطبتهما.

ثم أورد كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو قوله: الحمد لله الذي اختار محمّداً صلى الله عليه وآله منّا نبيّاً وابتعثه إلينا رسولاً، فنحن أهل بيت النبوّة ومعدن الحكمة، وأمان لأهل الأرض، ونجاة لمن طلب، إنّ لنا حقّاً إن نعطه نأخذه، وإن نُمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصلة رحم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، اسمعوا كلامي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف، وتخان فيه العهود، حتى

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

لا يكون لكم جماعة، وحتى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة[١].

وقد روى ابن أبي الحديد هذا الكلام، عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ثم قال: وذكر الهروي في كتاب الجمع بين الغريبين قوله عليه السلام: وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل.. وفسّره على وجهين، أحدهما: أنّ من ركب عجز البعير يعاني مشقّة، فكأنّه قال: وإن نمنعه نصبر على المشقّة كما يصبر عليها راكب عجز البعير. والوجه الثاني: أنّه أراد نتبع غيرنا كما أنّ راكب عجز البعير يكون رديفاً لمن هو أمامه، فكأنّه قال: وإن نمنعه نتأخّر ونتبع غيرنا كما يتأخّر راكب عجز البعير[٢].

٢٧ - باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على جماعة من المهاجرين والأنصار لمّا تذاكروا فضلهم في أيّام خلافة عثمان وغيره ممّا احتجّ به في أيّام خلافة خلفاء الجور وبعدها

١ - ج: روي عن سليم بن قيس الهلالي، أنّه قال: رأيت عليّاً عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان وجماعة يتحدّثون ويتذاكرون العلم، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها وما قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل، مثل قوله صلى الله عليه وآله: الأئمّة من قريش. وقوله صلى الله عليه وآله: الناس تبع لقريش وقريش أئمّة العرب. وقوله: لا تسبّوا قريشاً. وقوله: إنّ للقرشيّ مثل قوّة رجلين من غيرهم. وقوله: من أبغض قريشاً أبغضه الله. وقوله: من أراد هوان قريش أهانه الله. وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها وما أثنى الله عليهم في كتابه، وما قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل، وذكروا ما قاله في سعد بن معاذ وفي جنازته، والذي غسّلته الملائكة، والذي حمَته الدبر.. فلم يدعوا شيئاً من فضلهم حتى قال كلّ حي: منّا فلان وفلان، وقالت قريش: منّا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنّا حمزة، ومنّا جعفر، ومنّا عبيدة بن الحارث، وزيد بن حارثة، ومنّا أبو بكر وعمر وسعد وأبو عبيدة وسالم وابن عوف...

فلم يدعوا من الحيّين أحداً من أهل السابقة إلّا سمّوه، وفي الحلقة أكثر من مئتي رجل فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعمّار والمقداد، وأبو ذرّ وهاشم بن عتبة وابن عمر والحسن والحسين عليهما السلام وابن عباس ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر، ومن الأنصار أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو أيّوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ومحمد بن سلمة وقيس بن سعد بن عبادة وجابر بن عبد الله وأبو مريم وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وعبد الله بن أبي أوفى، وأبو ليلى ومعه ابنه عبد الرحمن قاعداً بجنبه غلام صبيح الوجه مديد القامة أمرد، فجاء أبو الحسن البصري ومعه

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٣ ص ٣٧-٣٩. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٤٨.

الحسن غلام أمرد صبيح الوجه معتدل القامة، قال: فجعلت أنظر إليه وإلى عبد الرحمن بن أبي ليلى فلا أدري أيّهما أجمل، غير أنّ الحسن أعظمهما وأطولهما.

وأكثر القوم وذلك من بكرة إلى حين الزوال وعثمان في داره لا يعلم بشيء ممّا هم فيه، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام لا ينطق هو ولا أحد من أهل بيته، فأقبل القوم عليه، فقالوا: يا أبا الحسن، ما يمنعك أن تتكلّم؟ فقال: ما من الحيّين أحد إلّا وقد ذكر فضلاً وقال حقّاً، فأنا أسألكم يا معاشر قريش والأنصار، بمن أعطاكم الله هذا الفضل؟ أبأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومنّ به علينا بمحمّد صلى الله عليه وآله وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرنا ولا بأهل بيوتاتنا.

قال: صدقتم يا معاشر قريش والأنصار، ألستم تعلمون أنّ الذي نلتم به من خير الدنيا والآخرة منّا أهل البيت خاصّة دون غيرهم؟ فإنّ ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي وأهل بيتي كنّا نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة، فلمّا خلق الله آدم وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمله في السفينة في صلب نوح عليه السلام، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام، ثم لم يزل الله عزّ وجلّ ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء، والأمّهات لم يلتق واحد منهم على سفاح قطّ. فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أُحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أنّي أوّل الأُمّة إيماناً بالله وبرسوله؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: نشدتكم بالله، أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ فضّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وإنّي لم يسبقني إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله صلى الله عليه وآله أحد من هذه الأُمّة؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أنشدكم بالله، أتعلمون حيث نزلت: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[2] سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أنزلها الله عزّ وجلّ في الأنبياء وفي أوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعليّ بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون حيث نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3]، وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[4]، وحيث نزلت: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠-١١.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٦.

قال الناس: يا رسول الله، أخاصّة في بعض المؤمنين أم عامّة في جميعهم؟ فأمر الله عزّوجلّ نبيّه أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجّهم، فنصبني للناس بغدير خمّ، ثم خطب فقال: أيّها الناس، إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري فظننت أنّ الناس مكذّبوني فأوعدني لأُبلّغها أو ليعذّبني. ثم أمر فنودي بالصلاة جامعة ثم خطب، فقال: أيّها الناس، أتعلمون أنّ الله عزّوجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا علي. فقمت، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. فقام سلمان، فقال: يا رسول الله، ولاء كماذا؟ قال: ولاء كولائي، من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه. فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقال: الله أكبر! تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية عليّ بعدي. فقام أبو بكر وعمر وقالا: يا رسول الله، هذه الآيات خاصّة في عليّ؟! قال: بلى، فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالا: يا رسول الله، بيّنهم لنا. قال: أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي، ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا الحوض.

فقالوا كلّهم: اللهمّ نعم، قد سمعنا وشهدنا كما قلت سواء. وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظ كلّه، وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا. فقال عليّ عليه السلام: صدقتم، ليس كلّ الناس يستوي في الحفظ. أنشدكم بالله عزّوجلّ، من حفظ ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا قام وأخبر به؟ فقام زيد بن أرقم والبراء بن عازب وأبو ذرّ، والمقداد، وعمّار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: أيّها الناس، إنّ الله أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيّي وخليفتي والذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته وقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايته، وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني ربّي لأُبلّغنّها أو يعذّبني.

أيّها الناس، إنّ الله أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيّنها لكم والزكاة والصوم والحجّ، فبيّنتها لكم وفسّرتها، وأمركم بالولاية وإنّي أُشهدكم أنّها لهذا خاصّة - ووضع يده على يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام - ثم لابنيه من بعده، ثم للأوصياء من بعدهم من ولدهم لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض.

أيّها الناس، قد بيّنت لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم، وهو أخي عليّ بن

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

أبي طالب، وهو فيكم بمنزلتي فيكم، فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم، فإنّ عنده جميع ما علّمني الله عزّوجلّ من علمه وحكمته فاسألوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلّموهم ولا تتقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم، فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم، ولا يزايلونه ولا يزايلهم.. ثم جلسوا.

قال سليم: ثم قال عليّ عليه السلام: أيّها الناس، أتعلمون أنّ الله عزّوجلّ أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١) فجمعني وفاطمة وابنيّ حسناً وحسيناً ثم ألقى علينا كساء، وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. فقالت أمّ سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى خير، إنّما نزلت فيّ وفي أخي عليّ [وفي ابنتي فاطمة] وفي ابنيّ وفي تسعة من ولد الحسين خاصّة ليس معنا أحد غيرنا.. فقالوا كلّهم: نشهد أنّ أمّ سلمة حدّثتنا بذلك، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فحدّثنا كما حدّثتنا به أمّ سلمة.

ثم قال عليّ عليه السلام: أنشدكم بالله، أتعلمون أنّ الله أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢)؟ فقال سلمان: يا رسول الله، عامّة هذه الآية أم خاصّة؟ فقال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أمروا بذلك، وأمّا الصادقون فخاصّة لأخي عليّ وأوصيائي بعده إلى يوم القيامة؟ فقالوا: اللهمّ نعم. قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أنّي قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك: ولِم خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال: إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: فأنشدكم بالله، أتعلمون أنّ الله عزّوجلّ أنزل في سورة الحجّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾(٣) إلى آخر السورة - فقام سلمان، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملّة إبراهيم؟ قال: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأمّة. فقال سلمان: بيّنهم لنا يا رسول الله، فقال: أنا وأخي عليّ وأحد عشر من ولدي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً ولم يخطب بعد ذلك، فقال: أيّها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسّكوا بهما لا تضلّوا، فإنّ اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. فقام عمر بن الخطاب وهو شبه المغضب، فقال: يا رسول الله، أكلّ أهل بيتك؟! فقال: لا، ولكن

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٧.

أوصيائي منهم، أوّلهم عليّ أخي ووزيري وخليفتي في أُمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، هو أوّلهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد حتى يردوا عليّ الحوض شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه، وخزّان علمه، ومعادن حكمته، من أطاعهم [فقد] أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله... فقالوا كلّهم: نشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك.

ثم تمادى بعليّ عليه السلام السؤال، فما ترك شيئاً إلّا ناشدهم الله فيه وسألهم عنه حتى أتى على آخر مناقبه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله، كلّ ذلك يصدّقونه ويشهدون أنّه حقّ، ثم قال حين فرغ: اللهمّ اشهد عليهم. وقالوا: اللهمّ اشهد أنّا لم نقل إلّا ما سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وما حدّثناه من نثق به من هؤلاء وغيرهم أنّهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: أتقرّون بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب وليس يحبّني؟ ووضع يده على رأسي، فقال له قائل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّه منّي وأنا منه، ومن أحبّه فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله. قال نحو من عشرين رجلاً من أفاضل الحيّين: اللهمّ نعم. وسكت بقيّتهم. فقال للسكوت: ما لكم سكتّم؟ قالوا: هؤلاء الذين شهدوا عندنا ثقات في قولهم وفضلهم وسابقتهم، قالوا: اللهمّ اشهد عليهم.

فقال طلحة بن عبيد الله وكان يقال له داهية قريش: فكيف تصنع بما ادّعى أبو بكر وأصحابه الذين صدّقوه وشهدوا على مقالته يوم أتوه بك تقاد وفي عنقك حبل، فقالوا لك: بايع، فاحتججت بما احتججت به فصدّقوك جميعاً، ثم ادّعى أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أبى الله أن يجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة، فصدّقه بذلك عمر وأبو عبيدة وسالم ومعاذ بن جبل؟ ثم قال طلحة: كلّ الذي قلت وادّعيت واحتججت به من السابقة والفضل حقّ نقرُّ به ونعرفه فأمّا الخلافة فقد شهد أُولئك الأربعة بما سمعت.

فقام عليّ عليه السلام عند ذلك وغضب من مقالته، فأخرج شيئاً قد كان يكتمه، وفسّر شيئاً قاله يوم مات عمر لم يدر ما عنى به، فأقبل على طلحة والناس يسمعون، فقال: أما والله يا طلحة، ما صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحبّ إليّ من صحيفة الأربعة، هؤلاء الخمسة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على الوفاء بها في الكعبة في حجّة الوداع: إن قتل الله محمّداً أو توفّاه أن يتوازروا عليّ ويتظاهروا فلا تصل إليّ الخلافة.

والدليل والله على باطل ما شهدوا وما قلت يا طلحة قول نبيّ الله يوم غدير خم: من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه. فكيف أكون أولى بهم من أنفسهم وهم أمراء عليّ وحكّام؟ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير النبوّة.. فلو كان مع النبوّة غيرها لاستثناه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقوله: إنّي قد تركت فيكم أمرين: كتاب الله وعترتي

لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما، لا تتقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.. أفينبغي أن يكون الخليفة على الأمّة إلّا أعلمهم بكتاب الله وسنّة نبيّه، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١)، وقال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾(٢)، وقال: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾(٣)، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما ولّت أمّة قطّ أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلّا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا.

فأمّا الولاية فهي غير الإمارة، والدليل على كذبهم وباطلهم وفجورهم أنّهم سلّموا عليّ بإمرة المؤمنين بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومن الحجّة عليهم وعليك خاصّة - وعلى هذا معك يعني الزبير، وعلى الأمّة رأساً، وعلى هذا سعد وابن عوف وخليفتكم هذا القائم، يعني عثمان، فإنّا معشر الشورى الستة أحياء كلّنا - أن جعلني عمر بن الخطاب في الشورى، إن كان قد صدق هو وأصحابه على رسول الله صلّى الله عليه وآله، أجعلنا شورى في الخلافة أو في غيرها؟ فإن زعمتم أنّه جعلها شورى في غير الإمارة فليس لعثمان إمارة، وإنّما أمرنا أن نتشاور في غيرها، وإن كانت الشورى فيها فلم أدخلني فيكم، فهلّا أخرجني وقد قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخرج أهل بيته من الخلافة، وأخبر أنّه ليس لهم فيها نصيب؟ ولِم قال عمر حين دعانا رجلاً رجلاً، فقال لعبد الله ابنه وها هو ذا: أنشدك بالله يا عبد الله بن عمر، ما قال لك حين خرجت؟ قال: أما إذا ناشدتني بالله، فإنّه قال: إن يتّبعوا أصلع قريش لحملهم على المحجّة البيضاء وأقامهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم. قال: يابن عمر، فما قلت له عند ذلك؟ قال: قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه. قال: وما ردّ عليك؟ قال: ردّ عليّ شيئاً أكتمه. قال عليه السلام: فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخبرني به في حياته، ثم أخبرني به ليلة مات أبوك في منامي، ومن رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله في نومه فقد رآه في يقظته. قال: فما أخبرك؟ قال عليه السلام: فأنشدك بالله يابن عمر، لئن أخبرتك به لتصدقنّ؟ قال: إذن أسكت. قال: فإنّه قال لك حين قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: الصحيفة التي كتبناها بيننا والعهد في الكعبة. فسكت ابن عمر وقال: أسألك بحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما سكتّ عنّي.

قال سليم: فرأيت ابن عمر في ذلك المجلس خنقته العبرة وعيناه تسيلان، وأقبل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على طلحة والزبير وابن عوف وسعد. فقال: والله لئن كان أولئك الخمسة أو الأربعة كذبوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله ما يحلّ لكم ولايتهم، وإن كانوا صدقوا ما حلّ لكم أيّها الخمسة أن تدخلوني معكم في الشورى، لأنّ إدخالكم إيّاي فيها خلاف على رسول الله صلّى الله عليه وآله وردّ عليه. ثم أقبل على الناس، فقال: أخبروني عن منزلتي فيكم وما

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٤.

تعرفوني به، أصادق أنا فيكم أم كاذب. قالوا: بل صدّيق صدوق، والله ما علمناك كذبت كذبة قطّ في جاهلية ولا إسلام.

قال: فوالله الذي أكرمنا أهل البيت بالنبوّة وجعل منّا محمّداً صلى الله عليه وآله وأكرمنا بعده بأن جعلنا أئمّة المؤمنين لا يبلّغ عنه غيرنا، ولا تصلح الإمامة والخلافة إلّا فينا، ولم يجعل لأحد من الناس فيها معنا أهل البيت نصيباً ولا حقّاً، أمّا رسول الله صلى الله عليه وآله فخاتم النبيّين وليس بعده نبيّ ولا رسول، خُتم برسول الله صلى الله عليه وآله الأنبياء إلى يوم القيامة وجعلنا من بعد محمّد صلى الله عليه وآله خلفاء في أرضه وشهداء على خلقه، وفرض طاعتنا في كتابه، وقرننا بنفسه في كتابه المنزل وبيّنه في غير آية من القرآن، والله عزّ وجلّ جعل محمّداً نبيّاً وجعلنا خلفاء من بعده في خلقه وشهداء على خلقه، وفرض طاعتنا في كتابه وقرننا بنفسه في كتابه المنزل.

ثم إنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يُبلّغ ذلك أُمّته فبلّغهم كما أمره الله، فأيّهما أحقّ بمجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه، وقد سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث بعثني ببراءة، فقال: لا يبلّغ عنّي إلّا رجل منّي.. أُنشدكم بالله، أسمعتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللهمّ نعم، إنّا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله حين بعثك ببراءة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يصلح لصاحبكم أن يبلغ عنه صحيفة قدر أربع أصابع، وإنّه لا يصلح أن يكون المبلّغ عنه غيري، فأيّهما أحقّ بمجلسه ومكانه الذي سمّي بخاصّته أنّه من رسول الله صلى الله عليه وآله أو من حضر مجلسه من الأمّة.

فقال طلحة: قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، ففسّر لنا كيف لا يصلح لأحد أن يبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله غيرك؟ ولقد قال لنا ولسائر الناس: ليبلّغ الشاهد الغائب.. فقال بعرفة في حجّة الوداع: نضّر الله امرأ سمع مقالتي ثم بلّغها غيره، فربّ حامل فقه لا فقه له، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله عزّ وجلّ، والسمع والطاعة والمناصحة لولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم.. وقال في غير موطن: ليبلّغ الشاهد الغائب.

فقال عليّ عليه السلام: إنّ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ ويوم عرفة في حجّة الوداع ويوم قُبض في آخر خطبة خطبها حين قال: إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله تعالى وأهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين الأصبعين، ألا إنّ أحدهما قدّام الآخر فتمسّكوا بهما لا تضلّوا ولا تزلّوا، ولا تقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.. وإنّما أمر العامة جميعاً أن يبلّغوا من لقوا من العامّة إيجاب طاعة الأئمة من آل محمّد عليه وعليهم السلام وإيجاب حقّهم، ولم يقل ذلك في شيء من الأشياء غير ذلك، وإنّما أمر العامّة أن يبلغوا العامّة حجّة من لا يبلّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله جميع ما يبعثه الله به غيرهم، ألا ترى يا طلحة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي وأنتم تسمعون:

يا أخي إنّه لا يقضي عنّي ديني ولا يبرئ ذمّتي غيرك، تبرئ ذمّتي وتؤدّي ديني وغراماتي وتقاتل على سنّتي؟ فلمّا ولي أبو بكر قضى عن نبيّ الله دينه وعداته فاتّبعتموه جميعاً؟ فقضيت دينه وعداته، وقد أخبرهم أنّه لا يقضي عنه دينه وعداته غيره، ولم يكن ما أعطاهم أبو بكر قضاء لدينه وعداته، وإنّما كان الذي قضى من الدين والعدة هو الذي أبرأه منه، وإنّما بلّغ عن رسول الله ﷺ جميع ما جاء به من عند الله من بعده الأئمّة الذين فرض الله في الكتاب طاعتهم، وأمر بولايتهم، الذين من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله.

فقال طلحة: فرّجت عنّي، ما كنت أدري ما عنى بذلك رسول الله ﷺ حتّى فسّرته لي، فجزاك الله يا أبا الحسن عن جميع أمّة محمد ﷺ الجنّة. يا أبا الحسن، شيء أريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم، فقلت: أيّها الناس، إنّي لم أزل مشتغلاً برسول الله ﷺ بغسله وكفنه ودفنه، ثم اشتغلت بكتاب الله حتّى جمعته، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط عنّي حرف واحد، ولم أر الذي كتبت وألّفت، وقد رأيت عمر بعث إليك: أن ابعث به إليّ، فأبيت أن تفعل، فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كتبها، وإذا ما لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجاها فلم يكتب، فقال عمر وأنا أسمع: إنّه قد قتل يوم القيامة قوم كانوا يقرؤون قرآناً لا يقرؤه غيرهم.. فقد ذهب، وقد جاءت شاة إلى صحيفة - وكتّاب يكتبون - فأكلتها وذهب ما فيها والكاتب يومئذٍ عثمان، وسمعت عمر وأصحابه الذين ألّفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون: إنّ الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، وإنّ النور نيف ومائة آية، والحجر مائة وتسعون آية، فما هذا؟ وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس وقد عهد عثمان حين أخذ ما ألّف عمر فجمع له الكتاب وحمل الناس على قراءة واحدة، فمزّق مصحف أبيّ بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار؟.

فقال له عليّ عليه السلام: يا طلحة، إنّ كلّ آية أنزلها الله جلّ وعلا على محمّد ﷺ عندي بإملاء رسول الله ﷺ وخطّ يدي، وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد ﷺ، وكلّ حلال وحرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة عندي مكتوب بإملاء رسول الله ﷺ وخطّ يدي حتّى أرش الخدش.

فقال طلحة: كلّ شيء من صغير أو كبير أو خاصّ أو عام أو كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟ قال: نعم، وسوى ذلك أنّ رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب، ولو أنّ الأمّة منذ قبض رسول الله ﷺ اتّبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، يا طلحة، ألست قد شهدت رسول الله ﷺ حين دعا بالكتف ليكتب فيه ما لا تضلّ أمّته، فقال صاحبك إنّ نبيّ الله يهجر.. فغضب رسول الله ﷺ فتركها؟ قال: بلى، قد شهدته. قال: فإنّكم لمّا خرجتم أخبرني رسول الله ﷺ بالذي أراد أن يكتب ويُشهد عليه العامّة، فأخبره جبرئيل عليه السلام أنّ

الله عزّوجلّ قد قضى على أُمّته الاختلاف والفرقة، ثم دعا بصحيفة فأملى عليّ ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان وأبا ذرّ والمقداد، وسمّى من يكون من أئمّة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة، فسمّاني أوّلهم ثم ابني هذا ثم ابني هذا - وأشار إلى الحسن والحسين - ثم تسعة من ولد ابني الحسين، أكذلك كان يا أبا ذر ويا مقداد؟ فقاما ثم قالا: نشهد بذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال طلحة: والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق ولا أبرّ عند الله من أبي ذرّ، وأنا أشهد أنّهما لم يشهدا إلّا بحقّ وأنت عندي أصدق وأبرّ منهما.

ثم أقبل عليّ عليه السلام، فقال: اتّق الله عزّوجلّ يا طلحة، وأنت يا زبير، وأنت يا سعد، وأنت يابن عوف، اتّقوا الله وآثروا رضاه، واختاروا ما عنده، ولا تخافوا في الله لومة لائم. ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عمّا سألتك عنه من أمر القرآن، ألا تظهره للناس؟ قال: يا طلحة، عمداً كففت عن جوابك، فأخبرني عمّا كتب عمر وعثمان، أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآن كلّه. قال: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإنّ فيه حجّتنا، وبيان حقّنا، وفرض طاعتنا. قال طلحة: حسبي، أما إذا كان قرآناً فحسبي.

ثم قال طلحة: أخبرني عمّا في يديك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه؟ ومن صاحبه بعدك؟ قال: إنّ الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه. قال: من هو؟ قال: وصيّي وأولى الناس بعدي بالناس ابني الحسن ثم يدفعه ابني الحسن عند موته إلى ابني الحسين، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتى يرد آخرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم، أما إنّ معاوية وابنه سيليان بعد عثمان ثم يليهما سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، واحد بعد واحد تكملة اثني عشر إمام ضلالة، وهم الذين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره يردّون الأُمّة على أدبارهم القهقرى، عشرة منهم من بني أُميّة ورجلان أسّسا ذلك لهم، وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأُمّة إلى يوم القيامة[1].

أقول: روى الصدوق رحمه الله في إكمال الدين مختصراً من الاحتجاج، عن أبيه وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس[2].

ووجدت في أصل كتاب سليم مثله[3].

بيان: قال الجوهري: الدَّبر بالفتح: جماعة النَّحل، ويقال للزَّنابير أيضاً: دبر، ومنه قيل

---

(١) الاحتجاج، ص ١٤٥-١٥٥.
(٢) كمال الدين، ص ٢٦٠.
(٣) كتاب سليم بن قيس، ص ١٧٠.

لعاصم بن ثابت الأنصاري: حميُّ الدبر، وذلك أنّ المشركين لمّا قتلوه أرادوا أن يمثلوا به فسلّط الله عليهم الزنابير الكِبار تأبِر الدارع، فارتدعوا عنه حتّى أخذه المسلمون فدفنوه.

قوله عليه السلام: حجّة من لا يبلغ، المراد بالموصول الأئمة عليهم السلام، فإنّهم الذين لا يبلغ سواهم جميع ما يبعث الله النبيّ صلى الله عليه وآله به، والغرض أنّ ما يلزمهم إبلاغه هو الكلام الذي يكون حجّة للإمام على الخلق من النصّ عليه وما يدلّ على وجوب طاعته، فإنّ بإخبار الإمام فقط لا تتمّ الحجّة في ذلك، فأمّا تبليغ سائر الأشياء فهو شأن الإمام عليه السلام.

قوله عليه السلام: ولم يكن ما أعطاهم. لعل المعنى أنّ قاضي الدين والعداة هو الذي يبرئ ذمّة الغريم والواعد، ولا يبرئ الذمّة إلّا ما كان بجهة شرعيّة، وبعد تعيين النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام لقضاء الدين والعداة ونهي الغير عن ذلك، إذا أتى به غيره لم يكن بجهة شرعيّة فلا يبرئ الذمّة، فما أدّاه أبو بكر لم يكن داخلاً في قضاء الدين والعدة. فقوله عليه السلام: وإنّما كان الذي قضى. . إشارة إلى ما ذكرنا، أي ليس القاضي إلّا الذي أبرأ المديون منه، وأبو بكر لم يكن كذلك.

ولنذكر بعض الزوائد التي وجدناها في كتاب سليم، وبعض الاختلافات بينه وبين سائر الروايات: قال - بعد قوله: لم يلتق واحد منهم على سفاح قطّ - فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أُحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأُنشدكم الله، أتقرّون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين كلّ رجلين من أصحابه وآخى بيني وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ فقالوا: اللهمّ نعم. قال: أتقرّون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى موضع مسجده ومنازله فأتيناه ثم بنى عشرة منازل تسعة له وجعل لي عاشرها في وسطها، ثم سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابي، فتكلم في ذلك من تكلّم، فقال: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ولقد نهى الناس جميعاً أن يناموا في المسجد غيري، وكنت أُجنب في المسجد، ومنزلي ومنزل رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله ولي فيه أولاد؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أفتقرّون أنّ عمر حرص على كوّة قدر عينه يدعها من منزله إلى المسجد فأبى عليه، ثم قال صلى الله عليه وآله: إنّ الله أمر موسى عليه السلام أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه غيره وغير هارون وابنيه، وإنّ الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى وأنت وليّ كلّ مؤمن من بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعا أهل نجران إلى المباهلة أنّه لم يأت إلّا بي وبصاحبتي وابنيّ؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أتعلمون أنّه دفع إليّ اللواء يوم خيبر، ثم قال: لأدفعها إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، ليس بجبان ولا فرّار يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أفتقرّون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعثني ببراءة وقال: لا يبلّغ عنّي إلّا رجل منّي؟ قالوا:

اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله ﷺ لم ينزل به شديدة قطّ إلّا قدّمني لها ثقة بي، وأنّه لم يدع باسمي قطّ إلّا أن يقول: يا أخي، وادعوا لي أخي؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله ﷺ قضى بيني وبين جعفر وزيد في ابنة حمزة، فقال: يا عليّ، أنت منّي وأنا منك وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّه كانت لي من رسول الله ﷺ في كلّ يوم وليلة دخلة وخلوة، إذا سألته أعطاني، وإذا سكتّ ابتدأني؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: أفتقرّون أنّ رسول الله ﷺ فضّلني على حمزة وجعفر، فقال لفاطمة: إنّ زوجك خير أهلي وخير أُمّتي، أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله ﷺ قال: أنا سيّد ولد آدم عليه السلام وأخي عليّ سيّد العرب، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله ﷺ أمرني بغسله وأخبرني أنّ جبرئيل عليه السلام يعينني عليه؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال: أفتقرّون أنّ رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبكم: أيّها الناس، إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: فلم يدع شيئاً ممّا أنزل الله فيه خاصّة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان رسول الله ﷺ إلّا ناشدهم الله به، فمنه ما يقولون جميعاً: نعم، ومنه ما يسكت بعضهم ويقول بعضهم: اللهمّ نعم، ويقول الذين سكتوا: أنتم عندنا ثقات، وقد حدّثنا غيركم ممّن نثق به أنّهم سمعوه من رسول الله ﷺ. ثم قال حين فرغ: اللهمّ اشهد عليهم.. وساق الحديث إلى قوله: فقال: أما والله يا طلحة، ما صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحبّ إليّ من صحيفة هؤلاء الخمسة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على الوفاء بها في الكعبة في حجّة الوداع: إن قتل الله محمّداً أو مات أن يتوازروا أو يتظاهروا عليّ.. وساق إلى قوله:

فأيّنا أحقّ بمجلسه ومكانه الذي يسمّى بخاصّة أنّه من رسول الله ﷺ، أو من خصّ من بين الأُمّة أنّه ليس من رسول الله ﷺ.. وساق إلى قوله: يا طلحة، عمداً كففت عن جوابك. قال: فأخبرني عمّا كتب عمر وعثمان: أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال: بل قرآن كلّه إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار... وساق إلى قوله: ومن صاحبه بعدك؟ قال: إلى الذي أمرني رسول الله ﷺ أن أدفعه إليه. قال: من هو؟ قال: وصيّي... وساق إلى قوله في آخر الخبر: يردّون أُمّته على أدبارهم القهقرى، فقالوا: يرحمك الله يا أبا الحسن وجزاك الله أفضل الجزاء عنّا(١).

٢ - لي: القطّان والسناني والدقّاق والمكتّب والورّاق جميعاً، عن ابن زكريّا القطّان، عن

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٧٠.

ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن سليمان بن حكيم، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، قال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه ليس فيهم رجل له منقبة إلّا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم. قلت: يا أمير المؤمنين، فأخبرني بهنّ. فقال عليه السلام:

إنّ أوّل منقبة لي، أنّي لم أشرك بالله طرفة عين، ولم أعبد اللات والعزّى.

والثانية: أنّي لم أشرب الخمر قطّ.

والثالثة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استوهبني من أبي في صباي فكنت أكيله وشريبه ومؤنسه ومحدّثه.

والرابعة: أنّي أوّل الناس إيماناً وإسلاماً.

والخامسة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي، أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

والسادسة: أنّي كنت آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله ودلّيته في حفرته.

والسابعة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنامني على فراشه حيث ذهب إلى الغار وسجّاني ببرده، فلمّا جاء المشركون ظنّوني محمّداً فأيقظوني، وقالوا: ما فعل صاحبك؟ فقلت: ذهب في حاجته. فقالوا: لو كان هرب لهرب هذا معه.

وأمّا الثامنة: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب، ولم يعلّم ذلك أحداً غيري.

وأمّا التاسعة: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي، إذا حشر الله عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين نصب لي منبراً فوق منابر النبيّين، ونصب لك منبراً فوق منابر الوصيّين، فترتقي عليه.

وأمّا العاشرة: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا أُعطى في القيامة شيئاً إلّا سألت لك مثله.

وأمّا الحادية عشرة: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي، أنت أخي وأنا أخوك يدك في يدي حتّى ندخل الجنّة.

وأمّا الثانية عشرة: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي، مثلك في أُمّتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق.

وأمّا الثالثة عشرة: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عمّمني بعمامة نفسه بيده ودعا لي بدعوات النصر على أعداء الله، فهزمتهم بإذن الله عزّ وجلّ.

وأمّا الرابعة عشرة: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أمسح يدي على ضرع شاة قد يبس ضرعها، فقلت: يا رسول الله، بل امسح أنت. فقال: يا علي، فعلك فعلي. فمسحت عليها

يدي فدرّ عليّ من لبنها فسقيت رسول الله ﷺ شربة، ثم أتت عجوز فشكت الظمأ فسقيتها، فقال رسول الله ﷺ: إني سألت الله عزّ وجلّ أن يبارك في يدك ففعل.

وأمّا الخامسة عشرة: فإنّ رسول الله ﷺ أوصى إليّ وقال: يا علي، لا يلي غسلي غيرك، ولا يواري عورتي غيرك، فإنّه إن رأى أحد عورتي غيرك تفقّأت عيناه. فقلت له: كيف؟ فكيف لي بتقليبك يا رسول الله فقال: إنّك ستعان. فوالله ما أردت أن أقلب عضواً من أعضائه إلّا قُلب لي

وأمّا السادسة عشرة: فإنّي أردت أن أُجرّده فنوديت: يا وصيّ محمّد، لا تجرّده. فغسّلته والقميص عليه، فلا والله الذي أكرمه بالنبوّة وخصّه بالرسالة ما رأيت له عورة، خصّني الله بذلك من بين أصحابه..

وأمّا السابعة عشرة: فإنّ الله عزّ وجلّ زوّجني فاطمة، وقد كان خطبها أبو بكر وعمر، فزوّجني الله من فوق سبع سماواته، فقال رسول الله ﷺ: هنيئاً لك يا عليّ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد زوّجك فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وهي بضعة منّي. فقلت: يا رسول الله، أولست منك؟ قال: بلى يا علي، وأنت منّي وأنا منك كيميني من شمالي، لا أستغني عنك في الدنيا والآخرة.

وأمّا الثامنة عشرة: فإنّ رسول الله ﷺ قال: يا عليّ، أنت صاحب لواء الحمد في الآخرة، وأنت يوم القيامة أقرب الخلائق منّي مجلساً يبسط لي ويبسط لك فأكون في زمرة النبيّين، وتكون في زمرة الوصيّين، ويوضع على رأسك تاج النور وإكليل الكرامة، يحفّ بك سبعون ألف ملك حتّى يفرغ الله عزّ وجلّ من حساب الخلائق.

وأمّا التاسعة عشرة: فإنّ رسول الله ﷺ قال: ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فمن قاتلك منهم فإنّ لك بكلّ رجل منهم شفاعة في مائة ألف من شيعتك. فقلت: يا رسول الله، فمن الناكثون؟ قال: طلحة والزبير، سيبايعانك بالحجاز، وينكثانك بالعراق، فإذا فعلا ذلك فحاربهما فإنّ في قتالهما طهارة لأهل الأرض. قلت: فمن القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه. فقلت: فمن المارقون؟ قال: أصحاب ذي الثدية، وهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاقتلهم فإنّ في قتلهم فرجاً لأهل الأرض، وعذاباً معجّلاً عليهم، وذخراً عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة.

وأمّا العشرون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول [لي]: مثلك في أمّتي مثل باب حطّة في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عزّ وجلّ.

وأمّا الحادية والعشرون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ولن تُدخل المدينة إلّا من بابها. ثم قال: يا عليّ، إنّك سترعى ذمّتي وتقاتل على سنّتي، وتخالفك أُمّتي.

وأمّا الثانية والعشرون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله تبارك وتعالى خلق ابنيَّ الحسن والحسين من نور ألقاه إليك وإلى فاطمة، وهما يهتزّان كما يهتزّ القرطان إذا كانا في الأذنين، ونورهما متضاعف على نور الشهداء سبعين ألف ضعف، يا علي، إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني أن يكرمهما كرامة لا يكرم بها أحداً ما خلا النبيّين والمرسلين.

وأمّا الثالثة والعشرون: فإنّ رسول الله ﷺ أعطاني خاتمه في حياته ودرعه ومنطقته، وقلّدني سيفه وأصحابه كلّهم حضور وعمّي العباس حاضر، فخصّني الله عزّ وجلّ منه بذلك دونهم.

وأمّا الرابعة والعشرون: فإنّ الله عزّ وجلّ أنزل على رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾[1] فكان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ أصدّق قبل ذلك بدرهم، ووالله ما فعل هذا أحد من أصحابه قبلي ولا بعدي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾[2] -.. الآية - فهل تكون التوبة إلّا من ذنب كان؟

وأمّا الخامسة والعشرون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى أدخلها أنا، وهي محرّمة على الأوصياء حتّى تدخلها أنت يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى بشّرني فيك ببشرى لم يبشّر بها نبيّاً قبلي، بشّرني بأنّك سيّد الأوصياء، وأنّ ابنيك الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة يوم القيامة.

وأمّا السادسة والعشرون: فإنّ جعفراً أخي الطيّار في الجنّة مع الملائكة المزيّن بالجناحين من درّ وياقوت وزبرجد.

وأمّا السابعة والعشرون: فعمّي حمزة سيّد الشهداء.

وأمّا الثامنة والعشرون: فإنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله تبارك وتعالى وعدني فيك وعداً لن يخلفه، جعلني نبيّاً وجعلك وصيّاً، وستلقى من أُمّتي من بعدي ما لقي موسى من فرعون، فاصبر واحتسب حتّى تلقاني، فأُوالي من والاك وأُعادي من عاداك.

وأمّا التاسعة والعشرون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي، أنت صاحب الحوض لا يملكه غيرك، وسيأتيك قوم فيستسقونك فتقول: لا، ولا مثل درّة. فينصرفون مسودّة وجوههم، وسترد عليك شيعتي وشيعتك فتقول: ردوا رواء مرويّين، فيردون مبيضّة وجوههم.

وأمّا الثلاثون: فإنّي سمعته ﷺ يقول: يحشر أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات، فأوّل راية ترد عليّ راية فرعون هذه الأُمّة، وهو معاوية. والثانية: مع سامريّ هذه الأُمّة، وهو

---

(١) - (٢) سورة المجادلة، الآيات: ١٢-١٤.

عمرو بن العاص. والثالثة: مع جاثليق هذه الأمّة، وهو أبو موسى الأشعري. والرابعة: مع أبي الأعور السلمي. وأمّا الخامسة: فمعك يا عليّ تحتها المؤمنون وأنت إمامهم، ثم يقول الله تبارك وتعالى للأربعة: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾(١) وهم شيعتي ومن والاني وقاتل معي الفئة الباغية والناكبة عن الصراط، وباب الرحمة هم شيعتي، فينادي هؤلاء: ألم نكن فيه معكم؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢)، ثم ترد أُمّتي وشيعتي فيروون من حوض محمّد ﷺ، وبيدي عصا عوسج أطرد بها أعدائي طرد غريبة الإبل.

وأمّا الحادية والثلاثون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولا أن يقول فيك الغالون من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به.

وأمّا الثانية والثلاثون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله تبارك وتعالى نصرني بالرعب، فسألته أن ينصرك بمثله، فجعل لك من ذلك مثل الذي جعله لي.

وأمّا الثالثة والثلاثون: فإنّ رسول الله ﷺ التقم أُذني وعلّمني ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فساق الله تبارك وتعالى إليّ لسان نبيّه ﷺ.

وأمّا الرابعة والثلاثون: فإنّ النصارى ادّعوا أمراً فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٣)، فكانت نفسي نفس رسول الله ﷺ، والنساء فاطمة عليها السلام، والأبناء الحسن والحسين، ثم ندم القوم فسألوا رسول الله ﷺ الإعفاء فأعفاهم، والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمّد ﷺ لو باهلونا لمسخوا قردة وخنازير.

وأمّا الخامسة والثلاثون: فإنّ رسول الله ﷺ وجّهني يوم بدر، فقال: ائتني بكفّ حصيات مجموعة في مكان واحد. فأخذتها ثم شممتها فإذا هي طيّبة تفوح منها رائحة المسك، فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين، وتلك الحصيات أربع منها كنّ من الفردوس، وحصاة من المشرق، وحصاة من المغرب، وحصاة من تحت العرش، مع كلّ حصاة مائة ألف ملك مدد لنا، لم يكرّم الله عزّ وجلّ بهذه الفضيلة أحداً قبل ولا بعد.

وأمّا السادسة والثلاثون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل لقاتلك، إنّه أشقى من ثمود ومن عاقر الناقة، وإنّ عرش الرحمن ليهتزّ لقتلك، فأبشر يا علي، فإنّك في زمرة الصدّيقين والشهداء والصالحين.

---

(١) - (٢) سورة الحديد، الآيات: ١٣-١٥. (٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وأمّا السابعة والثلاثون: فإنّ الله تبارك وتعالى قد خصّني من بين أصحاب محمّد ﷺ بعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاصّ والعام، وذلك ممّا منّ الله به عليّ وعلى رسوله ﷺ، وقال لي الرسول ﷺ: يا علي، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأُعلمك ولا أجفوك، وحقّ عليّ أن أُطيع ربّي وحقّ عليك أن تعي.

وأمّا الثامنة والثلاثون: فإنّ رسول الله ﷺ بعثني بعثاً ودعا لي بدعوات وأطلعني على ما يجري بعده، فحزن لذلك بعض أصحابه وقال: لو قدر محمّد أن يجعل ابن عمّه نبيّاً لجعله. فشرّفني الله بالاطّلاع على ذلك على لسان نبيّه ﷺ.

وأمّا التاسعة والثلاثون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً، لا يجتمع حبّي إلّا في قلب مؤمن، إنّ الله عزّ وجلّ جعل أهل حبّي وحبّك يا علي في أوّل زمرة السابقين إلى الجنّة، وجعل أهل بغضي وبغضك في أوّل زمرة الضالّين من أُمّتي إلى النار.

وأمّا الأربعون: فإن رسول الله ﷺ وجّهني في بعض الغزوات إلى ركي فإذا ليس فيه ماء، فرجعت إليه فأخبرته، فقال: أفيه طين؟ فقلت: نعم. فقال: ائتني منه. فأتيت منه بطين، فتكلّم فيه، ثم قال: ألقه في الركي. فألقيته، فإذا الماء قد نبع حتّى امتلأ جوانب الركي، فجئت إليه فأخبرته، فقال لي: وفّقت يا علي، وببركتك نبع الماء. فهذه المنقبة خاصّة لي من دون أصحاب النبيّ ﷺ.

وأمّا الحادية والأربعون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبشر يا عليّ، فإنّ جبرئيل عليه السلام أتاني فقال لي: يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى نظر إلى أصحابك فوجد ابن عمّك وختنك على ابنتك فاطمة خير أصحابك، فجعله وصيّك والمؤدّي عنك.

وأمّا الثانية والأربعون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبشر يا علي، فإنّ منزلك في الجنّة مواجه منزلي، وأنت معي في الرفيق الأعلى في أعلى علّيين. قلت: يا رسول الله وما أعلى عليّون؟ فقال: قبّة من درّة بيضاء لها سبعون ألف مصراع، مسكن لي ولك يا علي.

وأمّا الثالثة والأربعون: فإنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ رسخ حبّي في قلوب المؤمنين وكذلك رسخ حبّك يا علي في قلوب المؤمنين، ورسخ بغضي وبغضك في قلوب المنافقين، فلا يحبّك إلّا مؤمن تقي ولا يبغضك إلّا منافق كافر.

وأمّا الرابعة والأربعون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يبغضك من العرب إلّا دعيّ، ولا من العجم إلّا شقيّ، ولا من النساء إلّا سلقلقيّة.

وأمّا الخامسة والأربعون: فإنّ رسول الله ﷺ دعاني وأنا رمد العين، فتفل في عيني وقال: اللهمّ اجعل حرّها في بردها وبردها في حرّها. فوالله ما اشتكت عيني إلى هذه الساعة.

وأمّا السادسة والأربعون: فإنّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه وعمومته بسدّ الأبواب وفتح بابي بأمر الله عزّوجلّ، فليس لأحد منقبة مثل منقبتي.

وأمّا السابعة والأربعون: فإنّ رسول الله ﷺ أمرني في وصيّة بقضاء ديونه وعداته، فقلت: يا رسول الله، قد علمت أنّه ليس عندي مال. فقال: سيعينك الله. فما أردت أمراً من قضاء ديونه وعداته إلّا يسّره الله لي حتّى قضيت ديونه وعداته، وأحصيت ذلك فبلغ ثمانين ألفاً وبقي بقيّة أوصيت الحسن أن يقضيها.

وأمّا الثامنة والأربعون: فإنّ رسول الله ﷺ أتاني في منزلي ولم يكن طعمنا منذ ثلاثة أيّام، فقال: يا علي، هل عندك من شيء؟ فقلت: والذي أكرمك بالكرامة واصطفاك بالرسالة ما طعمت وزوجتي وابناي منذ ثلاثة أيّام. فقال النبيّ ﷺ: يا فاطمة ادخلي البيت وانظري هل تجدين شيئاً؟ فقالت: خرجت الساعة. فقلت: يا رسول الله، أدخله أنا؟ فقال: ادخله باسم الله. فدخلت فإذا أنا بطبق موضوع عليه رطب وجفنة من ثريد، فحملتها إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا علي، رأيت الرسول الذي حمل هذا الطعام؟ فقلت: نعم. فقال: صفه لي، فقلت: من بين أحمر وأخضر وأصفر. فقال: تلك خطط جناح جبرئيل عليه السلام مكلّلة بالدرّ والياقوت. فأكلنا من الثريد حتى شبعنا، فما رئي إلّا خدش أيدينا وأصابعنا، فخصّني الله عزّوجلّ بذلك من بين الصحابة.

وأمّا التاسعة والأربعون: فإنّ الله تبارك وتعالى خصّ نبيّه ﷺ بالنبوّة وخصّني النبيّ ﷺ بالوصيّة، فمن أحبّني فهو سعيد يحشر في زمرة الأنبياء عليهم السلام.

وأمّا الخمسون: فإنّ رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر، فلمّا مضى أتى جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد، لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك. فوجّهني على ناقته العضباء، فلحقته بذي الحليفة فأخذتها منه، فخصّني الله عزّوجلّ بذلك.

وأمّا الحادية والخمسون: فإنّ رسول الله ﷺ أقامني للناس كافة يوم غدير خمّ، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

وأمّا الثانية والخمسون: فإنّ رسول الله ﷺ قال: يا علي، ألا أُعلّمك كلمات علّمنيهنّ جبرئيل عليه السلام؟ فقلت: بلى. قال: قل: يا رزّاق المقلّين، ويا راحم المساكين، ويا أسمع السامعين، ويا أبصر الناظرين، ويا أرحم الراحمين، ارحمني وارزقني.

وأمّا الثالثة والخمسون: فإنّ الله تبارك وتعالى لن يذهب بالدنيا حتّى يقوم منّا القائم يقتل مبغضينا ولا يقبل الجزية، ويكسر الصليب والأصنام، وتضع الحرب أوزارها، ويدعو إلى أخذ المال فيقسمه بالسويّة، ويعدل في الرعيّة.

وأمّا الرابعة والخمسون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي، سيلعنك بنو أُميّة ويردّ عليهم ملك بكلّ لعنة ألف لعنة، فإذا قام القائم لعنهم أربعين سنة.

وأمّا الخامسة والخمسون: سمعت أنّ رسول الله ﷺ قال لي: سيفتتن فيك طوائف من أمّتي، فتقول: إنّ رسول الله ﷺ لم يخلّف شيئاً فبماذا أوصى عليّاً؟ أوليس كتاب ربّي أفضل الأشياء بعد الله عزّوجلّ؟ والذي بعثني بالحقّ لئن لم تجمعه بإتقان لم يجمع أبداً. فخصّني الله عزّوجلّ بذلك من دون الصحابة.

وأمّا السادسة والخمسون: فإنّ الله تبارك وتعالى خصّني بما خصّ به أولياءه وأهل طاعته وجعلني وارث محمّد ﷺ، فمن ساءه ساءه ومن سرّه سرّه.. وأومى بيده نحو المدينة.

وأمّا السابعة والخمسون: فإنّ رسول الله ﷺ كان في بعض الغزوات ففقد الماء، فقال لي: يا علي، قم إلى هذه الصخرة، وقل: أنا رسول رسول الله ﷺ انفجري لي ماءً. فوالله الذي أكرمه بالنبوّة، لقد أبلغتها الرسالة فاطّلع منها مثل ثدي البقرة، فسال من كلّ ثدي منها ماء، فلمّا رأيت ذلك أسرعت إلى النبيّ ﷺ فأخبرته، فقال: انطلق يا عليّ فخذ من الماء. وجاء القوم حتّى ملأوا قربهم وأداواتهم وسقوا دوابّهم وشربوا وتوضّوا، فخصّني الله عزّوجلّ بذلك من دون الصحابة.

وأمّا الثامنة والخمسون: فإنّ رسول الله ﷺ أمرني في بعض غزواته وقد نفد الماء، فقال: يا علي، ائت بتور. فأتيته به، فوضع يده اليمنى ويدي معها في التور، فقال: انبع. فنبع الماء من بين أصابعنا.

وأمّا التاسعة والخمسون: فإنّ رسول الله ﷺ وجّهني إلى خيبر، فلمّا أتيته وجدت الباب مغلقاً فزعزعته شديداً فقلعته ورميت به أربعين خطوة، فدخلت فبرز إليّ مرحب فحمل عليّ وحملت عليه، وسقيت الأرض من دمه، وقد كان وجّه رجلين من أصحابه فرجعا منكسفين.

وأمّا الستّون: فإنّي قتلت عمرو بن عبد ودّ، وكان يعدّ بألف رجل.

وأمّا الحادية والستّون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي، مثلك في أُمّتي مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فمن أحبّك بقلبه فكأنّما قرأ ثلث القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه فكأنّما قرأ ثلثي القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه ونصرك بيده فكأنّما قرأ القرآن كله.

وأمّا الثانية والستّون: فإنّي كنت مع رسول الله ﷺ في جميع المواطن والحروب وكانت رايته معي.

وأمّا الثالثة والستّون: فإنّي لم أفرّ من الزحف قطّ، ولم يبارزني أحد إلّا سقيت الأرض من دمه.

وأمّا الرابعة والستّون: فإنّ رسول الله ﷺ أُتي بطير مشويّ من الجنّة فدعا الله عزّوجلّ أن يدخل عليه أحبّ الخلق إليه، فوفّقني الله للدخول عليه حتّى أكلت معه من ذلك الطير.

وأمّا الخامسة والستّون: فإنّي كنت أُصلّي في المسجد فجاء سائل فسأل وأنا راكع، فناولته خاتمي من إصبعي، فأنزل الله تبارك وتعالى فيّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(١).

وأمّا السادسة والستّون: فإنّ الله تبارك وتعالى ردّ عليّ الشمس مرّتين، ولم يردّها على أحد من أُمّة محمّد ﷺ غيري.

وأمّا السابعة والستّون: فإنّ رسول الله ﷺ أمر أن أُدعى بإمرة المؤمنين في حياته وبعد موته، ولم يطلق ذلك لأحد غيري.

وأمّا الثامنة والستّون: فإنّ رسول الله ﷺ قال: يا علي، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: أين سيّد الأنبياء؟ فأقوم، ثم ينادي: أين سيّد الأوصياء؟ فتقوم، ويأتيني رضوان بمفاتيح الجنّة، ويأتيني مالك بمقاليد النار، فيقولان: إنّ الله جلّ جلاله أمرنا أن ندفعها إليك ونأمرك أن تدفعها إلى عليّ بن أبي طالب، فتكون يا علي قسيم الجنّة والنار.

وأمّا التاسعة والستّون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولاك ما عُرف المنافقون من المؤمنين.

وأمّا السبعون: فإنّ رسول الله ﷺ نام ونوّمني وزوجتي فاطمة وابنيّ الحسن والحسين وألقى علينا عباءة قطوانيّة، فأنزل الله تبارك وتعالى فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢)، وقال جبرئيل عليه السلام: أنا منكم يا محمّد، فكان سادسنا جبرئيل عليه السلام(٣).

٣ - **ل، لي:** ابن المتوكّل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن أبي الجارود، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، إنّ قدّام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب محمّد ﷺ منهم: أنس بن مالك والبراء بن عازب الأنصاري والأشعث بن قيس الكندي وخالد بن يزيد البجلي.. ثم أقبل بوجهه على أنس بن مالك، فقال: يا أنس، إن كنت سمعت من رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.. ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله حتّى يبتليك ببرص لا تغطّيه العمامة، وأمّا أنت يا أشعث، فإن كنت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.. ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله حتّى يذهب بكريمتيك، وأمّا أنت يا خالد بن يزيد، إن كنت سمعت

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) الخصال، ص ٥٧٢ باب السبعين، ح ١.

رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.. ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله إلّا ميتة جاهليّة، وأمّا أنت يا براء بن عازب، إن كنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله إلّا حيث هاجرت منه.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: والله لقد رأيت أنس بن مالك وقد ابتلي ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره، ولقد رأيت الأشعث بن قيس وقد ذهبت كريمتاه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل دعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام [عليّ] بالعمى في الدنيا ولم يدع عليّ بالعذاب في الآخرة فأُعذّب، وأمّا خالد بن يزيد فإنّه مات فأراد أهله أن يدفنوه، وحفر له في منزله فدفن، فسمعت بذلك كندة فجاءت بالخيل والإبل فعقرتها على باب منزله، فمات ميتة جاهليّة، وأمّا البراء بن عازب فإنّه ولّاه معاوية اليمن فمات بها ومنها كان هاجر(١).

٢٨ - باب ما جرى بين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وبين عثمان وولاته وأعوانه وبعض أحواله

١ - **ما:** بإسناده عن عبد الله بن أسعد بن زرارة، عن عبد الله بن أبي عمرة الأنصاري، قال: لمّا قدم أبو ذرّ على عثمان قال: أخبرني أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: مهاجري. قال: لست بمجاوري. قال: فألحق بحرم الله فأكون فيه. قال: لا. قال: فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله ﷺ. قال: لا. قال: فلست بمختار غيرهنّ. فأمره بالمسير إلى الربذة. فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال لي: اسمع وأطع وانفذ حيث قادوك ولو لعبد حبشيّ مجدّع. فخرج إلى الربذة، فأقام هنا مدّة ثم دخل المدينة فدخل على عثمان والناس عنده سماطين، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلّا شويهات، وليس لي خادم إلّا محرّرة، ولا ظلّ يظلّني إلّا ظلّ شجرة، فأعطني خادماً وغنيمات أعيش فيها. فحوّل وجهه عنه، فتحوّل عنه إلى السماط الآخر، فقال مثل ذلك، فقال له حبيب بن سلمة: لك عندي يا أبا ذرّ ألف درهم وخادم وخمسمائة شاة. قال أبو ذرّ: أعط خادمك وألفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك منّي، فإنّي إنّما أسأل حقّي في كتاب الله.

فجاء عليّ عليه السلام، فقال له عثمان: ألا تغني عنّا سفيهك هذا؟! قال: أيّ سفيه؟! قال: أبو ذرّ قال عليّ عليه السلام: ليس بسفيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرّ.. أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ قال عثمان: التراب في فيك. قال

(١) الخصال، ص ٢١٩ باب الأربعة ح ٤٤، أمالي الصدوق، ص ١٠٦ مجلس ٢٦ ح ١.

عليّ عليه السلام : بل التراب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لأبي ذرّ؟ فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك، فولّى عليّ عليه السلام .

قال ابن عباس: كنت عند أبي على العشاء بعد المغرب إذ جاء الخادم فقال: هذا أمير المؤمنين بالباب. فدخل عثمان فجلس، فقال له العباس: تعشّ. قال: تعشّيت. فوضع يده، فلمّا فرغنا من العشاء قام من كان عنده وجلست وتكلّم عثمان، فقال: يا خال، أشكو إليك ابن أخيك - يعني عليّاً عليه السلام - فإنّه أكثر في شتمي ونطق في عرضي، وأنا أعوذ بالله من ظلمكم بني عبد المطلب، إن يكن هذا الأمر لكم فقد سلّمتموه إلى من هو أبعد منّي، وإن لا يكن لكم فحقّي أخذت.

فتكلّم العباس فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر ما خصّ الله به قريشاً منه، وما خصّ به بني عبد المطلب خاصّة، ثم قال: أمّا بعد فما حمدتك لابن أخي ولا حمدت ابن أخي فيك، وما هو وحده، ولقد نطق غيره، فلو أنّك هبطت ممّا صعدت وصعدوا ممّا هبطوا لكان ذلك أقرب. فقال: أنت وذلك يا خال. فقال: فلم تكلّم بذلك عنك؟ قال: نعم، أعطهم عنّي ما شئت. وقام عثمان فخرج فلم يلبث أن رجع إليه فسلّم وهو قائم، ثم قال: يا خال! لا تعجل بشيء حتّى أعود إليك. فرفع العباس يديه واستقبل القبلة، فقال: اللهمّ اسبق بي ما لا خير لي في إدراكه. فما مضت الجمعة حتّى مات[(١)].

٢ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن جعفر بن عبد الله العلوي، عن عمّه القاسم بن جعفر العلوي، عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد، عن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر: أنّه نزل على خالد بن أسيد بمكة، فقال له: لو أتيت ابن عمّك فوصلك، فأتى عثمان فكتب له إلى عبد الله بن عامر أن صله بستمئة ألف. فنزل به من قابل فسأله، فقال له: قد بارك الله لي في مشورتك. فأتيته فأمر لي بستمئة ألف، فقال ابن عمر: ستّين ألفاً! قال: مئة ألف ومئة ألف... ستّ مرّات، فقال له ابن عمر: اسكت! فما أسود عثمان[(٢)].

أقول: روى ابن أبي الحديد في شرح النهج، عن الزبير بن بكّار، قال: روى في الموفقيّات عن عليّ عليه السلام ، قال: أرسل إليّ عثمان في الهاجرة فتقنّعت بثوبي وأتيته فدخلت [عليه] وهو على سريره وفي يده قضيب وبين يديه مال دثر: صبرتان من ورقٍ وذهب، فقال: دونك خذ من هذا حتّى تملأ بطنك فقد أحرقتني. فقلت: وصلتك رحم! إن كان هذا المال ورثته أو أعطاكه معطٍ أو اكتسبته من تجارة كنت أحد رجلين: إما آخذ وأشكر أو أُوفّر

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٧١٠ مجلس ٤٢ ح ١٥١٤ و١٥١٥.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٧١١ مجلس ٤٢ ح ١٥١٦.

وأجهد، وإن كان من مال الله وفيه حقّ المسلمين واليتيم وابن السبيل، فوالله ما لك أن تعطينيه ولا لي أن آخذه. فقال: أبيت والله إلّا ما أبيت. ثم قام إليّ بالقضيب فضربني، والله ما أردّ يده حتّى قضى حاجته، فتقنّعت بثوبي ورجعت إلى منزلي وقلت: الله بيني وبينك إن كنت أمرتك بمعروف ونهيتك عن منكر(١).

وعن الزبير بن بكّار في الكتاب المذكور، قال: روى عن عمّه، عن عيسى بن داود، عن رجاله، عن ابن عباس، قال: لمّا بنى عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه في ذلك فبلغه، فخطبنا في يوم الجمعة ثم صلّى بنا، ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ﷺ، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ النعمة إذا حدثت حدث لها حسّاد حسبها، وأعداء قدرها، وإنّ الله لم يحدث لنا نعماً ليحدث لها حسّاد عليها، ومتنافسون فيها، ولكنّه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان إرادة جمع المال فيه وضمّ القاصية إليه، فأتانا عن أُناس منكم أنّهم يقولون: أخذ فيئنا وأنفق شيئنا واستأثر بأموالنا، يمشون خمراً، وينطقون سرّاً كأنّا غُيّب عنهم، وكأنّهم يهابون مواجهتنا، معرفة منهم بدحوض حجّتهم، فإذا غابوا عنّا يروح بعضهم إلى بعضهم يذكرنا، وقد وجدوا على ذلك أعواناً من نظرائهم، ومؤازرين من شبهائهم، فبعداً بعداً! ورغماً رغماً! قال: ثم أنشد بيتين يومئ فيهما إلى عليّ عليه السلام:

توقّد بنارٍ أينما كنت واشتعل ... فلست ترى ممّا تعالج شافيا
تشطّ فيقضي الأمر دونك أهله ... وشيكاً ولا تُدعى إذا كنت نائيا

وذكر تمام خطبته، ثم قال: ثمّ همّ بالنزول فبصر بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه عمّار بن ياسر رضي الله عنه وناس من أهل هواه يتناجون، فقال: إيهاً إيهاً! إسراراً لا جهاراً! أما والذي نفسي بيده ما أحنق على جرّة، ولا أُوتى من ضعف مرّة، ولولا النظر منّي ولي ولكم، والرّفق بي وبكم لعاجلتكم، فقد اغتررتم وأقلتم من أنفسكم.

ثم رفع يديه يدعو وهو يقول: اللهمّ قد تعلم حبّي للعافية وإيثاري للسّلامة فأتنيها. قال: فتفرّق القوم عن عليّ عليه السلام، وقام عديّ بن الخياد وكلّمه بكلام ذكره، ثم قال: ونزل عثمان فأتى منزله وأتاه النّاس وفيهم ابن عباس، فلمّا أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس، فقال: ما لي ولكم يابن عباس؟! ما أغراكم بي، وأولعكم بتعقيب أمري أتنقمون عليَّ أمر العامّة.. وعاتبه بكلام طويل، فأجابه ابن عباس، وقال في جملة كلامه: اخس الشيطان عنك لا يركبك، واغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟ قال: دعاني إليه ابن عمّك عليّ بن أبي طالب. قال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلّغك! قال عثمان: إنّه ثقة. قال ابن عباس: إنّه ليس بثقةٍ من أولع وأغرى. قال عثمان: يابن عباس، الله إنّك ما تعلم

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ١٤.

من عليّ ما شكوت منه؟ قال: اللهمّ لا، إلّا أن يقول كما يقول الناس، وينقم كما ينقمون، فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم.

قال عثمان: إنّما أفتى من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر وهو عليّ ابن عمّك، وهذا والله كلّه من نكده وشؤمه. قال ابن عباس: مهلاً! استثن يا أمير المؤمنين. قل: إن شاء الله. فقال: إن شاء الله. ثم قال: إنّي أنشدك يابن عباس الإسلام والرّحم، فقد والله غُلبت وابتُليت بكم، والله لوددت أنّ هذا الأمر كان صائراً إليكم دوني فحملتموه عنّي وكنت أحد أعوانكم عليه، إذن والله لوجدتموني لكم خيراً ممّا وجدتكم لي، ولقد علمتُ أنّ الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فوالله ما أدري أرفعوكم أم رفعوه عنكم.

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنّا ننشدك الله والإسلام والرّحم مثل ما نشدتنا، أن تُطمِع فينا وفيك عدوّاً، وتُشمِت بنا وبك حسوداً، إن أمرك إليك ما كان قولاً، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يدك، وإنّا والله لنخالفن إن خولفنا، ولننازعن إن نوزعنا، وما تمنّيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلّا أن يقول قائل منّا ما يقوله الناس ويعيب كما عابوا! وأمّا صرف قومنا عنّا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغي والله علمته، فالله بيننا وبين قومنا، وأمّا قولك إنّك لا تدري ارفعوه عنّا أم رفعونا عنه؟ فلعمري إنّك لتعرف أنّه لو صار إلينا هذا الأمر ما ازددنا به فضلاً إلى فضلنا، ولا قدراً إلى قدرنا، وإنّا لأهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلّا بفضلنا، ولا سبق سابق إلّا بسبقنا، ولولا هدانا ما اهتدى أحد، ولا أبصروا من عمى، ولا قصدوا من جور.

فقال عثمان: حتى متى يابن عباس، يأتيني عنكم ما يأتيني؟! هبوني كنت بعيداً، أما كان لي من الحقّ عليكم أن أُراقب وأن أُناظر؟ بلى، وربّ الكعبة ولكن الفرقة سهّلت لكم القول فيّ، وتقدّمت بكم إلى الإسراع إليّ، والله المستعان.

قال ابن عباس: فخرجت فلقيت عليّاً عليه السلام وإذا به من الغضب والتلظّي أضعاف ما بعثمان، فأردت تسكينه فامتنع، فأتيت منزلي وأغلقت بابي واعتزلتهما، فبلغ ذلك عثمان، فأرسل إليّ، فأتيته وقد هدأ غضبه، فنظر إليّ ثم ضحك، وقال: يابن عباس، ما أبطأ بك عنّا، إنّ تركك العود إلينا دليل على ما رأيت عند صاحبك وعرفت من حاله، فالله بيننا وبينه، خذ بنا في غير ذلك. قال ابن عباس: فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن عليّ عليه السلام شيء فأردت التكذيب عنه يقول: ولا يوم الجمعة حين أبطأت عنّا وتركت العود إلينا، فلا أدري كيف أردّ عليه.

وعن الزبير بن بكّار في الكتاب المذكور، عن عبد الله بن عباس، قال: ما سمعت من أبي قطّ شيئاً في أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره، ولا سألته عن شيء من ذلك مخافة أن أهجم منه على ما لا يوافقه، فإنّا عنده ليلة ونحن نتعشّى إذ قيل: هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب.

فقال: ائذنوا له. فدخل فأوسع له على فراشه، وأصاب من العشاء معه، فلمّا رفع قام من كان هناك وثبتُّ أنا، فحمد عثمان الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد يا خال، فإنّي جئتك أستعذرك من ابن أخيك عليّ شتمني وشهر أمري وقطع رحمي وطعن في ديني، وإنّي أعوذ منكم يا بني عبد المطلب، إنّ لكم حقّاً تزعمون أنكم غُلبتم عليه فقد تركتموه في يديْ من فعل ذلك بكم وأنا أقرب إليكم رحماً منه؟ وما لمت منكم أحداً إلّا عليّاً، ولقد دعيت أن أبسط عليه فتركته لله والرحم، وأنا أخاف أن لا يتركني فلا أتركه.

قال ابن عباس: فحمد أبي الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد يابن أُختي، فإن كنت لا تحمد عليّاً لنفسك فإنّي لا أحمدك لعليّ، وما عليّ وحده قال فيك، بل غيره، فلو أنّك اتّهمت نفسك للناس اتّهم الناس أنفسهم لك، ولو أنّك نزلت ممّا رقيت وارتقوا ممّا نزلوا فأخذت منهم وأخذوا منك، ما كان بذلك بأس.

قال عثمان: فذلك إليك يا خال وأنت بيني وبينهم. قال: فأذكر لهم ذلك عنك. قال: نعم، وانصرف. فما لبثنا أن قيل: هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب. قال أبي: ائذنوا له. فدخل فقام قائماً ولم يجلس وقال: لا تعجل يا خال حتّى أُوذنك. فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالساً بالباب ينتظره حتى خرج فهو الذي ثناه عن رأيه الأول، فأقبل عليّ أبي، وقال: يا بنيّ ما إلى هذا من أمره من شيء. ثم قال: يا بنيّ، أملك عليك لسانك حتّى ترى ما لا بدّ منه. ثم رفع يديه، فقال: اللهمّ اسبق بي ما لا خير لي في إدراكه. فما مرّت جمعة حتّى مات رحمه الله.

وعن الزبير بن بكّار في الكتاب المذكور، عن ابن عباس، قال: صلّيت العصر يوماً ثم خرجت فإذا أنا بعثمان بن عفّان في أيّام خلافته في بعض أزقّة المدينة وحده، فأتيته إجلالاً له وتوقيراً لمكانه، فقال لي: هل رأيت عليّاً؟ فقلت: خلّفته في المسجد، فإن لم يكن الآن فيه فهو في منزله. قال: أمّا منزله فليس فيه، فابغه لنا في المسجد. فتوجّهنا إلى المسجد وإذا علي عليه السلام يخرج منه.

قال ابن عباس: وقد كنت أمس ذلك اليوم عند علي عليه السلام فذكر عثمان وتجرّمه عليه، وقال: أما والله يا ابن عباس، إنّ من دوائه لقطع كلامه وترك لقائه. فقلت له: يرحمك الله كيف لك بهذا؟ فإن تركته ثم أرسل إليك فما أنت صانع؟ قال: أعتلّ وأعتلّ فمن يقسرني؟ فقلت: لا أحد.

قال ابن عباس: فلمّا تراءينا له وهو خارج من المسجد ظهر منه من التفلّت والطلب للانصراف ما استبان لعثمان، فنظر إليّ عثمان وقال: يا ابن عباس، أما ترى ابن خالنا يكره لقاءنا. فقلت: ولمَ وحقّك ألزم، وهو بالفضل أعلم. فلمّا تقاربا رماه عثمان بالسّلام فردّ عليه، فقال عثمان: إن تدخل فإيّاك أردنا، وإن تمض فإيّاك طلبنا. فقال عليّ عليه السلام: أيّ ذلك أحببت؟ قال: تدخل فدخل، وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصّر عنها وجلس

قبالتها، فجلس عثمان إلى جانبه فنكصت عنهما فدعواني جميعاً فأتيتهما، فحمد عثمان الله وصلّى على رسوله ﷺ ثم قال: أمّا بعد، يا ابنيْ خالي وابنيْ عمّي فإذا جمعتكما في النداء فأستجمعكما في الشكاية على رضاي عن أحدكما ووجدي على الآخر.. إلى آخر كلامه.

وقال ابن عباس: فأطرق عليّ عليه السلام وأطرقت معه طويلاً، أمّا أنا فأجللته أن أتكلّم قبله، وأمّا هو فأراد أن أُجيب عنّي وعنه، ثم قلت له: أتتكلّم أم أتكلّم أنا عنك؟ فقال: بل تكلّم عنّي وعنك. فحمدت الله وأثنيت على رسوله ﷺ ثم قلت.. وذكر كلامه.

قال: فنظر إليّ عليّ عليه السلام نظراً هبته، وقال: دعه حتّى يبلغ رضاه فيما هو فيه، فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتّى رآها بعينه كما يسمع الخبر عنها بأُذنه ما زال متجرّماً سقماً، والله ما أنا ملقيّ على وضمة وإنّي لمانع من وراء ظهري، وإنّ هذا الكلام منه لمخالفة منه وسوء عشرة... ثم ذكر كلام عثمان وما أجابه به عليّ عليه السلام، ثم قال: فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا ونهضت عنهما فتشاورا وتوامرا وتذاكرا ثم افترقا، فوالله ما مرّت ثالثة حتى لقيني كلّ واحدٍ منهما من صاحبه ما لا يبرك عليه الإبل، فعلمت أن لا سبيل إلى صلحهما بعدها[1].

وروى ابن أبي الحديد أيضاً، عن شيخه أبي عثمان الجاحظ، قال: ذكر في الكتاب الذي أورد فيه المعاذير عليه عن أحداث عثمان: أنّ عليّاً عليه السلام اشتكى فعاده عثمان من شكاية، فقال عليّ عليه السلام:

وعائدةٍ تعود لغير ودّ تودّ لو إنّ ذا دنفٍ يموت

فقال عثمان: والله ما أدري أحياتك أحبّ إليّ أم موتك؟ إن متَّ هاضني فقدك، وإن حييت فتنتني حياتك، لا أعدم ما بقيت طاعناً يتّخذك دريّة يلجأ إليها.

فقال عليّ عليه السلام: ما الذي جعلني دريّة للطاعنين العائبين؟ إنّما سوء ظنّك بي أحلّني من قبلك هذا المحل، فإن كنت تخاف جانبي فلك عليّ عهد الله و ميثاقه أن لا بأس عليك منّي أبداً ما بلّ بحرٌ صوفة وإنّي لك لراعٍ وإنّي عنك لمحام، ولكن لا ينفعني ذلك عندك، وأمّا قولك: إنّ فقدي يهيضك، فكلّا أنّ تهاض لفقدي ما بقي لك الوليد ومروان. فقام عثمان فخرج. قال: وقد روي أنّ عثمان هو الذي أنشد هذا البيت، وقد كان اشتكى فعاده عليّ عليه السلام، فقال عثمان:

وعائدةٍ تعود لغير نصح تودّ لو إنّ ذا دنفٍ يموت

وروى ابن أبي الحديد أيضاً، عن أبي سعد الآبي، قال: وروى في كتابه، عن ابن عباس، قال: وقع بين عثمان وعليّ عليه السلام كلام، فقال عثمان: ما أصنع إن كانت قريش لا تحبّكم

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ٧.

وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأنّ وجوههم شنوف الذهب يسرع أنفهم قبل شفاههم؟

قال: وروى المذكور أيضاً، أنّ عثمان لمّا نقم الناس عليه ما نقموا، قام متوكّئاً على مروان، فخطب الناس، فقال: إنّ لكلّ أُمّة آفة، وإنّ آفة هذه الأُمّة وعاهة هذه النعمة قوم عيّابون طعّانون يظهرون لكم ما تحبّون ويسرّون ما تكرهون، طغام مثل النعام يتبعون أوّل ناعق، ولقد نقموا عليّ ما نقموا على عمر فقمعهم ووقمهم، وإنّي لأقرب ناصراً وأعزّ نفراً، فما لي لا أفعل في فضول الأموال ما أشاء؟

وروى أيضاً، عن الموفقيات، عن ابن عباس، أنّه قال عثمان في كلامه لعمّار بعد ذكره عليّاً عليه السلام: أما إنّك من شناتنا وأتباعهم[1].

بيان: أقول: لا يريب عاقل بعد النظر في تلك الأخبار التي رواها أتباع عثمان وأحبّاؤه في أنّها تدلّ على أنّه كان ينزل أمير المؤمنين عليه السلام منزلة العدوّ، ويرى أتباعه عليه السلام من المبغضين له، كما هو الواقع والحقّ، وكفى بمعاداة أمير المؤمنين عليه السلام له آية للنفاق وخزياً في الدنيا والآخرة.

وقال في القاموس: الخَمَر بالتحريك: ما واراك من شجرٍ وغيره، وجاءنا على خِمْرةٍ بالكسر، وخَمَرٍ محرّكة: في سرّ وغَفْلة وخُفْية وفي الصحاح: يقال للرّجل إذا خَتَل صاحبه: هو يدبُّ له الضَرَّاء ويمشي له الخمر قوله: تشطُّ بكسر الشين وضمّها. أي: تَبْعُد. وفي الصحاح: تجرَّم عليَّ فلانٌ: أي ادّعى ذنباً لم أفعله.

قوله عليه السلام: ما أنا ملقىً على وضمة. أي: لست بذليل كاللحم المطروح يأخذ منه من شاء. قال الجوهري: الوضم: كلُّ شيءٍ يجعل عليه اللحم من خشب أو بارية يُوقى به من الأرض. وقال: هاض العظم يهيضه هيضاً: أي كسره بعد الجبور. ويقال: هاضني الشّيءُ، إذا ردَّك في مرضك. وقال: الدَّريَّة: البعير أو غيره يستتر به الصّائد فإذا أمكنه الرَّمي رمى. قال أبو زيدٍ: هو مهموزٌ لأنَّها تدرأُ نحو الصَّيد أي تدفع. وقال: والدَّريَّة أيضاً: حلقة يتعلّم عليها الطّعن.

أقول: وذكر في المعتلّ، عن الأصمعيّ: الدَّريَّة بالمعنيين بالياء المشدّدة من غير همزٍ. والفيروزآبادي: الدَّريَّة بالمعنى الأخير كذلك، وبالجملة يظهر منهما أنّ الوجهين جائزان. والشنوف بالضم: جمع الشَّنف بالفتح، وهو القُرْط الأعلى. وقوله: يسرع أنفهم. بيان لطول أنوفهم وهو ممّا يزيد في الحسن.

٣ - **ج:** روى أنّ يوماً من الأيّام قال عثمان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّك إن تربّصت بي فقد تربّصت بمن هو خير منك ومنّي. قال عليّ عليه السلام: ومن هو خير منّي؟ قال: أبو بكر وعمر. فقال عليّ عليه السلام: كذبت أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلكم وعبدته بعدكم[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ١٨. (٢) الاحتجاج، ص ١٥٧.

٤ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ جماعة من بني أُميّة في إمرة عثمان اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم جمعة وهم يريدون أن يزوّجوا رجلاً منهم، وأمير المؤمنين عليه السلام قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: هل لكم أن نخجل عليّاً؟ الساعة نسأله أن يخطب بنا ويتكلّم فإنّه يخجل ويعيى بالكلام؟ فأقبلوا إليه، فقالوا: يا أبا الحسنه، إنّا نريد أن نزوّج فلاناً فلانة ونحن نريد أن تخطب [بنا]. فقال: فهل تنتظرون أحداً؟ فقالوا: لا. فوالله ما لبث حتّى قال:

الحمد لله المختصّ بالتوحيد، المقدّم بالوعيد، الفعّال لما يريد، المحتجب بالنور دون خلقه، ذي الأُفق الطامح، والعزّ الشامخ، والملك الباذخ، المعبود بالآلاء، ربّ الأرض والسماء، أحمده على حسن البلاء، وفضل العطاء، وسوابغ النعماء، وعلى ما يدفع ربّنا من البلاء، حمداً يستهلّ له العباد، وينمو به البلاد، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له لم يكن شيء قبله ولا يكون شيء بعده، وأشهد أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله اصطفاه بالتفضيل وهدى به من التضليل، اختصّه لنفسه، وبعثه إلى خلقه برسالاته وبكلامه، يدعوهم إلى عبادته وتوحيده والإقرار بربوبيّته والتصديق بنبيّه صلى الله عليه وآله، بعثه على حين فترة من الرسل، وصدفٍ عن الحقّ، وجهالةٍ [بالربّ]، وكفرٍ بالبعث والوعيد، فبلّغ رسالاته، وجاهد في سبيله، ونصح لأُمّته حتّى أتاه اليقين صلّى الله عليه وآله وسلّم كثيراً.

أُوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، فإنّ الله عزّ وجلّ قد جعل للمتّقين المخرج ممّا يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون فتنجّزوا من الله موعده، واطلبوا ما عنده بطاعته، والعمل بمحابّه، فإنّه لا يدرك الخير إلّا به، ولا ينال ما عنده إلّا بطاعته، ولا تكلان فيما هو كائن إلّا عليه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

أمّا بعد، فإنّ الله أبرم الأُمور على مقاديرها فهي غير متناهية عن مجاريها دون بلوغ غاياتها فيما قدّر وقضى من ذلك، وقد كان فيما قدّر وقضى من أمره المحتوم وقضاياه المبرمة ما قد تشعبت به الأخلاف، وجرت به الأسباب من تناهي القضايا بنا وبكم إلى حضور هذا المجلس الذي خصّنا الله وإيّاكم للذي كان من تذكّرنا آلائه وحسن بلائه وتظاهر نعمائه، فنسأل الله لنا ولكم بركة ما جمعنا وإيّاكم عليه، وساقنا وإيّاكم إليه.

ثم إنّ فلان بن فلان ذكر فلانة بنت فلان وهو في الحسب من قد عرفتموه، وفي النسب من لا تجهلونه، وقد بذل لها من الصداق ما قد عرفتموه، فردّوا خيراً تحمدوا عليه وتنسبوا إليه، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم(١).

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٧٨٧ باب ٢٣٥ ح ١.

بيان: المختصّ بالتوحيد: أي بتوحيد الناس له أو بتوحيده لنفسه، فإنّه لم يوحّده حقّ توحيده غيره. المحتجب بالنور: أي ليس له حجاب إلّا الظهور الكامل أو الكمال التامّ، أو عرشه محتجب بالأنوار الظاهرة. ذي الأفق الطامح: الطموح: الارتفاع، ولعلّه كناية عن ارتفاعه عن إدراك الحواس والعقول والأوهام، أو عن أن يصل إليه أحد بسوء، وكذا الفقرتان الآتيتان، ويحتمل التوزيع. والشّامخ: العالي، وكذا الباذخ. يستهلُّ له العباد: أي يرفعون به أصواتهم أو يستبشرون بذكره. . وينمو به البلاد: بزيادة النعم على أهاليها.

بالتفضيل: أي بأن فضله على جميع الخلق. من التضليل: أي لئلّا يضلّهم الشيطان أو يجدهم ضالّين، أو لئلا يكونوا مضلّين. وصَدفٌ: أي ميلٌ وإعراضٌ. حتى أتاه اليقين: أي الموت المتيقّن. وتنجّز الحاجة: طلَب قضاءها لمن وعدها. والتوكُّل: إظهار العجز والاعتماد على الغير، والاسم التكلان بالضم. وقال الجوهري: انتهى عنه وتناهى: أي كفّ. وقال: شعبت الشّيءَ فرقته، وشعبته: جمعته، وهو من الأضداد.

٥ - **كا:** علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: حجّ النبيّ صلى الله عليه وآله فأقام بمنى ثلاثاً يصلّي ركعتين، ثم صنع ذلك أبو بكر، ثم صنع ذلك عمر، ثم صنع ذلك عثمان ستّ سنين، ثم أكملها عثمان أربعاً، فصلّى الظهر أربعاً ثم تمارض ليشدّ بذلك بدعته، فقال للمؤذّن: اذهب إلى عليّ (عليه السلام) فقل له فليصلّ بالناس العصر. فأتى المؤذّن عليّاً عليه السلام، فقال له: إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن تصلّي بالناس العصر. فقال: لا إذن، لا أُصلّي إلّا ركعتين كما صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله. فذهب المؤذّن فأخبر عثمان بما قال عليّ عليه السلام، فقال: اذهب إليه وقل له: إنّك لست من هذا في شيء، اذهب فصلّ كما تؤمر. قال عليّ: لا والله لا أفعل. فخرج عثمان فصلّى بهم أربعاً.

فلمّا كان في خلافة معاوية واجتمع الناس عليه وقُتل أمير المؤمنين عليه السلام حجّ معاوية فصلّى بالناس بمنى ركعتين الظهر ثم سلّم، فنظرت بنو أُميّة بعضهم إلى بعض وثقيف ومن كان من شيعة عثمان ثم قالوا: قد قضى على صاحبكم وخالف وأشمت به عدوّه. فقاموا فدخلوا عليه، فقالوا: أتدري ما صنعت؟ ما زدت على أن قضيت على صاحبنا، وأشمتّ به عدوّه، ورغبت عن صنيعه وسنّته. فقال: ويلكم، أما تعلمون أنّ رسول الله صلّى في هذا المكان ركعتين وأبو بكر وعمر، وصلّى صاحبكم ستّ سنين كذلك، فتأمروني أن أدع سنّة رسول الله وما صنع أبو بكر وعمر وعثمان قبل أن يحدث؟ فقالوا: لا والله، ما نرضى عنك إلّا بذلك. قال: فأقبلوا فإنّي متّبعكم وراجع إلى سنّة صاحبكم. فصلّى العصر أربعاً، فلم تزل الخلفاء والأمراء على ذلك إلى اليوم[1].

(١) الكافي، ج ٤ ص ٥٥٦ باب ٣٢٤ ح ٣.

٦ - **مع:** المكتب، عن أحمد بن محمد الورّاق، عن محمد بن إسماعيل بن أبان، عن عبد الله بن أبي سعيد، عن فضيل بن عبد الوهاب، عن يونس بن أبي يعفور العبدي، عن أبيه، عن قنبر مولى عليّ عليه السلام، قال: دخلت مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام على عثمان بن عفّان فأحبّ الخلوة، وأومى إليّ عليّ عليه السلام بالتنحّي، فتنحّيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتب عليّاً عليه السلام وعليّ عليه السلام مطرق، فأقبل عليه عثمان، فقال: ما لك لا تقول؟ فقال: إن قلتُ لم أقل إلّا ما تكره، وليس لك عندي إلّا ما تحبّ.

قال المبرّد: تأويل ذلك إن قلت اعتديت عليك بمثل ما اعتديت به عليّ، فيلذعك عتابي، وعندي أن لا أفعل - وإن كنت عاتباً - إلّا ما تحبّ[1].

٧ - **نهج:** من كلام له عليه السلام: إنّ بني أُميّة ليفوّقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقاً، والله لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللحّام الوِذام التَّربة.

ويروى: التُّراب الوذمَة وهو على القلب.

قال السيّد رحمه الله: قوله عليه السلام: ليفوّقونني: أي: يعطونني من المال قليلاً قليلاً كفواق النّاقة، وهو الحَلْبة الواحدة من لبنها.

والوِذام جمع وذمةٍ: وهي الحزَّة من الكَرِش أو الكبد تقع في التُّراب فتنفض[2].

بيان: الحُزَّة بالضم: هي القِطعة من اللحم وغيره، وقيل: خاصّة بالكبد، وقيل: قطعة من اللحم قُطعت طولاً. . والكَرِش ككتف كما في بعض النسخ، وبالكسر: لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان، وهي مؤنّثة. ونفْض الثّوب وغيره: تحريكه ليسقط منه التُّراب وغيره.

وقال ابن الأثير في النهاية: التراب: جمع تَرِب تخفيف ترِب، يريد اللحوم الّتي تعفّرت بسقوطها في التُّراب. . والوذمة: المنقطعة الأوذام، وهي السُّيور الّتي يشدُّ بها عرى الدّلو. قال الأصمعيُ سألت شُعبة عن هذا الحرف فقال: ليس هو هكذا، إنّما هو نفْض القصّاب الوِذام التَّربة، وهي التي قد سقطت في التُّراب. وقيل: الكروش كلُّها تسمّى تربة لأنّها تحصُل فيها التُّراب من المرتع. والوذمة: الّتي أُخمل باطنها، والكروش وذمةٌ لأنّها مخملةٌ ويقال لخملها الوذم. ومعنى الحديث: لئن وليتهم لأُطهرنّهم من الدنس، ولأُطيّبنّهم من الخبث. وقيل: أراد بالقصّاب السَّبع، والتَّراب أصل ذراع الشّاة، والسبع إذا أخذ الشّاة قبض على ذلك المكان ثمَّ نفضها. انتهى.

والظاهر أنّ المراد من النفض منعهم من غصب الأموال وأخذ ما في أيديهم من الأموال المغصوبة، ودفع بغيهم وظلمهم ومجازاتهم بسيّئات أعمالهم.

وقال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج الإصفهاني في كتاب

---

(١) معاني الأخبار، ص ٢٩٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٥٤ خ ٧٦.

الأغاني، بإسناد رفعه إلى حرب بن حبيش، قال: بعثني سعيد بن العاص وهو يومئذٍ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى أهل المدينة، وبعث معي هدية إلى عليّ عليه السلام، وكتب إليه: إنّي لم أبعث إلى أحدٍ أكثر ممّا بعثت به إليك، إلّا أمير المؤمنين. فلمّا أتيت عليّاً وقرأ كتابه قال: لشدَّ ما تخطر عليّ بنو أُميّة تراث محمّد صلى الله عليه وآله، أما والله لئن وليتها لأنفضنّها نفض القصّاب التراب الوذمة.

قال أبو الفرج: وهذا خطأ، وإنّما هو: الوذام التَّربة.

قال: وحدّثني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شيبة، بإسناده - ذكره في الكتاب - أنّ سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي عائشة مولاه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام بصلة، فقال عليّ عليه السلام: والله لا يزال غلام من غلمان بني أُميّة يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة، والله لئن بقيت لأنفضنّها كما ينفض القصّاب التراب الوذمة[1].

٨ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة: يابن اللعين الأبتر، والشَّجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟! فوالله ما أعزَّ الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت مُنهِضه، اخرج عنَّا أبعد الله نواك، ثمَّ ابلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت[2].

إيضاح: المغيرة: هو ابن الأخنس الثقفي.

وقال ابن أبي الحديد وغيره: إنّما قال عليه السلام: يا بن اللعين، لأنّ الأخنس كان من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلّهم في المؤلّفة الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مئة من الإبل من غنائم حنين يتألّف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أُحد كافراً في الحرب، وإنّما قال عليه السلام: يا ابن الأبتر؛ لأنّ من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه، وكنّى عليه السلام بنفي أصلها وفرعها عن دناءته وحقارته، وقيل: لأنّ في نسب ثقيف طعناً. وقُتل المغيرة مع عثمان في الدار وقوله عليه السلام: ما أعزّ الله. يحتمل الدعاء والخبر[3].

قوله عليه السلام: أبعد الله نواك. النَّوى: الوجه الذي تذهب فيه، والجار، أي: أبعد الله مقصدك أو دارك، ويروى: أبعد الله نوأك بالهمزة، أي: خيرك من أنواء النُّجوم التي كانت العرب تنسِب المطر إليها. ثم ابلغ جهدك: أي غايتك وطاقتك في الأذى. وفي النهاية: أبقيت عليه: إذا رحمته وأشفقت عليه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٢٩٢.
(٢) نهج البلاغة، ص ٢٧٣ خ ١٣٣.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٨ ص ٣٠١.

٩ - **نهج:** من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العبّاس رحمهما الله وقد جاءه برسالةٍ من عثمان بن عفّان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقلّ هتف النّاس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام: يابن عبّاس، ما يريد عثمان أن يجعلني إلّا جملاً ناضِحاً بالغرْب أقبل وأدبِر، بعث إليّ أن اخرج، ثمّ بعث إليّ أن اقْدُم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن اخرج، والله لقد دفعت عنه حتّى خشِيت أن أكون آثِماً(١).

بيان: لم يكن هذا الفصل في أكثر نسخ النهج. والنّاضح: البعير يُستقى عليه. والغَرْب: الدّلو العظيمة. أقبل وأدبر: أي يقال له: أقبل وأدبر على التكرار.

٢٩ - باب كيفية قتل عثمان وما احتجّ عليه القوم في ذلك ونسبه وتاريخه

١ - **ما:** المفيد، عن علي بن خالد المراغي، عن محمد بن أحمد البزّاز، عن أحمد بن الصلت، عن صالح بن أبي النجم، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن اليسع، عن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله، قال: دخلت على عثمان بن عفّان في نفر من المصريّين، فقال عثمان: قدّموا رجلاً منكم يكلّمني. فقدّموني، فقال عثمان: هذا؟ وكأنّه استحدثني، فقلت له: إنّ العلم لو كان بالسنّ لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنّه بالتعلّم. فقال عثمان: هات فقلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٢). فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية؟! فقلت له: فمر بالمعروف وانه عن المنكر. فقال عثمان: دع هذا، وهات ما معك.

فقلت له: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾... إلى آخر الآية. فقال عثمان: وهذه أيضاً فينا نزلت؟! فقلت له: فأعطنا بما أخذت من الله تعالى. فقال عثمان: يا أيّها الناس، عليكم بالسمع والطاعة، فإنّ يد الله على الجماعة، وإنّ الشيطان مع الفذ فلا تسمعوا إلى قول هذا، فإنّ هذا لا يدري من الله؟ ولا أين الله؟ فقلت له: أمّا قولك: عليكم بالسمع والطاعة، فإنّك تريد منّا أن نقول غداً: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾(٣)، وأمّا قولك: إنّي لا أدري من الله، فإنّ الله ربّنا وربّ آبائنا الأوّلين، وأمّا قولك: إنّي لا أدري أين الله، فإنّ الله تعالى بالمرصاد. قال: فغضب وأمر بصرفنا وغلق الأبواب دوننا(٤).

٢ - **مع:** القطّان، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن حسّان بن علي المدائني،

---
(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٤ خ ٢٣٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٢٣٦ مجلس ٩ ح ٤١٨.

عن العباس بن مكرم، عن سعد الخفّاف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: كتب عثمان بن عفّان حين أُحيط به إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أمّا بعد، فقد جاوز الماء الزُّبى، وبلغ الحزام الطبيين، وتجاوز الأمر بي قدره، وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه.

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلّا فأدركني ولمّا أُمزّق

قال الصدوق رحمه الله: قال المبرد: قوله: قد جاوز الماء الزبى. فالزُّبية مَصِيدة الأسد ولا تتّخذ إلّا في قلّة جبل، وتقول العرب: قد بلغ الماء الزبى. وذلك أشدّ ما يكون من السيل، ويقال في العظيم من الأمر: قد علا الماء الزبى. وبلغ السكّين العظم، وبلغ الحزام الطبيين، وقد انقطع السلى في البطن. قال العجّاج:

فقد علا الماء الزبى إلى غير

أي: قد جلّ الأمر عن أن يغيّر أو يصلح. وقوله: وبلغ الحزام الطبيين. فإنّ السباع والطير يقال لموضع الأخلاف منها: أطباء، واحدها طُبي، كما يقال في الخفّ والظلف: خلف وضرع، هذا مكان هذا، فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه، ومثل هذا من أمثالهم: التقت حلقتا البطان، ويقال: التقت حلقة البطان[1].

والحقب، ويقال: حقب البعير. إذا صار الحزام في الحقب منه.

مزيد توضيح: قال في النهاية: في حديث عثمان: أمّا بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبى وجاوز الحزام الطبيين. هي جمع زُبيةٍ وهي الرّابية التي لا يعلوها الماء، وهي من الأضداد. وقيل: إنّما أراد الحفرة للسَّبُع ولا تحفر إلّا في مكان عالٍ من الأرض لئلّا يبلغها السيل فتنضمّ، وهو مثل يضرب للأمر يتفاقم ويتجاوز الحدّ.

وقال: الأطباءُ: الأخلاف واحدها طبي بالضّم والكسر، وقيل: يقال لموضع الأخلاف من الخيل والسباع: أطباء، كما يقال في ذوات الخُف والظلف: خِلف وضَرْع. . وقوله: جاوز الحزام الطبيين. كناية عن المبالغة في تجاوز حد الشّر والأذى: لأنّ الحزام إذا انتهى إلى الطُّبيين فقد انتهى إلى بعد غايته، فكيف إذا جاوزه؟

وقال الجوهري: السَّلى مقصوراً: الجلدة الرَّقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي إن نُزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد وإلّا قتلَتْه، وكذلك إن انقطع السَّلى في البطن، فإذا خرج السَّلى سلمت النَّاقة وسلِم الولد، وإن انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد. يقال: انقطع السَّلى في البطن إذا ذهبت الحيلة، كما يقال: بلغ السكين العظم.

وقال: البِطان للقتب: الحِزام الذي يُجعل تحت بطن البعير. ويقال: التقت حلقتا البِطان: للأمر إذا اشتدَّ، وهو بمنزلة التَّصدير للرَّحل. وقال: الحَقَب بالتَّحريك: حبلٌ يُشدُّ به

(١) معاني الأخبار، ص ٣٤٠.

الرَّحل إلى بطن البعير ممّا يلي ثِيلَه كيلا يجتذبه التَّصدير، تقول منه: أحقبت البعير، وحقِب البعير بالكسر، إذا أصاب حقَبُه ثِيله فاحتبس بوله.

٣ - **ب:** محمد بن عيسى، عن القداح، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام، قال: لمّا حصر الناس عثمان جاء مروان بن الحكم إلى عائشة وقد تجهّزت للحجّ، فقال: يا أُمّ المؤمنين، إنّ عثمان قد حصره الناس، فلو تركت الحجّ وأصلحت أمره كان الناس يستمعون منك. فقالت: قد أوجبت الحجّ وشددت غرائري. فولّى مروان وهو يقول:

حرّق قيس عليّ البلاد حتى إذا اضطرمت أجذما

فسمعته عائشة، فقالت: تعال، لعلّك تظنّ أنّي في شكّ من صاحبك؟ والله لوددت أنّك وهو في غرارتين من غرائري مخيط عليكما، تغطّان في البحر حتى تموتا[1].

بيان: قال الجوهري: الإجذام: الإقلاع عن الشَّيء. قال الرَّبيع بن زياد: وحرَّق قيسٌ... البيت.

أقول: وروى ذلك الأعثم في الفتوح، وفيه مكان: أجذما: أحجما، أي نكَص وتأخَّر. والغِرارة بالكسر: الجُوالِق. وقال الجوهري: واحدة الغرائر التي للطين، وأظنُّه معرباً.

٤ - **سر:** موسى بن بكر، عن المفضّل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ فلاناً وفلاناً غصبانا حقّنا وقسّماه بينهم، فرضوا بذلك عنهما، وإنّ عثمان لمّا منعهم واستأثر عليهم غضبوا لأنفسهم[2].

٥ - **قب:** نقلت المرجئة، عن أبي الجهم العدوي وكان معادياً لعليّ عليه السلام، قال: خرجت بكتاب عثمان - والمصريّون قد نزلوا بذي خشب - إلى معاوية وقد طويته طيّاً لطيفاً وجعلته في قراب سيفي، وقد تنكّبت عن الطريق وتوخّيت سواد الليل حتّى كنت بجانب الجرف، إذا رجل على حمار مستقبلي ومعه رجلان يمشيان أمامه فإذا هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قد أتى من ناحية البدو فأثبتني ولم أُثبته حتّى سمعت كلامه، فقال: أين تريد يا صخر؟ قلت: البدو، فأدع الصحابة. قال: فما هذا الّذي في قراب سيفك؟ قلت: لا تدع مزاحك أبداً. ثم جزته[3].

٦ - **جا:** الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن الحسن بن عليّ اللؤلؤي، عن يحيى ابن المغيرة، عن سلمة بن الفضل، عن عليّ بن صبيح الكندي، عن أبي يحيى مولى معاذ بن عفرة الأنصاري، قال: إنّ عثمان بن عفّان بعث إلى الأرقم بن عبد الله وكان خازن بيت مال المسلمين، فقال له: أسلفني مئة ألف ألف درهم. فقال له الأرقم: اكتب عليك بها صكّاً

---

(١) قرب الإسناد، ص ٢٦ ح ٨٩. (٢) مستطرفات السرائر، ح ١٧.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٥٩.

للمسلمين. قال: وما أنت وذاك لا أمّ لك؟! إنّما أنت خازن. قال: فلمّا سمع الأرقم ذلك خرج مبادراً إلى الناس، فقال: أيّها الناس، عليكم بمالكم فإنّي ظننت أنّي خازنكم ولم أعلم أنّي خازن عثمان بن عفّان حتى اليوم.

ومضى فدخل بيته، فبلغ ذلك عثمان، فخرج إلى الناس حتّى دخل المسجد ثم رقي المنبر، وقال: أيّها الناس، إنّ أبا بكر كان يؤثر بني تيم على الناس، وإنّ عمر كان يؤثر بني عدي على كلّ الناس، وإنّي أؤثر والله بني أميّة على من سواهم، ولو كنت جالساً بباب الجنّة ثم استطعت أن أدخل بني أميّة جميعاً الجنّة لفعلت، وإنّ هذا المال لنا، فإن احتجنا إليه أخذناه، وإن رغم أنف أقوام!

فقال عمّار بن ياسر رحمه الله: معاشر المسلمين، اشهدوا أنّ ذلك مرغم لي. فقال عثمان: وأنت هاهنا! ثم نزل من المنبر يتوطاه برجليه حتّى غُشي على عمّار واحتمل وهو لا يعقل إلى بيت أمّ سلمة، فأعظم الناس ذلك، وبقي عمّار مغميّ عليه ولم يصلّ يومئذٍ الظهر والعصر والمغرب، فلمّا أفاق قال: الحمد لله، فقديماً أُذيت في الله، وأنا أحتسب ما أصابني في جنب الله، بيني وبين عثمان العدل الكريم يوم القيامة.

قال: وبلغ عثمان أنّ عمّاراً عند أمّ سلمة، فأرسل إليها، فقال: ممّا هذه الجماعة في بيتك مع هذا الفاجر؟ أخرجيهم من عندك. فقالت: والله ما عندنا مع عمّار إلّا بنتاه، فاجتنبنا يا عثمان واجعل سطوتك حيث شئت، وهذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يجود بنفسه من فعالك [به]. قال: فندم عثمان على ما صنع فبعث إلى طلحة والزبير يسألهما أن يأتيا عمّاراً فيسألاه أن يستغفر له، فأتياه فأبى عليهما، فرجعا إليه فأخبراه، فقال عثمان: من حكم الله يا بني أميّة، يا فراش النار وذباب الطمع، شنعتم عليّ، وألبتم عليّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم إنّ عمّاراً رحمه الله صلح من مرضه فخرج إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فبينما هو كذلك إذ دخل ناعي أبي ذرّ على عثمان من الربذة، فقال: إنّ أبا ذرّ مات بالربذة وحيداً ودفنه قوم سفر. فاسترجع عثمان وقال: رحمه الله. فقال عمّار: رحم الله أبا ذرّ من كلّ أنفسنا. فقال له عثمان: وإنّك لهناك بعدما برئت، أتراني ندمت على تسييري إيّاه؟! قال له عمّار: لا والله، ما أظنّ ذاك. قال: وأنت أيضاً فالحقّ بالمكان الذي كان فيه أبو ذرّ فلا تبرحه ما حيينا. قال عمّار: أفعل، فوالله لمجاورة السباع أحبّ إليّ من مجاورتك.

قال: فتهيّأ عمّار للخروج وجاءت بنو مخزوم إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسألوه أن يقوم معهم إلى عثمان ليستنزله عن تسيير عمّار، فقام معهم فسأله فيهم ورفق به حتى أجابه إلى ذلك[1].

---

(١) أمالي المفيد، ص ٦٩ ح ٥.

٧ - **جا:** علي بن محمد الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن الحسن بن الحسين الأنصاري، عن سفيان، عن فضيل بن الزبير، عن فروة بن مجاشع، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: جاءت عائشة إلى عثمان، فقالت له: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر بن الخطاب. فقال: لم أجد لك موضعاً في الكتاب ولا في السنّة، وإنّما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة من أنفسهما، وأنا لا أفعل. قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لها: أو لم تجيئي أنت ومالك بن أوس النضري فشهدتما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يورث حتّى منعتما فاطمة ميراثها، وأبطلتما حقّها، فكيف تطلبين اليوم ميراثاً من النبيّ صلى الله عليه وآله؟! فتركته وانصرفت، وكان عثمان إذا خرج إلى الصلاة أخذت قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على قصبة فرفعته عليها، ثم قالت: إنّ عثمان قد خالف صاحب هذا القميص وترك سنّته[1].

أقول: روى في كشف الغمة نحواً من ذلك، وزاد في آخره: فلمّا آذته صعد المنبر، فقال: إنّ هذه الزعراء عدوّة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾[2]. فقالت له: يا نعثل، يا عدوّ الله، إنّما سمّاك رسول الله صلى الله عليه وآله باسم نعثل اليهودي الذي باليمن. فلاعنته ولاعنها، وحلفت أن لا تساكنه بمصر أبداً، وخرجت إلى مكة. ثم قال: قد نقل ابن أعثم صاحب الفتوح أنّها قالت: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً، فلقد أبلى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه ثيابه لم تبل، وخرجت إلى مكة.

قال: وروى غيره أنّه لمّا قتل جاءت إلى المدينة فلقيها فلان فسألته عن الأموال فخبّرها، وأنّ الناس اجتمعوا على عليّ عليه السلام، فقالت: والله لأطالبنّ بدمه. فقال لها: وأنت حرصت على قتله! قالت: إنهم لم يقتلوه حيث قلت، ولكنهم تركوه حتى تاب ونقي من ذنوبه وصار كالسبيكة وقتلوه[3].

تأييد: قال في النهاية: في مقتل عثمان لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسبَّ نعثلاً، كان أعداءُ عثمان يسمُّونه: نعثلاً، تشبيهاً برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل، وقيل: النَّعثل: الشَّيخ الأحمق، وذكر الضباع، ومنه حديث عائشة: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً. تعني عثمان، وهذا كان منها لمّا غاضَبته وذهبت إلى مكّة.

٨ - **ما:** أحمد بن محمد بن الصلت، عن ابن عقدة الحافظ، عن جعفر بن عبد الله العلوي، عن عمّه القاسم بن جعفر بن عبد الله، عن عبد الله بن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي عمرة

(١) أمالي المفيد، ص ١٢٥ ح ٣.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١٠.
(٣) كشف الغمة، ج ١ ص ٣٢٣.

الأنصاري، قال: لمّا نزل المصريّون بعثمان بن عفّان في مرّتهم الثانية دعا مروان بن الحكم فاستشاره، فقال له: إنّ القوم ليس هم لأحد أطوع منهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو أطوع الناس في الناس، فابعثه إليهم فليعطهم الرضا وليأخذ لك عليهم الطاعة، ويحذّرهم الفتنة. فكتب عثمان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سلام عليك، أمّا بعد، فإنّه قد جاز السيل الزبى، وبلغ الحزام الطبيين، وارتفع أمر الناس بي فوق قدره، وطمع فيّ من كان يعجز عن نفسه، فأقبل عليّ أو لي. وتمثّل:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلّا فأدركني ولمّا أمزّق

والسلام.

فجاءه عليّ عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله. فقال: نعم، إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أن تفي لهم بكلّ شيء أعطيته عنك. فقال: نعم. فأخذ عليه عهداً غليظاً، ومشى إلى القوم فلمّا دنا منهم قالوا: وراءك. قال: لا. قالوا: وراءك. قال: لا، فجاء بعضهم ليدفع في صدره، فقال القوم بعضهم لبعض: سبحان الله! أتاكم ابن عمّ رسول الله يعرض كتاب الله، اسمعوا منه واقبلوا. قالوا: تضمن لنا كذلك؟ قال: نعم. فأقبل معه أشرافهم ووجوههم حتى دخلوا على عثمان فعاتبوه، فأجابهم إلى ما أحبّوا، فقالوا: اكتب لنا على هذا كتاباً، وليضمن عليٌّ عنك ما في الكتاب. قال: اكتبوا أنّى شئتم. فكتبوا بينهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين: أن لكم عليّ أن أعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأنّ المحروم يُعطى، وأنّ الخائف يؤمن، وأنّ المنفيّ يردّ، وأنّ المبعوث لا يجمر، وأنّ الفيء لا يكون دولة بين الأغنياء، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ضامن للمؤمنين والمسلمين على عثمان الوفاء لهم على ما في الكتاب، وشهد الزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك وعبد الله ابن عمر وأبو أيّوب بن زيد، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وعشرين.

فأخذوا الكتاب ثم انصرفوا، فلمّا نزلوا أيلة إذا هم براكب فأخذوه، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا رسول عثمان إلى عبد الله بن سعد. قال بعضهم لبعض: لو فتشناه لئلّا يكون قد كتب فينا. ففتّشوه فلم يجدوا معه شيئاً، فقال كنانة بن بشر النجيبي: انظروا إلى أدواته فإنّ للناس حيلاً. فإذا قارورة مختومة بموم، فإذا فيها كتاب إلى عبد الله بن سعد: إذا جاءك كتابي هذا فاقطع أيدي الثلاثة مع أرجلهم. فلمّا قرؤوا الكتاب رجعوا حتّى أتوا عليّاً عليه السلام، فأتاه فدخل عليه، فقال: استعتبك القوم فأعتبتهم ثم كتبت هذا كتابك نعرفه؟! الخط الخط، والخاتم الخاتم. فخرج عليّ عليه السلام مغضباً وأقبل الناس عليه، فخرج سعد من المدينة فلقيه رجل فقال: يا أبا إسحاق، أين تريد؟ قال: إنّي فررت بديني من مكة إلى المدينة، وأنا اليوم

أهرب بديني من المدينة إلى مكة.

وقال الحسن بن عليّ لعلي عليه السلام - حين أحاط الناس بعثمان -: اخرج من المدينة واعتزل، فإنّ الناس لا بدّ لهم منك، وإنهم يأتونك ولو كنت بصنعاء، وأخاف أن يقتل هذا الرجل وأنت حاضره. فقال: يا بني، أخرج عن دار هجرتي؟ وما أظنّ أحداً يجترئ على هذا القول كلّه. وقام كنانة بن بشر، فقال: يا عبد الله، أقم لنا كتاب الله، فإنّا لا نرضى بالقول دون الفعل، قد كتبت وأشهدت لنا شهوداً وأعطيتنا عهد الله وميثاقه. فقال: ما كتبت بينكم كتاباً. فقام إليه المغيرة بن الأخنس وضرب بكتابه وجهه، وخرج إليهم عثمان ليكلّمهم، فصعد المنبر، فرفعت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ونادت: أيّها الناس، هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وقد غيّرت سنّته. فنهض الناس وكثر اللغط وحصبوا عثمان حتى نزل من المنبر ودخل بيته.

فكتب نسخة واحدة إلى معاوية وعبد الله بن عامر: أمّا بعد، فإنّ أهل السفه والبغي والعدوان من أهل العراق ومصر والمدينة أحاطوا بداري ولن يرضيهم منّي دون خلعي أو قتلي، وأنا ملاقي الله قبل أن أتابعهم على شيء من ذلك، فأعينوني. فلمّا بلغ كتابه ابن عامر، قام وقال: أيّها الناس، إنّ أمير المؤمنين عثمان ذكر أنّ شرذمة من أهل مصر والعراق نزلوا بساحته فدعاهم إلى الحقّ فلم يجيبوا، فكتب إليّ أن أبعث إليه منكم ذوي الرأي والدين والصلاح لعلّ الله أن يدفع عنه ظلم الظالم وعدوان المعتدي. فلم يجيبوه إلى الخروج.

ثم إنّه قيل لعليّ عليه السلام: إنّ عثمان قد مُنع الماء. فأمر بالروايا فعكمت، وجاء الناس عليّ عليه السلام فصاح بهم صيحة انفرجوا، فدخلت الروايا، فلمّا رأى عليّ عليه السلام اجتماع الناس دخل على طلحة بن عبيد الله وهو متكئ على وسائد، فقال: إنّ الرجل مقتول فامنعوه. فقال: أم والله دون أن تعطي بنو أُميّة الحقّ من أنفسها[1].

٩ - **نهج:** من كلام له عليه السلام لمّا اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه، فقال:

إنَّ النّاس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلُّك على أمرٍ لا تعرفه، إنَّك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيءٍ فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيءٍ فنبلِغَكَه، وقد رأيت كما رأينا، وسمِعت كما سمِعنا وصحِبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحِبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب بأولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما، وقد نِلت من صِهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك فإنّك والله ما تُبصّر من عمىً ولا تُعلَّم من جهلٍ، وإنَّ الطُّرق لواضحة وإنَّ أعلام الدين لقائمة.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٧١٢ مجلس ٤٣ ح ١٥١٧.

فاعلم أنَّ أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ هُدي وهدى، فأقام سنَّة معلومة وأمات بِدعة مجهولة، وإنَّ السُّنن لنيرة لها أعلام، وإنَّ البدع لظاهرة لها أعلام، وإنَّ شَرَّ النَّاس عند الله إمامٌ جائرٌ ضلَّ وضُلَّ به، فأمات سنَّة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيُلقى في جهنَّم فيدور فيها كما تدور الرَّحى، ثمَّ يرتبط في قعرها. وإني أُنشدك الله أن تكون إمام هذه الأُمَّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأُمّة إمامٌ يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أُمورها عليها ويبثُّ الفِتن فيها، فلا يبصرون الحقَّ من الباطل، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننَّ لمروان سيِّقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السِّنِّ وتقضِّي العمر. فقال له عثمان: كلم النَّاس في أن يؤجلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم. فقال عليّ عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه[1].

توضيح: الاستعتاب: طلب العتبى وهو الرُّجوع والرضا. قوله عليه السلام: ما أعرف شيئاً تجهله. الغرض بيان وضوح قبائح أعماله بحيث يعرفه الصبيان لا بيان وفور علمه. قوله عليه السلام: وأنت أقرب. الواو للحال، ويحتمل العطف، والوشيجة تميّزه، وهي عرق الشَّجرة، والواشِجة: الرَّحم المشتبِكة، وقد وشجت بك قرابة فلان والاسم: الوشيج، ذكره الجوهري. قوله عليه السلام: فإنّه كان يقال. أي: كان النبيّ ﷺ يقول، وأبهم عليه السلام لمصلحة، والمراد بالإمام إمام يدعو إلى النار. وقال الجوهري: مرجت: فسدت، ومرج، اختلط واضطرب، ومنه الهرج والمرج. والسَّيِّقة بتشديد الياء المكسورة: ما استاقه العدوُّ من الدواب. وفي القاموس: جلَّ يجلُّ جلالة وجلالاً: أسنَّ.

١٠ - **الكافية في إبطال توبة الخاطئة:** عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: كنت مع عثمان وهو محصور، فلمّا عرف أنّه مقتول بعثني وعبد الرحمن بن أزهر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد استولى طلحة بن عبيد الله على الأمر، فقال: انطلقا فقولا له: أما إنّك أولى بالأمر من ابن الحضرميّة فلا يغلبنّك على أُمّة ابن عمّك.

وعن الفضيل بن وكين، عن فطر، عن عمران الخزاعي، عن ميسرة بن جدير، قال: كنت عند الزبير عند أحجار الزيت وهو آخذ بيدي، فأتاه رجل يشتدّ، فقال: يا أبا عبد الله، إنّ أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء. فسمعته يقول: دبروا بها دبروا: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾[2].

وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: قيل لطلحة: هذا عثمان قد منع الطعام والشراب. فقال: إمّا تعطيني بنو أُميّة الحقّ من أنفسها، وإلّا فلا.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٣٠ خ ١٦٢. (٢) سورة سبأ، الآية: ٥٤.

وعن محمد بن فضيل بن غزوان، عن زيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: رأيت طلحة يرامي في أهل الدار وهو في خرقة وعليه الدرع وقد كفر عليها بقباء، فهم يرامونه فيخرجونه من الدار ثم يخرج فيراميهم، حتّى دُخل عليه من قبل دار ابن حزم فقُتل.

وعن موسى بن مطير، عن الأعمش، عن مسروق، قال: دخلت المدينة فبدأنا بطلحة، فخرج مشتملاً بقطيفة له حمراء، فذكرنا له أمر عثمان فصيح القوم، فقال: قد كان شفاؤكم أن يغلبوا حلماءَكم على المنطق، ثم قال: أجئتم معكم بحطب؟ وإلّا فخذوا هاتين الحزمتين فاذهبوا بهما إلى بابه. فخرجنا من عنده وأتينا الزبير، فقال مثل قوله، فخرجنا حتّى أتينا عليّاً عليه السلام عند أحجار الزيت فذكرنا أمره، فقال: استتيبوا الرجل ولا تعجلوا فإن رجع ممّا عليه وتاب فاقبلوا منه.

وعن إسحاق بن راشد، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن أنّ أبي أروى أنّ طلحة بن عبيد الله استولى على أمر عثمان وصارت المفاتيح بيده، وأخذ لقاحاً كانت لعثمان، وأخذ ما كان في داره، فمكث بذلك ثلاثة أيّام[1].

١١ - **د**: في الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين من الهجرة قُتل عثمان بن عفّان بن الحكم بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأُموي. كنيته: أبو عمر، وأبو عبد الله، وأبو ليلى. مولده في السنة السادسة بعد [عام] الفيل بعد ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله بقليل.

مدّة ولايته اثنتا عشرة سنة إلّا أيّاماً، قتل بالسيف وله يومئذٍ اثنتان وثمانون سنة. وقيل: ستّ وثمانون سنة، وأُخرج من الدار وأُلقي على بعض مزابل المدينة لا يقدم أحد على مواراته خوفاً من المهاجرين والأنصار، حتّى احتيل لدفنه بعد ثلاث، فأُخذ سرّاً فدفن في حشّ كوكب، وهي مقبرة كانت لليهود بالمدينة، فلمّا ولي معاوية بن أبي سفيان وصلها بمقابر أهل الإسلام.

وفي هذا اليوم بعينه بايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان، ورجع الأمر إليه في الظاهر والباطن، واتّفقت الكافّة عليه طوعاً بالاختيار. وفي هذا اليوم فلج موسى بن عمران من السحرة، وأخزى الله عزّ وجلّ فرعون وجنوده من أهل الكفر والضلال؛ وفيه نجّى الله تعالى إبراهيم عليه السلام من النار وجعلها برداً وسلاماً كما نطق به القرآن؛ وفيه نصب موسى بن عمران وصيّه يوشع بن نون ونطق بفضله على رؤوس الأشهاد؛ وفيه أظهر عيسى وصيّه شمعون الصفا؛ وفيه أشهد سليمان بن داود عليه السلام سائر رعيّته على استخلاف آصف وصيّه عليه السلام؛ وفيه نصب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ودلّ على فضله بالآيات والبيّنات، وهو يوم كثير البركات[2].

---

(١) الكافية للمفيد المطبوع ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ص ٨-١١.

(٢) العدد القوية، ص ٢٠٠.

١٢ - **ختص:** قتل عثمان بن عفّان وهو ابن إحدى وثمانين سنة، وولي الأمر اثنتي عشرة سنة[١].

أقول: قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأُموي، يكنّى: أبا عبد الله، وأبا عمرو، وولد في السنة السادسة بعد الفيل. أُمّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي، وأُمّها البيضاء أمّ حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. زوّجه رسول الله ﷺ ابنتيه: رقيّة ثم أمّ كلثوم واحدة بعد أُخرى، وبويع له بالخلافة يوم السبت غرّة المحرّم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاثة أيّام باجتماع الناس عليه، وقتل بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة. ذكره المدائني، عن أبي معشر، عن نافع.

وقال المعتمر، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي: قُتل في وسط أيّام التشريق. وقال ابن إسحاق: قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب، وعلى رأس خمس وعشرين من متوفّى رسول الله ﷺ [٢].

وقال الواقدي: قُتل يوم الجمعة لثمان ليال خلت من ذي الحجّة يوم التروية سنة خمس وثلاثين. وقد قيل: إنّه قُتل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجّة، وقد روي ذلك عن الواقدي أيضاً.

وقال الواقدي: وحاصروه تسعة وأربعين يوماً. وقال الزبير: حاصروه شهرين وعشرين يوماً، وكان أوّل من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته، فقال له: دعها يابن أخي، فوالله لقد كان أبوك يكرمها. فاستحى وخرج، ثم دخل رومان بن أبي سرحان - رجل أزرق قصير محدود عداده في مراد، وهو من ذي أصبح - معه خنجر فاستقبله به وقال: على أيّ دين أنت يا نعثل؟ فقال عثمان: لست بنعثل، ولكنّي عثمان بن عفّان، وأنا على ملّة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين. قال: كذبت. وضربه على صدغه الأيسر فقتله، فخرّ، وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها، وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتاً، فقال: والله لأقطعنّ أنفه، فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها وقبضت على السيف فقطع إبهامها، فقالت لغلام عثمان يقال له: رباح ومعه سيف عثمان: أعنّي على هذا وأخرجه عنّي. فضربه الغلام بالسيف فقتله، وأقام عثمان يومه ذلك مطروحاً إلى الليل فحمله رجال على باب ليدفنوه فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه، فوجدوا قبراً قد كان حفر لغيره فدفنوه فيه، وصلّى عليه جبير بن مطعم.

---

(١) الاختصاص، ص ١٣٠.

(٢) الاستيعاب، ج ٣ ص ٦٩.

واختلف في من باشر قتله بنفسه، فقيل: محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص. وقيل: بل حبسه محمد وأشعره غيره، وكان الذي قتله سودان بن حمران. وقيل: بل ولي قتله رومان اليماني. وقيل: بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة. وقيل: إنّ محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته فهزّها، وقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن أبي سرح، وما أغنى عنك ابن عامر. فقال له: يابن أخي، أرسل لحيتي والله إنّك لتجبذ لحية كانت تعزّ عل أبيك، وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا منّي. فيقال: إنّه حينئذٍ تركه وخرج عنه. ويقال: إنّه حينئذٍ أشار إلى من معه فطعنه أحدهم وقتلوه. فالله أعلم.

وأكثرهم يروي أنّ قطرة أو قطرات من دمه سقطت على المصحف على قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

وروي أنّه قتله رجل من أهل مصر يقال له: جبلة بن الأيهم، ثم طاف بالمدينة ثلاثاً يقول: أنا قاتل نعثل. ثم روى خبر دفنه كما مرّ.

وقال: واختلف في سنّه حين قُتل، فقال ابن إسحاق: قُتل وهو ابن ثمانين سنة. وقال غيره: ابن ثمان وثمانين. وقيل: ابن تسعين. وقال قتادة: ابن ستّ وثمانين. وقال الواقدي: لا خلاف عندنا أنّه قُتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وقيل: ابن تسعين سنة. ودُفن ليلاً بموضع يقال له: حشّ كوكب. وكوكب رجل من الأنصار، والحشّ البستان.

وقيل: صلّى عليه عمر وابنه. وقيل: بل صلّى عليه حكيم بن حزام.

وقيل: المسوّر بن مخرمة. وقيل: كانوا خمسة أو ستة، فلمّا دفنوه غيّبوا قبره.

وقال ابن إسحاق: كانت ولايته اثنتي عشرة سنة إلّا اثني عشر يوماً. وقال غيره: كانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً. وقيل ثمانية عشر يوماً[2].

أقول: روى مؤلف كتاب إلزام النواصب، عن هشام بن محمد السائب، أنّه قال: وممّن كان يلعب به ويفتحل عفّان أبو عثمان. قال: وكان يضرب بالدفّ.

٣٠ - باب تبرّي أمير المؤمنين عليه السلام عن دم عثمان وعدم إنكاره أيضاً

١ - **نهج:** من كلام له عليه السلام في قتل عثمان: لو أمرتُ به لكنت قاتلاً، أو نهيتُ عنه لكنت ناصراً، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني، وأنا جامعٌ لكم أمره: استأثر فأساءَ الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكمٌ واقع في المستأثر والجازع[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.
(٢) الاستيعاب، ج ٣ ص ٨٠.
(٣) نهج البلاغة، ص ٩٨ خ ٣٠.

بيان: قال ابن أبي الحديد: معناه أنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه؛ لأنّ الذين نصروه كانوا فسّاقاً كمروان بن الحكم وأضرابه، وخذله المهاجرون والأنصار.. والمستأثر بالشّيء المستبدّ به، أي: أساء عثمان في استقلاله برأيه في الخلافة وإحداث ما أحدث.. قوله عليه السلام: لله حكمٌ واقع. أي: ثابت محقَّق في علمه تعالى، فالحكم يحتمل الدنيوي والأخروي أو سيقع ويتحقّق خارجاً في الآخرة أو في الدنيا؛ لأنّ مجموعه لم يتحقّق بعد، وإن تحقّق بعضه[1].

٢ - **نهج:** من كلام له عليه السلام لمّا بلغه اتّهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان: أولم ينه بني أُميّة عِلمُها بي عن قرفي؟ أما وزَع الجُهّال سابقتي عن تهمتي؟ ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني، أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين، وعلى كتاب الله تعالى تُعرض الأمثال، وبما في الصُّدور تُجازى العباد[2].

توضيح: قرفه كضربه. أي اتّهمه ووزعه عنه: صرفه وكفّه والسّابقة: الفضيلة والتّقدُّم، والمراد باللسان: القول. والحجيج: المغالِب بإظهار الحجّة. والمارقون: الخارِجون من الدِّين. والخصيم: المخاصم والمرتابون: الشّاكُّون في الدين أو في إمامته، أو في كلّ حقّ. والمحاجَّة: المخاصَمة إمّا في الدنيا، أو فيها وفي الآخرة.

وقال بعض الشارحين للنهج: روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سأل عن وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[3]، فقال: عليّ وحمزة وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد.. إلى آخر ما مرّ في الأخبار الكثيرة في غزوة بدر.

قال: وكان عليّ عليه السلام يكثر من قوله: أنا حجيج المارقين، ويشير إلى هذا المعنى، وأشار إلى ذلك بقوله: على كتاب الله تعرض الأمثال. يريد قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾.. الآية. وقال بعضهم: لمّا كان في أقواله وأفعاله عليه السلام ما يشبه الأمر بالقتل أو فعله فأوقع في نفوس الجهّال شبهة القتل نحو ما روي عنه عليه السلام: الله قتله وأنا معه. وكتخلّفه في داره عن الخروج يوم قتل، فقال: ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله، فإن دلّ على كون شيء من ذلك قتلاً فليحكم به، وإلّا فلا.

ويحتمل أن يراد بالأمثال الحجج أو الأحاديث كما ذكرها في القاموس، أي ما احتجّ به في مخاصمة المارقين والمرتابين وما يحتجّون به في مخاصمتي ينبغي عرضها على كتاب الله حتّى يظهر صحّتهما وفسادهما، أو ما يسندون إليّ في أمر عثمان وما يروى في أمري وأمر عثمان يعرض على كتاب الله.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٣٤٦. (٢) نهج البلاغة، ص ١٥٢ خ ٧٤.
(٣) سورة الحج، الآية: ١٩.

وبما في الصدور: أي بالنيّات والعقائد، أو بما يعلمه الله من مكنون الضمائر. لا على وفق ما يظهره المتخاصمان عند الاحتجاج. يجازي الله العباد.

٣ - **نهج:** من كلام له عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وقال له قومٌ من الصَّحابة: لو عاقبت قوماً ممَّن أجلب على عثمان. فقال عليه السلام:

يا إخوتاه، إنِّي لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوَّةٍ والقوم المجلِبون على حد شوكتِهم، يملكوننا ولا نملكهم، وها هم هؤلاءِ قد ثارت معهم عِبدانُكم، والتفَّت إليهم أعرابكم، وهم خِلالَكم يسومونكم ما شاؤوا، وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه؟ إنَّ هذا الأمر أمر جاهليّة، وإنَّ لهؤلاءِ القوم مادَّة، إنَّ النَّاس من هذا الأمر إذا حُرِّك على أُمورٍ: فِرقةٌ ترى ما ترون، وفِرقةٌ ترى ما لا ترون، وفرقةٌ لا ترى لا هذا ولا هذا، فاصبروا حتّى يهدأ النَّاس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق مُسمِحَةً، فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضِع قوَّة، وتُسقِط منَّةً، وتُورث وهناً وذِلَّةً، وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجد بدّاً، فآخر الدَّواءِ الكيّ[1].

إيضاح: لو عاقبت: جزاء الشرط محذوف، أي: لكان حسناً ونحوه. وأجلَبوا عليه: تجمَّعوا وتألَّبوا. قوله عليه السلام: على حدّ شوكتهم. أي: لم ينكسر سورتهم. والحدُّ: مُنتهى الشَّيءِ، ومن كلّ شيءٍ: حِدَّته، ومنك: بأسك. والشَّوكَةُ: شِدَّة البأس والحد في السلاح. وروي أنّه عليه السلام أجمع الناس ووعظهم، ثم قال: لتقم قتلة عثمان. فقام الناس بأسرهم إلّا قليل، وكان ذلك الفعل منه عليه السلام استشهاد على قوله. والعِبدان: جمع عبدٍ.

والتفَّت: أي انضمَّت واختلطت. وهم خِلالكم: أي بينكم. يسومونكم: أي يكلفونكم. قوله عليه السلام: إنّ هذا الأمر. أي: أمر المجلبين عليه، كما قال ابن ميثم، والمعنى: أنّ قتلهم لعثمان كان عن تعصّب وحميّة لا لطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له. ويمكن أن يكون المراد: إنّ ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهليّة نشأ عن تعصّبكم وحميّتكم وأغراضكم الباطلة، وفيه إثارة للفتنة وتهييج للشرّ. والأول أنسب بسياق الكلام؛ إذ ظاهر أنّ إيراد تلك الوجوه للمصلحة وإسكات الخصم، وعدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان.

قوله: مسمحة: أي: منقادةٌ بسهولةٍ. ويقال: ضعضعه. أي: هدَمَه حتّى الأرض. والمنَّة بالضَّم: القوّة. قوله عليه السلام: فآخر الدواء الكيّ. كذا في أكثر النسخ المصحّحة، ولعلّ المعنى: بعد الداء الكيّ، إذا اشتدّ الداء ولم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكيّ وينتهي أمره إليه.

وقال ابن أبي الحديد: آخر الدواء الكيّ، مثلٌ مشهور، ويقال: آخر الطبّ. ويغلط فيه

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٤٢ خ ١٦٦.

العامّة فتقول: آخر الداء الكيّ. ثم قال: ليس معناه: وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن فإذا لم أجد بدّاً عاقبتهم، ولكنّه كلام قاله عليه السلام أوّل مسير طلحة والزبير إلى البصرة، فإنّه حينئذٍ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر عليه السلام بما ذكر، ثم قال: سأُمسك نفسي عن محاربة هؤلاء الناكثين وأقنع بمراسلتهم وتخويفهم، فإذا لم أجد بدّاً فآخر الدواء الحرب[١].

أقول: ويحتمل أن يكون ذلك تورية منه عليه السلام ليفهم بعض المخاطبين المعنى الأول، ومراده المعنى الثاني.

٤ - **ما:** أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن أحمد بن يحيى، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أحمد بن أبي العالية، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم فحلفت لهم بالله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصوني[٢].

٥ - **قب:** روي أنّ أصحاب أمير المؤمنين كانوا فرقتين: إحداهما اعتقدوا أنّ عثمان قتل مظلوماً وتتولاه وتتبرّأ من أعدائه، والأخرى وهم جمهور أهل الحرب وأهل الغناء والبأس، اعتقدوا أنّ عثمان قُتل لأحداث أوجبت عليه القتل، ومنهم من يصرّح بتكفيره، وكلّ من هاتين الفرقتين تزعم أنّ عليّاً عليه السلام موافق له على رأيه، وكان يعلم أنّه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأُخرى وأسلمته، وتولّت عنه وخذلته، فكان يستعمل في كلامه ما يوافق كل واحدة من الطائفتين[٣].

أقول: قد مرّ القول في ذلك في سياق مطاعنه، ولا يخفى على أحد أنّ أقواله وأفعاله عليه السلام في تلك الواقعة تدلّ على أنّه عليه السلام كان منكراً لأفعاله وخلافته راضياً بدفعه، لكن لم يأمر صريحاً بقتله لعلمه بما يترتّب عليه من المفاسد أو تقيّة، ولم ينه القاتلين أيضاً؛ لأنّهم كانوا محقّين، وكان عليه السلام يتكلّم في الاحتجاج على الخصوم على وجه لا يخالف الواقع ولا يكون للجهّال وأهل الضلال أيضاً عليه حجّة، وكان هذا ممّا يخصّه من فصل الخطاب وممّا يدلّ على وفور علمه في كلّ باب.

٣١ - باب ما ورد في لعن بني أُميّة وبني العبّاس وكفرهم

الآيات: إبراهيم: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾.

الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ١٩٤. (٢) أمالي الطوسي، ص ٢٦٩ مجلس ١٠ ح ٤٩٨.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ١٤٤.

يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[١].

تفسير: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قال في مجمع البيان: وهي كلمة الشرك والكفر، وقيل: كلّ كلام في معصية الله ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ غير زاكية، وهي شجرة الحنظل. وقيل: إنّها شجرة هذه صفتها، وهو أنّه لا قرار لها في الأرض. وقيل: إنّها الكشوث.

وروى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ هذا مثل بني أُميّة.

﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: أي قطعت واستؤصلت واقتلعت جثّتها من الأرض.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: أي ما لتلك الشجرة من ثبات، فإنّ الريح تنسفها وتذهب بها. وعن ابن عباس: أنّها شجرة لم يخلقها الله بعد، وإنّما هو مثل ضربه الله[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: أي ألم تر إلى هؤلاء الكفّار عرفوا نعمة الله بمحمّد صلى الله عليه وآله، أي: عرفوا محمّداً ثم كفروا به فبدّلوا مكان الشكر كفراً. وعن الصادق عليه السلام، أنّه قال: نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده، وبنا يفوز من فاز... أو المراد جميع نعم الله على العموم بدّلوها أقبح التبديل؛ إذ جعلوا مكان شكرها الكفر بها.

واختلف في المعني بالآية، فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وابن جبير ومجاهد والضحّاك: أنّهم كفّار قريش كذّبوا نبيّهم ونصبوا له الحرب والعداوة. وسأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية، فقال: هما الأفجران من قريش: بنو أُميّة وبنو المغيرة، فأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين، وأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر.. وقيل: إنّهم جبلة بن الأيهم ومن تبعه من العرب، تنصّروا ولحقوا بالروم. ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك[٣].

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ فيه أقوال: أحدها: أنّ المراد بالرؤيا رؤية العين، وهي الإسراء، وسمّاها فتنة للامتحان وشدّة التكليف.

وثانيها: أنّها رؤيا نوم رآها أنّه سيدخل مكة وهو بالمدينة، فقصدها فصدّه المشركون حتى دخلت على قوم منهم الشبهة، ثم رجع فدخل في القابل وظهر صدق الرؤيا.

وثالثها: أنّ ذلك رؤيا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ قروداً تصعد منبره وتنزل، فساءه ذلك واغتمّ به. رواه سهل بن سعيد، عن أبيه، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقالوا: على هذا التأويل: إنّ الشجرة الملعونة هي بنو أُميّة، أخبره الله بتغلّبهم على مقامه وقتلهم ذرّيّته. وقيل: هي شجرة الزقّوم. وقيل: هي اليهود.

وتقدير الآية: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلّا فتنة للناس[٤].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٧٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ٧٨.
(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٦٥.

١ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ لبني أُميّة مُرْوَداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثمّ كادتهم الضباع لغلبتْهم.

قال السيّد رحمه الله : والمُروَد هاهنا مُفْعَل من الإرواد، وهو من الإمهال والإنظار، وهذا من أفصح الكلام وأغربه، فكأنّه عليه السلام شبّه المهلة الّتي هم فيها بالمِضمار الّذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا أيّام منقطَعها انتقض نظامهم بعدها[١].

٢ - **ل:** ابن المتوكّل عن محمد العطّار، عن الأشعري، عن ابن عيسى، عن أبي العباس جرير البجلي، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: للكفر جناحان: بنو أُميّة وآل المهلّب[٢].

توضيح: آل المهلّب طائفة من الولاة منسوبون إلى المهلّب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري، وكان رجلاً شجاعاً حمى البصرة من الخوارج، وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز، وتقلّبت به الأحوال إلى أن ولي خراسان من جهة الحجّاج، ولم يزل والياً بخراسان حتى أدركته الوفاة، فولي ابنه يزيد ولم يزل. كانوا ولاة في زمن بني أُميّة وبني العبّاس، وكانوا من أعوان خلفاء الجور، ولهم وقائع مشهورة مذكورة في التواريخ.

٣ - **فس:** ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ . قال: نزلت في بني أُميّة، حيث خالفوهم على أن لا يردوا الأمر في بني هاشم، ثم قال: يبتغون عندهم العزّة يعني القوّة.

وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ . قال: آيات الله هم الأئمة عليهم السلام [٣].

٤ - **فس:** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال: نزلت في بني أُميّة. ثم قال: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ . قال: من عداوة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٤].

٥ - **فس:** جعفر بن أحمد، عن عبد الكريم بن عبد الرحيم، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قال عليه السلام : نزلت في بني أُميّة، فهم أشرّ خلق الله، هم الذين كفروا في باطن القرآن فهم لا يؤمنون[٥].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧٢٨ حكمة رقم ٤٥٧.

(٢) الخصال، ص ٣٥ باب الاثنين ح ١٠.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٣ في تفسيره لسورة النساء، الآيتان: ١٣٩-١٤٠.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٣ في تفسيره لسورة الأنعام، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٧٧ في تفسيره لسورة الأنفال، الآية: ٥٥.

٦ - **شي:** عن جابر، عنه عليه السلام: مثله[١].

٧ - **فس:** ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. وفي رواية أبي الجارود، قال: كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السماء، وبنو أميّة لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء إلّا قليل منهم[٢].

٨ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن عثمان بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾، قال: نزلت في الأفجرين من قريش: بني أميّة وبني المغيرة، فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم، وأمّا بنو أميّة فمتعوا إلى حين. ثم قال: ونحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز[٣].

بيان: روى الجزء الأول من الخبر إلى قوله: فمتّعوا إلى حين.. الزمخشري والبيضاوي، عن عليّ عليه السلام.

٩ - **فس:** ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ يعني ممّن هلكوا من بني أميّة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾، قال: مكر بني فلان[٤].

بيان: المراد ببني فلان إمّا بنو العبّاس كما هو الظاهر، أو بنو أميّة، فيكون الخطاب للمتأخّرين من بني أميّة بتحذيرهم عمّا نزل على السابقين منهم في غزوة بدر وغيرها، أو الخطاب لبني العبّاس بتحذيرهم عمّا نزل ببني أميّة أوّلاً وأخيراً، وعلى تقدير كون المراد بني العبّاس يكون قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ على سبيل الالتفات، وعلى التقادير يحتمل أن يكون المراد أنّ قصّة هؤلاء نظير قصّة من نزلت الآية فيه، والقرآن لم ينزل لجماعة مخصوصة، بل نزل فيهم وفي نظائرهم إلى يوم القيامة.

١٠ - **فس:** قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، قال: نزلت لمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره، فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ لهم ليعمهوا فيها ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ كذلك نزلت، وهم بنو أميّة[٥].

بيان: أي كان في القرآن: ليعمهوا فيها.

١١ - **فس:** ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ في خبر هم بنو أميّة، والغاوون بنو فلان.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٦٥ ح ٧٢.

(٢) - (٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧١ في تفسيره لسورة ابراهيم، الآيتان: ٢٦ و٢٨.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٣ في تفسيره لسورة إبراهيم، الآيتان: ٤٥-٤٦.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٢ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ٦٠.

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ يقولون لمن تبعوهم: أطعناكم كما أطعنا الله فصرتم أرباباً[١].

بيان: بنو فلان: بنو العبّاس، وقد مرّ أنّ كلّ من يطاع بغير أمره تعالى فهم الأصنام ومن أطاعهم من المشركين في بطن القرآن، فلا ينافي كونها ظاهراً في الأصنام وعبدتهم مع أنّ ضمير: هم أنسب بهذا التأويل.

١٢ - **فس:** محمد الحمير، عن أبيه، عن محمد بن الحسين ومحمد بن عبد الجبّار معاً، عن محمد بن يسار، عن المنخل بن خليل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: يعني بني أُميّة[٢].

١٣ - **كنز:** محمد بن العباس، عن ابن عقدة، عن الحسن بن القاسم، عن علي بن إبراهيم بن المعلّى، عن فضيل بن إسحاق، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم، عن عباية عن عليّ عليه السلام قال: قوله عزّ وجلّ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ هي فينا وفي بني أُميّة[٣].

١٤ - **كنز:** محمد بن العباس، عن الحسن بن محمد بن جمهور القمي، عن أبيه، عن جعفر بن بشير، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن تفسير ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ قال: هم بنو أُميّة، وإنّما أنزلها الله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ بنو أُميّة ﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ عند قيام القائم عليه السلام[٤].

تبيين: كذا في النسخ: غلبت الروم بنو أُميّة، ولعلّه كان غلبت بنو أُميّة فزاد النسّاخ لفظ الروم، وعلى ما في النسخ وما في الخبر الأول من تفسير الروم ببني أُميّة يكون التعبير عنهم بالروم إشارة إلى ما سيأتي من أنّ نسبهم ينتهي إلى عبد روميّ، وهذا بطن للآية ولا ينافي ما مرّ من تفسير الآية موافقاً للمشهور.

قوله عليه السلام: عند قيام القائم عليه السلام. لعلّه على هذا التأويل قوله: يومئذٍ، إشارة إلى قوله: من بعد.

١٥ - **فس:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني بني أُميّة ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ يعني إلى ولاية عليّ عليه السلام ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾[٥].

بيان: ينادون: أي يوم القيامة، فيقال لهم: لمقت الله إيّاكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأمّارة بالسوء إذ تدعون إلى الإيمان.

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص٩٩ في تفسير لسورة الشعراء، الآيات: ٩٤، ٩٦-٩٨.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٧ في تفسيره لسورة غافر؛ الآية: ٦.

(٣) - (٤) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤٣٤.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٧ في تفسيره لسورة غافر، الآية: ١٠.

قال البيضاوي: ظرف لفعل دلّ عليه المقت الأول لا له، لأنّه أخبر عنه، ولا للثاني؛ لأنّ مقت أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة(١).

١٦ - **ل:** عمّار بن الحسين الأسروشي رضي الله عنه، عن علي بن محمد بن عصمة، عن أحمد ابن محمد الطبري، عن الحسن بن أبي شجاع البجلي، عن جعفر بن عبد الله الحنفي، عن يحيى بن هاشم، عن محمد بن جابر، عن صدقة بن سعيد، عن النضر بن مالك، قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام: يا أبا عبد الله، حدّثني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قال: نحن وبنو أُميّة اختصمنا في الله عزّ وجلّ، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. فنحن وإيّاهم الخصمان يوم القيامة(٢).

بيان: لا ينافي هذا التأويل ما مرّ من نزول الآية في ستة نفر تبارزوا في غزوة بدر: أمير المؤمنين عليه السلام قتل الوليد بن عتبة، وحمزة قتل عتبة، وعبيدة بن الحرث قتل شيبة، فإنّها تشمل كلّ طائفتين تخاصمتا في الله وإن كانت نزلت فيهم.

١٧ - **ل:** القطّان، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن محمد بن عبيد الله، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن الفضيل الزرقي، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: إنّ للنار سبعة أبواب: باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفّار ممّن لم يؤمن بالله طرفة عين، وباب يدخل منه بنو أُميّة هو لهم خاصّة لا يزاحمهم فيه أحد، وهو باب لظى، وهو باب سقر، وهو باب الهاوية تهوي بهم سبعين خريفاً، فكلّما هوى بهم سبعين خريفاً فار بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً، ثم هوى بهم كذلك سبعين خريفاً، فلا يزالون هكذا أبداً خالدين مخلّدين، وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وإنّه لأعظم الأبواب وأشدّها حرّاً.

قال محمد بن الفضيل الزرقي: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: الباب الذي ذكرت عن أبيك عن جدّك عليهما السلام أنّه يدخل منه بنو أُميّة، يدخله من مات منهم على الشرك أو ممّن أدرك منهم الإسلام؟ فقال: لا أمّ لك! ألم تسمعه يقول: وباب يدخل منه المشركون والكفّار. فهذا الباب يدخل فيه كلّ مشرك وكلّ كافر لا يؤمن بيوم الحساب، وهذا الباب الآخر الذي يدخل منه بنو أُميّة إنّه هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصّة، يدخلون من ذلك الباب فتحطمهم النار حطماً لا تسمع لهم فيها واعية ولا يحيون فيها ولا يموتون(٣).

بيان: لعلّ السائل اعترض السؤال بين الكلام، فلم يتمّ عليه السلام عد الأبواب، أو يكون السبعة باعتبار الاسم، أو المراد أنّ بني أُميّة يدخلون من أربعة أبواب، باب بعد باب، أو كلّ طائفة منهم من باب، فالمراد بالباب في الثالث الجنس، والأول أظهر.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٥.
(٢) الخصال، ص ٤٢ باب الاثنين ح ٣٥.
(٣) الخصال، ص ٣٦١ باب السبعة ح ٥١.

١٨ - **ما:** المفيد، عن الجعابي، عن الفضل بن الحبّاب، عن الحسين بن عبد الله الإبلي، عن أبي خالد الأسدي، عن أبي بكر بن عيّاش، عن صدقة بن سعيد الحنفي، عن جميع بن عمير، قال: سمعت عبد الله بن عمر بن الخطاب يقول: انتهى رسول الله ﷺ إلى العقبة، فقال: لا يجاوزها أحد. فعوّج الحكم بن أبي العاص فمه مستهزئاً به ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: من اشترى شاة مصراة فهو بالخيار. فعوّج الحكم فمه فبصر به النبيّ ﷺ فدعا عليه، فصُرع شهرين ثم أفاق، فأخرجه النبيّ ﷺ عن المدينة طريداً ونفاه عنها(١).

١٩ - **ما:** المفيد، عن المراغي، عن العباس بن الوليد، عن الحسين بن سعيد، عن أبيه، عن هارون بن سعيد، قال: صلّى بنا الوليد بن عقبة بالكوفة صلاة الغداة وكان سكراناً، فتغنّى في الثانية منها، وزادنا ركعة أُخرى، ونام في آخرها، فأخذ رجل من بكر بن وائل خاتمه من يده، فقال فيه علباء السدوسي:

تكلّم في الصلاة وزاد فيها ... مجاهرةً وعالن بالنفاق
وفاح الخمر عن ستر المصلّى ... ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني ... فما لكم وما لي من خلاق(٢)

٢٠ - **ل:** ابن موسى، عن محمد بن موسى الدقّاق، عن أحمد بن محمد بن داود الحنظلي، عن الحسين بن عبد الله الجعفي، عن الحكم بن مسكين، عن أبي الجارود، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: إنّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن، في كلّهنّ لا يستطيع إلّا أن يلعنه:

أوّلهنّ: يوم لعنه الله ورسوله وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجراً وأبو سفيان جاءٍ من الشام، فوقع فيه أبو سفيان يسبّه ويوعده، وهمّ أن يبطش به فصرفه الله عن رسوله.

والثانية: يوم العير إذ طردها ليحرزها من رسول الله ﷺ، فلعنه الله ورسوله.

والثالثة: يوم أُحد، قال أبو سفيان: اعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: الله أعلى وأجلّ. فقال أبو سفيان: لنا عُزّى ولا عُزّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: الله مولانا ولا مولى لكم.

والرابعة: يوم الخندق، جاء أبو سفيان في جمع قريش فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، وأنزل الله عزّ وجلّ في القرآن آيتين في سورة الأحزاب، فسمّى أبا سفيان وأصحابه كفّاراً، ومعاوية يومئذٍ مشرك عدوّ لله ولرسوله.

والخامسة: يوم الحديبية والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، وصدّ مشركو قريش رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام وصدّوا بدنه أن تبلغ المنحر، فرجع رسول الله ﷺ لم يطف بالكعبة ولم يقض نسكه، فلعنه الله ورسوله.

---

(١) - (٢) أمالي الطوسي، ص ١٧٥ مجلس ٦ ح ٢٩٥-٢٩٦.

والسادسة: يوم الأحزاب، يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وعامر بن الطفيل بجمع هوازن، وعيينة بن حصين بغطفان، وواعدهم قريظة والنضير أن يأتوهم، فلعن رسول الله ﷺ القادة والأتباع، وقال: أمّا الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمناً، وأمّا القادة فليس فيهم مؤمن ولا نجيب ولا ناجٍ.

والسابعة: يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة، وهم اثنا عشر رجلاً من بني أميّة وخمسة من سائر الناس، فلعن رسول الله ﷺ من على العقبة غير النبيّ ﷺ وناقته وسائقه وقائده. قال الصدوق رحمه الله: جاء هذا الخبر هكذا، والصحيح أنّ أصحاب العقبة كانوا أربعة عشر[1].

بيان: أقول: سيأتي مثله في احتجاج الحسن عليه السلام على معاوية.

قوله: والرابعة يوم الخندق. أقول: سيأتي في السادسة يوم الأحزاب وهما متّحدان، ولعلّ التكرار لتكرّر اللعن، بجهتين، أو الأول لبيان لعن الله تعالى إيّاهم وتسميتهم كفّاراً، والثاني لبيان لعن الرسول ﷺ، وفيما سيأتي من احتجاج الحسن عليه السلام: والرابعة يوم حنين، وهو بعيد من جهتين:

الأولى: أنّ أبا سفيان في غزوة حنين كان مع عسكر النبيّ ﷺ.

والثانية: أنّ الآية نزلت في الأحزاب، ولعلّه لتوهّم التكرار صحّفه الرواة والنسّاخ، وفيما سيأتي هكذا:

والسابعة: يوم الثنية، يوم شدّ على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً: سبعة منهم من بني أُميّة وخمسة من سائر قريش... ولعلّه أقرب، وما ذكره الصدوق رحمه الله يمكن أن يكون لإحدى العقبتين، فإنّ ظاهر الأخبار أنّ المنافقين كمنوا له ﷺ في عقبة تبوك مرّة، وفي عقبة الغدير عند الرجوع من حجّة الوداع أُخرى، والله يعلم.

٢١ - **ل:** أحمد بن محمد بن الصقر، عن محمد بن جعفر الزعفراني، عن أبي الأحوص، عن أبي بكر بن شيبة، عن أبي غسّان، عن حميد بن عبد الرحمن، عن الأعمش، عن عمرو ابن مرّة، عن عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن مالك الزبيدي، عن عبد الله بن عمرو: أنّ أبا سفيان ركب بعيراً له ومعاوية يقوده ويزيد يسوق به، فلعن رسول الله ﷺ الراكب والقائد والسائق[2].

٢٢ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، بإسناده إلى ابن عباس، قال: دخل أبو سفيان إلى النبيّ ﷺ يوماً، فقال: يا رسول الله، أُريد أن أسألك عن شيء؟ فقال ﷺ: إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني. قال: افعل. قال: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري؟ فقال: نعم يا

---

(١) الخصال، ص ٣٩٧ باب السبعة ح ١٠٥. (٢) الخصال، ص ١٩١ باب الثلاثة، ح ٢٦٤.

رسول الله. فقال: إنّي أعيش ثلاثاً وستين سنة. فقال: أشهد أنّك صادق. فقال ﷺ: بلسانك دون قلبك.

قال ابن عباس: والله ما كان إلّا منافقاً. قال: ولقد كنّا في محفل فيه أبو سفيان وقد كفّ بصره وفينا عليّ صلوات الله عليه فأذّن المؤذّن، فلمّا قال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله ﷺ، قال أبو سفيان: هاهنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم: لا. فقال: لله درّ أخي بني هاشم، انظروا أين وضع اسمه! فقال عليّ عليه السلام: أسخن الله عينك يا أبا سفيان، الله فعل ذلك بقوله عزّ من قائل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(١). فقال أبو سفيان: أسخن الله عين من قال لي: ليس هاهنا من يحتشم(٢).

٢٣ - **شي:** عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قال: لمّا تركوا ولاية عليّ عليه السلام وقد أمروا بها ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ قال: نزلت في ولد العبّاس(٣).

بيان: لعلّ المعنى نزلت في استيلاء ولد العبّاس على بني أُميّة ليوافق الخبر التالي، مع أنّه يحتمل نزولها فيهما وفي أمثالهما، ويكون انطباقها على بني أُميّة أظهر فلذا خصّت بهم في الخبر الثاني، والحاصل أنّه ذكر في كلّ مقام ما يناسبه من مورد نزول الآية، وأكثر الأخبار الواردة في تأويل الآيات كذلك.

٢٤ - **شي:** عن منصور بن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ قال: أخذ بني أُميّة بغتةً ويؤخذ بنو العبّاس جهرةً(٤).

٢٥ - **شي:** عن مسلم المشوف، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾، قال: هما الأفجران من قريش: بنو أُميّة وبنو المغيرة(٥).

٢٦ - **شي:** عن جرير، عمّن سمع أبا جعفر عليه السلام: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾ لهم ليعمهوا فيها ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ يعني بني أُميّة(٦).

٢٧ - **شي:** عن علي بن سعيد، قال: كنت بمكة فقدم علينا معروف بن خربوذ، فقال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إنّ علياً عليه السلام قال لعمر: يا أبا حفص، ألا أُخبرك بما نزل في بني أُميّة؟ قال: بلى. قال: فإنّه نزل فيهم: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾. فغضب عمر، وقال: كذبت، بنو أُميّة خير منك وأوصل للرحم(٧).

---

(١) سورة الانشراح، الآية: ٤. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٩٤.

(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٩ ح ٢٣ و٢٤ من سورة الأنعام.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٧ ح ٢٨ من سورة إبراهيم.

(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢٠ ح ٩٣-٩٤ من سورة الإسراء.

٢٨ - **شي:** عن الحلبي، عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، قالوا: سألناه عن قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾، قال: إنّ رسول الله ﷺ أُري أنّ رجالاً على المنابر يردّون الناس ضلالاً زريق وزفر، وقوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾. قال: هم بنو أُميّة(١).

وفي رواية أُخرى عنه: أنّ رسول الله ﷺ قد رأى رجالاً من نار على منابر ويردّون الناس على أعقابهم القهقرى، ولسنا نسمّي أحداً(٢).

وفي رواية سلام الجعفي، عنه أنّه قال: إنّا لا نسمّي الرجال بأسمائهم ولكنّ رسول الله ﷺ رأى قوماً على منبره يُضلّون الناس بعده عن الصراط القهقرى(٣).

٢٩ - **شي:** عن قاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً حاسراً حزيناً، فقيل له: ما لك يا رسول الله؟! فقال إنّي رأيت الليلة صبيان بني أُميّة يرقون على منبري هذا. فقلت: يا ربّي، معي؟ فقال: لا، ولكن بعدك(٤).

بيان: قوله عليه السلام: حاسراً. أي: كاشفاً عن ذراعيه، أو من الحسرة وإن كان الغالب فيه الحسير، والحاسر أيضاً: من لا مِغفر له ولا درع ولا جُنّة.

٣٠ - **شي:** عن أبي الطفيل، قال: كنت في مسجد الكوفة، فسمعت علياً عليه السلام يقول وهو على المنبر، وناداه ابن الكوّا وهو في مؤخّر المسجد، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾. فقال: الأفجران من قريش ومن بني أُميّة(٥).

بيان: لعلّ المراد بالأفجرين هنا الأول والثاني، فقوله: ومن بني أُميّة. أي: وجماعة من بني أُميّة، ويحتمل أن يكون كما مرّ، فصحّف.

٣١ - **شي:** عن عبد الرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ...﴾، قال: أُري رجالاً من بني تيم وعدي على المنابر يردّون الناس عن الصراط القهقرى. قلت: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾. قال: هم بنو أُميّة، يقول الله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾(٦).

٣٢ - **شي:** عن يونس، عن عبد الرحمن الأشل، قال: سألته عن قول الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾... الآيات، فقال: إنّ رسول الله ﷺ نام فرأى أنّ بني أُميّة يصعدون المنابر، فكلّما صعد منهم رجل رأى رسول الله ﷺ الذلّة والمسكنة، فاستيقظ جزوعاً من ذلك، وكان الذين رآهم اثني عشر رجلاً من بني أُميّة، فأتاه جبرائيل عليه السلام بهذه الآية، ثم قال جبرائيل: إنّ بني أُميّة لا يملكون شيئاً إلّا ملك أهل البيت ضعفيه(٧).

---

(١)- (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢٠ ح ٩٥-٩٨ من سورة الإسراء.
(٥) - (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢١ ح ٩٩-١٠٠ من سورة الإسراء.
(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢١ ح ١٠١.

بيان: لعلّ التخصيص بالاثني عشر لعدم الاعتناء بشأن بعضهم ممن كان ملكه قليلاً وكان أقلّ ضرراً على المسلمين، كمعاوية بن يزيد ومروان بن محمد؛ لأنّهم كانوا أكثر من اثني عشر، إذ كان أوّل ملوكهم عثمان، ثم معاوية، ثم يزيد بن معاوية، ثم معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم عبد الملك بن مروان، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم يزيد بن الوليد الناقص، ثم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، ثم مروان بن محمد.

٣٣ - **شي:** عن زرارة، قال: كان يوسف أبو الحجّاج صديقاً لعليّ بن الحسين عليه السلام، وإنّه دخل على امرأته فأراد أن يضمّها، أعني أمّ الحجّاج، قال: فقالت له: إنّما عهدك بذاك الساعة. قال: فأتى عليّ بن الحسين عليه السلام فأخبره، فأمره أن يمسك عنها، فأمسك عنها، فولدت بالحجّاج وهو ابن شيطان ذي الردهة[(١)].

بيان: إنّما عهدك بذلك: أي بالجماع، وإنّما قالت ذلك لأنّ الشيطان كان قد أتاها قبل ذلك بصورة يوسف، وشيطان الردهة وقع في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع.

٣٤ - **قب:** حدّثني ابن كادش في تكذيب العصابة العلويّة في ادّعائهم الإمامة النبويّة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله رأى العباس في ثوبين أبيضين، فقال: إنّه لأبيض الثوبين، وهذا جبرئيل يخبرني أنّ ولده يلبسون السواد.

عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب صفّين: أنّه نشر عمرو بن العاص في يوم صفّين راية سوداء. . . الخبر.

وفي أخبار دمشق: عن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي، قال ثوبان: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يكون لبني العباس رايتان مركزهما كفر وأعلاهما ضلالة، إن أدركتهما يا ثوبان فلا تستظلّ بظلّهما.

أُبيّ بن كعب: أوّل الرايات السود نصر، وأوسطها غدر، وآخرها كفر، فمن أعانهم كان كمن أعان فرعون على موسى.

تاريخ بغداد: قال أبو هريرة: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا أقبلت الرايات السود من قبل المشرق فإنّ أوّلها فتنة، وأوسطها هرج، وآخرها ضلالة.

أخبار دمشق: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أبو أمامة في خبر: أوّلها منشور، وآخرها مثبور.

تاريخ الطبري: إنّ إبراهيم الإمام أنفذ إلى أبي مسلم لواء النصرة وظلّ السحاب، وكان أبيض، طوله أربعة عشر ذراعاً، مكتوب عليها بالحبر: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢١ ح ١٠٣.

﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾[(١)]، فأمر أبو مسلم غلامه أرقم أن يتحوّل بكلّ لون من الثياب، فلمّا لبس السواد قال: معه هيبة. فاختاره خلافاً لبني أُميّة وهيبةً للناظر، وكانوا يقولون: هذا السواد حداد آل محمّد، وشهداء كربلاء، وزيد ويحيى[(٢)].

٣٥ - **ني:** علي بن أحمد، عن عبد الله بن موسى، عن البرقي، عن إبراهيم بن محمد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لا بدّ من ويل لولدي من ولدك، وويل لولدك من ولدي! فقال: يا رسول الله، أفلا أجبّ نفسي؟ فقال لي: علم الله قد مضى والأُمور بيد الله، وإنّ الأمر في ولدي[(٣)].

٣٦ - **ني:** محمد بن همام، عن أحمد بن مابنداد، عن أحمد بن هلال، عن الحسين بن علي بن فضال، عن سفيان بن إبراهيم الحميري، عن أبيه، عن أبي صادق، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: ملك بني العباس عسر عسر ليس فيه يسر، تمتدّ فيه دولتهم، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند لم يزيلوهم، ولا يزالون يتمرّغون ويتنعّمون في غضارة من ملكهم حتّى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم، ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم، لا يمرّ بمدينة إلّا فتحها، ولا ترفع له راية إلّا هدّها، ولا نعمة إلّا أزالها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع إلى رجل من عترتي يقول بالحقّ ويعمل به.

قال النعماني: يقول أهل اللغة: العلج: الكافر، والعلج: الجافي في الخلقة، والعلج: اللئيم، والعلج: الشديد في أمره. وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لرجلين كانا عنده: إنّكما علجان فعالجا عن دينكما، وكانا من العرب[(٤)].

بيان: قال في النهاية، في حديث عليّ عليه السلام: إنّه بعث رجلين في وجهٍ وقال: إنّكما عِلجان فعالجا عن دينكما. العلج: الرَّجل القويُّ الضَّخم، وعالجا: أي مارسا العمل الَّذي ندبتكما إليه واعملا به. وقال: العلج: الرَّجل من كفّار العجم وغيره.. وفي القاموس: العلج بالكسر: العير، وحمار الوحش السَّمين القويُّ والرغيف الغليظ الحرف، والرَّجل من كفّار العجم، ورجل علج ككتِف وصرد وسكر: شديد صريع معالج للأُمور. انتهى.

ولعلّه رحمه الله إنّما ذكر هذه المعاني لاستبعاد أن يكون من يأخذ الحقّ منهم ويُعطي صاحب الحقّ من الكفّار، وكان ذلك قبل انقراض دولتهم، والآن ظهر أنّ من استأصلهم كان هلاكو، وكان من الكفّار. وأمّا قوله عليه السلام يدفع، فعلى البناء للمجهول، أي: ثم يدفع إلى القائم عليه السلام ولو بعد حين، ويُحتمل أن يكون من الأخبار البدائية.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٣٠٠.

(٣) الغيبة للنعماني، ص ٢٤٨.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٢٤٩.

٣٧ - **كا:** العدّة، عن البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله عزّ وجلّ نزع الشهوة من رجال بني أُميّة وجعلها في نسائهم وكذلك فعل بشيعتهم، وإنّ الله عزّ وجلّ نزع الشهوة من نساء بني هاشم وجعلها في رجالهم، وكذلك فعل بشيعتهم[١].

٣٨ - **كا:** الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن الوشاء، عن أبان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه، فقال له: الوزغ بن الوزغ. قال أبو عبد الله عليه السلام: فمن يومئذٍ يرون أنّ الوزغ يسمع الحديث[٢].

٣٩ - **كا:** بالإسناد المتقدّم، عن أبان، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لمّا ولد مروان عرضوا به لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو له، فأرسلوا به على عائشة ليدعو له، فلمّا قرّبته منه، قال: أخرجوا عنّي الوزغ ابن الوزغ. قال زرارة: ولا أعلم إلّا أنّه قال ولعنه[٣].

٤٠ - **كا:** بالإسناد عن أبان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن أبي العباس المكّي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ عمر لقي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أنت الذي تقرأ هذه الآية: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[٤] تعرّضاً بي وبصاحبي؟! قال: أفلا أُخبرك بآية نزلت في بني أُميّة: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾[٥]. فقال: كذبت، بنو أُميّة أوصل للرحم منك، ولكنّك أبيت إلّا عداوة لبني تيم وعديّ وبني أُميّة[٦].

٤١ - **كا:** محمد بن يحيى، عن أبي عيسى، وأبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبّار جميعاً، عن علي بن حديد، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، قال: كان أبو جعفر عليه السلام في المسجد الحرام فذكر بني أُميّة ودولتهم، فقال له بعض أصحابه: إنّما نرجو أن تكون صاحبهم وأن يظهر الله عزّ وجلّ هذا الأمر على يدك. فقال: ما أنا بصاحبهم ولا يسرّني أن أكون صاحبهم، إنّ أصحابهم أولاد الزنا، إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق منذ خلق السماوات والأرض سنين ولا أيّاماً أقصر من سنينهم وأيّامهم، إنّ الله عزّ وجلّ يأمر الملك الذي في يده الفلك فيطويه طيّاً[٧].

٤٢ - **كا:** علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ولد المرداس من تقرّب منهم أكفروه، ومن تباعد منهم أفقروه، ومن ناواهم قتلوه، ومن تحصّن منهم أنزلوه، ومن هرب منهم أدركوه حتى تنقضي دولتهم[٨].

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٨٩١ باب ٣٨١ ح ٣٥.
(٢) - (٣) روضة الكافي، ح ٣٢٣-٣٢٤.
(٤) سورة القلم، الآية: ٦.
(٥) سورة محمد، الآية: ٢٢.
(٦) روضة الكافي، ص ٧٨٥ ح ٣٢٥.
(٧) - (٨) روضة الكافي، ص ٨٣٣ ح ٥٣٨ و٥٣٩.

بيان: التعبير عن ولد العباس بولد مرداس كناية بعيدة - لشدّة التقية - لأنّ عباس بن مرداس من الصحابة، فروعي لاشتراك الاسم بين العبّاسين.

أقول: قد مرّت الأخبار الكثيرة في لعن بني أُميّة في أبواب الآيات النازلة في الأئمّة عليهم السلام لا سيّما في باب تأويل الإيمان بهم عليهم السلام والشرك بأعدائهم، وتأويل آية النور، وسيأتي في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام بعد البيعة وسائر أبواب هذا المجلد، وفي باب احتجاج الحسن عليه السلام على معاوية.

٤٣ - **مد:** من صحيح البخاري، عن موسى بن إسماعيل، عن عمر بن يحيى بن سعيد، عن جدّه، قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة ومعنا مروان. قال أبو هريرة: سمعت الصادق الصدّيق يقول: هلاك أُمّتي على يدي غلمة قريش. فقال مروان: غلمة؟! فقال هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت. وكنت أخرج مع جدّي إلى بني مروان حين ملكوا الشام فإذا رآهم غلمان أحداثاً، قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم! قلت: أنت أعلم(١).

ومن صحيح مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن شعبة، عن أبي النباح، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: يهلك أُمّتي هذا الحيّ من قريش. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أنّ الناس اعتزلوهم(٢).

وروى من الجمع بين الصحيحين: مثله(٣).

٤٤ - **مد:** من تفسير الثعلبي، بإسناده عن سعيد بن المسيّب في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾(٤)، قال: أُري بني أُميّة على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنّها الدنيا يعطونها، فنزل عليه: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. قال: بلاء للناس.

وبإسناده أيضاً، عن المهلّبي، عن سهل بن سعد، عن أبيه، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أُميّة ينزون على منبره نزو القردة فساءه. فما استجمع ضاحكاً حتى مات، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾(٥).

بيان: قوله: فما استجمع ضاحكاً. أي: لم يضحك ضحكاً تامّاً. قال الطيبي في قوله: مستجمعاً ضاحكاً: المستجمع: المستجدّ للشيء القاصد له، أي: ضاحكاً كلّ الضحك.

٤٥ - **مد:** عن الثعلبي، بإسناده عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾(٦). قال:

---

(١) العمدة لابن البطريق، ص ٤٦٩ ح ٨١٤.
(٢) - (٣) العمدة لابن البطريق، ص ٤٥٢ ح ٩٤١ و٩٥٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.
(٥) العمدة لابن البطريق، ص ٤٥٢ ح ٩٤٢-٩٤٣.
(٦) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨-٢٩.

هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أُميّة، فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين.

وقال الثعلبي أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1] نزلت في بني أُميّة وبني هاشم[2].

٤٦ - **مد:** من مسند أحمد بن حنبل، بإسناده عن أبي ذرّ، عن النبي ﷺ، قال: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دخلاً.

وذكر الزمخشري في الفائق في حديث أبي هريرة: إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً كان مال الله دولاً، وعباده خولاً.

ونشأ للحكم بن أبي العاص أحد وعشرون ابناً، وولد لمروان بن الحكم تسعة بنين[3].

إيضاح: قال في النهاية في حديث أبي هريرة: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان مال الله دولاً ودين الله دخلاً وعباد الله خولاً... قال: الدُّول: جمع دُولَةٍ بالضَّم: وهو ما يُتداول من المال فيكون لقوم دون قوم... والدَّخَل بالتحريك: العيب والغِشُّ والفساد، وحقيقته أن يدخلوا في الدّين أُموراً لم تَجرِ بها السُّنَّة.. وقوله: خولاً. أي: خدماً وعبيداً، يعني أنّهم يستخدمونهم ويستعبدونهم.

٤٧ - **مد:** من كتاب الملاحم، تأليف أبي الحسن أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله، بإسناده عن زيد بن وهب، أنّه كان عند معاوية ودخل عليه مروان في حوائجه، فقال: اقض حوائجي يا أمير المؤمنين فإنّي أصبحت أبا عشرة وأخا عشرة. وقضى حوائجه ثم خرج، فلمّا أدبر قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير: أُنشدك الله يابن عباس، أما تعلم أنّ رسول الله قال ذات يوم: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دخلاً، فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من أوّل مرّة[4]؟ فقال ابن عباس: اللهمّ نعم. ثم إنّ مروان ذكر حاجة لما حصل في بيته فوجّه ابنه عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فيها فقضاها، فلمّا أدبر عبد الملك قال معاوية لابن عباس: أُنشدك الله يابن عباس، أما تعلم أنّ رسول الله ذكر هذا، فقال: هذا أبو الجبابرة الأربعة. فقال ابن عباس: اللهمّ نعم. فعند ذلك ادّعى معاوية زياداً.

وروى الطبري في تاريخه والواقدي وكافّة رواة الحديث أنّ الحكم بن أبي العاص كان سبب طرده وولده مروان حين طردهما رسول الله ﷺ أنّ الحكم اطّلع على رسول الله ﷺ يوماً في داره من وراء الجدار وكان من سعف، فدعا رسول الله ﷺ بقوس ليرميه فهرب.

---

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ٢٢.
(٢) العمدة لابن البطريق، ص ٤٥٣ ح ٩٤٤ و٩٤٦.
(٣) العمدة لابن البطريق، ص ٤٧٢ ح ٩٩٣.
(٤) في المصدر: من لوك تمرة.

وفي رواية: أنّه قال للنبيّ ﷺ في قسمة خيبر: اتّق الله يا محمّد! فقال له النبيّ ﷺ: لعنك الله ولعن ما في صلبك، أتأمرني بالتقوى وأنا جِبٌّ من الله تعالى؟! فلم يزالا طريدين حتى ملك عثمان فأدخلهما(١).

بيان: الجِبُّ بالكسر: المحبوب.

أقول: قال السيوطي - من مشاهير علماء المخالفين - في الدرّ المنثور: أخرج البخاري، عن يوسف بن هامان، قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه. فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ هذا أُنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾(٢). فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلّا أنّ الله أنزل عذري.

وأخرج عبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه ابن مردويه، عن محمد بن زياد، قال: لمّا بايع معاوية لابنه قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن: سنّة هرقل وقيصر. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾.... الآية فبلغ ذلك عائشة، فقالت: كذب مروان، كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمّي الذي أُنزلت فيه لسمّيته، ولكنّ رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فَضفضٌ من لعنة الله.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه، عن عبد الله، قال: إنّي لفي المسجد حين خطب مروان، فقال: إنّ الله قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟! إنّ أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية إلّا رحمة وكرامة لولده. فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه أُف لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعن أباك رسول الله ﷺ؟ قال: وسمعتها عائشة، فقالت: يا مروان! أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا، كذبت والله ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾.... الآية، قال: هذا ابن لأبي بكر.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدّي، قال: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه- وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم- فكانا يأمرانه بالإسلام ويردّ عليهما ويكذّبهما، فيقول: فأين فلان، وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممّن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فنزلت توبته في هذه الآية: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾.

(١) العمدة لابن البطريق، ص ٤٧٢ ح ٩٩٤.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

تبيين: أقول: وروى ابن بطريق مضامين تلك الأخبار عن الثعلبي، وروى عنه أنّه قال: قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والسدّي: نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر، وقيل: في عبد الرحمن بن أبي بكر. قال له أبواه أسلم وألحّا عليه في دعائه إلى الإيمان، فقال: أحيوا لي عبد الله بن جذعان وعامر بن كعب ومشايخ من قريش حتى أسألهم عمّا تقولون.

وقال في النهاية في حديث عائشة قالت لمروان: إنَّ الله (النبي) لعن أباك وأنت فَضَض من لعنة الله... أي: قطعة وطائفة منها.

ورواه بعضهم: فَظاظَةٌ من لعنة الله.. بظاءين من الفظيظة وهو ماء الكرش، وأنكره الخطّابي. وقال الزمخشري: افتظظت الكرش: اعتصرت ماءَها، كأنَّها عُصارة من اللعنة، أو فُعالة من الفظيظ: ماء الفحل، أي نطفة من اللعنة.

وقال في القاموس: الفَضَض محرَّكة: ما انتشر من الماءِ إذا تُطهِّر به، وكلُّ متفرِّقٍ ومنتشرٍ. ومنه قول عائشة لمروان: فأنت فَضَض من لعنة الله- ويروى فُضُض [وفُضاض] كعنقٍ وغراب - أي: قطعة منها.. وذكر فظاظةً أيضاً على وزن فُعالة في بابه، وفسّره بماءِ الكَرش يُعتصر ويُشرب في المفاوز.

فائدة: قال صاحب الكامل البهائي: إنّ أُميّة كان غلاماً روميّاً لعبد الشمس، فلمّا ألفاه كيساً فطناً أعتقه وتبنّاه، فقيل: أُميّة بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية: زيد بن محمد، ولذا روي عن الصادقين عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾: أنّهم بنو أُميّة، ومن هنا يظهر نسب عثمان ومعاوية وحسبهما، وأنّهما لا يصلحان للخلافة لقوله صلى الله عليه وآله: الأئمّة من قريش.

أقول: ذكر ابن أبي الحديد في آخر المجلد الخامس عشر من شرحه على النهج فصلاً طويلاً في مفاخرة بني هاشم وبني أُميّة، وفيه مثالب كثيرة من بني أُميّة لم نذكرها مخافة الإطناب والخروج عن مقصود الكتاب.

وقال مؤلّف كتاب إلزام النواصب: أُميّة لم يكن من صلب عبد شمس وإنّما هو من الروم، فاستلحقه عبد شمس فنُسب إليه، فبنو أُميّة كلّهم ليس من صميم قريش، وإنّما هم يلحقون بهم، ويصدّق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ بني أُميّة لصاق وليسوا صحيحي النسب إلى عبد مناف... ولم يستطع معاوية إنكار ذلك.

٤٨ - **نهج:** من كلام له عليه السلام: والله لا يزالون حتّى لا يَدَعوا لله مُحرَّماً إلّا استحلُّوه، ولا عَقْداً إلّا حَلوه، وحتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا دخله ظلمُهم، ونبا به سوءُ رِعيَتهم وحتّى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لدنياه، وحتّى تكون نُصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه، وحتّى يكون أعظمُهم فيها

غناءً أحسنكم بالله ظنّاً، فإن أتاكم الله بعافيةٍ فاقبلوا، وإن ابتُليتم فاصبروا، فإنّ العاقبة للمتّقين(١).

بيان: لا يزالون: أي بنو أُميّة ظالمين، فحذف الخبر، وسدّت حتى وما بعدها مسدّ الخبر. ويقال: نبا به منزله: إذا ضرَّه ولم يوافقه. وسوء رعتهم: أي سوءُ ورعِهم وتقواهم، يقال: ورع يرع - بالكسر فيهما - ورِعاً ورِعةً، ويروى: سوء رعيهم. قوله عليه السلام: نصرة أحدكم. أي: انتقامه من أحدهم بإضافة المصدر إلى الفاعل، وقيل: المصدر مضاف إلى المفعول في الموضعين، وتقدير الكلام: حتى يكون نصرة أحد هؤلاء الولاة لأحدكم. ومن في الموضعين داخلة على محذوف تقديره: من جانب أحدكم ومن جانب سيّده، وهو ضعيف ولا حاجة إلى التقدير، بل هو معنى «من» الابتدائية.

٤٩ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: أرسله على حين فترةٍ من الرُّسل، وطول هَجْعةٍ من الأمم، وانتقاضٍ من المبرم، فجاءهم بتصديق الّذي بين يديه، والنُّورِ المُقتدى به، ذلك القرآنُ فاستنطِقوه ولن يَنْطِقَ، ولكن أُخبركم عنه: ألا إنّ فيه علمَ ما يأتي، والحديثَ عن الماضي، ودواءَ دائكم، ونَظْمَ ما بينكم.

منها: فعند ذلك لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلّا وأدخله الظّلمة ترحةً، وأولجوا فيه نِقمة، فيومئذٍ لا يبقى لهم في السّماءِ عاذرٌ ولا في الأرض ناصرٌ، أصْفَيْتم بالأمر غير أهلِه، وأورَدْتموه غير موردِه وسيَنْتقِم الله ممّن ظلم، مأكلاً بمأكلٍ، ومشرباً بمشربٍ من مطاعِم العلقَم ومشارب الصَّبر والمقر، ولباس شِعار الخوف، ودِثار السَّيف، وإنّما هم مطايا الخطيئات، وزوامِل الآثام، فأُقسم ثمّ أُقسم لتنخَمَنَّها أُميّة من بعدي كما تُلْفَظ النُّخامة ثمّ لا تذوقها ولا تتطعّم بطعْمِها أبداً ما كرَّ الجديدان(٢).

توضيح: قوله عليه السلام: فعند ذلك. إخبار عن ملك بني أُميّة بعده وزوال أمرهم عند تفاقم فسادهم في الأرض. أصْفَيْتُم: أي خصصتم بالأمر، أي: الخلافة. وأوردتموه غير مورده: أي أنزلتموه عند غير مستحقّه. والمقر كَكَتفٍ: المُرُّ أو الصَّبر أو شبيهٌ به أو السُّمُّ. والزّامِلة: الّتي تُحْمَل عليها من الإبل وغيرها. قوله عليه السلام: ثم لا تذوقها. قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: إنّهم قد ملكوا بعد الدولة الهاشميّة بالمغرب مدّة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز، وما عداهما من الأقاليم النائية لا اعتداد به.

أقول: لعلّ المراد به انقطاع تلك الدولة المخصوصة وعدم العود إلى أصحابها، ومع ذلك لا بدّ من التخصيص بغير السفياني الموعود.

٥٠ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام: حتّى يظُنَّ الظّانُّ أنّ الدُّنيا مَعْقُولة على بني أُميّة، تمنحهم

(١) نهج البلاغة، ص ٢١٨ خ ٩٧.
(٢) نهج البلاغة، ص ٣١٧ خ ١٥٦.

درَّها وتُورِدهم صَفْوَها ولا يُرْفع عن هذه الأُمّة سوطُها ولا سيفُها، وكذب الظّانُّ لذلك، بل هي مُجّة من لذيذ العيش يتطعَّمونها بُرْهةً؛ ثمّ يَلْفِظونها جُمْلَةً(١).

بيان: المنح: العطاءُ. والدَّرُّ في الأصل: اللبَن، ثم استعمل في كلّ خير. ومجّ الشَّراب: قَذَفه من فيه. كنّى عليه السلام بكونها مطعومة لهم عن تلذّذهم بها مدّة ملكهم، وبكونها ملفوظة من فيهم عن زوالها عنهم. والبُرْهة: مدَّة من الزّمان لها طول. ثم يَلْفظونها: أي يرمونها.

٥١ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم: يَعْطِف الهوى على الهدى إذا عَطَفوا الهدى على الهوى، ويَعْطِف الرَّأي على القرآن إذا عَطَفوا القرآن على الرَّأي.

منها: حتّى تقوم الحرب بكم على ساقٍ، بادياً نواجِذُها، مَمْلوءَةً أخلافها، حُلْواً رَضَاعها، عَلْقماً عاقبَتُها، ألا وفي غدٍ- وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون- يأخذ الوالي من غيرها عمّالَها على مساوي أعمالها، وتُخرِج له الأرض أفاليذَ كَبِدها، وتُلقي إليه سلماً مقاليدها، فيُريكم كيف عدْلُ السيرة، ويُحيي مَيّت الكتاب والسُّنَّة.

منها: كأني به قد نَعَق بالشّام وفَحَص براياتِه في ضَوَاحي كُوفَان، فعَطف عليها عَطْف الضَّروس، وفَرَش الأرض بالرُّؤوس، قد فغرت فاغِرته وثَقُلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيمُ الصَّولة، والله ليُشردنَّكم في أطراف الأرض حتّى لا يَبْقى منكم إلّا قليل كالْكُحل في العين، فلا تزالون كذلك حتّى تؤوب إلى العرب عوازِب أحلامِها، فالزموا السُّنن القائمة والآثار البيِنة، والعَهْد القريب الّذي عليه باقي النُّبوة، واعلموا أنَّ الشيطان إنَّما يُسنّي لكم طرقه لتتّبعوا عقبه(٢).

إيضاح: لعلّ أوّل الكلام إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام، وكذا قوله: وسيأتي غد وما قبله، إلى الفترة التي تظهر قبل القائم عليه السلام. وقِيام الحرب على ساقٍ: كِناية عن شِدَّتها، وقيل الساق: الشدَّة. وبدو نواجذها عن الضحك تهكّماً عن بلوغ الحرب غايتها. كما أنّ غاية الضحك أن تبدو النواجذ. والأخلاف للنّاقة: حَلَمَات الضرع، وإنّما قال عليه السلام: حلواً رضاعها؛ لأنّ النجدة في أوّل الحرب يقبلون عليها، ومرارة عاقبتها؛ لأنّها القتل؛ ولأنّ مصير أكثرهم إلى النار، والمنصوبات الأربعة أحوال، والمرفوع بعد كلّ منها فاعل، وإنّما ارتفع عاقبتها بعد علقماً مع أنّه اسم صريح، لقيامه مقام اسم الفاعل كأنّه قال: مريرة عاقبتها. قوله عليه السلام: ألا وفي غدٍ. قال ابن أبي الحديد: تمامه.

قوله عليه السلام: يأخذ الوالي. وبين الكلام جملة اعتراضية قد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس كانت ذات ملك وافرة فذكر عليه السلام أنّ الوالي يعني القائم عليه السلام يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم، وعلى هاهنا متعلقة بيأخذ، وهي بمعنى يؤاخذ. والأفاليذ: جمع أفلاذٍ وهي

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٨٣ خ ٨٦ آخر الخطبة. (٢) نهج البلاغة، ص ٢٨٦ خ ١٣٦.

جمع فلْذَة، وهي القِطْعة من الكَبِد، كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم عليه السلام، وقد فسّر قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ بذلك في بعض التفاسير. وقوله عليه السلام: سلماً. مصدر سدّ مسدّ الحال أو تمييز. قوله عليه السلام: كأنّي به. الظاهر أنّه إشارة إلى السفياني.

وقال ابن أبي الحديد: إخبار عن عبد الملك بن مرْوان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيّام عبد الرحمن بن الأشعث، وقتله أيّام مصعب بن الزبير. وقال: مفعول فحص محذوف، أي: فحص الناس براياته، أي: نحّاهم وقلّبهم يميناً وشمالاً.

وضواحي كوفان: ما قرب منها من القرى، وقد سار لقتال مصعب بعد أن قتل مصعب المختار، فالتقوا بأرض مسكن من نواحي الكوفة. قد فَغَرت فاغرته: أي انفتحَ فوه، ويقال: فغر فاه يتعدّى ولا يتعدّى. وثقُل وطأته: كناية عن شدّة ظلمه وجوره. بعيد الجولة: أي جولان خيوله وجيوشه في البلاد، فيكون كناية عن اتّساع ملكه، أو جولان رجاله في الحرب بحيث لا يتعقّبه السكون. وشَرَد البعير: نَفَر وذهب في الأرض. وعوازِب أحلامِها: أي ما ذهب وغاب من عقولها.

وقال ابن ميثم رحمه الله: فإن قلت: قوله عليه السلام: حتى تؤوب. يدلّ على انقطاع تلك الدولة بظهور العرب، وعبد الملك مات وقام بعده بنوه بالدولة. قلت: الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية لكونهم لا يزالون مشرّدين في البلاد مقهورين، وذلك الانقهار وإن كان أصله من عبد الملك إلّا أنّه استمرّ في زمان أولاده إلى حين انقضاء دولتهم[1]. وقال بعض الشارحين: إنّ ملك أولاده ملكه. وهذا جواب من لم يتدبّر في كلامه عليه السلام.

والعرب هاهنا هم بنو العباس ومن معهم من العرب أيّام ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب البطائي وابنيه حميد والحسن، وكبني رزيق منهم طاهر بن الحسين وإسحاق بن إبراهيم وغيرهم من العرب. وقيل: إنّ أبا مسلم أصله عربي. قوله عليه السلام: والعهد القريب. قال ابن أبي الحديد: أي عهده وأيّامه عليه السلام، وكأنّه دفع لما عساه يتوهّمونه من أنه إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها فيجب عليهم اتّباع الدولة الجديدة في كل ما تفعله، فوصّاهم بأنّه إذا تبدّلت الدولة فالزموا الكتاب والسنّة والعهد الذي فارقتكم عليه. قوله عليه السلام: إنّما يسنّي. أي: يُسهل.

٥٢ - **كا:** أحمد بن محمد الكوفي، عن جعفر بن عبد الله المحمّدي، عن أبي روح فرج ابن قرّة، عن جعفر بن عبد الله، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ وآله، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى لم يقصم جبّاري دهر إلّا من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ج ٣ ص ١٧٤.

الأُمم إلّا بعد أزل وبلاء. أيّها الناس، في دون ما استقبلتم من عطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر عين ببصير.

عباد الله، أحسنوا فيما يعنيكم النظر فيه، ثم انظروا إلى عرصات من قد أقاده الله بعلمه، كانوا على سنّة من آل فرعون، أهل جنّات وعيون وزروع ومقام كريم، ثم انظروا بما ختم الله لهم بعد النضرة والسرور والأمر والنهي، ولمن صبر منكم العاقبة في الجنان والله مخلّدون ولله عاقبة الأُمور. فيا عجبا وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتفون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصيّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا، وكلّ امرئ منهم إمام نفسه أخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات وأسباب محكمات، فلا يزالون بجور ولن يزدادوا إلّا خطأً، لا ينالون تقرّباً ولن يزدادوا إلّا بعداً من الله عزّوجلّ، أُنس بعضهم ببعض، وتصديق بعضهم لبعض، كلّ ذلك وحشة ممّا ورث النبيّ الأُمّي صلّى الله عليه وآله ونفوراً ممّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السماوات والأرض، أهل حسرات، وكهوف شبهات، وأهل عشوات وضلالة وريبة، من وكله الله إلى نفسه ورأيه فهو مأمون عند من يجهله غير المتّهم عند من لا يعرفه، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها.

ووا أسفاً من فعلات شيعتي من بعد قرب مودّتها اليوم! كيف يستذلّ بعدي بعضها بعضاً؟ وكيف يقتل بعضها بعضاً؟ المتشتّتة غداً عن الأصل النازلة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته، كلّ حزب منهم أخذ منه بغصن أينما مال الغصن مال معه، مع أنّ الله وله الحمد يستجمع هؤلاء لشرّ يوم لبني أُميّة كما يجمع قزع الخريف، يؤلّف الله بينهم ثم يجعلهم ركاماً كركام السحاب، ثم يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين سيل العرم حيث بعث عليه فارة فلم تثبت عليه أكمةٌ ولم يردّ سننه رصّ طور، يذعذعهم الله في بطون أودية ثم يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكّن من قوم لديار قوم تشريداً لبني أُميّة ولكيلا يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع الله بهم ركناً، وينقض بهم طيّ الجنادل من إرم، ويملأ منهم بطنان الزيتون.

فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليكوننّ ذلك، وكأنّي أسمع صهيل خيلهم، وطمطمة رجالهم. وايم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكن في البلاد كما تذوب الألية على النار، من مات منهم مات ضالاً، وإلى الله عزّوجلّ يفضي منهم من درج، ويتوب الله عزّوجلّ على من تاب، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التشتّت لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد على الله عزّوجلّ ذكره الخيرة، بل لله الخيرة والأمر جميعاً.

أيّها الناس، إنّ المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير، ولو تتخاذلوا عن مرّ الحقّ ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقوَ من قوي عليكم وعلى هضم

الطاعة وإزوائها عن أهلها، لكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام. ولعمري أيضاً ليضاعفنّ عليكم التيه من بعدي أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل.

ولعمري أن لو قد استكملتم من بعدي مدّة سلطان بني أُميّة لقد اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الضلالة، وأحييتم الباطل، وخلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم لدنا التمحيص للجزاء، وقرب الوعد، وانقضت المدّة، وبدا لكم النجم ذو الذنب من قبل المشرق، ولاح لكم القمر المنير، فإذا كان ذلك فراجعوا التوبة، واعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلى الله عليه وآله، فتداويتم من العمى والصمم والبكم، وكفيتم مؤونة الطلب والتعسّف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق، ولا يبعد الله إلّا من أبى وظلم واعتسف وأخذ ما ليس له، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون[1].

توضيح: في دون ما استقبلتم: الظاهر أنّ هذه الخطبة كانت بعد قتل عثمان وانعقاد البيعة له عليه السلام، وحدوث بعض مبادي الفتن، فالمراد بما استدبروه: استيلاء خلفاء الجور وتمكنهم ثم زوال دولتهم، وبما استقبلوه ما حدث من الفتن بعد خلافته عليه السلام، فإنّ التدبّر فيها يورث العلم بأنّ بناء الدنيا على الباطل، وأنّ الحقّ لا يستقيم فيها، وأنّ الحقّ والباطل كليهما إلى فناء وانقضاء؛ أو المراد بما استدبروه: ما وقع في زمن الرسول صلى الله عليه وآله أوّلاً وآخراً، وبما استقبلوه ما كان بعده صلى الله عليه وآله مطابقاً للأحوال السابقة من غلبة الباطل أوّلاً ثم مغلوبيّته ثانياً؛ ويحتمل أن يكون المراد بما يستقبل وما يستدبر: شيئاً واحداً فإنّ ما يستقبل قبل وروده يستدبر بعد مضيّه؛ أو المراد بما يستقبلونه: ما أمامهم من أحوال البرزخ والقيامة، وبما استدبروه ما مضى من أيّام عمرهم، ولا يخفى بعده.

فيما يعنيكم - بالمهملة - أي: يُهمُّكم أو بالمعجمة. وقوله عليه السلام: النظر فيه. بدل اشتمال لقوله: فيما يعنيكم، أو فاعل لقوله: يعنيكم، بتقدير الظرف. من قد أقاده الله: أي جعله قائداً ومكّنه من الملك أو من القود. وفي الإرشاد: أباده الله بعمله. وهو أظهر. بما ختم الله لهم: الظرف صلة للختم قدم عليه، أي: انظروا بأيّ شيء ختم لهم، أو الباء بمعنى في، أو إلى، أو زائدة. والله مخلّدون: خبر محذوف والجملة مبنيّة ومؤكّدة للسابقة أو استئنافيّة، كأنّه سأل عن عاقبتهم فقيل: هم والله مخلّدون. ولله عاقبة الأمور: أي مرجعها إلى حكمه، أو عاقبة الملك والدولة والعزّة لله ولمن طلب رضاه.

فيا عجبا: بغير تنوين، وأصله: يا عجبي، أو بالتّنوين، أي: يا قوم اعجبوا عجباً،

---

(١) الروضة من الكافي، ص ٧٠٢ ح ٢٢.

والأوّل أظهر. في دينها: متعلّق بالاختلاف، أو بالخطأ أو بهما على التنازع. والمراد بالحجج: المذاهب والطرق أو الدلائل عليها.

ولا يعفّون: بالتشديد وكسر العين، من العفّة، أو بالتخفيف والسكون من العفو. المعروف فيهم ما عرفوا: أي المعروف والمنكر تابعان لآرائهم - وإن خالفت الواقع - أو لشهواتهم، ولا يبالون بعدم موافقة الشريعة. وكهوف شبهات: أي تأوي إليهم. والعشوة: أن يركب أمراً على غير بيانٍ. من وكله الله إلى نفسه: أي بسبب إعراضه عن الحقّ، وهو مبتدأ. وقوله: فهو مأمون، خبره ولعلّ المراد بالموصول أئمّة من قد ذمّهم سابقاً لا أنفسهم. من فعلات شيعتي: أي من يتّبعني اليوم ظاهراً.

كلّ حزب منهم أخذ بغصن: أي لتفرّقهم عن أئمّة الحقّ صاروا شعباً شتّى، كلّ منهم أخذ بغصن من أغصان شجرة الحقّ بزعمهم ممّن يدّعي الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام مع تركهم الأصل. يستجمع هؤلاء: إشارة إلى اجتماعهم على أبي مسلم لدفع بني أُميّة، لكن دفعوا الفاسد بالأفسد. كما يجمع قَزَع الخريف: أي قطع السَّحاب المتفرّقة، وإنّما خصَّ الخريف لأنّه أوّل الشتاء، والسَّحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبقٍ ثمَّ يجتمع بعضُه إلى بعضٍ بعد ذلك. والرُّكام: السَّحاب المتراكم بعضُه فوق بعضٍ، ونسبة هذا التأليف إليه تعالى مع أنّه لم يكن برضاه على المجاز الشائع في الآيات والأخبار.

ثم يفتح لهم أبواباً: فتح الأبواب كناية عمّا هيّأ لهم من الأسباب استدراجاً. والمستثار موضع ثوراتهم وهيجانهم، وشبّه عليه السلام تسلّط هذا الجيش عليهم بسوء أعمالهم بما سلّط الله على أهل سبأ بعد إتمام النعمة عليهم لكفرانهم، كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

قوله عليه السلام: حيث بعث عليه فارة. هذا مؤيّد لما قيل إنّ العرم: الفارة، وأُضيف السيل إليه؛ لأنّه نقب لهم سكراً ضربت لهم بلقيس. وفي النهج: كسيل الجنّتين حيث لم تسلم عليه فارةٌ ولم تثبُت له أكمة. والفارة: الجبل الصَّغير، والأكمة: التَّلُّ. والحاصل بيان شدّة الشبه به بأنّه أحاط بالجبال وذهب بالتلال ولم يمنعه شيء. ولم يرد سننه رصّ طود: السَّنَن: الطَّريق، والرَّصُّ: التصاق الأجزاءِ بعضها ببعضٍ، والطَّوْد: الجبل، أي: لم يرد طريقه طود مرصوص. وفي النهج بعده: ولا حداب أرض.

ولمّا فرغ عليه السلام من بيان شدّة المشبّه به أخذ في بيان شدّة المشبّه، فقال: يذعذعهم الله في

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٥-١٦.

بطون أودية. الدَّعذعة: التَّفريق، أي: يفرّقهم الله في السبل متوجّهين إلى البلاد. ثم يسلكهم ينابيع في الأرض: هي من ألفاظ القرآن، أي: كما أنّ الله تعالى ينزّل الماء من السماء فيستكنّ في أعماق الأرض ثم يظهر ينابيع إلى ظاهرها، كذلك هؤلاء يفرّقهم الله في بطون الأودية وغوامض الأغوار ثم يظهرهم بعد الاختفاء، كذا ذكره ابن أبي الحديد، ويحتمل أن يكون بياناً لاستيلائهم على البلاد وتفرّقهم فيها وظهورهم في كلّ البلاد وتيسير أعوانهم من سائر العباد، فكما أنّ مياه الأنهار ووفورها توجب وفور مياه العيون والآبار فكذلك يظهر أثر هؤلاء في كلّ البلاد وتكثر أعوانهم في جميع الأقطار، وكلّ ذلك ترشيح لما سبق من التشبيه.

من قوم: أي بني أميّة. حقوق قوم: أي أهل البيت عليهم السلام للانتقام من أعدائهم وإن لم يصل الحقّ إليهم. ويمكّن من قوم: أي بني العباس. لديار قوم: أي بني أُميّة. وفي بعض النسخ: ويمكّن بهم قوماً في ديار قوم. وفي النهج: ويمكّن لقوم في ديار قوم. وهما أظهر. تشريداً لبني أميّة: أي ليس الغرض إلّا تفريق بني أميّة ورفع ظلمهم. يضعضع الله بهم ركناً: ضَعْضَعَه هدَمَه حتّى الأرض، أي: يهدم الله بهم ركناً وثيقاً وهو أساس دولة بني أُميّة. وينقض بهم طيّ الجنادل من إرم. الجنادل: جمع جندلٍ، وهو ما يُقلّه الرَّجل من الحجارة، أي: ينقض الله الأبنية التي طويت وبنيت بالجنادل.

من بلاد إرم: وهي دمشق والشام؛ إذ كان مستقرّ ملكهم في أكثر الأزمان تلك البلاد وفي بعض النسخ: على الجنادل. ويملأ منهم بطنان الزيتون: بطنان الشَّيءِ وسطه ودواخله. وقال الفيروزآبادي: الزَّيتون مسجد دمشق، أو جبال الشّام، وبلدٌ بالصين. والغرض استيلاؤهم على وسط بلاد بني أميّة. والصَّهيل كأمِير: صوت الفرس. وقال الفيروزآبادي: رجل طِمْطِمٌ وطِمْطِميٌّ بكسرهما، وطُمْطُمانيٌّ بالضَّم: في لسانه عُجْمةٌ. انتهى. وأشار عليه السلام بذلك إلى أنّ أكثر عسكرهم من العجم كما أنّ عسكر أبي مسلم كان أكثرهم من خراسان. ليذوبنّ ما في أيديهم: أي بني أميّة. ويحتمل أن يكون إشارة إلى انقراض هؤلاء الغالبين من بني العباس. وإلى الله عزّ وجلّ يقضي منهم من درج: في بعض النسخ: يفضي بالفاء. أي: يوصل، وفي بعضها بالقاف: بمعنى المحاكمة أو الإنهاءُ والإيصال. ودرج الرَّجل: أي مشى، ودرج أيضاً: مات، ودرج القوم: انقرَضوا، والظاهر أنّ المراد به هنا الموت، أي: من مات منهم مات ضالاً وأمره إلى الله يعذّبه كيف يشاء، وعلى الأول المعنى من بقي منهم فعاقبته الفناء والله يقضي فيه بعلمه. ولعلّ الله يجمع شيعتي: إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام ولا يلزم اتّصاله بملكهم؛ لأنّه شرّ لهم، كما سيأتي في الأخبار على كل حال.

عن مرّ الحقّ: أي الحقّ الذي مرّ، أو خالص الحقّ، فإنّه أمرّ. وفي النهج: عن نصر الحقّ. وعلى هضم الطاعة: أي كسْرِها وإزوائها، يقال: زوى الشيء عنه، أي: صرفه ونحّاه، ولم أظفر بهذا البناء. ولكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل: في خارج المصر أربعين

سنة في الأرض بسبب عصيانهم وترك الجهاد، فكذا أصحابه عليه السلام تحيّروا في أديانهم وأعمالهم لمّا لم ينصروه على عدوّه. وفي النهج: ولكنّكم تِهتم مَتاه بني إسرائيل أضعاف ما تاهت. أي: بحسب الشدّة أو بحسب الزمان. والداعي إلى الضلالة: داعي بني العباس. وخلّفتم الحقّ: أي متابعة أهل البيت عليهم السلام. وقطعتم الأدنى: أي الأدنين إلى الرسول صلى الله عليه وآله نسباً، الناصرين له في غزوة بدر، يعني نفسه وأولاده عليهم السلام.

ووصلتم الأبعد: أي أولاد العباس فإنّهم كانوا أبعد نسباً من أهل البيت عليهم السلام، وكان جدّهم العباس ممّن حارب النبيّ صلى الله عليه وآله في غزوة بدر. أن لو قد ذاب ما في أيديهم: أي ذهب ملك بني العباس. لدنا التمحيص للجزاء: أي قَرُب قيام القائم عليه السلام وفيه التمحيص والابتلاء ليجزي الكافرين ويعذّبهم في الدنيا أو القيامة. وقرب الوعد: أي وعد الفرج. وانقضت المدّة: أي قرب انقضاء مدّة أهل الباطل. والنجم ذو الذنب: من علامات ظهور القائم عليه السلام والمراد بالقمر المنير: القائم عليه السلام، وكذا طالع المشرق؛ إذ مكة شرقيّة بالنسبة إلى المدينة، أو لأن اجتماع العساكر عليه وتوجّهه إلى فتح البلاد من الكوفة وهي كالشرقيّة بالنسبة إلى الحرمين، ولا يبعد أن يكون ذكر المشرق ترشيحاً للاستعارة، أي: القمر الطالع من مشرقه، ويحتمل أن يكون إشارة على ظهور السلطان إسماعيل أنار الله برهانه. والتَّعسُّف: الظُّلم. والثِّقل الفادح: الديون المثقلة والمظالم أو بيعة أهل الجور وطاعتهم وظلمهم. إلّا من أبى: أي عن طاعة القائم عليه السلام أو الربّ تعالى. واعتسف: أي مال عن طريق الحقّ إلى غيره، أو ظلم على غيره.

٥٣ - **ما:** الحسين بن إبراهيم، عن محمد بن وهبان، عن علي بن حبشي، عن العباس بن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن صفوان وجعفر بن عيسى، عن الحسين بن أبي غندر، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتّقوا الله وعليكم بالطاعة لأئمّتكم، قولوا ما يقولون واصمتوا عمّا صمتوا، فإنّكم في سلطان من قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[1]، يعني بذلك ولد العباس، فاتّقوا الله فإنّكم في هدنة، صلوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وأدّوا الأمانة إليهم[2].

٣٢ - باب ما ورد في جميع الغاصبين والمرتدّين مجملاً

١ - **م:** قوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: مثل هؤلاء المنافقين كمثل الذي استوقد ناراً أبصر بها

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٦.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٦٧ مجلس ٣٦ ح ١٣٩٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦.

ما حوله، فلمّا أبصر ذهب الله بنورها بريح أرسلها عليها فأطفأها أو بمطر، كذلك مثل هؤلاء المنافقين الناكثين لمّا أخذ الله تعالى عليهم البيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أعطوا ظاهراً شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ عليّاً وليّه ووصيّه ووارثه وخليفته في أُمّته، وقاضي ديونه، ومنجز عداته، والقائم بسياسة عباد الله مقامه، فورث مواريث المسلمين بها، ووالوه من أجلها، وأحسنوا عنه الدفاع بسببها، واتّخذوا أخاً يصونونه ممّا يصونون عنه أنفسهم بسماعهم منه لها، فلمّا جاء الموت وقع في حكم ربّ العالمين العالم بالأسرار الذي لا يخفى عليه خافية، فأخذهم بعذاب باطن كفرهم فذلك حين ذهب نورهم وصاروا في ظلمات عذاب الله، ظلمات أحكام الآخرة، لا يرون منها خروجاً ولا يجدون عنها محيصاً.

ثم قال: صمٌّ: يعني يصمّون في الآخرة في عذابها. بكمٌ: يبكمون بين أطباق نيرانها. عميٌ: يعمون هناك. وذلك نظير قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(١).

قال العالم عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ما من عبد ولا أمة أعطى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام في الظاهر ونكثها في الباطن، وأقام على نفاقه إلّا وإذا جاءه ملك الموت لقبض روحه تمثّل له إبليس وأعوانه، وتمثّل له النيران وأصناف عقاربها لعينيه وقلبه ومعاقده من مضايقها، ويمثّل له أيضاً الجنان ومنازله فيها لو كان بقي على إيمانه ووفى ببيعته، فيقول له ملك الموت: انظر فتلك الجنان لا يقدر قدر سرائها وبهجتها وسرورها إلّا الله ربّ العالمين، كانت معدّة لك، فلو كنت بقيت على ولايتك لأخي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله كان إليها مصيرك يوم فصل القضاء، لكنّك نكثت وخالفت فتلك النيران وأصناف عذابها وزبانيتها بمرزباتها وأفاعيها الفاغرة أفواهها، وعقاربها الناصبة أذنابها، وسباعها الشائلة مخالبها، وسائر أصناف عذابها هو لك وإليها مصيرك، فعند ذلك يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾(٢)، فقبلت ما أمرني به والتزمت من موالاة علي عليه السلام ما ألزمني.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾(٣).

قال العالم عليه السلام: ثم ضرب الله للمنافقين مثلاً آخر، فقال: مثل ما خوطبوا به من هذا القرآن الذي أنزلنا عليك يا محمّد مشتملاً على بيان توحيدي وإيضاح حجّة نبوّتك، والدليل

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٧. (٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٩-٢٠.

الباهر على استحقاق أخيك عليّ للموقف الذي وقفته، والمحلّ الذي أحللته، والرتبة التي رفعته إليها، والسياسة التي قلّدته إيّاها فيه، فهي كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق.

قال: يا محمّد، كما أنّ في هذا المطر هذه الأشياء ومن ابتلى به خاف فكذلك هؤلاء في ردّهم بيعة عليّ عليه السلام وخوفهم أن تعثر أنت يا محمّد على نفاقهم كمن هو في مثل هذا المطر والرعد والبرق يخاف أن يخلع الرعد فؤاده، أو ينزل البرق بالصاعقة عليه، فكذلك هؤلاء يخافون أن تعثر على كفرهم فتوجب قتلهم واستئصالهم ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ كما يجعل هؤلاء المبتلون بهذا الرعد والبرق أصابعهم في آذانهم لئلّا يخلع صوت الرعد أفئدتهم، فكذلك يجعلون أصابعهم في آذانهم إذا سمعوا لعنك لمن نكث البيعة، ووعيدك لهم إذا علمت أحوالهم.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ لئلّا يسمعوا لعنك ولا وعيدك فتغيّر ألوانهم فيستدلّ أصحابك أنّهم المعنيون باللعن والوعيد، لما قد ظهر من التغيير والاضطراب عليهم فيتقوّى التهمة عليهم فلا يأمنون هلاكهم بذلك على يدك وحكمك.

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مقتدر عليهم ولو شاء أظهر لك نفاق منافقيهم، وأبدى لك أسرارهم، وأمرك بقتلهم.

ثم قال: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، وهذا مثل قوم ابتلوا ببرق فلم يغضّوا عنه أبصارهم ولم يستروا عنه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألُئه، ولم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق ولكنهم نظروا إلى نفس البرق فكاد يخطف أبصارهم، فكذلك هؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالّة على نبوّتك الموضحة عن صدقك في نصب عليّ أخيك إماماً، ويكاد ما يشاهدونه منك - يا محمّد ومن أخيك عليّ - من المعجزات الدالّات على أنّ أمرك وأمره هو الحقّ الذي لا ريب فيه، ثم هم مع ذلك لا ينظرون في دلائل ما يشاهدون من آيات القرآن وآياتك وآيات أخيك عليّ بن أبي طالب عليه السلام يكاد ذهابهم عن الحقّ في حججك يبطل عليهم سائر ما قد علموا من الأشياء التي يعرفونها؛ لأنّ من جحد حقّاً واحداً أدّى ذلك الجحود إلى أن يجحد كلّ حقّ، فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور بصره.

ثم قال: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ إذا ظهر ما اعتقدوا أنّه هو الحجّة ﴿مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ ثبتوا عليه، وهؤلاء كانوا إذا نتجت خيلهم الإناث، ونساؤهم الذكور، وحملت نخيلهم، وزكت زروعهم، ونمت تجارتهم، وكثرت الألبان في ضروعهم، قالوا: يوشك أن يكون هذا ببركة بيعتنا لعليّ، إنّه مبخوت مدالٌ ينبغي أن نعطيه ظاهراً الطاعة لنعيش في دولته.

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾: أي وإذا أنتجت خيولهم الذكور، ونساؤهم الإناث، ولم يربحوا في تجاراتهم، ولا حملت نخيلهم ولا زكت زروعهم، وقفوا وقالوا: هذا بشؤم هذه البيعة

التي بايعناها علياً، والتصديق الذي صدّقنا محمّداً. وهو نظير ما قال الله عزّوجلّ: يا محمّد ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾[١]، قال الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ بحكمه النافذ وقضائه ليس ذلك لشؤمي ولا ليمني، ثم قال الله عزّوجلّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[٢] حتى يتهيأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت وأصحابك المؤمنون وتوجب قتلهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣] لا يعجزه شيء[٤].

إيضاح: قوله عليه السلام: بسماعهم منه لها. الضمير في منه راجع إلى أمير المؤمنين، وفي لها إلى الأنفس. أي: بأنّهم كانوا يسمعون منه عليه السلام ما ينفع أنفسهم من المعارف والأحكام والمواعظ، أو ضمير سماعهم راجع إلى المسلمين وضمير منه إلى المنافق، وضمير لها إلى الشهادة. أي: اتّخاذهم له أخاً بسبب أنّهم سمعوا منه الشهادة. والشّائلة: المرتفعة.

٢ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قال: هم قريش[٥].

بيان: قال الطبرسي: جعلوا القرآن عضين: أي فرّقوه وجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وعن ابن عباس: جعلوه جزءاً جزءاً، فقالوا: سحر. وقالوا: أساطير الأوّلين. وقالوا: مفترى[٦].

٣ - **قب:** الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[٧] يعني: إنكارهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

الشوهاني: بإسناده، سأل عبد الله بن عطاء المكّي الباقر عليه السلام عن قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾[٨] قال: ينادي منادٍ يوم القيامة يسمع الخلائق: ألا إنّه لا يدخل الجنّة إلّا مسلم. فيومئذٍ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ لولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال عليه السلام: نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله هكذا: «وقال الظالمون» آل محمّد حقّهم «لما رأوا العذاب» - وعليّ هو العذاب - «هل إلى مرد من سبيل»؟ يقولون: نرد فنتولّى عليّاً عليه السلام قال الله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يعني أرواحهم تعرض على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إلى عليّ ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بآل محمّد: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨. (٢) - (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠.
(٤) تفسير الامام العسكري عليه السلام، ص ١٣٠.
(٥) تفسير العياشي، ص ٢٧١ ح ٤٤ من سورة الحجر.
(٦) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٣١. (٧) سورة الزمر، الآية: ٢٠.
(٨) **أقول:** لو قرأنا مسلمين بالتخفيف كما هو المشهور، يكون الإسلام هو التسليم ولو قرأنا مسلمين من باب التفعيل كما عليه الروايات فهو أوضح. [النمازي].

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] لآل محمّد حقّهم ﴿فِى عَذَابٍ﴾ أليم.

الحسكاني في شواهد التنزيل، بإسناده عن ابن المسيّب، عن ابن عباس: أنّه لمّا نزلت قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ قال النبيّ ﷺ: من ظلم عليّاً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء قبلي[2].

أقول: روى السيوطي في الدرّ المنثور، عن عبد بن حميد وابن جرير، عن قتادة: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ . . . الآية. قال: كيف رأيتم القوم حين تولّوا عن كتاب الله؟ ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟[3]!.

٤ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك» يا عليّ «فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما» هكذا نزلت. ثم قال: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك» يا عليّ «فيما شجر بينهم» يعني فيما تعاهدوا وتعاقدوا عليه بينهم من خلافك وغصبك «ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت» عليهم يا محمّد على لسانك من ولايته «ويسلموا تسليماً» لعليّ عليه السلام[4].

٥ - **فس:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني ما بعث الله نبيّاً إلّا وفي أُمته شياطين الإنس والجن. ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي يقول بعضهم لبعض: لا تؤمنوا بـ ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ هذا وحي كذب[5].

بيان: المشهور في التفسير أنّ زخرف القول والغرور صفة لكلامهم الذي يوحي بعضهم إلى بعض، أي يقول بعضهم إلى بعض، أي يوسوس ويلقي خفية إلى بعض كلاماً مموّهاً مزيّناً يستحسن ظاهره ولا حقيقة له. غروراً: أي يغرونهم بذلك غروراً، أي: ليغروهم. وعلى ما في تفسير علي بن إبراهيم: المعنى يلقي بعضهم بعض الكلام الذي يقولونه في شأن القرآن، وهو أنّه زخرف القول غروراً، ولا يخلو من بعد لكن لا يأبى عن الاستقامة.

٦ - **فس:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ قال: نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقراراً لا تصديقاً، ثم كفروا لمّا كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردّوا الأمر في أهل بيته أبداً، فلمّا نزلت الولاية وأخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم لأمير

(١) الآيات من سورة الشورى، ٤٤-٤٥. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢١٢.
(٣) الدر المنثور، ج ٦ ص ٤٩.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ١٥٠ في تفسيره لسورة النساء، الآيتان: ٦٤-٦٥.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٢٠ في تفسيره لسورة الأنعام، الآية: ١١٢.

المؤمنين آمنوا إقراراً لا تصديقاً، فلمّا مضى رسول الله ﷺ كفروا فازدادوا كفراً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾(١).

٧ - فس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وارتدّوا عن دين الله، فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه، نزل في القائم عليه السلام وأصحابه الذين يجاهدون في سبيل الله ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(٢).

٨ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: بيت مكرهم، أي: ماتوا فألقاهم الله في النار، وهو مثل لأعداء آل محمّد عليه وعليهم السلام(٣).

بيان: قوله: بيت مكرهم. أي: بالبنيان بيت مكرهم الذي بنوه مجازاً. قال في مجمع البيان: قيل: إنّ هذا مثل ضربه الله لاستئصالهم، والمعنى: فأتى الله مكرهم من أصله، أي: عاد ضرر المكر إليهم.

٩ - فس: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: كفروا بعد النبيّ ﷺ وصدّوا عن أمير المؤمنين عليه السلام زدناهم عذاباً فوق العذاب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾(٤).

١٠ - فس: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ قال: نزلت في الذين غيّروا دين الله وخالفوا أمر الله، هل رأيتم شاعراً يتّبعه أحد؟! إنّما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك، ويؤكده قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يعني: يناظرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج المضلّة، وفي كلّ مذهب يذهبون ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ بردّهم. قال: يعظون الناس ولا يتّعظون، وينهون عن المنكر ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الذين غصبوا آل محمّد حقّهم. ثم ذكر آل محمّد عليهم السلام وشيعتهم المهتدين، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ ثم ذكر أعداءهم ومن ظلمهم، فقال: «وسيعلم الذين ظلموا» آل محمّد حقّهم «أي منقلب ينقلبون»، هكذا والله نزلت(٥).

---

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٦٣ في تفسيره لسورة النساء، الآية: ١٣٧.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٧ في تفسيره لسورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٦ في تفسيره لسورة النحل، الآية: ٢٦.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٠ في تفسيره لسورة النحل، الآية: ٨٨.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٠ في تفسيره لسورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٧.

١١ - **فس:** ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قال: الذين ظلموا آل محمّد حقّهم «وأزواجَهُمْ» قال: وأشباههم(١).

١٢ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، فقد سمّاهم الله كافرين مشركين بأن كذبوا بالكتاب وقد أرسل الله رسله بالكتاب وبتأويله، فمن كذّب بالكتاب أو كذّب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك كافر(٢).

١٣ - **فس:** ﴿وَلَـٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ لآل محمّد حقّهم ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٣).

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ قال: الكلمة: الإمام، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني: الإمامة، ثم قال: قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني: الذين ظلموا هذه الكلمة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم قال: ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني: الذين ظلموا آل محمّد حقّهم ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ أي: خائفين ممّا ارتكبوا وعملوا ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ما يخافونه، ثم ذكر الله الذين آمنوا بالكلمة واتّبعوها، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بهذه الكلمة ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ ممّا أُمروا به.

ثم قال: ﴿وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ آل محمّد حقّهم ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: إلى الدنيا(٤).

١٤ - **فس:** ﴿وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ آل محمّد حقّهم ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ وعليّ هو العذاب في هذا الوجه ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ فنوالي عليّاً ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لعليّ ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى عليّ ﴿مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يعني آل محمّد صلى الله عليه وآله وشيعتهم: ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ آل محمّد حقّهم ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾. قال: والله يعني النصّاب الذين نصبوا العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام وذرّيته والمكذّبين، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾(٥).

بيان: قوله: يعني النصّاب. حال من فاعل: قال، وقوله: وما كان. مفعول قال، وفي

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٥ في تفسيره لسورة الصافات، الآية: ٢٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣١ في تفسيره لسورة غافر، الآيات: ٧٠-٧٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٥ في تفسيره لسورة الشورى، الآية: ٨.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٧ في تفسيره لسورة الشورى، الآيات: ٢١-٢٣.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥١ في تفسيره لسورة الشورى، الآيات: ٤٤-٤٦.

بعض النسخ: قال: والله. فالواو للقسم.

١٥ - **فس:** ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر.

حدّثني العباس بن محمد، عن الحسن بن سهل، بإسناد رفعه إلى جابر بن زيد، عن جابر بن عبد الله، قال: ثم أتبع الله عَزَّوَجَلَّ ذكره مدح الحسين بن عليّ عليه السلام بذمّ عبد الرحمن بن أبي بكر(١).

بيان: روت العامّة أيضاً أن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، ويمكن أن يكون قول الوالدين له، لظاهر الأمر للمصلحة لا على وجه الاعتقاد، ويظهر من بعض الأخبار أنّ المراد بالوالدين رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ومن بعضها أنّ المراد بهما هنا الحسنان عليهما السلام.

قال علي بن إبراهيم - قبل ذلك - قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ قال: الإحسان رسول الله صلى الله عليه وآله، قوله: بوالديه إنّما عنى الحسن والحسين عليهما السلام، ثم عطف على الحسين عليه السلام، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. وساق الكلام إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ إلى آخر ما أوردنا(٢)، فيظهر منه أنّ المراد بالوالدين على هذا التأويل الحسنان، وقد تكلّمنا في الخبر في مجلد الإمامة.

١٦ - **فس:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين وعدوه أن ينصروه ولا يخالفوا أمره ولا ينقضوا عهده في أمير المؤمنين عليه السلام، فعلم الله أنّهم لا يفون بما يقولون، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾... الآية، وقد سمّاهم الله مؤمنين بإقرارهم وإن لم يصدقوا(٣).

١٧ - **فس:** ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: إذا كان يوم القيامة ونظر أعداء أمير المؤمنين ما أعطاه الله من المنزلة الشريفة العظيمة وبيده لواء الحمد، وهو على الحوض يسقي ويمنع تسودّ وجوه أعدائه، فيقال لهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ منزله وموضعه واسمه(٤).

١٨ - **ير:** أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن منصور، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ

(١) - (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٢ في تفسيره لسورة الأحقاف، الآية: ١٧.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٤٦ في تفسيره لسورة الصف، الآيتان: ٢-٣.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٤ في تفسيره لسورة الملك، الآية: ٢٧.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فقال: رأيت أحداً يزعم أنّ الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو بشيء من هذه المحارم؟! فقلت: لا. فقال: ما هذه الفاحشة التي يدّعون أنّ الله أمر بها؟ فقلت: الله أعلم ووليّه. قال: فإنّ هذه في أئمّة الجور، ادّعوا أنّ الله أمرهم بالائتمام بقوم لم يأمر الله بالائتمام بهم، فردّ الله ذلك عليهم، وأخبرنا أنّهم قد قالوا عليه الكذب، فسمّى الله ذلك منهم فاحشة(١).

١٩ - **شي:** عن محمد بن منصور، عن عبد صالح، قال: سألته... وذكر مثله(٢).

٢٠ - **شي:** عن كليب الصيداوي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ ثم قال: كان عليّ صلوات الله عليه يقرؤها: فارقوا دينهم، قال: فارق والله القوم دينهم(٣).

بيان: قال الطبرسي رحمه الله: قرأ حمزة والكسائي: فارقوا بالألف، وهو المرويّ عن عليّ عليه السلام، والباقون: فرّقوا بالتشديد. ثم قال: قال أبو علي: من قرأ: فرّقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ومن قرأ: فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه.

وقال: اختلف في المعنيين بهذه الآية على أقوال:

أحدها: أنّهم الكفّار وأصناف المشركين.

وثانيها: أنّهم اليهود والنصارى؛ لأنّه يكفّر بعضهم بعضاً.

وثالثها: أنّهم أهل الضلالة وأصحاب الشبهات والبدع من هذه الأُمّة. رواه أبو هريرة وعائشة مرفوعاً، وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام: جعلوا دين الله أدياناً لإكفار بعضهم بعضاً، وصاروا أحزاباً وفرقاً.

وتتمّة الآية: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. قيل: المعنى أنّك لا تجتمع معهم في شيء من مذاهبهم الباطلة. وقيل: أي لست من مخالطتهم في شيء. وقيل: أي لست من قتالهم في شيء. ثم نسختها آية القتال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وقيل: في مجازاتهم على سوء أفعالهم، أو في الإنظار والاستئصال، أو الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله(٤).

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٩ ج ١ باب ١٦ ح ٤.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥ ح ١٥ من سورة الأعراف.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤١٤ ح ١٣٠ من سورة الأنعام.
(٤) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٠٢-٢٠٣.



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثاني والثلاثون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب : ٧١٢٠

أبواب ما جرى بعد قتل عثمان من الفتن والوقائع والحروب وغيرها

١ - باب باب بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وما جرى بعدها من نكث الناكثين إلى غزوة الجمل

١ - **أقول:** قال ابن أبي الحديد في شرح النهج قال عليّ عليه السلام للزبير يوم بايعه: إنّي لخائف أن تغدر بي فتنكث بيعتي؟! قال: لا تخافنّ فإن ذلك لا يكون منّي أبداً. فقال عليّ عليه السلام: فلي الله عليك بذلك راع وكفيل؟ قال: نعم الله لك عليّ بذلك راع وكفيل.

ولمّا بويع عليه السلام كتب إلى معاوية: أمّا بعد فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إليّ [في] أشراف أهل الشام قبلك.

فلمّا قدم رسوله على معاوية وقرأ كتابه بعث رجلاً من بني عبس وكتب معه كتاباً إلى الزبير ابن العوام وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك أمّا بعد فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا الحلف فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنّك لها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجدّ والتّشمير أظهركما الله وخذل مناوئكما.

فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الزبير سرّ به وأعلم به طلحة وأقرأه إيّاه فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ.

قال: وجاء الزبير وطلحة إلى عليّ عليه السلام بعد البيعة له بأيّام فقالا له: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها وعلمت [أنّ] رأي عثمان كان في بني أميّة وقد ولاّك الله الخلافة من بعده فولّنا بعض أعمالك. فقال لهما: ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي واعلما أنّي لا أُشرك في أمانتي إلاّ من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيله. فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس فاستأذناه في العمرة.

وروي أنّهما طلبا منه أن يولّيهما المصرين البصرة والكوفة فقال: حتى أنظر. ثم لم يولّهما فأتياه فاستأذناه للعمرة فقال: «ما العمرة تريدان» فحلفا له بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعته يريدان وما رأيهما غير العمرة قال لهما: فأعيدا البيعة لي ثانياً فأعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما.

فلمّا خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً: والله لا ترونها إلاّ في فئة يقتتلان فيها. قالوا: يا أمير المؤمنين فمر بردّهما عليك قال: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فلمّا خرجا إلى مكّة لم يلقيا أحداً إلاّ وقالا له: ليس لعليّ في أعناقنا بيعة وإنّما بايعناه مكرهين. فبلغ عليّاً قولهما فقال: أبعدهما الله وأغرب دارهما أما والله لقد علمت أنّهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم والله ما العمرة يريدان ولقد أتياني بوجهي فاجرين ورجعا بوجهي غادرين ناكثين والله لا يلقيانني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبعداً لهما وسحقاً(١).

٢ - وقال ابن الأثير في الكامل: لمّا قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليّاً فقالوا له: لا بدّ للناس من إمام قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا: ما نختار غيرك وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله. فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك. قال: ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفيّاً ولا تكون إلاّ في المسجد. وكان في بيته وقيل في حائط لبني عمرو بن مبذول فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق قميص وعمامة خزّ ونعلاه في يده متوكّئاً على قوسه فبايعه الناس.

وكان أوّل من بايعه من النّاس طلحة بن عبيد الله فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون أوّل من بدأ بالبيعة من الناس يد شلاّء لا يتمّ هذا الأمر. فبايعه الزّبير. وقال لهما عليّ: إن أحببتما أن تبايعا لي، وإن أحببتما بايعتكما؟ فقالا: بل نبايعك، وقالا بعد ذلك: إنّما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وعرفنا أنّه لا يبايعنا!! وهربا إلى مكّة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر. وبايعه الناس [بعدما بايعه طلحة والزّبير].

وجاؤا بسعد بن أبي وقّاص فقال عليّ: بايع. قال: لا حتى يبايع الناس والله ما عليك منّي بأس. فقال: خلّوا سبيله. وجاؤا بابن عمر فقالوا: بايع. فقال: لا حتّى يبايع الناس. قال: ائتني بكفيل. قال: لا أرى كفيلاً. قال الأشتر دعني أضرب عنقه، قال: دعوه أنا كفيله. إنّك ما علمت لسيّئ الخلق صغيراً وكبيراً.

وبايعت الأنصار إلاّ نفراً يسيراً منهم حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمّد بن مسلمة والنّعمان بن بشير وزيد بن ثابت وكعب بن مالك ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا عثمانيّة.

فأمّا النعمان بن بشير فإنّه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت وقميص عثمان الذي قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلّق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأوا ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجدّوا في أمرهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج ١ ص ١٧٤.

وروي أنّهم لما أتوا علياً ليبايعوه قال: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله. فقال: قد أجبتكم واعلموا أنّي إن أجبتكم أركب بكم ما أعلم فإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم إلاّ أنّي من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه. ثم افترقوا على ذلك واتّعدوا الغد.

فلمّا أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء عليّ عليه السلام فصعد المنبر وقال: أيّها الناس عن ملأ وإذن إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلاّ من أمّرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم ألا وإنّه ليس لي دونكم إلاّ مفاتيح مالكم معي وليس لي أن آخذ درهماً دونكم فإن شئتم قعدت لكم وإلاّ فلا آخذ على أحد فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس فقال: اللهم اشهد.

وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وأوّل خطبه خطبها عليّ عليه السلام حين استخلف حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنّ الله أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرايض [الفرائض] أدّوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة.

إنّ الله حرّم حرمات غير مجهولة وفضّل حرمة المسلم على الحُرم كلّها وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحقّ [و] لا يحلّ أذى امرئ مسلم إلاّ بما يجب، بادروا أمر العامّة وخاصّة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإنّما خلفكم الساعة تحدوكم تخفّفوا تلحقوا فإنّما ينتظر الناس بآخركم اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده إنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه فإذا رأيتم الخير فخذوه وإذا رأيتم الشّر فدعوه(١).

٣ - **شا:** روت الخاصّة والعامّة عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنّى وغيره ممن لا يتهمه خصوم الشيعة في روايته أن أمير المؤمنين قال في أوّل خطبة خطبها بعد بيعة الناس له على الأمر وذلك بعد قتل عثمان بن عفّان:

أما بعد فلا يرعينّ مرع إلاّ على نفسه شُغل من الجنة والنّار أمامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النّار ثلاثة واثنان ملك طار بجناحيه ونبيّ أخذ الله بيديه لا سادس هلك من ادّعى وردي من اقتحم. اليمين والشمال مضلّة والوسطى الجادّة منهج عليه باقي الكتاب والسنّة وآثار النبوة إنّ الله تعالى داوى هذه الأمّة بدواءين: السوط والسيف لا هوادة عند الإمام فيهما فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا فيها بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحقّ هلك.

قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها معذورين أما إنّي لو أشاء أن أقول: لقلت عفا الله عمّا

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٣٧٠.

سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه ويله [وَيْحَهُ «خ»] لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له.

انظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فبادروا [فآزِرُوا «خ»] حق وباطل ولكلّ أهل ولئن أمر الباطل فلقديماً فُعِل ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ وقلّ ما أدبر شيء فأقبل ولئن رجعت إليكم أموركم [نفوسكم «خ»] إنكم لسعداء وإنّي لأخشى أن تكونوا في فترة وما عليّ إلا الاجتهاد.

ألا وإنّ أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً.

ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا وبقول صادق أخذنا [من قول صادق سمعنا «خ»]، فإن تتّبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا.

معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخّر عنها غرق ألا وبنا تُدْرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذلّ من أعناقكم وبنا فتح الله لا بكم وبنا يختم لا بكم(١).

٤ - **أقول:** وفي النهج هكذا: شغل من الجنة والنار أمامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النّار هوى اليمين والشمال مضلّة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنّة وإليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سِنخُ أصل ولا يظمأ عليها زرع [حرث «خ»] قوم. فاستتروا ببيُوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم فلا يحمد حامد إلا ربّه ولا يَلُم لائم إلاّ نفسه(٢).

٥ - روى ابن أبي الحديد عن الجاحظ من كتاب البيان والتبيين عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى قال: أوّل خطبة خطبها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالمدينة في خلافته حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثم قال: «ألا لا يرعينّ».

وساق الخطبة كما مرّ إلى قوله «وما علينا إلاّ الاجتهاد» [ثمّ] قال: قال الجاحظ: وقال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام: ألا إنّ أبرار عترتي.

إلى قوله: «وبنا يختم لا بكم».

قال ابن أبي الحديد: قوله: «لا يرعينّ» أي لا يبقينّ [يقال:] أرعيت عليه أي أبقيت يقول: من أبقى على الناس فإنّما أبقى على نفسه. و«الهوادة»: الرفق والصلح وأصله اللين والسهولة، والتهويد: المشي رويداً، وآزرت زيداً: أعنته، والترة: الوتر، والربقة: الحبل يجعل في عنق الشاة. وردي: هلك من الردى كقولك: عمي من العَمى [وشجي من الشجى].

وقوله: «شغل مَنِ الجنّة والنار أمامه» يريد به أنّ من كانت هاتان الداران أمامه لفي شغل عن أمور الدّنيا إن كان رشيداً.

---

(١) الارشاد للمفيد، ص ١٢٨.
(٢) نهج البلاغة، ص ٧٠ خ ١٦.

وقوله: «ساع مجتهد» إلى قوله: «لا سادس» كلام تقديره المكلّفون على خمسة أقسام: «ساع مجتهد وطالب راجع ومقصّر هالك» ثم قال: ثلاثة أي فهو ثلاثة أقسام: وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١).

ثم ذكر القسمين: الرابع والخامس فقال: هما ملك طار بجناحيه ونبيّ أخذ الله بيده. يريد عصمة هذين النوعين من القبيح ثم قال: «لا سادس» أي لم يبق في المكلّفين قسم سادس.

وقوله: «هلك من ادّعى» يريد هلك من ادّعى وكذب لا بدّ من تقدير ذلك لأن الدعوى يعم الصدق والكذب وكأنّه يقول: هلك من ادّعى الإمامة وردي من اقتحمها وولجها من غير استحقاق لأنّ كلامه في هذه الخطبة كلّه كنايات عن الإمامة لا عن غيرها.

وقوله: «اليمين والشمال [مضلّة]» مثال لأن السالك الطريق المنهج اللاحب ناج والعادل عنها يميناً وشمالاً معرّض للخطر.

وقوله عليه السلام: «كالغراب» يعني في الحرص والجشع، والغراب يقع على الجيفة ويقع على التمرة وعلى الحبّة وفي المثل أشجع من غراب وأحرص من غراب.

وقوله: «ويحه لو قصّ...» يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيراً من أن يعيش ويدخل فيها.

ثم قال لهم: افكروا في ما قد قلت فإن كان منكراً فأنكروه، وإن كان حقّاً فأعينوا عليه.

وقوله: «استتروا في بيوتكم» نهي لهم عن العصبيّة والاجتماع والتَحزّب فقد كان قوم بعد قتل عثمان تكلّموا في قتله من شيعة بني أميّة بالمدينة.

وأمّا قوله: «قد كانت أمور» فمراده أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه.

ومن الناس من يحمل ذلك على خلافة الشيخين أيضاً ويبعد عندي [أن يكون أراده] لأنّ المدّة قد كانت طالت ولم يبق من يعاتبه ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه الكثير من التوجّد والتألّم لصرف الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله عنه، وإنّما كلامنا الآن في هذه اللفظات التي في هذه الخطبة على أنّ قوله: «سبق الرجلان» والاقتصار على ذلك فيه كفاية في انحرافه عنهما.

وأمّا قوله: «حق وباطل» إلى آخر الفصل فمعناه كلّ أمر إمّا حق وإما باطال ولكلّ واحد من هذين أهل ومازال أهل الباطل أكثر من أهل الحقّ ولئن كان الحقّ قليلاً فربّما كثر ولعلّه ينتصر أهله ثم قال على سبيل التضجر بنفسه «وقل ما أدبر شيء فأقبل» استبعد عليه السلام أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

ثم قال: «ولئن رجعت إليكم أموركم» أي إن ساعدني الوقت وتمكّنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله وعادت إليكم أيّام شبيهة بأيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه إنّكم لسعداء ثم قال: «وإنّي لأخشى أن تكونوا في فترة» الفترة هي الأزمنة الّتي بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها فيقول عليه السلام: إنّي لأخشى أن لا أتمكّن من الحكم بكتاب الله تعالى فيكم فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلى نبيّ يشافههم بالشرائع والأحكام وكأنه عليه السلام قد كان يعلم أنّ الأمر سيضطرب عليه.

ثم قال: «وما علينا إلاّ الاجتهاد» يقول: أنا أعمل بما يجب عليّ من الاجتهاد في القيام بالشريعة وعزل ولاة السوء عن المسلمين فإن تمّ ما أريده فذاك وإلاّ كنت قد أعذرت.

وأما التتمة المروية عن جعفر بن محمد [عليه السلام] فواضحة الألفاظ وقوله في آخرها: «وبنا يختم لا بكم» إشارة إلى المهديّ عليه السلام الذي يظهر في آخر الزمان من ولد فاطمة عليها السلام (١).

٦ - **أقول:** روى ابن ميثم رحمه الله تمام الخطبة هكذا:

الحمد لله أحقّ محمود بالحمد، وأولاه بالمجد، إلهاً واحداً صمداً، أقام أركان العرش، فأشرق بضوئه شعاع الشمس، خلق فأتقن، وأقام فذلّت له وطأة المستمكن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالنور الساطع والضياء المنير، أكرم خلق الله حسباً وأشرفهم نسباً لم يَتَعلّق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة؛ بل كان يُظلم.

فأمّا بعد فإن أوّل من بَغى على الأرض عناق ابنة آدم [و] كان مجلسها من الأرض جريباً وكان لها عشرون أصبعاً وكان لها ظفران كالمنجلين فسلّط الله عليها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار وكان ذلك في الخلق الأول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على أحسن أحوالهم وإن الله أهلك فرعون وهامان وقتل قارون بذنوبهم.

ألا وإنّ بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، وليقصرنّ سابقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وشمةً، ولا كذبت كذبة، ولقد نبّئت بهذا اليوم وهذا المقام. ألا وإنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحّمت بهم في النار فهم فيها كالحون.

ألا وإنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم تأوّداً حتّى إذا جاؤا ظلاً ظليلاً فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أُشركه فيه ومن ليست له منه توبة - إلاّ نبيّ مبعوث ولا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله - أشفى منه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٠٥.

أيّها الناس كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله لا يرعى مرع إلاّ على نفسه، من الجنّة والنّار أمامه. ساع نجا وطالب يرجو ومقصّر في النّار ولكل أهل.

ولئن أمر الباطل فقديماً فعل، ولئن قلّ الحق لربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيء فأقبل، ولئن ردّ أمركم عليكم إنّكم لسعداء وما علينا إلاّ الجهد.

قد كانت أمور مضت ملْتُمْ فيها ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الرأي ولو أشاء أن أقول لقلت عفا الله عمّا سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همّه بطنه ويله لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له، شغل من الجنّة والنار أمامه.

ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصّر في النار - ثلاثة وإثنان: خمسة ليس فيهم سادس - [و] ملك طار بجناحيه ونبيّ أخذ الله بضبعيه، هلك من ادّعى وخاب من افترى.

اليمين والشمال مضلّة ووسط الطريق المنهج، عليه باقي الكتاب وآثار النبوّة.

ألا وإنّ الله قد جعل أدب هذه الأُمّة بالسّوط والسيف ليس عند إمام فيهم هوادة!! فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من مدى صفحته للحقّ هلك.

ألا وإنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفرق في البلدان فإنّه إن لم يسعه الحق فالباطل أضيق عليه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم(١).

٧ - وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن أبي جعفر الإسكافي قال: لما اجتمعت الصحابة بعد قتل عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الإمامة أشار أبو الهيثم بن التّيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن العجلان وأبو أيّوب الأنصاري وعمّار بن ياسر بعليّ عليه السلام وذكروا فضله وسابقته وجهاده وقرابته فأجابهم الناس إليه فقام كلّ واحد منهم خطيباً يذكر فضل عليّ عليه السلام فمنهم من فضّله على أهل عصره خاصّة ومنهم من فضّله على المسلمين كلّهم كافّة.

ثم بويع وصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجّة فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمّداً فصلّى عليه ثمّ ذكر نعمة الله على أهل الإسلام ثمّ ذكر الدنيا فزّهدهم فيها وذكر الآخرة فرغّبهم إليها ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّه لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين ستّة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثمّ حصر وقتل ثمّ جئتموني فطلبتم إليّ وإنّما أنا رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة فأقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم ولا يحمل هذا الأمر إلا

(١) شرح النهج لابن ميثم البحراني، ج ١ ص ٢٩٧.

أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر وإنّي حاملكم على مَنْهَجِ نبيكم ﷺ ومنفذ فيكم ما أُمرت به إن استقمتم لي والله المستعان.

ألا إنّ موضعي من رسول الله ﷺ بعد وفاته كموضعي منه أيّام حياته، فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى نُبيّنه لكم فإن لنا عن كل أمر منكر تنكرونه عذراً. ألا وإنّ الله عالم من فوق سمائه وعرشه أنّي كنت كارهاً للولاية على أمّة محمّد ﷺ حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّما والٍ وَلِيَ الأمر من بعدي أقيم على حدّ الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً أنجاه الله بعدله وإن كان جائراً انتقض به الصّراط حتى تتزايل مفاصله ثم يهوي إلى النار فيكون أوّل ما يتقيها به أنفه وحرّ وجهه» ولكنّي لمّا اجتمع رأيكم لما يسعني ترككم.

ثم التفت عليه السلام يميناً وشمالاً فقال: ألا لا يقولنّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتّخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا.

ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته فإنّ له الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله.

وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده.

فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسّويّة لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتّقين أجراً [جزاءاً «خ»] ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار.

وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا فإنّ عندنا مالاً نقسمه فيكم ولا يتخلّفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلاّ حضر إذا كان مسلماً حرّاً أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم. ثم نزل.

قال أبو جعفر: وكان هذا أوّل ما أنكروه من كلامه عليه السلام وأورثهم الضغن عليه وكرهوا عطاءه وقسمه بالسوية. فلمّا كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه: ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كلّ رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك ومن يحضر من الناس كلّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم. فقال: نعطيه كما نعطيك فأعطى كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً على أحد.

وتخلّف عن هذا القسم يومئذٍ طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها.

قال: وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيداً: ما خفي علينا أمس من كلام عليّ ما يريد! فقال سعيد بن العاص - والتفت إلى زيد بن ثابت -: إيّاك أعني واسمعي يا جارة فقال ابن أبي رافع لسعيد وابن الزبير: إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1].

ثم إنّ ابن أبي رافع أخبر علياً عليه السلام بذلك فقال: والله إن بقيت وسلمت لهم لأُقيمنّهم على المحجّة البيضاء والطريق الواضح قاتل الله ابن العاص لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أنّي أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك.

قال: فبينا الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن عليّ عليه السلام ثمّ طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزّبير فجلسوا إليهما ثم جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم فتحدّثوا نجيّاً ساعة ثمّ قام الوليد بن عقبة فجاء إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش وأمّا مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيّام عثمان وأن تقتل قتلته وإنّا إن خفناك تركتنا والتحقنا بالشام.

فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتم من وتري إيّاكم فالحقّ وتركم.

وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم.

وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمّنكم وإن خفتكم أن أسيّركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف.

فلمّا ظهر ذلك من أمرهم قال عمّار بن ياسر لأصحابه: قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فإنّه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من الخلاف والطعن على إمامهم وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق يعني طلحة.

فقام أبو الهيثم وعمّار وأبو أيّوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم فدخلوا على عليّ عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين انظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحيّ من قريش فإنّهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك وقد دعونا في السر إلى رفضك هداك الله لرشدك، وذاك لأنّهم كرهوا الأسوة، وفقدوا الأثرة، ولمّا آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوّك وعظّموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألفاً لأهل الضّلالة فرأيك.

فخرج عليّ عليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر مرتدياً بطاق مؤتزراً ببرد قطري متقلّداً سيفاً متوكئاً على قوس فقال:

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٣.

أمّا بعد فإنّا نحمد الله ربّنا وإلهنا ووليّنا ووليّ النّعم علينا الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة امتناناً منه بغير حول منّا ولا قوّة ليبلونا أنشكر أم نكفر، فمن شكر زاده ومن كفر عذّبه، فأفضل النّاس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره وأعملهم بطاعته وأتبعهم لسنّة رسوله وأحياهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلاّ بطاعة الله وطاعة الرسول.

هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله ﷺ وسيرته فينا لا يجهل ذلك إلاّ جاهل عاند عن الحق منكر قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾(١).

ثم صاح بأعلا صوته: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن توليتم فإن الله لا يحبّ الكافرين. ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. ثم قال: أنا أبو الحسن - وكان يقولها إذا غضب - ثم قال: ألا إنّ هذه الدنيا الّتي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له فلا تغرّنكم فقد حذّرتموها واستتمّوا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذلّ لحكمه جلّ ثناؤه.

فأمّا هذا الفَيْء فليس لأحد على أحد فيه أثرة فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا وعهد نبيّنا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتولّ كيف شاء فإنّ العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه.

ثم نزل عن المنبر فصلّى ركعتين ثم بعث بعمّار بن ياسر وعبد الرحمان بن حَسْل القرشيّ إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه عليه السلام فقال لهما: نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟ قالا: نعم فقال: غير مجبرين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: نعم قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كلّ أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا!!

فقال: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً فاستغفرا الله يغفر لكما ألا تخبرانني أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ الله. قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالا: معاذ الله. قال: أفوقع حكم أو حق لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا: معاذ الله. قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم إنّك جعلت حقّنا في القسم كحق غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسراً وقهراً ممن لا يرى الإسلام إلاّ كرهاً.

فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردّكم فتختلف الأمّة فلمّا أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاّني عليه واتّبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه، ولا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه.

وأمّا القسم والأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأمّا قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواءً بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسم وآثرهم بالسبق والله سبحانه موفّ السّابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلاّ هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإيّاكم الصبر. ثم قال: رحم الله أمرأً رأى حقّاً فأعان عليه ورأى جوراً فردّه وكان عوناً للحقّ على من خالفه.

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت فإن أبا بكر قسم بالسواء ولم ينكروا ذلك كما أنكروه أيّام أمير المؤمنين عليه السلام؟ قلت إن أبا بكر قسم محتذياً لقسم رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا ولي عمر الخلافة ونفّل قوماً على قوم ألفوا ذلك ونسوا تلك القسمة الأولى وطالت أيّام عمر واشربت قلوبهم حبّ المال وكثرة العطاء، وأمّا الذين اهتضموا فقنعوا ومرنوا على القناعة فلمّا ولي عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق العوام بذلك، ومن ألف أمراً شقّ عليه فراقه فلمّا ولي أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نسي ذلك ورُفض وتخلل بين الزمانين اثنان وعشرون سنة فشقّ ذلك عليهم وأنكروه وأكبروه حتّى حدث ما حدث ولله أمر هو بالغه(١).

بيان: قوله عليه السلام: «كنت كارهاً» أي طبعاً وإن أحبّها شرعاً. أو كنت كارهاً قبل دعوتكم لعدم تحقّق الشرائط. والمراد بالوالي الوالي بغير الاستحقاق، والعامل بغير أمر الله فيها. فعلى الوجه الأوّل التعليل للكراهة طبعاً لعُسْر العمل بأمر الله فيها. وعلى [الوجه] الثاني التعليل لعدم التعرّض قبل تحقّق الشرائط لأنّها تكون حينئذ ولاية جور أيضاً.

وقال الجوهري: راقني الشيء: أعجبني ومنه قولهم: غلمان روقة وجوارٍ روقة أي حسان. ولعل مفعول القول محذوف أو هو «حرمنا» وقوله: «يقولون» تأكيد للقول أوّلاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٧ ص ٢٤.

وقال الجوهري: الطاق: ضرب من الثياب. وقال: القطر: ضرب من البرود يقال لها: القطرية.

٨ - وروى ابن أبي الحديد أيضاً عن الطبري وغيره أن الناس غشّوه وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته وهو يأبى ذلك ويقول: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تثبت عليه العقول ولا تقوم له القلوب.

قالوا [له] ننشدك الله ألا ترى الفتنة؟ ألا ترى إلى ما حدث في الإسلام؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم لما أرى منكم واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وَلّيتموه أمركم فقالوا: ما نحن بمفارقيك حتّى نبايعك قال: إن كان لا بدّ من ذلك ففي المسجد إن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلاّ عن رضا المسلّمين وفي ملأ وجماعة. فقام والنّاس حوله فدخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبايعوه [و] فيهم طلحة والزبير.

قال: وروى أبو عثمان الجاحظ قال: أرسل طلحة والزبير إلى عليّ عليه السلام قبل خروجهما إلى مكّة مع محمّد بن طلحة وقالا: لا تقل له يا أمير المؤمنين وقل له: يا أبا الحسن لقد فال فيك رأينا وخاب ظننا أصلحنا لك الأمر ووطّدنا لك الإمرة وأجلبنا على عثمان حتى قتل فلمّا طلبك الناس لأمرهم جئناك وأسرعنا إليك وبايعناك وقُدنا إليك أعناق العرب ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنّا ورفضتنا رفض التريكة وملكت أمرك الأشتر وحكيم بن جبلة وغيرهما من الأعراب ونزّاع الأمصار فكنّا فيما رجوناه منك كما قال الأوّل:

فَكُنْتَ كَمُهْرِيق الذي في سقائه ... لِرَقْرَاقِ آلٍ فوق رابيةٍ صَلْدِ

فلما جاءه محمد بن طلحة وأبلغه ذلك قال عليه السلام: اذهب إليهما فقل لهما: فما الذي يرضيكما فذهب وجاء وقال: إنّهما يقولان: ولّ أحدنا البصرة والآخر الكوفة فقال: والله إنّي لا آمنهما وهما عندي بالمدينة فكيف آمنهما وقد ولّيتهما العراقين اذهب إليهما فقل: أيها الشيخان احذرا من الله ونبيّه على أمته ولا تبغيا المسلمين غائلةً وكيداً وقد سمعتما قول الله ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

فقام محمد بن طلحة فأتاهما ولم يعد إليه، وتأخّرا عنه أيّاماً ثم جاءاه فاستأذناه في الخروج إلى مكّة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا ينقضا بيعته ولا يغدرا به ولا يشقّا عصا المسلمين ولا يوقعا الفرقة بينهم وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة فحلفا على ذلك كلّه ثم خرجا ففعلا ما فعلا.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

قال: ولمّا خرجا قال عليّ عليه السلام لأصحابه: والله ما يريدان العمرة وإنّما يريدان الغدرة ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

وروى عن الطبري أنّه لمّا بايع الناس عليّاً أتى الزبير فاستأذن عليه قال أبو حبيبة مولى الزبير فأعلمته به فسلّ السيف ووضعه تحت فراشه وقال: ائذن له فأذنت له فدخل فسلم وهو واقف ثم خرج فقال الزبير لقد دخل لأمر ما قضاه قم مقامه وانظر هل ترى من السّيف شيئاً؟ فقمت في مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال ذاك[٢].

٩ - ما: أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت عن أحمد بن [محمّد بن] عقدة قال: حدّثنا الحسن بن صالح من كتابه في ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين وأحمد بن يحيى عن محمد بن عمرو، عن عبد الكريم، عن القاسم بن أحمد عن أبي الصلت الهروي.

وقال ابن عقدة: وحدّثناه القاسم بن الحسن الحسيني عن أبي الصلت عن علي بن عبد الله بن النعجة عن أبي سهيل بن مالك عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: لمّا ولي عليّ بن أبي طالب عليه السلام أسرع النّاس إلى بيعته المهاجرون والأنصار وجماعة الناس لم يتخلّف عنه من أهل الفضل إلاّ نفر يسير خذلوا وبايع الناس.

وكان عثمان قد عوّد قريشاً والصحابة كلّهم وصبّت عليهم الدنيا صبّاً وآثر بعضهم على بعض وخصّ أهل بيته من بني أُميّة وجعل لهم البلاد وخوّلهم العباد فأظهروا في الأرض فساداً وحمل أهل الجاهلية والمؤلّفة قلوبهم على رقاب الناس حتّى غلبوه على أمره فأنكر الناس ما رأوا من ذلك فعاتبوه فلم يعتبهم وراجعوه فلم يسمع منهم وحملهم على رقاب الناس حتى انتهى إلى أن ضرب بعضاً ونفى بعضاً وحرم بعضاً فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدفعوه وقالوا: إنّما بايعناه على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله والعمل بهما فحيث لم يفعل ذلك لم تكن له عليهم طاعة. فافترق الناس في أمره على خاذل وقاتل فأمّا من قاتل فرأى أنّه حيث خالف الكتاب والسنّة واستأثر بالفيء واستعمل من لا يستأهل رأوا أنّ جهاده جهاد.

وأمّا من خذله فإنّه رأى أنّه يستحقّ الخذلان ولم يستوجب النصرة بترك أمر الله حتى قتل واجتمعوا على عليّ بن أبي طالب فبايعوه فقام وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلّى على النبيّ وآله ثمّ قال:

أما بعد فإنّي قد كنت كارهاً لهذه الولاية يعلم الله في سماواته وفوق عرشه على أمّة محمد صلى الله عليه وآله حتى اجتمعتم على ذلك فدخلت فيه وذلك أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أيّما وال ولي أمر أُمّتي من بعدي أقيم يوم القيامة على حدّ الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن نجا فَبِعَدْلِهِ وإن جار انتقض به الصراط انتقاضة تزيل ما بين مفاصله حتى يكون بين كلّ

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١١ ص ١٣.

عضو وعضو من أعضائه مسيرة مائة عام يخرق به الصراط فأوّل ما يلقى به النّار أنفه وحرّ وجهه ولكنّي لمّا اجتمعتم عليّ نظرت فلم يسعني ردّكم حيث اجتمعتم أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

فقام إليه الناس فبايعوه فأوّل من قام فبايعه طلحة والزبير ثم قام المهاجرون والأنصار وسائر الناس حتى بايعه الناس وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمّار بن ياسر وأبو الهيثم بن التّيهان وهما يقولان: نبايعكم على طاعة الله وسنّة رسوله ﷺ وإن لم نف لكم فلا طاعة لنا عليكم ولا بيعة في أعناقكم والقرآن إمامنا وإمامكم.

ثم التفت عليّ عليه السلام عن يمينه وعن شماله وهو على المنبر وهو يقول: ألا لا يقولنّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار فجّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة - فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفار - إذ مُنِعُوا ما كانوا فيه وصيّروا إلى حقوقهم الّتي يعلمون يقولون حرمنا ابن أبي طالب وظلمنا حقوقنا ونستعين بالله ونستغفره.

وأمّا من كان له فضل وسابقة منكم فإنّما أجره فيه على الله فمن استجاب لله ولرسوله ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم أيّها الناس عباد الله المسلمون والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية وليس لأحد على أحد فضل إلاّ بالتقوى وللمتقين عند الله خير الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتّقين جزاءاً وما عند الله خير للأبرار.

[و] إذا كان غداً فاغدوا فإنّ عندنا مالاً اجتمع فلا يتخلّفن أحد كان في عطاء أو لم يكن إذا كان مُسلماً حرّاً احضروا رحمكم الله.

فاجتمعوا من الغد ولم يتخلّف عنه أحد فقسم بينهم ثلاثة دنانير لكل إنسان الشريف والوضيع والأحمر والأسود ولم يفضل أحداً، ولم يتخلّف عنه أحد إلاّ هؤلاء الرهط: طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وناس معهم.

فسمع عبيد الله بن أبي رافع وهو كاتب عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبد الله بن الزبير وهو يقول للزبير وطلحة وسعيد بن العاص لقد التفت إلى زيد بن ثابت فقلت له: إياك أعني واسمعي يا جارة. فقال له عبيد الله: يا سعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير إن الله يقول في كتابه: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1] قال عبيد الله: فأخبرت عليّاً فقال: لئن سلمت لأحملنّهم على الطريق قاتل الله ابن العاص علم في كلامي أنّي أريده وأصحابه بكلامي والله المستعان.

قال مالك بن أوس: وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام أكثر ما يسكن القناة فبينا نحن في

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧٠.

المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن عليّ عليه السلام ثم طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير والمسور بن مخرمة فجلسوا.

وكان عليّ عليه السلام جعل عمّار بن ياسر على الخيل فقال لأبي الهيثم بن التيهان ولخالد بن زيد أبي أيّوب ولأبي حيّة ولرفاعة بن رافع في رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا إلى هؤلاء القوم فإنّه بلغنا عنهم ما نكره من خلاف أمير المؤمنين إمامهم والطعن عليه وقد دخل معهم قوم من أهل الجفاء والعداوة فإنّهم سيحملونهم على ما ليس من رأيهم فقال: فقاموا وقمنا معهم حتّى جلسوا إليهم فتكلّم أبو الهيثم بن التّيهان فقال: إنّ لكم لقدماً في الإسلام وسابقة وقرابة من أمير المؤمنين عليه السلام وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمير المؤمنين فإن يكن أمر لكما خاصّة فعاتبا ابن عمّتكما وإمامكما وإن كان نصيحة للمسلمين فلا تؤخّراه عنه ونحن عون لكما فقد علمتما أنّ بني أُميّة لن تنصحكما أبداً وقد عرفتما - وقال أحمد عرفتم - عداوتهم لكما وقد شركتما في دم عثمان ومالأتما.

فسكت الزبير وتكلم طلحة فقال: افرغوا جميعاً مما تقولون فإنّي قد عرفت أنّ في كلّ واحد منكم خطبة. فتكلّم عمّار بن ياسر رحمه الله فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبي صلى الله عليه وآله وقال: أنتما صاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أعطيتما إمامكما الطاعة والمناصحة والعهد والميثاق على العمل بطاعة الله وطاعة رسوله وأن يجعل كتاب الله - قال أحمد: وجعل كتاب الله - إماماً ففيم السخط والغضب على عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فغضب الرجال للحق انصروا نصركما الله.

فتكلم عبد الله بن الزبير فقال: لقد تهذرت يا أبا اليقظان فقال له عمّار: ما لك تتعلّق في مثل هذا يا أعبس ثم أمر به فأُخرج فقام الزبير فقال: عجلت يا أبا اليقظان على ابن أخيك رحمك الله فقال عمّار: يا أبا عبد الله أنشدك الله أن تسمع قول من رأيت فإنكم معشر المهاجرين لم يهلك من هلك منكم حتى استدخل في أمره المؤلّفة قلوبهم فقال الزبير: معاذ الله أن نسمع منهم فقال عمار: والله يا أبا عبد الله لو لم يبق أحد إلاّ خالف عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما خالفته ولا زالت يدي مع يده وذلك لأنّ علياً لم يزل مع الحقّ منذ مبعث الله نبيه صلى الله عليه وآله فإنّي أشهد أنّه لا ينبغي لأحد أن يفضّل عليه أحداً.

فاجتمع عمّار بن ياسر وأبوالهيثم ورفاعة وأبو أيّوب وسهل بن حنيف فتشاوروا أن يركبوا إلى علي عليه السلام بالقناة فيخبروه بخبر القوم فركبوا إليه فأخبروه باجتماع القوم وما هم فيه من إظهار الشكوى والتعظيم لقتل عثمان وقال له أبوالهيثم: يا أمير المؤمنين انظر في هذا الأمر فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل المدينة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه واجتمع أهل الخير والفضل من الصحابة والمهاجرين فقالوا لعليّ عليه السلام إنّهم قد كرهوا الأسوة وطلبوا الأثرة وسخطوا لذلك.

فقال عليّ عليه السلام: ليس لأحد فضل في هذا المال هذا كتاب الله بيننا وبينكم ونبيّكم محمّد صلى الله عليه وآله وسيرته ثم صاح بأعلى صوته يا معشر الأنصار أتمنّون عليّ بإسلامكم بل لله ورسوله المن عليكم إن كنتم صادقين - وقال أحمد: [أتمنّون على الله بإسلامكم] - أنا أبو الحسن القرم.

ونزل عن المنبر وجلس ناحية المسجد وبعث إلى طلحة والزبير فدعاهما ثم قال لهما: ألم تأتياني وتبايعاني طائعين غير مكرهين فما أنكرتم أجور في حكم أو استئثار في فيء؟ قالا: لا. قال: أو في أمر دعوتماني إليه من أمر المسلمين فقصرت عنه؟ قالا: معاذ الله. قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم وانتقاصنا حقّنا من الفيء جعلت حظّنا في الإسلام كحظ غيرنا فيما أفاء الله علينا بسيوفنا ممن هو لنا فيء فسَويت بيننا وبينهم.

فقال عليّ عليه السلام: الله أكبر اللهم إنّي أُشهدك وأُشهد من حضر عليهما أمّا ما ذكرتما من الاستئثار فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولا لي فيها محبّة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فكرهت خلافكم فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع وأمر فيه بالحكم وقسم وسنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فأمضيته ولم أحتج فيه إلى رأيكما ودخولكما معي ولا غيركما ولم يقع أمر جهلته فأتقوى فيه برأيكما ومشورتكما ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما إذا لم يكن في كتاب الله ولا في سُنّة نبينا صلى الله عليه وآله فأمّا ما كان فلا يحتاج إلى أحد.

وأمّا ما ذكرتما من أمر الأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه، ووجدت أنا وأنتما قد جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من كتاب الله فلم أحتج فيه إليكما قد فرغ من قسمه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما جعلتنا فيه كمن ضربناه بأسيافنا وأفاء الله علينا وقد سبق رجال رجالاً فلم يضرّهم ولم يستأثرهم عليهم من سبقهم لم يضرّهم حين استجابوا لربهم والله ما لكم ولا لغيركم إلاّ ذلك ألهمنا الله وإيّاكم الصبر عليه. فذهب عبد الله بن الزبير يتكلّم فأمر به فوجئت عنقه وأُخرج من المسجد فخرج وهو يصيح ويقول: اردد إليه بيعته.

فقال عليّ عليه السلام: لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه ولا مدخلكما في أمر خرجتما منه. فقاما عنه وقالا: أما إنّه ليس عندنا أمر إلاّ الوفاء قال: فقال عليه السلام: رحم الله عبداً رأى حقّاً فأعان عليه أو رأى جوراً فردّه وكان عوناً للحقّ على من خالفه(١).

بيان: يخرق به الصّراط أي من الأعوام الّتي يخرق بها الصراط أي يقطع بها.

وفي النهاية: «قناة»: واد من أودية المدينة عليه حرث ومال وزرع. وقال في حديث

(١) أمالي الطوسي، ص ٧٢٧ مجلس ٤٤ ح ١٥٣٠.

عليّ عليه السلام: «أنا أبو حسن القرم أي المقدم في الرأي، والقرم فحل الإبل أي أنا فيهم بمنزلة الفحل في الإبل.

قال الخطابي: وأكثر الروايات «القوم» بالواو ولا معنى له وإنّما هو بالراء أي المقدّم في المعرفة وتجارب الأمور.

١٠ - ١٨ - الكافية لإبطال توبة الخاطئة عن الحسين بن عيسى عن زيد عن أبيه قال: حدّثنا أبو ميمونة عن أبي بشير العائذي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان فاجتمع المهاجرون فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أبا الحسن هلمّ نبايعك، قال: لا حاجة لي في أمركم أنا بمن اخترتم راض، قالوا: ما نختار واختلفوا إليه بعد قتل عثمان مراراً.

وعن إسحاق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن القرشي عن أبي أروى قال: لا أحدّثك إلاّ بما رأته عيناي وسمعته أذناي لمّا برز الناس للبيعة عند بيت المال قال عليّ عليه السلام لطلحة: ابسط يدك للبيعة، فقال له طلحة: أنت أحقّ بذلك منّي وقد استجمع لك الناس ولم يجتمعوا لي فقال عليّ عليه السلام لطلحة: والله ما أخشى غيرك!!! فقال طلحة: لا تخشَ فوالله لا تؤتى من قبلي أبداً فبايعه وبايع الناس.

وعن يحيى بن سلمة عن أبيه قال: قال ابن عبّاس: والذي لا إله إلاّ هو إنّ أول خلق الله عزّ وجلّ ضرب على يد عليّ بالبيعة طلحة بن عبيد الله.

وعن محمّد بن عيسى النهدي عن أبيه عن الصلت بن دينار عن الحسن قال: بايع طلحة والزبير علياً عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله طائعين غير مكرهين.

وعن عبيد الله بن حكيم بن جبير عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ طلحة والزبير بايعا علياً.

وعن الحسن بن مبارك عن بكر بن عيسى قال: إنّ طلحة والزبير أتيا علياً عليه السلام بعدما بايعاه بأيّام فقالا: يا أمير المؤمنين قد عرفت شدّة مؤنة المدينة وكثرة عيالنا وإن عطاءنا لا يسعنا قال: فما تريدان نفعل؟ قالا: تعطينا من هذه المال ما يسعنا! فقال: اطلبا إلى الناس فإن اجتمعوا على أن يعطوكما شيئاً من حقوقهم فعلت. قالا: لم نكن لنطلب ذلك إلى الناس ولم يكونوا يفعلوا لو طلبنا إليهم! قال: فأنا والله أحرى أن لا أفعل فانصرفا عنه.

وعن عمرو بن شمر عن جابر عن محمّد بن عليّ عليه السلام إنّ طلحة والزبير أتيا علياً عليه السلام فاستأذناه في العمرة فقال لهما: لعلّكما تريدان الشّام والبصرة؟ فقالا: اللهم غفراً ما ننوي إلاّ العمرة.

وعن الحسين بن مبارك عن بكر بن عيسى عليه السلام أنّ علياً أخذ عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ على أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا ينكثا ولا يتوجّها وجهاً غير العمرة حتّى يرجعا إليها فأعطياه ذلك من أنفسهما ثم أذن لهما فخرجا.

وعن أُمّ راشد مولاة أُمّ هانئ أنّ طلحة والزبير دخلا على عليّ عليه السلام فاستأذناه في العمرة فأذن لهما فلمّا ولّيا ونزلا من عنده سمعتهما يقولان: لا والله ما بايعناه بقلوبنا إنّما بايعناه بأيدينا [قالت:] فأخبرت عليّاً عليه السلام بمقالتهما فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

١٩ - **شا:** [و] من كلامه صلوات الله عليه - حين تخلّف عن بيعته عبد الله بن عمر وسعد ابن أبي وقاص ومحمّد بن مسلمة وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد - ما رواه الشعبي قال: لما اعتزل سعد ومن سميناه أمير المؤمنين عليه السلام وتوقّفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناسُ إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وإنّما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم وإن على الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم وهذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام واتّبع غير سبيل أهله ولم تكن بيعتكم إيّاي فلتة وليس أمري وأمركم واحداً وإنّي أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم وأيم الله لأنصحن للخصم ولأنصفن للمظلوم وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأسامة وعبدالله وحسان بن ثابت أمور كرهتها والحق بيني وبينهم[2].

بيان: «وإنما الخيار» أي بزعمكم وعلى ما تدّعون من ابتناء الأمر على البيعة «لم تكن بيعتكم [إيّاي فلتة]» تعريض ببيعة أبي بكر.

٢٠ - ٢٢ - **قب:** في جمل أنساب الأشراف أنّه قال الشعبيّ في خبر لمّا قتل عثمان أقبل الناس لعليّ عليه السلام ليبايعوه ومالوا إليه فمدّوا يده فكفّها وبسطوها فقبضها حتى بايعوه.

وفي سائر التواريخ: أنّ أوّل من بايعه طلحة بن عبيد الله - وكانت إصبعه أصيبت يوم أحد فشلّت فبصرها أعرابي حين بايع فقال: ابتدأ هذا الأمر يد شلاء لا يتمّ - ثم بايعه الناس في المسجد. ويروى أن الرجل كان عبيد بن ذؤيب فقال: يد شلاّء وبيعة لا تتمّ وهذا عنى البرقيّ في بيته:

ولقد تيقّن من تيقّن غدرهم ... إذ مدّ أوّلهم يداً شلاّء

جبلة بن سحيم عن أبيه أنه قال: لمّا بويع عليّ عليه السلام جاء إليه المغيرة بن شعبة فقال إنّ معاوية من قد علمت قد ولاّه الشام من كان قبلك فولّه أنت كيما تتسق عرى الإسلام ثم اعزله إن بدا لك فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا. قال: لا يسألني الله عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً «وما كنت متّخذ المضلّين عضداً» الخبر.

(١) الكافية للمفيد ص ١٢، والآية من سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٢) الإرشاد للمفيد ١٣٠.

ولما بويع عليّ عليه السلام أنشأ خزيمة بن ثابت يقول:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنّه ... أطبّ قريش بالكتاب والسّنن
وإنّ قريشاً لا تشق غباره ... إذا ما جرى يوماً على ضمر البدن
ففيه الذي فيهم من الخير كله ... وما فيهم مثل الذي فيه من حسن
وصيّ رسول الله من دون أهله ... وفارسه قد كان في سالف الزمن
وأوّل من صلّى من الناس كلّهم ... سوى خيرة النسوان والله ذي المنن
وصاحب كبش القوم في كلّ وقعة ... يكون لها نفس الشجاع لدى الذقن
فذاك الذي تثنى الخناصر باسمه ... إمامهم حتّى أُغيَّب في الكفن

[وقال أبو العباس: أحمد بن] عطية.

رأيت عليّاً خير من وطئ الحصا ... وأكرم خلق الله من بعد أحمد
وصيّ رسول المرتضى وابن عمّه ... وفارسه المشهور في كل مشهد
تخيّره الرحمان من خير أسرة ... لأطهر مولود وأطيب مولد
إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا ... بيعته بعد النبيّ محمّد[1]

بيان: أطب قريش أي أعلمهم ورجل طبّ - بالفتح - أي عالم. «تكون لها» أي لشدّة الواقعة «نفس الشجاع» وروحه للخوف منها «عند الذقن» أي مشرفة على مفارقة البدن.

أقول: سيأتي في أعمال يوم النيروز عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام أن اليوم الذي بويع فيه أمير المؤمنين ثانية كان يوم النيروز.

٢٣ - نهج ومن كلام له [عليه السلام] لمّا أريد على البيعة بعد قتل عثمان: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإنّ الآفاق قد أغامت والحجّة قد تنكّرت واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً[2].

تبيين: المخاطبون بهذا الخطاب [هم] الطالبون للبيعة بعد قتل عثمان، ولمّا كان الناس نسوا سيرة النبي واعتادوا بما عمل فيهم خلفاء الجور من تفضيل الرؤساء والأشراف لانتظام أمورهم وأكثرهم إنما نقموا على عثمان استبداده بالأموال كانوا يطمعون منه عليه السلام أن يفضّلهم أيضاً في العطاء والتشريف ولذا نكث طلحة والزبير في اليوم الثاني من بيعته ونقموا عليه التسوية في العطاء وقالوا آسَيْتَ بيننا وبين الأعاجم وكذلك عبد الله بن عمر وسعيد بن

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٧٥.
(٢) نهج البلاغة، ص ٢٠٩ خ ٩١.

العاص ومروان وأضرابهم ولم يقبلوا ما قسم لهم فهؤلاء القوم لمّا طلبوا البيعة بعد قتل عثمان قال عليه السلام: «دعوني والتمسوا غيري...» إتماماً للحجّة عليهم وأعلمهم باستقبال أمور لها وجوه وألوان لا يصبرون عليها وأنّه بعد البيعة لا يجيبهم إلى ما طمعوا فيه ولا يصغي إلى قول القائل وعتب العاتب بل يقيمهم على المحجّة البيضاء ويسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

[قوله]: «وإنّ الآفاق قد أغامت» أي أظلمت بغَيْم سنن أرباب البدع وخفاء شمس الحقّ تحت سحاب شبه أهل الباطل. «والمحجّة»: جادّة الطريق «وتنكّرها» تغيّرها وخفاؤها.

قوله عليه السلام: «ركبت بكم» أي جعلتكم راكبين. وتركهم إيّاه عدم طاعتهم له واختيار غيره للبيعة حتى لا تتمّ شرائط الخلافة لعدم الناصر كقوله عليه السلام في الشقشقية: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها» وليس الغرض ردعهم عن البيعة الواجبة بل إتمام للحجّة وإبطال لما علم عليه السلام من ادّعائهم الإكراه على البيعة كما فعل طلحة والزبير بعد النكث، مع أنّ المرء حريص على ما منع والطبع نافر عما سورع إلى إجابته «والوزير» من يحمل عن الملك ثقل التدبير.

وقال ابن أبي الحديد - كما هو دأبه أن يأتي بالحقّ ثمّ عنه يحيد -: هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره يقولون: إنّه عليه السلام لم يكن منصوصاً عليه بالإمامة وإن كان أولى الناس بها لأنّه لو كان منصوصاً عليه لما جاز أن يقول: دعوني والتمسُوا غيري.

ثم ذكر تأويل الإمامية منه أن يسير فيهم بسيرة الخلفاء ويفضّل بعضهم على بعض في العطاء أو بأنّ الكلام خرج مخرج التضجر والتسخّط لأفعال الّذين عدلوا عنه عليه السلام قبل ذلك للأغراض الدنيوية أو بأنه خرج مخرج التهكّم كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ أي بزعمك ثم قال:

واعلم أنّ ما ذكروه ليس ببعيد لو دلّ عليه دليل فأمّا إذا لم يدلّ عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره[1].

ولا يخفى على اللبيب أنّه بعد الإغماض عن الأدلّة القاهرة والنصوص المتواترة لا فرق بين المذهبين في وجوب التأويل ولا يستقيم الحمل على ظاهره إلاّ على القول بأنّ إمامته عليه السلام كانت مرجوحةً وأنّ كونه وزيراً أولى من كونه أميراً وهو ينافي القول بالتفضيل الذي قال به فإنّه عليه السلام إذا كان أحقّ بالإمامة وبطل تفضيل المفضول على ما هو الحقّ واختاره أيضاً كيف يجوز للناس أن يعدلوا عنه إلى غيره وكيف يجوز له عليه السلام أن يأمر الناس بتركه والعدول عنه إلى غيره مع عدم ضرورة تدعو إلى ترك الإمامة، ومع وجود الضرورة كما جاز ترك الإمامة الواجبة بالدليل جاز ترك الإمامة المنصوص عليها فالتأويل واجب على

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٧ ص ٢٦.

التقديرين ولا نعلم أحداً قال بتفضيل غيره عليه ورجحان العدول إلى أحد سواه في ذلك الزمان.

على أن الظاهر للمتأمّل في أجزاء الكلام حيث علّل الأمر بالتماس الغير باستقبال أمر لا تقوم له القلوب وتنكّر المحجّة وأنّه إن أجابهم حملهم على الحقّ هو أنّ السبب في ذلك المانع دون عدم النصّ وأنّه لم يكن متعيّناً للإمامة أو لم يكن أحقّ وأولى به ونحو ذلك ولعلّ الوجه في قوله عليه السلام : «لعلي أسمعكم وأطوعكم» هو أنّه إذا تولّى الغير أمر الإمامة ولم تتمّ الشرائط في خلافته عليه السلام لم يكن ليعدل عن مقتضى التقية بخلاف سائر الناس حيث يجوز الخطأ عليهم.

وأمّا قوله: «فأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً» فلعلّ المراد بالخيرية فيه موافقة الغرض أو سهولة الحال في الدنيا فإنّه عليه السلام على تقدير الإمامة وبسط اليد لا يجب عليه العمل بمحض الحقّ وهو يصعب على النفوس ولا يحصل به آمال الطامعين بخلاف ما إذا كان وزيراً فإنّ الوزير يشير بالرأي مع تجويز التأثير في الأمير وعدم الخوف ونحوه من شرائط الأمر بالمعروف ولعلّ الأمير الذي يولّونه الأمر يرى في كثير من الأمور ما يطابق آمال القوم ويوافق أطماعهم ولا يعمل بما يشير به الوزير فيكون وزارته أوفق لمقصود القوم فالحاصل أنّ ما قصدتموه من بيعتي لا يتمّ لكم ووزارتي أوفق لغرضكم والغرض إتمام الحجّة كما عرفت.

٢٤ - **ما:** الحسين بن عبد الله عن أحمد بن جعفر البزوفري عن حمد بن زياد عن العباس ابن عبيد الله الدّهقان عن إبراهيم بن صالح الأنماطيّ رفعه قال:

لما أصبح أمير المؤمنين عليه السلام بعد البيعة دخل بيت المال ودعى بمال كان قد اجتمع فقسمه ثلاثة دنانير بين من حضر من الناس كلهم فقام سهل بن حنيف فقال يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا الغلام فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف[(١)].

٢٥ - **نهج:** ومن خطبة له [عليه السلام]: قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوماً وبيوم يوماً وانتظرنا الغير انتظار المُجْدِبِ المطر وإنّما الأئمّة قُوّام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه.

وإنّ الله تعالى خصكم بالإسلام واستخلصكم له وذلك لأنّه اسم سلامة وجِمَاع كرامة اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النّعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات إلاّ بمصابيحه قد أحمى حماهُ وأرعى مرعاه فيه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي[(٢)].

توضيح: قيل هذه خطبة خطب بها عليه السلام بعد قتل عثمان وانتقال الخلافة إليه ويمكن أن

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٨٦ مجلس ٣٨ ح ١٤٥٧. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٠٥ خ ١٥٠.

يكون المراد بطلوع الطالع ظهور إمرته وخلافته عليه السلام وأن يشير بـ «الموج» اللامع إلى ظهورها من حيث هي حق له وسطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه، وبـ «اللوح اللائح» إلى الحروب والفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه.

وقيل المراد بالجميع واحد فيحتمل أن يكون المراد طلع ما كان طالعاً فإنّ الخلافة كانت له عليه السلام حقيقة أي طلع ظاهراً ما كان طالعاً حقيقة كقوله عليه السلام: «واعتدل مائل» أي الخلافة التي كانت مائلة عن مركزها أو أركان الدين القويم.

ولعلّ انتظار الغير كناية عن العلم بوقوعه أو الرضى بما قضى الله من ذلك والمراد «بالغير» ما جرى قبل ذلك من قتل عثمان وانتقال الأمر إليه عليه السلام أو ما سيأتي من الحروب والوقائع والأول أنسب.

قوله عليه السلام: «قوام الله» أي يقومون بمصالحهم وقيّم المنزل هو المدبّر له «والعرفاء» جمع عريف وهو القيّم بأمور القبيلة والجماعة يلي أمورهم ويتعرّف الأمير منه أحوالهم «فعيل» بمعنى فاعل. «إلاّ من عرفهم» أي بالإمامة «وعرفوه» أي بالتشيّع والولاية. ومنكرهم من لم يعرفهم ولم يقرّ بما أتوا به من ضروريات الدين فهو منكر لهم.

قوله عليه السلام: لأنّه اسم سلامة أي الإسلام مشتقّ من السلامة وقال الجوهري: جماع الشيء بالكسر: جمعه يقال: الخمر جماع الإثم. والمرابيع: الأمطار التي تجيء في أوّل الربيع فيكون سبباً لظهور الكلأ. ويقال: أحميت المكان أي جعلته حمى.

قال ابن أبي الحديد أحماه أي جعله عرضة لأن يحمى أي عرض الله سبحانه حماه ومحارمه لأن يجتنب وأرعى مرعاه لأن يرعى أي مكّن من الانتفاع بمواعظه لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين. ويمكن أن يقال المعنى جعل له حرمات ونهى عن انتهاكها، أو ارتكاب نواهيه وتعدّي حدوده ورُخصاً أباح للناس التمتع بها. أو المراد بقوله عليه السلام: «قد أحمى حماهُ» منع المغيّرين من تغيير قواعده وبقوله: «أرعى مرعاه» مكّن المطيعين من طاعته التي هي الأغذية الروحانية للصالحين كما أن النّبات غذاء للبهائم.

٢٦ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام في أوّل خلافته: إنّ الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا الفرائض الفرائض أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة إن الله تعالى حرّم حراماً غير مجهول وأحلّ حلالاً غير مدخول وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلّها وَشدّ بالإخلاص والتّوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحقّ ولا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب.

بادروا أمر العامّة وخاصّة أحدكم وهو الموت فإن الناس أمامكم وإنّ الساعة تحدوكم من خلفكم تَخَفَّفُوا تلحقوا فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.

أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه[١].

بيان: واصدفوا أي أعرضوا عن طريقه. والقصد: العدل. ونصب الفرائض على الإغراء.

قوله عليه السلام: «وشدّ بالإخلاص» أي ربط الحقوق بها فأوجب على المخلصين الموحّدين المحافظة على حقوق المسلمين.

قوله: «وخاصّة أحدكم» قال ابن أبي الحديد: الموت وإن كان عامّاً لكل حيوان إلاّ أن له مع كلّ حيوان خصوصية وكيفيّة مخالفة مع غيره. «فإنّ الناس أمامكم» أي سبقوكم إلى الموت وفي بعض النسخ: «البأس» بالباء الموحّدة مع الهمزة أي الفتنة تحدوكم أي تسوقكم. والحداء: سوق الإبل والغناء لها «تخفّفوا» أي بالقناعة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها وارتكاب المأثم فإنّ المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه وبالنجاة «إنّما ينتظر» أي للبعث والنشور.

٢٧ - **فس:** أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله قال: خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعدما بويع له بخمسة أيام خطبة فقال: واعلموا أنّ لكلّ حقّ طالباً ولكلّ دم ثائراً والطالب كقيام الثائر بدمائنا والحاكم في حقّ نفسه هو العدل الذي لا يحيف والحاكم الذي لا يجور وهو الله الواحد القهّار.

واعلموا أنّ على كلّ شارع بدعة وِزْرُهُ ووزر كلّ مقتد به من بعده إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيئاً وسينقم الله من الظلمة مأكل بمأكل ومشرب بمشرب من لقم العلقم ومشارب الصَبر الأدهم فليشربوا الصّلب من الرّاح السّمّ المذاف وليلبسوا دثار الخوف دهراً طويلاً ولهم بكل ما أتوا وعملوا من أفاريق الصبر الأدهم فوق ما أتوا وعملوا أما إنّه لم يبق إلاّ الزمهرير من شتائهم وما لهم من الصَيف إلاّ رقدة ويحبسهم وما توازروا وجمعوا على ظهورهم من الآثام.

فيا مطايا الخطايا ويا زور الزَور وأوزار الآثام مع الذين ظلموا اسمعوا واعقلوا وتوبوا وابكوا على أنفسكم فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

فأُقسم ثم أُقسم لتحملنها بنو أُميّة من بعدي وليعرفنّها في دار غيرهم عمّا قليل فلا يبعد الله إلاّ من ظلم وعلى البادي - يعني الأوّل - ما سهّل لهم من سبيل الخطايا مثل أوزارهم وأوزار كلّ من عمل بوزرهم إلى يوم القيامة، ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون[٢].

إيضاح: والطالب كقيام الثائر أي طلب الطالب للحقّ كقيام الطالب بدمائنا، والثأر بالهمز: الدم والطلب به وقاتل حميمك «والثائر»: من لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره ذكره الفيروزآبادي «والحاكم في حق نفسه» ولعلّ المعنى أنّ في قتلنا حقّاً لنا وحقّاً لله تعالى حيث

(١) نهج البلاغة، ص ٣٤١ خ ١٦٥. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٦.

قتلوا حجّته ووليّه والقائم يطلب حقّنا والله العادل يحكم في حقّ نفسه أنّ على كلّ شارع بدعة وزره، شرع لهم كمنع: سنّ. وقوله: «وزره» اسم أنّ وخبره الظرف المقدّم أي يلزم مبدع البدعة ومحدثها وزر نفسه ووزر كلّ من اقتدى به «من لقم العلقم» اللّقم جمع اللقمة والعلقم: الحنظل وكلّ شيء مرّ «والأدهم»: الأسود «فليشربوا الصلب» أي الشديد الغليظ فإنّ شربه أعسر أو هو تصحيف «الصئب» بالهمز يقال: صئب من الشراب كفرح إذ روي وامتلأ «والصّيب» بالباء محركة بمعنى المصوب «والراح»: الخمر أُطلق تهكماً. و«الدّوف» الخلط والبلّ بماء ونحوه. وقال الفيروزآبادي: الفرقة: السقاء الممتلئ لا يستطاع يمخض حتى يفرق. والطّائفة من الناس والجمع: فرق وجمع الجمع: أفاريق «إلا الزمهرير من شتائهم» أي لم يبق من شدائد الدّنيا إلاّ ما أصابهم من تلك الشدة وليس لهم في ذلك أجر «إلاّ رقدة» - بالهاء - أي إلاّ نومة. وفي بعض النسخ بالفاء مع الضمير. والرفد بالكسر: العطاء وبالكسر والفتح: القدح الضخم والحاصل أنه لم يبق لهم من راحة الدّنيا إلاّ راحة قليلة ذهبت عنهم «ويحبسهم ما توازروا» أي يحبسهم يوم القيامة أوزارهم. وفي بعض النسخ: «وما توازروا» أي يحبسهم الله «ويا زور الزّور» قال في القاموس الزَّوْرَة: الناقة التي تنظر بمؤخر عينها لشدّتها. ولعلّ في بعض الفقرات تصحيفات.

٢٨ - **شا:** مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أمّا بعد فإنّ الله لم يقصم جباري دهر قطّ إلاّ من بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر كسر عظم أحد من الأمم إلاّ من بعد أزل وبلاء أيّها النّاس وفي دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من عتب معتبر وما كلّ ذي قلب بلبيب ولا كلّ ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر عين ببصير.

ألا فأحسنوا النظر عباد الله فيما يعنيكم ثم انظروا إلى عرصات من قد أباده الله بعلمه كانوا على سنّة من آل فرعون أهل جنّات وعيون وزروع ومقام كريم فها هي عرصة المتوسّمين وإنّها لبسبيل مقيم تنذر من نابها من الثبور بعد النضرة والسرور ومقيل من الأمن والحبور ولمن صبر منكم العاقبة ولله عاقبة الأمور.

فواهاً لأهل العقول كيف أقاموا بمدرجة السيول واستضافوا غير مأمون.

ويساً لهذه الأمّة الجائرة في قصدها الراغبة عن رشدها لا يقتفون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصيّ ولا يؤمنون بغيب ولا يرعوون من عيب كيف ومفزعهم في المبهمات إلى قلوبهم وكلّ امرئ منهم إمام نفسه آخذ منها في ما يرى بعُرى ثقات لا يألون قصداً ولن يزدادوا إلاّ بُعْداً لِشِدَّة أُنس بعضهم ببعضهم وتصديق بعضهم بعضاً حِياداً كلّ ذلك عمّا ورث الرّسول ونفوراً عمّا أدّى إليه من فاطر السّموات والأرضين العليم الخبير فهم أهل عشوات وكهوف شبهاتٍ قادة حيرة وريبة ممّن وكل إلى نفسه فاغرورق في الأضاليل هذا.

وقد ضمن الله قصد السّبيل: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيا ما أشبهها من أمّة صدرت عن ولاتها ورغبت عن رعاتها.

ويا أسفاً أسفاً يكلم القلب ويدمن الكرب من فعلات شيعتنا بعد مهلكي على قرب مودّتها وتأشّب أُلفتها كيف يقتل بعضها بعضاً وتحوّل أُلفتها بغضاً. فلله الأسرة المتزَحْزِحَةُ غداً عن الأصل، المخيمة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهة، المتوكّفة الروح من غير مطلعه، كلّ حزب منهم معتصم بغصن آخذ به، أينما مال الغصن مال معه.

مع أنّ الله - وله الحمد - سيجمعهم كقزع الخريف ويؤلف بينهم ويجعلهم ركاماً كركام السحاب يفتح الله لهم أبواباً يسيلون من مستشارهم إليها كسيل العرم حيث لم تسلم عليه قارة ولم تمنع منه أكمة ولم يردّ ركن طود سننه يغرسهم الله في بطون أودية ويُسلكهم ينابيع في الأرض ينفي بهم عن حرمات قوم ويمكّن لهم في ديار قوم لكي يغتصبوا ما غصبوا يضعضع الله بهم ركناً وينقض بهم على الجندل من ارم ويملأ منه بطنان الزيتون[١]. الخيرة بل لله الخيرة والأمر جميعاً[٢].

بيان: قوله عليه السلام: «إلى عرصات من قد أباده الله» أي انظروا إلى ديار من قد أهلكه الله بعمله كالخلفاء الثلاثة خصوصاً عثمان فها هي أي عرصات هؤلاء عرصة المتوسّمين المتفكرين في الدنيا وعواقبها المعتبرين بها «وإنّها لبسبيل مقيم» أي عرصاتهم ومنازلهم على سبيلكم تنظرون إليها صباحاً ومساء تنذر تلك العرصة من نابها معتبراً بلسان الحال بالوليل والثبور بعدما كان أصحابها في النضرة والسرور «والحبور» كالسّرور لفظاً ومعنىً.

«واستضافوا» أي طلبوا الضيافة أو قبلوها ممن لا يؤمن من الغدر وهو الدنيا.

«وَيَساً لهذه الأمّة» [قال الفيروزآبادي] في القاموس: ويس كلمة تستعمل في موضع رأفة واستملاح للصبيّ، والويس: الفقر.

وفي بعض النسخ: «ويا لهذه الأمّة» أي: يا قوم اعجبوا لهم «لا يألون قصداً» أي لا يقصرون في قصد الخيرات أو في طلب قصد السّبيل ووسطه بزعمهم لكن لقصور علمهم لا يزيدون إلاّ بعداً.

وفي بعض النسخ: «لا يأتون» وهو أصوب. «وقد ضمن الله» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ﴾ «فَيا ما أشبهها» أي يا قوم ما أشبه هذه الأمّة بأمة كذا تعريضاً لهم وإعراضاً من التصريح بصدور هذه الأعمال منهم.

---

(١) هنا نقص، وفي المصدر: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليذوبن ما في أيديهم من بعد التمكن في البلاد والعلو على العباد كما يذوب القار والآنك في النار. ولعل الله يجمع شيعتي بعد التشتت لشرّ يوم لهؤلاء وليس لأحد على الله . . . .

(٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٥٥.

والأظهر ما في الكافي «فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها» وفي الصّحاح: تَأَشبَ القوم: اختلطوا وائتشبوا أيضاً يقال: جاء فلان فيمن تأشب إليه أي انضم إليه. وقال: تزحزح: تنحّى. وقال: خيّم بالكان أي أقام. والتوكّف: الترقب الانتظار والحاصل أنهم تفرّقوا عن أئمة الحق ولم ينصروهم وتعلّقوا بالأغصان والفروع التي لا ينفع التعلّق بها كمختار وأبي مسلم وزيد ويحيى وإبراهيم وأمثالهم.

قوله عليه السلام: «سيجمعهم» إشارة إلى اجتماعهم على أبي مسلم لدفع بني أُميّة. والآنك بضم النون: الأسرب.

قوله عليه السلام: «ولعلّ الله يجمع شيعتي» إشارة إلى ظهور القائم عليه السلام وقد مرّ [وسيأتي "خ ل"] مزيد توضيح للخطبة عند إيرادها بسند آخر.

٢٩ - **ني:** الكليني عن علي عن أبيه عن ابن محبوب عن يعقوب السرّاج عليه السلام (١) بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب خطبة ذكرها يقول فيها: وعليّ بن رئاب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لمّا بويع أمير المؤمنين: ألا إن بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة حتّى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سبّاقون كانوا قصّروا وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم(٢).

٣٠ - **نهج:** ذمّتي بما أقول رهينةٌ وأنا به زعيم أنّ من صرحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حَجَزَهُ التقوى عن تقحّم الشبهات. ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة ولتساطنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وَشْمَةً ولا كذبت كِذْبَةً ولقد نُبّئت بِهذا المقام وهذا اليوم.

ألا وإنّ الخطايا خَيْلٌ شُمُسٌ حُملَ عليها أهلها وخُلِعَتْ لجمها فتقحمت بهم في النار.

ألا وإن التقوى مطايا ذُلُلٌ حمل عليها أهلها وأعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنّة.

حق وباطل ولكلّ أهل فلئن أمر الباطل لقديماً فعل ولئن قلّ الحقّ لربّما ولعلّ ولقلّ ما أدبر شيء فأقبل(٣).

بيان: الزعيم الكفيل «أن من صرحت» أي كشفت. والمثلات: العقوبات. وقحم في الأمر وتقحّمه: رمى بنفسه فيه. والشبهات: ما اشتبه حقّيته وحليّته.

---

(١) هنا نقص، وفي المصدر: وعلي بن رئاب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لما بويع لأمير المؤمنين....

(٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ١٣٥.

(٣) نهج البلاغة، ص ٦٨ خ ١٦.

وقيل: أراد بالشبهات ما يتوهّم كونه حقّاً ثابتاً باقياً من الأمور الزائلة الفانية. وقد مرّ تفسير باقي الكلام في باب شكايته عليه السلام.

٣١ - **نهج:** [وقال عليه السلام وقد] قال له طلحة والزبير: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر. فقال عليه السلام: لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز والأود(١).

بيان: قال ابن أبي الحديد أي إذا قوي أمر الإسلام بي قويتما أنتما أيضاً والاستعانة هنا الفوز والظفر «وعونان على العجز والأود»: أي العوج.

[و] قال ابن ميثم رحمه الله: أي على رفع ما يعرض منهما أو حال وجودهما إذ كلمة على تفيد الحال.

وروى ابن أبي الحديد أنه قال في جوابهما: أمّا المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك وهل يصحّ أن يدبّر أمر الرعيّة إمامان؟ وهل يجمع السيفان ويحك في غمد؟

٣٢ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام لمّا عوتب على التسوية في العطاء: أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا أطور به ما سَمِرَ سَمِيرٌ وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً لو كان المال لي لَسَوَّيْتُ بينهم فكيف وإنما المال لهم [فكيف وإنما المال مال الله «خ ل»] ثمّ قال عليه السلام: ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويُكرمه في الناس ويُهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم فإن زلّت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خدين وألأم خليل(٢).

إيضاح: قوله عليه السلام: «أتأمرونّي» أصله تأمرونني فأسكنت الأولى وأدغمت: «لا أطور به» أي لا أقربه أبداً ولا أدور حوله. و[قال الفيروزآبادي] في القاموس: السمر محرّكة اللّيل وحديثه.

«وما أفعله ما سمر السمير» أي ما اختلف الليل والنّهار. «وما أم نجم» أي قصد أو تقدم لأنّ النجوم لا تزال يتبع بعضها بعضاً فلا بد فيها من تقدّم وتأخّر ولا يزال يقصد بعضها بعضاً. «فإن زلّت به النّعل» أي إذا عثر وافتقر. والخدين: الصديق.

٣٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة وليس أمري وأمركم واحداً إنّي أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم أيّها الناس أعينوني على أنفسكم وأيم الله لانصفن المظلوم ولأقودنّ الظالم بخزامته حتى أُورده منهل الحق وإن كان كارهاً(٣).

إيضاح: الفلتة الأمر يقع من غير تدبّر ولا رويّة وفيه تعريض ببيعة أبي بكر كما روت العامة

(١) نهج البلاغة، ص ٦٧٠ قصار الحكم ح ٢٠٣. (٢) نهج البلاغة، ص ٢٧١ خ ١٢٤.
(٣) نهج البلاغة، ص ٢٨٤ خ ١٣٤.

عن عمر أنّه قال: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

وقوله عليه السلام : «إنّي أريدكم» الخطاب لغير الخواصّ من أصحابه عليه السلام والمعنى: [إني] أريد إطاعتكم إيّاي لله وتريدون أن تطيعوني للمنافع الدنيوية.

وقال الجوهري: خزمت البعير بالخزامة وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه ليشدّ فيها الزمام.

٣٤ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته للخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما:

لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه؟ وأي قَسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه؟ أم جهلته أم أخطأت بابه؟ والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبعته وما استسنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما ولم يقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما.

وأمّا ما ذكرتما من أمر الأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى منّي بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى أخذ الله بقلوبكم وقلوبنا إلى الحق وألهمنا وإيّاكم الصبر.

رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فردّه وكان عوناً بالحقّ على صاحبه[1].

توضيح: قال [ابن الأثير] في النهاية نقم [فلان] إذا بلغت به الكراهة حد السّخط.

وقال ابن أبي الحديد: أي نقمتما من أحوالي اليسير وتركتما الكثير الذي ليس لكما ولا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير للكثير؟ وليس هذا اعترافاً بأن ما نقماه موضع الطعن والعيب ولكنّه على جهة الاحتجاج.

وقال ابن ميثم: أشار باليسير الذي نقماه إلى ترك مشورتهما وتسويتهما لغيرهما في العطاء فإنّه وإن كان عندهما صَعْباً فهو لكونه غير حقّ في غاية السّهولة والكثير الذي أرجَآه ما أخّراه من حقّه ولم يؤتياه إيّاه.

وقيل: يحتمل أن يريد أنّ الذي أبدياه ونقماه بعض ما في أنفسهما وقد دلّ ذلك على أنّ في أنفسهما أشياء كثيرة لم يظهراه. والاستئثار: الانفراد بالشّيء. ودفع الحقّ عنهما أعمّ من أن يصير إليه عليه السلام أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل بقي بحاله في بيت المال، والإستئثار

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٦ خ ٢٠٣.

عليهما به هو أن يأخذ حقّهما لنفسه. وجهل الحكم أن يكون الله قد حكم بحرمة شيء فأحلّه الإمام، وجهل الباب أن يصيب في الحكم ويخطئ في الاستدلال أو يكون جهل الحكم بمعنى التحير فيه وأن لا يعلم كيف يحكم والخطأ في الباب أن يحكم بخلاف الواقع. والإربة بالكسر: الحاجة. والأسوة بالضمّ والكسر: القدوة أي أسوتكما بغيركما في العطاء. ويقال للأمر الذي لا يحتاج إلى تكميل مفروغ منه. والعُتْبى: الرجوع من الذنب والإساءة.

٣٥ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة: وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها انقطعت النعل وسقطت الرّداء، ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعابُ(١).

بيان: تداككتم أي ازدحمتم ازدحاماً شديداً يدك بعضكم بعضاً والدّك: الدّق. والهيم: العطاش. وقال الجوهري: الهدجان: مشية الشيخ. وهدج الظليم إذا مشى في ارتعاش. وحسرت أي كشفت عن وجهها حرصاً على حضور البيعة. والكعاب - بالفتح - المرأة حين تبدو ثديها للنهود هي الكاعب وجمعها كواعب ذكره [ابن الأثير] في [كتاب] النهاية.

٣٦ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك: يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة فليأت عليها بأمر يعرف وإلاّ فليدخل في ما خرج منه(٢).

بيان: الوليجة: البطانة. والأمر يسرّ ويكتم. قال ابن أبي الحديد: كان الزّبير يقول: بايعت بيدي لا بقلبي وكان يدّعي تارة أنّه أُكره عليها و[تارة] يدّعي أنه ورّى في البيعة تورية!! فقال عليه السلام: بعد الإقرار لا يسمع دعوىً بلا بيّنة ولا برهان.

٣٧ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: وقد أرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل ولسنا نرعد حتّى نوقع ولا نسيل حتّى نمطر(٣).

بيان: يقال: أرعد الرجل وأبرق إذا توعّد وتهدّد. قوله عليه السلام: «حتى نوقع» لعلّ المعنى لسنا نهدّد حتى نعلم أنّا سنوقع. قوله عليه السلام: «حتى نمطر» أي إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذٍ بالإيقاع غيره من خصومنا.

٣٨ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام: ألا وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وإنّ معي لبصيرتي ما لبّست على نفسي ولا لُبّسَ عليّ وأيم الله لأفرطَنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لا يَصْدِرُونَ عنه ولا يعودون إليه(٤).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٧٣ خ ٢٢٦.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣ خ ٨.
(٣) نهج البلاغة، ص ٦٣ خ ٩.
(٤) نهج البلاغة، ص ٦٤ خ ١٠.

بيان قال ابن ميثم: هذا الفصل ملتقط [و] ملفّق من خطبة له عليه السلام لمّا بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم. والرجل: جمع راجل.

وقال ابن أبي الحديد في قوله: «لأفرطنّ لهم» من رواها بفتح الهمزة فأصله: فرط ثلاثي يقال فرط القوم: سبقهم ورجل فرط يسبق القوم إلى البئر فيهيّئ لهم الأرشية والدلاء ومنه قوله: «أنا فرطكم على الحوض» ويكون التقدير: لأفرطنّ لهم إلى حوض فحذف الجار وعدى الفعل بنفسه كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ ويكون اللام في «لهم» إمّا للتقوية كقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يؤمن المؤمنين أو يكون اللام للتعليل أي لأجلهم.

ومن رواها «لافرطنّ» بضم الهمزة فهو من [قولهم]: أفرط المزادة: ملأها. «والماتح» [بالتاء]: المستقي [من قولهم]: «متح يمتح» بالفتح «والمايح» بالياء الذي ينزل إلى البئر فيملأ الدلو. وقال: [معنى قوله]: «أنا ماتحه» أي أنا خبير به كما يقول من يدّعي معرفة الدّار: أنا باني هذه الدار وحاصل المعنى لأملأنّ لهم حياض حرب [هي من دربتي وعادتي] أو لأسبقنّهم إلى حياض حرب أنا متدرّب بها مجرّب لها إذا وردوها لا يصدرون عنها يعني قتلهم [وإزهاق أنفسهم] ومن فرّ منها لا يعود إليها.

٣٩ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: ألا وإنّ الشيطان قد ذمّر حزبه واستجلب جَلَبَه ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل في نصابه.

والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ودماً هم سفكوه فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه.

ولئن كانوا ولّوه دوني فما التبعة إلاّ عندهم وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أُمّاً قد فطمت ويحيون بدعة قد أُميتت يا خَيْبَةَ الداعي من دعا وإلى ما أُجيب وإنّي لراض بحجّة الله تعالى عليهم وعلمه فيهم فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحق. ومن العجب بعثهم إليّ أن ابرز للطعان وأن اصبر للجلاد؟! هبلتهم الهبول لقد كنت وما أُهدّد بالحرب ولا أُرهب بالضرب وإنّي لعلى يقين من ربّي وغير شُبْهَةٍ من ديني(١).

بيان: قوله عليه السلام: «قد ذمر» يروى بالتخفيف والتشديد، وأصله الحثّ والترغيب. و«الجلب»: الجماعة من الناس وغيرهم يجمع ويؤلف.

قوله عليه السلام: «[ليعود الجور] إلى أوطانه» يروى «ليعود الجور إلى قطابه» والقطاب: مزاج الخمر بالماء أي ليعود الجور ممتزجاً بالعدل كما كان. ويجوز أن يعني بالقطاب قطاب الجيب وهو مدخل الرأس فيه أي ليعود الجور إلى لباسه وثوبه. والنّصاب: الأصل. والذي أنكروه قتل عثمان. والنّصف بالكسر الاسم من الإنصاف.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٨٠ خ ٢٢.

قوله عليه السلام : «يرتضعون أمّاً» أي يطلبون الشيء بعد فواته لأنّ الأمّ إذا فطمت ولدها فقد انقضى رضاعها ولعلّ المراد به أن طلبهم لدم عثمان لغو لا فائدة فيه.

وقال ابن ميثم: استعار لفظة الأمّ للخلافة فبيت المال لبنها والمسلمون أولادها المرتضعون وكنّى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه عليه السلام من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم. وكونها قد فطمت عن منعه عليه السلام . وقوله: «يحيون بدعة قد أميتت» إشارة إلى ذلك التفضيل فيكون بمنزلة التأكيد للقرينة السابقة.

ويحتمل أن يكون المراد بالأمّ الّتي قد فطمت ما كان عادتهم في الجاهلية من الحميّة والغضب وإثارة الفتن. وبفطامها اندراسها بالإسلام فيكون ما بعده كالتفسير له.

والنداء في قوله: «يا خيبة الداعي» كالنداء في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ أي يا خيبة احضري فهذا أوانك «والداعي» هو أحد الثلاثة طلحة والزبير وعائشة ثم قال على سبيل الاستحقار لهم: «من دعا وإلى ما أجيب» أي أحقر بقوم دعاهم هذا الداعي وأقبح بالأمر الذي أجابوه إليه فما أفحشه وأرذله.

وقال الجوهري: هبلته أمّه بكسر الباء أي ثكلته. والهبول من النساء: الثكول.

قوله عليه السلام : «لقد كنت» قال ابن أبي الحديد: أي ما زلت لا أهدّد بالحرب والواو زائدة وهذه كلمة فصيحة كثيراً ما يستعملها العرب وقد ورد في القرآن العزيز كان بمعنى مازال في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

٤٠ - **أقول:** قال ابن ميثم رحمه الله بعد إيراد تلك الفقرات: أكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا أنّه عليه السلام خطبها حين بلغه أنّ طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان ونحن نوردها بتمامها وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله: أيها الناس إن الله افترض الجهاد فعظّمه وجعله نصرته وناصره، والله ما صلحت دين ولا دنيا إلاّ به، وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خليه ومن أطاعه ليعود له دينه وسنّته [وخدعه] وقد رأيت أموراً قد تمخّضت.

والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً إنّهم ليطلبون حقّاً تركوه ودماً سفكوه فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه، وإن كانوا لولّوه دوني فما الطلبة إلاّ قبلهم وإنّ أوّل عدلهم لعلى أنفسهم ولا أعتذر ممّا فعلت ولا أتبرأ مما صنعت إنّ معي لبصيرتي ما لبّست ولا لبّس عليّ وإنّها للفئة الباغية فيها الحم والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودنّ الباطل إلى نصابه.

يا خيبة الداعي لو قيل ما أنكر من ذلك وما إمامه وفيمن سننه [وفيما سُنَّتُهُ «خ ل»] والله إذاً لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما أظن الطريق له فيه واضح حيث نهج. والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا تنصّل عن خطيئته وما اعتذر إليهم فعذروه ولا دعا فَنَصَرُوهُ.

وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بريّ ولا يعبون حسوة أبداً وإنّها

لطيّبة نفسي بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم وإنّي داعيهم فمعذر إليهم فإن تابوا وقبلوا وأجابوا وأنابوا فالتوبة مبذولة والحقّ مقبول وليس عليّ كفيل وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل وناصراً لمؤمن، ومع كلّ صحيفة شاهدها وكاتبها.

والله إنّ الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وهم مبطلون.

وقال ﷺ: تمخضت: تحرّكت والتَّبِعَةُ: ما يلحق الإنسان من درك. والحمّ بفتح الحاء وتشديد الميم: بقية الإلية التي أذيبت وأُخذ دهنها. والحمة: السواد. وهما استعارتان لأراذل الناس وعوامهم لمشابهتهم حمّ الإلية وما اسودّ منها في قلّة المنفعة والخير. والجلبة: الأصوات. وجونتها بالضمّ: سوادها. وانكفت واستكفت أي استدارت. وزاح وانزاح: تنحّى. وتنصّل من الذنب: تبرّأ منه. والعبّ: الشرب من غير مصّ. والحسوة بضمّ الحاء: قدر ما يحسى مرة واحدة. والجلاد: المضاربة بالسيف. والهبول: الثكلى. والهبل: الثكل.

واعلم أنّه عليه السلام نبّه أوّلاً على فضل الجهاد لأن غرضه استنفارهم لقتال أهل البصرة وقوله: «وقد رأيت أموراً» إشارة إلى تعيين ما يستنفرهم إليه وهو ما يحسّ به من مخالفة القوم وأهبتهم لقتاله، وقوله: «والله ما أنكروا» إشارة إلى بطلان ما ادّعوه منكراً ونسبوه إليه من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه، فأنكر أوّلاً إنكارهم عليه تخلّفه عن عثمان الذي زعموا أنّه منكر ولمّا لم يكن منكراً كان ذلك الإنكار عليه هو المنكر.

وقوله: «وإنهم ليطلبون» إشارة إلى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركاء فيه[1].

روى الطبري في تاريخه أنّ علياً كان في ماله بخيبر لمّا أراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمان إليه يشكو أمر طلحة فقال: أنا أكفيكه فانطلق إلى دار طلحة وهي مملوءة بالناس فقال له: يا طلحة ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان؟ فقال طلحة: يا أبا الحسن أبعد أن مسّ الحزام الطّبيين.

فانصرف عليّ عليه السلام إلى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرّق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده فسرّ عثمان بذلك وجاء طلحة إلى عثمان فقال له: يا أمير المؤمنين إني أردت أمراً فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائباً! فقال: والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً الله حَسِيبُكَ يا طلحة.

وروى الطبري أيضاً أنّه كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً فقال له طلحة يوماً: قد تهيّأ مالك فاقبضه. فقال: هو لك معونةً على مروّتك فلمّا حصر عثمان قال عليّ عليه السلام لطلحة: أنشدك الله إلاّ كففت عن عثمان فقال: لا والله حتّى تعطي بنو أُميّة الحقّ من أنفسها فكان عليّ بعد ذلك يقول: لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان مثل ما أعطاه وفعل به ما فعل.

---

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني، ج ١ ص ٣٣٣.

وروي أنّ الزبير لمّا برز لعليّ عليه السلام يوم الجمل قال له: ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟ قال: أطلب بدم عثمان. فقال له: أنت وطلحة وليتماه، وإنّما توبتك من ذلك أن تقدّم نفسك وتسلّمها إلى ورثته. وبالجملة فدخولهم في قتل عثمان ظاهر.

قوله عليه السلام: «وإنّ أوّل عدلهم» أي إنّ العدل الذي يزعمون أنّهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي أن يصنعوه أوّلاً على أنفسهم.

قوله: «ولا أعتذر» أي الاعتذار الذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الذي يوجب الاعتذار والتبرّؤ منه.

وقوله عليه السلام: «طالت جلبتها» كناية عمّا ظهر من القوم من تهديدهم وتوعّدهم بالقتال. «وانكفت جونتها» أي استدار سوادها واجتمع كناية عن تجمع جماعتهم لما يقصدون.

وقوله عليه السلام: «ليعودن» توعّد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستنفار إلى القتال. وقوله عليه السلام: «يا خيبة الداعي» خرّج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاء إلى قتاله. و«من دعا وإلى ما أجيب» استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوّين لقتاله والمناصرين إذ كانوا عوام الناس ورعاعهم وللمدعو إليه وهو الباطل الذي دعوا لنصرته.

وقوله: «لو قيل» إلى قوله: «وانقطع لسانه» متصلة معناه ولو سأل سائل مجادلاً لهؤلاء الدعاة إلى الباطل عمّا أنكروه من أمري وعن إمامهم الذي به يقتدون وفيمن سنتهم التي إليها يرجعون لشهد لسان حالهم بأنّي أنا إمامه وفي سنتهم فانزاح باطلهم الذي أتوا به «وانقطع لسانه» على الاستعارة أو بحذف المضاف أي لسان صاحبه.

وقوله «وما أظن» عطف على قوله: «وانقطع لسانه» و«واضح» مبتدأ «وفيه» خبره والجملة في محل النصب مفعول ثان لأظن أي ما أظنّ لو سأل السّائل عن ذاك أنّ الطريق الذي يرتكبه المجيب له فيه مجال بيّن ومسلك واضح حيث سلك بل كيف توجه في الجواب أنقطع. وقوله: «والله ما تاب» إلى قوله: «فنصروه» إشارة إلى عثمان وذمّ لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يعذروه ودعاهم إلى نصرته في حصاره فلم ينصروه مع تمكّنهم من ذلك. وقوله: «ولا يعبّون حسوة» كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الأمر أو شيء منه.

وقوله: «وإنّها لطيبة نفسي بحجّة الله عليهم» نفسي منصوب بدلاً من الضّمير المتصل بإن أو بإضمار فعل تفسير له: «وحجة الله» إشارة إلى الأوامر الصادرة بقتل الفئة الباغية كقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ أي إنّي راض بقيام حجّة الله عليهم وعلمه بما يصنعون.

وقوله: «وليس علي كفيل» أي لا أحتاج فيما أبذله لهم من الصفح والأمان على تقدير إنابتهم إلى ضامن: «وشافياً وناصراً» منصوبان على التميز.

وقوله: «ومع كل صحيفة» الواو للحال أي إنّهم إن لم يرجعوا أعطيتهم حدّ السيف

والملائكة الكرام والكاتبون يكتب كلّ منهم أعمال من وكّل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيامة انتهى.

قوله [أي ابن ميثم رحمه الله]: «من اعتذر إليهم» الظاهر أنّه حمل الكلام على الاستفهام الإنكاري ويحتمل وجهاً آخر بأن يكون المراد نفي توبته وتنصّله واعتذاره ودعوته فيستحق النّصرة لكن ما ذكره أوفق بالأخبار والضمير في أنها يحتمل أن يكون للقصّة.

٤١ - ٤٤ - **أقول:** قال ابن أبي الحديد: روى أبو مخنف عن مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال: لمّا رجعت رسل عليّ عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال:

أيّها الناس إني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا أو يرجعوا ووبّختهم بنكثهم وعرّفتهم بغيهم فلم يستجيبوا، وقد بعثوا إليّ أن ابرز للطعان واصبر للجلاد إنّما تمنّيك نفسك أمانيّ الباطل وتعِدُك الغرور. ألا هبلتهم الهبول لقد كنت وما أُهدّد بالحرب ولا أُرهب بالضرب ولقد أنصف القارة من راماها فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديماً وعرفوا نكايتي فقد رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حدّ المشركين وفرّقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوّي اليوم وإنّي لعلى ما وعدني ربّي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني.

أيّها الناس إنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد ولا محيص من لم يقتل مات [و] إنّ أفضل الموت القتل والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش.

اللهم إنّ طلحة نكث بيعتي وألّب على عثمان حتى قتله ثم عَضَهَني به ورماني اللهم فلا تمهله. اللهم إنّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليّ عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت.

قال: وروى أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أوّل إمارة عليّ فمررت بمكّة فاعتمرت ثمّ قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نودي الصّلاة جامعة فاجتمع الناس وخرج علي عليه السلام متقلّداً سيفه فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال: أما بعد فإنّه لمّا قبض الله نبيه قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقّنا طامع إذ تَنَزّى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الأعين منّا لذلك وخشنت الصّدور وجزعت النفوس.

وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه، فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شنأ مني لأمركم وفراسة تصدقني عمّا في قلوب كثير منكم وبايعني هذان

الرجلان في أوّل من بايع تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.

اللهم فخذهما بما عملا أخذةً رابية ولا تنعش لهما صرعةً ولا تُقلهما عثرة ولا تمهلهما فُواقاً فإنهما يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه.

اللهم إني اقتضيك وعدك فإنّك قلت وقولك الحق لمن بغي عليه لَيَنْصُرَنّه الله اللهم فأنجز لي موعدي ولا تكلني إلى نفسي إنّك على كلّ شيء قدير. ثمَّ نزل.

وروى الكلبي قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى البصرة قام فخطب النّاس فقال بعد أن حمد الله وصلّى على رسوله:

إنّ الله لمّا قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من النّاس كافّة فرأيت أنّ الصّبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو، عهد بالإسلام والدين يمخض مخض الوطب يفسده أدنى وهن ويعكسه أقلّ خلق.

فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله وليّ تمحيص سيّئاتهم والعفو عن هفواتهم فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا عليّ حولاً ولا شهراً حتّى وثبا ومرقا ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أمّاً قد فطمت ويحييان بدعة قد أميتت أدم عثمان زعما [يطالبان]؟ والله ما التبعة إلاّ عندهم وفيهم وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم وأنا راض بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم فإن فاءا وأنابا فحظّهما أحرزا وأنفسهما غنما وأعظم بها غنيمة وإن أبيا أعطيتهما حدّ السيف وكفى به ناصراً لحقّ وشافياً من باطل. ثمّ نزل.

وروى أبو مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت عليّاً عليه السلام بذيقار وهو معتمّ بعمامة سوداء ملتفٌّ بساج يخطب فقال في خطبته:

الحمد لله على كل أمرٍ وحال في الغدوّ والآصال، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله ابتعثه رحمةً للعباد وحياةً للبلاد حين امتلأت الأرض فتنةً واضطرب حبلها وعبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدوّ الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب الذي أطفأ الله به نيرانها وأخمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به ميلها إمام الهدى والنّبي المصطفى صلى الله عليه وآله فلقد صدع بما أمره به وبلّغ رسالات ربّه فأصلح الله به ذات البين وآمن به السبل وحقن به الدماء وألّف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصّدور حتى أتاه اليقين ثمّ قبضه الله إليه حميداً.

ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ثم أستخلف الناس عثمان فنال منكم ونلتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموني لتبايعوني فقلت: لا حاجة في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها وتداككتم

عليّ حتى ظننت أنكم قاتليّ وأنّ بعضكم قاتل بعض فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل وقد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أُمّة محمّد ﷺ ولقد سمعته ﷺ يقول: «ما من والٍ يلي شيئاً من أمر أُمّتي إلاّ أُتي به يوم القيامة مغلولةً يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلاً نجا وإن كان جائراً هوى» حتى اجتمع عليّ ملؤكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجههما والنكث في أعينهما ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليسا العمرة يريدان فسارا إلى مكّة واستخفّا عائشة وخدعاها وشخص معهما أبناء الطلقاء فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر.

ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليّ وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ولو شئت أن أقول لقلت.

ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عنّي وخرجا يوهمان الطّغام والأعراب أنّهما يطلبان بدم عثمان. والله ما أنكرا عليّ منكراً ولا جعلا بيني وبينهم نصفاً إنّ دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما. يا خيبة الداعي إلى م دعا؟ وبماذا أجيب؟ والله إنّهما لعلى ضلالة صمّاء وجهالة عمياء وإنّ الشيطان قد ذمّر لهما حزبه واستجلب منهما خيله ورجله ليعيد الجور إلى أوطانه ويردّ الباطل إلى نصابه.

ثم رفع يديه فقال: اللهم إنّ طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألّبا عليّ ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبداً وأرهما المساءة فيما عملا وأملا.

قال أبو مخنف فقام إليه الأشتر فقال: الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل وأحسن إلينا فأجمل قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ولقد أصبت ووفّقت وأنت ابن عمّ نبيّنا وصهره ووصيّه وأوّل مصدق به ومصلّ معه شهدت مشاهده كلّها فكان لك الفضل فيها على جميع الأُمّة فمن اتّبعك أصاب حظّه واستبشر بفلجه ومن عصاك ورغب عنك فإلى أُمّه الهاوية، لعمري يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت فإن زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما فإنّهما أوّل من ألّب عليه وأغرى الناس بدمه وأُشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنُلحقنّهما بعثمان فإنّ سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا ونحن اليوم كما كنّا أمس ثم قعد(١).

توضيح: ارعوى عن القبيح أي كفّ. وقال الجوهري: القارة قبيلة سمّوا قارة لاجتماعهم والتفافهم لمّا أراد ابن الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وهم رماة وفي المثل: أنصف القارة من راماها. وقال الجوهري: نكيت في العدوّ نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت. وقال: عَضَهه عضهاً: رماه بالبهتان. وقال: التنزّي: التوثّب والتسرّع. وفي بعض النسخ:

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٢٦.

«إذ انبرى» - [أي] اعترض - وهو أصوب. والسوقة: خلاف الملك. قوله عليه السلام: «لم يألوا الناس خيراً» فيه تقيّة ومصلحة قال الجوهري: ألا يألو [من باب «دعا»] أي قصر. وفلان لا يألوك نصحاً [أي لا يقصر في نصحك].

وقال: قال الفراء في قوله تعالى: ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي زائدة كقولك: أربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت. وقال: الفواق ما بين الحلبتين من الوقت لأنّها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثم تحلب يقال: ما أقام عنده إلاّ فواقاً. قوله عليه السلام: «لمن بغي عليه» أي قال في حقّ من بغي عليه والمقول: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ والآية هكذا: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ والوطب بالفتح: الزّق الذي يكون فيه السّمْن واللبن.

والمراد بالخلق إمّا قدم اللبن ومضيّ زمان عليه أو خلق الزّق فإنّه يفسد اللبن «وأعظم» بها للتعجب أي ما أعظمها «والجذل» بالتحريك: الفرح «المعصوب بهما» أي مشدود عليهما.

٤٥ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فإن حقّقت فانفذ وإن تفشّلت فأبعد وأيم الله لتؤتينّ حيث أنت ولا تترك حتّى تخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتّى تعجل عن قعدتك وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذلّ صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك أمرك وخذ نصيبك وحظّك فإن كرهت فتنحّ إلى غير رحب ولا في نجاة فبالحريّ لتكفين وأنت نائم حتى لا يقال: أين فلان والله إنّه لحق مع محقّ وما يبالي ما صنع الملحدون والسّلام[1].

بيان: هو لك وعليك قال ابن أبي الحديد: فإنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة: إنّ علياً إمام هدى وبيعته صحيحة إلاّ أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة انتهى.

وأقول كون هذا الكلام له وعليه لاشتماله على الحقّ والباطل والحق ينفعه والباطل يضرّه أو ظاهر الكلام له تستحسنه العوام وباطنه حجّة عليه إذ بعد الإقرار بصحة البيعة لا مجال للأمر بالمخالفة أو ظنّ أن هذا الكلام ينفعه وفي الواقع يضرّه أو ينفعه في الدنيا ويضرّه في العقبى.

والأمر برفع الذيل وشدّ المئزر كنايتان عن الاهتمام في الأمر والخروج من الجُحْر استهانة به حيث جعله ثعلباً أو ضبعاً. والجحر بالضم كل شيء تحفره السباع والهوام لأنفسها. قوله عليه السلام: «فإن حقّقت» أي أمرك مبنيّ على الشك فإن حقّقت لزوم طاعتي فانفذ أي فسر

(١) نهج البلاغة، ص ٦٠٧ خ ٣٠١.

حتى تقدم عليّ وإن أقمت على الشكّ فاعتزل العمل أو إن أنكرت الطاعة فأظهر إنكارك واعمل بمقتضاه.

«والخاثر» اللبن الغليظ «والزبد» خلاصة اللبن وصفوته يقال للرجل إذا ضرب حتّى أثخن: «ضرب حتى خلط زبده بخاثره وذائبه بجامده» كأنّه خلط ما رقّ ولطف من أخلاطه بما كثف وغلظ منها وهذا مثل ومعناه ليفسدن حالك وليضطربنّ ما هو الآن منتظم من أمرك. والقعدة بالكسر هيئة القعود كالجلبة والركبة.

قوله: «وتحذر من أمامك» قيل كناية عن غاية الخوف. وإنما جعل عليه السلام الحذر من خلف أصلاً في التشبيه لكون الإنسان من ورائه أشدّ خوفاً. وقيل حتى تخاف من الدّنيا كما تخاف من الآخرة. ويحتمل أن يكون المعنى حتى تحذر من هذا الأمر الذي أقبلت إليه وأقدمت عليه - وهو تثبيط الناس عن الجهاد - كما تحذر ممّا خلفته وراء ظهرك ولم تقدم عليه وهو الجهاد.

وقال ابن أبي الحديد: أي يأتيكم أهل البصرة مع طلحة ونأتيكم بأهل المدينة والحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم ومن خلفكم.

وقال في قوله عليه السلام: «وما بالهوينا» أي ليست هذه الداهية بالشيء الهيّن الّذين ترجو اندفاعه بسهولة فإنّ قصد الجيوش الكوفة من كلا الجانبين أمر صعب المرام فإنّه ليركبنّ أهل الحجاز وأهل البصرة هذا الأمر المستصعب لأنّا نحن نطلب أن نملك الكوفة وأهل البصرة كذلك فيجتمع عليها الفريقان.

وقال [ابن الأثير] في النهاية: الهون: الرفق واللين والتّثبّت «والهوينا» تصغير الهونى تأنيث الأهون.

وقوله: «فاعقل عقلك» يحتمل المصدر: وقيل هو مفعول به «وخذ نصيبك وحظّك» أي من طاعة الإمام وثواب الله وقيل أي لا تتجاوز إلى ما ليس لك. «فإن كرهت فتنح» أي عن العمل فإنّي قد عزلتك. «إلى غير رحب» أي سعة بل يضيق عليك الأمر بعده. وقال في النهاية: بالحري أن يكون كذا أي جدير.

وقال ابن أبي الحديد: أي جدير أن تكفى هذه المؤونة التي دعيت إليها «وأنت نائم» أي لست معدوداً عندنا وعند الناس من الرجال الذين يفتقر الحرب والتدبيرات إليهم فسيغني الله عنك ولا يقال: أين فلان.

٤٦ - **نهج**: ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه:

فإن عادوا إلى ظلّ الطاعة فذاك الذي نحبّ، وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنّ المتكاره مغيبه خير من شهوده وقعوده أغنى من نهوضه(١).

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٣ خ ٢٤٢.

توضيح: قال ابن ميثم: روي أنّ الأمير الذي كتب إليه عثمان بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها وعزموا على الحرب فكتب عثمان إليه يخبره بحالهم فكتب عليه السلام إليه كتاباً فيه الفصل المذكور.

«وإن توافت الأمور» أي تتابعت بهم المقادير وأسباب الشقاق والعصيان إليهما ويقال: نهد القوم إلى عدوّهم إذا صمدوا له وشرعوا في قتالهم «وتقاعس»: أبطأ وتأخر. و«المتكاره» من يظهر الكراهة ولا يطيع بقلبه. «والنهوض»: القيام.

٤٧ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

أمّا بعد فإنّي خرجت من حيّي هذا إمّا ظالماً وإمّا مظلوماً وإمّا باغياً وإمّا مبغيّاً عليه؛ وأنا أُذكّر الله من بلغه كتابي هذا لمّا نفر إليّ فإن كنت محسناً أعانني وإن كنت مسيئاً استعتبني(١).

بيان: «لمّا نفر» بالتشديد بمعنى إلاّ أي ذكره في كلّ وقت إلاّ وقت النفور كقولهم: سألتك لمّا فعلت.

وفي بعض النسخ بالتخفيف فكلمة ما زائدة كما قيل في قوله تعالى: ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ فإنّه قرئ بالتخفيف والتّشديد معاً والاستعتاب طلب العتبى وهو الرجوع.

٤٨ - **ما:** أحمد بن محمّد بن الصلت عن ابن عقدة عن جعفر بن عبد الله العلوي عن عمّه القاسم بن جعفر عن عبد الله بن محمّد العلوي عن أبيه عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام قال: حدّثني عبد الرحمان بن أبي عمرة الأنصاري قال: سمّاني رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الرحمن قال: لمّا بلغ عليّاً مسير طلحة والزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثم قال:

أمّا بعد فقد بلغني مسير هذين الرجلين واستخفافهما حَبِيسَ رسول الله صلى الله عليه وآله واستفزازهما أبناء الطلقاء وتلبيسهما على الناس بدم عثمان وهما ألّبا عليه وفعلا به الأفاعيل وخرجا ليضربا الناس بعضهم ببعض اللّهم فاكف المسلمين مؤنتهما واجزهما الجوازي.

وحضّ الناس على الخروج في طلبهما فقام إليه أبو مسعود عقبة بن عمرو فقال: يا أمير المؤمنين إن الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ومجلسك فيما بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من الشام والعراق فإن كنت إنّما تسير لحرب فقد أقام عمر وكفاه سعد زحف القادسيّة وكفاه حذيفة بن اليمان زحف نهاوند وكفاه أبو موسى زحف تستر وكفاه خالد بن الوليد زحف الشام فإن كنت سائراً فخلّف عندنا شقة منك نرعاه فيك ونذكرك به ثم قال أبو مسعود:

بكت الأرض والسماء على الشا ... خص منّا يريد أهل العراق
يا وزير النبي قد عظم الخطب ... وطعم الفراق مرّ المذاق

(١) نهج البلاغة، ص ٥٩٩ خ ٢٩٥.

وإذا القوم خاصموك فقوم ناكسو الطرف خاضعو الأعناق
لا يقولون إذ تقول وإن قلت فقول المبرّز السبّاق
فعيون الحجاز تذرف بالدّمع وتلك القلوب عند التّراقي
فعليك السلام ما ذرت به الشمس ولاح السّراب بالرّقراق

فقال قيس بن سعد: يا أمير المؤمنين ما على الأرض أحد أحبّ إلينا أن يقيم فينا منك لأنّك نجمنا الذي نهتدي به ومفزعنا الذي نصير إليه وإن فقدناك لتظلمنّ أرضنا وسماؤنا ولكن والله لو خلّيت معاوية للمكر ليرومنّ مصر وليفسدنّ اليمن وليطمعنّ في العراق ومعه قوم يمانيّون قد أُشربوا قتل عثمان وقد اكتفوا بالظّن عن العلم وبالشكّ عن اليقين وبالهوى عن الخير فسر بأهل الحجاز وأهل العراق ثمَّ ارمه بأمر يضيق فيه خناقه ويقصر له من نفسه. فقال: أحسنت والله يا قيس وأجملت.

وكتبت أمّ الفضل بنت الحارث إلى عليّ عليه السلام تخبره بمسير عائشة وطلحة والزبير فأزمع المسير فبلغه تثاقل سعد وأسامة بن زيد ومحمّد بن مسلمة فقال سعد: لا أشهر سيفاً حتّى يعرف المؤمن من الكافر.

وقال أسامة: لا أُقاتل رجلاً يقول: لا إله إلاّ الله ولو كنت في زبية الأسد لدخلت فيه معك. وقال محمد بن مسلمة: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله سيفاً وقال: إذا اختلف المسلمون فاضرب به عرض أحد والزم بيتك. وتخلّف عنه عبد الله بن عمر.

فقال عمّار بن ياسر: دع القوم أمّا عبد الله فضعيف، وأمّا سعد فحسود، وأمّا محمد بن مسلمة فذنبك إليه أنّك قتلت بأخيه مرحباً. ثم قال عمّار لمحمد بن مسلمة: أما تقاتل المحاربين فوالله لو مال عليّ جانباً لملت مع عليّ.

وقال كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين إنّه بلغك عنّا معشر الأنصار ما لو كان غيرنا لم يقم معك! والله ما كلّ ما رأينا حلالاً حلال ولا كلّ ما رأينا حراماً حرام وفي الناس من هو أعلم بعذر عثمان ممن قتله وأنت أعلم بحالنا منّا فإن كان قتل ظالماً قبلنا [قولك] وإن كان قتل مظلوماً فاقبل قولنا فإن وكلتنا فيه إلى شبهة فعجب ليقيننا وشكّك وقد قلت لنا: عندي نقض ما اجتمعوا عليه وفصل ما اختلفوا فيه وقال:

كان أولى أهل المدينة بالنصر عليّ وآل عبد مناف
للذي في يديه من حرم الله وقرب الولاء بعد التصافي

[وكان كعب بن مالك من شيعة عثمان].

وقام الأشتر إلى عليّ عليه السلام فكلّمه بكلام يحضّه على أهل الوقوف فكره ذلك عليّ عليه السلام حتى شكاه وكان من رأي عليّ عليه السلام أن لا يذكرهم بشيء فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنّا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار فإنا فيهم وهذه بيعة عامّة والخارج منها عاص والمبطئ

عنها مقصر وإن أدبهم اليوم باللسان وغداً بالسيف وما من ثقل عنك كمن خف معك وإنّما أرادك القوم لأنفسهم فأردهم لنفسك. فقال عليّ عليه السلام : يا مالك دعني.

وأقبل عليّ عليه السلام عليهم فقال: أرأيتم لو أنّ من بايع أبا بكر أو عمر أو عثمان ثم نكث بيعته أكنتم تستحلّون قتالهم؟ قالوا: نعم. قال: وكيف تحرجون من القتال معي وقد بايعتموني؟ قالوا: إنا لا نزعم أنّك مخطئ وأنّه لا يحلّ لك قتال من بايعك ثم نكث بيعتك ولكن نشكّ في قتال أهل الصلاة.

فقال الأشتر: دعني يا أمير المؤمنين أوقع بهؤلاء الذين يتخلّفون عنك فقال له: كفّ عني فانصرف الأشتر وهو مغضب!!.

ثم إنّ قيس بن سعد لقي مالكاً الأشتر في نفر من المهاجرين والأنصار فقال قيس للأشتر: يا مالك كلّما ضاق صدرك بشيء أخرجته؟ وكلّما استبطأت أمراً استعجلته إنّ أدب الصبر التسليم وأدب العجلة الأناة وإنّ شرّ القول ما ضاهى العيب وشرّ الرأي ما ضاهى التهمة فإذا ابتليت فاسأل، وإذا أُمرت فأطع ولا تسأل قبل البلاء ولا تكلّف قبل أن ينزل الأمر فإنّ في أنفسنا ما في نفسك فلا تشقّ على صاحبك فغضب الأشتر ثمّ إنّ الأنصار مشوا إلى الأشتر في ذلك فرضوه من غضبه فرضي.

فلمّا همّ عليّ عليه السلام بالشخوص قام أبو أيّوب خالد بن زيد صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أمير المؤمنين إن أقمت بهذه البلدة فإنّها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وبها قبره ومنبره فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان قبلك، وإن وكلت إلى المسير فقد أعذرت.

فأجابه عليه السلام بعذره في المسير ثمّ خرج لمّا سمع توجه طلحة والزبير إلى البصرة وتمكّث حتّى عظم جيشه وأغذّ السّير في طلبهم فجعلوا لا يرتحلون من منزل إلاّ نزله حتى نزل بذي قار فقال: والله إنّه ليحزنني أن أدخل على هؤلاء في قلّة من معي فأرسل إلى الكوفة الحسن بن عليّ عليه السلام وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب إليهم كتاباً.

فقدموا الكوفة فخطب الناس الحسن بن عليّ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وذكر عليّاً وسابقته في الإسلام وبيعة النّاس له وخلاف من خالفه ثم أمر بكتاب عليّ عليه السلام فقرئ عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإني أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه عيانه إنّ الناس طعنوا عليه وكنت رجلاً من المهاجرين أُكثر استعتابه وأُقلّ عيبه، وكان هذان الرجلان أهون سيرهما فيه الوجيف وقد كان من أمر عائشة فلتة على غضب فأُتيح له قوم فقتلوه.

ثم إنّ الناس بايعوني غير مستكرهين وكان هذان الرجلان أوّل من فعل على ما بويع عليه من كان قبلي. ثم إنّهما استأذناني في العمرة وليسا يريدانها فنقضا العهد وآذنا بحرب وأخرجا عائشة من بيتها ليتخذانها فتنة وقد سارا إلى البصرة اختياراً لها وقد سرت إليكم اختياراً لكم ولعمري ما إيّاي تجيبون ما تجيبون إلاّ الله ورسوله ولن أُقاتلهم وفي نفسي منهم حاجة.

وقد بعثت إليكم بالحسن بن علي وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد مستنفرين فكونوا عند ظنّي بكم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلمّا قرئ الكتاب على الناس قام خُطَباء الكوفة شريح بن هاني وغيره فقالوا: والله لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتّى نعلم علم عثمان فقد أنبأنا الله به في بيوتنا ثمّ بذلوا السمع والطاعة وقالوا: رضينا بأمير المؤمنين ونطيع أمره ولا نتخلّف عن دعوته والله لو لم يستنصرنا لنصرناه سمعاً وطاعةً.

فلمّا سمع الحسن بن علي عليه السلام ذلك قام خطيباً فقال: أيّها الناس إنه قد كان من أمير المؤمنين عليّ ما تكفيكم جملته وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأمصار ورؤساء العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم وهو ضعف النساء وضعف رأيهن وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1] وأيم الله لو لم ينصره أحد لرجوت أن يكون له فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار ومن يبعث الله له من نجباء الناس كفاية فانصروا الله ينصُركم.

ثم جلس وقام عمّار بن ياسر فقال: يا أهل الكوفة إن كانت غابت عنكم أبداننا فقد انتهت إليكم أمورنا إنّ قاتلي عثمان لا يعتذرون إلى الناس وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم [فبه] أحيى [الله][2] من أحيى وقتل من قتل وإنّ طلحة والزبير أوّل من طعن وآخر من أمر ثمّ بايعا أوّل من بايع فلمّا أخطأهما ما أمّلا نكثا بيعتهما على غير حدث كان وهذا ابن الرسول يستنفركم في المهاجرين والأنصار فانصروا ينصركم الله.

وقام قيس بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس إنّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى لكان عليّ أحق الناس به في سابقته وهجرته وعلمه وكان قتال من أبى ذلك حلالاً وكيف والحجّة قامت على طلحة والزبير وقد بايعاه وخلعاه حسداً.

فقام خطباؤهم فأسرعوا الردّ بالإجابة فقال النجاشي في ذلك:

رَضِينَا بِقَسْمِ الله إذ كان قَسْمُنَا ... عَليٌّ وأبناء النبيّ محمّد
وقلنا له أهلاً وسهلاً ومرحباً ... نقبّل يديه من هوى وتودّد
فمرنا بما ترضى نجبْك إلى الرضا ... بصمّ العوالي والصّفيح المهنّد
وتسويد من سوّدت غير مدافع ... وإن كان من سوّدت غير مسوّد
فإن نلت ما تهوى فذاك نريده ... وإن تخط ما تهوى فغير تعمّد

وقال قيس بن سعد حين أجاب أهل الكوفة:

جزى الله أهل الكوفة اليوم نصرة ... أجابوا ولم يأتوا بخذلان من خذل

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) ما بين قوسين من المصدر.

وقالوا: عليّ خير حاف وناعل رضينا به من ناقض العهد من بدل
هما أبرزا زوج النبيّ تعمّداً يسوق بها الحادي المنيخ على جمل
فما هكذا كانت وصاة نبيّكم وما هكذا الإنصاف أعظم بذا المثل
فهل بعد هذا من مقال لقائل ألا قبّح الله الأمانيّ والعلل

فلمّا فرغ الخطباء وأجاب الناس قام أبو موسى فخطب الناس وأمرهم بوضع السلاح والكفّ عن القتال ثمّ قال: أمّا بعد فإن الله حرّم علينا دماءنا وأموالنا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[1] يا أهل الكوفة[2]. [هذا] تمام الحديث.

بيان: شقة الثوب والعصا بالكسر: ما شقّ منه مستطيلاً ولعلّها كناية استعيرت هنا للأولاد. وترقرق، تحرّك. والشيء: لمع. والشمس: صارت كأنها تدُور.

قوله عليه السلام: «في نفسي منهم حاجة» أي لا أعلمهم مسلمين ولا أنتظر رجوعهم. وعالية الرمح: ما دخل في السنان إلى ثلثه. والصفيحة: السّيف العريض. والمهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.

٤٩ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام قال لعبد الله بن العبّاس لمّا أنفذه إلى الزّبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل: لا تلقينّ طلحة فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزّبير فإنّه ألين عريكة فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا ممّا بدا.

قال السيد رحمه الله: هو أوّل من سمعت منه هذه الكلمة أعني: فما عدا ممّا بدا[3].

بيان: يستفيئه أي يسترجعه. «إن تلقه تجده» [و] في رواية: «إن تلفه» تلفه بالفاء أي تجده «عاقصاً» أي عاطفاً قد التوى قرناه على أذنيه يقال: عقص شعره أي ضفره وفتله الأعقص من التيوس وغيرها: ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه. «وعاقصاً» إما مفعول ثان لتجده أو حال عن الثور. «يركب الصعب» أي يستهين المستصعب من الأمور. والعريكة: الطبيعة.

والتعبير بابن الخال كقول هارون لموسى: «يا بن أمّ» للاستمالة بالإذكار بالنسب والرحم.

قوله عليه السلام: «فما عدا ممّا بدا» قال ابن أبي الحديد: معنى الكلام: فما صرفك عما بدا منك أي ظهر أي ما الذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها «ومن» ها هنا بمعنى «عن» وقد جاءت في كثير من كلامهم وحذف ضمير المفعول كثير جداً.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٧١٥ مجلس ٤٣ ح ١٥١٨.
(٣) نهج البلاغة، ص ٩٩ خ ٣١.

وقال الراوندي: له معنيان: أحدهما: ما الذي منعك ممّا كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة. الثاني: ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو للإنسان ويكون المفعول الأوّل لعدا محذوفاً يدلّ عليه الكلام أي ما عداك يريد ما منعك عما كان بدا لك من نصرتي.

وقال ابن ميثم: أقول هذه الوجوه وإن احتملت أن تكون تفسيراً إلاّ أن في كلّ منها عدولاً عن الظاهر والحق أن يقال: إنّ «عدا» بمعنى جاوز و«من» لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز لك عن بيعتي ممّا بدا لك بعدها من الأمور الّتي ظهرت لك وتبقى الألفاظ على أوضاعها الأصلية مع استقامة المعنى وحسنه.

وروي عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: سألت ابن عبّاس عن تلك الرسالة؟ فقال: بعثني فأتيت الزبير فقلت له فقال: إنّي أريد ما تريد. كأنّه يقول: ولم يزدني على ذلك فرجعت إلى أمير المؤمنين فأخبرته.

٥٠ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة قال عبد الله بن العبّاس دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت لا قيمة لها. قال: والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً ثمّ خرج فخطب الناس فقال: إنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم وبلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنّت صفاتهم.

أما والله إن كنت لفي ساقتها حتّى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وإن مسيري هذا لمثلها فلأنقبنّ الباطل حتّى يخرج الحقّ من جنبه. ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين وإنّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم(١).

بيان: ذو قار موضع قريب من البصرة. «حتى بوّأهم» أي أسكنهم محلّتهم أي ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه.

وقال ابن ميثم: المراد بالقناة القوّة والغلبة والدّولة التي حصلت لهم مجازاً من باب إطلاق السّبب على المسبب فإن الرّمح أو الظهر سبب للقوّة والغلبة. والصفاة: الحجارة الملساء أي كانوا قبل الإسلام متزلزلين في أحوالهم بالنّهب والغارة وأمثالها.

«إن كنت لفي ساقتها» هي جمع سائق كحائك وحاكة ثم استعملت للأخير لأنّ السائق إنّما يكون في آخر الركب والجيش وشبّه أمر الجاهلية إمّا بعجاجة ثائرة أو بكتيبة مقبلة للحرب فقال: إنّي طردتها فولّت بين يدي أطردها حتّى لم يبق منها شيء. «لمثلها» أي لمثل تلك الحالة التي كنت عليها معهم في زمن الرسول صلى الله عليه وآله «فلأنقبنّ» [و] في بعض النسخ: «لأبقرنّ

(١) نهج البلاغة، ص ١٠٣ خ ٣٣.

الباطل حتّى أُخرج الحقّ من خاصرته» شبّه عليه السلام الباطل بحيوان ابتلع جوهراً ثميناً أعن منه فاحتيج إلى شقّ بطنه في استخلاص ما ابتلع.

وفي نسخة ابن أبي الحديد بعد قوله عليه السلام صاحبهم اليوم:

والله ما تنقم منّا قريش إلاّ أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيّزنا كما قال الأوّل:

أدمت لعمري شربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة البجرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا

أقول: المقشّرة: التمرة الّتي أخرج منها نواتها. والبجر بالضّم: الأمر العظيم والعُجب ولعلّه هنا كناية عن الكثرة أو الحسن أو اللطافة. ويحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق يقال: بجر كفرح - فهو بَجِرٌ -: امتلأ بطنه من اللبن والماء ولم يرو. وتَبَجر النبيذ: ألحّ في شربه. وكثير بجير إتباع. والجرد بالضم: جمع الأجرد وهو الفرس الذي رقّت شعرته وقصرت وهو مدح. والسمر جمع الأسمر وهو الرمح.

٥١ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير: والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنّهم ليطلبون حقاً تركوه ودماً سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه وإن كانوا ولّوه دوني فما الطلبة إلاّ قبلهم وإنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم. وإنّ معي لبصيرتي والله ما لبّست ولا لبّس عليّ وإنّها للفئة الباغية فيها الحماء والحمة والشبهة المغدفة وإنّ الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه. وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بريّ ولا يَعُبّون بعده في حسي.

[و] منها: فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة قبضت كفّي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم إنّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما وأرهما المساءة فيما أملا وعملا ولقد استَثَبتهما قبل القتال واستأنيت بهما أمام الوقاع فغمطا النعمة وردّا العافية[1].

تبيين: النصف بالكسر والتحريك: الإنصاف والعدل أي إنصافاً أو حكماً ذا إنصاف ويقال: ولي أمراً أي قام به. «والطلبة» بكسر اللام: ما طلبته من شيء. وقال في النهاية: لبست الأمر بالفتح إذا خلطت بعضه ببعض وربّما شدد التكثير.

وقال ابن أبي الحديد: الحماء: الطين الأسود. وحمة العقرب: سمّها أي في هذه الفئة الضلال والفساد. ويروى «الحما» بألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لأن كلّ من كان نسيب الرجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا وأقفاء وما كان نسيب المرأة فهم الأحماة[2] فأمّا الأصهار فيجمع الجهتين وكان الزّبير ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله أعلم

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨٤ خ ١٣٥. (٢) في المصدر: الأخاتن.

علياً بأنّ فئة تبغي عليه في أيّام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه. فكنى عليه السلام عن الزوجة بالحمة وهي سمّ العقرب «والحمء» يضرب مثلاً لغير الطيّب الغير الصافي.

وقال ابن ميثم: المغدفة: الخفيّة وأصله المرأة تغدف وجهها أي تستره وروي «المغدفة» بكسر الدال من أغدف أي أظلم وهي إشارة إلى شبهتهم في الطّلب بدم عثمان. «وقد زاح الباطل» أي بعد وذهب «عن نصابه» أي مركزه ومقرّه. «والشّغب» بالتسكين: تهييج الشرّ وقد يحرّك. «والعب»: الشرب بلا مصّ «والحسي» ماء كامنٌ في رمل يحفر عنه فيستخرج ويكون بارداً عذباً وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وتهديد بهما وما يتعقبهما من القتل والهلاك.

وقال الجوهري: العوذ: حديثات النتاج من الظباء والخيل والإبل واحدها: عائذ مثل حائل وحول وذلك إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً ثم هي مطفل.

وفي القاموس المطفل كمحسن: ذات الطفل من الإنس والوحش والجمع مطافيل.

وقيل: إنّ في الجمع بين الوصفين تجوز. وعلى ما في القاموس لا يحتاج إلى ذلك.

«وألّبا» بتشديد اللام من التأليب وهو التحريض «قوله واستثبتهما» استفعال من ثاب يثوب إذا رجع أي طلبت منهما أن يرجعا وروي بالتاء المثناة من التوبة. «واستأنيت» أي انتظرت من الإناءة «فغمطا» بالكسر أي حقّرا.

٥٢ - **نهج:** [و] من خطبة له عليه السلام في ذكر أهل البصرة: كلّ واحد منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتّان بحبل ولا يمدّان إليه بسبب كلّ واحد منهما صاحب [حامل «خ»] ضبّ لصاحبه وعمّا قليل يكشف قناعه به.

والله لئن أصابوا الّذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا وليأتينّ هذا على هذا.

قد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون وقد سنّت لهم السنن وقدّم لهم الخبر ولكلّ ضلّة علّة ولكلّ ناكث شبهة والله لا أكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر(١).

إيضاح: قوله عليه السلام: «كلّ واحد منهما» أي طلحة والزبير «لا يمتّان» قال في النهاية: المتّ التوسّل والتوصّل بحرمة أو قرابة أو غير ذلك. وقال: السبب في الأصل: الحبل الذي يتوصّل به إلى ماء ثم استعير لكلّ ما يتوصل به إلى شيء كقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ أي الوصل والمودّات. وقال: الضّب: الغضب والحقد. والظّاهر أن الضمير المجرور في «قناعه» راجع إلى كلّ واحد منهما والباء في «به» للسّببيّة، والضمير للضب «يكشف قناعه» الذي استتر به ويظهر حاله بسبب حقده وبغضه. «فأين المحتسبون» أي العاملون لله والطالبون للأجر ويقال أيضاً: احتسب عليه أي أنكر. وتقديم الخبر: هو إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وضمير [في قوله] «لهم» في الموضعين

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٧ خ ١٤٦.

للمحتسبين أو للفئة الباغية وعلّة ضلّتهم هي البغي والحسد وشبهتهم في نكث البيعة الطلب بدم عثمان كما قيل أو المعنى أنّ لكلّ ضلالة غالباً علّة ولكلّ ناكث شبهة بخلاف هؤلاء فإنّهم يعدلون عن الحقّ مع وضوحه بغير عذر وشبهة.

«ومستمع اللدم» الضّبع و[اللّدْمُ] هو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصائد عند باب جحرها فتنام ولا تتحرّك حتّى يجعل الحبل في عرقوبها فيخرجها والمعنى لا أغترّ ولا أغفل عن كيد الأعداء فأستمع الناعي بقتل طائفة من المسلمين ويحضر الباكي على قتلاهم فلا أحاربهم حتى يحيطوا بي.

وقيل: لا أكون كمن يسمع الضرب والبكاء ثم لا يصدّق حتّى يجيء لمشاهدة الحال.

[و] قال الجوهري: اللدم: ضرب المرأة صدرها وعضديها في النياحة.

٥٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة:

إنّ الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمر قائم لا يهلك عنه إلاّ هالك وإنّ المبتدعات المشبهات هنّ من المهلكات إلاّ ما حفظ الله منها [كذا] وإنّ في سلطان الله عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلنّ أو لينقلنّ الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتّى يأرز الأمر إلى غيركم.

إنّ هؤلاء قد تمالَؤا على سخطة إمارتي وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم فإنّهم إن تمّموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين وإنّما طلبوا هذه الدّنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها. ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقّه والنعش لسنّته(١).

بيان: وأمر قائم أي باق وحكمه غير منسوخ: وقيل: أي مستقيم ليس بذي عوج «لا يهلك عنه» أي معرضاً وعادلاً عنه «الا هالك» أي من بلغ الغاية في الهلاك «والمشبهات» بالفتح أي التي اشبهت السنن وليست منها أو بالكسر أي التي تشبه الأمر على الناس.

وقوله عليه السلام: «إلاّ ما حفظ الله» استثناء من بعض متعلّقات المهلكات أي أنّها مهلكة في جميع الأحوال إلاّ حال حفظ الله بالعصمة عن ارتكابها أو كلّ أحد إلاّ من حفظه الله فما بمعنى «من».

قوله عليه السلام: «وإنّ في سلطان الله» أو دين الله أو حجّة الله أو الإمام أي في طاعته.

قوله عليه السلام: «غير ملومة» أي مخلصين غير ملوم صاحبها بأن ينسب إلى النفاق والرياء.

وفي بعض النسخ على التفعيل للمبالغة، ويروى «غير ملوية» أي غير معوّجة من لوَيت العود إذا عطفته. قوله «حتى يأرز» أي ينقبض وينضمّ ويجتمع.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٤٣ خ ١٦٧.

«إنّ هؤلاء» أي طلحة والزبير وعائشة «قد تمالؤا» أي تساعدوا واجتمعوا أو تعاونوا. والفالية: الضعف أي إن بقوا على ضعف رأيهم قطعوا نظام المسلمين. والفيء: الرجوع.

قوله: «فأرادوا ردّ الأمور» أي أرادوا انتزاع الأمر منه عليه السلام كما انتزع أوّلاً. «والنعش»: الرفع. والضميران في «حقه وسنّته» راجعان إلى الرسول.

٥٤ - **نهج:** ومن كلامه عليه السلام في ذكر السّائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام: فقدموا على عمّالي وخزّان بيت مال المسلمين الذي في يدي وعلى أهل مصر كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا عليّ جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة عضّوا على أسيافهم فضاربوا حتّى لقوا الله صادقين(١).

توضيح: شتّته: فرّقه. وقال [ابن الأثير] في النهاية: أصل العضّ: اللزوم يقال: «عضّ عليه عضّاً وعضيضاً» إذا لزمه انتهى أي طائفة من الشيعة لزموا سيوفهم ويروى «طائفة» بالنصب أي وقتلوا طائفة شأنهم ذلك.

٥٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام كلّم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب عليه السلام منها يعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ ثم قال له: بايع. فقال: إنّي رسول قوم ولا أُحدث حَدَثاً حتّى أرجع إليهم فقال عليه السلام: أرأيت لو أن الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم وأخبرتهم عن الكلأ والماء فخالفوك إلى المعاطش والمجادب ما كنت صانعاً؟ قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء. فقال له عليه السلام: فامدد إذاً يدك. فقال الرجل: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّة عليّ فبايعته عليه السلام.

والرجل يعرف بكليب الجرميّ(٢).

بيان: المجادب: محالّ الجدب.

٥٦ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وَسَنام العرب أمّا بعد فإنّي أخبركم في أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه، إنّ الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأُقلّ عتابه وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف وأرفق حدائهما العنيف!!! وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأُتيح له قوم قتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين واعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم وبادروا جهاد عدوّكم إن شاء الله(٣).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٥٤ خ ٢١٥.
(٢) نهج البلاغة، ص ٣٤٤ خ ١٦٨.
(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٠ خ ٢٣٩.

٥٧ - ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة:

وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم وأطعتم ودعيتم فأجبتم(١).

بيان: أكثر استعتابه: أي أكثر طلب العتبى منه والرجوع إلى ما يرضى به القوم منه. وأقلّ عتابه أي لائمته على وجه الإذلال والمؤاخذة إمّا لعدم النفع أو للمصلحة. والوجيف: السير السريع. قوله عليه السلام: «فلتة غضب» أي فجاءة غضب والحاصل أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا أشدّ الناس عليه. «فأتيح له» أي قدّر وهيّئ وجاشت: غلت. والمرجل: القدر من النحاس. و«دار الهجرة»: المدينة والغرض إعلامهم باضطراب حال المدينة وأهلها حين علموا بمسير القوم إلى البصرة للفتنة.

أقول: قال ابن ميثم رحمه الله: كتب عليه السلام كتاب الأوّل حين نزل بماء العذيب متوجهاً إلى البصرة وبعثه مع الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر.

٥٨ - ٦١ - وقال ابن أبي الحديد في الشرح: روى محمد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمان بن يسار القرشي قال: لمّا نزل عليّ عليه السلام الربذة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر وكتب إليهم هذا الكتاب يعني الكتاب الأوّل.

وزاد في آخره: فحسبي بكم إخواناً وللدّين أنصاراً فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله لعلّكم تفلحون.

وروى أبو مخنف قال: حدّثني الصقعب قال: سمعت عبد الله بن جنادة يحدّث أنّ عليّاً عليه السلام لمّا نزل الربذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص إلى أبي موسى الأشعريّ وهو الأمير يومئذ على الكوفة لينفر إليه الناس وكتب إليه معه:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد فإني بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم فاشخص بالناس إليّ معه حين يقدم عليك فإنّي لم أولّك المصر الذي أنت به ولم أُقرّك عليه إلاّ لتكون من أعواني على الحق وأنصاري على هذا الأمر والسلام.

وروى محمّد بن اسحاق أنّه لمّا قدم محمّد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة استنفرا الناس فمنعهم أبو موسى فلحقا بعلي عليه السلام فأخبراه بالخبر.

وروى أبو مخنف أنّ هاشم بن عتبة لمّا قدم الكوفة دعا أبا موسى فقال: اتّبع ما كتب به إليك فأبى ذلك فبعث إلى هاشم يتوعّده فكتب إلى عليّ بامتناعه وأنّه شاقّ بعيد الودّ ظاهر

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩١ خ ٢٤٠.

الغلّ والشنآن وأنّه هدّده بالسجن والقتل!! فلمّا ورد كتابه على أمير المؤمنين عليه السلام [وقد] أتاه به المحل بن خليفة فسلّم عليه ثمّ قال: الحمد لله الذي أدّى الحقّ إلى أهله ووضعه موضعه فكره ذلك قوم وقد والله كرهوا نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ثم بارزوه وجاهدوه فردّ الله كيدهم في نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم والله يا أمير المؤمنين لنجاهدنّهم معك في كلّ موطن حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده.

فرحّب به عليّ عليه السلام وقال له خيراً ثم أجلسه إلى جانبه وقرأ كتاب هاشم وسأله عن الناس وعن أبي موسى فقال: يا أمير المؤمنين ما أثق به ولا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك.

فقال عليّ عليه السلام: والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح ولقد أردت عزله فأتاني الأشتر فسألني أن أقرّه وذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقررته.

وروى أبو مخنف قال: وبعث عليّ عليه السلام من الربذة بعد وصول المحل بن خليفة عبد الله ابن عباس ومحمّد بن أبي بكر إلى أبي موسى وكتب معهما:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أمّا بعد يا ابن الحائك يا عاضّ أير أبيه فوالله إن كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري والافتراء عليّ وقد بعثت إليك ابن عبّاس وابن أبي بكر فخلّهما والمصر وأهله واعتزل عملنا مذؤوماً مدحوراً فإن فعلت وإلاّ فإنّي قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين فإذا ظهرا عليك قطّعاك إرباً إرباً والسّلام على من شكر النعمة ووفى بالبيعة وعمل برجاء العافية.

قال أبو مخنف: فلمّا أبطأ ابن عباس وابن أبي بكر عن عليّ عليه السلام ولم يدر ما صنعا رحل عن الربذة إلى ذيقار فنزلها قال فلمّا نزل ذا قار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السلام وعمّار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عبادة ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة فأقبلوا حتى كانوا بالقادسيّة فتلقّاهم الناس فلمّا دخلوا الكوفة قرأوا كتاب عليّ عليه السلام وهو:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين أمّا بعد فإنّي خرجت مخرجي هذا إما ظالماً وإمّا مظلوماً وإمّا باغياً وإمّا مبغيّاً عليّ فأنشد الله رجلاً بلغه كتابي هذا إلاّ نفر إليّ فإن كنت مظلوماً أعانني وإن كنت ظالماً استعتبني والسّلام.

قال: فلمّا دخل الحسن عليه السلام وعمّار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستقر [فاستنفر «خ ل»] الناس فحمد الله وصلّى على رسوله ثمّ قال:

أيّها الناس إنّا جئنا [كُمْ] ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنّة رسوله وإلى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدّلون وأفضل من تفضّلون وأوفى من تبايعون من لم يعيه القرآن ولم تجهّله السنّة ولم تقعد به السابقة إلى من قرّبه الله إلى رسوله قرابتين قرابة الدّين وقرابة الرّحم

إلى من سبق الناس إلى كلّ مأثرة إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون وصلّى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معه وهم محجمون وصدّقه وهم مكذّبون إلى من لم تردّ له راية ولا تكافأ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويسألكم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصّلاح من أصحابه ومثّلوا بعمّاله وانتهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه رحمكم الله فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصالحون.

قال أبو مخنف: وحدثني جابر بن يزيد عن تميم بن حذيم قال: قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمّار بن ياسر يستنفران الناس إلى عليّ عليه السلام ومعهما كتابه فلمّا فرغا من كتابه قام الحسن - وهو فتى حدث والله إنّي لأرثي له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدّد منطق ابن بنت نبيّنا. - فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به فقال:

الحمد لله العزيز الجبار الواحد القهّار الكبير المتعال سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدّة ورخاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله امتنّ علينا بنبوّته واختصّه برسالته وأنزل عليه وحيه واصطفاه على جميع خلقه وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عبدت الأوثان وأطيع الشّيطان وجحد الرحمان فصلّى الله عليه وآله وجزاه أفضل ما جزى المرسلين.

أما بعد فإنّي لا أقول لكم إلاّ ما تعرفون إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعزّ نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان في عاجل ذاك ما تكرهون فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله.

وقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وأنّه يوم صدّق به لفي عاشرة من سنّه ثم شهد مع رسول الله جميع مشاهده وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتّى غمضه بيده وغسّله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من منّ الله عليه ثمّ والله ما دعاهم إلى نفسه ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه حسداً له وبغياً عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله والجدّ والصّبر والاستعانة بالله والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين.

عصمنا الله وإيّاكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته وألهمنا وإيّاكم تقواه وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

ثم مضى إلى الرحبة فهيأ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

قال جابر فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟ فقال: وما سقط عني من قوله أكثر ولقد حفظت بعض ما سمعت.

قال أبو مخنف: ولمّا فرغ الحسن عليه السلام من خطبته قام عمّار وخطب الناس واستنفرهم فلمّا سمع أبو موسى خطبتهما صعد المنبر وقال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد فجمعنا بعد الفرقة وجعلنا إخواناً متحابّين بعد العداوة وحرّم علينا دماءنا وأموالنا قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾(٢) فاتقوا الله عباد الله وضعوا أسلحتكم وكفّوا عن قتال إخوانكم.

إلى آخر خطبته الملعونة التي تركها أولى من ذكرها وتنادي بكفر صاحبها ونفاقه.

قال: فلمّا أتت الأخبار عليّاً باختلاف الناس بالكوفة بعث الأشتر إليها فأخرجه منها صاغراً. قال أبو مخنف: ولمّا نزل عليّ عليه السلام ذا قار كتبت عائشة إلى حفصة أمّا بعد فإنّي أخبرك أنّ عليّاً قد نزل ذاقار وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدّتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدّم عُقِرَ وإن تأخّر نحر.

فدعت حفصة جواري لها يتغنّين ويضربن بالدفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: ما الخبر ما الخبر؟ عليّ في السّفر كالفرس الأشقر إن تقدّم عقر وإنّ تأخّر نحر.

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء.

فبلغ أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام ذلك فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكّرات ثمّ أسفرت عن وجهها فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أمّ كلثوم: لئن تظاهرتما عليه اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل فقالت حفصة: كفّي رحمك الله وأمرت بالكتاب فمزّق واستغفرت الله. فقال سهل بن حنيف في ذلك:

عذرنا الرجال بحرب الرّجال ... فما للنّساء وما للسباب

أما حسبنا ما أتينا به ... لك الخير من هتك ذاك الحجاب

ومخرجها اليوم من بيتها ... يعرّفها الذّنب نبحُ الكلاب

إلى أن أتاها كتاب لها ... مشوم فيا قبح ذاك الكتاب(٣)

أقول: الأيرُ: الذَّكر. و[قال ابن الأثير] في النهاية: [وفيه:] «من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا» أي فقولوا له: اعضض بأير أبيك ولا تكنوا بالأير عن الهن تنكيراً له وتأديباً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨. (٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٤ ص ٢٢٣.

و [أيضاً قال في مادة أير:] في حديث علي عليه السلام: «من يطل أير أبيه ينتطق به» هذا مثل ضربه أي من كثرت إخوته اشتدّ ظهره بهم انتهى.

ولعل المعنى هنا أخذه بسنّة أبيه الكافر ولزومه بجهله وعصبيّته ومعايبه أو قلّة أعوانه وأنصاره ودنائته.

٦٢ - وذكر المفيد قدس سرّه في [كتاب] الكافية قصّة حفصة بسندين آخرين نحواً مما مر.

٦٣ - الكافية في إبطال توبة الخاطئة: رووا أنّه عليه السلام لمّا بلغه وهو بالرّبذة خبر طلحة والزبير وقتلهما حكيم بن جبلة ورجالاً من الشيعة وضربهما عثمان بن حنيف وقتلهما السّبابجة قام على الغرائر فقال: إنّه أتاني خبر متفظّع ونبأ جليل أنّ طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضرباً مبرحاً وترك لا يدري أحيّ هو أم ميّت وقتلا العبد الصالح حكيم بن جبلة في عدّة من رجال المسلمين الصالحين لقوا الله موفين ببيعتهم ماضين على حقهم، وقتلا السبابجة خزّان بيت المال الذي للمسلمين قتلوهم [طائفة منهم] صبراً وقتلوا [طائفة منهم] غدراً. فبكى الناس بكاءاً شديداً ورفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه يدعو ويقول: اللهم اجز طلحة والزبير جزاء الظالم الفاجر والخفور الغادر[1].

٦٤ - **نهج:** ومن خطبة له عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل:

فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجّهين بها إلى البصرة فحبسا نِساءَهُما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطّاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً وطائفةً غدراً. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جره لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه إذ حضروه فلم ينكروه ولم يدفعوا بلسان ولا بيد دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم[2].

بيان: الحرمة: ما يحرم انتهاكه والمراد بها هنا الزوجة كالحبيس، والضمير في «حبسا» راجع إلى طلحة والزبير [و] قوله عليه السلام: «صبراً» أي بعد الأسر. [و] «غدراً» أي بعد الأمان. قوله عليه السلام: «جرّه» أي جذبه أو من الجريرة قال في القاموس: الجرّ: الجذب. والجريرة: الذنب جر على نفسه وغيره جريرة يجرها بالضم والفتح جراً.

قال ابن ميثم فإن قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله عليه السلام لذلك الجيش بعدم إنكارهم للمنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر؟.

قلت أجاب ابن أبي الحديد عنه فقال: يجوز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً كمن يعتقد إباحة الزنا وشرب الخمر.

---

(١) الكافية للمفيد، ص ١٧ ح ١٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٤٧ خ ١٧٠.

وأجاب الراوندي رحمه الله بأنّ «جواز» قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾[1] الآية وهؤلاء قد حاربوا رسول الله لقوله صلى الله عليه وآله: يا عليّ حربك حربي. وسعوا في الأرض بالفساد.

واعترض المجيب الأوّل عليه فقال: الإشكال إنّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر والتعليل بعموم الآية لا ينفعه.

وأقول: الجواب الثاني أسدّ؛ و[الجواب] الأوّل ضعيف لأنّ القتل وإن وجب على من اعتقد إباحة ما علم من الدين ضرورة لكن هؤلاء كان جميع ما فعلوه من القتل والخروج بالتأويل وإن كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء إباحة ما فعلوه.

وأمّا الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف أيضاً لأنّ له أن يقول: إنّ قتل المسلم إذا صدر عن بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكّنهم وحضورهم كان ذلك قرينة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتّحاد به لاتّحاد بعض الجيش ببعض وكان خروج ذلك الجيش على الإمام محاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسعياً في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية انتهى ملخّص كلامه.

ويمكن أن يجاب عن اعتراضه على الجواب بأنّ هؤلاء كانوا مدعين لشبهة لم تكن شبهة محتملة لأنّهم خرجوا على الإمام بعد البيعة طائعين غير مكرهين كما ذكره عليه السلام مع أن الاحتمال كاف له فتأمّل.

ويمكن الجواب عن أصل السؤال بأنّ التعليل ليس بعدم إنكار المنكر مطلقاً بل بعدم إنكار هؤلاء لهذا المنكر الخاصّ أي قتل واحد من المسلمين المعاونين للإمام عليه السلام بالخروج عليه وربّما يشعر بذلك قوله عليه السلام: لحلّ لي قتل ذلك الجيش.

ويمكن حمل كلام الراوندي على ذلك. وأمّا ما ذكره أخيراً من جواز قتل الراضي بالقتل فإن أراد الحكم كلياً فلا يخفى إشكاله وإن أراد في هذه المادّة الخاصّة فصحيح.

ويرد على جواب ابن أبي الحديد مثل ما أورده هو على الراوندي رحمه الله بأنّ الإشكال إنّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر لا في استحلال القتل ولو قدّر في كلامه عليه السلام كأن يقول: المراد إذ حضروه مستحلّين فلم ينكروا، لأمكن للراوندي أن يقول: إذ حضروه محاربين.

ولو أجاب بأنّ الحضور مع عدم الإنكار هو الاستحلال فبُطلانه ظاهر مع أنّ للراوندي رحمه الله أن يقول: الحضور في جيش قد قتل بعضهم أحداً من أتباع الإمام من حيث إنّه من شيعته مع عَدَم الإنكار والدفع محاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ولا ريب أنّه كذلك.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

٦٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله:

قد كُنتُ وما أهدّد بالحرب ولا أرهب بالضرب وأنا على ما وعدني ربّي من النّصر. والله ما استعجل متجرّداً للطّلب بدم عثمان إلاّ خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه [كان مظنّته] ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه لِيَلْتَبِسَ الأمر ويقع الشكّ.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفّان ظالماً - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه.

ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه.

ولئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بأمر لم يعرف بابه ولم يسلم معاذيره(١).

بيان: قوله عليه السلام: «قد كنت» قال ابن أبي الحديد: «كان» ها هنا تامّة والواو للحال أي خلقت ووجدت بهذه الصفة ويجوز أن يكون الواو زائدة وكان ناقصة وخبرها «ما أهدّد». وتجرّد في الأمر» أي جدّ فيه. ذكره الجوهريّ.

وقال [ابن الاثير] في [مادّة جلب من كتاب] النهاية وفي حديث عليّ عليه السلام «أراد أن يغالط بما أجلب فيه» «يقال: أجلبوا عليه إذا تجمّعوا وتألّبوا. وأجلبه أي أعانه وأجلب عليه إذا صاحبه واستحثّه.

وقال الجوهري: لبست عليه الأمر ألبس: خلطت. وقال: أعذر أي صار ذا عذر. وفي النهاية: «فما نهنهها شيء دون العرش» أي ما منعها وكفّها عن الوصول إليه. والركود: السكون والثبات.

٦٦ - **نهج:** وقال عليه السلام لأنس بن مالك وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لمّا جاء البصرة يذكرهما شيئاً مما سمعه من رسول الله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع إليه فقال: إنّي أُنسيت ذلك الأمر فقال عليه السلام له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني البرص. فأصاب أنساً هذا الدّاء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى إلاّ متبرقعاً(٢).

٦٧ - **ج:** احتجاجه عليه السلام على الناكثين في خطبة خطبها حين نكثوها فقال:

إنّ الله ذو الجلال والإكرام لمّا خلق الخلق واختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عباده وأرسل رسولاً منهم وأنزل عليه كتابه وشرع له دينه وفرض فرائضه فكانت الجملة قول الله جلّ ذكره حيث أمر فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فهو لنا أهل البيت خاصّة دون غيرنا فانقلبتم على أعقابكم وارتددتم ونقضتم الأمر ونكثتم العهد ولم تضرّوا الله

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٥٠ خ ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٩٧ قصار الحكم برقم ٣١٣.

شيئاً وقد أمركم الله أن تردّوا الأمر إلى الله وإلى رسوله وإلى أولي الأمر منكم المستنبطين للعلم فأقررتم ثم جحدتم وقد قال الله لكم: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

إنّ أهل الكتاب والحكمة والإيمان وآل إبراهيم بيّنهُ الله لهم فحسدوه وأنزل الله جلّ ذكره ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ فنحن آل إبراهيم فقد حسدنا كما حسد آباؤنا. وأول من حسد آدم الذي خلقه الله عزّوجلّ بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلّمه الأسماء واصطفاه على العالمين فحسده الشيطان فكان من الغاوين.

ثم حسد قابيل هابيل فقتله فكان من الخاسرين.

ونوح عليه السلام حسده قومه فقالوا: «ما هذا إلاّ بشر مثلكم يأكل ممّا تأكلون منه ويشرب ممّا تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنّكم إذاً لخاسرون».

ولله الخيرة يختار من [ما «خ»] يشاء ويختصّ برحمته من يشاء ويؤتي الحكمة والعلم من يشاء. ثمّ حسدوا نبيّنا صلى الله عليه وآله ألا ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنّا الرجس ونحن المحسودون كما حسد آباؤنا قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

فنحن أولى الناس بإبراهيم ونحن ورثناه ونحن أولو الأرحام الذين ورثنا الكعبة ونحن آل إبراهيم أفترغبون عن ملّة إبراهيم؟ وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾.

يا قوم أدعوكم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه وإلى وليّ أمره وإلى وصيّه وإلى وارثه من بعده فاستجيبوا لنا واتّبعوا آل إبراهيم واقتدوا بنا فإنّ ذلك لنا آل إبراهيم فرضاً واجباً والأفئدة من الناس تهوي إلينا وذلك دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ فهل نقمتم منّا إلاّ أن آمنّا بالله وما أنزل علينا؟! ولا تتفرّقوا فتضلّوا والله شهيد عليكم وقد أنذرتكم ودعوتكم وأرشدتكم ثم أنتم وما تختارونه(١).

٦٨ - ج: روى عن ابن عباس رحمة الله عليه أنّه قال: كنت قاعداً عند عليّ عليه السلام حين دخل عليه طلحة والزبير فاستأذناه في العمرة فأبى أن يأذن لهما وقد قال: قد اعتمرتما. فأعادا عليه الكلام فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال: والله ما يريدان العمرة. قلت: فلا تأذن لهما. فردّهما ثم قال: والله ما تريدان العمرة وما تريدان إلاّ نكثاً لبيعتكما وإلاّ فرقة لأمّتكما!!! فحلفا له فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال: والله ما يريدان العمرة. قلت: فلم أذنت لهما؟ قال: حلفا لي بالله. قال: فخرجا إلى مكّة فدخلا على عائشة فلم يزالا بها حتى أخرجاها(٢).

---

(١) الاحتجاج، ص ١٦٠. (٢) الاحتجاج، ص ١٦١.

٦٩ - **شا، ج:** [وروي] عنه عليه السلام أنّه قال عند توجههما إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه:

أمّا بعد فإن الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله للناس كافّة وجعله رحمةً للعالمين فصدع بما أُمر به وبلّغ رسالة ربّه، فلمّ به الصّدع ورتق به الفتق وآمن به السبل وحقن به الدماء وألّف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب.

ثم قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية التي إليها أدّى الرسالة ولا بلّغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة فتولّى أبو بكر وبعده عمر ثم تولّى عثمان فلمّا كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم: بايعنا فقلت: لا أفعل قلتم: بلى فقلت: لا وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها وحتى تداككتم عليّ كتداكك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتليّ وأنّ بعضكم قاتل بعض وبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أوّلكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا الأُمّة الغوائل فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي.

فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين ولو شئت أن أقول لقلت اللهم اغضب عليهما بما صنعا وأظفرني بهما[١].

بيان: اللّمّ: الإصلاح والجمعُ. والإحن كعنب جمع إحنة بالكسر وهي الحقد ويقال: في صدره عليّ وغر بالتسكين أي ضغن وعداوة وتوقّد من الغيظ والمصدر بالتحريك. قوله عليه السلام: «ولو شئت أن أقول لقلت» كناية أبلغ من الصريح في ذمّ الرجلين وكفرهما.

٧٠ - **ج:** وقال عليه السلام في أثناء كلام آخر: وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل [بيت] النبوة ولا من ذريّة الرسول حين رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر فلم يصبرا حولاً كاملاً ولا شهراً كاملاً حتّى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّي ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي. ثم دعا عليهما[٢].

٧١ - **ما:** المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفيّ عن عبيد الله بن إسحاق الضبّيّ عن حمزة بن نصر عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي قال: لمّا رجعت رُسل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد صلى الله عليه وآله ثم قال: يا أيها الناس إنّي قد راقبت هؤلاء القوم كيما يرعووا ويرجعوا وقد وبّختهم بنكثهم وعرّفتهم بغيهم فليسوا يستجيبون. ألا وقد بعثوا إليّ أن ابرز للطعان واصبر للجلاد فإنّما منّتك نفسك من أنباء الأباطيل.

---

(١) الارشاد للمفيد، ص ١٣٠، الاحتجاج ص ١٦١. (٢) الاحتجاج، ص ١٦٢.

هبلتهم الهبول قد كنت وما أُهدّد بالحرب ولا أُرهب بالضرب وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر وإنّي لعلى يقين من ربّي وفي غير شبهة من أمري.

أيّها الناس إن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيص من لم يُقتل يمت إنّ أفضل الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف لأهون عليّ من موت على فراش. يا عجبي لطلحة ألّب على ابن عفّان حتى إذا قتل أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثم نكث بيعتي وطفق ينعى ابن عفّان ظالماً وجاء يطلبني يزعم بدمه.

والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالماً - كما كان يزعم حين حصره وألّب عليه - إنّه [كان] لينبغي أن يوازر قاتليه وأن ينابذ ناصريه، وإن كان في تلك الحال مظلوماً إنّه لينبغي أن يكون معه، وإن كان في شكٍّ من الخصلتين لقد كان ينبغي أن يعتزله ويلزم بيته ويدع الناس جانباً فما فعل من هذه الخصال واحدة وها هوذا أعطاني صفقة يمينه غير مرة ثم نكث بيعته اللهم فخذه ولا تمهله. ألا وإنّ الزبير قطع رحمي وقرابتي ونكث بيعتي ونصب لي الحرب وهو يعلم أنه ظالم لي اللهم فاكفنيه بما شئت(١).

٧٢ - **جا، ما:** المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي عن اسماعيل بن أبان عن عمرو بن شمر قال: سمعت جابر بن يزيد الجعفي يقول: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام يقول: حدّثني أبي عن جدي قال:

لمّا توجّه أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى الناكثين بالبصرة نزل الربذة فلمّا ارتحل منها لقيه عبد الله بن خليفة الطّائي وقد نزل بمنزل يقال له: «قائد» فقرّبه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عبد الله: الحمد لله الذي ردّ الحق إلى أهله ووضعه في موضعه كره ذلك قوم أم سرّوا به فقد والله كرهوا محمّداً صلى الله عليه وآله ونابذوه وقاتلوه فرد الله كيدهم في نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم والله لنجاهدنّ معك في كل موطن حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله فرحّب به أمير المؤمنين وأجلسه إلى جنبه وكان له حبيباً ووليّاً وأخذ يسائله عن الناس إلى أن سأله عن أبي موسى الأشعريّ فقال: والله ما أنا واثق به وما آمن عليك خلافه إن وجد مساعداً على ذلك!!.

فقال أمير المؤمنين: والله ما كان عندي مؤتمناً ولا ناصحاً ولقد كان الذين تقدّموني استولوا على مودّته وولّوه وسلّطوه بالإمرة على الناس ولقد أردت عزله فسألني الأشتر فيه وأن أُقرّه فأقررته على كره مني له وعملت على صرفه من بعد.

قال: فهو مع عبد الله في هذا ونحوه إذ أقبل سواد كثير من قبل جبال طيئ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: انظروا ما هذا السّواد؟ وقد ذهبت الخيل تركض فلم تلبث أن رجعت فقيل: هذه طيئ قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته ومنهم من

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٦٩ مجلس ٦ ح ٢٨٤.

يريد النفوذ معك إلى عدوّك فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزى الله طيّاً خيراً ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١) فلمّا انتهوا إليه سلّموا عليه.

قال عبد الله بن خليفة فسرّني والله ما رأيت من جماعتهم وحسن هيئتهم وتكلّموا فأقروا والله لعيني ما رأيت خطيباً أبلغ من خطيبهم.

وقام عدي بن حاتم الطائي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فإني كنت أسلمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّيت الزّكاة على عهده وقاتلت أهل الردّة من بعده أردت بذلك ما عند الله وعلى الله ثواب من أحسن واتّقى وقد بلغنا أنّ رجالاً من أهل مكّة نكثوا بيعتك وخالفوا عليك ظالمين فأتيناك لننصرك بالحقّ فنحن بين يديك فمرنا بما أحببت ثم أنشأ يقول:

فنحن نصرنا الله من قبل ذاكم وأنت بحق جئتنا فستنصر
سنكفيك دون الناس طراً بِنَصْرنا وأنت به من سائر الناس أجدر

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزاكم الله من حيّ عن الإسلام وأهله خيراً فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ونويتم نصر المسلمين.

وقام سعيد بن عبيد البختري من بني بختر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ من النّاس من يقدر أن يعبّر بلسانه عمّا في قلبه ومنهم من لا يقدر أن يبيّن ما يجده في نفسه بلسانه فإن تكلّف ذلك شقّ عليه وإن سكت عمّا في قلبه برح به الهمّ والبرم وإنّي والله ما كلّ ما في نفسي أقدر أن أؤدّيه إليك بلساني ولكن والله لأجهدنّ على أن أبيّن لك والله ولي التوفيق أمّا أنا فإنّي ناصح لك في السرّ والعلانية ومقاتل معك الأعداء في كلّ موطن وأرى لك من الحقّ ما لم أكن أراه لمن كان قبلك ولا لأحد اليوم من أهل زمانك لفضيلتك في الإسلام وقرابتك من الرّسول ولن أفارقك أبداً حتى تظفر أو أموت بين يديك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يرحمك الله فقد أدّى لسانك ما يجد ضميرك لنا ونسأل الله أن يرزقك العافية ويثيبك الجنّة. وتكلّم نفر منهم فما حفظت غير كلام هذين الرجلين. ثم ارتحل أمير المؤمنين واتّبعه منهم ستّمائة رجل حتى نزل «ذاقار» فنزلها في ألف وثلثمائة رجل(٢).

٧٣ - **ما:** المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي عن الفضل بن دكين عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لمّا نزل عليّ بالربذة سألت عن قدومه إلينا، فقيل: خالف عليه طلحة والزّبير وعائشة وصاروا إلى البصرة فخرج يريدهم. فصرت إليه فجلست حتّى صلّى الظهر والعصر، فلمّا فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن بن عليّ عليه السلام فجلس بين يديه ثمّ بكى وقال: يا أمير المؤمنين إنّي لا أستطيع أن أكلّمك وبكى فقال له أمير المؤمنين: لا تبك يا بنيّ وتكلّم ولا تحنّ حنين الجارية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) أمالي المفيد، ص ١٧١ مجلس ٣٥ ح ٦، أمالي الطوسي، ص ٧٠ مجلس ٣ ح ١٠٣.

فقال: يا أمير المؤمنين إنّ القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه إمّا ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل الناس وتلحق بمكّة حتّى تؤوب العرب وتعود إليها أحلامها وتأتيك وفودها فو الله لو كُنت في جُحْرِ ضَبٍّ لضربت إليك العرب آباط الإبل حتى تستخرجك منه. ثم خالفك طلحة والزبير فسألتك أن لا تتبعهما وتدعهما فإن اجتمعت الأُمّة فذاك وإن اختلفت رضيت بما قسم الله وأنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق وأُذكرك بالله أن لا تقتل بمضيعة!!!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا قولك: إنّ عثمان حصر. فما ذاك وما عليّ منه وقد كنت بمعزل عن حصره. وأمّا قولك: ائت مكّة فوالله ما كنت لأكون الرجل الذي يستحلّ به مكة.

وأمّا قولك: اعتزل العراق ودع طلحة والزبير فوالله ما كنت لأكون كالضّبع تنتظر حتّى يدخل عليها طالبها فيضع الحبل في رجلها حتى يقطع عرقوبها ثمّ يخرجها فيُمزّقها إرباً إرباً ولكن أباك يا بنيّ يضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المخالف أبداً حتّى يأتي عليّ يومي فوالله مازال أبوك مدفوعاً عن حقّه مستأثراً عليه منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا.

فكان طارق بن شهاب أيّ وقت حدّث بهذا الحديث بكى[1]..

٧٤ - **جا، ما:** المفيد عن الجعابي عن ابن عقدة عن أبي عوانة موسى بن يوسف عن عبد السّلام بن عاصم عن اسحاق بن اسماعيل عن عمرو بن أبي قيس عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو قال: أخبرني رجل من بني تميم قال: كنّا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام بذيقار ونحن نرى أنّا سنختطف في يومنا فسمعته يقول: والله لنظهرنّ على هذه الفرقة ولنقتلنّ هذين الرجلين يعني طلحة والزبير ولنستبيحنّ عسكرهما.

قال التميمي: فأتيت إلى عبد الله به العبّاس فقلت: أما ترى إلى ابن عمّك وما يقول؟ فقال: لا تعجل حتّى تنظر ما يكون [قال:] فلمّا كان من أمر البصرة ما كان أتيته فقلت: لا أرى ابن عمّك إلاّ قد صدق. فقال: ويحك إنّا كنّا نتحدّث أصحاب محمّد أنّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره فلعلّ هذا ممّا عهد إليه[2].

٧٥ - **ل:** فيما أجاب أمير المؤمنين عليه السلام اليهوديّ السائل عما فيه من خصال الأوصياء قال علي عليه السلام: وأمّا الخامسة يا أخا اليهود فإنّ المتابعين لي لمّا لم يطمعوا في تلك مني وثبوا بالمرأة عليّ وأنا وليّ أمرها والوصيّ عليها فحملوها على الجمل وشدّوها على الرحال وأقبلوا بها تخبط الفيافي وتقطع البراري وتنبح عليها كلاب الحوأب وتظهر لهم علامات الندم في كلّ ساعة وعند كلّ حال في عصبة قد بايعوني ثانيةً بعد بيعتهم الأولى في حياة

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٢ مجلس ٢ ح ٣٧.

(٢) أمالي المفيد، ص ٢٠٩ مجلس ٣٩ ح ٥، أمالي الطوسي، ص ١١٣ مجلس ٤ ح ١٧٣.

النبيّ صلى الله عليه وآله حتى أتت أهل بلدة قصيرة أيديهم طويلة لحاهم قليلة عقولهم عازبة آراؤهم وهم جيران بَدْوٍ وَوُرّاد بحرٍ فأخرجتهم يخبطون بسيوفهم من غير علم ويرمون بسهامهم بغير فهم فوقفت من أمرهم على اثنتين كلتاهما في محلّة المكروه ممّن إن كففت لم يرجع ولم يعقل [لم يرجعوا ولم يقلعوا «خ ل»] وإن أقمت كنت قد صرت إلى التي كرهت فقدّمت الحجة بالإعذار والإنذار ودعوت المرأة إلى الرجوع إلى بيتها والقوم الذين حملوها على الوفاء ببيعتهم لي والترك لنقضهم عهد الله عزّ وجلّ فيّ وأعطيتهم من نفسي كل الذي قدرت عليه وناظرت بعضهم فرجع وذكّرت فذكر ثم أقبلت على الناس بمثل ذلك فلم يزدادوا إلاّ جهلاً وتمادياً وغيّاً فلمّا أبوا إلاّ هي ركبتها منهم فكانت عليهم الدبرة وبهم الهزيمة ولهم الحسرة وفيهم الفناء والقتل وحملت نفسي على التي لم أجد منها بدّاً ولم يسعني إذ فعلت ذلك وأظهرته آخراً مثل الذي وسعني منه أوّلاً من الإغضاء والإمساك ورأيتني إن أمسكت كنت معيناً لهم عليّ بإمساكي على ما صاروا إليه وطمعوا فيه من تناول الأطراف وسفك الدماء وقتل الرعيّة وتحكيم النساء النواقص العقول والحظوظ على كلّ حال كعادة بني الأصفر ومن مضى من ملوك سبأ والأمم الخالية فأصير إلى ما كرهت أوّلاً وآخراً وقد أهملت المرأة وجندها يفعلون ما وصفت بين الفريقين من الناس ولم أهجم على الأمر إلاّ بعدما قدّمتُ وأخّرتُ وتأنّيتُ وراجعتُ وأرسلتُ وسافرتُ [وشافهت «خ»] وأعذرتُ وأنذرتُ وأعطيتُ القوم كلّ شيء التمسُوه بعد أن عرضت عليهم كلّ شيء لم يلتمسوه فلمّا أبوا إلاّ تلك أقدمت عليها فبلغ الله بي وبهم ما أراد وكان لي عليهم بما كان منّي إليهم شهيداً[(١)].

٧٦ - **فس:** أبي عن فضالة عن أبان بن عثمان عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ قال: نزلت في طلحة والزبير والجمل جملهم[(٢)].

٧٧ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ ثم ضرب الله فيهما مثلاً فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: والله ما عنى بقوله[(٣)] . . .

بيان: المراد بفلان طلحة وهذا إن كان رواية فهي شاذّة مخالفة لبعض الأصول؛ وإن كان قد يبدو من طلحة ما يدلّ على أنّه كان في ضميره الخبيث مثل ذلك لكنّ وقوع أمثال ذلك بعيد عقلاً ونقلاً وعرفاً وعادةً وترك التعرّض لأمثاله أولى.

(١) الخصال ص ٣٧٧ باب السبعة ح ٥٨.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٤ في تفسيره للآية ٤٠ من سورة الأعراف.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٢ في تفسيره للآية ١٠ من سورة التحريم ولم يذكر المصنف تتمة الحديث.

٧٨ - **فس**: قال أمير المؤمنين في كتابه الذي كتبه إلى شيعته ويذكر فيه خروج عائشة إلى البصرة وعظم خطأ طلحة والزبير فقال: وأيّ خطيئة أعظم ممّا أتيا أخرجا زوجة رسول الله ﷺ من بيتها وكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها وصانا حلائلهما في بيوتهما ما أنصفا لا لله ولا لرسوله من أنفسهما ثلاث خصال مرجعها على الناس في كتاب الله البغي والمكر والنكث قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وقد بغيا علينا ونكثا بيعتي ومكرا بي[١].

٧٩ - **فس**: لمّا أنزل الله: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ وحرّم الله نساء النبي على المسلمين غضب طلحة فقال: يحرّم محمّد علينا نساءه ويتزوّج هو بنسائنا لئن أمات الله محمّداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ إلى قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[٢].

٨٠ - **ل** سمعت شيخنا محمد بن الحسن رحمه الله يروي أنّ الصادق عليه السلام قال: مازال الزبير منّا أهل البيت حتّى أدرك فرخه فنفاه عن رأيه[٣].

٨١ - **ير** أحمد بن محمد والحسن بن علي بن النّعمان عن أبيه عن محمّد بن سنان رفعه قال: إنّ عائشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل حتى أبعثه إليه قال: فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت إليه رأسها فقالت له: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ قال: فقال لها: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف يسبق السّيف الدم. قالت فأنت له فاذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً رأيته أو مقيماً أما إنّك إن رأيته ظاعناً رأيته راكباً على بغلة رسول الله ﷺ متنكّباً قوسه معلّقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنّهم طير صواف فتُعطيه كتابي هذا وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ منه شيئاً فإنّ فيه السحر!! قال: فاستقبلته راكباً فناولته الكتاب ففضّ خاتمه ثم قرأه فقال: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك. فقال: هذا والله مالا يكون ! قال: فساء خلقه فأحدق به أصحابه ثم قال له: أسألك قال: نعم قال: وتجيبني؟ قال: نعم. قال: فنشدتك الله هل قالت: التمسوا لي رجلاً شديداً عداوته لهذا الرّجل فأتوها بك فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل فقلت: كثيراً ما أتمنى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي وأنّي ضربت ضربة بالسيف يسبق السيف الدّم؟ قال: اللهم نعم. قال: فنشدتك الله أقالت لك:

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٤ في تفسيره للآية ٣٥ من سورة فاطر.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٠ في تفسيره للآية ٥٣ من سورة الأحزاب.
(٣) الخصال، ص ١٥٧ باب الثلاثة في ذيل الحديث ١٩٩.

اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً أما إنّك إن رأيته ظاعناً رأيته راكباً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله متنكّباً قوسه معلّقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنّهم طير صواف؟ فقال: اللّهم نعم. قال: فنشدتك بالله هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ منه شيئاً فإنّ فيه السحر؟ قال: اللهم نعم. قال: فمبلّغ أنت عنّي؟ قال: اللهم نعم فإنّي قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك وأنا السّاعة ما في الأرض أحبّ إليّ منك فمرني بما شئت قال: ارجع إليها [بـ] كتابي هذا وقل لها: ما أطعت الله ولا رسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك فخرجت ترددين في العساكر وقل لهما: ما أطعتما الله ولا رسوله حيث خلّفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فجاء بكتابه حتّى طرحه إليها وأبلغها مقالته ثم رجع إليه فأصيب بصفّين فقالت [عائشة]: ما نبعث إليه بأحد إلاّ أفسده علينا(١).

٨٢ - **يج:** علي بن النعمان ومحمد بن سنان مثله(٢).

٨٣ - **قب:** علي بن النعمان ومحمد بن يسار مثله(٣).

بيان: قوله: «فضربت...» على بناء المجهول وحاصله أنّه تمنّى أن يكونوا مشدودين على وسطه فيضرب ضربة على وسطه يكون فيها هلاكهم وهلاكه!!! وسبق السيف الدم كناية عن سرعة نفوذها وقوتها.

٨٤ - **يج:** روى عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ رسول الله يوماً على عليّ والزبير قائم معه يكلّمه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تقول له فوالله لتكوننّ أوّل العرب تنكث بيعته!!!(٤).

٨٥ - **يج:** روي عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام قال: لمّا رجع الأمر إليه أمر أبا الهيثم بن التّيهان وعمّار بن ياسر وعبيد الله بن [أبي] رافع فقال: اجمعوا الناس ثم انظروا ما في بيت مالهم واقسموا بينهم بالسويّة فوجدوا نصيب كلّ واحد منهم ثلاثة دنانير فأمرهم يقعدون للناس ويعطونهم.

قال: وأخذ مكتله ومسحاته ثم انطلق إلى بئر الملك يعمل فيها فأخذ الناس ذلك القسم حتّى بلغوا الزبير وطلحة وعبدالله بن عمر أمسكوا بأيديهم وقالوا: هذا منكم أو من صاحبكم؟ قالوا: بل هذا أمره لا نعمل إلاّ بأمره قالوا: فاستأذنوا لنا عليه. قالوا: ما عليه إذن هوذا ببئر الملك يعمل فركبوا دوابّهم حتّى جاؤا إليه فوجدوه في الشمس ومعه أجير له يعينه فقالوا له: إن الشمس حارة فارتفع معنا إلى الظلّ [فارتفع] معهم إليه فقالوا له: لنا قرابة من

---

(١) بصائر الدرجات، ج ٥ ص ٢٣٥ باب ١١ ح ٤. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٩٦.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب، ج ١ ص ٣١٥. (٤) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٩٧ ح ١٥٧.

نبيّ الله وسابقة وجهاد وإنّك أعطيتنا بالسويّة ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسويّة كانوا يفضّلوننا على غيرنا. فقال عليّ أيّهما عندكم أفضل عمر أو أبو بكر؟ قالوا: أبو بكر. قال: فهذا قسم أبي بكر وإلاّ فدعوا أبا بكر وغيره وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حقّ فخذوه. قالا: فسابقتنا؟ قال: أنتما أسبق مني بسابقتي؟ قالوا: لا. قالا: قرابتنا بالنبيّ ﷺ قال: [أهي] أقرب من قرابتي؟ قالوا: لا. قالوا: فجهادنا. قال: أعظم من جهادي؟ قالوا: لا. قال: فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري هذا إلاّ بمنزلة سواء قالا: أفتأذن لنا في العمرة؟ قال: ما العمرة تريدان وإنّي لأعلم أمركم وشأنكم فاذهبا حيث شئتما فلمّا ولّيا قال: فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه(١).

٨٦ - **شا:** من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد حمد الله والثناء عليه:

أمّا بعد فإنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه ﷺ قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحقّ الخلق به لا ننازع حقّه وسلطانه فبينما نحن كذلك إذ نفر المنافقون وانتزعوا سلطان نبيّنا منّا وولوه غيرنا فبكت والله لذلك العيون والقلوب منّا جميعاً معاً وخشنت له الصّدور وجزعت النفوس منّا جزعاً أرغم.

وأيم الله لولا مخافتي الفرقة بين المسلمين وأن يعود أكثرهم إلى الكفر ويُعْوِزَ الدين لكنّا قد غيّرنا ذلك ما استطعنا. وقد بايعتموني الآن وبايعني هذان الرّجلان طلحة والزبير على الطوع منهما ومنكم والإيثار ثمّ نهضا يريدان البصرة ليفرّقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم اللهم فخذهما لغشّهما لهذه الأمّة وسوء نظرهما للعامّة.

ثمّ قال: انفروا رحمكم الله في طلب هذين الناكثين القاسطين الباغيين قبل أن يفوت تدارك ما جنياه(٢).

أقول: قد أوردناه بسند متّصل مع زيادة في باب شكايته [عليه السلام نقلاً] عن [كتاب] الأمالي للمفيد.

٨٧ - ورواه أيضاً [المفيد] في [كتاب] الكافية عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عليه السلام قال: كتبت أُمّ الفضل بنت الحارث مع عطاء مولى ابن عبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام بنفير طلحة والزبير وعائشة من مكّة فيمن نفر معهم من الناس فلمّا وقف أمير المؤمنين على الكتاب قال محمّد بن أبي بكر: ما للذين أوردوا ثم أصدروا غداة الحساب من نجاة ولا عذر.

ثم نودي من مسجد رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فخرج الناس وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٨٦ ح ٢١. (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٣١.

نبيّه صلى الله عليه وآله [. . .]. إلى آخر ما [مرّ ممّا] رواه في [كتاب] شا[١].

٨٨ - **شا:** لمّا اتّصل بأمير المؤمنين صلوات الله عليه مسير عائشة وطلحة والزبير من مكّة إلى البصرة حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

قد سارت عائشة وطلحة والزبير كلّ منهما يدّعي الخلافة دون صاحبه ولا يدّعي طلحة الخلافة إلاّ أنّه ابن عمّ عائشة ولا يدّعيها الزبير إلاّ أنّه صهر أبيها والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربنّ الزبير عنق طلحة وليضربن طلحة عنق الزبير ينازع هذا على الملك هذا ولقد علمت والله أن الراكبة الجمل لا تحلّ عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلة إلاّ إلى معصية الله حتى تورد نفسها ومن معها مورداً يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم.

والله إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنّهما مخطئان وما يجهلان ولربّ عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه. والله لتنبحنّها كلاب الحوأب فهل يعتبر معتبر ويتفكّر متفكّر لقد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون[٢].

٨٩ - **أقول:** ورواه أيضاً مرسلاً في الكافية وزاد في آخره:

ما لي وقريش: أما والله لأقتلنّهم كافرين ولأَقْتُلَنَّهُمْ مفتونين وإنّي لصاحبهم بالأمس وما لنا إليها من ذنب غير أنّا خيّرنا عليها فأدخلناهم في خيرنا. أما والله لا يترك الباطل حتى أُخرج الحقّ من خاصرته إن شاء الله فلتضجّ منّي قريش ضجيجاً[٣].

٩٠ - **شا:** لمّا توجّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة نزل الربذة فلقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه قال ابن عبّاس رضي الله عنه: فأتيته فوجدته يخصف نعلاً فقلت له نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع فلم يكلّمني حتّى فرغ من نعله ثمّ ضمّها إلى صاحبتها وقال لي: قوّمهما. فقلت: ليس لهما قيمة. قال: على ذاك قلت: كسر درهم قال: والله لهما أحب إليّ من أمركم هذا إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً. قلت: إنّ الحاج اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلّم فإن كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان مني؟ قال: لا أنا أتكلّم ثمّ وضع يده على صدري وكان شثن الكفّين فآلمني ثمّ قام فأخذت بثوبه وقلت: نشدتك الله والرّحم، قال: لا تنشدني ثمّ خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّةً فساق الناس إلى منجاتهم أما والله مازلت في ساقتها ما غيّرت ولا بدّلت ولا خُنت حتى تولّت بحذافيرها. ما لي ولقريش أما والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين وإنّ مسيري هذا

---

(١) الكافية للمفيد، ح ١٩.
(٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٢.
(٣) الإرشاد للمفيد، ص ١٣١.

عن عهد إليّ فيه. أما والله لأبقرنّ الباطل حتّى يخرج الحق من خاصرته ما تنقم منا قريش إلاّ أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيّزنا [في خيرنا «خ»] وأنشد:

أدمْتَ لعمري شربك المحض خالصاً وأكلك بالزبد المقشّرة التمرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن عليّاً وحطنا حولك الجرد والسمرا(١)

٩١ - [شا]: ولمّا نزل عليه السلام بذيقار أخذ البيعة على من حضره ثمّ تكلم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

قد جرت أمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذى تسليماً لأمر الله فيما امتحننا به رجاء الثواب على ذلك وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرّق المسلمون ويسفك دماؤهم.

نحن أهل البيت وعترة الرسول وأحقّ الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأُمّة وهذا طلحة والزّبير ليسا من أهل النبوّة ولا من ذرّية الرسول حين رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر لم يصبرا حولاً واحداً ولا شهراً كاملاً حتّى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّي ويفرّقا جماعة المسلمين عني. ثمّ دعا عليه السلام عليهما.

بيان: قوله عليه السلام: على ذاك أي قوّمهما على ذاك التحقير الذي تظهره. قوله: «انشدتك الله» لعلّه نشده على أن يدع الكلام إليه إذ كان يظنّ أن المصلحة في ذلك.

وقال الجوهري: المحض: اللبن الخالص وهو الذي لم يخالطه الماء حلواً كان أو حامضاً. وقال: الجرد: فضاء لا نبات فيه. وقال: السمرة بضمّ الميم: شجر الطلح والجمع سمر وسمرات وأسمر(٢).

٩٢ - **شا:** روى عبد الحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال: لما التقى أهل الكوفة أمير المؤمنين صلوات الله عليه بذيقار حيّوا به ثم قالوا: الحمد لله الذي خصّنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويماً وأعدلهم سنّة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً أنتم أشد العرب ودّاً للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وإنّما جئتكم ثقةً بعد الله بكم للّذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلفهما [خلعهما «خ»] طاعتي وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إيّاها من بيتها حتّى أقدماها البصرة فاستغووا طغامها وغوغاءها مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير. ثم سكت عليه السلام.

فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فدعا لهم أمير المؤمنين وأثنى عليهم ثمّ قال:

---

(١) - (٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٣.

لقد علمتم معاشر المسلمين أن طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثم استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين، وفعلا المنكر اللهم إنّهما قطعاني وظلماني وجنياني ونكثا بيعتي وألّبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم ما أبرما وأرهما المساءة فيما عملا[1].

بيان: الطغام بالفتح: أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء. والغوغاء: الجراد بعد الدباء وبه سمّي الغوغاء. والغاغة من الناس وهم الكثر المختلطون. ذكره الجوهري.

٩٣ - **شا:** من كلامه عليه السلام وقد نفر من ذيقار متوجّهاً إلى البصرة بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله:

أمّا بعد فإن الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرة له، والله ما صلحت دُنياً قطّ ولا دين إلاّ به وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبّه في ذلك وخدع وقد بانت الأمور وتمحّضت. والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنّهم ليطلبون حقّاً تركوه، ودماً سفكوه، ولئن كنت شركتهم فيه إنّ لهم نصيبهم منه، ولئن كانوا ولوه دوني فما تبعته إلاّ قبلهم وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم وإنّي لعلى بصيرتي ما التبست عليّ، وإنّها للفئة الباغية بها اللحم واللحمة قد طالت هينتها وأمكنت درّتها يرضعون أمّاً فطمت ويحيون بيعة تركت ليعود الضلال إلى نصابه ما أعتذر ممّا فعلت ولا أتبرأ ممّا صنعت.

فيا خيبة للداعي ومن دعا لو قيل له إلى من دعوتك وإلى من أجبت ومن إمامك وما سنّته إذاً لزاح الباطل عن مقامه ولصمت لسانه فما نطق.

وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه ولا يصدرون عنه ولا يلقون بعده ريّاً أبداً وإنّي لراض بحجّة الله عليهم وعذره فيهم إذ أنا داعيهم فمعذر إليهم فإن تابوا وأقبلوا فالتوبة مبذولة والحقّ مقبول وليس على الله كفران، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف فكفى به شافياً من باطل وناصراً لمؤمن[2].

بيان: قوله عليه السلام: «فيها اللحم واللحمة» لحم كلّ شيء: لبّه واللحمة بالضم: القرابة أي فيها من يظنّ الناس أنّهم لبّ الصحابة وفيهم من يدعي قرابة الرسول كالزبير. وفي بعض النسخ «الحَمأُ والحمة» كما مر «قد طالت هينتها» الهينة: الرفق والسكون شبّه عليه السلام تلك الفئة وفتنتها بناقة طال سكونها وأمكنت من حلبها كناية عن استمرار الفتنة وتمكّنها في أهل الجهل وفي بعض النسخ: «هلبتها» قال الجوهري: الهلبة ما غلظت من شعر الذنب وهلبة الزمان: شدّته.

٩٤ - **قب:** بلغ عائشة قتل عثمان وبيعة عليّ بسرف» فانصرفت إلى مكّة تنتظر الأمر فتوجّه

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٣.
(٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٤.

طلحة والزبير وعبد الله بن عامر بن كُرَيز فعزموا على قتال عليّ واختاروا عبد الله بن عمر للإمامة فقال: أتلقونني بين مخالب عليّ وأنيابه ثم أدركهم يَعلى بن منبه [قادماً] من اليمن وأقرضهم ستّين ألف دينار والتمست عائشة من أُمّ سلمة الخروج فأبت، وسألت حفصة فأجابت ثمّ خرجت عائشة في أوّل نفر. فكتب الوليد بن عتبة:

بني هاشم ردّوا سلاح ابن أختكم ولا تهبوه لا تحلّ مواهبه

و[أيضاً] أنشأ [الوليد] لمّا ظفر عليّ أمير المؤمنين عليه السلام:

ألا أيّها الناس عندي الخبر بأنّ الزبير أخاكم غدر
وطلحة أيضاً حذا فعله ويعلى بن منبه فيمن نفر

فأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام أبياتاً منها:

فتن تحلّ بهم وهنّ شوارع تسقى أواخرها بكأس الأوّل
فتن إذا نزلت بساحة أمّةٍ أذنت بعدل بينهم متنقّل

فقدمت عائشة إلى الحوأب وهو ماء نسب إلى الحوأب بنت كليب بن وبرة فصاحَتْ كلابها فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ردّوني.

[و] ذكر الأعثم في الفتوح والماوردي في أعلام النبوّة وشيرويه في الفردوس وأبو يعلى في المسند وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين والموفق في الأربعين وشعبة والشعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلاذري والطبري في تاريخَيْهما أنّ عائشة لمّا سمعت نباح الكلاب قالت: أيّ ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون إنّي لهيه قد سمعت رسول الله وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيّتكن تنبحها كلاب الحوأب.

وفي رواية الماوردي: أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت تقتل.

فلمّا نزلت الخريبة قصدهم عثمان بن حنيف وحاربهم فتداعوا إلى الصّلح فكتبوا بينهم كتاباً أنّ لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد إلى أن يصل إليهم عليّ فقال طلحة لأصحابه في السرّ: والله لئن قدم عليّ البصرة لنؤخذنّ بأعناقنا فأتوا على عثمان بياتاً في ليلة ظلماء وهو يصلّي بالناس العشاء الآخرة وقتلوا منهم خمسين رجلاً واستأسروه ونتفوا شعره وحلقوا رأسه وحبسوه.

فبلغ ذلك سهل بن حنيف فكتب إليهما: أعطي الله عهداً لئن لم تخلّوا سبيله لأبلغنّ من أقرب الناس إليكما فأطلقوه. ثم بعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال فقتل أبا سالمة الزطي في خمسين رجلاً. وبعثت عائشة إلى أحنف تدعوه فأبى واعتزل بالجلحاء من البصرة في فرسخين وهو في ستة آلاف.

فأمّر عليّ سهل بن حنيف على المدينة وقثم به العبّاس على مكّة وخرج في ستّة آلاف إلى

الربذة ومنها إلى ذيقار وأرسل الحسن وعمّاراً إلى الكوفة وكتب [إليهم]:

من عبد الله ووليّه عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب.

ثم ذكر فيه قتل عثمان وفعل طلحة والزبير وعائشة ثمّ قال:

إنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم وبادروا عدوّكم.

فلما بلغا الكوفة قال أبو موسى الأشعري: يا أهل الكوفة اتّقوا الله ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية. فسكّنه عمّار فقال أبو موسى هذا كتاب عائشة تأمرني أن تكف أهل الكوفة فلا تكونن لنا ولا علينا ليصل إليهم صلاحهم.

فقال عمّار: إن الله تعالى أمرها بالجلوس فقامت وأمرنا بالقيام لندفع الفتنة فنجلس؟.

فقام زيد بن صوحان ومالك الأشتر في أصحابهما وتهددوه فلمّا أصبحوا قام زيد بن صوحان وقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ الآيات ثمّ قال: يا أيّها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحقّ راشدين.

ثم قال عمّار: هذا ابن عمّ رسول الله يستنفركم فأطيعوه في كلام له.

وقال الحسن بن عليّ عليه السلام: أجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما بلينا به في كلام له.

فخرج قعقاع بن عمرو وهند بن عمرو وهيثم بن شهاب وزيد بن صوحان والمسيّب بن نجبة ويزيد بن قيس وحجر بن عديّ وابن مخدوج والأشتر يوم الثالث في تسعة آلاف فاستقبلهم عليّ على فرسخ وقال: مرحباً بكم أهل الكوفة وفئة الإسلام ومركز الدين.

في كلام له. وخرج إلى عليّ من شيعته من أهل البصرة من ربيعته ثلاثة آلاف رجل وبعث الأحنف إليه إن شئت أتيتك في مأتي فارس فكنت معك وإن شئت اعتزلت ببني سعد فكففت عنك ستّة آلاف سيف فاختار عليه السلام اعتزاله.

الأعثم في الفتوح أنّه كتب أمير المؤمنين إليهما: أمّا بعد فإنّي لم أرد النّاس حتى أرادوني لم أبايعهم حتى أكرهوني وأنتما ممن أراد بيعتي. ثمّ قال عليه السلام بعد كلام: ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما.

البلاذري: لمّا بلغ عليّاً قولهما: ما بايعناه إلاّ مكرهين تحت السيف. قال: أبعدهما الله أقصى دار وأحرّ نار.

الأعثم: وكتب إلى عائشة: أمّا بعد فإنّك خرجت من بيتك عاصية لله عزّ وجلّ ولرسوله محمّد تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبّريني ما للنساء وقود العساكر والإصلاح بين الناس؟ وطلبت كما زعمت بدم عثمان؟ وعثمان رجل من بني أميّة وأنت امرأة من بني تيم بن مرّة.

ولعمري إنّ الذي عرّضك للبلاء وحملك على العصبيّة لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان!! وما غضبت حتّى أغضبت ولا هجت حتّى هيّجت فاتّقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك وأسبلي عليك سترك.

وقالت عائشة: قد جلّ الأمر عن الخطاب احكم كما تريد فلن ندخل في طاعتك!!!

فأنشأ حبيب بن يساف الأنصاري:

أبا حسن أيقظت من كان نائماً — وما كان من يُدعى إلى الحقّ يتبع
وإنّ رجالاً بايعوك وخالفوا — هواك وأجروا في الضّلال وضيّعوا
وطلحة فيها والزبير قرينه — وليس لما لا يدفع الله مدفع
وذكرهم قتل ابن عفّان خدعة — هم قتلوه والمخادع يخدع

وسأل ابن الكوّاء وقيس بن عبّاد أمير المؤمنين عن قتال طلحة والزّبير فقال: إنّهما بايعاني بالحجاز وخلعاني بالعراق فاستحللت قتالهما لنكثهما بيعتي.

تاريخي الطبري والبلاذري أنّه ذكر مجيء طلحة والزبير إلى البصرة قبل الحَسَن فقال: يا سبحان الله [أ] ما كان للقوم عقول أن يقولوا: والله ما قتله غيركم!!.

تاريخ الطبري قال يونس النحوي: فكرت في أمر عليّ وطلحة والزّبير إن كانا صادقين أنّ عليّاً قتل عثمان فعثمان هالك، وإن كذبا عليه فهما هالكان!!.

تاريخ الطبريّ قال رجل من بني سعد:

صنتم حلائلكم وقُدْتم أمّكم — هذا لعمرك قلّة الإنصاف
أُمرت بجرّ ذيولها في بيتها — فَهَوَتْ تشقّ البيد بالإيجاف
عَرَضاً يقاتل دونها أبناؤها — بالنبل والخطّيّ والأسياف

وأنفذ أمير المؤمنين زيد بن صوحان وعبدالله بن عباس فوعظاها وخوّفاها.

وفي [كتاب] رامش أفزاي: أنّها قالت: لا طاقة لي بحجج عليّ فقال ابن عبّاس: لا طاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجَج الخالق[1].

٩٥ - **شي**: عن جعفر بن مروان قال: إنّ الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبيّ ﷺ وقال: لا أغمده حتى أبايع لعليّ ثم اخترط سيفه فضارب عليّاً عليه السلام وكان ممن أعير الإيمان فمشى في ضوء نوره ثم سلبه الله إياه[2].

٩٦ - **شي**: عن سعيد بن أبي الأصبغ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يسئل عن مستقرّ ومستودع قال: مستقر في الرحم ومستودع في الصّلب وقد يكون مستودع الإيمان ثم ينزل منه

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٣٥.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠١ ح ٦٩ من سورة الأنعام.

ولقد مشى الزبير في ضوء الإيمان ونوره حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى مشى بالسيف وهو يقول لا نبايع إلا عليّاً(١).

٩٧ - **قب**: عمّار وابن عبّاس أنّه لمّا صعد عليّ عليه السلام المنبر قال لنا: قوموا فتخلّلوا الصفوف ونادوا هل من كاره فتصارخ الناس من كلّ جانب اللهمّ قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمّه.

فقال: يا عمار قم إلى بيت المال فأعط الناس ثلاثة دنانير لكل إنسان وارفع لي ثلاثة دنانير فمضى عمّار وأبو الهيثم مع جماعة من المسلمين إلى بيت المال ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قبا يصلّي فيه فوجدوا فيه ثلاث مائة ألف دينار ووجدوا الناس مائة ألف فقال عمّار: جاء والله الحقّ من ربّكم والله ما علم بالمال ولا بالناس وإنّ هذه لآية وجبت عليكم بها طاعة هذا الرجل. فأبى طلحة والزّبير وعقيل أن يقبلوها القصة(٢).

٩٨ - **شي**: عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت: الزبير شهد بدراً؟ قال: نعم ولكنّه فرّ يوم الجمل فإن كان قاتل المؤمنين فقد هلك بقتاله إيّاهم وإن كان قاتل كفّاراً فقد باء بغضب من الله حين ولاّهم دبره(٣).

٩٩ - **شي**: عن اسماعيل بن السري عن قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ قال أخبرت أنّهم أصحاب الجمل(٤).

١٠٠ - **جا**: عليّ بن خالد المراغي عن الحسن بن علي الكوفي عن جعفر بن محمّد بن مروان عن إسحاق بن يزيد عن سليمان بن قرم عن أبي الجحّاف عن عمّار الدهني:

عن أبي عثمان مؤذّن بني أفصى قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام حين خرج طلحة والزبير لقتاله يقول: عذيري من طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين ثم نكثا بيعتي من غير حدث ثم تلا هذه الآية: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾(٥).

١٠١ - **جا**: محمّد بن داود الحتمي عن عبد الله بن سليمان بن الاشعث عن أحمد بن محمد بن عبد الله [عبدان «خ»] عن ابراهيم الخولي عن سعيد بن داود بن الزبير عن مالك بن أنس: عن ابي سهل بن مالك عن أبيه قال: إنّي لواقف مع المغيرة بن شعبة عند نهوض علي ابن أبي طالب عليه السلام من المدينة إلى البصرة إذ أقبل عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال له: هل لك في

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠١ ح ٧٠ من سورة الأنعام.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٩٥.
(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٦ و٥٨ ح ٢٩ و٤١ من سورة الأنفال.
(٥) الأمالي للمفيد، ص ٥٣ مجلس ٨.

الله عزّوجلّ يا مغيرة. فقال: وأين هو يا عمّار؟ قال: تدخل في هذه الدعوة فتلحق بمن سبقك وتسود من خلفك.

فقال له المغيرة: أو خير من ذلك يا أبا اليقظان!! قال عمّار: وما هو؟ قال: ندخل بيوتنا ونغلق علينا أبوابنا حتّى يضيء لنا الأمر فنخرج ونحن مبصرون ولا نكون كقاطع السلسلة فرّ من الضّحل فوقع في الغَمْرِ. فقال له عمّار: هيهات هيهات أجهل بعد علم وعمى بعد استبصار؟ ولكن اسمع لقولي فوالله لن تراني إلا في الرّعيل الأول.

قال فطلع عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا اليقظان ما يقول لك الأعور فإنّه والله دائماً يلبس الحقّ بالباطل ويموّه فيه ولن يتعلّق من الدّين إلاّ بما يوافق الدنيا ويحك يا مغيرة إنّها دعوة تسوق من يدخل فيها إلى الجنّة.

فقال له المغيرة: صدقت يا أمير المؤمنين إن لم أكن معك فلن أكون عليك(١).

١٠٢ - **كش:** روي أنّ عائشة كتبت من البصرة إلى زيد بن صوحان إلى الكوفة: من عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله إلى ابنها زيد بن صوحان الخالص أمّا بعد إذا أتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك وخذّل الناس عن عليّ بن أبي طالب حتّى يأتيك أمري.

فلمّا قرأ [زيد] كتابها قال: أُمرت بأمرٍ وأُمرنا بغيره فركبت ما أُمرنا به وأمرتنا نركب ما أُمرت هي به أُمرت أن تقرّ في بيتها وأُمرنا نقاتل حتى لا تكون فتنة والسّلام(٢).

١٠٣ - **كشف:** من غزواته صلوات الله عليه وقعة الجمل والمجتمعون لها لمّا رفضوا عليّاً ونقضوا بيعته ونكثوا عهده وغدروا به وخرجوا عليه وجمعوا الناس لقتاله مستخفين بعقد بيعته التي لزمهم فرض حكمها مُسِفّين إلى إثارة فتنة عامّة باءوا بإثمها لم ير إلاّ مقاتلتهم على مسارعتهم إلى نكث بيعته ومقاتلتهم عن الخروج عن حكم الله ولزوم طاعته وكان من الداخلين في البيعة أوّلاً والملتزمين لها ثمّ من المحرضين ثانياً على نكثها ونقضها طلحة والزبير فأخرجا عائشة وجمعا من استجاب لهما وخرجوا إلى البصرة ونصبوا لعليّ عليه السلام حبائل الغوائل وألّبوا عليه مطيعهم من الرامح والنابل مظهرين المطالبة بدم عثمان مع علمهم في الباطن أنّ عليّاً عليه السلام ليس بالآمر ولا القاتل.

ومن العجب أنّ عائشة حرّضت الناس على قتل عثمان بالمدينة وقالت: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً فلقد أبلى سنّة رسول الله وهذه ثيابه لم تبل. وخرجت إلى مكّة وقتل عثمان وعادت إلى بعض الطريق فسمعت بقتله وأنّهم بايعوا عليّاً فورم أنفها وعادت وقالت: لأطالبنّ بدمه.

فقيل لها: يا أُمّ المؤمنين أنت أمرت بقتله وتقولين هذا؟ قالت: لم يقتلوه حيث قلت وتركوه حتّى تاب وعاد كالسبيكة من الفضّة وقتلوه.

---

(١) أمالي المفيد، ص ١٣٥ مجلس ٢٥. (٢) رجال الكشي، ص ٦٣ ح ١٨.

وخرج طلحة والزبير من المدينة على خفية وَوَصَلا إليها بمكّة وأخرجاها إلى البصرة.

ورحل عليّ عليه السلام من المدينة يطلبهم فلمّا قرب من البصرة كتب إلى طلحة والزبير:

أمّا بعد فقد علمتما أنّي لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى أكرهوني وأنتما ممّن أرادوا بيعتي وبايعوا ولم تبايعا لسلطان غالب ولا لعرض [غرض «خ»] حاضر، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله عزّوجلّ عمّا أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية.

وأنت يا زبير فارس قريش وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وأمّا قولكما: إنّي قتلت عثمان بن عفّان فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كلّ امرئ بقدر ما احتمل.

وهؤلاء بنو عثمان - إن قتل مظلوماً كما تقولان - أولياؤه وأنتما رجلان من المهاجرين وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي وأخرجتما أمّكما من بيتها الذي أمر الله أن تقرّ فيه والله حسيبكما والسّلام.

وكتب إلى عائشة: أمّا بعد فإنّك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين الناس فخبّريني ما للنساء وقود العساكر؟ وزعمت أنّك طالبة بدم عثمان وعثمان رجل من بني أُميّة وأنت امرأة من بني تيم بن مرّة ولعمري إنّ الذي عرّضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت ولا هجت حتّى هيّجت فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسّلام.

فجاء الجواب إليه: يا ابن أبي طالب جلّ الأمر عن العتاب ولن ندخل في طاعتك أبداً فاقض ما أنت قاض والسّلام[1].

١٠٤ - **فر:** الحسن بن محمّد معنعناً عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وعائشة بنت أبي بكر أنّ أصحاب الجمل وأصحاب النهروان ملعونون على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط[2].

١٠٥ - **كا:** عليّ عن أبيه عن ابن محبوب عن سلام بن عبد الله. ومحمد بن الحسن وعليّ ابن محمد عن سهل بن زياد. وأبو علي الأشعري عن محمّد بن حسان جميعاً عن محمّد بن علي عن علي بن أسباط عن سلام بن عبد الله الهاشمي قال محمد بن عليّ وقد سمعته عنه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٣٨.

(٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٤٥.

بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس يقال له خداش إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقالا له: إنّا نبعثك إلى رجل طال ما كنّا نعرفه وأهل بيته بالسّحر والكهانة وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك منه، وأن تحاجه لنا حتى تقفه [تفقه «خ ل»] على أمر معلوم واعلم أنه أعظم الناس دعوى فلا يكسرنّك ذلك عنه ومن الأبواب التي يخدع الناس بها الطعام والشراب والعسل والدّهن وأن يخالي الرجل فلا تأكل له طعاماً ولا تشرب له شراباً ولا تمسّ له عسلاً ولا دهناً ولا تخل معه واحذر هذا كلّه منه وانطلق على بركات الله فإذا رأيته فاقرأ آية السخرة وتعوذ بالله من كيده وكيد الشيطان فإذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّه ولا تستأنس به ثم قل له: إن أخويك في الدين وابني عمّيك يناشدانك القطيعة ويقولان لك: أما تعلم أنّا تركنا الناس لك وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله عزّوجلّ محمّداً صلى الله عليه وآله فلمّا نلت أدنى منال ضيّعت حرمتنا وقطعت رجاءنا ثم قد رأيت أفعالنا فيك وقدرتنا على النأي عنك وسعة البلاد دونك وأنّ من كان يصرفك عنّا وعن صلتنا كان أقلّ لك نفعاً وأضعف عنك دفعاً منّا وقد وضح الصبح لذي عينين وقد بلغنا عنك انتهاك لنا ودعاء علينا فما الذي يحملك على ذلك فقد كنّا نرى أنّك أشجع فرسان العرب أتتّخذ اللعن لنا ديناً وترى أنّ ذلك يكسرنا عنك.

فلما أتى خداش أمير المؤمنين صلوات الله عليه صنع ما أمراه فلمّا نظر إليه عليّ عليه السلام وهو يناجي نفسه ضحك وقال: ها هنا يا أبا عبد قيس وأشار له إلى مجلس قريب منه فقال: ما أوسع المكان أريد أن أؤدّي إليك رسالة. قال: بل تطعم وتشرب وتخلي ثيابك وتدهن ثم تؤدّي رسالتك قم يا قنبر فأنزله. قال: ما بي إلى شيء مما ذكرت حاجة. قال: فأخلو بك. قال: كلّ سر لي علانية. قال: فأنشدك الله الذي هو أقرب إليك من نفسك الحائل بينك وبين قلبك الّذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور أتقدّم لك الزبير بما عرضت عليك؟ قال: اللهم نعم. قال: لو كتمت بعدما سألتك ما ارتدّ إليك طرفك فأنشدك الله هل علّمك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟ قال: اللهم نعم. قال عليّ عليه السلام آية السّخرة؟ قال: نعم. قال: فاقرأها فقرأها وجعل علي عليه السلام يكررها عليه ويردّدها ويفتح عليه إذا أخطأ حتّى إذا قرأها سبعين مرة قال الرجل: ما يرى أمير المؤمنين عليه السلام أمره بتردّدها سبعين مرّة؟ قال له: أتجد قلبك اطمأن؟ قال إي والّذي نفسي بيده. قال: فما قالا لك؟ فأخبره فقال: قل لهما: كفى بمنطقكما حجّة عليكما ولكن الله لا يهدي القوم الظالمين زعمتما أنّكما أخواي في الدّين وابنا عمي في النسب أمّا النسب فلا أنكره وإن كان النسب مقطوعاً إلاّ ما وصله الله بالإسلام.

وأمّا قولكما إنّكما أخواي فإن كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عزّوجلّ وعصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدّين وإلاّ فقد كذبتما وافتريتما بادّعائكما أنكما أخواي في الدّين. وأما مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمّداً فإن كنتما فارقتماهم بحقّ فقد نقضتما ذلك الحقّ

بفراقكما إيّاي أخيراً وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما مع أنّ صفقتكما بمفارقتكما النّاس لم يكن إلاّ لطمع الدّنيا زعمتما وذلك قولكما: «قطعت رجاءنا» لا تعيبان بحمد الله عليّ من ديني شيئاً.

وأما الذي صرفني عن صلتكما فالذي صرفكما عن الحقّ وحملكما على خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه، وهو الله ربي لا أشرك به شيئاً فلا تقولا: «[هو] أقل نفعاً وأضعف دفعاً» فتستحقّا اسم الشرك مع النّفاق.

وأمّا قولكما: «إنّي أشجع فرسان العرب وهربكما من لعني ودعائي فإنّ لكلّ موقف عملاً إذا اختلفت الأسنّة وماجت لبود الخيل وَمَلَأَ سحراكما أجوافكما فثمّ يكفيني الله بكمال القلب. وأمّا إذا أبيتما بأنّي أدعو الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سَحَرَة زعمتما.

[ثم قال] اللهم اقعص الزّبير شرّ قتلة واسفك دمه على ضلالة وعرّف طلحة المذلّة وادّخر لهما في الآخرة شرّاً من ذلك إن كانا ظلماني وافتريا عليّ وكتما شهادتهما وعصياني وعصيا رسولك فيّ قل آمين.

قال خداش آمين ثم قال خداش لنفسه والله ما رأيت لحيةً قطّ أبين خطأً منك حامل حجّة ينقض بعضها بعضاً لم يجعل الله لها سماكاً أنا أبرأ إلى الله منهما.

[ثمّ] قال عليّ عليه السلام: إرجع إليهما وأعلمهما ما قلت: قال: لا والله حتّى تسأل الله أن يردّني إليك عاجلاً وأن يوفّقني لرضاه فيك!! ففعل فلم يلبث أن انصرف وقتل معه يوم الجمل رحمه الله (١).

توضيح: خداش بكسر الخا وتخفيف الدال [وقول]: «من أنفسنا» بيان لمن أي من الذين هم منّا وفي بعض النسخ «في أنفسنا» وهو أظهر. وقوله: «من أن تمتنع» متعلق بـ [قوله] «أوثق» ومن تعليليّة «وأن تحاجّه» معطوف على «أن تمتنع» حتى تفقّه أي تتفقّه بحذف إحدى التائين وتضمين معنى الاطلاع والأظهر «تقفه» من وقفته بمعنى أطلعته «وأن يخالي الرجل» أي يخلو به «فلا تمكّنه من بصرك» أي لا تنظر إليه كثيراً. وإنّما نهياه عن ذلك لئلا يرى محاسن أخلاقه وآدابه فيميل إلى الحقّ «وابني عمّك» إنّما قالا ذلك لكونهما من قريش. «يناشدانك القطيعة» أي يقسمان عليك أن لا تقطع الرحم. «فلمّا نلت أدنى منال» أي أصبت أدنى مقدرة وجاه. «أتتّخذ اللعن لنا ديناً» عرضهما أنّ اللعن دأب العاجزين وكنّا نظنّ أنّك أشجع الفرسان. «وتخلي ثيابك» أي من القمل والأدناس وفي بعض النسخ: «وتحل» ولعلّه أظهر «الحائل بينك وبين قلبك» أي يعلم من قلبك ما تغفل عنه أو هو أملك لقلبك منك «وخائنة

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٣٠٢ باب ما يفصل به بين دعوى المحق، ح ١.

الأعين» : نظرها إلى ما لا ينبغي ومسارقة النظر وتحْريك الجفون للغمز ونحوه «ما ارتدّ إليك طرفك» كناية عن الموت «قال الرجل» أي في نفسه متعجّباً من أمره بتكريره الآية وكان ذلك لرفع سحرهما وشبههما عن قلبه وتنوير قلبه بالإيمان «مع الحدث الذي أحدثتما» أي من إبراز زوجة النبيّ ﷺ من بيتها وإحداث الفتنة بين المسلمين.

أو المعنى إنكم تعلمون أنّي على الحقّ وأنّ ما أردتم بي باطل فلزمكم الإثم من جهتين متناقضتين. أو المراد نصرتهما له مع علمهما بكونه على الباطل ولعلّ الأوّل أظهر.

«زعمتما» أي أنكما تصيبانها.

وقال الجوهري: فرس حرون: لا ينقاد وإذا اشتدّ به الجري وقف.

«وهو الله ربي» أي الذي صرفني عن صلتكما هو الله تعالى فلا تقولا [هو] أقلّ نفعاً وأضعف دفعاً فتكفرا. أو صارفهما عن الحق أيضاً هو الله مجازاً لسلب توفيقه عنهما.

أو المراد أنّ صارفي عن الصلة هو سوء عقيدتكم وسريرتكم الذي حملكم على نقض البيعة والصارف عن الصلة حقيقة هو الله تعالى لأنّه نهى عن صلة الكافرين.

وقيل الضمير للشأن. ولا يخفى ما فيه. «وهربكما» في بعض النسخ: «وهزؤكما» وهو أظهر. واللبود جمع اللبد وهو الشعر المتراكم بين كتفي الفرس. والسحر بالضمّ والتحريك: الرئة ويقال للجبان: قد انتفخ سحره ذكره الجوهري وقال: ضربه فأقعصه أي قتله مكانه. «ما رأيت لحية» أي ذا لحية أو المراد بقوله: «منك» من لحيتك.

١٠٦ - **كا:** عليّ عن أبيه عن بعض أصحابه عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

لمّا خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة نزل بالربذة فأتاه رجل من محارب فقال: يا أمير المؤمنين إنّي تحمّلت في قومي حمالة وإني سألت في طوائف منهم المواساة والمعونة فسبقت إليّ ألسنتهم بالنكد فمرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحثّهم على مواساتي.

فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى. قال: فنصّ راحلته فأدلفت كأنّها ظليم فأدلف بعض أصحابه في طلبها فلأياً بِلأيٍ ما لحقت فانتهى إلى القوم فسلّم عليهم وسألهم ما يمنعهم من مواساة صاحبهم؟ فشكوه وشكاهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وصل امرؤ عشيرته فإنّهم أولى ببرّه وذات يده ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه دنياً فإنّ المتواصلين المتباذلين مأجورون وإنّ المتقاطعين المتدابرين موزورون. قال: ثمّ بعث راحلته وقال حَلْ [حَلّ «خ ل»][1].

بيان: الربذة قرية معروفة قرب المدينة. ومحارب اسم قبيلة. والحمالة بالفتح ما يتحمّله

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤١٥ باب صلة الرحم ح ١٨.

الإنسان من غيره من دية أو غرامة. والنكد: الشدّة والعسر. «ونص راحلته»: استخرج أقصى ما عندها من السّير ذكره الجوهري وقال:

الدلف: المشي الرويد يقال: دلف الشيء إذا مشى وقارب الخطو، ودلفت الكتيبة في الحرب إذا تقدّمت.

وقال [الفيروزآبادي] في القاموس: اندلف عليّ: انصبّ. وتدلّف إليه: تمشّى ودنا انتهى. والمراد هنا الركض والتقدم. والظّليم: ذكر النعامة. والضمير في «طلبها» راجع إلى الرّاحلة.

وقال الجوهريّ: يقال: فعل كذا بعد لأي أي بعد شدّة وإبطاء. ولأى لأياً أي أبطأ.

وقال في النهاية: في حديث أمّ أيمن «فبلأي ما استغفر لهم» أي بعد مشقّة وجهد وإبطاء انتهى.

وما زائدة للإبهام والمبالغة أي فلحقت راحلة بعض الأصحاب راحلته عليه السلام بعد إبطاء مع إبطاء وشدة «فلأياً» إمّا حال أو مفعول مطلق من غير اللفظ ويمكن أن يقرأ «الحقت» على بناء المفعول. «وصل امرؤ» أمر في صورة الخبر والنكرة للعموم كقولهم: «أنجز حر ما وعد». «وذات يده» أي ما في يده من الأموال وقال: «حل» بالحاء المهملة وتخفيف اللاّم وهو زجر للناقة كما ذكره الجوهري. وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة وتشديد اللام فكأنّ الرجل كان آخذاً بزمام الناقة أو بغرزها فلمّا فرغ [أمير المؤمنين] من وعظهم قال [للرجل]: خل سبيل الناقة.

١٠٧ - **كا**: العدّة عن سهل عن ابن يزيد عن محمّد بن جعفر العقبي رفعه قال: خطب أمير المؤمنين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيّها الناس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة وإنّ الناس كلّهم أحرار ولكن الله خوّل بعضكم بعضاً فمن كان له بلاء فصبر في الخير فلا يمّن به على الله جلّ وعزّ ألا وقد حضر شيء ونحن مُسَوُّونَ فيه بين الأسود والأحمر.

فقال مروان لطلحة والزبير: ما أراد بهذا غيركما. قال: فأعطى كلّ واحد ثلاثة دنانير وأعطى رجلاً من الأنصار ثلاثة دنانير وجاء بعد [ه] غلام أسود فأعطاه ثلاثة دنانير فقال الأنصاري: يا أمير المؤمنين هذا غلام أعتقته بالأمس تجعلني وإيّاه سواءاً؟ فقال: إنّي نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد اسماعيل على ولد إسحاق فضلاً[(١)].

١٠٨ - **مد**: بإسناده إلى مسند عبد الله بن أحمد بن حنبل عنه عن أبيه عن وكيع عن سفيان عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: حدّثني ابن عبّاس قال: أرسلني عليّ إلى طلحة والزبير يوم الجمل قال: فقلت لهما إنّ أخاكما يقرئكما السّلام ويقول لكما:

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٠٤ ح ٢٦.

هل وجدتما عليّ حيفاً في حكم أو في استئثار في فَيْءٍ؟ أو وفي كذا؟ قال: فقال الزّبير: لا ولا في واحدة منهما ولكن مع الخوف شدّة المطامع(١).

١٠٩ - **مد:** من الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري من موطأ مالك بإسناده عن أبي وائل قال: دخل أبو وائل وابن مسعود على عمار حين بعثه [عليّ مع الحسن ابنه] إلى الكوفة يستنفرهم فقالا له: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت!! فقال لهما عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما [عن هذا الأمر]. وكساهما ابن مسعود حلة حلة(٢).

١١٠ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد [يصدر «خ ل»] لهما القتال:

والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكن أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه وبالسّامع المطيع العاصي المريب أبداً حتى يأتي عليّ يومي فوالله مازلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا(٣).

بيان: اللدم [على زنة اللطم والشتم]: صوت الحجر أو العصاء أو غيرهما يضرب بها الأرض ضرباً ليس بشديد يحكى أن الضبع يستغفل في جحرها بمثل ذلك فيسكن حتى يصاد. ويضرب بها المثل في الحمق.

١١١ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعيّ ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات:

أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما أنّي لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني وأنكما ممن أرادني وبايعني وأن العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السّبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ولعمري ما كنتما بأحقّ المهاجرين بالتقية والكتمان وإنّ دفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وقد زعمتما أني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل. فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسّلام(٤).

(١) العمدة لابن البطريق، ص ١٦١.
(٢) كتاب العمدة، ص ٢٤٤.
(٣) نهج البلاغة، صفحة ٦٢ خ ٦.
(٤) نهج البلاغة، صفحة ٥٩٦ خ ٢٩٢.

بيان: قوله عليه السلام : «من قبل» متعلق بقوله فارجعا.

١١٢ - **أقول** قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال كلّ من صنف من أهل السّير والأخبار: أنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتّى أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُبل وعثمان قد أبلى سنته.

[و] قالوا: أوّل من سمّى عثمان نعثلاً عائشة. والنعثل: الكثير شعر اللحية والجسد. وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً.

وروى المدائني في كتاب الجمل قال: لمّا قتل عثمان كانت عائشة بمكّة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشكّ في أن طلحة صاحب الأمر وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً إيه ذا الأصبع إيه أبا شبل ايه يا ابن عمّ لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له حثوها لابل وذعذعوها.

قال وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثم فسد أمره [فدفعها] إلى عليّ عليه السلام.

وقال أبو مخنف في كتابه: إنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك أما إنّهم وجدوا طلحة والزبير لها كفواً فلمّا انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان. قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم جارت بهم الأمور إلى خير مجار بايعوا عليّاً. فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا انظر ما تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أُمّ المؤمنين فولولت!! فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف بين لابَتَيْها أحداً أولى بها منه ولا أحقّ ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت جواباً.

وفي رواية قيس بن أبي حازم ثم ردّت ركائبها إلى مكّة فرأيتها في مسيرها تخاطب نفسها قتلوا ابن عفّان مظلوماً!! فقلت لها: يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين أبعده الله وقد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً؟! فقالت: لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه.

قال: وكتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكّة كتاباً أن خذّلي الناس عن بيعة عليّ وأظهري الطلب بدم عثمان. وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلمّا قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان.

قال: ولمّا عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً أيّداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية [منية «خ»] ببعير يسمّى عسكراً وكان عظيم الخلق شديداً فلمّا رأته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوّته وشدّته ويقول في أثناء كلامه «عسكر» فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سئلت أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر

لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ منه قوّةً وأُتيت به فرضيت!!!.

قال أبو مخنف: وأرسلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت وحطّت الرحال بعدما همّت.

وكتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكّة: أمّا بعد فإنّك ظعينة رسول الله ﷺ وقد أمرك أن تقرّي في بيتك فإن فعلت فهو خير لك وإن أبيت إلاّ أن تأخذي منسأتك وتلقي جلبابك وتبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردّك إلى بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربك.

فكتبت إليه في الجواب: أمّا بعد فإنّك أول العرب شبّ الفتنة ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمّة وسعى في قتل الخليفة وقد علمت أنّك لن تعجز الله حتّى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم وقد جاءني كتابك وفهمت ما فيه وسنكفيك وكلّ من أصبح مماثلاً لك في غيّك وضلالك إن شاء الله.

قال أبو مخنف: لمّا انتهت عائشة في مسيرها إلى الحَوْأب وهو ماء لبنَي عامر بن صعصعة نَبَحتها الكلاب حتّى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها: ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب وما أشدّ نباحها؟ فأمسكت زمام بعيرها وقالت: وإنّها لكلاب الحوأب؟ ردّوني ردّوني فإنّي سمعت رسول الله يقول وذكرت الخبر.

فقال لها قائل: مهلاً يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب. فقالت: فهل من شاهد؟ فلفّقوا لها خمسين أعرابياً جعلوا لهم جُعلاً فحلفوا لها أنّ هذا ليس بماء الحَوأب فسارت لوجهها.

ولمّا انتهوا إلى حفر أبي موسى قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذ عامل عليّ عليه السلام على البصرة إلى القوم أبا الأسود الدئليّ يعلم له علمهم فجاء حتّى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها؟ فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد. قالت: صدقت ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله!! أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسّيف؟ إنّما أنت حبيس رسول الله أمرك أن تقري في بيتك وتتلي كتاب ربّك ليس على النساء قتال ولا لهنّ الطلب بالدماء وإنّ عليّاً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً فإنهما ابنا عبد مناف. فقالت: لست بمنصرفة حتّى أمضي لما قدمت له أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ فقال: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد.

ثمّ قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك؟! فذكر له دم عثمان قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول.

فذهب إلى طلحة فوجده مصرّاً على الحرب والفتنة فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال: إنّها الحرب فتأهّب لها.

قال: ولمّا نزل عليّ عليه السلام البصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي: من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبيّ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعد فأقم في بيتك وخذّل عن عليّ وليبلغني عنك ما أحبّ فإنّك أوثق أهلي عندي والسّلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أمّا بعد فإنّ الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر؛ أمرك أن تقرّي في بيتك وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعت ما أمرني الله به، فأمرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسّلام(١).

بيان: «حنوها» أي جعلوا إصبعه منحنية للبيعة «لا بل وذعذعوها» أي كسروها وبددوها لهجومهم على البيعة. و«الظعينة» الامرأة في الهودج و«المنسأة»: العصا تهمز ولا تهمز.

١١٣ - ١١٥ - الكافية في إبطال توبة الخاطئة عن نوح بن درّاج عن إسحاق قال: دعا عثمان بن حنيف عمران بن الحصين الخزاعي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فبعثه وبعث معه أبا الأسود الدئلي إلى طلحة والزبير وعائشة فقال: انطلقا فاعلما ما أقدم علينا هؤلاء القوم وما يريدون؟.

قال أبوالأسود: فدخلنا على عائشة فقال لها عمران بن الحصين: يا أم المؤمنين ما أقدمك بلدنا ولم تركت بيت رسول الله الذي فارقك فيه؟ وقد أمرك أن تقرّي في بيتك وقد علمت أنّك إنما أصبت الفضيلة والكرامة والشرف وسميت أمّ المؤمنين وضرب عليك الحجاب ببني هاشم فهم أعظم الناس عليك منّةً وأحسنهم عندك يداً ولست من اختلاف الناس في شيء لولا لك من الأمر شيء وعليّ أولى بدم عثمان فاتّقي الله واحفظي قرابته وسابقته فقد علمت أن الناس بايعوا أباك فما أظهر عليه خلافاً وبايع أبوك عمر وجعل الأمر له دونه فصبر وسلّم ولم يزل بهما برّاً ثم كان من أمرك وأمر الناس وعثمان ما قد علمت ثم بايعتم عليّاً عليه السلام فغبنا عنكم فأتتنا رسلكم بالبيعة فبايعنا وسلّمنا.

فلمّا قضى كلامه قالت عائشة: يا أبا عبد الله ألقيت أخاك أبا محمّد يعني طلحة؟ فقال لها: ما لقيته بعد وما كنت لآتي أحداً ولا أبدأ به قبلك. قالت: فأته فانظر ماذا يقول.

قال: فأتيناه فكلّمه عمران فلم يجد عنده شيئاً مما يحبّ فخرجنا من عنده فأتينا الزبير وهو متكئ وقد بلغه كلام عمران وما قال لعائشة فلمّا رآنا قعد وقال: أَيَحْسَبُ ابن أبي طالب أنّه حين ملك ليس لأحد معه أمر فلمّا رأى ذلك عمران لم يكلّمه فأتى عمران عثمان فأخبره.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٣١٩-٣٢٩.

وعن أسوس [أشرس «خ»] العبديّ عن عبد الجليل بن إبراهيم أنّ الأحنف بن قيس أقبل حين نزلت عائشة أوّل مرحلة من البصرة فدخل عليها فقال: يا أمّ المؤمنين وما الذي أقدمك وما أشخصك وما تريدين؟ قالت: يا أحنف قتلوا عثمان فقال: يا أمّ المؤمنين مررت بك عام أوّل بالمدينة وأنا أريد مكّة وقد أجمع الناس على قتل عثمان ورمي بالحجارة وحيل بينه وبين الماء فقلت لك: يا أمّ المؤمنين اعلمي أنّ هذا الرّجل مقتول ولو شئت لتردّين عنه وقلت: فإن قتل فإلى من؟ فقلت: إلى عليّ بن أبي طالب. قالت: يا أحنف صفّوه حتى إذا جعلوه مثل الزّجاجة قتلوه. فقال لها: أقبل قولك في الرضا ولا أقبل قولك في الغضب.

ثمّ أتى طلحة فقال: يا أبا محمد ما الذي أقدمك وما الّذي أشخصك وما تريد؟ فقال: قتلوا عثمان. قال: مررت بك عاماً أوّل بالمدينة وأنا أريد العمرة وقد أجمع الناس على قتل عثمان ورمي بالحجارة وحيل بينه وبين الماء فقلت لكم: إنّكم أصحاب محمد ﷺ لو تشاؤن أن تردّوا عنه فعلتم فقلت: دبر فأدبر. فقلت لك: فإن قتل فإلى من؟ فقلت: إلى عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فقال: ما كنّا نرى أنّ أمير المؤمنين يرى أن يأكل الأمر وحده.

وعن حريز بن حازم عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن رجل من ضبيعة قال: لما قدم طلحة والزبير ونزلا طاحية ركبت فرسي فأتيتهما فقلت لهما: إنّكما رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ وأنا أصدقكما وأثق بكما خبّراني عن مسيركما هذا شيء عهد إليكما رسول الله ﷺ؟ أمّا طلحة فنكس رأسه وأمّا الزبير فقال: حدثنا أنّ ها هنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها.

وعن أشعث عن ابن سيرين عن أبي جليل وكان من خيار المسلمين قال: دخلنا على طلحة والزبير حين قدما البصرة فقلنا: أرأيتما مقدمكما هذا شيء عهد إليكما رسول الله أم رأي رأيتماه؟ فقالا: لا ولكنّا أردنا أن نصيب من دنياكم(١).

١١٦ - **أقول:** وروى أحمد بن أعثم الكوفي أنّه لمّا قضت عائشة حجّها وتوجّهت إلى المدينة استقبلها عبيد بن سلمة الليثي وكان يسمى ابن أمّ كلاب فسألته عائشة عن المدينة وأهلها؟ فقال: قتل عثمان. قالت: فما فعلوا؟ قال: بايعوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت: ليت السماء سقطت على الأرض ولم أسمع ذلك منك والله لقد قتل عثمان مظلوماً ولأطلبنّ بثاره ووالله إنّ يوماً من عمر عثمان أفضل من حياة عليّ!!!

فقال عبيد: أما كنت تثنين على عليّ عليه السلام وتقولين: ما على وجه الأرض أحد أكرم على الله من عليّ بن أبي طالب عليه السلام فما بدا لك إذ لم ترضي بإمامته؟ وأما كنت تحرضين الناس على قتل [عثمان] وتقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. فقالت عائشة: قد كنت قلته ولكني علمته خيراً فرجعت عن قولي وقد استتابوه فتاب وغفر له!!!

---

(١) الكافية للمفيد، ص ٢٠.

فرجعت عائشة إلى مكة وكان من أمرها ما ستر[١].

١١٧ - وروى ابن الأثير في الكامل أنّه لمّا أخبرها عبيد بن سلمة بقتل عثمان واجتماع الناس على بيعة أمير المؤمنين قالت: أيتمّ الأمر لصاحبك؟ ردّوني ردّوني. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه!! فقال لها: لقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر!! فقالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأوّل فقال لها ابن أم الكلاب:

فمنك البداة ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا: إنّه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله ... وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع النّاس ذا بدرة ... يزيل الشبا ويقيم الصّعر
وتلبس للحرب أثوابها ... وما من وفا مثل من قد غدر

فانصرفت [عائشة] إلى مكّة فقصدت الحجر فاجتمعَ الناس إليها فقالت: أيّها الناس إنّ الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرّجُل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حَدَث سنّه - وقد استعمل أمثالهم من قبله - ومواضع من الحِمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها؛ فلمّا لم يجدوا حجّة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشّهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم!! ووالله لو أنّ الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه والثوب من درنه إذ ماصّوه كما يماصّ الثوب بالماء.

فقال عبد الله بن عامر الحضرمي وكان عامل عثمان على مكة: ها أنا أوّل طالب بدمه - فكان أوّل مجيب - وتبعه بنو أُميّة وكانوا هربوا مِنَ المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم وكان أوّل ما تكلّموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عتبة [و] سائر بني أميّة. وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويَعْلَى بن منية من اليمن ومعه ستّ مائة بعير وستة آلاف دينار فأناخ بالأبطح.

وقدم طلحة والزّبير من المدينة ولقيا عائشة فقالت: ما وراءكما؟ قالا: إنّا تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقّاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم. فقالت: انهضوا إلى هذه الغوغاء. فقالوا: نأتي الشام. فقال ابن عامر: كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة. فاستقام الرأي على البصرة.

---

(١) كتاب الفتوح لابن الأعثم كتاب الجمل.

وكانت أزواج النبيّ ﷺ معها على قصد المدينة فلمّا تغيّر رأيها إلى البصرة تركن ذلك وأجابتهم حفصة إلى المسير معهم فمنعها أخوها عبد الله.

وجهّزهم يعلى بن منية بستّمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهّزهم ابن عامر بمال كثير ونادى مناديها إنّ أمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد إعزاز الإسلام وقتال المستحلّين والطلب بثار عثمان وليس له مركب فليأت فحملوا على ستّمائة بعير وساروا في ألف. وقيل في تسعمائة من أهل المدينة ومكّة ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل. فلمّا بلغوا ذات عرق بكوا على الإسلام فلم ير يوم كان أكثر باكياً من ذلك اليوم يسمّى يوم النّحيب فمضوا ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان.

وأعطى يعلى بن منية عائشة جملاً اسمه عسكر اشتراه بمأتي دينار ويقال: اشتراه بثمانين ديناراً فركبته وقيل كان جملها لرجل من عُرَينة قال العرني: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: أتبيع جملك؟ قلت: نعم. قال: بكم قلت: بألف درهم. قال: أمجنون أنت؟ قلت: ولم والله ما طلبت عليه أحداً إلاّ أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد إلاّ فتّه قال: لو تعلم لمن نريده؟ إنّما نريده لأمّ المؤمنين عائشة. فقلت: خذه بغير ثمن قال: بل ارجع معنا إلى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم قال: فرجعت وأعطوني ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستّمائة وقالوا لي: يا أخا عُرينة هل لك دلالة بالطريق؟ قلت: أنا من أدل الناس قالوا: فسر معنا فسرت معهم فلا أمرّ على وادٍ إلاّ سألوني عنه حتّى طرقنا الحوأب وهو ماء فنبحتها كلابه فقالوا: أيّ ماء هذا؟ فقلت: هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة بأعلا صوتها فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون إنّي لهيه سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب؟ ثمّ ضربت عضد بعيرها وأناخته وقالت: ردّوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا حولها يوماً وليلة.

فقال عبد الله بن الزبير: إنّه كذب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها: النجا النجا قد أدرككم عليّ بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة انتهى كلام ابن الأثير(١).

١١٨ - وقال الدميري في حياة الحيوان: روى الحاكم عن قيس بن أبي حازم وابن أبي شيبة من حديث ابن عبّاس أنّ النّبي قال لنسائه: أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تسير أو تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب.

[قال:] والحوأب نهر بقرب البصرة والأدبب: الأدبّ وهو الكثير شعر الوجه.

قال ابن دحية: والعجب من ابن العربي كيف أنكر هذا الحديث في كتاب العواصم والقواصم له وذكر أنّه لا يوجد له أصل وهو أشهر من فلق الصبح.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ١٠٥.

وروي أنّ عائشة لمّا خرجت مرّت بماء يقال له: الحوأب فنبحتها الكلاب فقالت: ردّوني ردّوني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف بإحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب انتهى كلام الدميري(١).

١١٩ - وقال السيّد علم الهدى في شرح قصيدة السيّد الحميري رحمه الله: روي أنّ عائشة لمّا نبحتها كلاب الحوأب وأرادت الرجوع قالوا لها: ليس هذا ماء الحوأب فأبت أن تصدّقهم فجاؤا بخمسين شاهداً من العرب فشهدوا أنّه ليس بماء الحوأب وحلفوا لها فكسوهم أكسية، وأعطوهم دراهم. قال السيّد: وقيل: كانت هذه أوّل شهادة زور في الإسلام.

١٢٠ - وروى الصدوق قدس الله روحه في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: أوّل شهادة شهد بها بالزور في الإسلام شهادة سبعين رجلاً حين انتهوا إلى ماء الحوأب فنبحتهم كلابها فأرادت صاحبتهم الرّجوع وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأزواجه: إنّ إحداكنّ تنبحها كلاب الحوأب في التوجّه إلى قتال وصيّي عليّ بن أبي طالب فشهد عندها سبعون رجلاً أنّ ذلك ليس بماء الحوأب فكانت أوّل شهادة شهد بها في الإسلام بالزور(٢).

١٢١ - ١٢٢ - **كش:** جبرئيل بن أحمد عن الحسن بن خرزاد عن ابن مهران عن أبان بن جناح عن الحسن بن حماد بلغ به قال: كان سلمان إذا رأى الجمل الذي يقال له عسكر يضربه فيقال: يا أبا عبد الله ما تريد من هذه البهيمة؟ فيقول: ما هذا ببهيمة ولكن هذا عسكر بن كنعان الجنّي يا أعرابي لا ينفق جملك ها هنا ولكن اذهب به إلى الحوأب فإنّك تعطى به ما تريد(٣)!!

وبهذا الإسناد عن ابن مهران عن البطائني عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: اشتروا عسكراً بسبعمائة درهماً وكان شيطاناً(٤).

١٢٣ - **نهج:** [و] من خطبة له عليه السلام خطبها بذيقار وهو متوجه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل:

فصدع بما أمر به وبلّغ رسالة ربه فلمّ الله به الصدع ورتق به الفتق وألّف به بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب(٥).

٢ - باب باب احتجاج أُمّ سلمة رضي الله عنها على عائشة ومنعها عن الخروج

١٢٤ - **ج:** روى الشعبي عن عبد الرحمان بن مسعود العبدي قال: كنت بمكّة مع عبد الله ابن الزبير وطلحة والزبير فأرسلا إلى عبد الله بن الزبير فأتاهما وأنا معه فقالا له: إنّ عثمان قتل مظلوماً وإنّا نخاف أن ينقض أمر أمّة محمّد صلى الله عليه وآله فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعلّ الله

(١) حياة الحيوان، ج ١ ص ٢٤٩.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ص ٤٥٢ باب نوادر الشهادات، ح ٣٣٦٧.
(٣) - (٤) رجال الكشي، ص ١٨.
(٥) نهج البلاغة، ص ٤٧٦ خ ٢٢٨.

أن يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً!! قال: فخرجنا نمشي حتّى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير معها في سترها فجلست على الباب فأبلغها ما أرسلا [ه به] فقالت: سبحان الله والله ما أُمرت بالخروج وما يحضرني من امّهات المؤمنين إلاّ أُمّ سلمة فإن خرجت خرجت معها. فرجع إليهما فبلّغهما ذلك فقالا: ارجع إليها فلتأتها فهي أثقل عليها منّا فرجع إليها فبلّغها فأقبلت حتى دخلت على أُمّ سلمة.

فقالت لها أُمّ سلمة: مرحباً بعائشة والله ما كنت لي بزوّارة فما بدا لك؟ قالت: قدم طلحة والزبير فخبّرا أنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً؟! قال: فصرخت أُمّ سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت: يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً فما تريدين؟! قالت: تخرجين معنا فلعلّ الله أن يصلح بخروجنا أمر أمّة محمّد ﷺ قالت: يا عائشة أتخرجين وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعنا؟ نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوماً كان يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو عليه وآله السلام يقول: «والله لا تذهب الليالي والأيّام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له «الحوأب» امرأةً من نسائي في فئة باغية» فسقط الإناء من يدي فرفع رأسه إليّ وقال: ما لك يا أُمّ سلمة؟ فقلت: يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول ما يؤمنني أن يكون أنا هي؟! فضحكت أنت فالتفت إليك فقال: ممّ تضحكين يا حمراء السّاقين إنّي أحسبك هي.

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أُسري بنا مع رسول الله ﷺ من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدّثنا فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليّ بن أبي طالب فرفع مقرعة كانت عنده يضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومه منك بواحد ولا بليّته منك بواحدة أما إنّه لا يبغضه إلاّ منافق كذّاب.

وأنشدك بالله أتذكرين مرض رسول الله الذي قبض فيه فأتاه أبوك يعوده ومعه عمر - وقد كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتعاهد ثوب رسول الله ﷺ ونعله وخفّه ويصلح ما وهى منها فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله وهي حضرميّة وهو يخصفها خلف البيت - فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أحمد الله. قالا: ما بد من الموت. قال: أجل لا بدّ منه. قالا: يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ قال: ما خليفتي فيكم إلاّ خاصف النعل فخرجا فمرا على عليّ بن أبي طالب وهو يخصف نعل رسول الله ﷺ وكلّ ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه(١).

ثم قالت أُمّ سلمة: يا عائشة أنا أخرج على عليّ عليه السلام بعد الذي سمعته من رسول

(١) ورواه العامة في كتاب التاج الجامع للأصول، ج ٣ ص ٣٣٤. [النمازي].

الله ﷺ ؟! فرجعت عائشة إلى منزلها وقالت: يا ابن الزبير أبلغهما أنّي لست بخارجة بعد الذي سمعته من أمّ سلمة فرجع فبلّغهما قال: فما انتصف الليل حتّى سمعنا رغاء إبلها ترتحل فارتحلت معهما(١).

بيان: نباح الكلب: صياحه قاله الجوهري: [ويقال:] وهى السقاء يهي وهياً إذا تخرق وانشقّ. والرغاء: صوت الإبل.

١٢٥ - **أقول:** روى السيّد المرتضى ﵀ هذه الرواية في شرح قصيدة السيّد الحميري ﵀ عن أبي عبد الرحمان المسعودي عن السري بن اسماعيل عن الشعبي إلى آخرها.

ثم قال قدّس سرّه: ومن العجائب أن يكون مثل هذا الخبر المتضمّن للنّص بالخلافة وكلّ فضيلة غريبة موجوداً في كتب المخالفين وفيما يصحّحونه من رواياتهم ويصنّفونه من سيرهم لكن القوم رووا وسمعوا وأودعوا كتبهم ما حفظوا ونقلوا ولم يتخيّروا ليثبتوا ما وافق مذاهبهم دون ما خالفها وهكذا يفعل المسترسل المستسلم للحقّ انتهى كلامه رفع الله مقامه.

١٢٦ - **ج:** روي عن الصادق ﵇ أنّه قال: دخلت أمّ سلمة بنت أميّة على عائشة لمّا أزمعت الخروج إلى البصرة فحمدت الله وصلّت على نبيّه ﷺ ثم قالت: يا هذه أنت سدة بين رسول الله وبين أمّته وحجابه عليك مضروب وعلى حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وضمّ ضفرك فلا تنشريه وأسكني عقيرتك فلا تصحريها إنّ الله من وراء هذه الأمّة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بك فقد نهاك عن الفُرطة في البلاد، ان عمود الدّين لن يُثاب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهنّ إن انصدع، حمادى النساء غضّ الأطراف وضمّ الذيول والأعطاف وما كنت قائلة لو أنّ رسول الله ﷺ عارضك في بعض هذه الفلوات وأنت ناصّة قعوداً من منهل إلى منهل ومنزلٍ إلى منزل ولغير الله مهواك وعلى رسول الله ﷺ تردين وقد هتكت عنك سجافه ونكثت عهده وبالله أحلف لو أن سرت مسيرك ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت من رسول الله أن ألقاه هاتكة حجاباً ضربه علي ﷺ فاتقي الله واجعليه حصناً وقاعة السّتر منزلاً حتى تلقينه أطوع ما تكونين لربّك ما قصرت عنه وأنصح ما تكونين لله ما لزمتيه، وأنصر ما تكونين للدين ما قعدت عنه وبالله أحلف لو حدّثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشتني نهش الرقشاء المطرقة.

فقالت لها عائشة: ما أعرفني بموعظتك وأقبلني لنصيحتك ليس مسيري على ما تظنين ما أنا بالمغترة ولنعم المطلع تطلعت فيه فرقت بين فئتين متشاجرتين فإن أقعد ففي غير حرج وإن أخرج ففي ما لا غناء عنه من الازدياد به في الأجر.

قال الصادق ﵇: فلمّا كان من ندمها أخذت أمّ سلمة تقول:

---

(١) الاحتجاج، ص ١٦٦.

لو كان معتصماً من زلّة أحد كانت لعائشة الرُّتبى على النّاس
من زوجة لرسول الله فاضلة وذكر آي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن إلاّ لهاجسها في الصدر يُذْهِبُ عنها كلّ وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم حتّى يمرّ الذي يقضي على الراس
ويرحم الله أمّ المؤمنين لقد تبدّلت لي إيحاشاً بإيناس

فقالت لها عائشة: شتمتيني يا أخت؟ فقالت لها أُمّ سلمة: لا ولكنّ الفتنة إذا أقبلت غطّت عين البصير وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل(١).

بيان: قولها: «وضمّ ضفرك» بالضاد قال الجوهري: الضّفر نسج الشعر وغيره عريضاً والضفيرة: العقيصة يقال: ضفرت المرأة شعرها ولها ضفيرتان وضفران أيضاً أي عقيصتان انتهى.

والعطاف بالكسر: الرّداء. وعطفا كلّ شيء جانباه. و[قال الجوهري] في الصحاح: القعود من الإبل هو البكر حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب. وقال أبو عبيد. القعود من البعير الذي يقتعده الراعي في كلّ حاجة والسجاف ككتاب: الستر «ما قصرت عنه» الظاهر أن كلمة «ما» بمعنى ما دام فالضمير في «عنه» راجع إلى الأمر الذي أرادته أو إلى الرّب أو إلى ترك الخروج فيكون «عن» بمعنى على. والضمير في «لزمتيه» إمّا راجع إلى الله أي طاعته أو إلى ترك الخروج ولزوم البيت. والضمير في [قولها]: «ما قعدت عنه» راجع إلى الدين أي نصره بالجهاد أو إلى النصر أو إلى الأمر الذي أرادت «بين فئتين متشاجرتين» أي متنازعتين وفي بعض النسخ «متناجزتين» وفي بعضها «متناحرتين» والمناجزة في الحرب: المبارزة والتناحر: التقابل.

وقال ابن أبي الحديد: «فئتان متناجزتان» أي يسرع كلّ منهما إلى نفوس الأُخرى. ومن رواه «متناحرتان» أراد الحرب وطعن النّحور بالأسنّة رشقها بالسهام. و«الرُّتبى» فعلى من الرتبة بمعنى الدرجة والمنزلة.

وفي بعض الروايات: «العُتبى» وهو الرجوع عن الإساءة. وبعد ذلك في سائر الروايات:

كم سنّة لرسول الله دارسة وتلو آي من القرآن مدراس

يقال: درس الرسم يدرس دروساً أي عفا. ودرسته الريح يتعدّى ولا يتعدّى. ودرست الكتاب درساً ودراسة. والتلو كأنّه مصدر بمعنى التلاوة. والهاجس: الخاطر. يقال: هجس في صدري شيء يهجس أي حدث.

١٢٧ - **مع:** ماجيلويه عن عمّه عن محمّد بن عليّ الكوفي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن عقبة الأزدي عن أبي الأخنس الأرجي قال:

---

(١) الاحتجاج، ص ١٦٧.

لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة كتبت إليها أُمّ سلمة رحمة الله عليها زوجة النبيّ ﷺ: أمّا بعد فإنّك سدّة بين رسول الله وبين أُمّته وحجابه المضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن عقيراك فلا تصحريها.

الله من وراء هذه الأُمّة وقد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك لفعل، وقد عهد فاحفظي ما عهد ولا تخالفي فيخالف بك.

واذكري قوله في نباح كلاب الحوأب، وقوله: ما للنساء والغزو، وقوله: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت علت بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد.

إنّ عمود الإسلام لن يثاب بالنساء إن مال، ولن يرأب بهنّ إن صدع، حماديّات النساء غضّ الأبصار وخفر الأعراض وقصر الوهازة.

ما كنت قائلة لو أنّ رسول الله عارضك ببعض الفلوات ناصّة قلوصاً من منهل إلى آخر إنّ بعين الله مهواك وعلى رسوله تردين وقد وجهت سدافته وتركت عهيداه.

لو سرت مسيرك هذا ثمّ قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ فاتّقي الله [و] اجعلي حصنك بيتك ورباعة الستر قبرك حتّى تلقيه وأنت على تلك الحال أطوع ما تكونين لله ما لزمته وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه، لو ذكرتك بقول تعرفينه لنهشت نهش الرقشا المطرق.

فقالت عائشة: ما أقبلني لوعظك وما أعرفني بنُصحك وليس الأمر على ما تظنّين ولنعم المسير مسيراً فزعت إليّ فيه فتتان متشاجرتان إن أقعُد ففي غير حرج وإن أنهض فإلى ما لا بدّ من الازدياد منه. فقالت أُمّ سلمة:

لو كان معتصماً من زلّة أحد ... كانت لعائشة العُتبى على النّاس
كم سنّة لرسول الله دارسة ... وتلو آي من القرآن مدراس
قد ينزع الله من قوم عقولهم ... حتّى يكون الذي يقضي على الراس

ثم قال ﵀ تفسيره: قولها رحمة الله عليها: إنّك سدة بين رسول الله ﷺ أي إنّك باب بينه وبين أُمّته فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على رسول الله ﷺ في حريمه وحوزته فاستبيح ما حماه فلا تكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثل ذلك.

وقولها: «فلا تندحيه» أي لا تفتحيه فتوسعيه بالحركة والخروج يقال: ندحت الشيء إذا أوسعته. [و] منه يقال: أنا في مندوحة عن كذا أي في سعة.

وتريد بقولها: «قد جمع القرآن ذيلك» قول الله ﷿: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

وقولها: «وسكن عقيراك» من عقر الدار وهو أصلها وأهل الحجاز يضمّون العين وأهل

نجد يفتحونها فكانت عقيرا اسم مبنيّ من ذاك على التصغير ومثله مما جاء مصغراً «الثريا والحميا» وهي سورة الشراب، ولم يسمع بعقيرا إلا في هذا الحديث.

وقولها: «فلا تصحريها» أي لا تبرزيها وتباعديها وتجعليها بالصّحراء يقال: أصحرنا إذا أتينا الصحراء كما يقال: أنجدنا إذا أتينا نجداً.

وقولها: «علت» أي ملت إلى غير الحقّ والعول: الميل [عن الشيء] والجور قال الله عزّوجلّ: «ذلك أدنى أن لا تعولوا» يقال: عال يعول إذا جار.

وقولها: «بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد» أي عن التقدّم والسبق في البلاد لأن الفرطة اسم في الخروج والتقدم مثل غُرفة وغَرفة يقال في فلان فرْطة: أي تقدّم وسبق يقال: فرَطته في الماء أي سبقته.

وقولها: «إنّ عمود الإسلام لن يثاب بالنساء إن مال» أي لا يردّ بهنّ إلى استوائه. [يقال:] ثُبتُ إلى كذا أي عدت إليه.

وقولها: «لن يرأب بهنّ إن صدع» أي لا يسدّ بهنّ يقال: رأبت الصّدع: لأمته فانضمّ.

وقولها: «حماديات النساء» هي جمع حمادى يقال: قصاراك أن تفعل ذلك وحمادك كأنّها تقول: جهدك وغايتك. وقولها: «غض الأبصار» معروف.

وقولها: «وخفر الأعراض» الأعراض: جماعة العرض وهو الجسد. والخفر: الحَياء أرادت أن محمدة النساء في غضّ الأبصار وفي السّتر للخفر الذي هو الحياء «وقصر الوهازة» وهو الخطو تعني بها أن تقلّ خطوهنّ.

وقولها: «ناصّة قلوصاً من منهل إلى آخر» أي رافعة لها في السّير. والنّصّ: سير مرفوع ومنه يقال: نصصت الحديث إلى فلان إذا رفعه إليه ومنه الحديث: «كان رسول الله يسير العنق فإذا وجد فجوة نصّ يعني زاد في السير».

وقولها: «إنّ بعين الله مهواك» يعني مرادك لا يخفى على الله.

وقولها: «وعلى رسول الله تردين» أي لا تفعلي فتخجلي من فعلك «وقد وجّهت سدافته» أي هتكت السّتر لأنّ السّدافة: الحجاب والستر وهو اسم مبنيّ من أسدف الليل إذا ستر بظلمته. ويجوز أن يكون أرادت [من قولها:] «وجّهت سدافته» يعني أزلتيها من مكانها الذي أمرت أن تلزميه وجعلتها أمامك.

وقولها: «وتركت عهيداه» تعني بالعهيدة الذي تعاهده ويعاهدك ويدلّ على ذلك قولها: «لو قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ». وقولها: «اجعلي حصنك بيتك ورباعة السّتر قبرك» فالربع: المنزل. ورباعة السّتر: ما وراء السّتر تعني اجعلي ما وراء السّتر من المنزل قبرك و[هذا] معنى ما يروى «ووقاعة الستر قبرك» هكذا رواه القتيبي وذكر أنّ معنى «ووقاعة السّتر» موقعه من الأرض إذا أرسلت. وفي

رواية القتيبي: «لو ذكرت قولاً تعرفينه نهستني نهس الرقشاء المطرق» فذكر أنّ الرقشاء سمّيت بذلك لرقش في ظهرها وهي النقط.

وقال [غير] القتيبي: الرقشاء من الأفاعي التي في لونها سواد وكدورة قال: والمطرق: المسترخي جفون العين[1].

توضيح: كلامها ﷺ مع عائشة متواتر المعنى رواه الخاصّة والعامة بأسانيد جمّة وفسّروا ألفاظه في كتب اللغة ورواه ابن أبي الحديد في شرح [المختار(٧٩) من] النهج وشرحه وقال ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث.

ورواه أحمد بن أبي طاهر في كتاب بلاغات النساء بأدنى تغيير وقال بعد حكاية كلام أُمّ سلمة: قالت عائشة: يا أُمّ سلمة ما أقبلني لموعظتك وأعرفني بنصحك ليس الأمر كما تقولين ما أنا بمغتمزة بعد التغريد ولنعم المطلع مطلع أصلحت فيه بين فئتين متناجزتين والله المستعان.

ورواه الزمخشري في الفائق وقال بعد قولها: «سدافته» وروي: «سجافته» وبعد قولها: «فئتان متناجزتان» أو «متناحرتان» ثم قال: السّدة: الباب تريد أنّك من رسول الله بمنزلة سدّة الدار من أهلها فإن نابك أحد بنائبة أو نال منك نائل فقد ناب رسول الله ونال منه وترك ما يجبُ فلا تعرّضي بخروجك أهل الإسلام لهتك حرمة رسول الله وترك ما يجب عليهم من تعزيزه وتوقيره.

[و] «ندح الشيء»: فتحه ووسعه وبدحه نحوه من البداح وهو المتّسع من الأرض [و] «العقيرى» كأنّها تصغير العقرى فعلى من عقر إذا بقي مكانه لا يتقدّم ولا يتأخر فزعاً أو أسفاً أو خجلاً وأصله من عقرت به إذا أطلت حبسه كأنّك عقرت راحلته فبقي لا يقدر على البراح أرادت نفسها أي سكّني نفسك التي صفتها أو حقّها أن تلزم مكانها أو لا تبرح بيتها واعملي بقوله [تعالى] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

[و] «أصحر» أي خرج إلى الصحراء وأصحر به غيره وقد جاء ها هنا متعدياً على حذف الجار وإيصال الفعل.

وقال [ابن الأثير في مادة «عال»] في النهاية: في حديث أُمّ سلمة قالت لعائشة: «لو أراد رسول الله ﷺ أن يعهد إليك عُلْت» أي عدلت عن الطريق وملت.

قال: [وقال] القتيبي: وسمعت من يرويه بكسر العين فإن كان محفوظاً فهو من عال في البلاد يعيل إذا ذهب ويجوز أن يكون من عاله يعوله إذا غلبه أي غلبت على رأيك ومنه قولهم عيل صبرك...

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٥٦.

وقيل: جواب لو محذوف أي «لو أراد فعل» فتركته لدلالة الكلام عليه، ويكون قولها: «علت» كلاما مستأنفاً.

وقال [في مادة فرط من كتاب النهاية] في قولها «إنّ رسول الله ﷺ نهاك عن الفرطة في الدين» يعني السبق والتقدّم ومجاوزة الحدّ. الفرطة بالضمّ اسم للخروج والتقدم وبالفتح المرّة الواحدة.

و [أيضاً] قال [في مادة «رأب»] يقال: رأب الصدع إذا شعبه ورأب الشيء إذا جمعه وشدّه برفق ومنه حديث أمّ سلمة: [لا يُرْأب بهنّ إن صُدِع] قال القتيبي: الرواية «صَدَع» فإن كان محفوظاً فإنّه يقال: صدعت الزجاجة فصدعت كما يقال جبرت العظم فجبر وإلاّ فإنّه صدع أو انصدع.

وقال [في مادة «حمد»: وفي حديث أمّ سلمة] «حماديات النساء» أي غاياتهن ومنتهى ما يحمد منهنّ. يقال: حماداك أن تفعل أي جهدك وغايتك.

وقال في الفائق في «غض الأطراف» أورده القتيبي هكذا وفسّر الأطراف بجمع طرف وهو العين ويدفع ذلك أمران:

أحدهما: أن الأطراف في جمع طرف لم يرد به سماع بل ورد بردّه وهو قول الخليل: إنّ الطرف لا يثنّى ولا يجمع وذلك لأنّه مصدر طرف إذا حرّك جفونه في النظر.

والثاني: أنّه غير مطابق لـ [قولها:] «خفر الأعراض» ولا أكاد أشكّ أنه تصحيف والصواب: «غض الإطراق وخفر الإعراض» والمعنى أن يغضضن من أبصارهن مطرقات أي راميات بأبصارهن إلى الأرض ويتخفرن من السوء معرضات عنه.

وقال في [مادة طرف من] النهاية: [وفي حديث أمّ سلمة قالت لعائشة: «حُماديات النساء غضّ الأطراف] أرادت قبض اليد والرجل عن الحركة والسعي تعني تسكين الأطراف وهي الأعضاء. ثم ذكر كلام القتيبي والزمخشري. وقال في «خفر الإعراض» أي الحياء من كلّ ما يكره لهنّ أن ينظرن إليه فأضافت الخَفَر إلى الإعراض أي الذي تستعمل لأجل الإعراض.

ويروى «الأعراض» بالفتح جمع العرض أي أنّهن يستحيين ويتستّرن لأجل أعراضهنّ وصونها انتهى.

[أقول] والعرض وإن ورد بمعنى الجسد ولكن في هذا المقام بعيد قال الفيروزآبادي: العرض بالكسر: الجسد وكلّ موضع يعرق منه ورائحته رائحة طيبة كانت أو خبيثة والنفس. وجانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقض ويثلب.

وقال في الفائق: الوهازة: الخطو يقال: هو يتوهّز ويتوهّس: إذا وطئ وطئاً ثقيلاً.

وقال ابن الأعرابي: الوهازة مشية الخفرات. والأوهز: الرجل الحسن المشية.

و [قال ابن الأثير] في النهاية: النّص: التّحريك حتى يستخرج أقصى سير الناقة وأصل

النّص أقصى الشيء وغايته ثم سمّي به ضرب من السير سريع ومنه حديث أمّ سلمة: «ناصة قلوصاً» أي دافعة لها في السّير وقال: القلوص: الناقة. والفجوة: ما اتّسع من الأرض و[قال الزمخشري] في الفائق: السّدافة والسجافة: السّتارة وتوجيهها هتكها وأخذ وجهها كقولك لأخذ قذى العين تقذية أو تغييرها وجعلها لها وجهاً غير الوجه الأول.

وفي النّهاية «العُهَّيدا» بالتشديد والقصر فعّيلا من العهد كالجُهَّيدى من الجهد والعُجَّيلى من العجلة.

وأمّا ما ذكره الصدوق ﷺ فكأنّه قرأ على فعيل مخففاً قال الجوهري: عهيدك: الذي يعاهدك وتعاهده وأراد أنّه مأخوذ من العهيد بهذا المعنى.

وفي الفائق: وقاعة الستر وموقعته: موقعه على الأرض إذا أرسلت ويروى «وقاحة الستر» أي وساحة الستر وموضعه.

وقوله: «وفي رواية القتيبي» إلى قولها: «نهستني نهس الرقشاء» لعلّ الاختلاف بين الروايتين في السين المهملة والمعجمة وهما متقاربان معنى إذ بالمهملة [معناه] أخذ اللحم بأطراف الأسنان، وبالمعجمة: لسع الحية والأخير أنسب: وفي بعض النسخ «نهست» ففيه اختلاف آخر.

وقال في النّهاية: في حديث أمّ سلمة قالت لعائشة: «لو ذكرتك قولاً تعرفينه نهشته نهش الرقشاء المطرق» «الرقشاء: الأفعى سمّيت به لترقيش في ظهرها وهي خطوط ونقط و[إنّما] قالت «المطرق» لأنّ الحيّة تقع على الذكر والأنثى انتهى ولعلّه كناية عن سمنها وكثرة سمها أو استغفالها وأخذها دفعة.

وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: «وقد سَكَّن القُرْآنُ ذَيْلك فَلا تَبْدحِيه، وهدَّأ مِن عَقِيرَتِك فلا تَصْحَلِيها».

وفي [مادّة «بدح» من كتاب] النهاية: [وفي حديث أمّ سلمة قالت لعائشة]: «قد جمع القُرْآن ذيلك فلا تَبْدَحيه» أي لا توسعيه بالحركة والخروج. والبدح: العلانية. وبدح بالأمر: باح به ويروى بالنون انتهى.

و«هدّأ» على التفعيل أي سكن. «والعقيرة» على فُعَيلة: الصَوت أو صوت المغنّي والباكي والقارئ. وقال في النهاية: الصحل - بالتحريك -: كالبحة ومنه «فإذا أنا بهاتف يهتف بصوت صحل» ومنه: «أنه كان يرفع صوته بالتلبية حتى يصحل» أي يبحّ.

ثم في تلك الرواية: «الله من وراء هذه الأمّة لو أراد أن يعهد فيك، بله أن قد نهاك عن الفرطة في البلاد». قال الجوهري: بله كلمة مبنيّة على الفتح مثل كيف، ومعناها: دع، ويقال معناها: سوى.

وقال الفيروزآبادي: بله ككيف اسم له كدع، ومصدر بمعنى التّرك، واسم مرادف لكيف

وما بعدها منصوب على الأوّل مخفوض على الثاني مرفوع على الثالث وفتحها بناء على الأوّل والثالث اعراب على الثاني. والفرطة بالضم أيضاً بمعنى التقدم.

ثم فيها: «ما كنت قائلة لو [إن «خ ظ»] كان رسول الله ﷺ عارضك بأطراف الفلوات ناصّة قعوداً من منهل إلى منهل إنّ بعين الله مثواك وعلى رسول الله تعرضين، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمّداً هاتكة حجاباً جعله الله عليّ فاجعليه سترك، وقاعة البيت قبرك حتّى تلقينه وهو عنك راض».

قولها: «وما أنا بمغتمزة بعد التغريد» لعل المعنى أنّي بعدما أعلنت العداوة وعلم الناس بخروجي لا أرجع إلى إخفاء الأمر والإشارة بالعين والحاجب.

ويمكن أن يقرأ «بمغتمزة» على بناء المفعول أي لا يطعن عليّ أحد بعد تغريدي ورفعي الصّوت بأمري قال الجوهري: فعلت شيئاً فاغتمزه فلان أي طعن عليّ ووجد بذلك مغمزاً.

وقال الغَرَدُ - بالتحريك -: التطريب في الصوت والغناء والتغريد مثله.

١٢٨ - **ختص**: محمّد بن عليّ بن شاذان عن أحمد بن يحيى النحوي أبي العبّاس ثعلب عن أحمد بن سهل عن يحيى بن محمّد بن إسحاق بن موسى عن أحمد بن قتيبة عن عبد الحكم القتيبي عن أبي كبسة ويزيد بن رومان قالا:

لما اجتمعت عائشة على الخروج إلى البصرة أتت أُمّ سلمة ﵂ وكانت بمكة فقالت: يا ابنة أبي أُميّة كنت كبيرة أمّهات المؤمنين وكان رسول الله (صلى الله عليه) يقمأ في بيتك وكان يقسم لنا في بيتك وكان ينزل الوحي في بيتك.

قالت لها: يا بنت أبي بكر لقد زرتيني وما كنت زوّارة ولأمر ما تقولين هذه المقالة قالت: إنّ بني وابن أخي أخبراني أن الرّجل قتل مظلوماً وأنّ بالبصرة مائة ألف سيف يطاعون فهل لك أن أخرج أنا وأنت لعلّ الله أن يصلح بين فئتين متشاجرتين.

فقالت: يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطلبين؟ فلقد كنت أشدّ الناس عليه وإن كنت لتدعينه بالتبرّي أم أمر ابن أبي طالب تنقضين فقد بايعه المهاجرون والأنصار إنّك سدّة بين رسول الله ﷺ وبين أُمّته وحجابه مضروبة على حرمه وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه وسكن عقيراك فلا تضحي [فلا تفضحي «خ ل»] بها، الله من وراء هذه الأُمّة قد علم رسول الله ﷺ مكانك ولو أراد أن يعهد إليك فعل قد نهاك رسول الله ﷺ عن الفراطة في البلاد إنّ عمود الإسلام لا ترأبه النساء إن انثلم ولا يشعب بهنّ إن انصدع حماديات النساء غضّ بالأطراف وقصر الوهادة وما كنت قائلة لو أن رسول الله ﷺ عرض لك ببعض الفلوات وأنت ناصّة قلوصاً من منهل إلى آخر إنّ بعين الله مهواك وعلى رسول الله تردين وقد وجّهت سدافته وتركت عهيداه أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى

محمّداً ﷺ هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ اجعلي حصنك بيتك وقاعة الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على ذلك أطوع ما تكونين لله ما لزمته وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه.

ثم قالت: لو ذكرتك من رسول الله ﷺ خمساً في عليّ صلوات الله عليه لنهشتني نهش الحيّة الرقشاء المطرقة ذات الخبب أتذكرين إذ كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً فأقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك فبينا نحن معه وهو هابط من «قديد» ومعه عليّ صلوات الله عليه ويحدّثه فذهبت لتهجمي عليه فقلت لك: رسول الله ﷺ معه ابن عمّه ولعلّ له إليه حاجة فعصيتني ورجعت باكية فسألتك فقلت بأنّك هجمت عليهما فقلت: يا عليّ إنّما لي من رسول الله ﷺ يوم من تسعة أيّام وقد شغلته عنّي فأخبرتيني أنّه قال لك أتبغضينه فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أُمّتي إلاّ خرج من الإيمان أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم أراد رسول الله ﷺ سفراً وأنا أجشّ له جشيشاً فقال: ليت شعري أيّتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب فرفعت يدي من الجشيش وقلت: أعوذ بالله أن أكونه. فقال: والله لا بد لإحداكما أن تكونه اتقي الله يا حميراء أن تكونيه. أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم. ويوم تبدّلنا لرسول الله ﷺ فلبست ثيابي ولبست ثيابك فجاء رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبك فقال: أتظنين يا حُمَيْراء أنّي لا أعرفُكِ؟ أما إنّ لأُمّتي مِنك يَوْماً مُرّاً - أو يوماً أحمر!! - أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبوك وصاحبه يستأذنان فدخلنا الخدر فقالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر مقامك فينا فلو جعلت لنا إنساناً نأتيه بعدك. قال: أما إنّي أعرف مكانه وأعلم موضعه ولو أخبرتكم به لتفرّقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم فلمّا خرجا خرجت إليه أنا وأنت وكنت جريئة عليه فقلت من كنت جاعلاً لهم؟ فقال: خاصف النعل وكان عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه يصلح نعل رسول الله ﷺ إذا تخرفت ويغسل ثوبه إذا اتّسخ فقلت: ما أرى إلاّ عليّاً فقال: هو ذاك أتذكرين هذا يا عائشة قالت: نعم. قالت ويوم جمعنا رسول الله في بيت ميمونة فقال: يا نسائي اتقين الله ولا يسفر بكن أحد. أتذكرين هذا يا عائشة قالت: نعم ما أقبلني لوعظك وأسمعني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج وإن أقعد ففي غير بأس.

فخرجت [من عندها] فخرج رسولها فنادى في الناس من أراد أن يخرج [فليخرج] فإنّ أُمّ المؤمنين غير خارجة فدخل عليها عبد الله بن الزبير فنفث في أذنها وقلبها في الذّروة فخرج رسولها ينادي من أراد أن يسير فليسر فإنّ أُمّ المؤمنين خارجة.

فلما كان من ندمها [بعد انقضاء حرب الجمل ما كان] أنشأت أُمّ سلمة تقول:

لو أنّ معتصماً من زلّة أحد ... كانت لعائشة الرُّتبى على الناس
كم سنّة [من] رسول الله تاركة ... وتلو آي من القرآن مدراس

قد ينزع الله من ناس عقولهم حتى يكون الذي يقضي على الناس
فيرحم الله أمّ المؤمنين لقد كانت تبدل إيحاشاً بإيناس

قال أبو العباس ثعلب قوله: «يقمؤ في بيتك» يعني يأكل ويشرب. «وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه» البذخ: النفخ والرياء والكبر «سكن عقيراك»: مقامك وبذلك سمي العقار لأنّه أصل ثابت. وعقر الدّار: أصلها وعقر المرأة: ثمن بضعها. «فلا تضحي بها» قال الله عزّوجلّ: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ أي لا تبرز للشمس وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لرجل محرم: «أضح لمن أحرمت له» أي اخرج إلى البراز والموضع الظاهر المنكشف من الأغطية والستور. «الفراطة في البلاد»: السعي والذهاب. «لا ترأبه النساء»: لا تضمه النساء. [و] «حُمادى النساء»: ما يحمد منهن. «غضّ بالأطراف» [أي] لا يبسطن أطرافهن في الكلام. «قصر الوهادة» [هي] جمع وَهْد ووهاد، والوهاد: الموضع المنخفض. «ناصّة قلوصاً» النصّ: السوق بالعنف ومن ذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان إذا وجد فجوة نصّ أي أسرع ومن ذلك نصّ الحديث أي رفعه إلى أصله بسرعة «من منهل إلى آخر» المنهل: الذي يشرب منه الماء. [و] «مهواك»: الموضع الذي تهوين وتستقرّين فيه قال الله عزّوجلّ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي نزل «سدافته» من السدفة وهي شدّة الظلمة. قاعة الستر [و] قاعة الدار: صحنها. [و] السّدة: الباب(1).

إيضاح: قال في النهاية فيه أنّه عليه السلام كان يقمأ إلى منزل عائشة كثيراً أي يدخل. وقمأت بالمكان قمأ: دخلته وأقمت [به] كذا فسر في الحديث قال الزمخشري: ومنه اقتمأ الشيء إذا جمعه. وفي القاموس: قمأت الإبل بالمكان: أقامت لخصبه فسمنت. وتقمّأ المكان: وافقه فأقام به كقمأ.

وبذخ - من باب تعب -: طال أو تكبّر. ولم أر في كتب اللغة [مجيء بذخ] بمعنى النفخ. ولعلّه قرئ على بناء الإفعال واستعمل في هذا المعنى تجوّزاً أو كان هذا هو الأصل واستعمل في الكبر تجوّزاً ثم صار حقيقة فيه.

«والخبب» محركة ضرب من العدو. [و] «القديد» كزبير اسم واد وموضع. [قوله:] «أجش له جشيشاً» بالجيم والشّين المعجمة قال الفيروزآبادي: جشّه: دقه وكسره، والجشيش: السويق. وحنطة تطحن جليلاً فتجعل في قدر ويلقى فيه لحم أو تمر فيطبخ. والتبذّل: ترك التزيّن ولبس ثياب المهنة. والابتذال: ضد الصيانة ولعلّ المراد هنا جعلهما نفسهما عرضة للطفه كأنّهما خلقنا وابتذلنا كما ورد في خبر آخر في كيفية معاشرة الزوجين: «ولم تبذل له تبذل الرجل» وكان [لفظ المصدر] المأخوذ منه يحتمل الدّال المهملة أيضاً فالمراد الزينة وتغيير الثياب.

---

(1) الاختصاص، ص ١١٣.

«أو يوماً أحمر» أي يوماً صعباً شديداً ويعبّر عن الشدّة بالحمرة يقال: احمرّ البأس أي اشتدّ إمّا لحمرة النار أو لحمرة الدم.

قوله ﷺ «ولا يسفر بكنّ أحد» قال الجوهري: سفرت المرأة: كشفت عن وجهها فهي سافر. ويقال: سفرت أسفر سفوراً: خرجت إلى السفر فأنا سافر انتهى.

والظاهر في الخبر المعنى الأخير وإن كان [المعنى] الأوّل أيضاً محتملاً.

قوله: «في الذروة» أي كان هذا النفث حال كونه في ذروتها و«راكباً على سنامها» كناية عن التسلّط عليها ولعلّ فيه سقطاً.

قال في النهاية: في حديث الزبير: «سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت عليه فمازال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته» جعل فتل وبر ذروة البعير وغاربه مثلاً لإزالتها عن رأيها كما يفعل بالجمل النفور إذا أريد تأنيسه وإزالة نفاره انتهى.

ولا يخفى تصحيف «الوهادة» وبعد ما ذكره ثعلب في «السدافة» وإن وردت في اللغة بهذا المعنى.

وقال ابن أبي الحديد: قولها: «الله من وراء هذه الأُمة» أي محيط بهم وحافظ لهم وعالم بأحوالهم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾.

وقال: «إن بعين الله مهواك» أي إنّ الله يرى سيرك وحركتك. والهويّ: الانحدار في السير من النجد إلى الغور «وعلى رسول الله تردين» أي تقدمين في القيامة. وقال: «وجهت سدافته» أي نظمتها بالخرز، والوجيهة خرزة معروفة وعادة العرب أن تنظم على المحمل خرزات إذا كان للنساء.

وقال: «وتركت عهيداه» لفظة مصغّرة مأخوذة من العهد مشابهة لقولها «عقيراك».

قولها: «وأنت على تلك» أي على تلك الحال.

قولها: «أطوع ما تكونين» أطوع مبتدأ «وإذا لزمته» خبر المبتدأ والضمير في لزمته راجع إلى العهد والأمر الّذي أمرت به.

قولها: «لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة» أي لعضّك ونهشك ما أذكره لك وأذكّرك به كما ينهشك أفعى رقشاء. والرقش في ظهرها هو النقط. والأفعى يوصف بالإطراق وكذلك الأسد والنمر والرجل الشجاع وكان معاوية يقول في علي: الشجاع المطرق.

١٢٩ - **أقول:** وروى أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه أنّ عائشة أتت أُمّ سلمة فقالت لها: أنت أقرب منزلة من رسول الله ﷺ في نسائه وأوّل من هاجر معه وكان رسول الله يبعث إلى بيتك ما يتحف له ثمّ يقسمه بيننا وأنت تعلمين ما نال عثمان من هذه الأُمّة من الظلم والعدوان ولا أنكر عليهم إلاّ أنّهم استتابوه فلمّا تاب ورجع قتلوه وقد أخبرني عبد الله بن عامر وكان عامل عثمان على البصرة أنّه قد اجتمع بالبصرة مائة ألف من الرّجال يطلبون بثاره

وأخاف الحرب بين المسلمين وسفك الدماء بغير حلّ فعزمت على الخروج لأصلح بينهم فلو خرجت معنا لرجونا أن يصلح الله بنا أمر هذه الأُمّة.

فقالت أُمّ سلمة: يا بنت أبي بكر أما كنت تحرّضين النّاس على قتله وتقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر!! وما أنت والطلب بثأره وهو رجل من بني عبد مناف وأنت امرأة من تيم بن مرّة؟ بينك وبينه قرابة وما أنت والخروج على عليّ بن أبي طالب أخي رسوله صلى الله عليه وآله وقد اتّفق المهاجرون والأنصار على إمامته.

ثم ذكرت طرفاً من مناقبه وعدّت نبذة من فضائله وقد كان عبد الله بن الزبير واقفاً على الباب يسمع كلامها فناداها: يا أُمّ سلمة قد علمنا بغضك لآل الزبير وما كنت محبّة لنا ولا تحبّينا أبداً.

فقالت أُمّ سلمة: أتريد أن نخرج على خليفة رسول الله ومن علم المهاجرون والأنصار أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولاّه أمر هذه الأمّة. فقال: ما سمعنا ذلك من رسول الله فقالت: إن كنت لم تسمع فقد سمعته خالتك هذه فاسألها تحدّثك وقد سمعت رسول الله يقول لعليّ بن أبي طالب: أنت خليفتي في حياتي وبعد موتي من عصاك فقد عصاني أهكذا يا عائشة؟ فقالت: نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد بها فقالت أُمّ سلمة: فاتّقي الله يا عائشة واحذري ما سمعت من رسول الله وقد قال لك: لا تكوني صاحبة كلاب الحوأب. ولا يغرّنك الزبير وطلحة فإنّهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً. فقامت عائشة مغضبة فخرجت من بيتها.

١٣٠ - وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: روى هشام بن محمد الكليني في كتاب الجمل أنّ أُمّ سلمة كتبت إلى عليّ عليه السلام من مكّة:

أما بعد فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنّهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوّته ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكنّي باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً.

قال: فلما قدم عمر على عليّ عليه السلام أكرمه ولم يزل مقيماً معه حتى شهد مشاهده كلّها ووجّهه عليّ عليه السلام أميراً على البحرين وقال لابن عم له بلغني أن عمر يقول الشعر فابعث إليّ [شيئاً] من شعره. فبعث إليه بأبيات له أوّلها:

جزتك أمير المؤمنين قرابة رفعت بها ذكري جزاءً موفّرا

فعجب عليّ عليه السلام من شعره واستحسنه.

قال: وقال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أُمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها: يا بنت أبي أُميّة أنت أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت كبيرة أمّهات المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك.

فقالت أمّ سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة. فقالت عائشة: إنّ عبد الله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام وقد عزمت الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا!!! فقالت أمّ سلمة: إنك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلاّ نعثلاً وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب من رسول الله ﷺ أفأذكّرك؟ قالت: نعم.

قالت: أتذكرين يوم أقبل [النبيّ] ﷺ ونحن معه حتى إذا هبط من «قديد» ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه فأطال فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعليّ: ليس لي من رسول الله إلاّ يوم من تسعة أيّام فما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله ﷺ عليّ وهو غضبان محمر الوجه فقال: ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاّ وهو خارج من الإيمان فرجعت نادمة ساقطة فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكّرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً وكان الحيس يعجبه فرفع رأسه وقال: «ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط» فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله ورسوله من ذلك ثم ضرب على ظهرك وقال: إيّاك أن تكونيها. ثم قال: يا بنت أبي أميّة إيّاك أن تكونيها [ثم قال] «يا حميراء أما إنّي فقد أنذرتك» قالت عائشة: نعم أذكر هذا.

قالت وأذكّرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليّ يتعاهد نعليْ رسول الله فيخصفهما ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذٍ يخصفها في ظلّ سَمُرَةٍ وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا فحادثاه فيما أرادا ثم قالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً فقال لهما: أما إنّي قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلتِ له وكنت أجرأ عليه منّا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل. فنظرنا فلم نر أحداً إلاّ عليّاً فقلت: يا رسول الله ما أرى إلاّ عليّاً فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك فقالت: فأيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنّما أخرج للإصلاح بين النّاس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله تعالى. فقالت: أنت ورأيك فانصرفت عائشة عنها وكتبت أمّ سلمة بما قالت وقيل لها إلى عليّ ﵇ (١).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٣٢٣.

٣ - باب باب ورود البصرة ووقعة الجمل وما وقع فيها من الاحتجاج

١٣١ - **شا:** من كلام أمير المؤمنين صلوات الله [عليه] حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرّضهم على الجهاد وكان ممّا قال:

عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم فإنّهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرّح والعقوبة الشديدة وقتلوا السّبابجة ومثلوا بحكيم بن جبلة العبدي وقتلوا رجالاً صالحين ثم تتبّعوا منهم من نجى يأخذونهم في كلّ حائط وتحت كلّ رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

انهدوا إليهم وكونوا أشدّاء عليهم والقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنّكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطّنتم أنفسكم على الطعن الدّعسي والضرب الطلحفي ومبارزة الأقران.

وأيّ امرئ أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشَلاً فليذبّ عن أخيه الذي فضّل عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله[1].

بيان: نهد إلى العدوّ ينهد بالفتح أي نهض ذكره الجوهري وقال: برّح به الأمر تبريحاً أي جهده. وضربه ضرباً مبرحاً. وقال: السّبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحرّاس السجن. والدّعسي - بفتح الدال والياء المشددة - قال في القاموس: الدعس: شدة الوطء والطعن والطعان. والمداعسة: المطاعنة. والطلحف بكسر الطاء وفتح اللام وسكون الحاء: الشديد وسيأتي شرح بعض الفقرات.

١٣٢ - **قب:** جمل أنساب الأشراف أنّه زحف عليّ عليه السلام بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين على ميمنته الأشتر وسعيد بن قيس وعلى ميسرته عمار وشريح بن هانئ وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر بن عديّ وعلى الكمين عمرو بن الحمق وجندب بن زهير وعلى الرجّالة أبو قتادة الأنصاري.

وأعطى رايته محمّد بن الحنفية ثمّ أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة: إن الله أمرك أن تقرّي في بيتك فاتقي الله وارجعي ويقول لطلحة والزبير خبأتما نساءكما وأبرزتما زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله واستفززتماها!! فيقولان: إنما جئنا للطلب بدم عثمان وأن يردّ الأمر شورى.

وألبست عائشة درعاً وضربت على هودجها صفائح الحديد وألبس الهودج درعاً، وكان الهودج لواء أهل البصرة وهو على جمل يدعى عسكراً.

روى ابن مردويه في كتاب الفضائل من ثمانية طرق أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للزبير:

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٤.

أما تذكر يوماً كنت مقبلاً بالمدينة تحدثني إذ خرج رسول الله فرآك معي وأنت تتبسّم إليّ فقال لك: يا زبير أتحبّ عليّاً؟ فقلت: وكيف لا أحبّه وبيني وبينه من النسب والمودّة في الله ما ليس لغيره. فقال: إنك ستقاتله وأنت ظالم له!! فقلت: أعوذ بالله من ذلك.

وقد تظاهرت الروايات أنّه قال عليه السلام إن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لك: يا زبير تقاتله ظلماً وضرب كتفك؟! قال: اللهم نعم. قال: أفجئت تقاتلني؟ فقال: أعوذ بالله من ذلك.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: دع هذا بايعتني طائعاً ثم جئت محارباً فما عدا مما بدا؟ فقال: لا جرم والله لا قاتلتك.

حلية الأولياء قال عبد الرحمان بن أبي ليلى: فلقيه عبد الله ابنه فقال: جُبْناً جُبْناً؟! فقال: يا بني قد علم الناس أني لست بجبان ولكن ذكرني عليّ شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فحلفت أن لا أقاتله. فقال: دونك غلامك فلان أعتقه كفّارةً ليمينك.

نزهة الأبصار عن ابن مهدي أنّه قال همّام الثقفي:

أيعتق مكحولاً ويعصي نبيّه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوّق
لشتّان ما بين الضلالة والهدى وشتّان من يعصي الإله ويعتق

وفي رواية: قالت عائشة: لا والله بل خفت سيوف ابن أبي طالب أما إنّها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد ولئن خفتها فلقد خافها الرّجال من قبلك.

فرجع إلى القتال فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام إنّه قد رجع فقال: دعوه فإنّ الشيخ محمول عليه ثم قال: أيها الناس غضّوا أبصاركم وعضّوا على نواجذكم وأكثروا من ذكر ربّكم وإياكم وكثرة الكلام فإنّه فشل.

ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصّفين فقالت: انظروا إليه كأنّ فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر أما والله لا ينتظر بك إلاّ زوال الشمس.

فقال عليّ عليه السلام: يا عائشة عمّا قليل لتصبحنّ نادمين.

فجدّ النا س في القتال فنهاهم أمير المؤمنين وقال: اللّهم إنّي أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين. ثم أخذ المصحف وطلب من يقرأ عليهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾. الآية فقال مسلم المجاشعي: ها أنا ذا فخوّفه بقطع يمينه وشماله وقتله فقال: لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله!! فأخذه ودعاهم إلى الله فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أمّه:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم بمُحْكَم التنزيل إذ دعاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم فرمَلوه رمّلت لحاهم

فقال عليه السلام: الآن طاب الضراب.

وقال لمحمد بن الحنفية والراية في يده: يا بُنَيّ تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك،

أعِرِ الله جمجمتك تد في الأرض قدميك ارم ببصرك أقصى القوم وغضّ بصرك واعلم أنّ النصر من الله. ثم صبر سويعة فصاح الناس من كل جانب من وقع النبال فقال عليه السلام: تقدّم يا بني فتقدم وطعن طعناً منكراً وقال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في حرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد والضرب بالخطّي والمهنّد

فأمر الأشتر أن يحمل فحمل وقتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل.

وكان زيد يرتجز ويقول:

ديني ديني وبيعي وبيعي.

وجعل مخنف بن سُلَيم يقول:

قد عشت يا نفس وقد غنيت دهراً وقبل اليوم ما عييت
وبعد ذا لا شك قد فنيت أما مللت طول ما حييت

فخرج عبد الله بن اليثربي قائلاً:

يا ربِّ إنّي طالب أبا الحسن ذاك الّذي يعرف حقّاً بالفتن

فبرز إليه عليّ عليه السلام قائلاً:

إن كنت تبغي أن ترى أبا الحسن فاليوم تلقاه مليّاً فاعلمن

وضربه ضربة مجزمة [مجرفة]. فخرج بنو ضبّة وجعل يقول بعضهم:

نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل والموت أحلى عندنا من العسل
ردّوا علينا شيخنا بمرتحل إنّ عليّاً بعد من شرّ النذل

وقال آخر:

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف فيهم بالوصيّ

وكان عمرو بن اليثربي يقول:

إن تنكروني فأنا ابن اليثربي قاتل علباء وهند الجمل
ثم ابن صوحان على دين علي

فبرز إليه عمّار قائلاً:

لا تبرح العرصة يا ابن اليثربي أثبت أقاتلك على دين علي

[فطعنه] وأرداه عن فرسه وجرّ برجله إلى عليّ فقتله بيده. فخرج أخوه قائلاً:

أضربكم ولو أرى عليا عمّمته أبيض مشرفيا
وأسمراً عنطنطاً خطيّا أبكي عليه الولد والوليّا

فخرج [إليه] عليّ[عليه السلام] متنكراً وهو يقول:

يا طالباً في حربه عليّا يمنحه أبيض مشرفيّا
أثبت ستلقاه بها مليا مهذّباً سميدعاً كميّا

فضربه فرمى نصف رأسه.

فناداه عبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عائشة بالبصرة أتبارزني؟ فقال [عليّ] عليه السلام: ما أكره ذلك ولكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال: ذرني من بَذَخك يا ابن أبي طالب ثمَّ قال:

إن تدن منّي يا علي فترا فإنّني دان إليك شبرا
صارم يسقيك كأساً مرّا ها إنّ في صدري عليك وترا

فبرز عليّ عليه السلام قائلاً:

يا ذا الذي يطلب مني الوترا إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقّاً وتصلى بعد ذاك جمرا فادن تجدني أسداً هزبرا
أصعطك اليوم زعاقاً صبرا

فضربه فطيّر جمجمته. فخرج مازن الضّبي قائلاً:

لا تطمعوا في جمعنا المكلّل الموت دون الجمل المجلّل

فبرز إليه عبد الله بن نهشل قائلاً:

إن تنكروني فأنا ابن نهشل فارس هيجا وخطيب فيصل

فقتله.

وكان طلحة يحثّ الناس ويقول: عباد الله الصبر الصبر في كلام له [رواه] البلاذري [قال:] إنّ مروان بن الحكم قال: والله ما أطلب ثاري بعثمان بعد اليوم أبداً فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته والتفت إلى أبان بن عثمان وقال: لقد كفيتك أحد قتلة أبيك.

معارف القتيبي أنّ مروان قتل طلحة يوم الجمل بسَهْم فأصاب ساقه.

[وقال السيّد] الحميري:

واختل من طلحة المزهُوّ جُنّته سهم بكف قديم الكفر غدّار
في كف مروان مروان اللعين أرى رهط الملوك ملوك غير أخيار

وله:

واغتر طلحة عند مختلف القنا عبل الذراع شديد أصل المنكب
فاختل حبّة قلبه بمدلق ريان من دم جوفه المتصبّب
في مارقين من الجماعة فارقوا باب الهدى وحيا الربيع المخصب

وحمل أمير المؤمنين على بني ضَبة فما رأيتهم إلاّ كرمادٍ اشتدّت به الريح في يوم عاصف.

فانصرف الزبير فتبعه عمرو بن جُرْموز وجزّ رأسه وأتى به إلى أمير المؤمنين عليه السلام القصة. قال [السيد إسماعيل] الحميري:

أمّا الزبير فحاص حين بدت له ... جاؤا ببرق في الحديد الأشهب
حتّى إذا أمن الحتوف وتحته ... عاري النواهق ذو نجاء صهلب
أثوى ابن جرموز عمير شلوه ... بالقاع منعفراً كشلو التولب

وقال غيره:

طار الزبير على إحصار ذي خضل ... عبل الشوى لا حق المتنين محصار
حتّى أتى وادياً لاقى الحمام به ... من كفّ محتبس كالصيد مغوار

فقالوا: يا عائشة قتل طلحة والزبير وجرح عبد الله بن عامر [كذا] من يدي عليّ فصالحي عليّاً. فقالت: كبر عمرو عن الطوق وجلّ أمر عن العتاب ثمّ تقدمت.

فحزن عليّ عليه السلام وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فجعل يخرج واحد بعد واحد ويأخذ الزمام حتى قتل [قطع «خ ل»] ثمان وتسعون رجلاً.

ثمّ تقدّمهم كعب بن سور الأزدي وهو يقول:

يا معشر النّاس عليكم أمّكم ... فإنّها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمى التي تعمّكم ... لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقتله الأشتر فخرج ابن جفير الأزديّ يقول:

قد وقع الأمر بما لم يحذر ... والنّبل يأخذن وراء العسكر
وأمّنا في خدرها المشمر

فبرز إليه الأشتر قائلاً:

اسمع ولا تعجل جواب الأشتر ... واقرب تلاق كأس موت أحمر
ينسيك ذكر الجمل المشمّر

فقتله ثم قتل عمر الغنوي وعبد الله بن عتاب بن أسيد ثم جال في الميدان جولاً وهو يقول:

نحن بنو الموت به غذينا

فخرج إليه عبد الله بن الزبير فطعنه الأشتر وأرداه وجلس على صدره ليقتله فصاح عبد الله: اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي فقصد إليه من كلّ جانب فخلاّه وركب فرسه فلمّا رأوه راكباً تفرّقوا عنه.

وشدّ رجل من الأزد على محمّد بن الحنفية وهو يقول: يا معشر الأزد كرّوا فضربه ابن الحنفية فقطع يده فقال: يا معشر الأزد فرّوا!!! فخرج الأسود بن البختري السّلمي قائلاً:

ارحم إلهي الكل من سليم ... وانظر إليه نظرة الرّحيم

فقتله عمرو بن الحمق. فخرج جابر الأزديّ قائلاً:

يا ليت أهلي من عمار حاضري   من سادة الأزد وكانوا ناصري

فقتله محمد بن أبي بكر. وخرج عوف القيني قائلاً:

يا أمّ يا أمّ خلا مني الوطن   لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن

فقتله محمد بن الحنفية. فخرج بشر الضبي قائلاً:

ضبّة أبدي للعراق عَمْعَمَةً   وأضرمي الحرب العوان المضرمة

فقتله عمار. وكانت عائشة تنادي بأرفع صوت أيّها الناس عليكم بالصّبر فإنما يصبر الأحرار. فأجابها كوفي:

يا أمّ يا أمّ عققت فاعلموا   والأمّ تغذو ولدها وترحم

أما ترى كم من شجاع يكلم   وتجتلي هامته والمعصم

وقال آخر:

قلت لها وهي على مهوات   إنّ لنا سواك أمّهات

في مسجد الرسول ثاويات

فقال الحجّاج بن عمر الأنصاري:

يا معشر الأنصار قد جاء الأجل   إنّي أرى الموت عياناً قد نزل

فبادروه نحو أصحاب الجمل   ما كان في الأنصار جبن وفشل

فكل شيء ما خلا الله جلل

وقال خزيمة بن ثابت:

لم يغضبوا لله إلاّ للجمل   والموت خير من مقام في خمل

والموت أحرى من فرار وفشل   والقول لا ينفع إلاّ بالعمل

وقال شريح بن هانئ:

لا عيش إلاّ ضرب أصحاب الجمل   ما إن لنا بعد عليّ من بدل

وقال هانئ بن عروة المذحجي:

يا لك حرباً جثّها جمالها   قائدة ينقصها ضلالها

هذا عليّ حوله أقيالها

وقال سعيد بن قيس الهمداني:

قل للوصيّ اجتمعت قحطانها   إن يك حربٌ أضرمت نيرانها

وقال عمّار:

إنّي لعمّار وشيخي ياسر   صاح كلانا مؤمن مهاجر

طلحة فيها والزبير غادر والحقّ في كف عليّ الظاهر

وقال الأشتر:

هذا عليّ في الدجى مصباح نحن بذا في فضله فصاح

وقال عدي بن حاتم:

أنا عدي ونماني حاتم هذا عليّ بالكتاب عالم
لم يعصه في الناس إلا ظالم

وقال عمرو بن الحمق:

هذا عليّ قائد يرضى به أخو رسول الله في أصحابه
من عودة النامي ومن نصابه

وقال رفاعة بن شداد البجلي:

إنّ الذين قطعوا الوسيلة ونازعوا على عليّ الفضيلة
في حربه كالنعجة الأكيلة

وشكّت السّهام الهودج حتّى كأنّه جناح نسر أو شوك قنفذ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج اعقروا الجمل.

وفي رواية [أُخرى] عرقبوه فإنّه شيطان.

وقال لمحمّد بن أبي بكر: انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها.

فعرقب رجل منه فدخل تحته رجل ضبي ثم عرقب [رجل] أُخرى [منه] عبد الرحمان فوقع على جنبه فقطع عمّار نسعه.

فأتاه عليّ ودقّ رمحه على الهودج وقال: يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تفعلي؟ فقالت: يا أبا الحسن ظفرت فأحسن وملكت فأسجح.

فقال [عليّ] لمحمّد بن أبي بكر: شأنك وأختك فلا يدنو أحد منها سواك.

فقال [محمّد]: فقلت لها: ما فعلت بنفسك؟ عصيت ربّك وهتكت سترك ثم أبحت حرمتك وتعرضت للقتل فذهبت بها إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت: أقسمت عليك أن تطلب عبد الله بن الزبير جريحاً كان أو قتيلاً.

فقال: إنّه كان هدفاً للأشتر فانصرف محمد إلى العسكر فوجده فقال: اجلس يا ميشوم أهل بيته فأتاها به فصاحت وبكت ثم قالت: يا أخي استأمن له من عليّ فأتى [محمّد] أمير المؤمنين عليه السلام فاستأمن له منه فقال عليه السلام: أمنته وأمنت جميع الناس.

وكانت وقعة الجمل بالخريبة ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء فكان مع أمير المؤمنين عليه السلام عشرون ألف رجل منهم البدريون ثمانون رجلاً وممّن بايع تحت الشجرة مائتان وخمسون ومن الصحابة ألف وخمسمائة رجل.

وكانت عائشة في ثلاثين ألف أو يزيدون منها المكّيون ستّ مائة رجل.

قال قتادة قتل يوم الجمل عشرون ألفاً.

وقال الكلبي: قتل من أصحاب عليّ عليه السلام ألف راجل وسبعون فارساً منهم زيد بن صوحان وهند الجملي وأبو عبد الله العبدي وعبد الله بن رقية.

وقال أبو مخنف والكلبي: قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصّة أربعة آلاف رجل ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل ومن بني حنظلة تسعمائة رجل ومن [بني] ناجية أربعمائة رجل والباقي من أخلاط الناس إلى تمام تسعة آلاف إلى تسعين رجلاً القرشيّون منهم طلحة والزبير وعبد الله بن عتاب بن أسيد وعبد الله بن حكيم ابن حزام وعبد الله بن شافع بن طلحة ومحمد بن طلحة وعبد الله بن أبي بن خلف الجمحي وعبد الرحمان بن معد وعبد الله بن معد.

وعرقب الجمل أوّلاً أمير المؤمنين ويقال: المسلم بن عدنان ويقال رجل من الأنصار ويقال: رجل ذهليّ. وقيل لعبد الرحمان بن صرد التنوخي: لم عرقبت الجمل؟ فقال:

عقرت ولم أعقر بها لهوانها   عليّ ولكنّي رأيت المهالكا

إلى قوله: فيا ليتني عرقبته قبل ذلكا.

وقال عثمان بن حنيف:

شهدت الحروب فشيّبنني   فلم أر يوماً كيوم الجمل
أشدّ على مؤمن فتنة   وأقتل منهم لحرق بطل
فليت الظعينة في بيتها   ويا ليت عسكر لم يرتحل(١)

بيان: رحله بالدم أي لطخه. والمشرفيّة: سيوف تنسب إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ذكره الجوهري وقال: المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.

وقال الفيروزآبادي: جرفه جرفاً وجرفة: ذهب به كلّه. والنذل: الخسيس من الناس. والأسمر: الرمح. والعنطنط: الطويل. والخطّ: موضع باليمامة تنسّب إليه الرماح الخطّية لأنّها تحمل من بلاد الهند فتقوم به. والمليء - بالهمز وقد يخفّف -: الثقة وبغير همز: طائفة من الزمان. والسميدع بالفتح: السيّد الموطوء الأكناف. والكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنّه كمّى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة. والبذخ: الكبر. والفتر بالكسر: ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتهما. والصارم. السيف القاطع. والوتر بالفتح والكسر: الحقد وطلب الدم. والهزبر: الأسد. وسعطه الدواء كمنعه ونصَره وأسعطه: أدخله في أنفه. وأسعطه الرمح: طعنه به في أنفه. والسعيط: درديّ الخمر. وصعطه وأصعطه:

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٣٩.

سعطه. واختله بسهم أي انتظمه. ورجل عبل الذراعين أي ضخمهما. ودلق السيف من غمده: أخرجه. والحيا - بالقصر -: الخصب والمطر.

قولها: «كبر عمرو عن الطوق» أي لم يبق للصلح مجال.

قال الزمخشري في المستقصى هو عمرو بن عديّ ابن أخت جذيمة قد طوّق صغيراً ثم استهوته الجنّ مدة فلمّا عاد همّت أمّه بإعادة الطوق إليه فقال جذيمة ذلك.

وقيل: إنّها نظّفته وطوّقته وأمرته بزيارة خاله فلمّا رأى لحيته والطوق قال ذلك انتهى.

والعماعم: الجماعات المتفرقة. والعوان من الحرب: التي قوتل فيها مرّة.

والجلل بالتّحريك: العظيم والهيّن. وهو من الأضداد. وشكّه بالرمح: انتظمه.

١٣٣ - **شي:** عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: دخل عليّ أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير فقلت لهم: كانا إمامين من أئمة الكفر إنّ عليّاً يوم البصرة لمّا صفّ الخيول قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم فقام إليهم فقال: يا أهل البصرة هل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دُنياً أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم عليّ بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه ولم أجد إلاّ الكفر أو السيف.

ثم ثنى إلى أصحابه فقال: إنّ الله يقول في كتابه ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ فقال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة واصطفى محمّداً بالنبوة إنّهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت[1].

١٣٤ - **ب:** محمّد بن عبد الحميد وعبد الصمد بن محمد جميعاً عن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبد الله وذكر مثله[2].

١٣٥ - **شي:** عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام يوم الجمل وهو يحرّض النّاس على قتالهم ويقول: والله ما رمي أهل هذه الآية بكنانة قبل اليوم: ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ فقلت لأبي الطفيل: ما الكنانة؟ قال: السهم موضع الحديد فيه عظم يسميه بعض العرب الكنانة[3].

بيان: الكنانة بهذا المعنى غير معروف فيما عندنا من كتب اللغة.

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٨٣ ح ٢٣ من سورة التوبة.
(٢) قرب الإسناد، ص ٩٦ ح ٣٢٧.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٨٤ ح ٢٤ من سورة التوبة.

١٣٦ - **جا:** المراغي عن الحسن بن علي عن جعفر بن محمّد بن مروان عن أبيه عن إسحاق بن يزيد عن خالد بن مختار عن الأعمش عن حبّة العرني قال: سمعت حذيفة اليماني قبل أن يقتل عثمان بن عفان بِسَنَةٍ وهو يقول: كأني بأمّكم الحميراء قد سارت يساق بها على جمل وأنتم آخذون بالشوى والذنب معها الأزد أدخلهم الله النار وأنصارها بني ضَبَّة جد الله أقدامهم.

قال فلمّا كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام لا يَبدَأنّ أحد منكم بقتال حتى آمركم. قال: فَرَموا فينا. فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا. فقال: كفوا ثمّ رمونا فقتلوا منّا. قلنا: يا أمير المؤمنين قد قتلونا. فقال: احملوا على بركة الله. قال: فحملنا عليهم فأنشب بعضنا في بعض الرماح حتّى لو مشى ماشٍ لمشى عليها ثم نادى منادي عليّ عليه السلام عليكم بالسيوف فجعلنا نضرب بها البيض فتنبو لنا. قال: فنادى منادي أمير المؤمنين: عليكم بالأقدام. قال: فما رأينا يوماً كان أكثر قطع أقدام منه. قال: فذكرت حديث حذيفة أنصارها بني ضبّة جد الله أقدامهم فعلمت أنّها دعوة مستجابة ثمّ نادى منادي أمير المؤمنين عليكم بالبعير فإنه شيطان قال: فعقره رجل برمحه وقطع إحدى يديه رجل آخر فبرك ورغا وصاحت عائشة صيحة شديدة فولّى الناس منهزمين. فنادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجيزوا على جريح ولا تبتغوا مدبراً ومن أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن(١).

بيان: الشوى [بفتح الشين]: اليدان والرجلان والرأس من الآدميين. وشوى الفرس: قوائمه ذكره الجوهري وقال: جددت الشيء أجده جَدّاً: قطعته. وقال: نبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة. وقال: قال الأصمعي: أجهزت على الجريح: إذا أسرعت قتله وتممت عليه ولا تقل أجزت على الجريح انتهى.

والرواية مع ضبط النسخ تدل على كونه فصيحاً بهذا المعنى.

١٣٧ - **قب:** دعى أمير المؤمنين محمد بن الحنفية يوم الجمل فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل فذهب فمنعوه بنو ضبّة فلمّا رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده وقصد قصد الجمل وطعنه برمحه ورجع إلى والده وعلى رمحه أثر الدم فتمغر وجه محمد من ذلك فقال أمير المؤمنين: لا تأنف فإنّه ابن النبي وأنت ابن عليّ(٢).

١٣٨ - **كش:** جبرئيل بن أحمد عن موسى بن معاوية بن وهب عن عليّ بن معبد عن عبيد الله بن عبد الله الواسطي عن واصل بن سليمان عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله قال: لمّا صرع زيد بن صوحان رحمة الله عليه يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة. قال فرفع زيد رأسه إليه ثم

---

(١) أمالي المفيد، ص ٥٩ مجلس ٧.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ١٨٥.

قال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فوالله ما علمتك إلا بالله عليماً وفي أمّ الكتاب علياً حكيماً وإنّ الله في صدرك لعظيم والله ما قتلت معك على جهالة ولكني سمعت أمّ سلمة زوج النبي تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله[1].

١٣٩ - **ختص:** جعفر بن الحسين وجماعة من مشايخنا عن محمّد الحميري عن أبيه عن موسى بن جعفر البغدادي عن علي بن معبد عن عبيد الله بن الدهقان، عن واصل مثله[2].

١٤٠ - **كشف:** لمّا تراءى الجمعان وتقاربا ورأى عليّ تصميم عزمهم على قتاله فجمع أصحابه وخطبهم خطبة بليغة قال فيها واعلموا أيّها الناس أنّي قد تأنيت هؤلاء القوم وراقبتهم وناشدتهم كيما يرجعوا يرتدعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا وقد بعثوا إليّ أن ابرز إلى الطعان واثبت للجلاد!!! وقد كنت وما أهدّد بالحرب ولا أدعى إليها وقد أنصف القارة من راماها منها فأنا أبو الحسن الذي فللت حدّهم وفرّقت جماعتهم فبذلك القلب ألقى عدوي وأنا على بيّنة من ربّي لما وعدني من النّصر والظفر وإنّي لعلى غير شبهة من أمري.

ألا وإنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ومن لم يقتل يمت فإنّ أفضل الموت القتل والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش.

ثم رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إنّ طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثم نكث بيعتي اللهم فعاجله ولا تمهله وإنّ الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنّه ظالم لي اللهم فاكفنيه كيف شئت وأنّى شئت.

ثمّ تقاربوا وتعبّوا لابسي سلاحهم ودروعهم متأهبين للحرب كلّ ذلك وعليّ عليه السلام بين الصفين عليه قميص ورداء وعلى رأسه عمامة سوداء وهو راكب على بغلة.

فلمّا رأى أنّه لم يبق إلاّ مصافحة الصفاح والمطاعنة بالرماح صاح بأعلى صوته أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجّج في الحديد؟ فقال عليه السلام: ليس عليّ منه بأس.

ثم نادى ثانية فخرج إليه [الزبير] ودنا منه حتّى واقفه فقال له عليّ: يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت؟ فقال الطلب بدم عثمان!! فقال: أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك!! ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلاّ هو الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد ﷺ أما تذكر يوماً قال لك رسول الله ﷺ يا زبير أتحبّ عليّاً؟ فقلت: وما يمنعني من حبّه وهو ابن خالي؟! فقال لك: أما أنت فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم. فقال الزبير: اللهم بلى فقد كان ذلك.

---

(١) رجال الكشي، ص ٦٣. (٢) الاختصاص، ص ٧٤.

فقال عليّ عليه السلام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد صلى الله عليه وآله أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلّمت عليه فضحك في وجهي فضحكت أنا إليه فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً فقال لك النبيّ صلى الله عليه وآله مهلاً يا زبير فليس به زهو ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له!! فقال الزبير: اللهم بلى ولكن أنسيت فأما إذا ذكرتني ذلك فلأنصرفنّ عنك ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثم رجع إلى عائشة فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي أنّي ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلاّ ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شكّ من أمري وما أكاد أبصر موضع قدمي. ثمّ شقّ الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم. فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام وكان في ضيافته فنفذت دعوة أمير المؤمنين عليه السلام فيه. وأما طلحة فجاءه سهم وهو قائم للقتال فقتله ثم التحم القتال.

وقال عليّ عليه السلام يوم الجمل: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ ثم حلف حين قرأها أنّه ما قوتل عليها منذ نزلت حتّى اليوم واتّصل الحرب وكثر القتل والجروح.

ثم تقدّم رجل من أصحاب الجمل يقال له: عبد الله فجال بين الصفوف وقال: أين أبو الحسن فخرج إليه علي وشدّ عليه وضربه بالسيف فأسقط عاتقه ووقع قتيلاً فوقف عليه وقال: لقد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته؟! ولم يزل القتل يؤجج ناره والجمل يفني أنصاره حتى خرج رجل مدجّج يظهر بأساً ويعرّض بعليّ [بذكر عليّ «خ ل»] حتّى قال:

أضربكم ولو أرى عليّا عممته أبيض مشرفيّا

فخرج إليه عليّ متنكّراً وضربه على وجهه فرمى بنصف قحف رأسه ثم انصرف فسمع صائحاً من ورائه فالتفت فرأى ابن أبي خلف الخزاعي من أصحاب الجمل فقال: هل لك يا عليّ في المبارزة؟ فقال عليّ: ما أكره ذلك ولكن ويحك يا ابن أبي خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال: ذرني يا ابن أبي طالب من بذخك بنفسك وادن منّي لترى أينا يقتل صاحبه فثنى عليّ عنان فرسه إليه فبدره ابن خلف بضربة فأخذها عليّ في جحفته ثمّ عطف عليه بضربة أطار بها يمينه ثمّ ثنّى بأخرى أطار بها قحف رأسه واستعر الحرب حتّى عقر الجمل فسقط وقد احمرت البيداء بالدماء وخذل الجمل وحزبه، وقامت النوادب بالبصرة على القتلى. وكان عدّة من قتل من جند الجمل ستّة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً وكانوا ثلاثين ألفاً فأتى القتل على أكثر من نصفهم وقتل من أصحاب عليّ عليه السلام ألف وسبعون رجلاً وكانوا عشرين ألفاً.

وكان محمّد بن طلحة المعروف بالسجّاد قد خرج مع أبيه وأوصى عليّ عليه السلام أن لا يقتله من عساه أن يظفر به وكان شعار أصحاب عليّ عليه السلام «حم» فلقيه شريح بن أوفى العبسي من

أصحاب عليّ عليه السلام فطعنه فقال: «حم» وقد سبق - كما قيل - السّيف العَذَل فأتى على نفسه وقال شريح هذا:

وأشعث قوام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
شككت بصدر الرمح جيب قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً عليّاً ومن لم يتبع الحقّ يندم
يذكّرني «حم» والرمح شاجر فهلّا تلا «حم» قبل التقدم

وجاء عليّ حتّى وقف عليه وقال: هذا رجل قتله برّه بأبيه.

وكان مالك الأشتر قد لقي عبد الله بن الزبير في المعركة ووقع عبد الله إلى الأرض والأشتر فوقه فكان ينادي: اقتلوني ومالكاً. فلم ينتبه أحد من أصحاب الجمل لذلك ولو علموا أنّه الأشتر لقتلوه ثم أفلت عبد الله من يده وهرب.

فلمّا وضعت الحرب أوزارها ودخلت عائشة إلى البصرة دخل عليها عمّار بن ياسر ومعه الأشتر فقالت: من معك يا أبا اليقظان؟ فقال: مالك الأشتر. فقالت: أنت فعلت بعبدالله ما فعلت؟ فقال: نعم ولولا كوني شيخاً كبيراً وطاوياً لقتلته وأرحت المسلمين منه. قالت: أوما سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله: إن المسلم لا يقتل إلاّ عن كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل النفس التي حرّم الله قتلها؟ فقال: يا أم المؤمنين على أحد الثلاثة قاتلناه ثم أنشد:

أعائش لولا أنّني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا
عشيّة يدعو والرجال تجوزه بأضعف صوت اقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وعمّه خِدَبّ عليه في العجاجة باركا
فنجّاه منّي أكله وشبابه وأنّي شيخ لم أكن متماسكا[1]

بيان: الحاسر الذي لا مغفر عليه ولا درع ذكره الجوهري وقال: رجل مدّججٌ ومدجج أي شاك في السلاح تقول: منه مدجّج في شكّته أي دخل في سلاحه. وقال: الزّهو: الكبر والفخر. قوله: «وقد سبق كما قيل» قوله كما قيل معترضة بين المثل، وأصل المثل «سبق السّيف العذل» والعذل بالتحريك: الملامة.

قال الميداني: قاله ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر لمّا لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم وذكر لذلك قصة طويلة.

وقال الزمخشري يضرب في الأمر الذي لا يقدر على ردّه قال جريرة:

تكلّفني رد الغرايب بعدما سبقن كسبق السيف ما قال عاذله.

وشجره بالرّمح: طعنه. قوله: قتله برّه أي لم يكن يرى الخروج جائزاً لكن خرج لطاعة أبيه فقتل مع أنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٤٠.

قوله: «وعمّه» يعني نفسه و«رجل خدبّ» بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء أي ضخم.

١٤١ - **فر:** جعفر بن محمد الفزاري معنعناً عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: أخبر جبرئيل النبيّ صلى الله عليه وآله أن أمّتك سيختلفون من بعدك فأوحى الله إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: «وقل ربّ إمّا تريني ما يوعدون ربّ فلا تجعلني في القوم الظالمين» قال أصحاب الجمل قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله فأنزل الله عليه: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ﴾ قال: فلمّا نزلت هذه الآية جعل النبيّ صلى الله عليه وآله لا يشك أنه سيرى ذلك.

قال جابر بينما أنا جالس إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله وهو بمنى يخطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيّها النّاس أليس قد بلغتكم؟ قالوا: بلى فقال: ألا لا ألفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض أما لئن فعلتم ذلك لتعرفنني في كتيبة أضرب وجوهكم فيها بالسّيف فكأنّه غمز من خلفه فالتفت ثم أقبل علينا محمّد فقال: أو علي بن أبي طالب عليه السلام فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وهي واقعة الجمل(١).

١٤٢ - **كا:** عليّ عن أبيه عن ابن محبوب رفعه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيّها النّاس إنّي أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم فدعوني إلى أن أصبر للجلاد وأبرز للطّعان. فلأُمّهم الهبل وقد كنت وما أهدّد بالحرب ولا أُرهب بالضّرب أنصف القارة من راماها فلغيري فليبرقوا وليرعدوا فأنا أبو الحسن الذي فللت حدّهم وفرّقت جماعتهم وبذلك القلب ألقى عدوي وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظّفر وإني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من أمري.

أيّها الناس إنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيص ومن لم يقتل يمت وإنّ أفضل الموت القتل والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على فراشي. وا عجباً لطلحة ألّب الناس على ابن عفّان حتّى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعاً ثم نكث بيعتي اللّهمّ خذه ولا تمهله وإنّ الزبير نكث بيعتي وقطع رحمي وظاهر عليّ عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت(٢).

١٤٣ - **مد:** صحيح البخاري بإسناده إلى الحسن بن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة أيّام الجمل لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله أنّ فارساً ملّكوا ابنة كسرى فقال: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة.

وبإسناده أيضاً عن عبد الله بن زياد الأسدي قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة بعث

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٠١ ح ٣٥٣.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٦١٨ باب ٢٥ ح ٤.

عليّ عليه السلام إلى عمّار بن ياسر وحسن بن عليّ فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن فوق المنبر في أعلاه وقام عمّار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمّاراً يقول: إنّ عائشة سارت إلى البصرة والله إنّها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة ولكن الله عزّ وجلّ ابتلاكم [بها] ليعلم إياه تطيعون أم هي.

وبإسناده عن حذيفة اليمان رحمه الله قال: إنّ المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا يومئذ يسرّون واليوم يجهرون(١).

١٤٤ - **نهج:** من كلامه عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفية لمّا أعطاه الراية يوم الجمل: تزول الجبال ولا تزل عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك واعلم أنّ النّصر من عند الله سبحانه(٢).

بيان: قوله عليه السلام: «تزول الجبال» خبر فيه الشرط فالمعنى إن زالت الجبال فلا تزل. والنواجذ: أقصى الأضراس وقيل الأضراس كلّها. والعضّ على الناجذ يستلزم أمرين:

أحدهما: رفع الرعدة والاضطراب في حال الخوف كما يشاهد ذلك في حال البرد.

وثانيها: أنّ الضرب في الرأس لا يؤثر مع ذلك كما ذكر عليه السلام في موضع آخر [وقال:] «وعضّوا على النواجذ فإنّه أنبا للسيوف عن الهام» فيحتمل أن يراد به شدّة الحنق والغيظ.

قوله: «أعر الله» أمر من الإعارة أي ابذلها في طاعة الله. والجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدماغ.

قيل: [وفي] ذلك اشعار بأنّه لا يقتل في ذلك الحرب لأنّ العارية مردودة بخلاف ما لو قال: «بع الله جمجمتك».

وهذا الوجه وإن كان لطيفاً لكن الظاهر أن إطلاق الإعارة باعتبار الحياة عند ربّهم وفي جنة النعيم.

قوله عليه السلام: «تد» أي أثبتها في الأرض كالوتد. قوله عليه السلام: «ارم ببصرك» أي اجعل سطح نظرك أقصى القوم ولا تقصر نظرك على الأداني واحمل عليهم فإذا حملت وعزمت فلا تنظر إلى شوكتهم وسلاحهم ولا تبال ما أمامك.

قوله عليه السلام: «وغضّ بصرك» أي عن بريق السّيوف ولمعانها لئلا يحصل خوف بسببه.

١٤٥ - **ما:** ابن الصّلت عن ابن عقدة عن محمّد بن جبارة عن سعد بن سلمان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرّحمان بن أبي ليلى قال: شهد مع عليّ عليه السلام يوم الجمل ثمانون من أهل بدر وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله(٣).

---

(١) العمدة، ص ٢٣٦ ح ٩٠٠. (٢) نهج البلاغة، ص ٦٤ خ ١١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٧٢٦ مجلس ٤٤ ح ١٥٢٧.

١٤٦ - الكافية لإبطال توبة الخاطئة: عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام أنّ أمير المؤمنين واقف طلحة والزبير في يوم الجمل وخاطبهما فقال في كلامه لهما: لقد علم المستحفظون من آل محمد - وفي حديث آخر: من أصحاب عائشة ابنة أبي بكر وها هي ذه فاسألوها - أنّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى.

فقال له طلحة: سبحان الله تزعم أنّا ملعونون وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة من أصحابي في الجنة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا حديث سعيد بن زيد بن نفيل في ولاية عثمان سمّوا لي العشرة؟ قال: فسمّوا تسعة وأمسكوا عن واحد فقال لهم: فمن العاشر؟ قالوا: أنت قال: الله أكبر أما أنتم فقد شهدتهم لي أنّي من أهل الجنّة وأنا بما قلتما من الكافرين والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لعهد النبي الأمّي صلى الله عليه وآله اليّ أنّ في جهنّم جُبّاً فيه ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين على رأس ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله تعالى أن يُسَعِّرَ جهنّم على اهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت إنّ فيهم أو معهم لنفراً ممّن ذكرتم وإلاّ فأظفركم الله بي وإلا فأظفرني الله بكما وقتلكما بمن قتلتما من شيعتي.

١٤٧ - ج: عن سليم بن قيس الهلالي قال: لمّا التقى أمير المؤمنين أهل البصرة يوم الجمل نادى الزبير يا أبا عبد الله اخرج إليّ فخرج الزبير ومعه طلحة فقال: والله إنّكما لتعلمان وأولو العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر أنّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى.

قال الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن أهل الجنّة!! فقال عليّ عليه السلام: لو علمت أنّكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم. فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عشرة من قريش في الجنة قال عليّ عليه السلام: سمعته يحدّث بذلك عثمان في خلافته. فقال الزبير: أفتراه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال علي عليه السلام: لست أخبرك بشيء حتّى تسميهم. قال الزبير: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرّحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعيد بن عمرو بن نفيل. فقال له عليّ عليه السلام: عددت تسعة فمن العاشر؟ قال: أنت. قال له عليّ عليه السلام: قد أقررت بالجنّة وأمّا ما ادّعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين.

قال الزبير: أفتراه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: ما أراه كذب ولكنّه والله اليقين ووالله إنّ بعض من ذكرت لفي تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنّم على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعّر جهنّم رفع تلك الصخرة، سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك وإلاّ أظفرني الله عليك وعلى أصحابك وعجّل

أرواحكم إلى النار. فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي[1].

١٤٨ - ج: روى نصر بن مزاحم أن أمير المؤمنين عليه السلام حين رفع القتال وقتل طلحة تقدّم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بين الصفين فدعا الزبير فدنا إليه حتى اختلف أعناق دابّتيهما فقال: يا زبير أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّك ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم؟ قال: اللهم نعم. قال: فلم جئت؟ قال: جئت لأصلح بين النّاس فأدبَر الزبير وهو يقول:

ترك الأمور الّتي تخشى عواقبها ... لله أجمل في الدنيا وفي الدين
نادى عليّ بأمر لست أذكره ... إذ كان عمر أبيك الخير مذ حين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن ... فبعض ما قلته ذا اليوم يكفيني
فاخترت عاراً على نار مؤججة ... ما إن يقوم لها خلق من الطين
أخاك طلحة وسط القوم منجدلاً ... ركن الضعيف ومأوى كل مسكين
قد كنت أنصر أحياناً وينصُرني ... في النائبات ويرمي من يراميني
حتّى ابتلينا بأمر ضاق مصدره ... فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال: فأقبل الزبير على عائشة فقال: يا أُمّه والله ما لي في هذا بصيرة وأنا منصرف. قالت عائشة: أبا عبد الله أفررت من سيوف ابن أبي طالب فقال إنّها والله طوال حداد تحملها فتية أنجاد.

ثم خرج [الزبير] راجعاً فمرّ بوادي السّباع وفيه الأحنف بن قيس قد اعتزل في بني تميم فأخبر الأحنف بانصرافه فقال: ما أصنع به إن كان الزبير لفّ بين غارين من المسلمين وقتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه وقد كان لحق بالزبير رجل من كلب ومعه غلامه فلمّا أشرف ابن جرموز وصاحباه على الزبير حرّك الرجلان رواحلهما وخلّفا الزبير وحده فقال لهما الزبير: ما لكما؟ هم ثلاثة ونحن ثلاثة.

فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير: إليك عنّي فقال ابن جرموز: يا أبا عبد الله إنّني جئتك أسألك عن أمور الناس؟ قال: تركت الناس على الركب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسّيف. قال ابن جرموز: يا أبا عبد الله أخبرني عن أشياء أسألك عنها. قال: هات. قال: أخبرني عن خذلك عثمان وعن بيعتك عليّاً وعن نقضك بيعته وعن إخراجك أمّ المؤمنين وعن صلاتك خلف ابنك وعن هذه الحرب الذي جنيتها وعن لحوقك بأهلك؟.

قال: أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطيئة وأخر فيه التوبة.

وأمّا بيعتي عليّاً فلم أجد منها بدّاً إذ بايعه المهاجرون والأنصار.

وأمّا نقضي بيعته فإنّما بايعته بيدي دون قلبي.

(١) الاحتجاج، ص ١٦٢.

وأما إخراجي أُمّ المؤمنين فأردنا أمراً وأراد الله غيره.

وأمّا صلاتي خلف ابني فإنّ خالته قدمته.

فتنحى ابن جرموز وقال قتلني الله إن لم أقتلك(١).

توضيح: قال [ابن الأثير] في [مادّة عور من كتاب] النهاية في حديث عليّ عليه السلام يوم الجمل: «ما ظنّك بامرئ بين هذين الغارين، «أي الجيشين. والغار: الجماعة هكذا أخرجه أبو موسى في الغين والواو، وذكره الهروي في الغين والياء وقال: ومنه حديث الأحنف قال في الزبير منصرفه من الجمل: ما أصنع به إن كان جمع بين غارين ثم تركهم.

والجوهري ذكره في الواو، والواو والياء متقاربان في الانقلاب.

١٤٩ - **ج:** روي أنّه جيء إلى أمير المؤمنين برأس الزبير وسيفه فتناول سيفه وقال: طال ما جلّى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء(٢).

بيان: الحين بالفتح الهلاك: أي الهلاك المعنوي أو أجل الموت.

١٥٠ - **ج:** روي أنّه عليه السلام لمّا مرّ على طلحة بين القتلى قال: أقعدوه. فأقعد فقال: إنه كانت لك سابقة لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك النار(٣).

١٥١ - **ج:** روي أنه مرّ عليه فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشئ للفتنة في الأُمّة والمجلب عليّ والداعي إلى قتلي وقتل عترتي أجلسوا طلحة فأُجلس فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله لقد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال أضجعوا طلحة وسار. فقال بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلّم طلحة بعد قتله؟ فقال: أما والله لقد سمع كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر.

وهكذا فعل عليه السلام بكعب بن سور لمّا مرّ به قتيلاً وقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أمّه يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثم استفتح «وخاب كلّ جبّار عنيد» أما إنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله(٤).

١٥٢ - الكافية في إبطال توبة الخاطئة. روى خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: مر أمير المؤمنين على طلحة وهو صريع فقال أجلسوه فأُجلس فقال: أما والله لقد كانت لك صحبة ولقد شهدت وسمعت ورأيت ولكن الشيطان أزاغك وأمالك فأوردك جهنم(٥).

أقول: وأورد الأخبار السابقة بأسانيد عن الباقر عليه السلام وغيره تركناها حذراً عن الإطناب.

١٥٣ - **ج:** روي أنّ مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة بسهم رماه به.

وروي أيضاً أن مروان يوم الجمل كان يرمي بسهامه في العسكرين معاً ويقول «من أصبت

---

(١) - (٤) الاحتجاج، ص ١٦٢. (٥) الكافية للمفيد، ص ٢٥.

منهما فهو فتح» لقلّة دينه وتهمته للجميع. وقيل: إنّ اسم الجمل الذي ركبته يوم الجمل عائشة عسكر ورئي منه ذلك اليوم كلّ عجب لأنّه كلما أُبين منه قائمة من قوائمه ثبت على أُخرى حتّى نادى أمير المؤمنين: اقتلوا الجمل فإنّه شيطان.

وتولّى محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر رحمة الله عليهما عقره بعد طول دعائه(١).

١٥٤ - **ج:** روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: لمّا كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل قال عليّ عليه السلام: والله ما أراني إلاّ مطلّقها فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعدي» لمّا قام فشهد.

فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريّان فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعدي».

قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها فقال عليّ عليه السلام: لقد أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله بِنَبأٍ وقال: يا عليّ إنّ الله يمدّك بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين(٢).

بيان: رشقه: رماه بالسهام. والنّبل: السّهام العربية ولا واحد لها من لفظها فلا يقال نبلة ذكرهما في النهاية.

١٥٥ - **ج:** عن الأصبغ بن نُباتة قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتّى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين كبّر القوم وكبّرنا وهلّل القوم وهلّلنا وصلّى القوم وصلّينا فعلى ما نقاتلهم؟ فقال أمير المؤمنين: على ما أنزل الله عزّ وجلّ في كتابه. فقال: يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلّمنيه. فقال عليه السلام: ما أنزل الله في سورة البقرة. فقال: يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلّمنيه. فقال عليه السلام هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(٣) فنحن الذين آمنّا وهم الّذين كفروا؛ فقال الرجل: كفر القوم وربّ الكعبة ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله(٤).

١٥٦ - **ما:** المفيد عن عليّ بن خالد عن الحسن بن عليّ الكوفي عن القاسم بن محمد الدلال عن يحيى بن اسماعيل المزني عن جعفر بن علي عن علي بن هاشم عن بكير بن عبيد الله الطويل وعمّار بن أبي معاوية قالا: حدّثنا أبو عثمان البجلي مؤذّن بني قصي قال بكير: أذّن لنا أربعين سنة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول يوم الجمل: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ

(١) - (٢) الاحتجاج، ص ١٦٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.
(٤) الاحتجاج، ص ١٧٠.

بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[١] ثم حلف حين قرأها أنّه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم. قال بكير: فسألت عنها أبا جعفر عليه السلام فقال: صدق الشيخ هكذا قال عليّ عليه السلام هكذا كان[٢].

١٥٧ - **ما:** المفيد عن الحسن بن عبد الله المرزباني عن أبي دريد عن إسحاق بن عبد الله الطلحي قال:

قال الأصمعي: ولّى عمر بن الخطّاب كعب بن سور قضاء البصرة وكان سبب ذلك أنّه حضر مجلس عمر فجاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ زوجي صوّام قوّام فقال عمر: إنّ هذا الرجل صالح ليتني كنت كذا. فردّت عليه القول فقال عمر كما قال.

فقال كعب بن سور الأزدي: يا أمير المؤمنين إنّها تشكو زوجها بخير [ولكن تقول:] إنّها لا حظّ لها منه فقال عليّ بزوجها فأُتي به فقال: ما بالها تشكوك وما رأيت أكرم شكوى منها؟! قال له: يا أمير المؤمنين إني امرؤ أفزعني ما قد نزل في الحجر والنحل وفي السبع الطوال.

فقال له كعب: إنّ لها عليك حقّاً يا بعل فأوفها الحق وصم وصلّ فقال عمر لكعب: اقض بينهما. قال: نعم أحلّ الله للرجال أربعاً فأوجب لكل واحدة ليلة فلها من كل أربع ليال ليلة ويصنع بنفسه في الثلاث ما شاء فألزمه ذلك.

وقال [عمر] لكعب: أخرج قاضياً على البصرة فلم يزل عليها حتى قتل عثمان فلمّا كان يوم الجمل خرج مع أهل البصرة وفي عنقه مصحف فقتل هو يومئذٍ وثلاثة إخوة له أو أربعة فجاءت أمهم فوجدتهم في القتلى فحملتهم وجعلت تقول:

أيا عين ابكي بدمع سرب ... على فتية من خيار العرب
فما ضرهم غير حين النفوس ... وأيّ امرئ لقريش غلب[٣]

١٥٨ - **ما:** المفيد عن عليّ بن محمد الكاتب عن الحسن بن عليّ الزعفراني عن الثقفي عن إبراهيم بن عمر قال: حدّثني أبي عن أخيه عن بكر بن عيسى قال:

لمّا اصطفت الناس للحرب بالبصرة خرج طلحة والزبير في صفّ أصحابهما فنادى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الزبير بن العوام فقال له: يا أبا عبد الله ادن مني لأُفضي إليك بسرّ عندي. فدنا منه حتى اختلفت أعناق فرسيهما فقال أمير المؤمنين: نشدتك الله إن ذكّرتك شيئاً فذكرته أما تعترف به؟ فقال له: نعم. فقال: أما تذكر يوماً كنت مقبلاً عليّ بالمدينة تحدّثني إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فرآك معي وأنت تبسّم إليّ فقال لك: يا زبير أتحب عليّاً؟ فقلت: وكيف لا أحبّه وبيني وبينه من النسب والمودّة في الله ما ليس لغيره. فقال: إنّك ستقاتله وأنت

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢. (٢) أمالي الطوسي، ص ١٣١ مجلس ٥ ح ٢٠٧.
(٣) أمالي الطوسي، ص ١٣٠ مجلس ٥ ح ٢٠٦.

له ظالم. فقلت: أعوذ بالله من ذلك فنكس الزبير رأسه ثم قال: إنّي أُنسيت هذا المقام فقال له أمير المؤمنين: دع هذا أفلست بايعتني طائعاً؟ قال: بلى قال: أفوجدت منّي حدثاً يوجب مفارقتي؟ فسكت ثم قال: لا جرم والله لا قاتلتك. ورجع متوجهاً نحو البصرة فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟ ما لك تنصرف عنّا سحرك ابن أبي طالب؟ فقال: لا ولكن ذكّرني ما كان أنسانيه الدهر واحتج عليّ ببيعتي له.

فقال له طلحة: لا ولكن جبنت وانتفخ سحرك!!!

فقال الزبير: لم أجبن ولكن أُذكرت فذكرت فقال له عبد الله: يا أبه جئت بهذين العسكرين العظيمين حتّى إذا اصطفّا للحرب قلت: أتركهما وأنصرف فما تقول قريش غداً بالمدينة؟ الله الله يا أبت لا تشمت الأعداء ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال.

قال: يا بنيّ ما أصنع وقد حلفت له بالله أن لا أقاتله. قال له: فكفّر عن يمينك ولا تفسد أمرنا فقال الزبير: عبدي مكحول حرّ لوجه الله كفّارة ليميني ثم عاد معهم للقتال!!

فقال همّام الثقفي في فعل الزبير وما فعل وعتقه عبده في قتال عليّ(عليه السلام):

أيعتق مكحولاً ويعصي نبيّه ... لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوّق
أينوي بهذا الصدق والبرّ والتقى ... سيعلم يوماً من يبرّ ويصدق
لشتّان ما بين الضلالة والهدى ... وشتّان من يعصي النبي ويعتق
ومن هو في ذات الإله مشمّر ... يكبّر برّاً ربّه ويصدق
أفي الحقّ أن يعصى النبيّ سفاهة ... ويعتق من عصيانه ويطلّق
كدافق ماء للسراب يؤمّه ... ألا في ضلال ما يصبّ ويدفق[1]

١٥٩ - **ما:** المفيد عن عمر بن محمد الصيرفي عن محمّد بن القاسم عن جعفر بن عبد الله المحمّدي عن يحيى بن الحسن بن فرات عن المسعودي عن الحارث بن حصيرة عن أبي محمد العَنَزي قال: حدّثني ابن عمّي أبو عبد الله العنزي قال:

إنا لجلوس مع عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الجمل إذ جاءه الناس يهتفون به يا أمير المؤمنين لقد نالنا النبل والنشاب فسكت ثم جاء آخرون فذكروا مثل ذلك فقالوا: قد جُرِحْنا. فقال عليّ (عليه السلام): يا قوم من يعذرني من قوم يأمرونني بالقتال ولم ينزل بعد الملائكة.

فقال: [العنزي] إنا لجلوس وما نرى ريحاً ولا نحسّها إذ هبّت ريح طيّبة من خلفنا والله لوجدت بردها بين كتفيّ من تحت الدّرع والثياب قال: فلمّا هبّت صبّ أمير المؤمنين درعه ثم قام إلى القوم فما رأيت فتحاً كان أسرع منه[2].

١٦٠ - **يج:** عن أبي عبد الله الغنوي مثله.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٣٧ مجلس ٥ ح ٢٢٣. (٢) أمالي الطوسي، ص ٢٠٩ مجلس ٨ ح ٣٦٠.

١٦١ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل عن علي بن محمّد بن مخلد عن عباد بن سعيد الجعفي عن محمّد بن عثمان بن أبي البهلول عن صالح بن أبي الأسود عن هاشم بن البريد عن أبي سعيد التيمي، عن ثابت مولى أبي ذرّ رضي الله عنه قال: شهدت مع عليّ يوم الجمل فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني من الشكّ بعض ما يدخل الناس فلمّا زالت الشمس كشف الله ذلك عنّي فقاتلت مع أمير المؤمنين ثمّ أتيت بعد ذلك أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ ورحمها [الله] فقصصت عليها قصتي فقالت: كيف صنعت حين طارت القلوب مطايرها؟ قال: قلت إلى أحسن ذلك والحمد لله كشف الله عزّ وجلّ عنّي ذلك عند زوال الشمس فقاتلت مع أمير المؤمنين قتالاً شديداً. فقالت: أحسنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض(١).

١٦٢ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل عن محمّد بن جرير الطبري عن محمّد بن عمارة الأسدي عن عمرو بن حمّاد بن طلحة عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه عن أبي سعيد عن ثابت مثله.

بيان: [قوله:] «إلى أحسن ذلك» أي آل أمري ورجع إلى أحسن الأمور والأحوال.

أقول: قد سبق خبر اليهوديّ الذي سأل أمير المؤمنين عمّا فيه من خصال الأنبياء.

١٦٣ - **شا:** من كلام أمير المؤمنين عليه السلام عند تطوافه على القتلى: هذه قريش جدعت أنفي وشفيت نفسي فقد تقدّمت إليكم أحذّركم عضّ السيف وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون ولكنّه الحين وسوء المصرع وأعوذ بالله من سوء المصرع.

ثمّ مرّ على معبد بن المقداد فقال رحم الله أبا هذا أما إنّه لو كان حيّاً لكان رأيه أحسن من رأي هذا. فقال عمّار بن ياسر: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل، إنّا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عند عن الحقّ من والد وولد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: رحمك الله وجزاك عن الحقّ خيراً.

قال ومرّ بعبد الله بن ربيعة بن درّاج وهو في القتلى وقال: هذا البائس ما كان أخرجه؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان؟ والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ثم مرّ بمعبد بن زهير بن أبي أُميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بذي نخيرة ولقد أخبرني من أدركه وإنّه ليولول فرقاً من السّيف.

ثم مرّ بمسلم بن قرظة فقال: البرّ أخرج هذا!! والله لقد كلّمني أن أكلّم له عثمان في شيء كان يدّعيه قبله بمكّة فأعطاه عثمان وقال: لولا أنت ما أعطيته إنّ هذا ما علمت بئس أخو العشيرة ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٤٦٠ مجلس ١٦ ح ١٠٢٨.

ثم مرّ بعبد الله بن حميد بن زهير فقال: هذا أيضاً ممن أوضع في قتالنا زعم يطلب الله بذلك ولقد كتب إليّ كتباً يؤذي عثمان فيها فأعطاه شيئاً فرضي عنه.

ثم مرّ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا وإن كان قد كفّ وجلس حين شك في القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنا وعن غيرنا ولكن المليم الذي يقاتلنا.

ثم مرّ بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس بن شريق فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدّار فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله.

ثم مرّ بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: أمّا هذا فكأني أنظر إليه وقد أخذت القوم السيوف هارباً يعدو من الصّف فنهنهت عنه فلم يسمع من نهنهت حتّى قتله وكان هذا ممّا خفي على فتيان قريش أغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا واستنزلوا فلمّا وقفوا لحجوا فقُتلوا.

ثم مشى قليلاً فمرّ بكعب بن سور فقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمّه يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثم استفتح فخاب كلّ جبار عنيد أما إنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله أجلسوا كعب بن سور فأُجلس فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا كعب لقد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا كعباً.

ومرّ على طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة في الأُمّة والمجلب عليّ والداعي إلى قتلي وقتل عترتي. أجلسوا طلحة بن عبيد الله فأُجلس فقال له أمير المؤمنين: يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثم قال: أضجعوا طلحة وسار.

فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ فقال: أما والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر(١).

إيضاح: جدعت أنفي أي لم أكن أحبّ قتل هؤلاء، وهم من قبيلتي وعشيرتي ولكن اضطررت إلى ذلك.

[قوله:] «بذي نخيرة» النخير: صوت بالأنف أي كان يقيم الفتنة لكن لم يكن له بعد قيامها صوت وحركة بل كان يخاف ويولول يقال: ولولت المرأة إذا أعولت «وما علمت» أي فيما علمت وفي علمي «ممّن أوضع» على بناء المعلوم أي ركض دابته وأسرع أو على بناء المجهول. قال الجوهري يقال: وضع الرجل في تجارته وأوضع على ما لم يسمّ فاعله فيهما أي خسر «فنهنهت عنه» أي كففت وزجرت.

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٥.

«وكان هذا مما خفي علي» أي لم أعلم بوقت قتله.

فتيان قريش مبتدأ والأغمار [خبره، وهو]: جمع الغمر بالضم وبضمتين وهو الذي لم يجرب الأمور ذكره الجوهري وقال: لحج السيف وغيره بالكسر يلحج لحجاً أي نشب في الغمد فلا يخرج ومكان لحج أي ضيق.

ثم استفتح إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة.

١٦٤ - **كا:** الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمّد عن الوشا عن أبان بن عثمان عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام إنّ علياً عليه السلام سار في أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل الشرك. قال: فغضب ثمّ جلس ثم قال سار فيهم والله بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح إنّ علياً كتب إلى مالك وهو على مقدمته يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل ولا يقتل مدبراً ولا يجهز على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن.

فأخذ الكتاب فوضعه بين يديه على القربوس من قبل أن يقرأه ثمّ قال: اقتلوا فقتلهم حتّى أدخلهم سكك البصرة ثمّ فتح الكتاب فقرأه ثمّ أمر منادياً فنادى بما في الكتاب[1].

١٦٥ - **ني:** محمّد بن همام عن أحمد بن مابندار عن أحمد بن هليل عن ابن أبي عمير عن أبي المغرا عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة نشر الراية راية رسول الله صلى الله عليه وآله فتزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمِنا يا ابن أبي طالب فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسراء ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مولّياً ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن. ولمّا كان يوم صفّين سألوه نشر الراية فأبى عليهم فتحملوا عليه بالحسن والحسين وعمّار بن ياسر فقال للحسن: يا بنيّ إن للقوم مدّة يبلغونها وإنّ هذه راية لا ينشرها بعدي إلاّ القائم عليه السلام[2].

١٦٦ - **د:** في تاريخ المفيد: في النصف من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة كان فتح البصرة ونزول النصر من الله تعالى على أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي كتاب التذكرة: في هذه السنة أظهر معاوية الخلافة وفيها بايع جارية بن قدامة السعدي لعليّ بالبصرة وهرب منها عبد الله بن عامر.

وفيها لحق الزبير بمكّة وكانت عائشة معتمرة فأشار عليهم ابن عامر بقصد البصرة وجهّزهم بألف ألف درهم ومائة بعير وقدم يعلى بن منية من البصرة فأعانهم بمائة ألف درهم وبعث إلى عائشة بالجمل الذي اشتراه بمأتي دينار.

وسار عليّ عليه السلام إليهم وكان معه سبعمائة من الصحابة وفيهم أربعمائة من المهاجرين

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٨ باب ١٠ ح ٣.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٢٠٨.

والأنصار منهم سبعون بدرياً وكانت وقعة الجمل بالخُرَيبة يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة قتل فيها طلحة وقتل فيها محمّد بن طلحة وكعب بن سور.

وأوقف عليّ الزبير ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وهو أنّك تحاربه وأنت ظالم. فقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر وانصرف راجعاً فلحقه عمرو بن جرموز بوادي السّباع وهو قائم يصلي فطعنه فقتله وهو ابن خمس وسبعين سنة.

وقيل إنّ عدة من قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً ومن أصحاب عليّ أربعة آلاف أو خمسة آلاف.

وسار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة واستخلف على البصرة عبد الله بن عبّاس وسيّر عائشة إلى المدينة.

وفي هذه السنة صالح معاوية الروم على مال حمله إليهم لشغله بحرب عليّ عليه السلام.

١٦٧ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام لمّا مرّ بطلحة وعبد الرّحمان بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل:

لقد أصبح أبو محمّد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب أدركت وتري من بني عبد مناف وأفلتتني أعيان بني جمح لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه(١).

بيان: عبد الرحمن من التابعين وأبوه كان أمير مكّة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله. والوتر: الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي.

وأعيان بني جمح في بعض النسخ بالراي أي ساداتهم: أو جمع عير بمعنى الحمار وهو ذمّ لجماعة من بني جمح حضروا الجمل وهربوا ولم يُقتل منهم إلاّ اثنان. وأتلعوا أعناقهم أي رفعوها. والوقص كسر العنق يقال: واقص الرجل فهو موقوص.

١٦٨ - وقال ابن أبي الحديد: ركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمّى عسكراً في هودج قد ألبس الرفوف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد.

وروى الشعبي عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه قال: لمّا قدم طلحة والزبير البصرة تقلّدت سيفي وأنا أريد نصرهما فدخلت على عائشة وإذا هي تأمر وتنهى وإذا الأمر أمرها فذكرت حديثاً كنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن يفلح قوم يدبّر أمرهم امرأة» فانصرفت واعتزلتهم.

وقد روي هذا الخبر على صورة أُخرى: إنّ قوماً يخرجون بعدي في فئة رأسها امرأة لا يفلحون أبداً وكان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره فلمّا تواقف الجمعان قال

(١) نهج البلاغة، ص ٤٥٤ خ ٢١٦.

عليّ عليه السلام : لا تقاتلوا القوم حتّى يبدأوكم فإنّكم بحمد الله على حجّة وكفّكم عنهم حتّى يبدأوكم حجّة أُخرى وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ولا تهيّجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهنّ ضعفاء القوى والأنفس والعقول ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهنّ لمشركات وإن كان الرّجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعيّر بها وعقبه من بعده.

قال: وقتل بنو ضبّة حول الجمل فلم يبق فيهم إلاّ من لا نفع عنده وأخذت الأزد بخطامه فقالت عائشة: من أنتم؟ قالوا: الأزد قالت: صبراً فإنّما يصبر الأحرار. ورمي الجمل بالنبل حتى صارت القبّة عليه كهيئة القنفذ فقال عليّ عليه السلام - لمّا فني الناس على خطام الجمل وقطعت الأيدي وسالت النفوس -: ادعوا لي الأشتر وعمّاراً فجاآ فقال: اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإنّهم قد اتّخذوه قبلةً فذهبا ومعهما فتيان من مراد يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله فمازالا يضربان الناس حتّى خلصا إليه فضربه المرادي على عرقوبيه فأقعى وله رغاء ثم وقع لجنبه وفرّ الناس من حوله فنادى عليّ: اقطعوا أنساع الهودج. ثم قال لمحمّد بن أبي بكر: أكفئ أختك. فحملها محمّد حتّى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي[١].

١٦٩ - **كا:** عليّ عن أبيه والقاساني جميعاً عن الإصبهاني عن المنقري عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله قال: قال أمير المؤمنين يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرّية ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن[٢].

١٧٠ - **أقول:** قال السيد ابن طاووس في كتاب سعد السعود [نقلاً] من كتاب ما نزل من القرآن في عليّ برواية أبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن ياسين عن محمّد بن الكند عن عبيد الله بن موسى عن أسباط بن عروة عن سعيد بن كرز قال: كنت مع مولاي يوم الجمل مع اللّواء فأقبل فارس فقال: يا أُمّ المؤمنين قالت عائشة: سلوه من هو؟ قيل له: من أنت؟ قال: أنا عمّار بن ياسر قالت قولوا له: ما تريد؟ قال: أنشدك بالله الذي أخرج الكتاب على نبيّه صلى الله عليه وآله في بيتك أتعلمين أن رسول الله جعل عليّاً وصيّه على أهله؟ قالت: اللهم نعم[٣].

١٧١ - **كا:** العدّة عن سهل ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد وعلي عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب عن حمّاد بن عيسى عن سوار، عن الحسن قال: إنّ علياً عليه السلام لمّا هزم طلحة والزبير أقبل الناس منهزمين فمروا بامرأة حامل على ظهر الطريق ففزعت منهم فطرحت ما في

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٦ ص ٣٢٩.

(٢) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٨ باب ٣ آخر الحديث الثاني. (٣) سعد السعود، ص ٢٣٦.

بطنها حيّاً فاضطرب حتى مات ثم ماتت أمه من بعده فمرّ بها عليّ عليه السلام وأصحابه وهي مطروحة وولدها على الطريق فسألهم عن أمرها؟ فقالوا له: إنّها كانت حبلى ففزعت حين رأت القتال والهزيمة قال: فسألهم أيّهما مات قبل صاحبه؟ فقيل: إنّ ابنها مات قبلها. قال: فدعى بزوجها أبي الغلام الميّت فورثه من ابنه ثلثي الديّة وورث أمّه ثلث الدية ثم ورث الزوج أيضاً من المرأة نصف ثلث الدية الذي ورثته من ابنها، وورث قرابة المرأة الميتة الباقي ثم ورث الزوج أيضاً من دية امرأته الميتة نصف الدية وهو ألفان وخمسمائة درهم وورث قرابة المرأة الميتة نصف الدية وهو ألفان وخمسمائة درهم وذلك أنّه لم يكن لها ولد غير الذي رمت به حين فزعت قال: وأدّى ذلك كلّه من بيت مال البصرة[1].

أقول: شرح الخبر لا يناسب هذا المقام وقد شرحناه في موضعه.

١٧٢ - وجدت في كتاب سليم بن قيس: قال أبان: سمعت سليماً يقول: شهدت يوم الجمل علياً عليه السلام وكنّا اثني عشر ألفاً وكان أصحاب الجمل زيادة على عشرين ومائة ألف وكان مع عليّ عليه السلام من المهاجرين والأنصار نحو من أربعة آلاف ممّن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً والحديبيّة ومشاهده، وسائر الناس من أهل الكوفة إلاّ من تبعه من أهل االبصرة والحجاز ليست له هجرة ممن أسلم بعد الفتح وجلّ الأربعة آلاف من الأنصار ولم يكره أحداً على البيعة ولا على القتال إنّما ندبهم فانتدبوا من أهل بدر سبعون ومائة رجل جلّهم من الأنصار ممن شاهد أحداً والحديبيّة ولم يتخلّف عنه أحد، وليس أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ وهواه معه يتولّونه ويدعون له بالظفر والنصر ويحبّون ظهوره على من ناواه ولم يحرجهم ولا يضيق عليهم وقد بايعوه وليس كلّ الناس يقاتل في سبيل الله والطاعن عليه والمتبرّئ منه قليل مستتر عنه مظهر له الطاعة غير ثلاثة رهط بايعوه ثم شكّوا في القتال معه وقعدوا في بيوتهم [وهم] محمد بن مسلمة وسعد بن أبي وقاص وابن عمر، [وأمّا] أسامة ابن زيد [فقد] سلّم بعد ذلك ورضي ودعا لعليّ عليه السلام واستغفر له وبرئ من عدوّه وشهد أنّه على الحقّ ومن خالفه ملعون حلال الدم.

قال أبان قال سليم: لمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة يوم الجمل نادى علي عليه السلام الزبير: يا أبا عبد الله اخرج إلي فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين تخرج إلى الزبير الناكث بيعته وهو على فرس شاك في السلاح وأنت على بغلة بلا سلاح فقال عليّ عليه السلام: إنّ عليّ جُنّة واقية، لن يستطيع أحد فراراً من أجله وإنّي لا أموت ولا أُقتل إلاّ على يدي أشقاها كما عقر ناقة الله أشقى ثمود.

فخرج إليه الزبير فقال: أين طلحة ليخرج فخرج طلحة فقال: نشدتكما الله أتعلمان وأولو العلم من آل محمّد وعائشة بنت أبي بكر أنّ أصحاب الجمل وأهل النهر معلونون على لسان

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٣٩٨ باب ٢١٤ ح ٢.

محمد وقد خاب من افترى؟ فقال الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة؟ قال عليّ عليه السلام: لو علمت أنّكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم فقال الزبير: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد «أوجب طلحة الجنّة ومن أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض حياً فلينظر إلى طلحة» أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عشرة من قريش في الجنة؟ فقال عليّ عليه السلام فسمّهم فقال: فلان وفلان وفلان حتّى عدّ تسعة فيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال عليّ عليه السلام: عددت تسعة فمن العاشر؟ قال الزبير: أنت فقال: أما أنت فقد أقررت أنّي من أهل الجنّة وأمّا ما ادّعيت لنفسك وأصحابك فإنّي به لمن الجاحدين والله إن بعض من سمّيت لفي تابوت في جبّ في أسفل درك من جهنم على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنّم رفع تلك الصخرة فأسعر جهنّم سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ أظفرك الله بي وسفك دمي بيدك وإلاّ فأظفرني الله بك وأصحابك فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

ثم أقبل على طلحة فقال: يا طلحة معكما نساؤكما؟ قال: لا قال: عمدتما إلى امرأة موضعها في كتاب الله القعود في بيتها فأبرزتماها وصنتما حلائلكما في الخيام والحجال ما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمر الله أن لا يكلّمن إلاّ من وراء حجاب أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما أما يرضى أحدكما بصاحبه؟ أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ما يحملكما على ذلك؟.

فقال طلحة يا هذا كنّا في الشورى ستة مات منّا واحد وقتل آخر فنحن اليوم أربعة كلّنا لك كاره!! فقال له عليّ عليه السلام ليس ذاك عليّ قد كنّا في الشورى والأمر في يد غيرنا وهو اليوم في يدي أرأيت لو أردت بعدما بايعت عثمان أن أردّ هذا الأمر شورى أكان ذلك لي؟ قال: لا. [قال:] ولم؟ قال: لأنّك بايعت طائعاً. فقال عليّ عليه السلام وكيف ذلك والأنصار معهم السيوف مخترطة يقولون: لا فرغتم وبايعتم واحداً منكم وإلاّ ضربنا أعناقكم أجمعين فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً من هذا وقت ما بايعتماني؟ وحجتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجّتك وقد بايعتني وأصحابك طائعين غير مكرهين وكنتما أوّل من فعل ذلك ولم يقل أحد لتبايعان أو لنقتلكما.

فانصرف طلحة ونشب القتال فقتل طلحة وانهزم الزبير(١).

بيان: قوله: «أكان ذلك بي» أي بحسب معتقدكم أو هل كانوا يسمعون منّي ذلك.

واعلم أنّ الدلائل على بطلان ما ادّعوا من ورود الحديث ببشارة العشرة أنهم من أهل الجنّة كثيرة قد مرّ بعضها وكفى بإنكاره عليه السلام ورده في بطلانه، ومقاتلة بعضهم معه عليه السلام

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٩٥.

أدلّ دليل على بطلانه للأخبار المتواترة بين الفريقين عن النبيّ ﷺ كقوله ﷺ: «لا يبغضك إلاّ منافق» وقوله: «حربك حربي» وغير ذلك ممّا مرّ وسيأتي في المجلد التاسع، والعشرة بزعمهم أمير المؤمنين ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح على التسعة اللعنة.

تذنيب: قال أبو الصلاح رحمه الله في تقريب المعارف تناصر الخبر من طريقي الشيعة وأصحاب الحديث بأنّ عثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمان من جملة أصحاب العقبة الذين نفروا برسول الله ﷺ وأنّ عثمان وطلحة القائلان: أينكح محمّد نساءنا ولا ننكح نساءه؟! والله لو قد مات لأجلنا على نسائه بالسّهام!!!.

وقول طلحة لأتزوجنّ أُمّ سلمة، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾(١).

وقول عثمان لطلحة وقد تنازعا: والله إنّك أوّل أصحاب محمّد تزوج بيهودية فقال طلحة: وأنت والله لقد قلت: ما يحبسُنا ها هنا ألا نلحق بقومنا.

وقد روي من طريق موثوق به ما يصحح قول عثمان لطلحة فروي أنّ طلحة عشق يهودية فخطبها ليتزوجها فأبت إلاّ أن يتهوّد ففعل!!! وقَدَحُوا في نسبه بأنّ أباه عبيد الله كان عبداً راعياً بالبلقاء فلحق بمكة فادّعاه عثمان بن عمرو بن كعب التيمي فنكح الصعبة بنت دز مهر الفارسي وكان بعث به كسرى إلى اليمن فكان بحضرموت خرّازاً.

وأمّا الزبير فكان أبوه ملاّحاً بجدة وكان جميلاً فادّعاه خويلد وزوّجه عبد المطلب صفيّة.

وقال العلاّمة قدس الله روحه في كشف الحق ومؤلف كتاب إلزام النواصب وصاحب كتاب تحفة الطالب: ذكر أبو المنذر هشام بن محمّد الكلبي من علماء الجمهور أنّ من جملة البغايا وذوات الرايات صعبة بنت الحضرمي كانت لها راية بمكّة واستبضعت بأبي سفيان فوقع عليها أبو سفيان وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجاءت بطلحة بن عبيد الله لستّة أشهر فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة فجعلا أمرهما إلى صعبة فألحقته بعبيد الله. فقيل لها كيف تركت أبا سفيان؟ فقالت يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان نكرة. وقال [العلاّمة] في كشف الحق أيضاً: وممن كان يلعب به ويتخنّث عبيد الله أبو طلحة فهل يحلّ لعاقل المخاصمة مع هؤلاء لعليّ ﷺ انتهى(٢).

وقال مؤلف كتب إلزام النواصب وصاحب تحفة الطالب: قد ورد أن العوام كان عبداً لخويلد ثم أعتقه وتبنّاه ولم يكن من قريش وذلك أنّ العرب في الجاهلية كان إذا كان لأحدهم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٢) نهج الحق وكشف الصدق، ص ٣٥٦.

عبد وأراد أن ينسب إلى نفسه ويلحق به نسبه أعتقه وزوّجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه وكان هذا من سنن العرب.

ويصدّق ذلك شعر عديّ بن حاتم في عبد الله بن الزبير بحضرة معاوية وعنده جماعة قريش وفيهم عبد الله بن الزبير فقال عبد الله لمعاوية: يا أمير المؤمنين ذرنا نكلّم عدياً فقد زعم أنّ عنده جواباً فقال: إنّي أحذّركموه فقال: لا عليك دعنا وإيّاه. [فرضي معاوية] فقال: يا أبا طريف متى فقئت عينك؟ فقال: يوم فر أبوك وقتل شر قتلة وضربك الأشتر على استك فوقعت هارباً من الزحف وأنشد يقول:

أما وأبي يابن الزبير لو أنني ... لقيتك يوم الزحف رمت مدى شحطا
وكان أبي في طيّء وأبو أبي ... صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا

قال معاوية: قد حذّرتكموه فأبيتم.

وقوله: «صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا» تعريض بابن الزبير بأنّ أباه وأبا أبيه ليسا بصحيحي النسب وأنّهما من القبط ولم يستطع ابن الزبير انكار ذلك في مجلس معاوية.

أقول: وروى صاحب كتاب تحفة الطالب الأبيات هكذا:

[أما وأبي يا ابن الزبير لو أنني] ... لقيتك يوم الزحف ما رمت لي سخطا
ولو رمت شقي عند عدل قضاؤه ... لرمت به يا بن الزبير مدى شحطا

٤ - باب باب احتجاجه عليه السلام على أهل البصرة وغيرهم بعد انقضاء الحرب وخطبه عليه السلام عند ذلك

١٧٣ - **ج:** روى يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيّام فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل البدعة ومن أهل السنّة؟ فقال [أمير المؤمنين عليه السلام]: ويحك أمّا إذا سألتني فافهم عنّي ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي أمّا أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلّوا وذلك الحقّ عن أمر الله وعن أمر رسوله.

و [أمّا] أهل الفرقة [ف] المخالفون لي ولمن اتّبعني وإن كثروا.

وأمّا أهل السنّة فالمتمسّكون بما سنه الله لهم ورسوله وإن قلوا.

وأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله تعالى وكتابه ولرسوله والعاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا وقد مضى منهم الفوج الأوّل وبقيت أفواج وعلى الله فضها واستئصالها عن جدد الأرض. فقام إليه عمّار فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الناس يذكرون الفيء ويزعمون أنّ من قاتلنا فهو وماله وولده فيء لنا.

فقام رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس وكان ذا عارضة ولسان شديد فقال: يا أمير

المؤمنين والله ما قسمت بالسويّة ولا عدلت بالرعية!! فقال: ولم ويحك؟ قال: لأنّك قسمت ما في العسكر وتركت النساء والأموال والذرّية.

فقال عليه السلام: أيها الناس من كانت به جراحة فليداوها بالسمن فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترّهات!! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف. فقيل ومن غلام ثقيف؟ فقال: رجل لا يدع لله حرمة إلاّ انتهكها. فقيل: أفيموت أو يقتل؟ فقال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحشٍ يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه!!.

يا أخا بكر أنت امرؤ ضعيف الرأي أوما علمت أنّا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير وأنّ الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوّجوا على رشدة وولدوا على فطرة وإنّما لكم ما حوى عسكرهم و[أما] ما كان في دُورهم فهو ميراث [لِذُرّيتهم] فإن عدا [علينا] أحد منهم أخذناه بذنبه وإن كفّ عنّا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكّة فقسم ما حوى العسكر ولم يتعرّض لما سوى ذلك وإنّما اتّبعت أثره حذو النعل بالنعل.

يا أخا بكر أما علمت أنّ دار الحرب يحل ما فيها وأنّ دار الهجرة يحرم ما فيها إلاّ بحق فَمَهْلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدّقوني وأكثرتم عليّ وذلك أنّه تكلّم في هذا غير واحد فأيّكم يأخذ عائشة بسهمه؟!

فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا وعلمت وجهلنا فنحن نستغفر الله تعالى ونادى الناس من كلّ جانب أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرشاد والسّداد.

فقام عمّار فقال: أيّها الناس والله إن اتّبعتموه وأطعتموه لن يضلّ عن منهل نبيّكم عليه السلام حتى قيس شعرة وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله صلى الله عليه وآله علم المنايا والوصايا وفصل الخطاب على منهج هارون عليه السلام وقال له: «أنت منّي بمنزلة هرون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» فضلاً خصّه الله به وإكراماً منه لنبيّه صلى الله عليه وآله حيث أعطاه ما لم يعطه أحداً من خلقه.

ثم قال أمير المؤمنين: انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له فإنّ العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخسّ فإني حاملكم إن شاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة وإن كانت فيه مشقّة شديدة ومرارة عتيدة، والدنيا حلوة الحلاوة لمن اغترّ بها من الشقوة والندامة عما قليل.

ثم إنّي أخبركم أنّ جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيّهم أن لا يشربوا من النهر. فلجّوا في ترك أمره فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم فكونوا رحمكم الله من أولئكم الذين أطاعوا نبيّهم ولم يعصوا ربهم. وأما عائشة فأدركها رأي النساء ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على

الله يعفو عمّن يشاء ويعذّب من يشاء[١].

بيان: فلان ذو عارضة أي ذو جلد وصرامة وقدرة على الكلام ذكره الجوهري وقال: قال الأصمعي: الترّهات: الطرق الصغار غير الجادّة تتشعب عنها. الواحدة: ترهة فارسي معرّب ثمّ استعير في الباطل. وقال: يقال بينهما قيس رمح وقاس رمح أي قدر رمح. والعتيد: الحاضر المهيأ.

١٧٤ - **ج:** عن المبارك بن فضالة عن رجل ذكره قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الجمل فقال له: يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هالني من روح قد بانت وجُثّةٍ قد زالت ونفس قد فاتت لا أعرف فيهم مشركاً بالله تعالى فالله الله فما يحللني من هذا فإن يك شراً فهذا يتلقّى بالتوبة وإن يك خيراً ازددنا أخبرني عن أمرك هذا الذي أنت عليه أفتنة عرضت لك؟ فأنت تنفح الناس بسيفك أم شيء خصّك به رسول الله صلى الله عليه وآله؟.

فقال له عليّ: إذاً أُخبرك إذاً أُنبّئك إذاً أُحدّثك إنّ ناساً من المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلموا ثم قالوا لأبي بكر: استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثم نرجع فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذن لهم فقال عمر: يا رسول الله أيرجع من الإسلام إلى الكفر؟ قال: وما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم؟ ثمّ إنّهم أتوا أبا بكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على النبيّ صلى الله عليه وآله فاستأذن لهم وعنده عمر فقال مثل قوله فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله ثم قال: والله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجلاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرد فقال له أبو بكر: فداك أبي وأمي يا رسول الله أنا هو؟ فقال: لا. فقال عمر: فأنا هو يا رسول الله؟ فقال: لا. قال عمر: فمن هو يا رسول الله فأومى إليّ وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هو خاصف النعل عندكما ابن عمّي وأخي وصاحبي ومبرئ ذمّتي والمؤدّي عني ديني وعدتي والمبلغ عنّي رسالتي ومعلّم الناس من بعدي ويبيّن لهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون فقال الرجل: أكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت.

فكان ذلك الرجل أشدّ أصحاب عليّ عليه السلام فيما بعد على من خالفه[٢].

بيان: قال الجوهري: نفحه بالسيف. تناوله من بعيد. وفي بعض النسخ «تنصح» بالصاد المهملة والأوّل أظهر. قوله عليه السلام: «غنم الشرد» من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة. وفي بعض النسخ: «الغنم» بالتعريف وهو أظهر. «والشّرد» إمّا بالتحريك جمع شارد كخدم وخادم أو بضمّتين جمع شرود كزبور وزبر من شرد البعير إذا نفر.

١٧٥ - **ج:** عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قَتَباً على قتب ثم صعد عليه فخطب فحمد الله وأثنى عليه فقال:

---

(١) الاحتجاج، ص ١٦٨. (٢) الاحتجاج، ص ١٧٠.

يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا أهل الداء العضال يا أتباع البهيمة يا جند المرأة رغا فأجبتم وعقر فهربتم ماؤكم زعاق ودينكم نفاق وأحلامكم دقاق.

ثم نزل يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمرّ بالحسن البصري وهو يتوضّأ فقال: يا حسن أسبغ الوضوء فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله يصلّون الخمس ويسبغون الوضوء فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال: والله لأصدقنّك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أوّل يوم فاغتسلت وتحنّطت وصببت عليّ سلاحي وأنا لا أشك في أنّ التخلّف عن أمّ المؤمنين عائشة هو الكفر فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبة نادى مناد: يا حسن ارجع فإن القاتل والمقتول في النّار فرجعت ذعراً وجلست في بيتي.

فلمّا كان اليوم الثاني لم أشكّ أن التخلّف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر فتحنطت وصببت عليّ سلاحي وخرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرّة بعد أُخرى فإن القاتل والمقتول في النار.

قال عليّ: صدقت أفتدري من ذاك المنادي؟ قال لا. قال: ذلك أخوك إبليس وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النار.

فقال الحسن البصري: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكى[1].

بيان: قال الفيروزآبادي: الخريبة كجهينة موضع بالبصرة تسمى البصرة الصغرى.

١٧٦ - **فس:** ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ قال: المؤتفكة البصرة والدّليل على ذلك قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة يا جند المرأة وأتباع البهيمة رغا فأجبتم وعقر فهربتم ماؤكم زعاق وأحلامكم دقاق وفيكم ختم النفاق ولعنتم على لسان سبعين نبيّاً إنّ رسول الله أخبرني أنّ جبرئيل أخبره أنّه طوى له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء وفيها تسعة أعشار الشرّ والداء العضال المقيم فيها مذنب والخارج منها برحمة وقد ائتفكت بأهلها مرّتين وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة[2].

بيان: قال البيضاوي: المؤتفكة: القرى الّتي ائتفكت بأهلها أي انقلبت. وقال في النهاية: في حديث أنس «البصرة إحدى المؤتفكات» يعني أنّها غرقت مرّتين فشبّه غرقها بانقلابها. وقال الجوهري: داء عضال أي شديد أعيى الأطباء.

١٧٧ - **فس:** ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ المؤتفكات: البصرة والخاطئة فلانة.

بيان: قال البيضاوي: «بالخاطئة» أي بالخطأ أو بالفعلة أو بالأفعال ذات الخطأ.

---

(١) الاحتجاج، ص ١٧١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٦.

وأمّا التأويل الذي ذكره عليّ بن إبراهيم فقد رواه مؤلف تأويل الآيات الباهرة عن محمّد البرقي عن سيف بن عميرة عن أخيه عن منصور بن حازم عن حمران قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقرأ «وجاء فرعون» يعني الثالث «ومن قبله» يعني الأوّلين «والمؤتفكات» أهل البصرة «بالخاطئة» الحميراء فالمراد بمجيء الأوّلين والثالث بعائشة أنّهم أسسوا لها بما فعلوا من الجور على أهل البيت عليهم السلام أساساً به تيسّر لها الخروج والاعتداء على أمير المؤمنين عليه السلام ولولا ما فعلوا لمن تكن تجترئ على ما فعلت، والمراد بالمؤتفكات أهل المؤتفكات والجمع باعتبار البقاع والقرى والمحلات[1].

١٧٨ - **ما:** المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفي عن أبي الوليد الضبي عن أبي بكر الهذلي قال: دخل الحارث بن حوط الليثي على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما أرى طلحة والزبير وعائشة أضحوا إلاّ على حقّ. فقال [له أمير المؤمنين عليه السلام]: يا حار إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحقّ إنّ الحقّ والباطل لا يعرفان بالناس ولكن اعرف الحقّ باتّباع من اتّبعه والباطل باجتناب من اجتنبه.

قال: فهلاّ أكون تبعاً لعبد الله بن عمر؛ وسعد بن مالك؟ فقال أمير المؤمنين: إنّ عبد الله ابن عمر وسعداً خذلا الحقّ ولم ينصرا الباطل متى كانا إمامين في الخير فيُتّبعان[2].

بيان: إنّك نظرت تحتك لعلّه كناية عن الغفلة عن معالي الأمور أو أنه اقتصر على النظر إلى أمثاله ومن هو أدون منه ولم يتّبع من يجب اتّباعه ممن هو فوقه.

١٧٩ - **ما:** بالإسناد المتقدم عن الهذلي عن محمد بن سيرين قال: سمعت غير واحد من مشيخة أهل البصرة يقولون: لمّا فرغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام من [حرب] الجمل عرض له مرض وحضرت الجمعة فتأخر عنها وقال لابنه الحسن: انطلق يا بنيّ فأجمع بالناس فأقبل الحسن إلى المسجد فلمّا استقلّ على المنبر حمد الله وأثنى عليه وتشهّد، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيّها الناس إن الله اختارنا لنبوّته واصطفانا على خلقه وأنزل علينا كتابه ووحيه وأيم الله لا ينتقصنا أحد من حقنا شيئاً إلاّ ينقصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته ولا يكون علينا دولة إلاّ كانت لنا العاقبة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[3].

ثم جمع بالناس وبلغ أباه كلامه فلمّا انصرف إلى أبيه عليه السلام نظر إليه فما ملك عبرته أن سالت على خدّيه ثمّ استدناه إليه فقبّل بين عينيه وقال: بأبي أنت وأمّي ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧١ وتأويل الآيات الظاهرة في تأويل سورة الحاقة.

(٢) أمالي الطوسي، ص ١٣٤ مجلس ٥ ح ٢١٦.

(٣) سورة ص، الآية: ٨٨.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٨٢ مجلس ٣ ح ١٢١، والآية من سورة آل عمران رقم ٣٤.

١٨٠ - **مع:** ماجيلويه عن عمه عن الكوفي عن سفيان الحريري عن علي بن الحزور عن ابن نباتة قال: لمّا أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة تلقّاه أشراف الناس فهنّوه وقالوا: إنا نرجو أن يكون هذا الأمر فيكم ولا ينازعكم فيه أحد أبداً. فقال: هيهات - في كلام له - أنّى ذلك ولما ترمون بالصّلعاء. قالوا: يا أمير المؤمنين وما الصلعاء؟ قال: يؤخذ أموالكم قهراً فلا تمنعون [فلا تمتنعون «خ ل»](١).

بيان: قال في النهاية: الصلعاء: الأرض التي لا تنبت. وفي حديث عائشة أنّها قالت لمعاوية حين ادّعى زياداً: ركبت الصّليعاء أي الداهية والأمر الشديد أو السوءة الشنيعة البارزة المكشوفة.

١٨١ - **يج:** روي عن أبي الصيرفي عن رجل من مراد: قال: كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال: إنّ لي [إليك] حاجة فقال عليه السلام: ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم؟ قال: نعم أريد أن تؤمّنَهُ قال: [قد] آمنته ولكن اذهب إليه وجئني به ولا تجئني به إلا رديفاً فإنّه أذلّ له فجاء به ابن عباس ردفاً خلفه فكأنّه قرد [ف] قال [له] أمير المؤمنين: أتبايع؟ قال: نعم وفي النفس ما فيها. قال: الله أعلم بما في القلوب. فلمّا بسط بيده ليبايعه أخذ كفّه عن كف مروان فترّها فقال لا حاجة لي فيها إنّها كفّ يهودية لو بايعني بيده عشرين مرّة لنكث باسته ثمّ قال: هيه يا ابن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأُمّة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبّرة(٢).

بيان: قوله: «فترّها» كذا في أكثر النسخ بالتاء والرّاء المهملة [قال الفيروزآبادي] في القاموس: ترّ العظم يترُّ ويتِرّ [على زنة يمدّ ويفرّ] ترّاً وترُوراً: بان وانقطع وقطع كأترّ. و[ترّ] عن بلده: تباعد. والتّرتر: التزلزل والتقلقل. وترتروا السكران: حرّكوه وزعزعوه واستنكهوه حتى يوجد منه الريح.

وفي بعض النسخ: «فَنَثَرها» بالنون والثاء المثلثة أي نفضها. وفي بعضها بالنون والتاء المثنّاة من النتر وهو الجذب بقوّة. وقال في القاموس: يقال لشيء يطرد: هيه هيه بالكسر وهي كلمة استزادة أيضاً. وفي النهاية: المعامع: شدّة الموت. والجدّ في القتال. والمعمعة في الأصل: صوت الحريق. والمعمعان. شدّة الحرّ.

١٨٢ - **شا:** [و] من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالبصرة حين ظهر على القوم بعد حمد الله تعالى والثّناء عليه:

أمّا بعد فإن الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة، وعفو جمّ وعقاب أليم، قضى أنّ رحمته

(١) معاني الأخبار، ص ١٦٣.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٩٧ ح ٣٥.

ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه، وبرحمته اهتدى المهتدون، وقضى أنّ نقمته وسطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه، وبعد الهدى والبيّنات ما ضلّ الضالّون فما ظنّكم يا أهل البصرة وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم عليّ عدوّي؟!.

فقام إليه رجل فقال: نظنّ خيراً ونراك قد ظهرت وقدرت فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله تعالى.

فقال: قد عفوت عنكم فإيّاكم والفتنة فإنّكم أوّل الرعية نكث البيعة وشقّ عصا هذه الأُمّة.
قال: ثمّ جلس للنّاس فبايعوه، ثمّ كتب عليه السلام بالفتح إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أمّا بعد فإن الله حكم عدل لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال.

أخبركم عنّا وعمن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن تأشّب إليهم من قريش وغيرهم من طلحة والزبير ونكثهم صفقة أيمانهم فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبر من سار إليها وجماعتهم وما فعلوا بعاملي عثمان بن حنيف حتّى قدمت ذا قار فبعثت الحسن بن علي وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد فاستنفرتكم بحق الله وحقّ رسوله وحقّي فأقبل إليّ إخوانكم سراعاً حتّى قدموا عليّ فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدّعاء وقمت بالحجّة وأقلت العثرة والزلّة من أهل الردّة من قريش وغيره واستتبتهم من نكثهم بيعتي وعهد الله عليهم، فأبوا إلاّ قتالي وقتال من معي والتمادي في الغيّ فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً وولّى من ولّى إلى مصرهم وقتل طلحة والزبير على نكثهما وشقاقهما.

وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر فخذلوا وأدبروا وتقطعت بهم الأسباب فلمّا رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم وغمدت السّيف عنهم وأجريت الحق والسنّة فيهم واستعملت عبد الله بن العبّاس على البصرة وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفيّ لتسائلوه فيخبركم عنّا وعنهم وردّهم الحقّ علينا وردّ الله لهم وهم كارهون والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

توضيح: كلمة ما في قوله عليه السلام: «ما ضل» زائدة أو مصدرية والأول أظهر. «وشقّ العصا» مثل يضرب لتفريق الجماعة وأصله من أن الأعرابيّين إذا [اجتمعا] كانت لهما عصا واحدة فإذا تفرّقا شقّا العصا وأخذ كلّ منهما شقّاً منها.

وقال الجوهري: تأشب القوم: اختلطوا. وائتشبوا أيضاً يقال: جاء فلان فيمن تأشّب إليه

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٧.

أي انضمّ إليه. وقال: ناهضته أي قاومته. وتناهض القوم في الحرب إذا نهض كلّ فريق إلى صاحبه. وقال: فولّى عنه أي أعرض وولّى هارباً أي أدبر. والحجر بالكسر: منازل ثمود. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٨٣ - **شي**: عن الحسن البصري قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام على هذا المنبر وذلك بعدما فرغ من أمر طلحة والزبير وعائشة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: أيّها الناس والله ما قاتلت هؤلاء بالأمس إلاّ بآية تركتها في كتاب الله إن الله يقول: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أما والله لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لي: يا عليّ لتقاتلن الفئة الباغية والفئة الناكثة والفئة المارقة(١).

١٨٤ - **شي**: عن الشعبي قال: قرأ عبد الله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ إلى آخر الآية ثم قال: ما قوتل أهلها بعد. فلمّا كان يوم الجمل، قرأها عليّ عليه السلام ثم قال: ما قوتل أهلها منذ يوم نزلت حتى كان اليوم(٢).

١٨٥ - **شي**: عن أبي عثمان مولى بني أقصى قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: عذرني الله من طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين ثم نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته والله ما قوتل أهل هذه الآية مذ نزلت حتى قاتلتهم: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ الآية(٣).

١٨٦ - **كا**: محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن محمّد بن نعمان أبو جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا انقضت القصّة فيما بينه وبين طلحة والزبير وعائشة بالبصرة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أيّها النّاس إنّ الدنيا حلوة خضرة تفتن الناس بالشهوات وتزيّن لهم بعاجلها وأيم الله إنّها لَتَغُرُّ منْ أَمَّلها، وتخلف من رجاها، وستورث غداً أقواماً الندامة والحسرة بإقبالهم عليها وتنافسهم فيها وحسدهم وبغيهم على أهل الدين والفضل فيها ظلماً وعدواناً وبغياً وأشراً وبطراً. وبالله إنّه ما عاش قوم قطّ في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا ولا دائم تقوى في طاعة الله والشكر لنعمه فأزال ذلك عنهم إلاّ من بعد تغيير من أنفسهم وتحويل عن طاعة الله والحادث من ذنوبهم وقلّة محافظة وترك مراقبة الله عزّ وجلّ وتهاون بشكر نعم الله لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(٤).

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٨٤ ح ٢٥ و٢٧ و٢٨. (٤) سورة الرعد، الآية: ١١.

ولو أنّ أهل المعاصي وكسبة الذنوب إذا هم حذروا زوال نعم الله وحلول نقمته وتحويل عافيته أيقنوا أنّ ذلك من الله جلّ ذكره بما كسبت أيديهم فأقلعوا وتابوا وفزعوا إلى الله جلّ ذكره بصدق من نيّاتهم وإقرار منهم بذنوبهم وإساءتهم لصفح لهم عن كلّ ذنب وإذاً لأقالهم كلّ عثرة ولردّ عليهم كل كرامة نعمة ثم أعاد لهم من صالح أمرهم ومما كان أنعم به عليهم كلّ ما زال عنهم وأُفسد عليهم.

فاتقوا الله أيّها الناس حقّ تقاته واستشعروا خوف الله عَزَّ ذكره وأخلصوا النفس وتوبوا إليه من قبيح ما استنفركم الشّيطان من قتال وليّ الأمر وأهل العلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة وتشتّت الأمر وفساد صلاح ذات البين إنّ الله عزّ وجلّ يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون[١].

١٨٧ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة.

قالوا: أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه فخلّى سبيله فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته إنّها كفّ يهودية لو بايعني بيده لغدر بِسَبّتِه أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأُمّة منه ومن ولده يوماً أحمر[٢].

إيضاح: الحكم بن أبي العاص أبو مروان هو الّذي طرده رسول الله صلى الله عليه وآله وآواه عثمان كما مرّ. والضمير في «إنّها» يعود إلى الكفّ المفهوم من البيعة لجريان العادة بأن يَضَعَ المبايع كفّه في كفّ المبتاع والنسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم. والسبّة بالفتح: الاست أي لو بايع في الظاهر لغدر في الباطن. وذكر السبّة إهانة له. والإمرة بالكسر مصدر كالإمارة. وقيل: اسم. ولعقه - كسمعه -: لحسه. والغرض قصر مدّة إمارته وكانت تسعة أشهر. وقيل: ستة أشهر. وقيل: أربعة أشهر وعشرة أيّام.

والكبش - بالفتح -: الحَمَلُ إذا خرجت رباعيته. وكبش القوم: رئيسهم. وفسّر الأكثر الكبش بِبَني عبد الملك: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يل الخلافة من بني أُميّة ولا من غيرهم أربعة إخوة إلاّ هؤلاء. وقيل: هم بنو مروان لصلبه عبد الملك الّذي ولي الخلافة وعبد العزيز الّذي ولي مصر وبشر الذي ولي العراق ومحمّد الذي ولي الجزيرة ولكلّ منهم آثار مشهورة. والولد بالتّحريك مفرد وجمع. واليوم الأحمر: الشديد. وفي بعض النُّسخ: «موتاً أحمر» وهو كناية عن القتل.

١٨٨ - **ما:** بإسناده قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فقال: يا جند المرأة ويا أصحاب البهيمة رَغا فأجبتم وعقر فانهزمتم الله أمركم بجهادي؟ أم على الله تفترون؟.

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٩٢ ح ٣٦٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٤٩ خ ٧٢.

ثم قال: يا بصرة أيّ يوم لك لو تعلمين وأيّ قوم لك لو تعلمين إنّ لك من الماء يوماً عظيماً بلاؤه. وذكر كلاماً كثيراً[(١)].

١٨٩ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام: أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأسْ والبطانة دون الناس بكم أضرب المدبِر وأرجو طاعة المقبل فأعينوني بِمُناصحة خليّة من الغشّ سليمة من الريب فوالله إني لأولى الناس بالناس[(٢)].

بيان: قال ابن أبي الحديد: قاله للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما.

وبطانة الرجل: خاصّته وأصحاب سرّه. والمدبر: من أدبر وأعرض عن الحق. قوله عليه السلام: «وأرجو...» أي من أقبل إليّ إذا رأى أخلاقكم الحميدة أطاعني بصميم قلبه ويمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الإقبال والطّاعة.

١٩٠ - **شا:** من كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانفضّ [جمع] أهل البصرة:

بنا تسنّمتم الشرف وبنا انفجرتم عن السرار وبنا اهتديتم في الظلماء.

وقر سمع لم يفقه الواعية [و] كيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان. [و] ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر وأتوسّمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدّين وبصّرنيكم صدق النية أقمت لكم الحقّ حيث تعرفون ولا دليل وتحتفرون ولا تُميهُونَ. اليوم أُنطق لكم العجماء ذات البيان عزب فهم امرئ تخلّف عنّي ما شككت في الحقّ منذ رَأَيتُهُ.

كان بنو يعقوب على المحجّة العظمى حتّى عقّوا أباهم وباعوا أخاهم وبعد الإقرار كان توبتهم وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم[(٣)].

بيان: [هذا الكلام] رواه [السّيد الرضي] في النهج بأدنى تغيير وأوّله:

«بنا اهتديتم في الظلماء وتسنّمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع» - إلى قوله - أقمت لكم على سنن الحقّ في جوادّ المضلّة حيث تلتقون ولا دليل - إلى قوله -: ما شككت في الحقّ مذ رأيته لم يوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهّال ودول الضلال. اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل مَنْ وَثِقَ بماءٍ لم يظمأ.

قوله «وتسنّمْتُم العلياء» أي ركبتم سنامها. وسنام كلّ شيء: أعلاه أي بتلك الهداية علا قدركم «وبنا انفجرتم» وروي «أفجرتم». قال ابن أبي الحديد: هو نحو أغدّ البعير أي صرتم ذوي فجر، وعن للمجاوزة أي متنقلين عن السّرار، والسرار: الليلة واللّيلتان يستر فيهما القمر في آخر الشهر.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٧٠٢ مجلس ٤٠ ح ١٥٠٣. (٢) نهج البلاغة، ص ٢٥٨ خ ١١٧.
(٣) الإرشاد، ص ١٣٥.

أقول: وعلى الرواية الأخرى لعلّ المعنى انفجرتم انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل. «وقر سَمْعٌ» دعاء على السّمع الّذي لم يفقه كلام الداعي إلى الله بالثقل والصمم «كيف يراعي النَّبْأَةَ» أي من أصمّته الصّيحة القويّة فإنّه لم يسمع الصوت الضعيف والمعنى من لم ينتفع بالمواعظ الجلية كيف ينتفع بالعبر الضعيفة ولعلّه كناية عن ضعف دعائه بالنسبة إلى دعاء الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

«ربط جنان» دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والإشفاق من عذابه بالسكينة والثبات والاطمئنان والتقدير: ربط جنان نفسه. ومن روى بضم الراء فالمعنى: ربط الله جناناً كانت كذلك وهو أظهر.

والخفقان بالتحريك: التحرّك والاضطراب «ما زلت أنتظر بكم» الخطاب لبقية أصحاب الجمل أو مع المقتولين أو الأخير فقط.

وإضافة «عواقب الغدر» بيانية أو لامية. والتوسّم: التفرس أي كنت أتفرّس منكم أنكم ستغترّون بالشبه الباطلة.

«سترني عنكم جلباب الدين» أي الدين حال بيني وبينكم فلم تعرفوا ما أقوى عليه من الغلظة عليكم وقتلكم وسترني من عين قلوبكم ما وقفني عليه الدين من الرفق والشفقة وسحب ذيل العفو على الجرائم.

ويحتمل أن يكون المعنى إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منّي مع علمي بنفاقكم فأجريتم مجرى المخلصين وهذا أنسب بما رواه بعضهم «ستركم عنّي». «وبصّرنيكم صدق النيّة» أي جعلني بصيراً بكم إخلاصي لله تعالى وبه صارت مرآة نفسي صافية كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: المؤمن ينظر بنور الله. ذكره ابن ميثم والراوندي.

ويحتمل أن يكون المراد بصدق النيّة العلم الصادق الحاصل له عليه السلام بنفاقهم من العلامات كما قال تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي أنزلكم منزلة المخلصين لظاهر إسلامكم مع علمي واقعاً بنفاقكم.

وقال الراوندي رحمه الله: ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون المعنى إنما أخفى رتبتي ومنزلتي عليكم ما أنا متباطنه من التخلق بأخلاق الديانة، وهو أنه لا يعرفهم نفسه بمفاخرها ومآثرها فيكون من باب قوله: «إنّ ها هُنا علماً جمّاً لو أصبت له حَمَلَةً» وعلى هذا يكون معناه إنكم إن صدقت نيّاتكم ونظرتم بعين صحيحة وأنصفتموني أبصرتم منزلتي.

«أقمت لكم على سنن الحقّ» أي قمت لكم على جادّة طريق الحقّ حيث يضلّ من تنكّب عنه ولا دليل غيري وحيث تحتفرون الآبار لتحصيل الماء «ولا تُمِيهُونَ» أي لا تجدون ماء.

«اليوم أُنطق لكم العجماء...» كنّى بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحة وما حلّ بقوم فسقوا عن أمر ربّهم وعمّا هو واضح من كمال فضله عليه السلام وعن حال الدين ومقتضى

أوامر الله تعالى فإنّ هذه الأمور عجماء لا نطق لها مقالاً ذات البيان حالاً ولما بيّنها عليه السلام وعرّفهم ما يقوله لسان حالها فكأنّه عليه السلام أنطقها لهم.

وقيل: العجماء صفة لمحذوف أي الكلمات العجماء والمراد بها ما في هذه الخطبة من الرّموز التي لا نطق لها مع أنّها ذات بيان عند أولي الألباب.

«عزب» أي بعد ويحتمل الإخبار والدعاء «وأوجس في نفسه خيفة»: أضمر [...].

«اليوم تواقفنا» أي أنا واقف على سبيل الحقّ وأنتم على الباطل «ومن وثق بماءٍ» لعلّ المراد من كان على الحقّ وأيقن ذلك واعتمد على ربّه لا يبالي بما وقع عليه كما أنّ من وثق بماء لم يفزعه عطشه.

وقال الشارحون أي إن سكنتم إلى قولي ووثقتم به كنتم أبعد عن الضلال وأقرب إلى اليقين. وقال القطب الراوندي رحمه الله [في شرحه على هذه الخطبة من نهج البلاغة]: أخبرنا بهذه الخطبة جماعة عن جعفر الدّوريَسْتي عن أبيه محمّد بن العبّاس عن محمّد بن عليّ بن موسى عن محمّد بن علي الأسترابادي عن عليّ بن محمّد بن سيّار عن أبيه عن الحسن العسكري عن آبائه عن أمير المؤمنين.

١٩١ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم:

فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل فإن أطعتموني فإنّي حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنّة وإن كان ذا مشقّة شديدة عظيمة ومذاقة مريرة.

وأمّا فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل!!! ولها بعد حُرمتها الأولى والحساب على الله.

ومنه: سبيل أبلج المنهاج أنور السراج فبالإيمان يستدلّ على الصّالحات وبالصالحات يستدلّ على الإيمان وبالإيمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم الدّنيا وبالدّنيا تحرز الآخرة. وإنّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى.

[و] منه: قد شخصُوا من مستقرّ الأجداث وصاروا إلى مصائر الغايات لكل دار أهلها لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها. وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خُلق الله سبحانه وإنّهما لا يقرّبان من أجل ولا ينقصان من رزق.

وعليكم بكتاب الله فإنّه الحبل المتين والنّور المبين والشفاء النافع والرّي الناقع والعصمة للمتمسّك والنجاة للمتعلّق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السّمع من قال به صدق ومن عمل به سبق.

وقام إليه رجل فقال: [يا أمير المؤمنين] أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: لمّا أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا فقلت: يا رسول الله

ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ إنّ أُمّتي سيفتنون من بعدي. فقلت: يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أُحُد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إنّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر!!

وقال: يا عليّ إنّ القوم سيفتنون بأموالهم ويمنّون بدينهم على ربّهم وَيَتَمَنَّون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلّون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والرّبا بالبيع. فقلت: يا رسول الله فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة(١).

بيان: قوله عليه السلام: «أن يعتقل» أي يحبس نفسه على طاعة الله. «وفلانة» كناية عن عائشة ولعلّه من السيّد رحمه الله تقيّة.

قوله عليه السلام: «وضغن» أي حقد. [وكان] من أسباب حقدها لأمير المؤمنين عليه السلام سدّ النبي صلى الله عليه وآله باب أبيها من المسجد وفتح بابه، وبعثه عليه السلام بسورة براءة بعد أخذها من أبي بكر، وإكرام رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام وحسدها عليها إلى غير ذلك من الأسباب المعلومة.

والمرجل كمنبر: القدر. والقين: الحدّاد أي كغليان قدر من حديد. قوله عليه السلام: «من غيري» يعني به عمر كما قيل أو الأعمّ وهو أظهر أي لو كان عمر أو أحد من أضرابه ولي الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل عليه ونسب إليه أنّه كان يحرض الناس على قتله ودعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل وهذا بيان لحقدها له عليه السلام. والبلوج: الإضاءة. قوله عليه السلام: «لا مقصر» أي لا محبس ولا غاية لهم دونه «مرقلين» أي مسرعين «قد شَخَصُوا» أي خرجوا. «والأجداث»: القبور. والخلق بالضمّ وبضمّتين: السجية والطبع والمروءة والدين والرجل إذا روي من الماء فتغيّر لونه يقال [له]: نقع. قوله عليه السلام: «لا يزيغ فيستعتب» أي لا يميل فيطلب منه الرّجوع.

والعتبى: الرجوع والمراد بكثرة الرّد الترديد في الألسنة.

قوله عليه السلام: «لا تنزل بنا» قال ابن أبي الحديد لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ «وحِيزَت عنّي» أي منعت «والأهواء الساهية» أي الغافلة. قوله عليه السلام: «بمنزلة فتنة» أي لا يجري عليهم في الظاهر أحكام الكفر وإن كانوا باطناً من أخبث الكفار.

أقول: قال ابن ميثم وابن أبي الحديد: هذا الخبر رواه كثير من المحدّثين عن عليّ عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: إن الله كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين. قال: فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب [عليّ] فيها الجهاد؟ قال: قوم

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣١١ خ ١٥٤.

يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله وهم مخالفون للسنّة. فقلت: يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر. فقلت: يا رسول الله أنت كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك. قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين أما إنّي قد وعدتك الشهادة وسَتُسْتَشْهَدُ تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله ليس هذا بموطن صبر هذا موطن شكر. قال: أجل أصبت فأعِدّ للخصومة فإنّك تخاصم. فقلت: يا رسول الله لو بيّنت لي قليلاً. فقال: إنّ أمّتي ستفتن من بعدي فتأوّل القرآن وتعمل بالرأي وتستحلّ الخمر بالنبيذ والسّحت بالهدية والربا بالبيع وتحرّف الكتاب على مواضعه وتغلب كلمة الضّلال فكن حلس بيتك حتّى تقلّدها فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور فقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى. فقلت: يا رسول الله فبأي المنازل أُنزل هؤلاء المفتونين؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟ فقال: [أنزلهم] بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟ قال: بل منّا فبنا فتح [الله] وبنا يختم وبنا ألّف بين القلوب بعد الفتنة فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله(١).

بيان: «كن حلس بيتك» بالكسر أي ملازماً له غير مفارق بالخروج للقتال ودفع أهل الضّلال. والضّمير «في تقلّدها» و «قلّدتها» على المجهول فيهما راجع إلى الخلافة والإمارة، والتقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة وتقليدهم: إطاعتهم وتركهم العناد «وجاش القدر» بالهمز وغيره: غلا. «وقلبت لك الأمور» أي دبروا أنواع المكائد والحيل لدفعك.

١٩٢ - **نهج:** قيل: إن الحارث بن حوط أتاه عليه السلام فقال: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال: يا حار إنّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فَحِرْتَ. إنّك لم تعرف الحق فَتَعْرِفَ أهله ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه!! فقال الحارث: فإنّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر. فقال: إنّ سعداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل(٢).

بيان: «نظرتَ تحتك» أي نظرت في أعمال الناكثين بظاهر الإسلام الّذين هم دونك في الرتبة لبغيهم على إمام الحقّ فاغتررت بشبهتهم واقتديت بهم ولم تنظر إلى من هو فوقك وهو إمامك الواجب الطاعة ومن تبعه من المهاجرين والأنصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سَبَب حيرتك.

ويحتمل أن يكون [معنى] نظره تحته كناية عن نظره إلى باطل هؤلاء وشبههم المكتسبة عن محبّة الدنيا، ونظره فوقه كناية عن نظره إلى الحق وتلقيه من الله. أو المعنى نظرت إلى هذا

(١) شرح النهج لابن ميثم، ج ٣ ص ٢٤٨، وشرح ابن أبي الحديد، ج ٩ ص ١٣٩.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٨٦ قصار الحكم رقم ٢٦٤.

الأمر الذي يستولي عليه فكرك وهو خطر قتال أهل القبلة ولم تنظر إلى الأمر العالي الذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغيهم وفسادهم وخروجهم على الإمام العادل.

١٩٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام لمّا أظفره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك. فقال عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم قال: فقد شَهِدَنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرّجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان(١).

بيان: «سيرعف بهم الزمان» الرعاف: الدم الخارج من أنف الإنسان والمعنى: سيخرجهم الزمان من العدم إلى الوجود. [وهذا] من قبيل الإسناد إلى الظرف أو الشرط.

١٩٤ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: في ذمّ البصرة وأهلها:

كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة رغا فأجبتم وعقر فهزمتم أخلاقكم رقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه. كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها.

وفي رواية أُخرى: وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأنّي أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة. وفي رواية أخرى: كجؤجؤ طير في لجّة بحر.

أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خففت عقولكم وسفهت حلومكم [أحلامكم «خ ل»] فأنتم غرض لنابل وأكلة لآكل وفريسة لصائد [لصائل «خ»](٢).

بيان: [إنّما قال عليه السلام:] وأتباع البهيمة لأنّ جمل عائشة كان راية عسكر البصرة. والرغاء: صوت الإبل. قوله عليه السلام: «أخلاقكم دقاق». قال ابن أبي الحديد: الدّق من كل شيء: حقيره وصغيره يصفهم باللّؤم وفي الحديث أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّي أحبّ أن أنكح فلانة إلاّ أنّ في أخلاق أهلها دقة فقال له: إيّاك وخضراء الدِّمَن.

والشقاق: الخلاف والافتراق. والزّعاق: المالح. وسبب ملوحة مائهم قربهم من البحر وامتزاج مائه بمائهم.

قيل: ذكرها في معرض ذمّهم لعله من سوء اختيارهم هذا الموضع أو كونها سبباً كسوء المزاج والبلادة وغير ذلك كما تقوله الأطباء.

قوله عليه السلام: «بين أظهركم» أي بَينكم على وجه الاستظهار والاستناد إليكم وأمّا كونه مرتهناً بذنبه فلأنّ المقيم بينهم لا بدّ وأن ينخرط في سلكهم ويكتسب من رذائل أخلاقهم

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٥ خ ١٢. (٢) نهج البلاغة، ص ٦٥ خ ١٣.

فيكون موثقاً بذنوبه أو أن كونه بينهم يجري مجرى العقوبة بذنبه والخارج من بينهم لحقه رحمة الله فوفّقه لذلك.

وجؤجؤ السفينة: صدرها. ويقال: جثم الطائر جثوماً وهو بمنزلة البرك للإبل.

وقال ابن ميثم: أمّا وقوع المخبر عنه فالمنقول أنّها غرقت في أيّام القادر بالله، وفي أيام القائم بالله غرقت بأجمعها وغرق من في ضمنها وخرجت دروها ولم يبق إلاّ مسجدها الجامع [ثمّ]. قال: ويمكن أن يكون المراد بقربها من الماء وبعدها من السماء كون موضعها هابطاً قريباً من البحر.

وقيل: المراد ببعدها من السماء كونها بعيدة من دائرة معدل النّهار فإنّ الأرصاد دلّت على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن معدل النهار الأبلّة قصبة البصرة.

وقيل: المراد [من] بعدها عن سماء الرحمة [كونها] مستعدة لنزول العذاب انتهى.

ولعلّ مراده أنّها أبعد بلاد العرب عن المعدّل وإلاّ فظاهر أن الأبلّة ليست أبعد موضع في المعمورة والأُبلّة - بضم الهمزة والباء وتشديد اللام المفتوحة -: إحدى الجنّات الأربع وهي الموضع الذي فيه الدور والأبنية الآن.

والسّفه: رذيلة مقابل الحلم. والنابل: ذو النبل. والأكلة: المأكول. والفريسة: ما يفترسه السّبع. والصّولة: الحملة والوثبة.

١٩٥ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام: [في بيان بعض شؤون النساء].

معاشر الناس إنّ النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول.

فأمّا نُقْصانُ إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة والصّيام في أيّام حيضهنّ. وأمّا نقصانُ عقولهنّ فشهادة امرأتين منهنّ كشهادة الرّجل الواحد.

وأمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الأنصاف من مواريث الرّجال فاتّقوا شرار النساء وكونوا من خيارهنّ على حذر، ولا تطيعُوهنّ في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر(١).

توضيح: الغرض ذم عائشة وتوبيخ من تبعها وإرشاد الناس إلى ترك طاعة النساء.

ونقصان الإيمان بالقعود عن الصلاة والصيام لعلّه مبني على أنّ الأعمال أجزاء الإيمان وقعودهنّ وإن كان بأمر الله تعالى إلاّ أنّ سقوط التكليف لنوع من النقص فيهنّ وكذا الحال في الشهادة والميراث.

وترك طاعتهن في المعروف إمّا بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنّه ليس لطاعتهن بل لكونه معروفاً أو ترك بعض المستحبات فيكون الترك حينئذٍ مستحباً كما ورد تركها في بعض الأحوال كحال الملال.

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٥٧ خ ٧٩.

١٩٦ - **نهج**: ومن خطبة له عليه السلام: فتن كقطع اللّيل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا تردّ لها راية تأتيكم مَزْمُومَةً مرحولة يحفزُها قائدها ويجهدها راكبها أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله قوم أذلّة عند المتكبّرين في الأرض مجهولون وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر(١).

إيضاح: قطع الليل جمع قِطع بالكسر وهو الظلمة. قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ كذا ذكره ابن أبي الحديد ولعلّه سهو [منه] والظاهر أنه جمع قطعة.

«لا تقوم لها قائمة» أي لا تنهض لحربها فئة ناهضة أو قائمة من قوائم الخيل أو قلعة أو بنية قائمة بل تنهدم يعني لا سبيل إلى قتال أهلها.

«ولا تردّ لها راية» أي لا تنهزم راية من رايات تلك الفتنة بل تكون غالبة دائماً أو لا ترجع لحربها راية من الرايات التي هربت عنها «مزمومة مرحولة»: عليها زمام ورحل أي تامّة الأدوات يدفعها قائدها والحفز: السوق الشديد. ويجهدها أي يحمل عليها في السير فوق طاقتها. «قليل سلبهم» أي ما سلبوه من الخصم أي همّتهم القتل لا السلب.

وقيل: إنّ هذه إشارة إلى صاحب الزّنج وجيشه.

وفيه أنّ الذين جاهدوهم لم يكونوا على الأوصاف المذكورة إلاّ أن يقال: لشقاوة الطرف الآخر أمدّهم الله بالملائكة وهو بعيد.

وقيل: إشارة إلى ملحمة أُخرى في آخر الزمان لم تأت بعد. وهو قريب. والرهج: الغبار. قال ابن أبي الحديد كنى بهذا الجيش عن طاعون يصيبهم حتّى يبيدهم.

وقال ابن ميثم: إشارة إلى فتنة الزّنج وظاهر أنّه لم يكن لهم غبار ولا أصوات إذ لم يكونوا أهل خيل ولا قعقعة لجم فإذن لا رهج لهم ولا حسّ.

وقال ابن أبي الحديد: الموت الأحمر كناية عن الوباء، والجوع الأغبر [كناية] عن المحل والحمرة كناية عن الشدّة، ووصف الجوع بالأغبر لأنّ الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبرة وظلاماً. وقيل: الموت الأحمر إشارة إلى قتلهم بالسّيف.

وقال ابن ميثم: أقول: قد فسّره عليه السلام بهلاكهم من قبل الغرق كما سيأتي.

١٩٧ - **نهج**: [و] من كلامه عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة:

يا أحنف كأنّي به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النعام.

[قال الرضيّ رحمه الله] يومئ بذلك إلى صاحب الزنج. ثم قال عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٢٣ خ ١٠١.

ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من أولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم!!

أنا كابّ الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها.

ومنه يومئ [عليه السلام] به إلى وصف الأتراك:

كأنّي أراهُمْ قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة يلبسون السرق والدّيباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقلّ من المأسور.

فقال له بعض أصحابه: لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب!! فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيّاً:

يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنّما هو تعلّم من ذي علم وإنّما علم الغيب علم السّاعة وما عدده سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسخيّ أو بخيل وشقيّ أو سعيد ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبيّين مرافقاً فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلاّ الله وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطمّ عليه جوانحي[١].

بيان: الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة والقتال. واللجب: الصوت. والقعقعة: حكاية صوت السلاح ونحوه. والحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل.

قوله: «يثيرون الأرض» أي التراب لأن أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل كذا قيل.

وفيه أنّه لا يلائم قوله عليه السلام: «لا يكون له غبار» ولعلّه كناية عن شدّة وطئهم الأرض أو يقال مع ذلك ليس غبارهم كالغبار الذي يثار من الحوافر ولمّا كانت أقدام الزنج في الأغلب قصاراً عِراضاً منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع أشبهت أقدام النعام في تلك الأوصاف. «والسكك»: جمع سكّة بالكسر وهي الزقاق والطريق المستوي والطريقة المصطفة من النّحل. و «المزخرفة»: المزينة المموّهة بالزخرف وهو الذّهب. و«أجنحة الدور» - التي شبهها بأجنحة النسور -: رواشِنُها وما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السّقوف لوقاية الحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع الشمس. وخراطيمها: ميازيبها التي تطلى بالقار يكون نحواً من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظاً للحيطان. والفيلة: كغينة جمع الفيل.

وأمّا قوله عليه السلام: «لا يندب قتيلهم» قيل: إنّه وصف لهم بشدة البأس والحرص على القتال وإنّهم لا يبالون بالموت.

وقيل لأنهم كانوا عبيداً غرباء لم يكن لهم أهل وولد ممن عادتهم الندبة وافتقاد الغائب.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٤ خ ١٢٦.

وقيل: لا يفقد غائبهم وصف لهم بالكثرة وأنّه إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره.

قوله: «أنا كابّ الدّنيا» يقال: كببت فلاناً على وجهه أي تركته ولم ألتفت إليه.

وقيل: إنّه كناية عن العلم ببواطنها وأسرارها كما يقال: قلبت الأمر ظهراً لبطن.

وقوله عليه‌السلام: «وقادرها بقدرها» أي معامل لها بمقدارها «وناظرها بعينها» أي ناظر إليها بعين العبرة وأنظر إليها نظراً يليق بها فيكون كالتفسير لقوله عليه‌السلام: «وقادرها بقدرها» وحُكي عن عيسى عليه‌السلام: [أنه كان يقول:] أنا الذي كببت الدّنيا على وجهها ليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب وسادتي الحجر وفراشي المدر وسراجي القمر.

أقول: سيأتي شرح باقي الخطبة مع سائر الأخبار الآتية في بابه.

١٩٨ - الكافية في إبطال توبة الخاطئة عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن عبد الله بن عاصم عن محمّد بن بشير الهمداني قال: وَرَد كتاب أمير المؤمنين مع عمر بن سلمة الأرجي [الأرْحَبِي] إلى أهل الكوفة فكبّر الناس تكبيرةً سمعها عامة الناس واجتمعوا لها في المسجد ونودي الصّلاة جمعاً فلم يتخلّف أحد وقرأ الكتاب فكان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا والمفارقين لجماعتنا الباغين علينا في أمّتنا فحججناهم فحاكمناهم إلى الله فأدالنا عليهم فقتل طلحة والزبير وقد تقدّمت إليهما بالمعذرة وأقبلت إليهما بالنصيحة واستشهدت عليهما صلحاء الأُمّة فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين.

وَلاذَ أهل البغي بعائشة فقتل حولها من أهل البصرة عالم جسيم وضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم عليهم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحُوب الكبير في معصيتها ربّها ونبيّها واغترارها في تفريق المسلمين وسفك دماء المؤمنين بلا بيّنة ولا معذرة ولا حجّة ظاهرة.

فلمّا هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر ولا يجاز [ولا يُجْهَزُ] على جريح ولا يكشف عورة ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلاّ بإذن وآمنت الناس.

وقد استشهد منّا رجال صالحون ضاعف الله حسناتهم ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصادقين الصابرين. وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن جزاء العاملين بطاعته والشّاكرين لنعمته فقد سمعتم وأطعتم وأجبتم إذا دعيتم فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنتم والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ستّ وثلاثين[١].

---

(١) الكافية للمفيد، ص ٢٧.

١٩٩ - **أقول:** روى كمال الدين بن ميثم البحراني مرسلاً أنّه لمّا فرغ أمير المؤمنين من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة أنّ الصلاة الجامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله ولا عذر لمن تخلّف إلا من حجّة أو علّة فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

فلمّا كان اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج عليه السلام فصلّى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلمّا قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلي فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثمّ قال:

يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة وائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة وأعوان البهيمة رغا فأجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق بلادكم أنتن بلاد الله تربة وأبعدها من السّماء بها تسعة أعشار الشرّ المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله. كأني أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبّقها الماء حتى ما يرى منها إلاّ شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر!!

فقام إليه الأحنف بن قيس فقال له: يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك؟ قال: يا أبا بحر إنّك لن تدرك ذلك الزمان وإنّ بينك وبينه لقروناً ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحوّلت أخصاصها دوراً وآجامها قصوراً فالهرب الهرب فإنّه لا بصرة لكم يومئذٍ.

ثم التفت عن يمينه فقال: كم بينكم وبين الأبلّة؟ فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي وأمّي أربعة فراسخ قال له: صدقت فوالّذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وأكرمه بالنبوّة وخصّه بالرّسالة وعجّل بروحه إلى الجنّة لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال لي: «يا عليّ هل علمت أنّ بين التي تسمّى البصرة والّتي تسمّى الأبلّة أربعة فراسخ وسيكون الّتي تسمّى الأبلّة موضع أصحاب العشور ويقتل في ذلك الموضع من أُمّتي سبعون ألفاً شهيدهم يومئذٍ بمنزلة شهداء بدر.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فداك أبي وأمّي؟ قال: يقتلهم إخوان الجنّ وهم جيل كأنّهم الشياطين سود ألوانهم منتنة أرواحهم شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلّة عند المتكبّرين من أهل الزمان مجهولون في الأرض معروفون في السماء تبكي السّماء عليهم وسكّانها والأرض وسكّانها. ثمّ هملت عيناه بالكباء ثم قال: ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت؟ وما الويح وما الويل؟ فقال: هما بابان فالويح باب الرحمة، والويل باب العذاب. يا ابن الجارود نعم

تارات عظيمة منها عصبة تقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة تكون بها أخراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وقتل رجال وسباء نساء يذبحن ذبحاً يا ويل أمرهنّ حديث عجيب.

منها أن يستحلّ بها الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنّها ممزوجة بالدّم لكأنها في الحمرة علقة ناتئ الحدقة كهيئة حبّة العنب الطّافية على الماء فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالأبلّة من الشهداء أناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب.

ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الأغبر ثم الموت الأحمر وهو الغرق.

يا منذر إنّ للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول لا يعلمها إلاّ العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة.

يا منذر والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة!!! وإنّ عندي من ذلك علماً جمّاً؛ وإن تسألوني تجدوني به عالماً لا أخطئ منه علماً ولا دافئاً[1] ولقد استودعت علم القرون الأولى وما هو كائن إلى يوم القيامة!! !

ثم قال: يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّة شرف ولا كرم إلاّ وقد جعل فيكم أفضل ذلك وزادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة وقارئكم أقرأ الناس وزاهدكم أزهد الناس وعابدكم أعبد الناس وتاجركم أتجر الناس وأصدقهم في تجارته ومتصدّقكم أكرم الناس صدقة وغنيكم أشدّ الناس بذلاً وتواضعاً وشريفكم أحسن الناس خلقاً، وأنتم أكرم الناس جواراً؛ وأقلّهم تكلّفاً لما لا يعنيه، وأحرصهم على الصّلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار وأموالكم أكثر الأموال وصغاركم أكيس الأولاد ونساؤكم أقنع النساء وأحسنهنّ تبعّلاً.

سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً وظلاً ظليلاً، وغير أنّ حكم الله فيكم ماضٍ وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[2].

وأُقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلاّ تذكير وموعظة لما بعد لكي لا تسرعوا إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله لنبيّه صلوات الله عليه وآله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فإني لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لأمور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني وبين الله لا عذر لي في تركها ولا علم لكم بشيء منها

---

(١) الظاهر دافناً، ويؤكده ما سيأتي في التبيين.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

حتى يقع مما أريد أن أخوضها مقبلاً ومدبراً فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فليفعل فلعمري إنّه للجهاد الصافي صفّاه لنا كتاب الله ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما شاققتموني غير أن رسول الله ﷺ قال لي يوماً وليس معه غيري: إنّ جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتّى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها وعلّمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون إلى يوم القيامة ولم يكبر ذلك عليّ كما لم يكبر على أبي آدم علّمه الأسماء كلها ولم يعلّمها الملائكة المقرّبون وإنّي رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمّى البصرة فإذا هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء وإنّها لأسرع الأرض خراباً وأخشنها تراباً وأشدّها عذاباً ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً وليأتينّ عليها زمان وإنّ لكم يا أهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه وإنّي لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم أمور قبل ذلكم تدهمكم أخفيت عنكم وعلمناه فمن خرج [منها] عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلاّم للعبيد.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ومن أهل الفُرْقة؟ ومن أهل البدعة ومن أهل السنّة؟

فقال: إذا سألتني فافهم عنّي ولا عليك أن لا تسأل أحداً بعدي.

أمّا أهل الجماعة فأنا ومن اتّبعني وإن قلّوا وذلك الحق عن أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

وأمّا أهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتّبعني وإن كثروا.

وأمّا أهل السنّة فالمستمسكون بما سنّه الله [لهم] ورسوله [وَإنْ قلّوا وَأمّا أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله] العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا وقد مضى الفوج الأول وبقيت أفواج وعلى الله قصمها واستئصالها عن جدد الأرض وبالله التوفيق(١).

تبيين: أقول: ذكر ابن ميثم رحمه الله هذه الخطبة متفرقة فجمعنا ما وجدنا منها في كتابه ولنوضح بعض فقراتها قوله عليه السلام: «الثلاثة أيام» أي الصلاة التي يلزمكم حضورها بأمير المؤمنين بعد ثلاثة أيام من غد. واللام للاختصاص.

قال الشيخ الرضي رحمه الله: الاختصاص على ثلاثة أضرب إمّا أن يختصّ الفعل بالزّمان لوقوعه فيه نحو كتبت لِغُرّة كذا. أو يختصّ به لوقوعه بعده نحو لليلة خلت.

أو يختصّ به لوقوعه قبله نحو لليلة بقيت وذلك بحسب القرينة انتهى.

والكلام إخبار في معنى الأمر أي احضروا جميعاً للصّلاة يوم كذا والصلاة الموعودة هي غداة الرابع.

والمؤتفكة: المنقلبة إمّا حقيقة أو كناية عن الغرق كما مرّ «وقد طبّقها الماء» أي غطّاها

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ج ١ ص ٣٥٦ وج ٣ ص ١٦.

وعمّها. والأحنف بالمهملة هو الّذي كان معتزلاً عن الفريقين يوم الجمل ويكنّى أبا بحر بالباء الموحّدة والحاء المهملة واسمه الضحّاك بن قيس من تميم.

والأخصاص: جمع خصّ بالضم: بيت يعمل من الخشب والقصب.

والأبلّة: بضمّ الهمزة والباء وتشديد اللام: الموضع الذي به اليوم مدينة البصرة وكان من قراها وبساتينها يومئذ وكانوا يعدّونه إحدى الجنّات الأربع وفي الأبلّة اليوم موضع العشّارين حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام.

والجيل بالكسر: الصنف من الناس. وقيل كلّ قوم يختصون بلغة فهم جيل.

والأرواح جمع ريح أي الرائحة. والكلب بالتحريك: الشرّ والأذى وشبه جنون يعرض للإنسان من عضّ الكلب.

والسّلب بالتحريك: ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها. «ينفر لجهادهم» أي يخرج إلى قتالهم «وهملت عينه» كنصرت وضربت أي فاضت بالدّمع.

«والرّهج» بالتحريك: الغبار. والحسّ بالكسر وكذلك الحسيس: الصوت الخفيّ وكأنّه إشارة إلى خروج صاحب الزنج وكان جيشه مشاة حفاة لم يكن لهم قعقعة لجم ولا حمحمة خيل «والتارات» جمع تارة أي مرّات والمعنى: ترد عليهم فتن عظيمة مرّة بعد أُخرى. والعصبة إمّا بالضمّ بمعنى الجماعة أو ما بين العشرة إلى العشرين. وإمّا بالتحريك بمعنى الأقرباء وعصبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه.

وانتهاك الأموال: أخذها بما لا يحلّ. وسباء النساء بالكسر والمدّ: أسرهن «أن يستحل بها الدجال» أي يتّخذها مسكناً وينزلها من «حلّ بالمكان» إذا نزل. ووصف الدجال بالأكبر يدلّ على تعدد من يدّعي بالأباطيل كما روي في بعض الأخبار. والأعور: الّذي ذهبت إحدى عينيه. والعلقة بالتحريك: القطعة من الدّم الغليظ. والناتئ: المرتفع. وطفا على الماء يطفو إذا علا ولم يرسب. والرجف بالفتح: الزلزلة والاضطراب. والقذف: الرمي بالحجارة ونحوها. والخسف: الذهاب في الأرض وخسف المكان: أن يغيب في الأرض. وهذا الخسف يحتمل أن يكون خسف جيش أو طائفة بالبصرة أو خسف مدينتهم وبعض مساكنهم وأماكنهم.

ووصف الجوع بالأغبر إمّا لأنّ الجوع غالباً تكون في السنين المجدبة وسنو الجدب تسمّى غبراً لاغبرار آفاقها من قلّة الأمطار وأرضيها لعدم النبّات.

وإمّا لأنّ وجه الجائع يشبه الوجه المغبر.

والمراد بالجوع الأغبر الجوع الكامل الذي يظهر لكلّ أحد.

والموت الأحمر فسّره عليه السلام بالغرق ويعبّر عنه غالباً عن القتل بالسيف وإراقة الدماء. وبالأبيض عن الطاعون وسيأتي التفسيران في الحديث عن الصادق عليه السلام.

والزبر بضمّتين: جمع الزّبور بالفتح وهو الكتاب فعول بمعنى مفعول من الزبر بمعنى الكتابة. و «تدمر» من الدمار بمعنى الهلاك. والجمّ: بالفتح. الكثير. والعلم بالتحريك: الجبل والراية. ودافن الأمر: داخله وذكره في القاموس أي لا أخطئ منه ظاهراً ولا خفياً. والخطّة بالضمّ: الأمر والقضيّة. والكيس بالفتح: خلاف الحمق. والتبعّل: مصاحبة الزوجيّة.

وغدو الماء ورواحه إليه كناية عن الجزر والمدّ في الوقتين فإنّ نهر البصرة والأنهار المقارنة له يمدّ في كلّ يوم وليلة مرّتين ويدور في اليوم واللّيلة ولا يخصّ وقتاً كطلوع الشمس وغروبها وارتفاعها وانخفاضها ويسمّى ذلك بالمدّ اليومي ويكون المدّ عند زيادة نور القمر أشدّ ويسمّى ذلك بالمدّ الشهري.

وأشار هذه الفقرة إلى فائدة المدّ والجزر إذ لو كان الماء دائماً على حد النقصان ولم يصل إلى حدّ المدّ لما سقي زرعهم ونخيلهم، ولو كان دائماً على حدّ الزّيادة لغرقت أراضيهم بأنهارهم وفي نقص الأنهار بعد زيادتها فائدة غسل الأقذار وإزالة الخبائث عن شاطئها وفيها فوائد أُخرى كحركة السّفن ونحوها.

والمقيل: موضع القائلة. والظلّ الظّليل: القويّ الكامل. ومن عادة العرب وصف الشيء بمثل لفظه للمبالغة. وقيل أي الظلّ الدّائم الذي لا تنسخه الشمس كما في الدنيا.

وقيل أي الظلّ الّذي لا حرّ فيه ولا برد.

ولعلّ المعنى لو صبرتم واستقمتم على منهاج الحقّ لكان ظلّ شجرة طُوبى لكم مقيلاً وظلّاً ظليلاً. والتّعقيب: ردّ الشيء بعد فصله ومنه قولهم: عقب العقاب على صيده إذا ردّ الكرور عليه بعد فصله منه. وقيل: المعقّب الّذي يعقب الشيء بالإبطال وغيره ومنه قيل لصاحب الحقّ معقّب لأنّه يقفو غريمه بالاقتضاء.

وفسّر الكتاب في الآية باللّوح المحفوظ. والمسطور: المكتوب.

وفي إيراد الآية نوع استرضاء لهم وتسكين لقلوبهم فإنّ البليّة إذا عمّت طابت.

والتطرئة: المبالغة في المدح والشائع فيه الإطراء. والمقام مصدر بمعنى القيام.

والخوض: الدخول في الماء وخضت الغمرة: اقتحمتها. والخوض في تلك الأمور مقبلاً ومدبراً مبالغة في نفي الاستنكاف عنها وتوطين النفس على القيام بها.

«وصفّاه لنا كتاب الله» أي جعله خالصاً من الشكوك والشوائب والآثام.

والموجدة بكسر الجيم: الغضب. والمشاقة والشقاق: الخلاف والعداوة. والأقاليد: جمع إقليد بالكسر وهو المفتاح.

قوله عليه السلام : ولم يكبر ذلك عليّ أي قويت عليه أو لم أستعظمها من فعل ربّي والأول أظهر. والتنوين في «زمان» للتفخيم أي يأتي عليها زمان شديد فظيع. والظاهر أن القرية المشار إليها هي الأبلّة السابقة ذكرها. و«تدهمكم» أي تفجأكم وتغشاكم. والمرابطة: الإرصاد لحفظ الثّغر. والقصم: كسر الشيء وإبانته. والاستئصال: قلع الشيء وإزالته من أصله. وجدد الأرض بالتحريك: الأرض الصلبة المستوية ولا يبعد أن يكون المراد هنا وجهها. والمراد بالفوج الأوّل إما أصحاب الجمل أو الأعمّ منهم ومن الخلفاء وأتباعهم.

٢٠٠ -ما: جماعة عن أبي المُفَضَّل عن محمّد بن الحسين بن حفص عن عباد بن يعقوب عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه عن عبد الله بن مخارق، عن هاشم بن مساحق عن أبيه أنّه شهد يوم الجمل وأنّ الناس لمّا انهزموا اجتمع هو ونفر من قريش فيهم مروان فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل ونكثنا بيعته على غير حدث كان منه ثم لقد ظهر علينا فما رأينا رجلاً قطّ كان أكرم سيرة ولا أحسن عفواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منه فتعالوا فلندخل عليه ولنعتذر مما صنعنا قال: فدخلنا عليه فلمّا ذهب متكلّمنا يتكلّم قال: انصتوا أكفكم إنّما أنا رجل منكم فإن قلت حقّاً فصدّقوني وإن قلت غير ذلك فردّوه عليّ. [ثم قال:].

أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وأنا أولى الناس برسول الله وبالناس؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فبايعتم أبا بكر وعدلتم عنّي فبايعت أبا بكر كما بايعتموه وكرهت أن أشقّ عصا المسلمين وأن أفرّق بين جماعتهم.

ثم إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده وأنتم تعلمون أنّي أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وبالناس من بعده فبايعت عمر كما بايعتموه فوفيت له ببيعته وأردّنه على الماء حتّى لمّا قتل جعلني سادس ستّة فدخلت فيما أدخلني وكرهت أن أفرّق جماعة المسلمين وأشقّ عصاهم فبايعتم عثمان فبايعته ثمّ طعنتم على عثمان فقتلتموه وأنا جالس في بيتي ثم أتيتموني غير داع لكم ولا مستكره لأحد منكم فبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر وعثمان فما جعلكم أحقّ أن تفوا لأبي بكر وعمر وعثمان ببيعتهم منكم ببيعتي؟

قالوا: يا أمير المؤمنين كن كما قال العبد الصالح ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[(١)]. فقال [عليّ عليه السلام]: كذلك أقول: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين مع أنّ فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث باسته يعني مروان[(٢)].

٥ - باب باب أحوال عائشة بعد الجمل

٢٠١ -مع: أحمد بن الحسين بن عليّ عن أبي عبد الله البخاري عن سهل بن المتوكل عن سليمان بن أبي شيخ عن محمّد بن الحكم عن عوانة قال: قال عليّ بن أبي طالب صلوات الله

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٢.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٥٠٦ مجلس ١٨ ح ١١٠٩.

عليه يوم الجمل لعائشة: كيف رأيت صنع الله بك يا حميراء؟ فقالت له: ملكت فأسجح. تعني تكرّم[(١)].

تأييد: قال في النهاية: الأسجح: السّهل ومنه حديث عائشة قالت لعليّ عليه السلام يوم الجمل حين ظهر: ملكت فأسجح أي قدرت فسهّل وأحسن العفو وهو مثل سائر.

٢٠٢ - **ما:** المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفيّ عن محمد بن عثمان عن أبي عبد الله الأسلمي عن موسى بن عبد الله الأسدي قال:

لمّا انهزم أهل البصرة أمر علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام أن تنزل عائشة قصر ابن أبي خلف فلمّا نزلت جاءها عمّار بن ياسر رضي الله عنه فقال: يا أُمه كيف رأيت ضرب بنيك دون دينهم بالسّيف؟ فقالت: استبصرت يا عمّار من أنّك غلبت؟ فقال: أنا أشدّ استبصاراً من ذلك أما والله لو ضربتمونا حتّى تبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنكم على الباطل.

فقالت له عائشة: هكذا يخيّل إليك اتّق الله يا عمّار فإنّ سنّك قد كبرت ودق عظمك وفني أجلك وأذهبت دينك لابن أبي طالب!!

فقال عمّار رضي الله عنه: إنّي والله اخترت لنفسي في أصحاب رسول الله فرأيت عليّاً أقرأهم لكتاب الله عزّ وجلّ وأعلمهم بتأويله وأشدّهم تعظيماً لحرمته وأعرفهم بالسنّة مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وعظم عنائه وبلائه في الإسلام. فسكتت[(٢)].

٢٠٣ - **ج:** روى الواقدي أن عمّار بن ياسر لمّا دخل على عائشة قال: كيف رأيت. [وساق الحديث] إلى قولها: يا عمّار اتقّ الله أذهبت دينك لابن أبي طالب (عليه السلام)[(٣)].

بيان: قال في [مادة سعف من] النهاية: في حديث عمّار: «لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر» السعفات: جمع سعفة بالتحريك وهي أغصان النخيل. وقيل: إذا يَبِسَتْ سميت سعفة وإذا كانت رطبة فهي شطبة. وإنّما خصّ هجر للمباعدة في المسافة ولأنّها موصوفة بكثرة النخل.

و [قال الفيروزآبادي] في القاموس: هجر محرّكة بلدة باليمن واسم لجميع أرض البحرين.

٢٠٤ - **ج:** روي أنّ ابن عبّاس قال لأمير المؤمنين عليه السلام - حين أبت عائشة من الرجوع - دعها في البصرة ولا ترحلها. فقال عليّ عليه السلام: إنّها لا تألو شرّاً ولكن أردّها إلى بيتها[(٤)].

بيان: لا تألو شراً: أي لا تقصّر فيه

٢٠٥ - **ج:** روى محمّد بن إسحاق أنّ عائشة لمّا وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٠٤. (٢) أمالي الطوسي، ص ١٤٣ مجلس ٥ ح ٢٣٣.
(٣) - (٤) الاحتجاج، ص ١٦٤.

تزل تحرّض الناس على أمير المؤمنين وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البختري تحرّضهم عليه عليه السلام [١].

بيان: قال الجوهري: التحريض على القتال: الحث والإحماء عليه انتهى وفي بعض النسخ [ضبط لفظة: «تحرّص»] بالمهملة في الموضعين.

٢٠٦ - **ج:** روي أنّ عمرو بن العاص قال لعائشة: لوددت أنّك قتلت يوم الجمل!! فقالت: ولم لا أبا لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنّة ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ [٢]!!!

٢٠٧ - **ج:** في رواية سعد بن عبد الله الأشعري عن القائم عليه السلام قال: قلت له: يا مولانا وابن مولانا روي لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين عليّ حتى أنّه بعث يوم الجمل رسولاً إلى عائشة وقال: «إنّك أدخلت الهلاك على الإسلام وأهله بالغشّ الذي حصل منك وأوردت أولادك في موضع الهلاك للجهالة فإن امتنعت وإلاّ طلّقتك». فأخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الّذي فوض حكمه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تقدّس اسمه عظّم شأن نساء النبيّ فخصّهن بشرف الأمّهات فقال رسول الله: يا أبا الحسن إنّ هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة فأيّتهُنَّ عصت الله بعدي في الأزواج بالخروج عليك فطلّقها وأسقطها من شرف أمّهات المؤمنين [٣].

٢٠٨ - **ما:** ابن الصلت عن ابن عقدة عن يعقوب بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن جعفر الأحمر عن الشيباني: عن جميع بن عمير قال: قالت عمتي لعائشة وأنا أسمع أنت مسيرك إلى عليّ عليه السلام ما كان؟ قالت: دعينا منك إنّه ما كان من الرّجال أحبّ إلى رسول الله من عليّ ولا من النساء أحبّ إليه من فاطمة [٤].

٢٠٩ - **جا:** الجعابي عن ابن عقدة عن عبد الله بن أحمد بن مستورد، عن محمد بن منير عن إسحاق بن وزير عن محمد بن الفضيل بن عطا مولى مزينة عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام: عن محمّد بن عليّ ابن الحنفية قال: كان اللّواء معي يوم الجمل وكان أكثر القتلى في بني ضبّة فلمّا انهزم الناس أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر رضي الله عنه فانتهى إلى الهودج وكأنّه شوك القنفذ ممّا فيه من النبل فضربه بعصا ثم قال: هيه يا حميراء أردت أن تقتليني كما قتلت ابن عفّان أبهذا أمرك الله؟ أو عهد [إليك] به رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: ملكت فأسجح. فقال لمحمد بن أبي بكر: انظر [هل] نالها شيء من السلاح؟ فوجدها قد سلمت لم يصل إليها إلاّ سهم خرق في ثوبها خرقاً وخدشها خدشاً ليس

(١) - (٢) الاحتجاج، ص ١٦٤. (٣) الاحتجاج، ص ٤٦٢.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٣٣١ مجلس ١٢ ح ٦٦٣.

بشيء فقال ابن أبي بكر: يا أمير المؤمنين قد سلمت من السّلاح إلاّ سهماً خلص إلى ثوبها فخدش منه شيئاً فقال عليّ عليه السلام احتملها فأنزلها دار ابن أبي خلف الخزاعي.

ثم أمر مناديه [ينادي]: لا يدفّف على جريح ولا يتبع مدبر ومن أغلق بابه فهو آمن[1].

بيان: [قال الفيروزآبادي] في القاموس: أدففته: أجهزت عليه كدففته، ومنه داف ابن مسعود أبا جهل يوم بدر.

٢١٠ - **كش:** جعفر بن معروف عن الحسن بن عليّ بن النعمان عن أبيه عن معاذ بن مطر عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: حدثني بعض أشياخي قال:

لمّا هزم عليّ بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس رحمة الله عليهما إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلّة العرجة.

قال ابن عبّاس فأتيتها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة قال: فطلبت الإذن عليها فلم تأذن فدخلت عليها من غير إذنها فإذا بيت قفار لم يعدّ لي فيه مجلس فإذا هي من وراء سترين قال: فضربت ببصري فإذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة قال: فمددت الطنفسة فجلست عليها فقالت من وراء الستر: يا ابن عبّاس أخطأت السنّة دخلت بيتنا بغير إذننا وجلست على متاعنا بغير إذننا!!! فقال لها ابن عبّاس رحمة الله عليه: نحن أولى بالسنّة منك ونحن علّمناك السنّة وإنّما بيتك الذي خلّفك فيه رسول الله فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشّة لدينك عاتية على ربّك عاصية لرسول الله فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلاّ بإذنك، ولم نجلس على متاعك إلاّ بأمرك؛ إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلّة العرجة.

فقالت: رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطّاب. فقال ابن عبّاس: هذا والله أمير المؤمنين وإن تربّدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس أما والله لهو أمير المؤمنين وأمسّ برسول الله رحماً وأقرب قرابة وأقدم سبقاً وأكثر علماً وأعلى مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر. فقالت: أبيت ذلك. فقال: أما والله إن كان إباؤك فيه لقصير المدّة عظيم التبعة ظاهر الشؤم بيّن النكد وما كان إباؤك فيه إلاّ حلب شاة حتّى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين وما كان مثلك إلاّ كمثل الحضرميّ بن نجمان أخي بني أسد حيث يقول:

مازال إهداء القصائد بيننا ... شتم الصّديق وكثرة الألقاب
حتّى تركتهم كأنّ قلوبهم ... في كل مجمعة طنين ذباب

قال: فأراقت دمعها وأبدت عويلها وتبدّا نشيجها ثمّ قالت: أخرج والله عنكم فما في الأرض بلد أبغض إليّ من بلد تكونون فيه!!

(١) أمالي المفيد، ص ٢٢ مجلس ٣.

فقال ابن عبّاس رحمه الله : فلم؟ والله ما ذا بلاؤنا عندك ولا بصَنيعنا إليك إنّا جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت بنت أم رومان وجعلنا أباك صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك لابن جذعان إلى أضيافه؟! فقالت: يا ابن عبّاس تمنّون عليّ برسول الله؟ فقال: ولم لا يمنّ عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به!! ونحن لحمه ودمه ومنه وإليه ما أنت إلاّ حشيته من تسع حشايا خلفهنّ بعده لست بأبيضهنّ لوناً ولا بأحسنهنّ وجهاً ولا بأرشحهنّ عرَقاً ولا بأنضرهنّ ورقاً ولا بأطراهن أصلاً فصرت تأمرين فتطاعين وتدعين فتجابين وما مثلك إلاّ كما قال أخو بني فهر:

مننت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم: كفّوا العداوة والشكرا
ففيه رضاً من مثلكم لصديقه وأحج بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

قال [ابن عبّاس]: ثمّ نَهَضْتُ وأتيت أمير المؤمنين فأخبرته بمقالتها وما رَدَدْتُ عليها فقال: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك[1].

بيان: رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ورواه الشيخ المفيد رحمه الله في الكافية بسندين أحدهما من طريق العامة والآخر من طريق الخاصة باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقال الجوهري: التعريج على الشيء: الإقامة عليه يقال: عرج فلان على المنزل إذا حَبَسَ مطيته عليه وأقام وكذلك التعرّج ويقال: ما لي عليه عرجة ولا تعريج ولا تعرّج. و[أيضاً] قال [الجوهري]: القفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء والجمع قفار يقال: قفر ومفازة قفر وقفرة أيضاً والقفار - بالفتح -: الخبز بلا أدم يقال: أخذ خبزه قفاراً.

وقال الفيروزآبادي: الطنفسة - مثلثة الطاء والفاء وبكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس -: واحدة الطنافس [يقال] للبسط والثياب والحصير من سعف عرضه ذراع.

وقال الجوهري: تربّد وجه فلان أي تغيّر من الغضب وقال: المعطس مثال المجلس الأنف وربما جاء بفتح الطاء. وقال نكد عيشهم بالكسر ينكد نكداً إذا اشتدّ. ورجل نكد أي عسر. والعويل: رفع الصوت بالبكاء.

ونشج الباكي ينشج نشيجاً إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. ونشج بصوته نشيجاً: ردّده في صدره.

قوله: «ما ذا بلاؤنا عندك» كلمة «ما» نافية أي ليس هذا جزاء نعمتنا عندك. قوله «مننتنا» أي مننت علينا على الحذف والإيصال. وفي بعض النسخ «منيتنا» من المنية بمعنى الموت أي قتلتنا و«الحشيّة» - كمنيّة -: الفراش المحشو والجمع حشايا كنّى عن النساء والتعبير عنهن بالفرش شائع.

قوله: «ولا بأرشحهن» بالشين المعجمة والحاء المهملة من الرّشح وهو نضح الماء. وفي بعض النسخ بالسين المهملة والخاء المعجمة من الرّسوخ بمعنى الثبات.

---

(١) رجال الكشي، ص ٥٥.

[قوله:] «ولا بأطراهنّ» من الطراوة.

قوله: «وأحجّ بكم» أي هو ألزم لحجّتكم. وفي بعض النسخ: أحجى وهو أصوب أي أولى وأقرب إلى العقل والحجى.

٢١١ - **كشف:** من ربيع الأبرار للزمخشري قال: [قال] جميع بن عمير: دخلت على عائشة فقلت: من كان أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ فقالت: فاطمة (عليها السلام) قلت: إنما أسألك عن الرجال قالت: زوجها وما يمنعه فوالله إن كان لصوّاماً قوّاماً ولقد سالت نفس رسول الله ﷺ في يده فردّها إلى فيه!!! فقلت: فما حملك على ما كان؟ فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت: أمر قضي عليّ. وروي أنّه قيل لها قبل موتها: أندفنك عند رسول الله ﷺ فقالت: لا إنّي أحدثت بعده(١).

٢١٢ - **فر:** عبيد بن كثير معنعناً عن أصبغ بن نباتة قال: لمّا هزمنا أهل البصرة جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى استند إلى حائط من حيطان البصرة فاجتمعنا حوله وأمير المؤمنين راكب والنّاس نزول فيدعو الرجل باسمه فيأتيه ثم يدعو الرجل باسمه فيأتيه ثم يدعو الرجل باسمه فيأتيه حتى وافاه منّا ستون شيخاً كلّهم قد صغّروا اللحى وعقصوها وأكثرهم يومئذ من همْدان فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام طريقاً من طرق البصرة ونحن معه وعلينا الدّرع والمغافر متقلّدي السيوف متنكبي الأترسة حتى انتهى إلى دار قوراء فدخلنا فإذا فيها نسوة يبكين فلمّا رأينه صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبّة.

فأمسك عنهنّ [أمير المؤمنين] ثم قال: أين منزل عائشة؟ فأومأن إلى حجرة في الدار فحملنا عليّاً عن دابّته فأنزلناه فدخل عليها فلم أسمع من قول عليّ شيئاً إلاّ أنّ عائشة كانت امرأة عالية الصوت فسمعنا [قولها] كهيئة المعاذير: إني لم أفعل ثم خرج علينا أمير المؤمنين فحملناه على دابته فعارضته امرأة من قبل الدّار فقال: أين صفيّة قالت: لبّيك يا أمير المؤمنين قال: ألا تكفّين عنّي هؤلاء الكلبات التي يزعمن أنّي قاتل الأحبّة لو قتلت الأحبّة لقتلت من في تلك الدار - وأومى بيده إلى ثلاث حجر في الدار - [قال:] فضربنا بأيدينا على قوائم السّيوف وضربنا بأبصارنا إلى الحجر التي أومى إليها فوالله ما بقيت في الدّار باكية إلاّ سكنت ولا قائمة إلاّ جلست.

قلت: يا أبا القاسم فمن كان في تلك الثلاث حجر!! قال: أمّا واحدة فكان فيها مروان بن الحكم جريحاً ومعه شباب قريش جرحى.

وأمّا الثانية فكان فيها عبد الله بن الزبير ومعه آل الزّبير جرحى.

وأمّا الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة يدور مع عائشة أين ما دارت.

---

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ٢٤٤.

قلت: يا أبا القاسم هؤلاء أصحاب القرحة فهلاّ ملتم عليهم بهذه السيوف؟ قال: يا ابن أخي أمير المؤمنين كان أعلم منك وسعهم أمانه إنّا لمّا هزمنا القوم نادى مناديه: «لا يدفّف على جريح ولا يتبع مدبر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن» سنّة يستنّ بها بعد يومكم هذا.

ثم مضى ومضينا معه حتى انتهينا إلى المعسكر. فقام إليه ناس من أصحاب النبيّ ﷺ منهم أبو أيّوب الأنصاري وقيس بن سعد وعمّار بن ياسر وزيد بن حارثة وأبو ليلى فقال: ألا أخبركم بسبعة [هم] من أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى؟ قال أبو أيّوب: بلى والله فأخبرنا يا أمير المؤمنين فإنك كنت تشهد ونغيب قال: فإنّ أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من بني عبد المطّلب لا ينكر فضلهم إلاّ كافر ولا يجحد إلاّ جاحد.

قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه: ما اسمهم يا أمير المؤمنين فلنعرفنهم؟ قال: إنّ أفضل الناس يوم يجمع الله الخلق [و] الرسل محمد وإنّ من أفضل الرسل محمداً عليهم الصلاة والسلام ثمّ إنّ أفضل كلّ أمّة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتى يدركه نبيّ وإن أفضل الأوصياء وصيّ محمّد عليهما الصّلاة والسّلام.

ثم إنّ أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء وإنّ أفضل الشهداء حمزة وجعفر بن أبي طالب ذا جناحين يطير بهما مع الملائكة لم يحلّ بحليته أحد من الآدميين في الجنّة شيء شرفه الله به، والسبطان الحسنان سيّدا شباب أهل الجنّة، والمهدي يجعله الله من أحبّ منّا أهل البيت. ثم قال: أبشروا ثلاثاً: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

بيان: عقص الشعر: ضفره وليّه على الرأس ذكره الجوهري وقال: تنكّب القوس أي ألقاها على منكبه وقال: دار قوراء: واسعة.

٢١٣ - ٢٢٠ - **الكافية** في إبطال توبة الخاطئة: عن إبراهيم بن عروة عن ثابت عن أبيه عن حبّة العُرَنيّ أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعث إلى عائشة محمّداً أخاها رحمة الله عليه وعمّار بن ياسر رضوان الله عليه وأن ارتحلي والحقي بيتك الذي تركك فيه رسول الله. فقال: والله لا أرِيمُ [عن] هذا البلد أبداً!! فرجعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبراه بقولها فغضب ثمّ ردّهما إليها وبعث معهما الأشتر فقال: والله لتخرجنّ أو لتحملنّ احتمالاً.

ثم قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يا معشر عبد القيس اندبوا إلى الحرة الخيرة من نسائكم فإنّ هذه المرأة من نسائكم فإنّها قد أبت أن تخرج لتحملوها احتمالاً فلمّا علمت بذلك قالت لهم: قولوا فليُجهّزني. فأتوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فذكروا له ذلك فجهّزها وبعث معها بالنساء.

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٩ ح ٨٤ والآية من سورة النساء، ٦٩-٧٠.

وعن الحسن بن ربيع قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن محصن بن زياد الضبي قال: سمعت الأحنف بن قيس يقول: بعث عليّ إلى عائشة أن ارجعي إلى الحجاز فقالت: لا أفعل فقال لها: لئن لم تفعلي لأرسلنّ إليك نسوة من بكر بن وائل بشفار حداد يأخذنك بها. قال: فخرجت حينئذ.

وعن إسحاق بن إبراهيم عن أشرس العبدي عن عبد الجليل أنّ أمير المؤمنين بعث عمّار ابن ياسر رحمه الله إلى عائشة أن ارتحلي فأبت عليه فبعث إليها بامرأتين وامرأة من ربيعة معهنّ الإبل فلمّا رأتهنّ ارتحلت.

وعن محمد بن عليّ بن نصر عن عمر بن سعد [الأسدي] أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه دخل على عائشة لما أبت الخروج فقال لها: يا شعيرا ارتحلي وإلاّ تكلمت بما تعلمينه!! فقالت: نعم أرتحل. فجهّزها وأرسلها ومعها أربعين امرأة من عبد القيس الحديث بطوله.

وعن الحسين بن حمّاد قال: حدّثنا أبو الجارود عن الأصبغ بن نباتة أنّ أمير المؤمنين قال لعائشة: ارجعي إلى بيتك الذي تركك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوك فيه. فأبت فقال لها: ارجعي وإلاّ تكلّمت بكلمة تبرئين إلى الله تعالى ورسوله فارتحلت.

وعن مطّلب بن زياد عن كثير النوا قال: قال ابن عبّاس رضي الله عنه لعائشة: السّلام عليك يا أُمّه ألّسنا ولاة بعلك؟ أوليس قد ضرب الله الحجاب عليك؟ أوليس قد أوتيت أجرك مرّتين؟ قالت: بلى. قال: فما أخرجك علينا مع منافقي قريش؟! قالت: كان قَدَراً يا ابن عبّاس.

قال: وكانت أمّنا تؤمن بالقدر!!

وعن أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عيّاش عن يزيد بن أبي زياد قال: قال رجل لعائشة: يا أمّ المؤمنين لِمَ خرجت على عليّ؟ قالت له: أبوك لم تزوّج بأمّك قدر الله عزّ وجلّ.

وعن فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق قال: كانت عائشة إذا سئلت عن خروجها على أمير المؤمنين قالت: كان شيء قدره الله عليّ[1]!!!

٢٢١ - البُرْسيّ في [كتاب] مشارق الأنوار قال: لمّا قدم الحسن بن عليّ عليه السلام من الكوفة جاءت النسوة يُعَزّينه بأمير المؤمنين عليه السلام ودخلت عليه أزواج النبي صلى الله عليه وآله فقالت عائشة: يا أبا محمد ما فقد جدك إلاّ يوم فقد أبوك. فقال لها الحسن عليه السلام: نسيت نبشك في بيتك ليلاً بغير قبس بحديدة - حتّى ضربت الحديدة كفك فصارت جرحاً إلى الآن - تبغين جراراً خضراً فيها ما جمعت من خيانة حتّى أخذت منها أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين لها وزناً تفرّقيها في مبغضي عليّ من تيم وعدي قد تشفّيت بقتله!! فقالت: قد كان ذلك[2].

---

(١) الكافية للمفيد، ص ٢٩.
(٢) مشارق أنوار اليقين، ص ١٣٤.

٦ - باب باب نهي الله تعالى ورسوله ﷺ عائشة عن مقاتلة علي عليه السلام وإخبار النبي ﷺ إياها بذلك

٢٢٢ - **فس:** محمّد بن أحمد عن محمّد بن عبد الله بن غالب عن ابن أبي نجران عن حمّاد عن حريز قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قال: الفاحشة: الخروج بالسيف(١).

أقول: قد مضى بعض الأخبار في باب ذمّ عائشة وحفصة.

٢٢٣ - **ج:** عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في خبر الطّير أنّه جاء عليّ عليه السلام مرّتين فردّته عائشة فلمّا دخل في الثالثة وأخبر النبي ﷺ به قال النبي ﷺ: أبيت إلاّ أن يكون الأمر هكذا يا حميراء ما حملك على هذا؟ قالت: يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي أن يأكل من الطير. فقال لها: ما هو أوّل ضغن بينك وبين عليّ وقد وقفت على ما في قلبك لعليّ إن شاء الله تعالى لتقاتلينه!! فقالت: يا رسول الله وتكون النساء يقاتلن الرجال؟ فقال لها: يا عائشة إنّك لتقاتلين عليّاً ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي فيحملونك عليه وليكونن في قتالك أمر يتحدّث به الأوّلون والآخرون وعلامة ذلك أنّك تركبين شيطاناً تبتلين [به] قبل أن تبلغي إلى الموضع الّذي يقصد بك إليه فتنبح عليك كلاب الحوأب فتسألين الرجوع فيشهد عندك قسامة أربعين رجلاً ما هي كلاب الحوأب فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك وهو أبعد بلاد في الأرض من السماء وأقربها إلى الماء ولترجعنّ وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدين ويكون هذا الذي يردّك مع من يثق به من أصحابه وإنّه لك خير منك له ولينذرنّك ما يكون به الفراق بيني وبينك في الآخرة وكلّ من فرّق عليّ بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز. فقالت له: يا رسول الله ليتني متّ قبل أن يكون ما تَعِدُني؟

قال: فقال لها: هيهات هيهات والذي نفسي بيده ليكوننّ ما قلت حتى كأنّي أراه(٢).

٢٢٤ - **مع:** أحمد بن الحسين بن علي عن محمد بن العبّاس عن إبراهيم بن إسحاق عن إبراهيم بن سعيد عن أبي نعيم عن عصام بن قدامة عن عكرمة، عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ أنّه قال لنسائه: ليت شعري أيّتكنّ صاحبة الجمل الأذيب التي تنبحها كلاب الحوأب فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعدما كادت.

[قال الصدوق رحمه الله:] الحوأب ماء لبني عامر. و«الجمل الأذيب» يقال: إن المذئبة داء تأخذ الدواب يقال: برذون مذؤوب وأظن الجمل الأذيب مأخوذ من ذلك. وقوله: «تنجو بعدما كادت» أي تنجو بعدما كادت تهلك(٣).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٦٧ في تفسيره للآية ٣٠ من سورة الأحزاب.

(٢) الاحتجاج، ص ١٩٨. (٣) معاني الأخبار، ص ٢٩٠.

٢٢٥ - **الكافية:** عن عصام مثله [ثمّ] قال: ورواه أبو بكر بن عيّاش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس.

وروى المسعودي في حديثه قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ إذا أدركتها فاضربها واضرب أصحابها.

٢٢٦ - **سر:** قال محمّد بن إدريس: وجدت في الغريبين للهروي هذا الحديث وهو بالدّال غير المعجمة مع الباء النقطة تحتها نقطة واحدة قال أبو عبيد: وفي الحديث: «ليت شعري أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب» قيل: أراد الأدبّ فأظهر التضعيف. والأدبّ: الكثير الوبر، يقال: جمل أدبّ إذا كان كثير الدبب والدبب كثرة شعر الوجه ودببه أنشدني أبو بكر بن الأنباري:

يمشقن كلّ غصن معلوش   مشق النساء دبب العروس

يمشقن: يقطعن كلّ غصن كثير الورق كما تنتف النساء الشعر من وجه العروس.

قال محمد بن إدريس [و] وجدت أيضاً في [كتاب] مجمل اللغة لابن فارس ما ذكره أبو عبيد صاحب الغريبين قد أورد الحديث على ما ذكره وفسّره على ما فسّره وضعه في باب الدال غير المعجمة مع الباء، والاعتماد على أهل اللغة في ذلك فإنّهم أقوم به وأظنّ [أنّ] شيخنا ابن بابويه تجاوز نظره في الحرف وزلّ فيه فأورده بالذال المعجمة والياء على ما في كتابه واعتقد أنّ الجمل الأذيب مشتق من المذئبة ففسّره على ما فسّره وهذا تصحيف منه.

أقول: قال [ابن الأثير] في النهاية بعد إيراد الرّواية: أراد الأدبّ فأظهر الإدغام لأجل الحوأب، والأدبّ: الكثير وبر الوجه.

وقال السيوطي في بعض تصانيفه: إنّه قد يفكّ ما استحقّ الإدغام لإتباع كلمة أُخرى كحديث: «أيّتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب» فكّ الأدبب - وقياسه: الأدبّ - إتباعاً للحوأب.

٢٢٧ - **ك:** عليّ بن أحمد الدّقاق، عن حمزة بن القاسم، عن عليّ بن الجنيد الرّازي عن أبي عوانة عن الحسين بن عليّ عن عبد الرزّاق عن أبيه عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف:

عن عبد الله بن مسعود قال: قلت للنبيّ ﷺ: يا رسول الله من يغسلك إذا متّ؟ فقال: يغسل كل نبيّ وصيّه. قلت: فمن وصيّك يا رسول الله؟ قال: عليّ بن أبي طالب. فقلت: كم يعيش بعدك يا رسول الله؟ قال: ثلاثين سنة فإنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عاش من بعده ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوج موسى فقالت: أنا أحقّ بالأمر منك فقاتلها فقتل مقاتلها وأسرها فأحسن أسرها وإن ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا وكذا ألفاً من أمّتي فيُقاتلها فيقتل مقاتلها ويأسرها فيُحسن أسرها وفيها أنزل الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا

تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[(١)] يعني صفراء بنت شعيب[(٢)].

٢٢٨ - **يج:** روي أنّ النبيّ ﷺ قال: ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب فتنبحها كلاب الحوأب.

وروي [أنّه] لمّا أقبلت عائشة مياه بني عامر ليلاً نبحتها كلاب الحوأب [فـ] قالت: ما هذا [الماء؟] قالوا الحوأب قالت: ما أظنّني إلاّ راجعة ردّوني إنّ رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكنّ إذا نبح عليها كلاب الحوأب[(٣)].

٢٢٩ - **شف:** من كتاب المعرفة لإبراهيم بن محمّد الثقفي عن عثمان بن سعد عن محمّد ابن كثير عن إسماعيل بن زياد عن أبي إدريس، عن نافع مولى عائشة قال: كنت خادماً لعائشة وأنا غلام أغاطيهم إذا كان رسول الله ﷺ عندها فبينا رسول الله عند عائشة إذ جاء جاءٍ فدق الباب فخرجت إليه فإذا جارية معها إناء مغطّى فرجعت إلى عائشة فأخبرتها فقالت: أدخلها فدخلت فوضعته بين يدي عائشة فوضعته عائشة بين يدي رسول الله ﷺ فمدّ يده يأكل ثمّ قال: ليت أمير المؤمنين وسيّد المسلمين [كان حاضراً كي] يأكل معي قالت عائشة: ومن أمير المؤمنين؟ فسكت ثم أعادت فسألت؟ فسكت ثم جاء جاءٍ فدقّ الباب فخرجت إليه فإذا عليّ ابن أبي طالب فرجعت إلى النبيّ ﷺ فأخبرته فقال: أدخله [ففتحت له الباب فدخل] فقال: مرحباً وأهلاً لقد تمنّيتك حتّى لو أبطأت عليّ لسألت الله أن يجيء بك اجلس فكل. فجلس فأكل فقال رسول الله ﷺ: قاتل الله من يقاتلك ومن يعاديك فسكت ثم أعادها فقالت عائشة: من يقاتله ومن يعاديه؟ قال: أنت ومن معك أنت ومن معك[(٤)].

٢٣٠ - **شف:** محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان عن محمّد بن أحمد بن عيسى العلوي عن محمّد بن أحمد المكتب عن حميد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحَسَنيّ عن محمّد بن علي عن محمد بن كثير عن اسماعيل بن زياد عن أبي إدريس عن نافع مثله.

٢٣١ - **كافية:** المفيد: عن محمّد بن عليّ بن مهران عن محمّد بن عليّ بن خلف عن محمّد بن كثير عن إسماعيل بن الزياد عن أبي إدريس عن نافع مولى عائشة مثله.

٢٣٢ - **قب:** قال السّدّيّ: نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ في أهل بدر خاصّة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا.

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[(٥)] قال: ما قوتل أهل هذه يعني

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٨.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦٧ ح ١٢٣-١٢٤.
(٤) كشف الغمة، ج ١ ص ٣٤٢.
(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١١-١٢.

البصرة [إلاّ بهذه الآية] وقرأ أمير المؤمنين يوم البصرة: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[1] ثم قال: لقد عهد إليّ رسول الله ﷺ وقال: يا عليّ لتقاتلنّ الفئة الناكثة والفئة الباغية والفرقة المارقة إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون.

الأعمش عن شقيق وزرّ بن حبيش عن حذيفة وذكر السمعاني في الفضائل والدّيلمي في الفردوس عن جابر الأنصاري وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام واللفظ لهما في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ﴾ يا محمد من مكّة إلى المدينة فإنّا رادّوك منها ومنتقمون منهم بعليّ.

وفي تفسير الكلبي: يعني في حرب الجمل.

وعن عمّار وحذيفة وابن عبّاس والباقر والصادق عليهما السلام أنّه نزلت في عليّ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية. وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال يوم البصرة: والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية.

ابن عبّاس قال: لما علم الله أنّه سيجري حرب الجمل قال لأزواج النبيّ ﷺ: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ في حربها مع عليّ عليه السلام.

شعبة والشعبي والأعثم وابن مردويه وخطيب خوارزم في كتبهم بالأسانيد عن ابن عبّاس وابن مسعود وحذيفة وقتادة وقيس بن أبي حازم وأمّ سلمة وميمونة وسالم بن أبي الجعد واللفظ له أنّه ذكر النبيّ ﷺ خروج بعض نسائه فضحكت عائشة فقال: انظري يا حميراء لا تكونين هي ثم التفت إلى عليّ فقال: يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها[2].

٢٣٣ - **قب**: حذيفة قال: لو أحدّثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ لوجمتموني قالوا: سبحان الله نحن نفعل؟ قال: لو أحدّثكم أنّ بعض أمّهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها شديد بأسها تقاتلكم صدقتم؟ قالوا: سبحان الله ومن يصدّق بهذا؟ قال: تأتيكم أمّكم الحميراء في كتيبة يسوق بها أعلاجها من حيث يسوؤكم وجوهكم.

ابن عباس قال: [قال] النبيّ ﷺ: أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثير بعد أن كادت[3].

بيان: «لوجمتموني» يقال: وجم الشيء أي كرهه. ووجم فلاناً: لكزه. وكانت النسخة تحتمل الراء أيضاً والأعلاج جمع العلج بالكسر وهو الرجل من كفّار العجم وغيرهم.

٢٣٤ - ٢٣٧ - **الكافية**: عن الحسن بن حمّاد عن زياد بن المنذر عن الأصبغ بن نباتة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٣٤.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٢٢.

قال: لمّا عقر الجمل وقف عليّ عليه السلام على عائشة فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: ذيت وذيت. فقال: أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد ملأت أذنيك من رسول الله ﷺ وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان أمّا أحياؤهم فيقتلون في الفتنة وأمّا أمواتهم ففي النار على ملّة اليهود.

وعن أبي داود الطهوي عن عبد الله بن شريك العامري عن عبد الله بن عامر أنّ عبد الله بن محمد بن بديل الخزاعي قال لعائشة: أنشدك بالله ألم نسمعك تقولين: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ على الحقّ والحقّ معه لن يزيلا حتّى يردا عليّ الحوض؟ قالت: بلى. قال: فما بدا لك؟ قالت: دعوني والله لوددت أنّهم تفانوا.

وعن يحيى بن مساور، عن اسماعيل بن أبي زياد عن أبي سعيد المهري قال: كان عبد الملك بن أبي رافع نازلاً في بيعة كدى يتحدّث إليه فقال أبو رافع: سأحدّثكم بحديث سمعته أذناي لا أحدّثكم عن غيري سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك. فقالت عائشة: يا رسول الله من يقاتله ومن يعاديه؟ قال: أنت ومن معك أنت ومن معك.

وعن عليّ بن مسهر [من رجال الصحاح الستّ] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إني رأيتك في المنام مرتين أرى جملاً يحملك في سدافة من حرير فقال: هذه امرأتك فاكشفها فإذا هي أنت[(١)].

بيان: في القاموس: ذيت وذيت مثلّثة الآخر أي كيت وكيت. وكدى: جبل قريب من مكّة. والسدافة ككتابة: الحجاب.

٢٣٨ - **شي:** عن عبد الرحمان بن سالم الأشل عن الصادق عليه السلام قال: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ عائشة هي نكثت إيمانها[(٢)].

٢٣٩ - ٢٤٠ - **كنز:** محمد البرقي عن الحسين بن سيف عن أخيه عن أبيه عن سالم بن مكرم عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ قال: هي الحميراء.

قال مؤلف الكتاب: إنّما كنّي عنها بالعنكبوت لأنّه حيوان ضعيف اتّخذت بيتاً ضعيفاً أوهن البيوت وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلّة حظها وعقلها ودينها اتّخذت من رأيها الضعيف وعقلها السّخيف في مخالفتها وعداوتها لمولاها بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن والضعف[(٣)].

---

(١) الكافية للمفيد، ص ٣٤ الفصل الثالث.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩١ ح ٦٥ من سورة النحل.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤٢٢ في تأويل الآية ٤١ من سورة العنكبوت.

وروى محمّد بن العبّاس عن الحسين بن أحمد عن محمّد بن عيسى عن يونس بن كرام عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أتدري ما الفاحشة المبيّنة؟ قلت: لا. قال: قتال أمير المؤمنين عليه السلام يعني أهل الجمل.

٢٤١ - مد: من صحيح البخاري بإسناده عن نافع عن عبد الله قال: قام النبيّ صلى الله عليه وآله خطيباً وأشار نحو مسكن عائشة فقال: هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشيطان[1].

٧ - باب باب أمر الله ورسوله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وكل من قاتل عليّاً صلوات الله عليه وفي عقاب الناكثين

الآيات: البقرة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ «٢٥٣».

الزخرف «٤٣»: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

الحجرات: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾.

تفسير: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال الطبرسي في تفسير جامع الجوامع: أي مشيئة إلجاء وقسر: ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي من بعد الرسل لاختلافهم في الدّين وتكفير بعضهم بعضاً: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ لالتزامه دين الأنبياء: ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ لإعراضه عنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرره للتأكيد[2].

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي نتوفينّك: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾ أي من أمّتك: ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك: ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ من العذاب: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ أي قادرون على الانتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك.

قال [الطبرسيّ] في [تفسير] المجمع: قال الحسن وقتادة: إن الله أكرم نبيه صلى الله عليه وآله بأن لم يره تلك النقمة ولم ير في أمّته إلاّ ما قرّت به عينه وقد كان بعده عليه السلام نقمة شديدة. وقد روي أنّه أُرِيَ ما يلقى أمّته بعده فمازال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتى لقي الله تعالى[3].

٢٤٢ - روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إنّي لأدناهم من رسول الله في حجّة الوداع بمنى [فسمعته] قال: [في خطبته]: لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم.

---

(١) العمدة لابن البطريق، ص ٢٣٧ ح ٨٤١.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٥٤.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٨٣.

[قال:] ثمَّ التفت إلى خلفه ثم قال: أو علي أو علي - ثلاث مرات - [قال جابر:] فرأينا أن جبرئيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعليّ بن أبي طالب. وقيل: إن النبيّ ﷺ أُري الانتقام منهم وهو ما كان من نقمة الله يوم البدر.

والبغي: الاستطالة والظلم. والفيء: الرّجوع «وأقسطوا» أي اعدلوا[1].

أقول: قد مرّ خبر أبي رافع وأخبار حذيفة بن اليمان في باب أحوال الصّحابة وقد مضى في باب أنّه باب مدينة العلم وباب جوامع المناقب وغيرها أنّه أخبر النبيّ ﷺ أنّه قاتل الفَجَرة.

٢٤٣ - **ما:** بإسناد أخي دِعْبِل عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ لأمّ سلمة: اشهدي عليّ أنّ علياً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[2].

٢٤٤ - **ما:** بهذا الإسناد عن الباقر عليه السلام عن جابر الأنصاري قال: إنّي لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجّة الوداع بمنى فقال: لا عرفتكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم.

ثم التفت إلى خلفه ثم قال: أو عليّ أو عليّ. [قال جابر:] فرأينا أن جبرئيل غمزه وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[3] «بعليّ» ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[4]. ثم نزلت: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5].

ثم نزلت: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ من أمر عليّ بن أبي طالب وإن علياً لعلم للسّاعة ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[6] عن محبّة عليّ بن أبي طالب[7].

٢٤٥ - **مد:** بإسناده إلى مناقب أبي الحسن عليّ بن محمد المعروف بابن المغازلي قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن موسى عن هلال بن محمد، عن اسماعيل بن عليّ عن أبيه عن عليّ ابن موسى الرّضا، عن آبائه عن محمد بن عليّ الباقر صلوات الله عليهم عن جابر رضي الله عنه مثله[8].

٢٤٦ - **كنز:** محمّد بن العبّاس عن عليّ بن العباس عن الحسن بن محمّد عن العبّاس بن أبان العامريّ عن عبد الغفّار بإسناد يرفعه إلى عبد الله بن العبّاس وعن جابر بن عبد الله مثله[9].

بيان: «وإنّ علياً لعلم للساعة» هكذا [جاء] في نسخ جميع الكتب، وفي القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وبعده بورق [في الآية: (٦١) من السورة] عند ذكر عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٨٣.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٦٦ مجلس ١٣ ح ٧٧٣.
(٣) - (٤) سورة الزخرف، الآيتان: ٤١-٤٢.
(٥) سورة المؤمنون، الآيات: ٩٣-٩٦.
(٦) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٣-٤٤.
(٧) أمالي الطوسي، ص ٣٦٣ مجلس ١٣ ح ٧٦٠.
(٨) العمدة، ص ١٨٥ ح ٥٨٠، والمناقب لابن المغازلي ص ٢٧٤.
(٩) تأويل الآيات الظاهرة في تأويل سورة الزخرف.

لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ وقد ورد في الأخبار أنّها أيضاً [نزلت] في أمير المؤمنين عليه السلام فيُمكن أن يكون في قراءتهم عليهم السلام هكذا وأنّه أشار هنا إلى نزول تلك الآية أيضاً فيه، والظاهر أنه سقط من الخبر شيء أو جرى فيه تصحيف.

٢٤٧ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل، عن محمّد بن الحسين بن حفص، عن إسماعيل بن إسحاق عن حسين بن أنس، عن يحيى بن سلمة بن كُهَيل عن أبيه عن مجاهد: عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾(١) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لأجاهدنّ العمالقة - يعني الكفّار والمنافقين - فأتاه جبرئيل وقال: أنت أو عليّ.

٢٤٨ - **كا:** عليّ عن أبيه والقاساني جميعاً عن الإصفهاني عن المنقري عن الفضيل بن عياض عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: قال: بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة، وسيف منها مكفوف، وسيف منها مغمود سلّه إلى غيرنا وحكمه إلينا.

ثم قال: وأمّا السيف المكفوف فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فلمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل.

فَسُئِلَ النبيّ صلى الله عليه وآله من هو؟ فقال: خاصف النعل يعني أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثاً وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتّى بلغوا بنا السعفات من هجر لعَلِمْنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل الخبر(٢).

٢٤٩ - **ن:** بإسناد التميمي عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين(٣).

٢٥٠ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل، عن محمّد بن القاسم بن زكريا، عن عباد بن يعقوب، عن نوح بن دراج، عن محمد بن السّائب، عن أبي صالح: عن جابر بن عبد الله قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح خطيباً فقال: أيّها النّاس لا أعرفنكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ولئن فعلتم ذلك لتعرفنني في كتيبة أضربكم بالسيف. ثمّ التفت عن يمينه فقال الناس: لقّنه جبرئيل شيئاً فقال النبي صلى الله عليه وآله هذا جبرئيل يقول أو عليّ(٤).

٢٥١ - **ختص:** سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن عبد الرحمن بن سالم، عن نوح بن درّاج مثله(٥).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣. (٢) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٧ باب ٣ ح ٢.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦١ باب ٣١ ح ١٤١.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٥٠٢ مجلس ١٨ ح ١١٠١. (٥) الاختصاص، ص ٢٩٧.

٢٥٢ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل، عن محمّد بن جرير الطبري ومحمد بن عليّ بن الحسين معاً، عن أحمد بن يحيى بن زكريا، عن حسن بن حسن، عن يحيى بن يعلى، عن عُبَيد الله بن موسى عن أبي الزبير: عن جابر الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ في حجّة الوداع وركبتي تمسّ ركبته يقول: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض أمّا إن فعلتم [ذلك] لتعرفنني في ناحية الصفّ. قال: وأشار إليه جبرئيل عليه السلام فالتفت إليه فقال: قل إن شاء الله أو عليّ قال: إن شاء الله أو عليّ[1].

٢٥٣ - **ما:** بالإسناد عن الطبري عن محمد بن العلاء، عن عبد الرحمان بن أبي حاتم، عن عبد الله بن عبد الكريم، عن عمرو بن حماد بن طلحة، عن أسباط بن نصر، عن سماك بن حرب، عن عكرمة: عن ابن عبّاس رضي الله عنه [قال:] إنّ عليّاً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[2] والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هَدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتّى أموت!!! والله إنّي لأخوه وابن عمّه وَوارِثُهُ فمن أحق به منّي؟[3]!!

٢٥٤ - **ما:** جماعة عن أبي المفضّل، عن أحمد الهمدانيّ، عن محمّد بن أحمد القطواني، عن منذر العبدي: عن عليّ بن أبي فاطمة قال: كنت عند أبي بردة بن أبي موسى وعنده العيزار بن جرول التميميّ قال أبو بردة: إنّ أهل الكوفة كانوا يدعون الله عزّ وجلّ أن ينصر المظلوم فنصر الله عليّاً على أهل الجمل فقال له العيزار بن جرول: ألا أحدّثك بحديث سمعته من ابن عبّاس؟ قال أبو بردة: بلى. قال: سمعت ابن عبّاس يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف أنتم يا معشر قريش إذا كفرتم وضرب بعضكم وجه بعض بالسّيف ثمّ تعرفوني أضربكم في كتيبة من الملائكة؟! وأتاه جبرئيل فقال أنت إن شاء الله أو عليّ.

فقال أبو بردة: سمعت ابن عبّاس يقول: سمعت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم[4].

٢٥٥ - **فر:** الحسين بن الحكم مُعَنْعَناً عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ وهو في بقيع الغرقد فقال: والذي نفسي بيده إنّ فكيم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله وهم في ذلك يشهدون أن لا إله إلاّ الله، وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون فيكبر قتلهم على الناس حتى يطعنوا على وليّ الله ويسخطوا عمله كما سخط موسى بن عمران عليه الصّلاة والسّلام خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار وكان خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله رضا وسخط ذلك موسى عليه السلام[5].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٠٣ مجلس ١٨ ح ١١٠٢. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٥٠٢ مجلس ١٨ ح ١٠٩٩.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٤٦٠ مجلس ١٦ ح ١٠٢٧.

(٥) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٠٠ ح ٢٦٢.

بيان: قال الجوهري: الغرقد شجر وبقيع الغرقد مقبرة بالمدينة.

٢٥٦ - **ما:** أبو عمر، عن ابن عقدة، عن يعقوب بن يوسف عن أحمد بن حمّاد عن فطر بن خليفة وبُرَيد بن معاوية العجلي عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه: عن أبي سعيد الخدري قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ وقد انقطع شسع نعله فدفعها إلى عليّ عليه السلام يصلحها ثمّ جلس وجلسنا حوله كأنّما على رؤوسنا الطير فقال: إنّ منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت النّاس على تنزيله.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. فقال عمر: أنا يا رسول الله؟ فقال: لا. ولكنّه خاصف النعل. قال أبو سعيد: فأتينا عليّاً عليه السلام نبشره بذلك فكأنّه لم يرفع به رأساً فكأنّه قد سمعه قبل. قال إسماعيل بن رجاء: فحدّثني أبي عن جدي أبي أمّي خزام بن زهير أنّه كان عند عليّ في الرحبة فقام إليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين هل كان في النعل حديث؟ فقال: اللّهم إنّك تعلم أنه كان ممّا كان يسرّه إليّ رسول الله ﷺ. وأشار بيديه ورفعهما[1].

٢٥٧ - **جا، ما:** المفيد، عن عليّ بن بلال، عن أحمد بن الحسن البغدادي عن الحسين ابن عمر، عن عليّ بن الأزهر، عن عليّ بن صالح المكي عن محمّد بن عمر بن عليّ عن أبيه عن جدّه قال: لمّا نزلت على النبيّ ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال لي: يا عليّ لقد جاء نصر الله والفتح فإذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّاباً.

يا عليّ إنّ الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي. فقلت: يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله وهم مخالفون لسنّتي وطاعنون في ديني فقلت: فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله؟ فقال: على إحداثهم في دينهم وفراقهم لأمري واستحلالهم دماء عترتي!! قال: فقلت: يا رسول الله إنّك كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله تعجيلها إليّ فقال: أجل قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا وأومى إلى رأسي ولحيتي فقلت: يا رسول الله أما إذا ثبت لي ما ثبت فليس [ذلك] بموطن صبر لكنّه موطن بشرى وشكر فقال: أجل فقال: فأعدّ للخصومة فإنّك مخاصم أمّتي.

فقلت: يا رسول الله أرشدني إلى الفلج قال: إذا رأيت قومك قد عدلوا عن الهدى إلى الضّلال فخاصمهم فإن الهدى من الله والضّلال من الشيطان.

يا عليّ إنّ الهدى هو اتّباع أمر الله دون الهوى والرأي وكأنّك بقوم قد تأوّلوا القرآن وأخذوا

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٥٤ مجلس ٩ ح ٤٥٨.

بالشبهات واستحلّوا الخمر بالنبيذ والبخس بالزكاة والسحت بالهدية. قلت: يا رسول الله فما هم إذا فعلوا ذلك؟ أهم أهل فتنة أم أهل ردّة؟ فقال: هم أهل فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فقلت: يا رسول الله العدل منا أم من غيرنا؟ فقال: بل منا بنا فتح الله وبنا يختم الله وبنا ألّف الله بين القلوب بعد الشّرك وبنا يؤلّف الله بين القلوب بعد الفتنة. فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله(١).

بيان: «والبخس بالزكاة» لعلّ المراد به أنّهم يَبْخَسُونَ المكيال والميزان وأموال الناس ثمّ يتداركون ذلك بالزكوات والصدقات من المال الحرام وقوله: «والسحت بالهدية» أي يأخذون الرشوة بالحكم ويسمونها الهدية.

٢٥٨ - **مع:** ابن الوليد عن محمّد بن أبي القاسم عن محمّد بن عليّ الصّيرفي عن محمد ابن سنان عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله في حديث طويل يقول في آخره: إنّ رسول الله ﷺ قال لأم سلمة رضي الله عنها: يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة.

يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب وزيري في الدّنيا ووزيري في الآخرة. يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لواء الحمد غداً في القيامة. يا أمّ سلمة: اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي. يا أُمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغُرّ المحجّلين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. ثم قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان(٢).

٢٥٩ - **ير:** محمد بن الحسين، عن النضر بن شعيب، عن خالد بن زياد القلانسي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

جاء رجل إلى عليّ عليه السلام وهو على منبره فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي أتكلّم بما سمعت من عمّار بن ياسر يرويه عن رسول الله قال: اتّقوا الله ولا تكذبوا على عمار.

فلمّا قال الرجل ذلك ثلاث مرّات قال له عليّ عليه السلام تكلم. قال: سمعت عمّاراً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أقاتل على التنزيل وعليّ يقاتل على التأويل. قال: صدق وربّ الكعبة إنّ هذه عندي في الألف الكلمة [التي] تتبع كلّ كلمة ألف كلمة(٣).

---

(١) أمالي المفيد، ص ١٧٧ مجلس ٤٣، أمالي الطوسي، ص ٦٥ مجلس ٣ ح ٩٦.

(٢) معاني الأخبار، ص ١٩٥. (٣) بصائر الدرجات، ص ٢٩٢ ج ٦ باب ١٨ ح ٥.

٢٦٠ - **شا:** روى اسماعيل بن علي العمي عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر عن جابر ابن يزيد عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عن أبيه عليه السلام قال: انقطع شسع نعل النبيّ صلى الله عليه وآله فدفعها إلى عليّ عليه السلام يصلحها ثمّ مشى في نعل واحدة غلوة أو نحوها وأقبل على أصحابه وقال: إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل. فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ فقال: لا. فقال عمر: أنا [ذاك] يا رسول الله؟ قال: لا فأمسك القوم ونظر بعضهم إلى بعض فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ولكنّه خاصف النعل وأومأ بيده إلى عليّ عليه السلام وانه يقاتل على التأويل إذا تركت سنّتي ونبذت وحرّف كتاب الله وتكلم في الدّين من ليس له في ذلك فيقاتلهم عليّ على إحياء دين الله تعالى(١).

٢٦١ - **قب:** أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري مثله إلى قوله خاصف النعل(٢).

٢٦٢ - **قب:** صحيح الترمذي أنّ النبيّ قال يوم الحديبية لسهيل بن عمرو وقد سأله ردّ جماعة فروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم على الدين امتحن الله قلبه بالإيمان قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل. وكان أعطى عليّاً عليه السلام نعله يخصفها(٣).

٢٦٣ - **يف:** من مسند أحمد لتنتهنّ معشر قريش أو ليبعثن الله عليكم. وذكر مثله. ثم قال ورووه في الجمع بين الصحاح الستة في الجزء الثالث من سنن أبي داود وصحيح الترمذي(٤).

٢٦٤ - **قب:** الخطيب في التاريخ والسمعاني في الفضائل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تنتهنّ يا معشر قريش حتّى يبعث الله رجلاً امتحن [الله] قلبه بالإيمان، الحديث سواءاً.

وروى ابن بطّة في الإبانة حديث خاصف النعل بسبعة طرق منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنه خاصف النعل [قال أبو سعيد:] فابتدرنا ننظر فإذا هو عليّ عليه السلام يخصف نعل رسول الله(٥).

٢٦٥ - **كشف:** [عن] البغوي في شرح السنّة عن أبي سعيد مثله(٦).

٢٦٦ - **قب:** وكاتبني الخطيب في الأربعين بإسناده عن الخدري ما رويناه بأسانيد عن جابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله انقطع شسع نعله فدفعها إلى عليّ عليه السلام ليصلحها فقال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. [فاستشرف لها القوم فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو؟ قال: لا ولكن هو خاصف النّعل

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٦٥. (٢) - (٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٤٤.
(٤) الطرائف لابن طاووس، ج ١ ص ١٠٧ ح ٨٣.
(٥) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٤٤. (٦) كشف الغمة، ج ١ ص ١٢٣.

يعني علياً] قال أبو سعيد: فخرجت فبشرته بما قال رسول الله ﷺ فلم يكترث به فرحاً كأنّه سمعه.

ذكره أحمد في الفضائل والبخاريّ ومسلم ولفظه لمسلم: عن الخدري قال: [قال] رسول الله ﷺ [تفرق أمّتي] فرقتان فيخرج من بينهما فرقة ثالثة يلي قتلهم أولاهم بالحق(١).

٢٦٧ - **قب**: أبو يعلى الموصلي والخطيب التاريخي وأبو بكر بن مردويه بطرق كثيرة عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

عبدوس بن عبد الله الهمداني وأبو بكر بن فورك الإصفهاني وشيرويه الديلميّ والموفق الخوارزمي وأبو بكر بن مردويه في كتبهم عن الخدري في خبر قال: فقال عليّ: يا رسول الله على ما أقاتل القوم؟ قال: على الإحداث في الدين.

وفي رواية أنه قال: فأين الحقّ يومئذ؟ قال: يا عليّ الحقّ معك وأنت معه قال: إذاً لا أبالي ما أصابني.

شيرويه في الفردوس عن وهب بن صيفي وروى غيره عن زيد بن أرقم قالا: قال النبيّ ﷺ: أنا أقاتل على التنزيل وعليّ يقاتل على التأويل(٢).

٢٦٨ - **جا**: أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن أبي جميلة عن ابن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بلغ رسول الله عن قوم من قريش أنّهم قالوا: يرى محمّد أنّه قد أحكم الأمر في أهل بيته؟! ولئن مات لنعزلنها عنهم ولنجعلنّها في سواهم!!! فخرج رسول الله ﷺ حتى قام في مجمعهم ثم قال: يا معشر قريش كيف بكم وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف؟ فنزل عليه جبرئيل عليه السلام في الحال. فقال: يا محمّد إنّ ربك يقرئك السّلام ويقول لك: قل إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب. فقال رسول الله: إن شاء الله أو عليّ بن أبي طالب يتولّى ذلك منكم(٣).

٢٦٩ - **كشف**: قال ابن طلحة: قال البغوي في شرح السنّة: عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أُمّ سلمة فجاءه عليّ عليه السلام فقال رسول الله: يا أُمّ سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي.

وعن زرّ أنّه سمع علياً عليه السلام يقول: أنا فقأت عين الفتنة [و] لولا أنا ما قتل أهل النهروان وأهل الجمل ولولا أنّني أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً ضلالهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه(٤).

٢٧٠ - **جش**: محمّد بن جعفر عن أحمد بن محمد بن سعيد عن أحمد بن يوسف عن عليّ

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٤٤. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ١٨.
(٣) الأمالي للمفيد، ص ٧٣ مجلس ٣. (٤) كشف الغمة، ج ١ ص ١٢٩.

ابن الحسن بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين عن اسماعيل بن الحكم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو نائم أو يوحى إليه وإذا حيّة في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه فاضطجعت بينه وبين الحية حتى إن كان منها سوء يكون لي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١) ثم قال: الحمد لله الذي أكمل لعليّ مِنّتَهُ وهنيئاً لعليّ بتفضيل الله إيّاه ثم التفت فرآني إلى جانبه فقال: ما أضجعك ها هنا يا أبا رافع؟ فأخبرته خبر الحيّة فقال: قم إليها فاقتلها فقتلتها.

ثم أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون علياً وهو على الحقّ وهم على الباطل يكون في حق الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم فبقلبه فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء.

فقلت: [يا رسول الله] ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله ويقوّيني على قتالهم فقال: اللّهم إن أدركهم فقوّه وأعنه. ثمّ خرج إلى الناس فقال: يا أيّها الناس من أحبّ أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي فهذا أبو رافع أميني على نفسي.

قال عون بن عبيد الله بن أبي رافع فلمّا بويع عليّ عليه السلام وخالفه معاوية بالشام وسار طلحة والزبير إلى البصرة قال أبو رافع: هذا قول رسول الله ﷺ: «سيقاتل علياً قوم يكون حقاً في الله جهادهم» فباع أرضه بخيبر وداره ثم خرج مع عليّ عليه السلام وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة وقال: الحمد لله لقد أصبحت ولا أحد بمنزلتي لقد بايعت البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرّضوان وصلّيت القبلتين وهاجرت الهجر الثلاث. قلت: وما الهجر الثلاث؟ قال: هاجرت مع جعفر بن أبي طالب رحمة الله عليه إلى أرض الحبشة وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وهذه الهجرة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى الكوفة.

فلم يزل مع عليّ حتى استشهد عليّ فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن عليه السلام ولا دار له بها ولا أرض فقسم له الحسن دار عليّ بنصفين وأعطاه سنخ أرض أقطعه إياها فباعها عبيد الله ابن أبي رافع من معاوية بمائة ألف وسبعين ألفاً(٢).

٢٧١ - لى: أبي عن الحميري عن هارون بن زياد عن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ: إنّ في النار لمدينة يقال لها الحصينة أفلا تسألوني ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥. (٢) رجال النجاشي، ص ٣.

(٣) لم نجده في كمال الدين ولكنه في الخصال، ص ٢٩٦ باب ٥ ح ٦٥.

٢٧٢ - **كافية:** المفيد عن إبراهيم بن عمر عن أبيه عن الأجلح عن عمران قال: قال حذيفة: من أراد منكم أن يقاتل شيعة الدجّال فليقاتل أهل الناكثين وأهل النهروان(١).

٢٧٣ - **أقول:** قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: روى إبراهيم بن ديزيل الهمداني في كتاب صفين عن يحيى بن سليمان عن يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنيّة، عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه ومحمد بن الفضيل عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء، عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطع شسع نعله فألقاها إلى عليّ عليه السلام يصلحها ثم قال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. فقال عمر بن الخطّاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنّه ذاكم خاصف النعل.

قال: وكان يَدُ عليّ عليه السلام على نعل النبيّ صلى الله عليه وآله يصلحها.

قال أبو سعيد فأتيت عليّاً فبشّرته بذلك فلم يحفل به كأنّه شيء قد كان علمه من قبل.

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضاً عن يحيى بن سليمان عن ابن فضيل عن إبراهيم بن الهجري عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فأهدت له الأزد جزراً فبعثوها معي فدخلت إليه فسلّمت عليه وقلت له: يا أبا أيّوب قد كرّمك الله بصحبة نبيّه صلى الله عليه وآله ونزوله عليك فما لي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرّة وهؤلاء مرّة؟

قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه وعهد إلينا أن نقاتل مع عليّ المارقين ولم أرهم بعد(٢).

٢٧٤ - وأيضاً قال ابن أبي الحديد: روى كثير من المحدثين عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين. قال: فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله وهم مخالفون للسنّة. فقلت: يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر. فقلت: يا رسول الله إنّك كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يعجّلها لي بين يديك. قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟ أما إنّي وعدتك بالشهادة وتستشهد يضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر!! قال: أجل أصبت فأعدّ للخصومة فإنّك مخاصم. فقلت: يا رسول الله لو بيّنت لي قليلاً فقال: إنّ أُمّتي ستفتن من بعدي فتتأوّل القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا

---

(١) الكافية للمفيد، ص ٤٣ الفصل الثالث. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ١٤٣.

بالبيع وتحرّف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن حلس بيتك حتى تقلّدها فإذا قلّدتها جاشت عليك الصّدور وقلّبت لك الأمور تقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى. فقلت: يا رسول الله فبأي المنازل أُنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟ فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟ فقال: بل منّا، بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ألّف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلّف بين القلوب بعد الفتنة. فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله(١).

وقال عند قوله عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وفسقت آخرون» ما هذا لفظه: فأمّا الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل، وأما الطائفة القاسطة فأصحاب صفّين وسمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله القاسطين، وأمّا الطائفة المارقة فأصحاب النهروان.

وأشرنا نحن بقولنا: سمّاهم رسول الله القاسطين إلى قوله: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين» وهذا الخبر من دلائل نبوّته صلوات الله عليه، لأنّه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الأخبار المجملة.

وصدّق قوله عليه السلام: «والمارقين» قوله أوّلاً في الخوارج: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

وصدق قوله: الناكثين كونهم نكثوا البيعة بادئ بدء وقد كان يتلو وقت مبايعتهم «ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه» وأما أصحاب الصّفين فإنّهم عند أصحابنا مخلّدون في النار لفسقهم فصحّ فيهم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(٢).

٢٧٥ - **كنز الكراجكي:** عن القاضي أسد بن إبراهيم السلمي - وكان من المخالفين المعاندين - عن محمّد بن أحمد الحنظلي عن عبد الله بن أحمد بن عامر عن محمّد بن يونس عن أحمد بن مضا عن محمّد بن يعقوب ومعاذ بن حكيم عن عبد الرزّاق عن معمّر عن الزهري عن عوف بن مالك المازني: عن ابن عبّاس قال: رأيت أبا ذرّ الغفاري متعلّقاً بحلقة بيت الله الحرام وهو يقول: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته باسمي أنا جندب الربذي أبو ذرّ الغفاري إنّي رأيت رسول الله في العام الماضي وهو آخذ بهذه الحلقة وهو يقول: أيّها الناس لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار وصلّيتم حتّى تكونوا كالحنايا ودعوتم حتّى تقطّعوا إرباً إرباً ثم أبغضتم عليّ بن أبي طالب أكبّكم الله في النّار.

[ثمّ قال:] قم يا أبا الحسن فضع خمسك في خمسي - يعني كفّك في كفّي - فإن الله اختارني وإياك من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها فمن قطع فرعها أكبّه الله على وجهه في النار.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٩ ص ١٣٩. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ١٥٥.

[ثم قال: عليّ سيّد المرسلين وإمام المتّقين يقتل الناكثين والمارقين الجاحدين. عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي(١).

٢٧٦ - **يف:** روى محمود الخوارزمي في كتاب الفائق في الأصول في باب «قال» وقال: يعني النبيّ ﷺ في ذكر بيان معجزاته يعني معجزات النبيّ ﷺ قال: وقال يعني النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: «ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

[ثمّ قال محمود الخوارزمي: فـ] قاتل [عليّ] طلحة والزبير بعدما نكثا بيعته وقاتل معاوية وقومه وهم القاسطون أي الظّالمون، وقاتل الخوارج وهم المارقون. هذا لفظ الخوارزمي.

ومن ذلك ما رواه الخوارزمي محمود في كتاب الفائق المذكور في باب ذكر سائر معجزاته عليه السلام من قصة ذي الثدية الذي قتل مع الخوارج. وقد رواه الحميدي في الحديث الرابع من المتفّق عليه من مسند أبي سعيد الخدري في حديث ذي الثدية وأصحابه الذين قتلهم عليّ بن أبي طالب بالنهروان قال: قال رسول الله ﷺ: تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحقّ.

وفي رواية الأوزاعي في صفة ذي الثدية: إنّ إحدى ثدييه مثل البيضة تدورت يخرجون على خير فرقة [من] المسلمين.

قال أبو سعيد الخدري: فأشهد أنّي سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرّجل فالتمس فوجد فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

قال صاحب الطرائف: هذا لفظ ما رواه الحميدي في حديثه.

ومن ذلك ما رواه الخوارزمي في كتاب الفائق أيضاً في باب ذكر سائر معجزاته عليه السلام قال: وقال يعني النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: ألا أخبرك بأشقى الناس رجلان أحيمر ثمود من يضربك يا عليّ على هذا ووضع يده على قرنه فيبتل منه هذه وأخذ بلحيته فكان كما أخبر.

هذا لفظ الخوارزمي. وأحيمر ثمود: عاقر ناقة صالح، وقاتل عليّ عليه السلام [هو] عبد الرحمن بن ملجم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(٢).

٢٧٧ - **كنز:** محمّد بن العبّاس عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن حسن بن فرات عن مصبح بن الهلقام العجلي عن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن زرّ بن حُبَيْش عن حذيفة قال في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ يعني بعليّ بن أبي طالب عليه السلام(٣).

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ج ٢ ص ١٨٠.
(٢) الطرائف لابن طاووس، ص ١٤٩ ج ١ ح ١٥٤-١٥٦.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٤٢ في تأويل الآية ٤١ من سورة الزخرف.

٢٧٨ -**كنز:** محمد بن العبّاس عن أحمد بن محمّد بن موسى النوفليّ عن عيسى بن مهران عن يحيى بن حسن بن فرات بإسناده إلى حرب بن أبي الأسود الدّئلي عن عمّه أنّه قال: إنّ النبي ﷺ لمّا نزل [عليه قوله تعالى]: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [قال:] أي بعليّ كذلك حدّثني جبرئيل(١).

٢٧٩ -**كنز:** محمد بن العبّاس عن عبد العزيز بن يحيى عن المغيرة بن محمّد عن عبد الغفّار بن محمد عن منصور بن أبي الأسود عن زياد بن المنذر:

عن عدي بن ثابت قال: سمعت ابن عبّاس يقول: ما حسدت قريش عليّاً عليه السلام بشيء مما سبق له أشدّ مما وجدت [عليه] يوماً ونحن عند رسول الله ﷺ فقال: كيف أنتم معشر قريش لو قد كفرتم من بعدي فرأيتموني في كتيبة أضرب وجوهكم بالسيف فهبط عليه جبرئيل فقال: قل إن شاء الله أو عليّ فقال: إن شاء الله أو علي(٢).

٢٨٠ -**كنز:** محمّد بن العبّاس عن الحسين بن أحمد عن محمّد بن عيسى عن يونس عن عبد الرّحمن بن سالم: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ قال: والله انتقم بعليّ عليه السلام يوم البصرة وهو الذي وعد الله رسوله(٣).

٢٨١ -**كنز:** محمد بن العبّاس عن عليّ بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد عن عليّ بن هلال عن محمّد بن الربيع قال: قرأت على يوسف الأزرق حتّى انتهيت في الزخرف إلى قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ فقال: يا محمّد أمسك فأمسكت فقال يوسف: قرأت على الأعمش فلما انتهيت إلى هذه الآية قال: يا يوسف أتدري فيمن نزلت؟ قلت: الله أعلم قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب: «فإما نذهبن بك فإنا منهم بعليّ منتقمون» محيت والله من القرآن واختلست والله من القرآن(٤).

٢٨٢ -**كنز:** محمد بن العبّاس عن ابن عقدة عن محمّد بن أحمد عن المنذر بن جعفر بن الحكم عن أبيه عن منصور بن المعتمر: عن ربعي بن حراش قال: خطبنا عليّ في الرّحبة ثم قال: إنّه لمّا كان في زمان الحديبية خرج إلى رسول الله ﷺ أناس من قريش من أشراف أهل مكّة فيهم سهيل بن عمرو فقالوا: يا محمّد أنت جارنا وحليفنا وابن عمّنا ولقد لحق بك أناس من آبائنا وإخواننا وأقاربنا ليس بهم التفقه في الدين ولا رغبة فيما عندك ولكن إنّما خرجوا فراراً من ضياعنا وأعمالنا وأموالنا فارددهم علينا.

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فقال له: انظر فيما يقولون؟ فقال: صدقوا يا رسول الله وأنت جارهم فارددهم عليهم. قال: ثمّ دعا عمر فقال مثل قول أبي بكر فقال رسول الله عند ذلك لا تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للتقوى يضرب

(١) - (٤) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٤٣.

رقابكم على الدّين. فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. فقام عمر فقال: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنّه خاصف النعل. و[أنا] كنت أخصف نعل رسول الله ﷺ قال: ثم التفت إلينا عليّ عليه السلام فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار(١).

٢٨٣ - **أقول:** روى في المستدرك من كتاب فضائل الصحابة للسمعاني بإسناده إلى ربعي مثله.

٢٨٤ - **مد:** بإسناده إلى أحمد بن حنبل من مسنده بإسناده إلى ابن عبّاس أنّ عليّاً كان يقول في حياة رسول الله: إن الله عزّ وجلّ قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ولئن مات أو قتل لأقاتلنّ على ما قاتل [عليه] حتّى أموت، والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارثه ومن أحقّ به منّي(٢).

٢٨٥ - **مد:** من الجزء الثاني من كتاب الشريعة تصنيف الشيخ أبي بكر محمد بن الحسين تلميذ أبي بكر ولد أبي داود السجستاني عن عبد الله بن محمد بن ناجية عن أحمد بن يحيى الصوفي عن حسين بن حسن الأشقر عن سابح عن عليّ بن الحكم العبدي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة بن قيس والأسود بن يزيد قالا: أتينا أبا أيّوب الأنصاري فقلنا له: إنّ الله تبارك وتعالى أكرمك بمحمّد إذ أوحى إلى راحلته فبرك على بابك فكان رسول الله ﷺ ضيفك فضلك الله عزّ وجلّ بها ثم خرجت تقاتل مع عليّ بن أبي طالب؟!

فقال أبو أيّوب: مرحباً بكما وأهلاً إنني أقسم لكما بالله لقد كان رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام جالس عن يمينه وأنا قائم بين يديه إذ حرّك الباب فقال رسول الله ﷺ: يا أنس أنظر من بالباب؟ فخرج ونظر ورجع وقال: هذا عمّار بن ياسر قال: قال أبو أيّوب: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أنس افتح لعمّار الطيّب المطيّب ففتح أنس الباب فدخل عمّار فسلّم على رسول الله ﷺ فرد عليه ورحّب به وقال: يا عمّار إنّه سيكون في أُمّتي بعد هنات واختلاف حتى يختلف السّيف بينهم حتّى يقتل بعضهم بعضاً وتتبرّأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني يعني عليّاً فإن سلك [الناس] كلهم وادياً وعليّ وادياً فاسلك وادي عليّ وخلّ الناس طراً يا عمّار إنه لا يزيلك عن هُدى.

يا عمّار إن طاعة عليّ لمن طاعتي وطاعتي من طاعة الله عزّ وجلّ(٣).

٢٨٦ - ٢٨٧ - **أقول:** وروى في المستدرك من كتاب حلية الأولياء بإسناده عن المنهال بن عمرو عن زر أنّه سمع عليّاً يقول: أنا فقأت عين الفتنة [و] لولا أنا ما قوتل أهل النهروان

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٨٣ في تأويل الآية ٣ من سورة الحجرات.
(٢) العمدة، ص ٨٤. (٣) العمدة، ص ٢٣٥.

وأهل الجمل ولولا أنني أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم ﷺ لمن قاتلهم مبصراً بضلالتهم عارفاً بالهدى الّذي نحن عليه.

وبإسناده عن ربعي بن حراش قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالمدائن فقال: جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال: اردد علينا أبناءنا وأرقّاءنا فإنّما خرجوا تعوّذاً بالإسلام. فقال النبي ﷺ: لا تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم على الدّين.

٨٨ - ومن كتاب فضائل الصّحابة للسّمعاني بإسناده عن أبي الزبير عن جابر قال: لمّا أنزلت على النبيّ ﷺ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ قال بعليّ بن أبي طالب.

أقول: قد مرّ بعض الأخبار في باب شكايته عليه السلام.

٨ - باب باب حكم من حارب علياً أمير المؤمنين صلوات الله عليه

٢٨٩ - **ن:** الحسين بن أحمد البيهقي عن محمّد بن يحيى الصولي عن عون بن محمّد عن سهل بن القاسم قال: سمع الرضا عليه السلام بعض أصحابه يقول: لعن الله من حارب أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قل إلاّ من تاب وأصلح. ثم قال له: ذنب من تخلّف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثمّ تاب[1].

٢٩٠ - **ما:** المفيد عن عليّ بن بلال عن محمّد بن الحسين بن حميد اللّحمي عن سليمان ابن الربيع عن نصر بن مزاحم، قال عليّ بن بلال: وحدّثني عليّ بن عبد الله بن أسد الإصفهاني عن الثقفي عن محمّد بن عليّ عن نصر بن مزاحم عن يحيى بن يعلى الأسلمي عن عليّ بن الحزور عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصّلاة واحدة والحجّ واحد فبم نسمّيهم؟ قال: بما سمّاهم الله تعالى في كتابه فقال: ما كلّ ما في كتاب الله أعلمه. فقال: أما سمعت الله تعالى يقول في كتابه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[2] فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله عزّ وجلّ وبدينه وبالنبي ﷺ وبالكتاب وبالحق فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا وشاء الله منّا قتالهم فقاتلناهم بمشيّته وإرادته[3].

٢٩١ - **جا:** علي بن بلال مثله[4].

٢٩٢ - **قب:** اختلفوا في محاربة عليّ عليه السلام فقالت الزيدية ومن المعتزلة النظام وبشر بن

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٩٤ باب ٣٢ ح ٣٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٣) أمالي الطوسي، ص ١٩٧ مجلس ٧ ح ٣٣٧. (٤) أمالي المفيد، ص ٦٧ مجلس ١٢.

المعتمر ومن المرجئة أبو حنيفة وأبو يوسف وبشر المريسي ومن قال بقولهم: إنّه كان مصيباً في حروبه بعد النبيّ ﷺ وإنّ من قاتله عليه السلام كان على خطأ.

وقال أبو بكر الباقلاني وابن إدريس: من نازع علياً عليه السلام في خلافته فهو باغ.

وفي تلخيص الشافي: إنّه قالت الإمامية: من حارب أمير المؤمنين كان كافراً يدل عليه إجماع الفرقة وأن من حاربه كان منكراً لإمامته ودافعاً لها ودفع الإمامة كفر كما أنّ دفع النبوة كفر لأنّ الجهل بهما على حدّ واحد.

وقوله عليه السلام «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» وميتة الجاهلية لا تكون إلاّ على كفر. وقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ولا تجب عداوة أحد بالإطلاق دون الفسّاق.

ومن حاربه كان يستحلّ دمه ويتقرّب إلى الله بذلك واستحلال دم المؤمن كفر بالإجماع وهو أعظم من استحلال جرعة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق فكيف استحلال دم الإمام.

وروى عنه المخالف والمؤلف: «يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي» ومعلوم أنّه عليه السلام إنّما أراد أن أحكام حربك تماثل أحكام حربي ولم يرد أن أحد الحربين هو الآخر لأنّ المعلوم خلاف ذلك وإذا كان حرب النبي كفراً وجب مثل ذلك في حربه.

[وروى] أبو عيسى في جامعه والسمعاني في كتابه وابن ماجة في سننه وأحمد في المسند والفضائل وابن بطّة في الإبانة وشيرويه في الفردوس والسدي في التفسير والقاضي المحاملي كلّهم عن زيد بن أرقم.

وروى الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة وأبو الجحاف عن مسلم بن صبيح كلّهم عن النبيّ ﷺ أنّه نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم.

تاريخ الطبري وأربعين ابن المؤذّن قالا: روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم.

ابن مسعود قال: [قال النبيّ] ﷺ له: عاديت من عاداك وسالمت من سالمك.

الخركوشي في اللوامع [قال] قال النبيّ ﷺ من قاتلني في الأولى وقاتل أهل بيتي في الثانية فأولئك شيعة الدجّال(١).

٢٩٣ - **قب:** عن أبي جعفر عليه السلام أنّه ذكر الّذين حاربهم عليّ عليه السلام فقال: أما إنهم أعظم جرماً ممّن حارب رسول الله ﷺ!! قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: أولئك كانوا أهل جاهلية وهؤلاء قرأوا القرآن وعرفوا أهل الفضل فأتوا ما أتوا بعد البصيرة(٢).

---

(١) - (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ١٧-١٨.

٢٩٤ - **فر:** الحسن بن عليّ بن بزيع معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام يا معشر المسلمين قاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون ثم قال: هؤلاء القوم هم وربّ الكعبة يعني أهل صِفّين والبصرة والخوارج[1].

٢٩٥ - **فر:** الحسين بن سعيد معنعناً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ثم قال: أصحاب الجنّة من أطاعني وسلّم لعليّ الولاية بعدي وأصحاب النار من نقض البيعة والعهد وقاتل علياً بعدي ألا إنّ علياً بضعة منّي فمن حاربه فقد حاربني.

ثم دعا علياً فقال: يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي وأنت العلم فيما بيني وبين أمّتي[2].

٢٩٦ - **كا:** محمّد بن يحيى عن ابن عيسى عن محمّد بن خالد والحسين [بن] سعيد معاً عن النضر عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان:

عن ضريس قال: تمارى الناس عند أبي جعفر عليه السلام فقال بعضهم: حرب عليّ شر من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله!!! وقال بعضهم: حرب رسول الله صلى الله عليه وآله شر من حرب عليّ عليه السلام.

قال: فسمعهم أبو جعفر عليه السلام فقال: ما تقولون؟ فقالوا أصلحك الله تمارينا في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حرب عليّ عليه السلام فقال بعضنا: حرب عليّ شرّ من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال بعضنا: حرب رسول الله صلى الله عليه وآله شرّ من حرب عليّ عليه السلام!!!

فقال أبو جعفر عليه السلام: لا بل حرب عليّ أشر من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: جعلت فداك أحرب عليّ شر من حرب رسول الله؟ قال: نعم وسأخبرك عن ذلك إنّ حرب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقروا بالإسلام وإنّ حرب عليّ عليه السلام أقرّوا بالإسلام ثم جحدوه[3].

٢٩٧ - **ب:** ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه أنّ علياً عليه السلام كان يقول لأهل حربه: إنّا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم نقاتلهم على التكفير لنا ولكنّا رأينا أنّا على حق ورأوا أنّهم على حق[4].

٢٩٨ - **ب:** بالإسناد قال: إنّ علياً لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكنّه كان يقول: هم أخواننا بغوا علينا[5].

٢٩٩ - **ما:** المفيد عن أبي عبد الله المرزباني قال: وجدت بخطّ محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني الحمدوني الشاعر قال: سمعت الرياشي ينشد للسّيد بن محمّد الحميري:

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٦٣ ح ٢٠٤.
(٢) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٤٧٧ ح ٦٢٣.
(٣) روضة الكافي، ص ٧٩٠ ح ٣٥٣.
(٤) - (٥) قرب الإسناد، ص ٩٣ ح ٣١٣ و٣١٨.

إن امـرءاً خـصـمـه أبـو حـسـن لـعـازب الـرأي داحـض الـحـجـج
لا يـقـبـل الله مـنـه مـعـذرة ولا يـلـقـنـه حـجـة الـفـلـج[1]

٣٠٠ - ٣٠٣ - **كا:** بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ نصب علياً عليه السلام عَلَماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن جهله كان ضالاً ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ومن جاء بولايته دخل الجنة.

وعن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ علياً عليه السلام باب فتحه الله فمن دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله [تبارك و] تعالى: [لي] فيهم المشية[2].

وعن أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول نحن الذين فرض الله طاعتنا لا يسع الناس إلاّ معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا من عرفنا كان مؤمناً ومن أنكرنا كان كافراً ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الّذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء.

وعن محمد بن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال حبّنا إيمان وبغضنا كفر[3].

٣٠٤ - ٣٠٦ - وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: روى نصر بن مزاحم عن أبي عبد الرحمن المسعودي عن يوسف بن الأرقم عن عوف بن عبد الله عن عمرو بن هند عن أبيه قال: لمّا نظر عليّ عليه السلام إلى أصحاب معاوية وأهل الشام قال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً رجعوا إلى عداوتهم لنا إلاّ أنّهم لم يتركوا الصلاة.

وعن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين قال رجل لعمّار: يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله: قاتلوا الناس حتى يسلموا فإذا أسلموا عصموا منّي دماءهم وأموالهم؟ قال: بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً.

وعن حبيب عن منذر الثوري قال: قال محمّد ابن الحنفية لما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله من أعلى الوادي ومن أسفله وملأ الأودية كتائب يعني يوم فتح مكة استسلموا حتى وجدوا أعواناً[4].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٢٩ مجلس ٨ ح ٤٠٥.
(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦١ باب فيه نتف وجوامع ح ٨.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ١٠٦ باب فرض طاعة الأئمة ح ١١-١٢.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٦١.

٣٠٧ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي بإسناده عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فارقني فقد فارق الله ومن فارق علياً فقد فارقني(١).

٣٠٨ - ٣١٧ - الكافية في إبطال توبة الخاطئة عن صالح بن أبي الأسود عن كثير النّواء قال: سألت أبا جعفر عن محاربي أمير المؤمنين صلوات الله عليه أقتلهم وهم مؤمنون؟ قال: إذا كان يكون والله أضلّ من بغلي هذا.

وعن محمّد بن يحيى عن أبي الجارود عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: الشاك في حرب عليّ عليه السلام كالشاك في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن صالح بن أبي الأسود عن أخيه أسيد بن أبي الأسود قال: سألت عبد الله بن الحسن عن محاربي أمير المؤمنين صلوات الله عليه؟ فقال: ضلال. فقلت ضلال مؤمنون؟ قال: لا. ولا كرامة إنّما هذا قول المرجئة الخبيثة.

وعن يوسف بن كليب المسعودي قال: حدّثنا أبو مالك عن عبد الله بن عطاء عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: قال عليّ صلوات الله عليه لعن أهل الجمل. فقال رجل: يا أمير المؤمنين إلاّ من كان منهم مؤمناً!! فقال عليه السلام: ويلك ما كان فيهم مؤمن.

ثم قال أبو جعفر: لو أنّ علياً قتل مؤمناً واحداً لكان شرّاً عندي من حماري هذا وأومأ بيده إلى حمار بين يديه. وعن زياد بن المنذر عن عطية عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: الشاك في حرب عليّ كالشاك في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن يونس بن أرقم عن الحسين بن دينار عن الحسن البصري قال: حدثني من سمع طلحة يوم الجمل - حيث أصابه السهم ورأى الناس قد انهزموا - أقبل على رجل فقال: ما أرانا بقية يومنا إلاّ كفاراً. وعن إبراهيم بن عمر قال: حدّثني أبي عن بكر بن عيسى قال: قال الزبير يوم الجمل لمولى له: ما أرانا بقية يومنا إلاّ كفّاراً.

وعن مصعب بن سلام عن موسى بن مطير عن أبيه عن أمّ حكيم بنت عبد الرحمان بن أبي بكر قال: لمّا نزل بعائشة الموت قلت لها يا أمّتاه ندفنك في البيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ - وقد كان فيه موضع قبر تدخره لنفسها - قالت: لا ألا تعلمون حيث سرت ادفنوني مع صواحبي فلست خيرهنّ.

وعن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عائشة أنّها قالت: ادفنوني مع أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله فإني قد أحدثت بعده حدثاً(٢).

تـذييل: اعلم أنّه اختلف في أحكام البغاة في مقامين:

الأوّل: في كفرهم فذهب أصحابنا إلى كفرهم قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد: محاربو عليّ كفرة ومخالفوه فسقة.

---

(١) الغارات للثقفي، ص ٥٢١.
(٢) الكافية للمفيد، ص ٤٠.

أقول: ولعلّ مراده أن مخالفيه في الحرب والذين لم ينصروه فسقة كما يومئ إليه بعض كلماته فيما بعد. وذهب الشافعي إلى أن الباغي ليس باسم ذمّ بل هو اسم من اجتهد فأخطأ بمنزلة من خالف الفقهاء في بعض المسائل.

وقال شارح المقاصد: والمخالفون لعليّ عليه السلام بغاة لخروجهم على إمام الحق بشبهة من ترك القصاص من قتلة عثمان.

ولقوله صلى الله عليه وآله لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية» وقد قتل يوم صفّين على يد أهل الشام.

ولقول عليّ عليه السلام: «إخواننا بغوا علينا».

وليسوا كفّاراً ولا فسقة وظلمة لما لهم من التأويل وإن كان باطلاً فغاية الأمر أنّهم أخطأوا في الاجتهاد وذلك لا يوجب التفسيق فضلاً عن التكفير.

وذهبت المعتزلة إلى أنّه اسم ذمّ ويسمّونهم فسّاقاً.

أقول: والدلائل على ما ذهب إليه أصحابنا أكثر من أن تحصى وقد مضت الأخبار الدالة عليه وسيأتي في أبواب حبّ أمير المؤمنين عليه السلام وبغضه وأبواب مناقبه وإيرادها هنا يوجب التكرار فبعضها صريح في كفر مبغض أهل البيت عليهم السلام ولا ريب في أنّ الباغي مبغض.

وبعضها يدلّ على كفر من أنكر إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأبغضه.

وبعضها يدلّ على أنّ الجاحد له عليه السلام من أهل النار ولو عبد الله منذ خلق السمّاوات والأرضين في أشرف الأماكن وظاهر أن المؤمن مع تلك العبادة لا يكون من أهل النّار.

وبعضها يدلّ على كفر من لم يعرف إمام زمانه، وذلك ممّا اتفقت عليه كلمة الفريقين والبغي لا يجامع في الغالب معرفة الإمام ولو فرض باغ على الإمام لأمر دنيوي من غير بغض له ولا إنكار لإمامته فهو كافر أيضاً لعدم القائل بالفرق.

ثم إن الظاهر أن قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1] لا يتعلّق بقتال البغاة بالمعنى المعروف لما عرفت من كفرهم، وإطلاق المؤمن عليهم باعتبار ما كانوا عليه بعيد.

وظاهر الآية الآتية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2] بقاء المذكورين في الآية السابقة على الإيمان ولعلّه السّر في خلّو أكثر الأخبار عن الاحتجاج بهذه الآية في هذا المقام فتكون الآية مسوقة لبيان حكم طائفتين من المؤمنين تَعَدّى وبغت إحداهما على الأخرى لأمر دنيوي أو غيرهما مما لا يؤدي إلى الكفر.

[المقام] الثاني: فيما اغتنمه المسلمون من أموال البغاة فذهب بعض الأصحاب إلى أنّه

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٨. (٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

لا يقسم أموالهم مطلقاً. وذهب بعضهم إلى قسمة ما حواه العسكر دون غيره من أموالهم وتمسّك الفريقان بسيرته عليه السلام في أهل البصرة.

قال الأوّلون: لو جاز الاغتنام لم يردّ عليه السلام عليهم أموالهم وقد روي أنّه عليه السلام نادى من وجد ماله فله أخذه. فكان الرجل منهم يمرّ بمسلم يطبخ في قدره فيسأله أن يصبر حتى ينضج فلا يصبر فيكفأها ويأخذها وأنه كان يعطي من القوم من له بيّنة، ومن لم يكن له بيّنة فَيُحَلِّفُهُ ويعطيه.

وقال الآخرون: لولا جوازه لما قسم عليه السلام أموالهم أوّلاً بين المقاتلة وقد كان ردّها عليهم بعد ذلك على سبيل المنّ لا الاستحقاق كما مَنّ النبيّ صلى الله عليه وآله على كثير من المشركين وقد رووا عنه عليه السلام أنّه قال: «مننت على أهل البصرة كما منّ النبيّ صلى الله عليه وآله على أهل مكّة» ولذا ذهب بعض أصحابنا إلى جواز استرقاقهم كما جاز للرسول صلى الله عليه وآله في أهل مكّة والمشهور [بين علمائنا] عدمه.

والذي نفهم من الأخبار أنّهم واقعاً في حكم المشركين وغنائمهم وسبيهم في حكم غنائم المشركين وسبيهم، والقائم عليه السلام يجري تلك الأحكام عليهم ولمّا علم أمير المؤمنين عليه السلام استيلاء المخالفين على شيعته لم يجر هذه الأحكام عليهم لئلاّ يجروها على شيعته وكذا الحكم بطهارتهم وجواز مناكحتهم وحلّ ذبيحتهم لاضطرار معاشرة الشيعة معهم في دولة المخالفين. ويدلّ عليه ما رواه الكلينيّ بإسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لسيرة عليّ عليه السلام يوم البصرة كانت خيراً لشيعته مما طلعت عليه الشمس إنّه علم أن للقوم دولة فلو سباهم لسبيت شيعته.

قلت: فأخبرني عن القائم عليه السلام أيسير بسيرته؟ قال: لا إنّ علياً عليه السلام سار فيهم بالمنّ للعلم من دولتهم وإنّ القائم عليه السلام يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنّه لا دولة لهم.

وأمّا ما لم يحوها العسكر من أموالهم فنقلوا الإجماع على عدم جواز تملّكها وكذلك ما حواه العسكر إذا رجعوا إلى طاعة الإمام وإنّما الخلاف فيما حواه العسكر مع إصرارهم.

وأمّا مدبرهم وجريحهم وأسيرهم فذو الفئة منهم يُتْبَع ويجهز عليه ويقتل بخلاف غيره.

وقد مضت الأخبار في ذلك وسيأتي في باب سيره عليه السلام في حروبه.

تكملة: قال الشيخ قدس الله روحه في تلخيص الشافي عندنا أنّ من حارب أمير المؤمنين عليه السلام وضرب وجهه ووجه أصحابه بالسيف كافر والدليل المعتمد في ذلك إجماع الفرقة المحقة الإمامية على ذلك فإنهم لا يختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال وقد دللنا على أنّ إجماعهم حجّة فيما تقدّم.

وأيضاً فنحن نعلم أنّ من حاربه كان منكراً لإمامته ودافعاً لها ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوّة كفر لأن الجهل بهما على حد واحد وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات مِيتَةً جاهليّة» وميتة الجاهلية لا تكون إلاّ على كفر.

وأيضاً روي عنه ﷺ أنّه قال: «حربك يا عليّ حربي وسلمك يا عليّ سلمي» ومعلوم أنّه إنّما أراد أحكام حربك تماثل أحكام حربي ولم يرد أن أحد الحربين هي الأُخرى لأنّ المعلوم ضرورة خلاف ذلك، فإن كان حرب النبيّ ﷺ كفراً وجب مثل ذلك في حرب أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه جعله مثل حربه. ويدلّ على ذلك أيضاً قوله ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ونحن نعلم أنه لا يجب عداوة أحد بالإطلاق إلاّ عداوة الكفار.

وأيضاً فنحن نعلم أن من كان يقاتله يستحلّ دمه ويتقرب إلى الله بذلك واستحلال دم امرئ مسلم مؤمن كفر بالإجماع وهو أعظم من استحلال جرعة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق.

فإن قيل لو كانوا كفّاراً لوجب أن يسير فيهم بسيرة الكفّار فيتبع مولّيهم ويُجْهِزَ على جريحهم ويسبي ذراريهم فلمّا لم يفعل ذلك دلّ على أنّهم لم يكونوا كفّاراً.

قلنا: لا يجب بالتساوي في الكفر التساوي في جميع أحكامه لأنّ أحكام الكفر مختلفة فحكم الحربي خلاف حكم الذمّي وحكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له من عبّاد الأصنام فإن أهل الكتاب يؤخذ منهم الجِزْية ويقرّون على أديانهم ولا يفعل ذلك بعبّاد الأصنام. وعند من خالفنا من الفقهاء يجوز التزوّج بأهل الذمّة وإن لم يجز ذلك في غيرهم، وحكم المرتدّ بخلاف حكم الجميع. وإذا كان أحكام الكفر مختلفة مع الاتّفاق في كونه كفراً لا يمتنع أن يكون من حاربه عليه السلام كافراً وإن سار فيهم بخلاف أحكام الكفّار.

وأمّا المعتزلة وكثير من المنصفين من غيرهم فيقولون بفسق من حاربه عليه السلام ونكث بيعته ومَرَقَ عن طاعته و[لكنّهم] إنّما يدّعون أنّهم تابوا بعد ذلك ويرجعون في ادّعاء توبتهم إلى أمور غير مقطوع بها ولا معلومة، من أخبار الآحاد. والمعصية [منهم] معلومة مقطوع عليها وليس يجوز الرجوع عن المعلوم إلاّ بمعلوم مثله(١).

٣١٨ - ٣٢٦ - وقد روى الواقدي بإسناده أن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فتح البصرة كتب إلى أهل الكوفة بالفتح:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإن الله حكم عدل لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال.

[وإنّي] أخبركم عنا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن تأشّب إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهم صَفْقَةَ أيمانهم وتنكبهم عن الحقّ فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبرهم حين ساروا إليها في جماعتهم وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف حتّى قدمت ذاقار فبعثتُ الحسن بن عليّ وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد فاستنفرتكم بحق الله وحقّ

(١) تلخيص الشافي، ج ٣ ص ١٣٥.

رسوله فأقبل إليّ إخوانكم سراعاً حتى قدموا عليّ فسرت بهم حتّى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وقدمت بالحجّة وأقلت العثرة والزلّة واستتبتهم من نكثهم بيعتي وعهد الله عليهم فأبوا إلاّ قتالي وقتال من معي والتمادي في الغيّ فناهضتهم بالجهاد في سبيل الله، فَقَتَلَ الله من قتل منهم ناكثاً وولّى من ولّى إلى مصرهم فسألوني ما دعوتهم إليه قبل القتال فقبلت منهم وأغمدت السيف عنهم وأخذت بالعفو عنهم وأجريت الحق والسنّة بينهم واستعملت عبد الله بن عباس على البصرة وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه وليخبركم عنّي وعنهم وردّهم الحقّ علينا فردّهم الله وهم كارهون والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى سنة ست وثلاثين.

فكيف يكون طلحة والزبير تائبين وقد صرّح [أمير المؤمنين عليه السلام] بأنّهما تماديا في الغيّ حتّى قتلا ناكِثَيْن؟!

وقد روى أبو مخنف لوط بن يحيى هذا الكتاب بخلاف هذه الألفاظ وروى في جملته بعد حمد الله والثناء عليه وذكر بغي القوم ونكثهم:

وحاكمناهم إلى الله فأدالنا عليهم فقتل طلحة والزبير وقد تقدّمت إليهما بالمعذرة وأبلغت إليهما في النّصيحة واستشهدت عليهما صلحاء الأمّة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين. ولاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها عالم جمّ وضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا؛ فما كانت ناقة الحجر بأشأم عليهم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت من الحوب الكبير في معصية ربّها ونبيّها واغترارها في تفريق المسلمين وسفك دماء المسلمين بلا بيّنة ولا معذرة ولا حجّة ظاهرة. فلمّا هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ولا تكشف عورة ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلاّ بإذن وآمنت الناس. وقد استشهد منّا رجال صالحون ضاعف الله حسناتهم ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصّادقين الصّالحين الصابرين.

و ليتعمّق المنصفون في هذا البيان ليتجلّى لهم أنّه ليست هذه أوصاف من تاب وقبض على الطهارة والإنابة(١).

وفي تفريقه عليه السلام في الخبر بين قتلاه وقتلاهم ووصف من قتل من عسكره بالشهادة دون من قتل منهم ثمّ في دعائه لقتلى عسكره دون طلحة والزبير دلالة على ما قلناه؛ ولو كانا مضيا تائبين لكانا أحقّ النّاس بالوصف بالشهادة والترحم والدعاء.

و [أيضاً] قد روى الواقدي أيضاً كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل المدينة [وهو أيضاً] يتضمّن مثل معاني كتابه إلى أهل الكوفة وقريباً من ألفاظه ووصفهم بأنّهم قتلوا على النكث والبغي ولولا الإطالة لذكرناه بعينه.

---

(١) كتاب الجمل، ص ٤٠٣.

و [أيضاً] روى الواقدي أنّ ابن جرموز لمّا قتل الزبير نزل فاجتزّ رأسه وأخذ سيفه ثم أقبل حتى وقف على باب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أنا رسول الأحنف فتلا عليه هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ فقال: هذا رأس الزبير وسيفه وأنا قاتله. فتناول أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وقال: «طال ما جلاّ به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء».

ولو كان تائباً ما كان مصرعه مصرع سوء لا سيّما وقد قتله غادراً به وهذه شهادة لو كان تائباً مقلعاً عمّا كان عليه.

و [قد] روى الشعبيّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ألا إنّ أئمّة الكفر في الإسلام خمسه طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعريّ!!

و[أيضاً] قد روى مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود.

و [قد] روى نوح بن درّاج عن محمّد بن مسلم عن حبّة العُرَني قال: سمعت علياً عليه السلام حين برز أهل الجمل وهو يقول: والله لقد علمت صاحبة الهودج أن أهل الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى.

وقد روي هذا المعنى بهذا اللفظ أو بقريب منه من طرق مختلفة.

و [قد] روى البلاذري في تاريخه بإسناده عن جويرية بن أسماء أنّه قال: بلغني أن الزبير حين ولّى ولم يكن بسط يده بسيف اعترضه عمّار بن ياسر بالرمح وقال: أين يا أبا عبد الله والله ما كنت بجبان ولكنّي أحسبك شككت؟ قال: هو ذاك ومضى حتى نزل بوادي السباع فقتله ابن جرموز.

واعترافه بالشكّ يدلّ على خلاف التوبة لأنّه لو كان تائباً لقال له في الجواب: ما شككت بل تحقّقت أنّك وصاحبك على الحق وأنا على الباطل وقد ندمت على ما كان منّي وأيّ توبة لشاكّ غير متحقق. فهذه الأخبار وما شاكلها تعارض أخبارهم لو كان لها ظاهر يشهد بالتوبة وإذا تعارضت الأخبار في التوبة والإصرار سقط الجميع وتمسّكنا بما كنا عليه من أحكام فسقهم وعظيم ذنبهم.

وليس لهم أن يقولوا: إنّ كلّ ما رويتموه من طريق الآحاد وذلك أن جميع أخبارهم بهذه المثابة وكثير مما رويناه أظهر مما رووه وأفشى فإن كان من طريق الآحاد فالأمران سيان.

وأمّا توبة طلحة فالأمر فيها أضيق على المخالف من الكلام في توبة الزبير لأن طلحة قتل بين الصّفين وهو مباشر للحرب مجتهد فيها ولم يرجع عنها حتّى أصابه السّهم فأتى على نفسه. وادّعاء توبة مثل هذا مكابرة.

فإن قيل: أليس قد روي أن أمير المؤمنين لما جاءه ابن جرموز برأس الزبير قال: «بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار» فلو لم يكن تائباً لما استحقّ النار بقتله.

قيل لهم: إنّ ابن جرموز غدر بالزبير وقتله بعد أن أعطاه الأمان وكان قتله على وجه الغيلة

والمكر وهذه منه معصية لا شبهة فيها وقد تظاهر الخبر بما ذكرناه حتّى روي أنّ عاتكة بنت زيد ابن عمرو بن نفيل وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر فخلف عليها عمر ثم الزبير قالت في ذلك:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبّهته لوجدته لا طائشاً رعش اللسان ولا اليد

فإنّما استحقّ ابن جرموز النّار بقتله إيّاه غدراً لا لأن المقتول في الجنّة.

وهذا الجواب يتضمن الكلام على قولهم: إنّ بشارته بالنار مع الإضافة إلى قتل الزبير يدلّ على أنّه إنّما استحقّ النار بقتله لأنّا قد بيّنا في الجواب أنّه من حيث قتله غدراً استحقّ النار.

وقد قيل في هذا الخبر إن ابن جرموز كان من جملة الخوارج الخارجين على أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد كان أخبره بحالهم ودلّه على جماعة منهم بأعيانهم وأوصافهم فلمّا جاءه برأس الزبير أشفق أمير المؤمنين من أن يظنّ به لعظيم ما فعله الخير ويقطع له على سلامة العاقبة ويكون قتله الزبير شبهة فيما يصير إليه من الخارجية قطع عليه بالنار لتزول الشبهة في أمره وليعلم أن هذا الفعل الذي فعله لا يساوي شيئاً مع ما يرتكبه في المستقبل.

وجرى ذلك مجرى شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله على رجل من الأنصار يقال له: قزمان أبلى في يوم «أحُد» بلاءاً شديداً وقتل بيده جماعة [فبشّره النبيّ صلى الله عليه وآله] بالنار فعجب من ذلك السامعون حتى كشفوا عن أمره فوجدوا أنّه لما حمل جريحاً إلى منزله ووجد ألم الجراح قتل نفسه بمشقص. وإنّما شهد النبيّ صلى الله عليه وآله بالنار عليه عقيب بلائه للوجه الذي ذكرناه.

والّذي يدلّ على أنّ بشارته بالنار لم تكن لكون الزبير تائباً مقلعاً بل لبعض ما ذكرناه هو أنّه لو كان الأمر كما ادّعوه لأقاده أمير المؤمنين عليه السلام به ولما طل دمه وفي عدوله عليه السلام من ذلك دلالة على ما ذكرناه.

فأمّا طلحة فقد بيّنا أنّه تضيق إقامة العذر له لأنّه قتل في المعركة في حال التوبة فيها بعيدة وظاهر الحال الإصرار. وليس لأحد أن يقول: إنّه روي عنه أنّه قال بعدما أصابه السهم:

ندمت ندامة الكسعيّ لمّا رأت عيناه ما صنعت يداه

لأنّ هذا بعيد من الصواب والبيت المروي بأن يدلّ على خلاف التوبة أولى لأنّه جعل ندامته مثل ندامة الكسعي وخبر الكسعي معروف لأنّه ندم بحيث لا ينفعه الندم وحيث فاته الأمر وخرج عن يده ولو كان ندم طلحة واقعاً على وجه التوبة الصحيحة لم يكن مثل ندامة الكسعي بل كان شبيهاً لندامة من تلافى ما فرّط فيه على وجه ينتفع به.

وروى حسين الأشقر عن يوسف البزاز عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين بطلحة وهو صريع فقال: أقعدوه. فأقعد[وه] فقال: لقد كانت لك سابقة لكن دخل الشيطان في منخريك فأدخلك النّار.

ثم روى عن معاوية بن هشام عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن إبراهيم مولى قريش أنّ علياً عليه السلام مرّ بطلحة قتيلاً يوم الجمل.

وساق الحديث في التكلم معه ومع كعب بن سور مثل ما مرّ.

ثم قال رحمه الله - بعد إيراد أسئلة وأجوبة تركناها حذراً من الإطناب -: فإن قيل قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «عشرة من أصحابي في الجنّة» يدلّ على أنّهما تابا لأنهما من جملتهم بلا شك.

قيل لهم: قد بيّنا فيما تقدّم الكلام على بطلان هذا الخبر حيث تعلّقوا به في فضائل أبي بكر وقلنا: إنّه لا يجوز أن يعلم الله مكلّفاً ليس بمعصوم من الذنوب بأن عاقبته الجنّة لأن ذلك يغريه بالقبيح وليس يمكن أحداً ادّعاء عصمة التسعة ولو لم يكن إلاّ ما وقع من طلحة والزبير من الكبيرة لكفى.

وقد ذكرنا أنّ هذا الخبر لو كان صحيحاً لاحتجّ به أبو بكر لنفسه واحتجّ له به في [يوم] السقيفة وغيرها وكذلك عمر وعثمان.

وممّا يبين أيضاً بطلانه إمساك طلحة والزبير عن الاحتجاج به لمّا دعوا الناس إلى نصرتهما واستنفارهم إلى الحرب معهما وأيّ فضيلة أعظم وأفخم من الشهادة لهما بالجنّة وكيف يعدلان مع العلم والحاجة عن ذكره إلاّ لأنّه باطل.

ويمكن أن يسلّم مسلّم هذا الخبر ويحمله على الاستحقاق في الحال لا العاقبة فكأنّه أراد أنّهم يدخلون الجنّة إن وافوا بما هم عليه الآن ويكون الفائدة في الخبر إعلامنا بأنّهم يستحقون الثواب في الحال.

وأمّا الكلام في توبة عائشة فما بيّناه من الطرق الثلاث في توبة طلحة والزبير هي معتمدة فيما يدّعونه من توبة عائشة.

أوّلها: أنّ جميع ما يروونه من الأخبار لا يمكن ادّعاء العلم فيها ولا القطع على صحّتها وأحسن الأحوال فيها أن يوجب الظن وقد بيّنا أنّ المعلوم لا يرجع عنه بالمظنون.

والثّاني: أنّها معارضة بأخبار تزيد على ما رووه في القوّة أو تساويه.

فمن ذلك ما رواه الواقدي بإسناده عن شعبة عن ابن عبّاس قال: أرسلني عليّ عليه السلام إلى عائشة بعد الهزيمة وهي في دار الخزاعيين فأمرها أن ترجع إلى بلادها.

وساق الحديث نحواً مما مرّ برواية الكشي إلى قوله: فبكت مرّة أُخرى أشدّ من بكائها الأوّل ثم قالت: والله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن. ثم ساق الحديث إلى آخره ثم قال: فإن قيل: ففي هذا الخبر دليل على التوبة وهي قولها عقيب بكائها: لئن لم يغفر الله لنا لنهلكنّ.

قلنا قد كشف الأمر ما عقّبت هذا الكلام به من اعترافها ببغض أمير المؤمنين عليه السلام وبغض أصحابه المؤمنين وقد أوجب الله عليها محبّتهم وتعظيمهم وهذا دليل على الإصرار وأن بكاءها إنّما كان للخيبة لا للتوبة وما كان في قولها: «لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن» من دليل

التوبة وقد يقول المصرّ مثل ذلك إذا كان عارفاً بخطئه فيما ارتكبه وليس كلّ من ارتكب ذنباً يعتقد أنّه حسن حتّى لا يكون خائفاً من العقاب عليه وأكثر مرتكبي الذّنوب يخافون العقاب مع الإصرار ويظهر منهم مثل ما حكي عن عائشة ولا يكون توبة.

وروى الواقدي بإسناده أنّ عماراً رحمة الله عليه استأذن على عائشة بالبصرة بعد الفتح فأذنت له فدخل فقال: يا أمّه كيف رأيت صنع الله حين جمع بين الحقّ والباطل ألم يظهر الله الحقّ على الباطل ويزهق الباطل؟ فقالت: إنّ الحروب دول وسجال وقد أديل على رسول الله ﷺ ولكن انظر يا عمار كيف تكون في عاقبة أمرك.

وروى الطبري في تاريخه أنّه لما انتهى إلى عائشة قتل أمير المؤمنين عليه السلام قالت:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه نعي ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إنّي أنسى فإذا نسيت فذكّروني!!

وهذه سخرية منها بزينب وتمويه خوفاً من شناعتها ومعلوم أنّ الناسي والساهي لا يتمثّل بالشعر في الأغراض المطابقة ولم يكن ذلك منها إلاّ عن قصد ومعرفة وروي عن ابن عبّاس أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام - لما أبت عائشة الرجوع إلى المدينة -: أرى أن تدعها يا أمير المؤمنين بالبصرة ولا ترحلها. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّها لا تألو شرّاً ولكنّي أردّها إلى بيتها الذي تركها فيه رسول الله ﷺ فإنّ الله بالغ أمره.

وروى محمد بن إسحاق عن جنادة أنّ عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرّض النّاس على أمير المؤمنين عليه السلام وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن أبي البختري تحرضهم عليه صلوات الله عليه.

وروي عن مسروق أنّه قال: دخلت على عائشة فجلست إليها فحدّثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له عبد الرحمٰن فجاء حتّى وقف فقال: يا مسروق أتدري لم سمّيته عبد الرّحمان؟ فقلت: لا. فقالت حبّاً منّي لعبد الرّحمان بن ملجم.

فأمّا قصّتها في دفن الحسن عليه السلام فمشهورة حتّى قال لها عبد الله بن عبّاس: يوماً على بغل؟!! ويوماً على جمل؟!! فقالت: أوما نسيتم يوم الجمل يا ابن عبّاس إنكم لذوو أحقاد؟!

ولو ذهبنا إلى تقصّي ما روي عنها من الكلام الغليظ الشديد الدّال على بقاء العداوة واستمرار الحقد والضغينة لأطلنا وأكثرنا. و[أمّا] ما روي عنها من التلهّف والتحسر على ما صدر عنها فلا يدلّ على التوبة إذ يجوز أن يكون ذلك من حيث خابت عن طلبتها ولم تظفر ببُغْيَتِها مع الذلّ الذي لحقها وألحقها العار في الدنيا والإثم في الآخرة.

بيان: قال الجوهري: عرد الرّجل تعريداً: فرّ.

وقال: كُسَع حيّ من اليمن ومنه قولهم: «ندامة الكسعي» وهو رجل ربّى نَبْعَةً حتى أخذ منه قوساً فرمى الوحش عنها ليلاً فأصابت وظنّ أنّه أخطأ فكسر القوس. فلمّا أصبح رأى ما أصمى من الصيد فندم قال الشاعر:

ندمت ندامة الكسعي لمّا رأت عيناه ما صنعت يداه

٩ - باب باب احتجاجات الأئمة عليهم السلام وأصحابهم
على الذين أنكروا على أمير المؤمنين صلوات الله عليه حروبه

٣٢٧ - **ج:** جاء رجل من أهل البصرة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: يا عليّ بن الحسين إنّ جدّك عليّ بن أبي طالب قتل المؤمنين.

فهملت عين عليّ بن الحسين دموعاً حتّى امتلأت كفه منها ثم ضرب بها على الحصى ثم قال: يا أخا أهل البصرة لا والله ما قتل عليّ مؤمناً ولا قتل مسلماً!!! وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام فلمّا وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه.

وقد علمت صاحبة الجمل والمستحفظون من آل محمّد أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لُعِنوا على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى.

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا عليّ بن الحسين إنّ جدك كان يقول: إخواننا بغوا علينا!! فقال عليّ بن الحسين أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ فهم مثلهم أنجى الله عزّ وجلّ هوداً والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم[١].

٣٢٨ - **ج:** روي أنّ سالماً دخل على أبي جعفر عليه السلام فقال: جئت أكلّمك في أمر هذا الرّجل قال: أيّما رجل؟ قال: عليّ بن أبي طالب قال: في أيّ أموره؟ قال في إحداثه قال أبو جعفر عليه السلام: انظر ما استقرّ عندك ممّا جاءت به الرواة عن آبائهم قال: ثمّ نسبهم ثم قال: يا سالم أبلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سعد بن معاذ براية الأنصار إلى خيبر فرجع منهزماً ثمّ بعث عمر بن الخطّاب براية المهاجرين فأتى بسعد جريحاً وجاء عمر يجبّن أصحابه ويجبّنونه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هكذا تفعل المهاجرون والأنصار حتّى قالها ثلاثاً ثم قال: لأعطين الراية رجلاً ليس بفرّار يحبّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله؟ قال: نعم وقال القوم جميعاً أيضاً. فقال أبو جعفر: يا سالم إن قلت إن الله أحبّه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت وإن قلت إنّ الله عزّ وجلّ أحبّه وهو يعلم ما هو صانع فأيّ حدث ترى؟ فقال: فأعد عليّ فأعاد عليه فقال: يا سالم عبدت الله على ضلالة سبعين سنة[٢].

---

(١) الاحتجاج، ص ٣١٠. (٢) الاحتجاج، ص ٣٢٨.

بيان: [قوله:] «فقال يا سالم» أي [فقال] سالم مخاطباً لنفسه، أو [قال] الإمام مخاطباً له. والأوّل أظهر ويؤيّده أنّ في بعض النسخ: فقال سالم [...].

٣٢٩ - **شي:** عن يحيى بن المساور الهمداني عن أبيه قال جاء رجل من أهل الشام إلى علي بن الحسين فقال: أنت عليّ بن الحسين؟ قال: نعم. قال: أبوك الذي قتل المؤمنين؟ فبكى عليّ بن الحسين ثم مسح عينيه فقال: ويلك كيف قطعت على أبي أنّه قتل المؤمنين؟ قال لقوله: «إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم» فقال: ويلك أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أفكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم؟ قال له الرجل: لا بل في عشيرتهم قال عليه السلام: فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم قال: فرّجت عنّي فرّج الله عنك[1].

٣٣٠ - **ع:** ابن الوليد عن الصفّار عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علوان عن الأعمش عن عباية الأسدي قال:

كان عبد الله بن العبّاس جالساً على شفير زمزم يحدّث الناس فلمّا فرغ من حديثه أتاه رجل فسلّم عليه ثم قال: يا عبد الله إنّي رجل من أهل الشام فقال: أعوان كلّ ظالم إلا من عصم الله منكم سل عمّا بدا لك. فقال: يا عبد الله بن عبّاس إني جئتك أسألك عمّن قتله عليّ بن أبي طالب من أهل لا إله إلاّ الله لم يكفروا بصلاة ولا بحجّ ولا بصوم شهر رمضان ولا بزكاة!! فقال له عبد الله: ثكلتك أمّك سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك فقال: ما جئتك أضرب إليك من حمص للحجّ ولا للعُمرة ولكنّي أتيتك لتشرح لي أمر عليّ بن أبي طالب وفعاله. فقال له: ويلك إنّ علم العالم صعب لا تحتمله ولا تقرّ به قلوب الصّديّة!!!

أخبرك أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان مثله في هذه الأُمّة كمثل موسى والعالم عليه السلام وذلك أنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وكان موسى يرى أنّ جميع الأشياء قد أثبتت له كما ترون أنتم أنّ علماءكم قد أثبتوا جميع الأشياء فلمّا انتهى موسى إلى ساحل البحر فلقي العالم فاستنطق بموسى ليصل علمه - ولم يحسده كما حسدتم أنتم عليّ بن أبي طالب وأنكرتم فضله - فقال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[3] فعلم العالم أنّ موسى لا يطيق بصحبته ولا يصبر على علمه فقال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[4] فعلم العالم أن موسى لا يصبر على علمه فقال: ﴿فَإِنِ

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣ ح ٥٣ من سورة الأعراف.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤. (٣) سورة الكهف، الآية: ٦٦.
(٤) سورة الكهف، الآيات: ٦٧-٦٩ و٧٠.

أتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1] قال: فركبا في السفينة فخرقها العالم فكان خرقها لله عزّ وجلّ رضى وسخطاً لموسى ولقي الغلام فقتله فكان قتله لله عزّ وجلّ رضاً وسخط ذلك موسى وأقام الجدار فكان إقامته لله عزّ وجلّ رضى وسخط موسى ذلك.

كذلك كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يقتل إلاّ من كان قتله لله عزّ وجلّ رضى ولأهل الجهالة من الناس سخطاً اجلس حتى أخبرك. إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله تزوّج زينب بنت جَحْش فأولم فكانت وليمته الحيس وكان يدعو عشرة فكانوا إذا أصابوا طعام رسول الله صلّى الله عليه وآله استأنسوا إلى حديثه واستغنموا النظر إلى وجهه وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يشتهي أن يخفّوا عنه فيخلّوا له المنزل لأنّه حديث عهد بعرس وكان يكره أذى المؤمنين فأنزل الله عزّ وجلّ فيه قرآناً أدباً للمؤمنين وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[2] فلما نزلت هذه الآية كان الناس إذا أصابوا طعام نبيّهم صلّى الله عليه وآله لم يلبثوا أن يخرجوا.

قال: فلبث رسول الله صلّى الله عليه وآله سبعة أيّام ولياليهنّ عند زينب بنت جحش ثم تحوّل إلى بيت أُمّ سلمة بنت أبي أُميّة وكان ليلتها وصبيحة يومها من رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: فلمّا تعالى النهار انتهى عليّ عليه السلام إلى الباب فدقّه دقّاً خفيفاً له عرف رسول الله دقّه وأنكرته أُمّ سلمة فقال: يا أُمّ سلمة قومي فافتحي له الباب. فقالت: يا رسول الله من هذا الّذي يبلغ من خطره أن أقوم له فأفتح له الباب؟ وقد نزل فينا بالأمس ما قد نزل من قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[3] فمن هذا الذي بلغ من خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟ قال: فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله كهيئة المغضب: من يطع الرسول فقد أطاع الله قومي فافتحي له الباب فإنّ بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالعجول في أمره يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله وليس بفاتح الباب حتّى يتوارى عنه الوطء.

فقامت أُمّ سلمة وهي لا تدري من بالباب غير أنّها قد حفظت النعت والمدح فمشت نحو الباب وهي تقول بخ بخ لرجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ففتحت له.

قال: فأمسك [عليّ] بعضادتي الباب ولم يزل قائماً حتى خفي عنه الوطء ودخلت أُمّ سلمة خدرها ففتح الباب ودخل فسلّم على رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فقال رسول الله: يا أُمّ سلمة أتعرفينه؟ قالت: نعم وهنيئاً له هذا عليّ بن أبي طالب.

فقال: صدقت يا أُمّ سلمة هذا عليّ بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٧-٦٩ و٧٠. (٢) - (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

يا أُمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وهو عيبة علمي وبابي الذي أُوتى منه وهو الوصيّ بعدي على الأموات من أهل بيتي والخليفة على الأحياء من أُمّتي وأخي في الدنيا والآخرة وهو معي في السنام الأعلى.

اشهدي يا أُمّ سلمة واحفظي أنّه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. فقال الشامي: فرجت عنّي يا عبد الله وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب مولاي ومولى كل مسلم(١).

٣٣١ - **شف:** من كتاب أحمد بن محمد الطبري عن أحمد بن هشام عن محمد بن نسيم القرشي عن الحسن بن الحسين عن يحيى بن يعلى عن الأعمش. قال: وحدثني جعفر بن محمد الكوفي عن عبد الله بن داهر الرازي عن أبيه داهر بن يحيى عن الأعمش عن عباية عن ابن عبّاس مثله(٢).

٣٣٢ - **شف:** المظفّر بن جعفر عن محمّد بن عبد الله بن المطلب الشيباني عن محمّد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن داهر عن الأعمش عن عباية عن ابن عبّاس مثله(٣).

بيان: [قال ابن الأثير] في [مادّة «صدأ» من كتاب] النهاية: فيه: «إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» هو أن يركبها الرين بمباشرة المعاصي والآثام فيذهب بجلائه كما يعلو الصدأ وجه المرآة والسيف ونحوهما.

قوله: «فاستنطق بموسى» أي أنطقه الله بسبب موسى ليضلّ علم موسى في جنب علمه ويقرّ موسى بالجهل فلم يحسده موسى.

والحيس: تمر يخلط بسمن وأقط.

قوله: «وكان ليلتها» أي كان زمان التحول اللّيلة والصبيحة التي كانت نوبتها منه ﷺ.

قوله: «دقاً خفيفاً له» أي دقاً خفيفاً كان مختصاً به عليه السلام عرف بذلك أنّه هو الدّاق.

والخرق: ترك الرفق في الأمر. والنزق: الخفّة والطيش. والخدر بالكسر: ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت. وسنام كل شيء: أعلاه.

٣٣٣ - **جا، ما:** المفيد عن المراغي عن زيد بن الحسن الكوفي عن جعفر بن نجيح عن جندل بن والق، عن محمّد بن محمد بن عمر، عن زيد الأنصاري عن سعيد بن بشير عن قتادة: عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له ابن عبّاس: إنّ عليّ بن أبي طالب صلّى القبلتين وبايع البيعتين ولم يعبد صنماً ولا وثناً ولم يضرب على رأسه بزلم ولا قدح ولد على الفطرة [و] لم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا إنّما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتى

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٢ باب ٥٤ ح ٣. (٢) - (٣) كشف اليقين، ص ٢٢٣ المبحث السادس.

أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم.

فقال له ابن عبّاس: أعليّ أعلم عندك أم أنا؟ فقال: لو كان عليّ أعلم عندي منك ما سألتك!! قال: فغضب ابن عبّاس حتّى اشتدّ غضبه ثم قال: ثكلتك أمّك عليّ علّمني وكان علمه من رسول الله ﷺ ورسول الله علمه الله من فوق عرشه فعلم النبيّ ﷺ من علم الله وعلم عليّ من علم النبي، وعلمي من علم عليّ، وعلم أصحاب محمد كلّهم في علم عليّ كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر(١).

١٠ - باب باب خروجه صلوات الله عليه من البصرة وقدومه الكوفة إلى خروجه إلى الشام

٣٣٤ - **شا:** من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حين قدم الكوفة من البصرة بعد حمد الله تعالى والثناء عليه: أمّا بعد فالحمد لله الّذي نصر وليّه وخذل عدوّه وأعزّ الصادق المحقّ وأذلّ الكاذب المبطل عليكم يا أهل [هذا] المصر بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيّكم الّذي هم أولى بطاعتكم من المتحلين المدعين القائلين إلينا يتفضّلون بفضلنا ويجاحدونا أمرنا وينازعونا حقّنا ويدفعونا عنه، وقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيّاً.

قد قعد عن نصرتي منكم رجال وأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبونا ونرى منهم ما نحبّ(٢).

بيان: قال الجوهري: زريت عليه بالفتح إذا عتبت عليه. وقال: أعتبني فلان إذا عاد إلى مسرّتي راجعاً عن الإساءة.

٣٣٥ - **جا:** المرزباني عن محمّد بن موسى عن محمّد بن سهل عن هشام بن محمّد بن السائب عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن الحارث بن حصيرة:

عن عبد الرّحمٰن بن عبيد أبي الكنود قال: قدم أمير المؤمنين عن البصرة إلى الكوفة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب فأقبل حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد فالحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوّه وأعزّ الصّادق المحقّ وأذلّ الكاذب المبطل عليكم يا أهل هذا المصر بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ﷺ الّذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المتحلين المدّعين الغالين الذين يتفضّلون بفضلنا ويجاحدوناه وينازعونا حقّنا ويدفعونا عنه وقد ذاقوا وبال ما اجترموا فسوف يلقون

---

(١) أمالي المفيد، ص ١٤٦ مجلس ٢٧، أمالي الطوسي، ص ١١ مجلس ١ ح ١٤.
(٢) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٨.

غيّاً. إنّه قد قَعَدَ عن نصري رجال منكم فأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى.

قال: فقام إليه مالك بن حبيب التميمي ثم اليربوعي - وكان صاحب شرطته - فقال: والله إني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً والله لئن أمرتنا لنقتلنهم.

فقال له أمير المؤمنين يا مال جزت المدى وعدوت الحقّ وأغرقت في النزع!! فقال: يا أمير المؤمنين لبعض الغشم أبلغ في أمور تَنُوبُك من مهادنة الأعادي.

فقال أمير المؤمنين: ليس هكذا قضاء الله يا مال قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[1] فما بال بعض الغشم؟ وقال سبحانه: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[2].

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي - وكان عثمانياً تخلّف عنه يوم الجمل وحضر معه صفّين على ضعف نية في نصرته - فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير بم قتلوا؟

فقال أمير المؤمنين: قتلوا بما قتلوا شيعتي وعمّالي وبقتلهم أخا ربيعة العبدي رحمه الله في عصابة من المسلمين قالوا: لا ننكث البيعة كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم. فوثبوا عليهم فقتلوهم ظلماً وعدواناً فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني منهم لنقتلنّهم بهم ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا عليّ وقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء نحو ألف من شيعتي فقتلتهم بذلك أفي شك أنت من ذلك؟ فقال: قد كنت في شكّ فأمّا الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وأنّك أنت المهتدي المصيب.

ثم إنّ علياً تهيّأ لينزل فقام رجال ليتكلّموا فلمّا رأوه قد نزل جلسوا ولم يتكلّموا.

قال أبو الكنود: وكان أبو بردة مع حضوره صفين ينافق أمير المؤمنين عليه السلام ويكاتب معاوية سرّاً فلمّا ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة وكان عليه كريماً[3].

٣٣٦ - **الكافية**: في إبطال توبة الخاطئة: عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنّ أمير المؤمنين لما دنا إلى الكوفة مقبلاً من البصرة؛ خرج الناس مع قرظة بن كعب يتلقّونه فلقوه دون نهر النضر بن زياد فدنوا منه يهنّونه بالفتح وإنّه ليمسح العرق عن جبهته فقال له قرظة بن كعب: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أعزّ وليّك وأذلّ عدوّك ونصرك على القوم الباغين الطّاغين الظالمين.

فقال له عبد الله بن وهب الرّاسبي: إي والله إنّهم الباغون الظالمون الكافرون المشركون.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

(٣) أمالي المفيد، ص ٨٢ مجلس ١٥ ح ٥.

فقال له أمير المؤمنين: ثكلتك أمّك ما أقواك بالباطل وأجرأك على أن تقول ما لم تعلم أبطلت يا ابن السّوداء ليس القوم كما تقول لو كانوا مشركين سبينا وغنمنا أموالهم وما ناكحناهم ولا وارثناهم(١).

٣٣٧ - قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: دخل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد رجوعه من البصرة ومعه أشراف من أهل البصرة وغيرهم فاستقبلهم أهل الكوفة فيهم قرّاؤهم وأشرافهم فدعوا له وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل أتنزل القصر؟ قال: لا ولكن أنزل الرحبة فنزلها وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال:

أما بعد يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدّلوا أو تغيّروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيّرتم ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله فأما في الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممّن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه.

ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة ولكلّ واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة!!! اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

الحمد لله الّذي نصر وليّه وخذل عدوّه وأعزّ الصادق المحقّ وأذل الناكث المبطل.

عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيّكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المستحلّين المدّعين القائلين لنا يتفضّلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا وينازعوننا حقّنا ويباعدوننا عنه، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيّاً.

ألا إنّه قد قعد عن نصرتي رجال منكم وأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي وكان صاحب شرطته فقال: والله إني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً. إلى آخر ما مرّ برواية المفيد رحمه الله ثم قال:

قال نصر: ولمّا قدم عليّ عليه السلام الكوفة نزل على باب المسجد فدخل فصلّى ثم تحوّل فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة فقال قائل: استأثر الله به. فقال: إنّ الله تعالى لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه وإذلال خلقه وقرأ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾(٢).

قال نصر: فلمّا لحقه ثقله عليه السلام قالوا [له]: أتنزل القصر؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه!!

---

(١) الكافية، ص ٣١. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

قال: وأنّب عليه السلام جماعة ممّن أبطأوا عنه ولم يحضروا القتال وقال: ما بطأ بكم عنّي وأنتم أشراف قومكم؟ والله إن كان من ضعف النيّة وتقصير البصيرة فإنكم لبور، وإن كان من شكّ في فضلي ومظاهرة عليّ إنّكم لعدوّ. فقالوا: حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك وحَرْبُ عدوك ثم اعتذر القوم.

قال نصر: وأتمّ عليّ عليه السلام صلاته يوم دخل الكوفة فلمّا كانت الجمعة خطب الناس فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه، وأعوذ بالله من الضلالة، من يهدي الله فلا مضلّ له ومن يضلل الله فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله انتجبه لأمره واختصّه بنبوّته أكرم خلقه عليه وأحبّهم إليه فبلّغ رسالة ربّه ونصح لأمّته وأدّى الّذي عليه.

أوصيكم بتقوى الله فإنّ تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله وأقربه إلى رضوان الله وخيره في عواقب الأمور عند الله وبتقوى الله أُمرتم وللإحسان والطاعة خلقتم فاحذروا من الله ما حذّركم من نفسه فإنّه حذّر بأساً شديداً واخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له، ومن عمل لله مخلصاً تولّى الله ثوابه. وأشفقوا من عذاب الله فإنّه لم يخلقكم عبثاً ولم يترك [شيئاً] من أمركم سدى قد سمّى آثاركم وعلم أعمالكم وكتب آجالكم فلا تغترّوا بالدّنيا فإنّها غرّارة لأهلها، مغرور من اغترّ بها، وإلى فناء ما هي، وإنّ الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون.

أسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الأنبياء ومعيشة السعداء فإنّما نحن به وله.

قال نصر: ثم استعمل عليّ عليه السلام العمّال وفرّقهم في البلاد وكتب مع جرير بن عبد الله البجلي كتاباً إلى معاوية يدعوه إلى البيعة(١).

بيان: قال في النهاية: و[في] حديث ابن مسعود: إنّ قوماً بنوا مسجداً بظهر الكوفة فقال: جئت لأفسد مسجد الخبال أي الفساد.

أقول: أورده نصر في كتابه على وجه البسط ثم قال:

[و] بعث يزيد بن قيس الأرحبي على المدائن ومخنف بن سليم على إصبهان وهمذان وقرظة بن كعب على البهقباذات، وقدامة بن مظعون على كسكر وعدي بن حاتم على مدينة بهرسير وأُستانها وأبا حسان البكري على أُستان العالي وسعد بن مسعود الثقفي على آستان الزوابي وربعي بن كاس على سجستان - وكاس أمّه يعرف بها - وخليد إلى خراسان فسار خليد حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أنّ أهل خراسان قد كفروا ونزعوا يدهم من الطاعة وقدم عليهم عمّال كسرى من كابل فقاتل أهل نيسابور فهزمهم وحصر أهلها وبعث إلى عليّ عليه السلام بالفتح والسّبي.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٣.

ثم صمد لبنات كسرى فنزلن على أمان فبعث بهن إلى عليّ عليه السلام فلمّا قدمن عليه قال: أزوّجكنّ؟ قلن: لا إلاّ أن تزوّجنا ابنيك فإنّا لا نرى لنا كفواً غيرهما فقال عليّ عليه السلام: اذهبا حيث شئتما. فقام نرسا فقال: مر لي بهنّ فإنّها منك كرامة وبيني وبينهنّ قرابة. ففعل فأنزلهنّ نرسا معه وجعل يطعمهن ويسقيهنّ في الذهب والفضّة ويكسوهنّ كسوة الملوك ويبسط لهنّ الديباج.

وبعث الأشتر على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمد وهيت وعانات وما غلب عليه من تلك الأرضين من أرض الجزيرة. وبعث معاوية بن أبي سفيان الضحّاك بن قيس على ما في سلطانه من أرض الجزيرة وكان في يديه حرّان والرّقة والرها وقرقيسا وكان من كان بالكوفة وبالبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية.

فخرج الأشتر وهو يريد الضحّاك بحرّان فلمّا بلغ ذلك الضحّاك بعث إلى أهل الرقّة فأمدّوه وكان جلّ أهلها عثمانية فجاؤا وعليهم سماك بن مخرمة وأقبل الضحاك يستقبل الأشتر فالتقى الضحّاك وسماك بين حرّان والرقة ورحل الأشتر حتّى نزل عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كان عند المساء فرجع الضحّاك بمن معه فسار ليلته كلّها حتى أصبح بحرّان فدخلها وأصبح الأشتر فرأى ما صنعوا فتبعهم حتى نزل عليهم بحرّان فحصرهم وأتى الخبر معاوية فبعث إليهم عبد الرحمان بن خالد في خيل يغيثهم.

فلمّا بلغ ذلك الأشتر كتّب كتائبه وعبّأ جنوده وخيله ثمّ ناداهم الأشتر: ألا إنّ الحيّ عزيز ألا إنّ الذمار منيع ألا تنزلون أيها الثعالب الرواغة احتجرتم احتجار الضّباب فنادوا يا عباد الله أقيموا قليلاً؛ علمتم والله أن قد أُتيتم.

فمضى الأشتر حتى مرّ على أهل الرقّة فتحرّزوا منه، ثمّ مضى حتى مرّ على أهل قرقيسا فتحرّزوا منه وبلغ عبد الرحمان بن خالد انصراف الأشتر فانصرف[(١)].

٣٣٨ - وروى نصر أيضاً عن عبد الله بن كردم بن مرثد قال: لمّا قدم عليّ عليه السلام حشر إليه أهل السواد فلمّا اجتمعوا أذن لهم فلمّا رأى كثرتهم قال: إنّي لا أطيق كلامكم ولا أفقه عنكم فأسندوا أمركم إلى أرضاكم في أنفسكم وأعمّه نصيحة لكم.

قالوا: نرسا ما رضي فقد رضيناه وما سخط سخطنا [ه]. فتقدّم [نرسا] فجلس إليه فقال: يا نرسا أخبرني عن ملوك فارس كم كانوا؟ قال: كانت ملوكهم في هذه المملكة الآخرة اثنين وثلاثين ملكاً. قال: فكيف كانت سيرتهم!! قال: ما زالت سيرتهم في عظم أمرهم واحدة حتّى ملكنا كسرى بن هرمز فاستأثر بالمال والأعمال وخالف أوّلينا وأخرب الذي للناس وعمّر الذي له واستخفّ بالناس وأوغر نفوس فارس حتّى ثاروا إليه فقتلوه فأرملت نساؤه ويتم أولاده.

---

(١) وقعة صفين، ص ١١.

فقال: يا نرسا إنّ الله عزّوجلّ خلق الخلق بالحقّ ولا يرضى من أحد إلاّ بالحقّ وفي سلطان الله تذكرة ممّا خوّل الله وإنّها لا تقوم مملكة إلاّ بتدبير ولا بدّ من إمرة ولا يزال أمرنا متماسكاً ما لم يشتم آخرنا أوّلنا فإذا خالف آخرنا أوّلنا وأفسدوا هلكوا وأهلكوا. ثم أمّر عليهم أمراءهم. ثم إنّ عليّاً بعث إلى العمّال في الآفاق وكان أهمّ الوجُوه إليه الشام[1].

٣٣٩ - وروى عن محمد بن عبيد الله القرشي عن الجرجاني قال: لمّا بويع عليّ عليه السلام وكتب إلى العمال في الآفاق كتب إلى جرير بن عبد الله البجلي - وكان عاملاً لعثمان على ثغر هَمَدان - مع زَحْرِ بن قيس الجعفي: أمّا بعد فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال.

وإنّي أخبرك عمّن سرنا إليه من جموع طلحة والزبير عند نكثهم بيعتهم وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف أنّي هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتّى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن علي وعبدالله بن العبّاس وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفروهم فأجابوا فسرت بهم حتّى نزلت بظهر البصرة فأعذرت [في] الدعاء وأقلت العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلاّ قتالي فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل وولّوا مدبرين إلى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللّقاء فقبلت العافية ورفعت [عنهم] السّيف واستعملت عليهم عبد الله بن عبّاس وسرت إلى الكوفة وقد بعثت إليكم زحر بن قيس فاسأل عمّا بدا لك.

فلمّا قرأ جرير الكتاب قام فقال: يا أيّها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو المأمون على الدين والدنيا وقد كان من أمره وأمر عدوّه ما نحمد الله عليه وقد بايعه السّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والتّابعين بإحسان ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقّهم بها. ألا وإنّ البقاء في الجماعة، والفناء في الفرقة، وعليّ حاملكم على الحقّ ما استقمتم فإن ملتم أقام ميلكم.

فقال الناس: سمعاً وطاعةً رضينا رضينا فأجاب جرير وكتب جواب كتابه [بالطّاعة].

ثم قام زحر بن قيس خطيباً فكان ممّا حفظ من كلامه أن قال: الحمد لله الّذي اختار الحمد لنفسه وتولاّه دون خلقه لا شريك له في الحمد، ولا نظير له في المجد، ولا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، القائم الدائم، إله السماء والأرض، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ الواضح والكتاب الناطق داعياً إلى الخير وقائداً إلى الهدى.

ثم قال: أيّها الناس إنّ عليّاً كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلاّ رجيع من القول ولكن لا بدّ من ردّ الكلام إنّ الناس بايعوا عليّاً بالمدينة غير محاباة ببيعته لعلمه بكتاب الله وسنن الحقّ وإنّ

---

(١) وقعة صفين، ص ١٤.

طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث وألّبا عليه الناس ثم لم يرضيا حتّى نصبا له الحرب وأخرجا أمّ المؤمنين فلقيهما فأعذر في الدعاء وأحسن في البقية وحمل الناس على ما يعرفون هذا عيان ما غاب عنكم وإن سألتم الزيادة فزدناكم ولا قوة إلاّ بالله.

ثم ذكر أبياتاً من جرير وغيره تركناها روماً للاختصار.

قال: ثم أقبل جرير سائراً من ثغر هَمَدان حتّى ورد على عليّ عليه السلام بالكوفة فبايعه ودخل فيما دخل فيه [الناس] من طاعة علي واللزوم لأمره.

وقال نصر: أخبرنا محمد بن عبيد الله عن الجرجاني: قال لمّا بويع عليّ عليه السلام وكتب إلى العمّال كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني والأشعث على آذربيجان عامل لعثمان - وقد كان عمرو بن عثمان تزوّج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك - فكتب إليه عليّ عليه السلام -: أمّا بعد فلولا هنات كنّ فيك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل النّاس ولعلّ أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتّقيت الله.

ثمّ إنّه كان من بيعة الناس إيّاي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير ممّن بايعاني ثم نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا أمّ المؤمنين وصارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدّعاء وأحسنت في البقية.

وإنّ عملك ليس لك بطُعمة ولكنّه أمانة في يديك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتّى تسلّمه إليّ ولعلّي أن لا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت ولا قوّة إلاّ بالله.

فلما قرأ الكتاب قام زياد بن مرحب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيّها الناس إنّه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير إنّ أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر غير أنّ من سمع به ليس كمن عاينه إنّ الناس بايعوا عليّاً راضين به وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث ثمّ اذنا بحرب فأخرجا أمّ المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المؤمنين.

ثمّ قام الأشعث فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّ أمير المؤمنين عثمان ولاّني آذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس عليّاً وطاعتنا له [كطاعة من كان قبله] وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم، وعليّ المأمون على ما قد غاب عنّا وعنكم من ذلك الأمر. قال: فلما أتى منزله دعا أصحابه وقال: إنّ كتاب عليّ قد أوحشني وهو آخذ بمال آذربيجان وأنا لاحق بمعاوية فقال القوم: الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذَنَباً لأهل الشام؟ فاستحيا [الأشعث] فسار حتّى قدم على عليّ عليه السلام.

قال: وإنّه قدم على عليّ عليه السلام بعد قدوم الكوفة الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة وحارثة بن زيد وزيد بن جبلة وأعين بن ضبيعة وعظم الناس بنو تميم وكان فيهم أشراف ولم يقدم هؤلاء على عشيرة من أهل الكوفة.

فقام الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة وحارثة بن بدر فتكلّم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إنّه إن يك [بنو] سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنّما لم تنصر عليك وقد عجبوا أمس ممّن نصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك لأنّهم شكّوا في طلحة والزبير ولم يشكّوا في معاوية وعشيرتنا في البصرة فلو بعثنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس. فقال علي لجارية بن قدامة وكان رجل تميم بعد الأحنف: ما تقول يا جارية؟ فأجاب بما يدلّ على كراهته من إشخاص قومه عن البصرة.

ثمّ خاطب [عليّ عليه السلام] حارثة فوافق الأحنف في رأيه.

فقال عليه السلام للأحنف: اكتب إلى قومك فكتب إليهم يحثّهم على الخروج والمسير إليه.

وكتب معاوية بن صعصعة وهو ابن أخي الأشعث إليهم أبياتاً في ذلك فلمّا انتهى كتاب الأحنف وشعر معاوية إلى بني سعد ساروا بجماعتهم حتّى نزلوا الكوفة فعزت بالكوفة وكثرت ثم قدمت عليهم ربيعة ولهم حديث(١).

بيان: قال في القاموس: الأستان بالضم أربع كور ببغداد عالي وأعلى وأوسط وأسفل انتهى.

«وبهرسير» ربّما يقرأ بالباء الموحّدة [المفتوحة] والسين المهملة [المفتوحة] المعدّ للتنزّه. وربّما يقرأ بالنون والشين المعجمة أي نهر اللبن الّذي أجراه فرهاد لشيرين.

قوله عليه السلام: «وفي سلطان الله» لعل المعنى أنّ في سلطنة الله على عباده ولطفه بهم وشفقته عليهم وعفوه عنهم وعدم معاجلتهم بالمعاصي مع غناه عنهم وكمال حاجتهم إليه ما يتذكّر من خوّله الله سلطنته فيتّبع سنّة الله فيهم. والرجيع: الروث.

١١ - باب باب بَغْي معاوية وامتناع أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن تأميره وتوجهه إلى الشام للقائه إلى ابتداء غزوات صفّين

٣٤٠ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أوّل ما بويع له بالخلافة ذكره الواقدي في كتاب الجمل:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم حتّى كان ما لا بدّ منه ولا دفع لا، والحديث طويل والكلام كثير وقد أدبر ما أدبر وأقبل ما أقبل فبايع من قِبَلك وأقبل إليّ في وفد من أصحابك والسّلام(٢).

بيان: قوله: «إعذاري فيكم» يحتمل أن يكون الخطاب لبني أُميّة أو لجميع الأُمّة واختار ابن أبي الحديد الأوّل وقال: أي مع كوني ذا عذر لو ذممتكم وأسأت إليكم فلم أفعله بل أعرضت عن إساءتكم إلي وضربت عنكم صفحاً حتى كان ما لا بدّ منه يعني قتل عثمان.

---

(١) وقعة صفين، ص ١٥-٢٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٢١ خ ٣١٣.

وقال ابن ميثم: يعني إعذاره إلى الله فيهم وإظهار عذره باجتهاده في نصيحة عثمان أولاً ونصرة بني أُميّة بالذب عنه ثانياً وإعراضه عنهم بعد إياسه عنهم من قبول عثمان نصيحته ومن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قبله انتهى.

قيل: ويحتمل أن يكون المراد بإعذاره عليه السلام استنكافه عن البيعة أوّلاً وهو إعراضه عنهم، وما لا بد منه ولا دفع له هو خلافته عليه السلام، وقد مرّ مثله في مخاطبة طلحة والزبير فالخطاب لجميع الأُمّة.

قوله عليه السلام: «وقد أدبر ما أدبر» أي أدبر ذلك الزمان وأقبل زمان آخر.

وفي بعض النسخ: «من أدبر» أي بعض النّاس أقبلوا إليّ وبعضهم أدبر كطلحة والزبير وأشباههما. وقال الجوهري: وفد فلان على الأمير أي ورد رسولاً فهو وافد والجمع: وفد مثل. صاحب وصحب.

٣٤١ - كتاب الصّفّين لنصر بن مزاحم عن عمر بن سعد [الأسدي] عن نمير بن وعلة عن عامر الشعبي أنّ علياً عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريراً عن هَمَدان فجاء حتّى نزل الكوفة فأراد [عليّ] أن يبعث إلى معاوية رسولاً فقال له جرير: ابعثني إليه فأدعُوه على أن يسلّم لك هذا الأمر ويكون أميراً من أمرائك وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وجلّهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يعصوني. فقال له الأشتر: لا تبعثه ودعه ولا تصدّقه فوالله أنّي لأظن هواه هواهم ونيّته نيّتهم!! فقال له عليّ عليه السلام: دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا.

فبعثه عليّ عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه: إنّ حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الدين والرأي من قد رأيت وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك: «من خير ذي يمن» ائت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلاّ فانبذ إليه وأعلمه أنّي لا أرضى به أميراً وأنّ العامة لا ترضى به خليفة.

فانطلق جرير حتى [أتى الشام و] نزل بمعاوية فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد يا معاوية فإنّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر، وأهل العروض والعروض عمان وأهل البحرين واليمامة فلم يبق إلاّ أهل هذه الحصون التي أنت فيها ولو سال عليها سيل من أوديته غرقها وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرّجل. ودفع إليه كتاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإنّ بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام لأنّه بايعني الّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار إذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تولّى ويصله جهنّم وساءت مصيراً.

وإنّ طلحة والزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي فكان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الأمور إليّ فيك العافية إلاّ أن تتعرض للبلاء فإن تعرّضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك.

وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله فأمّا تلك الّتي تريدها فهي خدعة الصبيّ عن اللبن.

ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى. وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوّة إلاّ بالله.

فلمّا قرأ الكتاب قام جرير فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس إنّ أمر عثمان [قد] أعيا من شهده فما ظنّكم بمن غاب عنه، وإن الناس بايعوا عليّاً غير واتر ولا موتور وكان طلحة والزبير ممّن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدث.

ألا وإنّ هذا الدّين لا يحتمل الفتن ألا وإنّ العرب لا تحتمل السيف وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن تشفع البلاد بمثلها فلا نَبَأ للناس وقد بايعت العامّة عليّاً. ولو ملكنا والله أمورنا لم نختر لها غيره، ومن خالف هذا استعتب. فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس.

فإن قلت: استعملني عثمان ثمّ لم يعزلني فإنّ هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين وكان لكلّ امرئ ما في يده ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاة حقّ الأوّل وجعل تلك أموراً موطّأة وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً. فقال معاوية: أنظر وتنظر وأستطلع رأي أهل الشام.

فلمّا فرغ جرير من خطبته أمر معاوية منادياً فنادى الصّلاة جامعة فلمّا اجتمع الناس صعد المنبر وقال بعد كلام طويل:

أيّها الناس قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب وأنّي خليفة عثمان بن عفّان عليكم وأنّي لم أقم رجلاً منكم على خزاية قطّ وأنّي وليّ عثمان وقد قتل مظلوماً والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾(١) وأنا أحبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان؟!

فقام أهل الشام بأجمعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا ثاره أو يفني الله أرواحهم.

قال: فلمّا أمسى معاوية اغتمّ بما هو فيه(٢).

٣٤٢ - ٣٥٦ - قال نصر: وحدّثني محمّد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: واستحثّه جرير بالبيعة فقال: يا جرير إنّها ليست بخلسة وإنّه أمر له ما بعده فأبلعني ريقي حتى أنظر.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.
(٢) وقعة صفين، ص ٢٧-٣٢.

ودعا ثقاته [وشاورهم في الأمر] فقال له عتبة بن أبي سفيان: استعن على هذا الأمر بعمرو ابن العاص وأثمن له بدينه فإنّه من قد عرفت وقد اعتزل أمر عثمان في حياته وهو لأمرك أشدّ اعتزالاً إلاّ أن يرى فرصة.

فروى نصر عن عمر بن سعد ومحمّد بن عبيد الله قالا: كتب معاوية إلى عمرو:

أمّا بعد فإنّه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة عليّ وقد حَبَسْتُ نفسي عليك حتّى تأتيني أقبل أذاكرك أمراً.

قال: فلمّا قرئ الكتاب على عَمْرو استشار ابنيه عبد الله ومحمداً فقال: ما تريان؟

فقال عبد الله: أرى أنّ نبيّ الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقرّ في منزلك فلست مجعولاً خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنياً قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها.

وقال محمّد: أرى أنّك شيخ قريش وصاحب أمرها ولن يصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل يتصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان فإنّك قد استسلمت فيه إلى بني أميّة. فقال عمرو: أمّا أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأمّا أنت يا محمّد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه.

فلمّا جنّه الليل رفع صوته ينشد أبياتاً في ذلك يردّدها فقال عبد الله ترحّل الشيخ.

قال: ودعا عمرو غلاماً له يقال له: وردان وكان داهياً مارداً فقال: ارحل يا وردان ثمّ قال: حط يا وردان. فقال له وردان: خلطت أبا عبد الله أما إنّك إن شئت أنبأتك بما في نفسك؟ قال: هات ويحك قال: اعتركت الدّنيا والآخرة على قلبك فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا؛ وفي الآخرة عوض من الدّنيا، ومعاوية معه الدّنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة فأنت واقف بينهما!!

قال [عمرو]: فإنّك والله ما أخطأت فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدّين عشت في عفو دينهم وإن ظهر الدّنيا لم يستغنوا عنك!!! قال: الآن لما شهدت العرب مسيري إلى معاوية. فارتحل وسار حتّى قدم على معاوية وعرف ذلك معاوية فباعده وكايد كلّ واحد منهما صاحبه!!! فلمّا دخل عليه قال: أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر.

قال [عمرو]: وما ذاك؟ قال ذاك أنّ محمّد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدّين. ومنها أنّ قيصر زحف بجماعة الرّوم إليّ ليغلب على الشام. ومنها أنّ عليّاً نزل الكوفة متهيئاً للمسير إلينا. قال [عمرو]: ليس كلّ ما ذكرت عظيماً. أمّا أمر ابن أبي حذيفة فما يعظمك من رجل خرج في أشباهه أن تخرج [إليه] الخيل [حتّى] تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرّك.

وأما قيصر فاهد له من وصفاء الروم ووصائفها وآنية الذهب والفضّة وسله الموادعة فإنّه إليها سريع. وأمّا علي فلا والله يا معاوية لا تسوّي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش وإنّه لصاحب ما هو فيه إلاّ أن تظلمه.

وروى نصر عن عمر بن سعد بإسناده قال: قال معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه وشقّ عصا المسلمين وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرّق الجماعة وقطع الرحم!! قال عمرو: إلى من؟ قال: إلى جهاد عليّ قال: فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعليّ بَعِكْمَيْ بعير مالك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا فقهه ولا علمه ووالله وإنّ له مع ذلك جدّاً وجدوداً وحظّاً وحظوةً وبلاءً من الله حسناً فما تجعل لي إن شايعتك على ما تريد؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمة. قال: فتلكّأ عليه معاوية.

قال نصر وفي حديث غير عمر قال: قال له معاوية: يا أبا عبد الله إنّي أكره أن تحدث العرب أنّك إنّما دخلت في هذا الأمر لغرض دنيا!! قال: دعني منك قال معاوية: إنّي لو شئت أن أُمنّيك وأخدعك لفعلت قال عمرو: لا لَعَمْرُ الله ما مثلي يخدع ولأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: ادن منّي برأسك أُسارّك. قال: فدنا منه عَمْرو [كَي] يساره فعضّ معاوية أذنه وقال: هذه خدعة هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك.

ثم رجع [الكلام] إلى حديث عمر فقال معاوية: يا أبا عبد الله ألم تعلم أنّ مصراً مثل العراق؟ قال: بلى ولكنّها إنّما تكون لي إذا كانت لك وإنّما تكون لك إذا غلبت عليّاً على العراق. قال فدخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال: أما ترضى أن تشتري عمرواً بمصر إن هي صَفَتْ لك؟ فليتك لا تغلب على الشام.

فقال معاوية: يا عتبة بت عندنا الليلة قال: فلمّا جنّ على عتبة الليل رفع صوته ليسمع معاوية بأبيات يحثّه فيها على إرضاء عمرو، فلمّا سمع معاوية ذلك أرسل إلى عمرو وأعطاها إيّاه. قال: فقال عمرو: ولي الله عليك بذلك شاهد؟ قال له معاوية: نعم لك الله عليّ بذلك لئن فتح الله علينا الكوفة. قال عمرو: والله على ما نقول وكيل.

قال: فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. فقالا: وما مصر في ملك العرب؟ قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر.

قال: فأعطاها إيّاه وكتب له كتاباً وكتب معاوية: على أن لا ينقض شرط طاعة فكتب عمرو على أن لا تنقض طاعة شرطاً. وكايد كلّ منهما صاحبه.

وكان مع عمرو ابن عمّ له فتىً شابّ وكان داهياً فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال: ألا تخبرنا يا عمرو بأيّ رأي تعيش في قريش أعطيت دينك ومنّيت دنيا غيرك أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعليّ حيّ؟ وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب؟ فقال عمرو: يا ابن الأخ إنّ الأمر لله دون عليّ

ومعاوية فأنشد الفتى في ذلك شعراً فقال له عمرو: يا ابن أخي لو كنت مع عليّ وسعني بيتي ولكني الآن مع معاوية. فقال له الفتى: إنّك إن لم ترد معاوية لم يردك ولكنّك تريد دنياه ويريد دينك. وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب ولحق بعليّ فحدّثه بأمر عمرو ومعاوية قال: فسرّ ذلك عليّاً وقرّبه. قال: وغضب مروان وقال ما بالي لا أُشترى كما اشتري عمرو؟ قال: فقال له معاوية: إنّما نبتاع الرجال لك. قال: فلمّا بلغ عليّاً ما صنع معاوية وعمرو قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذباً على الله يشيب الشعرا

إلى آخر ما سيأتي من الأبيات في آخر الأبواب.

وروى نصر عن محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لمّا بات عمرو عند معاوية وأصبح أعطاه مصر طعمة وكتب له بها كتاباً وقال: ما ترى؟ قال: أمض الرأي الأوّل.

فبعث [معاوية] مالك بن هبيرة في طلب ابن أبي حذيفة فأدركه فقتله وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه.

ثم قال [معاوية لعمرو]: ما ترى في عليّ؟ قال: أرى فيه خيراً أتاك في هذه البيعة خير أهل العراق ومن عند خير الناس في أنفس الناس ودعوتك أهل الشام إلى ردّ هذه البيعة خطر شديد ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي وهو عدوّ لجرير فأرسل إليه ووطّئ له ثقاتك فليُفشوا في الناس أنّ عليّاً قتل عثمان وليكونوا أهل الرّضا عند شرحبيل فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحبّ ومن تعلّق بقلبه شيء لم يخرجه شيء أبداً.

فدعا معاوية يزيد بن لبيد وبسر بن أرطأة وعمرو بن سفيان ومخارق بن الحرث الزبيدي وحمزة بن مالك وحابس بن سعيد الطّائي ثم كتب إلى شرحبيل أنّ جرير بن عبد الله قدم علينا من قبل عليّ بأمر فظيع فاقدم.

فاستشار شرحبيل أهل اليمن من أهل حمص فاختلفوا عليه، فقام إليه عبد الرحمان بن غنم وهو صاحب معاذ وختنه وكان أفقه أهل الشّام فنهاه عن المسير إلى معاوية ووعظه ونهاه أيضاً عياض اليماني وكان ناسكاً. فأبى شرحبيل إلاّ أن يسير إلى معاوية.

فلمّا قدم عليه تلقّاه الناس فأعظموه ودخل على معاوية فقال له معاوية: يا شرحبيل إنّ جرير بن عبد الله يدعونا إلى بيعة عليّ وعليّ خير الناس لولا أنّه قتل عثمان وحبست نفسي عليك وإنّما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا.

فقال شرحبيل: أخرج فأُنظر فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطّئون له كلّهم يخبره بأنّ عليّاً قتل عثمان فرجع مغضباً إلى معاوية فقال: يا معاوية أبى الناس إلاّ أنّ عليّاً قتل عثمان والله لئن بايعت له لنخرجنّك من الشام أو لنقتلنّك! قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم ما أنا إلاّ رجل من أهل الشام. قال فردّ هذا الرّجل إلى أصحابه [إذن].

قال: فعرف معاوية أنّ شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأنّ أهل الشام مع

شرحبيل. فخرج شرحبيل فأتى حصين بن نمير فقال: ابعث إلى جرير فبعث إليه حصين أن زرنا فإنّ عندنا شرحبيل بن السمط فاجتمعا عنده.

فتكلم شرحبيل فقال: يا جرير أتيتنا بأمر ملّفف لتلقينا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت علياً وهو قاتل عثمان والله سائلك عمّا قلت يوم القيامة.

فأقبل عليه جرير وقال: يا شرحبيل أما قولك إنّي جئت بأمر ملفّف فكيف يكون أمراً ملفّفاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على ردّه طلحة والزبير.

وأما قولك: إنّي ألقيتك في لهوات الأسد ففي لهواتها ألقيت نفسك.

وأمّا خلط العراق بالشام فخلطها على حقّ خير من فرقتها على باطل.

وأمّا قولك إنّ علياً قتل عثمان فوالله ما في يديك من ذلك إلاّ القذف بالغيب من مكان بعيد، ولكنّك ملت إلى الدنيا وشيء كان في نفسك عليّ زمن سعد بن أبي وقاص.

فبلغ معاوية قول الرّجلين فبعث إلى جرير وزجره وكتب جرير إلى شرحبيل أبياتاً يعظه فيها فَزُعِرَ شرحبيل وفكّر فاستزلّه القوم ولفّف له معاوية الرجال ولم ينفعه زجر قومه [له] ولا غيرهم حتّى أنّه بعثه معاوية إلى مدائن الشام يدعوهم إلى الطلب بدم عثمان فبدأ بأهل حمص فأجابوه إلاّ نسّاك من أهل حمص فإنّهم قاموا إليه فقالوا: بيوتنا قبورنا ومساجدنا وأنت أعلم بما ترى.

وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم إلاّ قبلوا ما أتاهم به. فأيس جرير [عند ذلك] من معاوية ومن عوام الشام.

قال [نصر]: وكان معاوية قد أتى جريراً قبل ذلك في منزله فقال: يا جرير إنّي قد رأيت رأياً. قال: هاته. قال: اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي وأُسلم له هذا الأمر وأكتب إليه بالخلافة!!! فقال جرير: اكتب بما أردت وأكتب معك فكتب معاوية بذلك إلى عليّ.

فكتب عليّ إلى جرير: أمّا بعد فإنّما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحبّ، وأراد أن يُرَيِّثَكَ حتّى يذوق أهل الشام، وإنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار عليّ أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه.

ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل وإلاّ فأقبل.

وفشا كتاب معاوية في العرب.

وفي حديث صالح بن صدقة قال: أبطأ جرير عند معاوية حتّى اتّهمه الناس وقال عليّ: «وقتّ لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً» وأبطأ على عليّ عليه السلام حتى أيس منه. وفي حديث محمد وصالح بن صدقة قالا: وكتب عليّ عليه السلام إلى جرير:

أمّا بعد فإذا أتاك كتابي [هذا] فاحمل معاوية على الفصل ثم خيّره وخذه بالجواب بين

حرب مخزية أو سلم مُحْظِية فإن اختار الحرب فانبذ له، وإن اختار السّلم فخذه ببيعته.

فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى به إلى معاوية فأقرأه الكتاب وقال: يا معاوية إنّه لا يطبع على قلب إلاّ بذنب ولا ينشرح إلاّ بتوبة ولا أظنّ قلبك إلا مطبوعاً أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يدي؟؟؟ فقال معاوية ألقاك بالفَيْصَل في أوّل مجلس إن شاء الله. فلمّا بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال: يا جرير الحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب فأجابه عليّ عليه السلام : من عليّ إلى معاوية بن صخر أمّا بعد فقد أتاني كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه وقاده [الضلال] فاتّبعه.

زعمت أنّه إنّما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلاّ رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر، ولا قتلت فيجب عليّ قصاص.

وأمّا قولك: إنّ أهل الشّام هم الحكّام على أهل الحجاز فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة؟ فإن زعمت ذلك كذّبك المهاجرون والأنصار وإلاّ أتيتك به من قريش الحجاز. وأمّا قولك: ادفع إلينا قتلة عثمان، فما أنت وعثمان؟ إنّما أنت رجل من بني أُميّة وبنو عثمان أولى بذلك منك.

فإن زعمت أنّك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على المحجّة. وأمّا تمييزك بين الشّام والبصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلاّ واحد لأنّها بيعة عامّة لا يثنّى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار.

وأمّا ولوعك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حقّ العيان ولا يقين بالخبر.

وأمّا فضلي بالإسلام وقرابتي من النبيّ صلى الله عليه وآله وشرفي في قريش فلعمري لو استطعتَ دَفع ذلك لدفعته.

[نصر، عن] صالح بن صدقة بإسناده قال: لمّا رجع جرير إلى عليّ(عليه السلام) كثر قول الناس في التّهمة لجرير في أمر معاوية فاجتمع جرير والأشتر عند عليّ عليه السلام فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى من خناقه وأقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلاّ فتحه أو يخاف غمّه إلا سدّه.

فقال جرير: والله لو أتيتهم لقتلوك - وخوّفه بعَمْرو، وذي الكلاع وحوشب - وقد زعموا أنّك من قتلة عثمان. فقال الأشتر: لو أتيته والله يا جرير لم يعيني جوابها ولم يثقل عليّ محملها ولحملت معاوية على خطّة أعجله فيها عن الفكر قال: فأتهم إذاً . قال: الآن وقد أفسدتهم ووقع بيننا الشر؟

وعن الشعبي قال: اجتمع جرير والأشتر عند عليّ عليه السلام فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً وأخبرتك بعداوته وغشّه وأقبل الأشتر يشتمه ويقول: يا أخا

بجيلة إنّ عثمان اشترى منك دينك بِهَمَذَان والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حيّاً إنّما أتيتهم لتتّخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهدّدنا بهم وأنت والله منهم ولا أرى سعيك إلاّ لهم ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين عليه السلام ليحبسنّك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين من هذه الأمور ويُهلك الله الظالمين.

قال: فلمّا سمع جرير ذلك لحق بقرقيسا ولحق به أناس من قيس ولم يشهد صفّين من قيس غير تسعة عشر رجلاً ولكن أحمس شهدها منهم سبعمائة رجل.

وخرج عليّ عليه السلام إلى دار جرير فشعّث منها وحرق مجلسه وخرج أبو زرعة عمرو بن جرير وقال: أصلحك الله إنّ فيها أيضاً لغير جرير فخرج عليّ منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها وكان ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجرير.

وفي حديث صالح بن صدقة قال: لمّا أراد معاوية المسير إلى صفّين كتب إلى أهل مكّة وأهل المدينة كتاباً يذكرهم فيه أمر عثمان فكتب إليه عبد الله بن عمر مجيباً له ولابن العاص:

أمّا بعد فلقد أخطأتما موضع النصرة وتناولتما من مكان بعيد وما زاد الله من شك في هذا الأمر بكتابكما إلاّ شكّاً وما أنتما والمشورة؟ وما أنتما والخلافة؟

وأمّا أنت يا معاوية فطليق وأما أنت يا عمرو فَظَنُون ألا فكفّا عنّا أنفسكما فليس لكما وليّ ولا نصير. وأجابه سعد بن أبي وقّاص أمّا بعد فإنّ عمر لن يدخل في الشورى إلاّ من تحلّ له الخلافة من قريش فلم يكن أحد منّا أحقّ من صاحبه إلاّ باجتماعنا عليه، غير أنّ عليّاً قد كان فيه ما فينا ولم يك فينا ما فيه وهذا أمر قد كرهنا أوّله وكرهنا آخره.

وأمّا طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت [به].

وكتب إليه محمد بن مسلمة أمّا بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الذي في يدي فقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما هو كائن قبل أن يكون فلمّا كان كسرت سيفي وجلست في بيتي واتّهمت الرأي على الدّين إذا لم يصلح لي معروف آمر به ولا منكر أنهى عنه ولعمري ما طلبت إلاّ الدنيا ولا اتّبعت إلا الهوى فإن تنصر عثمان ميتاً فقد خذلته حيّاً فما أخرجني الله من نعمة ولا صيّرني إلى شك. إلى آخر ما كتب.

قال: وروى صالح بن صدقة عن إسماعيل بن زياد عن الشعبي أنّ عليّاً عليه السلام قدم من البصرة مستهلّ رجب وأقام بها سبعة عشر شهراً يجري الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص.

وفي حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لمّا قدم عبيد الله بن عمر على معاوية بالشّام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّ الله قد أحيا لك عمر بن الخطّاب بالشام بقدوم عبيد الله بن عمر، وقد رأيت أن أقيمه خطيباً فيشهد على عليّ بقتل عثمان وينال منه؟ فقال: الرأي ما رأيت. فبعث إليه فأتاه فقال له يا ابن أخ إنّ لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك وتكلّم بكلّ فيك فأنت المأمون المصدّق فاصعد المنبر فاشتم عليّاً واشهد عليه أنّه قتل

عثمان. فقال: يا أمير المؤمنين أمّا شتمي له فإنّه عليّ بن أبي طالب وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم فما عسى أن أقول في حسبه، وأمّا بأسه فهو الشجاع المطرق وأمّا أيّامه فما قد عرفت ولكني ملزمه دم عثمان!! فقال عمرو: إذاً والله قد نكأت القرحة.

فلمّا خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتلة الهرمزان ومخالفة عليّ على نفسه ما أتانا أبداً ألم تر إلى تقريظه عليّاً. فلمّا قام [عبيد الله] خطيباً تكلّم بحاجته حتّى إذا أتى إلى أمر عليّ أمسك!! فعاتبه معاوية فاعتذر بأني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان وعرفت أنّ الناس محتملوها عنّي!! فهجره معاوية واستخفّ بحقّه حتّى أنشد شعراً في مدح عثمان وتصويب طلحة والزبير فأرضاه وقرّبه وقال حسبي هذا منك(١).

بيان: قوله عليه السلام: «من خير ذي يمن» إشارة إلى رواية وردت في مدحه قال: [ابن الأثير] في [مادّة ذوى من كتاب] النهاية في حديث المهدي «قرشي يمان ليس من ذي ولا ذو» أي ليس في نسبه نسب أذواء اليمن وهم ملوك حمير منهم ذو يزن وذو رُعَين. وقوله: [«قرشي يمان»] أي وهو قرشيّ النسب يماني المنشأ ومنه حديث جرير «يطلع عليكم رجل من ذي يمن على وجهه مسحة من ذي ملك» وكذا أورده أبو عمر الزاهد وقال: ذي ها هنا صلة أي زائدة انتهى. والعكم بالكسر: العدل وعكمت المتاع: شددته.

قوله: «على أن لا ينقض» قال ابن أبي الحديد: تفسيره أنّ معاوية قال للكاتب: اكتب على أن لا ينقض شرط طاعة يريد أخذ إقرار عمرو له أنّه قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء وهذا مكايدة لأنّه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع عن مصر ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ويحتجّ عليه برجوعه عن إعطائه مصر لأنّ مقتضى المشارطة المذكورة أنّ طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواء كانت مصر مسلّمة إليه أو لا.

فلمّا انتبه عمرو على هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك وقال: بل اكتب على أن لا تنقض طاعة شرطاً يريد أخذ إقرار معاوية بأنّه إذا أطاعه لا تنقض طاعته إيّاه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه. وهذا أيضاً مكايدة من عمرو لمعاوية.

وفي النهاية والصحاح: نفضت المكان واستنفضته وتنفّضته إذا نظرت جميع ما فيه، والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة: قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوّاً أو خوفاً.

وقرقيسا بالكسر ويمدّ ويقصر: بلد على الفرات. والتقريظ: مدح الإنسان وهو حيّ بحق أو باطل.

٣٥٧ - البرسي في مشارق الأنوار عن محمد بن سنان قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يجهّز أصحابه إلى قتال معاوية إذ، اختصم إليه اثنان فلغى أحدهما في الكلام فقال له: اخسأ

(١) وقعة صفين، ص ٣٣-٦٤.

يا كلب. فعوى الرجل لوقته وصار كلباً فبُهت من حوله وجعل الرّجل يشير بإصبعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويتضرّع فنظر إليه وحرّك شفتيه فإذا هو بشر سويّ!!

فقام إليه بعض أصحابه وقال له: ما لك تجهّز العسكر ولك مثل هذه القدرة؟ فقال: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في هذه الفلوات حتّى أضرب صدر معاوية فأقلبه عن سريره لفعلت ولكن عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[(١)].

٣٥٨ - **ختص:** محمّد بن عليّ عن أبيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر قال: قال الصادق عليه السلام: يا أبان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه لمّا قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره» ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس وإتيان سليمان به قبل أن يرتدّ إليه طرفه؟ أليس نبيّنا أفضل الأنبياء ووصيّه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصيّ سليمان حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا[(٢)].

٣٥٩ - **ما:** المفيد عن الكاتب، عن الزّعفراني عن الثقفي عن عبيد الله بن أبي هاشم، عن عمر بن ثابت عن جبلة بن سحيم قال: لمّا بويع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بلغه أن معاوية قد توقّف عن إظهار البيعة له وقال: إن أقرّني على الشام وأعمالي التي ولاّنيها عثمان بايعته. فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية من قد عرفت وقد ولاّه الشام من كان قبلك فولّه أنت كيما تتسق عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك.

فقال [له] أمير المؤمنين عليه السلام: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا. قال: لا يسألني الله عزّ وجلّ عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً وما كنت متّخذ المضلّين عضداً لكن أبعث إليه أدعوه إلى ما في يدي من الحقّ فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وإن أبى حاكمته إلى الله.

فولّى المغيرة وهو يقول فحاكمه إذاً وأنشأ يقول:

نصحت عليّاً في ابن حرب نصيحة ... فردّ فما منّي له الدهر ثانية
ولم يقبل النصح الذي جئته به ... وكانت له تلك النصيحة كافية
وقالوا له: ما أخلص النصح كلّه ... فقلت له: إنّ النصيحة غالية

فقام قيس بن سعد رحمه الله فقال: يا أمير المؤمنين إنّ المغيرة أشار عليك بأمر لم يرد الله به فقدّم فيه رجلاً وأخّر فيه أخرى فإن كان لك الغلبة تقرّب إليك بالنصيحة وإن كانت لمعاوية تقرّب إليه بالمشورة ثم أنشأ يقول:

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص ١٢٠. (٢) الاختصاص، ص ٢٠٧.

يكاد ومن أرسى ثَبِيراً مكانه مغيرة أن يقوي عليك معاوية
وكنت بحمد الله فينا موفقاً وتلك التي آراكها غير كافية
فسبحان من علا السماء مكانها والأرض دحاها فاستقرّت كما هيه[1]

بيان: قوله: «الدّهر» منصوب على الظرفية أي ليس منّي نصيحة ثانية ما بقي الدّهر.

قوله: «ومن أرسى» الواو للقسم أي بحق الذي أثبت جبل ثَبِير المعروف بمنى.

٣٦٠ - **شا:** من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا عمد المسير إلى الشام لقتال معاوية بن أبي سفيان [قال] بعد حمد الله والثناء عليه والصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله:

اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فإنّ الرعيّة الصالحة تنجو بالإمام العادل ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي ناكثاً لبيعتي طاعناً في دين الله عزّ وجلّ.

وقد علمتم أيّها المسلمون ما فعل الناس بالأمس وجئتموني راغبين إليّ في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتُبايعوني فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم فراودتموني القول مراراً وراودتكم وتكأكأتم عليّ تكأكؤ الإبل الهيم على حياضها حرصاً على بيعتي حتّى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً. فلمّا رأيت ذلك منكم روّيت في أمري وأمركم وقلت إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي وقلت: والله لأليَنّهم وهم يعرفون حقّي وفضلي أحبّ إليّ من أن يلوني وهم لا يعرفون حقّي وفضلي فبسطت لكم يدي فبايعتموني يا معشر المسلمين وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان.

فأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي [من] عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أُخذ على النبيّين من عهد وميثاق لتفُنّ لي ولتسمعنّ لأمري ولتطيعوني وتناصحوني وتقاتلون معي كلّ باغ أو مارق إن مرق، فأنعمتم لي بذلك جميعاً فأخذت عليكم عهد الله وميثاقه وذمّة الله ورسوله فأجبتموني إلى ذلك وأشهدت الله عليكم وأشهدت بعضكم على بعض وقمت فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة ويجحدني الإمامة ويزعم أنّه أحق بها منّي جرأة منه على الله وعلى رسوله بغير حقّ له فيها ولا حجّة ولم يبايعه عليها المهاجرون ولا سلّم له الأنصار والمسلمون.

يا معشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي أوما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة؟ أما بايعتموني على الرغبة؟ ألم آخذ عليكم العهد بالقبول لقولي؟ أما بيعتي لكم يومئذٍ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر؟ فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتى مضيا ونقض عليّ ولم يف لي؟ أما يجب لي عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أن بيعتي تلزم الشاهد عنكم

(١) أمالي الطوسي، ص ٨٧ مجلس ٣ ح ١٣٣.

والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاعنين في بيعتي؟ ولم لم يفوا بها لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري أولى بالأمر ممن تقدمني؟.

أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير في ولايتي وموالاتي؟ فاتقوا الله أيها المسلمون وتحاثّوا على جهاد معاوية الناكث القاسط وأصحابه القاسطين.

واسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيّه المرسل لتتعظوا فإنّه عظة لكم فانتفعوا بمواعظ الله وازدجروا عن معاصي الله فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾(١).

يا أيّها الناس إنّ لكم في هذه الآيات عبرة لتعلموا أنّ الله تعالى جعل الخلافة والأمر من بعد الأنبياء في أعقابهم وأنّه فضّل طالوت وقدّمه على الجماعة باصطفائه إيّاه وزيادته بسطة في العلم والجسم فهل تجدون الله عزّ وجلّ اصطفى بني أميّة على بني هاشم؟ وزاد معاوية عليّ بسطة في العلم والجسم؟

فاتّقوا الله عباد الله وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(٢).

[وقال تعالى:] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٣).

[وقال تعالى:] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾(٤).

اتقوا الله عباد الله وتحاثّوا على الجهاد مع إمامكم فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني وإذا استنهضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنّه الجهاد المفروض.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٦-٢٤٧. (٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨-٧٩.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥. (٤) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٢.

بيان: التكأكؤ: التجمّع. والتوى عن الأمر: تثاقل. وروى في الأمر تروية: نظر وتفكّر. وأنعم له أي قبل [قوله] وأجاب بنعم.

قوله عليه السلام: «إنّ الله جعل الخلافة» فيه إشكال وهو أنّ المشهور بين المفسّرين أنّ طالوت لم يكن من سبط النبوّة ولا من سبط المملكة إذ النبوة كانت في سبط لاوي والمملكة في سبط يهودا. وقيل في سبط يوسف وهو كان من سبط بنيامين فالآيات تدلّ على عدم لزوم كون الخلافة في أعقاب الأنبياء.

ويمكن أن يجاب [عنه] بوجوه: **الأوّل**: القدح في تلك الأمور فإنّها مستندة إلى أقوال المؤرخين والمفسّرين من المخالفين فيمكن أن يكون طالوت من سبط النبوّة أو المملكة فيكون ادّعاؤهم الأحقية من جهة المال فقط.

الثاني: أنّ كونه من ولد يعقوب وإسحاق وإبراهيم كاف في ذلك.

الثالث: أن يكون الاستدلال من جهة ما يفهم من الآية من كون النبوّة في سبط مخصوص آباؤهم أنبياء فالمراد بالخلافة رئاسة الدين وإن اجتمعت رئاسة الدين والدنيا في تلك الأُمّة فلا ينافي الاستدلال بالبسطة في العلم والجسم فإنّه إذا اشترط في الرياسة الدّنيوية فقط البسطة في العلم والجسم فاشتراطهما في الرياستين ثابت بطريق أولى(١).

٣٦١ - **شا:** [و] من كلامه عليه السلام وقد بلغه عن معاوية وأهل الشام ما يؤذيه من الكلام فقال: الحمد لله قديماً وحديثاً ما عاداني الفاسقون فعاداهم الله ألم تعجبوا أنّ هذا لهو الخطب الجليل أنّ فساقاً غير مرضيين وعن الإسلام وأهله منحرفين خدعوا بعض هذه الأُمّة وأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان قد نصبوا لنا الحرب وهبّوا في إطفاء نور الله والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

اللهم إن ردّوا الحقّ فاقضض خدمتهم وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم فإنّه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت(٢).

٣٦٢ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشّام:

اللّهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في النفس والأهل والمال. اللّهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً.

قال السيّد رحمه الله: وابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفّاه [أمير المؤمنين عليه السلام] بأبلغ كلام وتمّمه بأحسن تمام من قوله: «لا يجمعهما غيرك» إلى آخر الفصل(٣).

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٣٩.

(٢) الإرشاد، للمفيد، ص ١٤١.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٢٠ خ ٤٦.

بيان: قال ابن ميثم: روي أنّه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الرّكاب متوجّهاً إلى حرب معاوية. والوعث: المشقّة. والكآبة: الحزن. والمنقلب: مصدر [من قولهم]: انقلب منقلباً: رجع. وسوء المنظر: هو أن يرى في نفسه أو أهله أو ماله ما يكرهه.

٣٦٣ - **نهج:** ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لمّا أرسله إلى معاوية:

أمّا بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ثم خيّره بين حرب مجلية، أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه وإن اختار السلم فخذ بيعته والسّلام[1].

تبيين: قال ابن ميثم: روي أنّ جريراً أقام عند معاوية حين أرسله عليه السلام حتّى اتّهمه الناس قال عليّ عليه السلام: «قد وقّت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً».

فأبطأ [جرير] حتّى أيس منه فكتب إليه بعد ذلك هذا الكتاب فلمّا انتهى إليه أتى معاوية فأقرأه إيّاه وقال: يا معاوية إنّه لا يطبع على قلب إلاّ بذنب ولا يشرح إلاّ بتوبة ولا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعاً أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يد غيرك.

فقال معاوية: ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله ثم أخذ في بيعة أهل الشّام فلمّا انتظم أمره لقي جريراً وقال له: الحق بصاحبك وأعلمه بالحرب فقدم جرير إلى عليّ عليه السلام.

قال: والبجلي منسوب إلى بجيلة قبيلة. والمجلية من الإجلاء وهو الإخراج عن الوطن قهراً. والمخزية: المهينة والمذلّة وروي مجزية بالجيم أي كافية. والحرب والسلم مؤنّثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة. والنّبذ: الإلقاء والرمي والمقصود أن يجهر له بذلك من غير مداهنة كقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾[2].

٣٦٤ - **نهج:** [و] من كلام له عليه السلام وقد أشار إليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله إلى معاوية:

إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً والرأي عندي مع الأناة فأرودوا ولا أكره لكم الاستعداد لحرب أهل الشام. ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلّبت ظهره وبطنه فلم أر لي إلا القتال أو الكفر بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله. إنّه قد كان على الأمّة والٍ أحدث أحداثاً وأوجد الناس مقالاً فقالوا ثمّ نقموا فغيّروا[3].

بيان: جرير بن عبد الله البجلي كان عاملاً لعثمان على ثغر همدان فلمّا صار الأمر إليه طلبه فأجاب بالسّمع والطاعة وقدم إليه عليه السلام فأرسله إلى معاوية.

٣٦٥ - وروى أنّه عليه السلام لمّا أراد بعثه قال جرير: والله يا أمير المؤمنين ما ادخرك من

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٦ خ ٢٤٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.
(٣) نهج البلاغة، ص ١١٧ خ ٤٣.

نصري شيئاً وما أطمع لك في معاوية فقال عَلَيْتَلِا قصدي حجّة أقيمها ثم كتب معه «فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام» إلى آخر ما مرّ برواية نصر بن مزاحم.

فأجابه معاوية أمّا بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنّك أغريت بعثمان وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلاّ قتالك حتّى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين.

ولعمري ما حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة والزبير لأنّهما بايعاك ولم أبايعك ولا حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة لأنّهم أطاعوك ولم يطعك أهل الشام.

فأما شرفك في الإسلام وقرابتك من النبيّ ﷺ وموضعك من قريش فلست أدفعه.

وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل:

أرى الشام يكره أهل العراق وأهل العراق لها كارهونا[1]

٣٦٦ - ويروى أنّ الكتاب الذي كتبه عَلَيْتَلِا مع جرير كانت صورته: إنّي قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير والسّلام.

وقال لجرير: صن نفسك عن خداعه فإن سلّم إليك الأمر وتوجّه إليّ فأقم أنت بالشام وإن تعلّل بشيء فارجع. فلمّا عرض جرير الكتاب على معاوية تعلّل بمشاورة أهل الشام وغير ذلك فرجع جرير وكتب معاوية في أثره في ظهر كتاب عليّ عَلَيْتَلِا: من ولاّك حتّى تعزلني والسّلام[2].

ويقال: أغلق الباب إذا جعله بحيث يعسر فتحه. والمراد بالخير: الطّاعة. والأناه كالقناة اسم من التأني. و«أزودوا» على صيغة الإفعال أي ارفقوا. والإعداد: التهيئة كالاستعداد. وربّما يتوهّم التنافي بين ذكر مفسدة الإستعداد أوّلاً وعدم كراهة الإعداد ثانياً.

ودفع بوجوه: منها أنّه كره استعداد نفسه بجمع العسكر وعرضهم وتحريضهم على القتال دون إعداد أصحابه بإصلاح كلّ منهم فرسه وأسلحته.

ومنها أنّ المكروه إظهار الإعداد دون الإعداد سرّاً وتركنا بعض الوجوه لوهنها.

وضرب الأنف والعين مثل للعرب يراد منه الاستقصاء في البحث والتأمّل. وقلب الظهر والبطن: التأمّل في ظاهر الأمر وباطنه. وإطلاق الكفر هنا على المبالغة أو بالمعنى الذي يطلق على ترك الفرائض وفعل الكبائر كما سيأتي في أبواب الإيمان والكفر.

ويحتمل على بعد اختصاص ذلك بالإمام والمراد بالوالي عثمان وبالأحداث البدع

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٦٤.

(٢) لم أجد هذا الكتاب في أي مصدر.

والأمور المنكرة. و«أوجد الناس مقالاً» أي أبدى لهم طريقاً إليه بإحداثه. وتفسير «أوجدها» هنا بأغضب كما قيل غريب. و«نقموا» كضربوا أي عتبوا وطعنوا عليه.

٣٦٧ - **نهج:** [و] من وصيّة [له عليه السلام] لمعقل بن قيس الرّياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له:

اتّق الله الذي لا بُدّ لك من لقائه ولا منتهى لك دونه، ولا تقاتلنّ إلا من قاتلك وسر البردين وغوّر الناس ورفّه في السير، ولا تسر أوّل اللّيل فإنّ الله جعله سكناً، وقدّره مقاماً لا ظعناً، فأرح فيه بدنك وروّح ظهرك فإذا وقفت حين ينبطح السّحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله. فإذا لقيت العدوّ فَقِفْ من أصحابك وسطاً ولا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منه تباعد من يهاب البأس حتّى يأتيك أمري.

ولا يحملنّكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم(١).

بيان: قال ابن ميثم [روي أنّه] عليه السلام: بعثه من المدائن وقال له: امض على الموصل حتّى توافيني بالرقة ثم أوصاه بذلك.

والبردان: الغداة والعشيّ. وقال الجوهري: التّغوير: القيلولة. يقول: غوّروا أي انزلوا للقائلة. قال أبو عبيد: يقال للقائلة: الغائرة. والترفيه: الإراحة. والسكن: ما يسكن إليه. والظعن: الارتحال. و[قال ابن الأثير] في النهاية: الظهر الإبل الّذي يحمل عليها ويركب.

قوله عليه السلام: «فإذا وقفت» قال ابن أبي الحديد أي إذا وقفت ثقلك وجملك لتسير فليكن ذلك «حين ينبطح السحر» أي حين يتّسع ويمتدّ أي لا يكون السّحر الأوّل بل ما بين السحر الأوّل وبين الفجر الأوّل. وأصل الانبطاح: السعة ومنه الأبطح بمكّة.

وقال الجوهري: نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوباً أي علق فيه. وأنشبته أنا فيه. ويقال: نشب الحرب بينهم: [ثارت]. والشنآن: البغض. وفي بعض النسخ «شبابكم». «قبل دعائهم» أي إلى الإسلام. ويقال: أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر.

٣٦٨ - **نهج:** [و] قال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجّلوا له واشتدّوا بين يديه: ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا: خلق منّا نعظّم به أمراءنا فقال عليه السلام: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وتشقون به في آخرتكم وما أخسر المشقّة وراءها العقاب وأربح الدعة معها الأمان من النار(٢).

بيان: الدهقان بكسر الدّال وضمّها: رئيس القرية. والشدّ العدو، واشتدّ: عدا. «وتشقون به» لعلّه لكون غرضهم التسلّط على الناس والجور عليهم للتقرّب عند الإمام وإظهاره عند الناس أو يكون غرضه عليه السلام تعليمهم ونهيهم عن فعل ذلك مع غيره عليه السلام من أئمة الجور.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٠١ خ ٢٥٠.
(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣٤ قصار الحكم رقم ٣٧.

٣٦٩ - ٣٧٣ - كتاب صفّين لنصر بن مزاحم روى عن عبد الرحمن بن عبيد الله قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى الشام دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنّكم ميامين الرأي مراجيح الحلم [الحكم «خ ل»] مباركو الأمر مقاويل بالحقّ وقد عزمنا على المسير إلى عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم.

فقام هاشم بن عتبة وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن حنيف فصوّبوا رأيه وبذلوا إليه نصرته[1].

أقول: وتركنا كلامهم مخافة التطويل والإسهاب.

ثم روى نصر عن معبد قال: قام عليّ عليه السلام على منبره خطيباً فكنت تحت المنبر أسمع تحريضه الناس وأمره لهم بالمسير إلى صفّين فسمعته يقول: سيروا إلى أعداء الله سيروا إلى أعداء القرآن والسّنن، سيروا إلى بقيّة الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار.

فعارضه رجل من بني فزارة ووطئه الناس بأرجلهم وضربوه بنعالهم حتّى مات فوداه أمير المؤمنين من بيت المال. فقام الأشتر وقال: يا أمير المؤمنين لا يهدنّك ما رأيت ولا يؤيسنّك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن إلى آخر ما قال:

[رفع الله مقامه] وبالغ في إظهاره الثبات على الحقّ وبذل النصرة.

فقال عليه السلام: الطريق مشترك والناس في الحقّ سواء ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامّة فقد قضى ما عليه. ثم نزل [عليه السلام عن المنبر] فدخل منزله.

فدخل عليه عبد الله بن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي والتمسا منه عليه السلام أن يستأني بالأمر ويكاتب معاوية ولا يعجل في القتال فتكلّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال بعد حمد الله والثناء عليه: أمّا بعد فإنّ الله وارث العباد والبلاد وربّ السّماوات السّبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء أمّا الدبرة فإنّها على الضالّين العاصين ظفروا أو ظفر بهم.

وأيم الله إنّي لأسمع كلام قوم ما يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً. فقال الحاضرون: هما من أصحاب معاوية ويكاتبانه وكثر الكلام بين أصحابه في ذلك[2].

وروى نصر عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عديّ وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام فأرسل عليّ عليه السلام إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى. قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون وتبرأون ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر و[لو] قلتم مكان لعنكم

(١) وقعة صفين، ص ٩٢.
(٢) وقعة صفين، ص ٩٤.

إيّاهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دِماءَهم ودماءَنا وأصلح ذات بينهم وبيننا واهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ منهم من جهله ويرعوي عن الغيّ والعدوان منهم من لجّ به لكان أحبّ إليّ وخيراً لكم. فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدّب بأدبك.

قال نصر: وقال له عمرو بن الحمق يومئذٍ: والله يا أمير المؤمنين إنّي ما أجبتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا إرادة ما تؤتينيه ولا إرادة سلطان ترفع به ذكري ولكنّي أجبتك بخصال خمس: أنّك ابن عمّ رسول الله ﷺ وأوّل من آمن به وزوج سيّدة نساء الأمّة فاطمة بنت محمّد ووصيّه وأبو الذرّية التي بقيت فينا من رسول الله وأسبق الناس إلى الإسلام وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد فلو أنّي كلّفت نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطّوامي حتّى يأتي عليّ يومي في أمر أُقوّي به وليّك وأُهين به عدوّك ما رأيت أنّي قد أدّيت فيه كلّ الذي يحقّ عليّ من حقّك.

فقال عليّ عليه السلام: اللهم نوّر قلبه بالتقى واهده إلى صراطك المستقيم ليت أنّ في جندي مائة مثلك!! فقال حجر: إذاً والله يا أمير المؤمنين صحّ جندك وقلّ فيهم من يغشّك.

قال: وكتب عليّ عليه السلام إلى عمّاله حينئذ يستنفرهم فكتب إلى مخنف بن سليم:

سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبة عنه وهبّ في نعاس العمى والضلال اختياراً له فريضة على العارفين إنّ الله يرضى عمّن أرضاه ويسخط على من عصاه وإنّا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله [في كتاب الله «خ ل»] بغير ما أنزل الله واستأثروا بالفيء وعطّلوا الحدود وأماتوا الحقّ وأظهروا في الأرض الفساد واتّخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين فإذا وليّ لله أعظم أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرموه وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه وأدنوه وبرّوه!!! فقد أصرّوا على الظلم وأجمعوا على الخلاف وقديماً ما صدّوا عن الحقّ وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين.

فإذا أُتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك وأقبل إلينا لعلّك تلقى معنا هذا العدوّ المحلّ فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجامع المحقّ وتباين المبطل فإنّه لا غَناء بنا ولا بك عن أجر الجهاد وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. وكتب عبيد الله بن أبي رافع في سنة سبع وثلاثين.

قال فاستعمل مخنف على إصبهان الحارث بن أبي الحارث بن الربيع واستعمل على همدان سعيد بن وهب وأقبل حتّى شهد مع عليّ عليه السلام صفّين.

قال وكتب عبد الله بن العبّاس من البصرة إلى عليّ يذكر له اختلاف أهل البصرة فكتب [عليّ] عليه السلام إليه: أمّا بعد فقد قدم عليّ رسولك وقرأت كتابك تذكر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعد انصرافي عنهم وسأُخبرك عن القوم: هم بين مقيم لرغبة يرجوها أو خائف من

عقوبة يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه والإنصاف له والإحسان إليه واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وانته إلى أمري وأحسن إلى هذا الحيّ من ربيعة وكلّ من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله.

قال نصر: وكتب إلى الأسود بن قصبة: أمّا بعد فإنه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر، ومن أعجبته الدنيا رضي بها وليست بثقة فاعتبر بما مضى تحذر ما بقي واطبخ للمسلمين قبلك من الطلا ما يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه. وأكثر لنا من لطف الجند واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند فإنّ للولدان علينا حقاً وفي الذرّية من يخاف دعاؤه وهو لهم صالح والسلام.

وكتب [إلى بعض ولاته]: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر. أمّا بعد فإن خير الناس عند الله عزّوجلّ أقومهم لله بالطّاعة فيما له وعليه وأقولهم بالحقّ ولو كان مرّاً فإن الحقّ به قامت السّماوات والأرض ولتكن سريرتك كعلانيتك، وليكن حكمك واحداً وطريقتك مستقيمة فإن البصرة مهبط الشيطان فلا تفتحنّ على يد أحد منهم باباً لا نطيق سدّه نحن ولا أنت والسّلام.

وكتب [عليه السلام إلى عبد الله بن العبّاس]: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس أمّا بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلاّت المسلمين وفيئهم فاقسمه على من قبلك حتّى تغنيهم وابعث إلينا بما فضل نقسّمه فيمن قبلنا والسّلام.

و [أيضاً] كتب [عليه السلام إلى عبد الله بن عباس]: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس أمّا بعد فإن الإنسان قد يسرّه [درك] ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه وإن جهد، فليكن سرورك فيما قدّمت من حكم أو منطق أو سيرة وليكن أسفك على ما فرّطت لله من ذلك ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر به حزناً وما أصابك فيها فلا تبغ به سروراً وليكن همّك فيما بعد الموت والسّلام[1].

أقول: ثم ذكر كتابه عليه السلام إلى معاوية وجوابه كما سيأتي ثمّ قال:

وكتب إلى عمرو بن العاص: أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها وصاحبها مقهور فيها لم يصب منها شيئاً قطّ إلاّ فتحت له حرصاً وأدخلت عليه مؤنة تزيده رغبة فيها ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغه؛ ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أجرك أبا عبد الله ولا تجارينّ معاوية في باطله فإنّ معاوية غمص الناس وسفه الحق.

فكتب إليه عمرو بن العاص: من عمرو بن العاص إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فإنّ الذي فيه صلاحنا وأُلْفَةُ ذات بيننا أن تنيب إلى الحق وأن تجيب إلى ما تدعون إليه من شورى فصبر الرجل منا نفسه على الحقّ وعذره الناس بالمحاجزة والسلام.

---

(١) وقعة صفين، ص ١٠٢-١٠٧.

فجاء الكتاب إلى عليّ عليه السلام قبل أن يرتحل من النخيلة.

قال نصر: روى عمر بن سعد عن أبي روق قال: قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بديل ابن ورقاء: إنّ يومنا ويومهم ليوم عصيب ما يصبر عليه إلاّ كلّ قوي القلب صادق النية رابط الجأش وأيم الله ما أظنّ ذلك اليوم يبقى منّا ومنهم إلاّ رِذالاً. قال عبد الله بن بديل: وأنا والله ما أظن ذلك. فقال عليّ عليه السلام ليكن هذا الكلام [مخزوناً] في صدوركما لا تظهراه ولا يسمعه منكم سامع إنّ الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين وكلّ آتيه منيّتُهُ كما كتب الله لكم فطُوبى للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في طاعته.

فلمّا سمع هاشم بن عتبة مقالتهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: سر بنا إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضاء الله فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله واستهواهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومنّاهم الأماني حتّى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبّب إليهم الدّنيا فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة إنجازنا موعود ربنا وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً وأفضل الناس سابقة وقدماً وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذي علمنا ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطّاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النّصيحة وأنفسنا بنورك جذلة على من خالفك وتولّى الأمر دونك والله ما أُحبّ أنّ لي ما على الأرض مما أقلّت وما تحت السماء مما أظلت وأنّي واليت عدوّاً لك أو عاديت وليّاً لك.

فقال عليّ عليه السلام: اللّهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمرافقة لنبيّك.

ثمّ إنّ عليّاً صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد فبدأ بحمد الله والثناء عليه ثمّ قال: إنّ الله قد أكرمكم بدينه وخلقكم لعبادته فانصبوا أنفسكم في أدائها وتنجّزوا موعوده واعلموا أنّ الله جعل أمراس الإسلام متينة وعراه وثيقة ثمّ جعل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الرب وغنيمة الأكياس عند تفريط العجزة، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها ولا قوّة إلاّ بالله.

ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه وتناول ما ليس له وما لا يدركه معاوية وجنده الفئة الطاغية الباغية يقودهم إبليس ويبرق لهم ببارق تسويفه ويدليهم بغروره.

وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام فاستغنوا بما علمتم واحذروا ما حذركم [الله] من الشيطان وارغبوا فيما هيّأ لكم عنده من الأجر والكرامة واعلموا أنّ المسلوب من سلب دينه وأمانته والمغرور من آثر الضلالة على الهدى فلا أعرفنّ أحداً منكم تقاعس عنّي وقال في غيري كفاية فإنّ الذود إلى الذود إبل من لا يذد عن حوضه يهدّم.

ثمّ إنّي آمركم بالشدّة في الأمر والجهاد في سبيل الله وأن لا تغتابوا مسلماً وانتظروا النصر العاجل من الله إن شاء الله.

ثم قام ابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: الحمد لله لا إله غيره وحده لا شريك له.

ثم إنّ ممّا عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نِعَمه ما لا يحصى ذكره ولا يؤدّى شكره ولا يبلغه قول ولا صفة ونحن إنّما غضبنا لله ولكم فإنّه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه قول يصعد إلى الله فيه الرضا وتنتشر فيه عارفة الصدق يصدّق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربّنا، قولاً يزيد ولا يبيد فإنّه لم يجتمع قوم قطّ على أمر واحد إلاّ اشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم.

فاحتشدوا في قتال عدوّكم معاوية وجنوده فإنّه قد حضر ولا تخاذلوا فإنّ الخذلان يقطع نياط القلوب إنّ الإقدام على الأسنّة نجدة وعصمة لأنّه لم يمتنع قوم قطّ إلاّ دفع الله عنهم العلّة وكفاهم جوائح الذلّة وهداهم إلى معالم الملّة. ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به   والحرب يكفيك من أنفاسها جرح

ثم قام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وقال:

يا أهل الكوفة أنتم الأحبّة الكرماء والشعار دون الدثار فجدّوا في إحياء ما دثر بينكم وتسهيل ما توعّر عليكم. ألا إنّ الحرب شرّها ذريع وطعمها فظيع وهي جرع مستحساة فمن أخذ لها أهبتها واستعدّ لها عدّتها ولم يألم كلومها عند حلولها فذاك صاحبها ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها فذاك قمن أن لا ينفع قومه وأن يهلك نفسه نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفئة ثمّ نزل.

قال نصر: فأجاب علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المسير جلّ الناس إلاّ أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوهُ وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه فقالوا له: إنّا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشّام فمن رأيناه أراد ما لا يحل له أو بدا لنا منه بغي كنّا عليه. فقال لهم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مرحباً وأهلاً هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنّة من لم يرض فهو خائن جائر. وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود فيهم ربيع بن خُثَيْم وهم يومئذٍ أربعمائة رجل فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ولا غناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدو فولّنا بعض هذه الثغور نكون به نقاتل عن أهله.

فوجّهه عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ثغر الريّ فكان أوّل لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خُثيم.

[نصر، عن عمر بن سعد] عن ليث بن أبي سليم قال: دعا عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ باهلة فقال: يا معشر باهلة أُشهد الله أنّكم تبغضوني وأبغضكم فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الدّيلم وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفّين.

وعن عبد الله بن عوف قال: إنّ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يبرح النخيلة حتى قدم عليه ابن عبّاس بأهل البصرة قال: وكان كتب عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ابن عبّاس:

أمّا بعد فاشخص إليّ بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين وذكّرهم بلائي عندهم وعفوي

عنهم واستبقائي لهم ورغّبهم في الجهاد وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل والسّلام.

قال فلمّا وصل كتابه إلى ابن عبّاس بالبصرة قام في النّاس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنى عليه وقال:

يا أيّها الناس استعدّوا للشخوص إلى إمامكم وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنّكم تقاتلون المحلّين القاسطين الذين لا يقرأون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ولا يدينون دين الحق مع أمير المؤمنين وابن عمّ رسول الله ﷺ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والصادع بالحقّ والقيّم بالهدى والحاكم بحكم الكتاب الذي لا يرتشي في الحكم ولا يداهن الفجّار ولا تأخذه في الله لومة لائم.

فقام إليه الأحنف بن قيس فقال: نعم والله لنجيبنّك ولنخرجنّ معك على العسر واليسر والرضا والكره نحتسب في ذلك الخير ونأمل به من الله العظيم من الأجر.

وقام إليه خالد بن المعمّر السّدوسي فقال: سمعنا وأطعنا فمتى استنفرتنا نفرنا ومتى دعوتنا أجبنا. وقام إليه عمرو بن مرحوم العبدي فقال: وفّق الله أمير المؤمنين وجمع له أمر المسلمين ولعن المحلّين القاسطين الذين لا يقرأون القرآن نحن والله عليهم حنقون ولهم في الله مفارقون فمتى أردتنا صحبك خيلُنا ورجلُنا إن شاء الله.

فأجاب الناس إلى المسير ونشطوا وخفوا واستعمل ابن عبّاس على البصرة أبا الأسود الدئليّ وخرج حتّى قدم على عليّ عليه السلام بالنخيلة.

وأمّر عليّ الأسباع من أهل الكوفة [فأمّر] سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس، ومعقل بن قيس اليربوعي على تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة والأسد، ومخنف بن سليم على الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة، وحجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة وزياد بن النضر على مذحج والأشعريين وسعيد بن قيس بن مرّة على هَمْدان ومن معهم من حمير، وعدي بن حاتم على طيء.

قال نصر: وأمر عليّ عليه السلام الحارث الأعور أن ينادي في الناس: اخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة فنادى بذلك واستخلف عُقْبة بن عمرو الأنصاري على الكوفة ثمّ خرج وخرج الناس[1].

بيان: «بقيّة الأحزاب» أي أحزاب الشرك الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ. [وقوله عليه السلام:] «الطريق مشترك» أي طريق الحق مشترك بيني وبينكم يجب عليكم سلوكه كما يجب عليّ «والدّبرة» بالتّحريك: الهزيمة في القتال أي هم المنهزمون عن الحقّ المدبرون عنه وإن ظفروا أو يلحقهم ضررها وعقابها.

---

(١) وقعة صفين، ص ١١٠-١١٧.

و«طما البحر»: ارتفع بأمواجه «والهب» الانتباه من النوم ونشاط كلّ سائر وسرعته، وَهَبَّ يفعل كذا: طفق ذكرها الفيروزآبادي وقال: رجل «محل» أي منتهك للحرام أو لا يرى للشهر الحرام حرمة. «وأكثر لنا من لطف الجند» أي ابعث الطلا إلينا كثيراً من جملة لَطَفِ الجند أي طعامهم قال في القاموس: اللطف بالتحريك: اليسير من الطعام وغيره وبهاء الهديّة انتهى.

ويمكن أن يقرأ «لنَأمَنَ» على الفعل من الأمن أي إذا علم الجند أنّ أرزاق أولادهم موفرة لا يخونوننا في لطفهم وعطفهم «وهم لهم صالح» أي الطلا صالح للذرية والأطفال.

«غمص الناس» أي احتقرهم ولم يرهم شيئاً «وسفه الحق» أي جهله أو عدّه سفهاً «ويوم» عصيب وعصبصب: شديد وفلان رابط الجأش: شجاع «وهو جذل» بالذال أي فرح. وبالراء أي صاحب رأي جيّد وشديد. والأمراس: الحبال «إلى من سفه نفسه» أي جعلها سفيهة استعمل استعمال المتعدي فهو في قوة سفه نفساً.

«وما لا يدركه» أي الخلافة الواقعية «وبرقت السماء»: لمعت أو جاءت تبرق والبارق: سحاب ذو برق. وقال الجوهري: الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر وهي مؤنّثة لا واحد لها من لفظها والكثير أذواد وفي المثل: الذود إلى الذود إبل. قولهم «إلى» بمعنى مع أي إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً.

وقال الزمخشري في المستقصى: «من لا يذد عن حوضه يهدّم» من قول زهير:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يُهَدَّم ومن لا يظلم الناس يُظْلَم

يضرب [مثلاً] في تهضم غير المدافع عن نفسه انتهى.

وقال أبو عبيد أي من لا يدفع الضيم عن نفسه يركب بالظلم.

أقول: روى ابن أبي الحديد أكثر ما رويناه عن نصر فجمعنا بين الروايتين.

ثم قال نصر وابن ابي الحديد: ودعا [عليّ عليه السلام] زياد بن النضر وشريح بن هانئ وكانا على مذحج والأشعريين فقال:

يا زياد اتّق الله في كلّ ممسى ومصبح وخف على نفسك الدّنيا الغرور ولا تأمنها على حال من البلاء واعلم أنّك إن لم تزعها عن كثير مما تحبّ مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعاً وازعاً من البغي والظلم والعدوان فإنّي قد ولّيتك هذا الجند فلا تستطيلنّ عليهم إنّ خيركم عند الله أتقاكم وتعلّم من عالمهم وعلّم جاهلهم واحلم عن سفيههم فإنّك إنّما تدرك الخير بالحلم وكفّ الأذى والجهل.

فقال زياد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيتك مؤدّباً بأدبك يرى الرشد في نفاذ أمرك والغي في تضييع عهدك.

فأمرهما أن يأخذا على طريق واحد ولا يختلفا، وبعثهما في اثني عشر ألفاً على مقدّمته وكلّ منهما على جماعة من هذا الجيش.

فلمّا سارا اختلفا وكتب كل منهما إليه يشكو من صاحبه فكتب عليه السلام إليهما:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانئ سلام عليكما فإنّي أحمد إليكما الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد فإنّي وليت زياد بن النضر مقدّمتي وأمرته عليها وشريح على طائفة منها أمير فإن جمعكما بأس فزياد على النّاس كلهم وإن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفة التي ولّيته عليها.

واعلما أنّ مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم وإذا أنتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوّكما فلا تَسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كلّ جانب كيلا يعتريكما عدو أو يكون لهم كمين.

ولا تُسيِّرُنَّ الكتائب من لدن الصّباح إلى المساء إلاّ على تعبئة فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة.

فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم [عدوّ] فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءاً ودونكم مَرَدّاً، ولتكن مقاتلتكم من وجه [واحد] أو اثنين.

واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدوّ من مكان مخافة أو أمن. وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً.

وإذا غشيكم الليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرّماح والترسة ولتكن رماتكم من وراء ترستكم ورماحكم يلونهم وما أقمتم فكذلكم فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة ولا تُلفى لكم غرّة فما من قوم يحفّون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلاّ كانوا كأنّهم في حصون.

واحرسا عسكركما بأنفسكما وإيّاكما أن تذوقا نوماً حتّى تصبحا إلاّ غراراً أو مضمضة ثمّ ليكن ذلك شأنكما ورأيكما إلى أن تنتهيا إلى عدوّكما وليكن عندي كلّ يوم خبركما ورسول من قبلكما فإنّني - ولا شيء إلاّ ما شاء الله - حثيث السير في آثاركما.

وعليكما في حربكما بالتّؤدة وإياكما والعجلة؟ إلاّ أن يمكنكما فرصة بعد الإعذار والحجّة. وإيّاكما أن تقاتلا حتّى أقدم عليكما إلاّ أن تُبدآ أو يأتيكما أمري إن شاء الله[(١)].

أقول: أورد ابن ميثم هذا المكتوب في شرحه وأورد السيد [الرّضيّ] رحمه الله في النهج بعض هذا المكتوب على خلاف الترتيب وآخره:

وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفّة ولا تذوقوا النوم إلاّ غراراً أو مَضْمَضَةً.

وقال ابن ميثم: العين: الجاسوس. وطليعة الجيش: الذي يبعث ليطلع على حال العدو ونفض الشعاب: استقراؤها.

---

(١) وقعة صفين، ص ١٢١-١٢٨.

أقول: قال في النهاية: فيه أنا أنفض لك ما حولك أي أحرسك وأطوف هل أرى طلباً يقال: نفضت المكان واستنفضته وتنفّضته إذا أظهرت [نظرت] جميع ما فيه والنفضة والنفيضة قوم يبعثون متجسّسين هل يرون عدوّاً أو خوفاً.

وقال ابن ميثم: الخمر ما واراك من شجر أو جبل ونحوهما. والكمين: الواحد أو الجمع يستخفون في الحرب حيلة للإيقاع بالعدوّ. والكتيبة: الجيش وتعبئته: جمعه وإعداده.

وتكرير الاستثناء في عقيب النهي عن تسيير الكتائب للحصر أمّا الأولى: فيفيد حصر التسيير في الوقت المشار إليه وأمّا الثانية فيفيد حصره في حال التعبئة. ودهمه الأمر كمنع وسمع: غشيه. والدّهم: العدد الكثير. والمعسكر بفتح الكاف: موضع العسكر.

وقال الجوهري: الأشراف: الأماكن العالية. وقال: القُبْل والقُبُل نقيض الدُبْر والدُبُر يقال: انزل بُقُبل هذا الجبل أي بسفحه ولي قِبَل فلان حق أي عنده. وسفح الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء. والثني من الوادي والجبل: منعطفه ذكره الجوهري والردء: العون في المقاتلة. قوله عليه السلام: مرداً أي حاجزاً بينكم وبين العدوّ أي تكون تلك الأماكن حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدوّ أن يأتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة [لهم].

ثم وصاهم بأن يكون مقاتلتهم من وجه واحد فإن لم يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض وأمّا المقاتلة من وجوه كثيرة فتستلزم التفرق والضعف.

والرقباء: الحفظة. و[قال الفيروزآبادي] في القاموس: الرقيب: الحافظ والمنتظر والحارس. وأصل الصياصي القرون ثم استعير للحصون لأنّه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن بقرنه. وقال ابن ميثم: صياصي الجبال: أعاليها وأطرافها. ومناكب الهضاب: أعاليها.

وقال الجوهري: الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض والجمع هضب وهضاب.

قوله عليه السلام: «كفّة» قال ابن أبي الحديد: أي مستديرة حولكم وكل ما استدار فهو كفّه بالكسر نحو كفة الميزان، وكلّ ما استطال فهو كفّة [بالضمّ] نحو كفّة الثوب [وهي حاشيته وكفّة الرمل وهي ما كان منه كالحبل].

وقال في النهاية: غرار النوم: قلته وقال في [مادّة «مضمض» نقلاً عن الهروي] في حديث عليّ: «لا تذوقوا النوم إلاّ غراراً أو مضمضةً» لمّا جعل النوم ذوقاً أمرهم أن لا ينالوا منه إلاّ بألسنتهم ولا يسيغوه لشبهه بالمضمضة بالماء وإلقائه من الفم من غير ابتلاع انتهى.

والترسة: جمع الترس وقوله عليه السلام: «ولا شيء إلاّ ما شاء الله» جملة معترضة بين اسم إنّ وخبره قوله عليه السلام: «إلاّ أن تبدآ» على بناء المجهول أي يبدؤكم العدوّ بالقتال.

٣٧٤ - **نهج:** [و] من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه:

وقد أمّرت عليكما وعلى مَنْ في حَيِّزِكُما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له وأطيعا [ه] واجعلاه درعاً ومجنّاً فإنّه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ولا

إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل[١].

بيان: قال ابن ميثم: الأميران هما زياد بن النضر وشريح بن هانئ وذلك أنّه حين بعثهما مقدّمة له في اثني عشر ألفاً لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام فكتبا إليه يعلمانه بذلك، فأرسل إلى الأشتر فقال له: يا مالك إنّ زياد بن النّضر وشريحاً أرسلا إليّ يعلماني أنّهما لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشّام بسور الروم فنبّأني الرسول أنّه تركهم متواقفين فالنّجا إلى أصحابك النجا فإذا أتيتهم فأنت عليهم إيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدأوك حتّى تلقاهم وتسمع منهم.

ولا يجرمنّك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة.

واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً وقف من أصحابك وسطاً ولا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم إليك فإنّي حثيث السير إليك إن شاء الله. وكتب إليهما: «أمّا بعد فإنّي أمّرت عليكما» إلى آخر الكتاب.

والحيّز: الناحية. والسقطة: الزلّة. والأمثل: الأفضل.

٣٧٥ - ٣٨٥ وقال ابن أبي الحديد: قال نصر بن مزاحم: وكتب عليه السلام إلى أمراء الأجناد - وكان قد قسم عسكره أسباعاً فجعل على كلّ سبع أميراً -:

أمّا بعد فإنّي أبرأ إليكم من معرّة الجنود فاعزلوا الناس عن الظلم والعدوان وخذوا على أيدي سفهائكم واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يرضى الله بها عنا فيردّ بها علينا وعليكم دعاءنا فإنّه تعالى يقول: ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[٢] وإنّ الله إذا مقت قوماً من السماء هلكوا في الأرض. فلا تألوا أنفسكم خيراً، ولا الجند حسن سيرة ولا الرعيّة معونة، ولا دين الله قوّة، وأبلوه في سبيله ما استوجب عليكم فإنّ الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما يجب علينا أن نشكره بجهدنا وأن ننصره ما بلغت قوّتنا ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

قال: وكتب عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم وعليهم:

أما بعد فإنّ الله جعلكم في الحقّ جميعاً سواءاً أسودكم وأحمركم وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الولد من الوالد والوالد من الولد، فجعل لكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم والكفّ عن فيئكم فإذا فعل معكم ذلك وجبت عليكم طاعته فيما وافق الحقّ ونصرته والدفع عن سلطان الله فإنّكم وزعة الله في الأرض فكونوا له أعواناً ولدينه أنصاراً ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها إن الله لا يحبّ المفسدين.

قال نصر: وروى عن ابن نباتة قال: قال عليّ عليه السلام: ما يقول الناس في هذا القبر بالنخيلة؟ - وبالنخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله - فقال الحسن بن عليّ عليه السلام:

(١) نهج البلاغة، ص ٥٠٢ خ ٢٥١. (٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

يقولون: هذا قبر هود لمّا عصاه قومه جاء فمات ها هنا. فقال: كذبوا لأنا أعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب.

ثم قال: أها هنا أحد من مهرة؟ فأُتي بشيخ فقال أين منزلك؟ قال: على شاطئ البحر. قال: أين أنت من الجبل [الأحمر؟] قال: أنا قريب منه. قال: فما يقول قومك فيه؟ قال: يقولون: إنّ فيه قبر ساحر. قال: كذبوا ذاك قبر هود النبي عليه السلام وهذا قبر يهودا بن يعقوب [بكره].

ثم قال: يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرّة الشمس يدخلون الجنة بلا حساب.

قال نصر: فلمّا نزل عليّ النخيلة متوجّهاً إلى الشام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذٍ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضباً بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله فخطبهم وحثّهم على القتال فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعد للقاء عليّ عليه السلام (١).

بيان: وجدت [الحديث] في كتاب صفّين مثله.

وقال في النهاية: فيه: «اللّهم إنّي أبرأ إليك من معرة الجيش» هو أن ينزلوا بقوم فيأكلوا من زروعهم بغير علم.

وقيل هو قتال الجيش بدون إذن الأمير. والمعرّة: الأمر القبيح المكروه والأذى انتهى.

والتعميم أولى أي [إنّي] أبرأ إليكم من كلّ ما فعلتموه وفعل جنودكم من الظلم والعدوان فإنّي أنهاكم عنه وأعلمكم آداب السير والنزول «فلا تألوا أنفسكم خيراً» أي لا تقصّروا في كسب الخير لأنفسكم ولا في أمر الجند بحسن السيرة ولا في إعانة الرعيّة ولا في تقوية الدين «وأبلوه» أي أعطوه.

وفي النهاية: «فيه أُقِيدُ من وزعة الله؟» الوزعة: جمع وازع وهو الذي يكفّ الناس ويحبس أوّلهم على آخرهم أراد أقيد من الّذين يكفّون الناس عن الإقدام على الشر؟ ومنه حديث الحسن لمّا ولي القضاء قال: «لا بدّ للناس من وزعة» أي من يكفّ بعضهم عن بعض يعني السلطان وأصحابه.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال نصر بن مزاحم في كتاب صفّين - ووجدته في أصل كتابه أيضاً - قال: لما وضع عليّ عليه السلام رجله في ركاب دابّته يوم خرج من الكوفة إلى صفّين قال: بسم الله، فلمّا جلس على ظهرها قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ (٢).

اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ١٣٤، وقعة صفين ص ١٢٥.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣-١٤.

والولد، ومن الحيرة بعد اليقين. اللّهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، ولا يجمعهما غيرك، لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً.

قال: فخرج عليه السلام حتى إذا جاز حدّ الكوفة صلّى ركعتين.

وروي عن زيد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام أنّ علياً عليه السلام خرج وهو يريد صفّين حتى إذا قطع النهر أمر مناديه فنادى بالصّلاة فتقدّم فصلّى ركعتين حتّى إذا قضى الصّلاة أقبل على النّاس بوجهه فقال: أيّها الناس ألا من كان مشيعاً أو مقيماً فليتم الصّلاة فإنّا قوم سفر ألا ومن صحبنا فلا يصومنّ المفروض والصّلاة المفروضة ركعتان.

قال نصر: ثم خرج حتى أتى دير أبي موسى وهو من الكوفة على فرسخين فلمّا انصرف من الصّلاة قال: سبحان الله ذي الطول والنعم سبحان الله ذي القدرة والافضال أسأله الرضا بقضائه والعمل بطاعته والانابة إلى أمره إنّه سميع الدعاء.

ثم خرج عليه السلام حتى نزل على شاطئ نرس بين مسجد حمّام أبي بردة وحمّام عمر فصلّى بالناس المغرب فلمّا انصرف قال: الحمد لله الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في اللّيل والحمد لله كلّما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلّما لاح نجم وخفق.

ثم أقام حتّى صلّى الغداة ثمّ شخص حتّى بلغ إلى بيعة إلى جانبها نخل طوال فلمّا رآها قال: «والنخل باسقات لها طلع نضيد» فنزلها ومكث بها قدر الغداء.

قال نصر: [و] روي عن محمّد بن مخنف أنّه قال: إنّي لأنظر إلى أبي وهو يساير علياً عليه السلام وهو يقول: إنّ بابل أرض قد خُسف بها فحرّك دابّته وحرّك الناس دوابّهم في أثره فلمّا جاز جسر الصراة نزل فصلّى بالناس العصر.

قال: وحدّثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرّة عن أبيه عن عبد خير قال: كنت مع عليّ عليه السلام أسير في أرض بابل قال: وحضرت الصّلاة، صلاة العصر قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلاّ رأيناه أفيح من الآخر قال: حتّى أتينا على مكان أحسن ما رأينا وقد كادت الشمس أن تغيب قال: ونزل عليّ عليه السلام ونزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر قال: فصلّينا العصر ثم غابت الشمس.

ثم خرج حتى أتى دَيْر كعب ثمّ خرج منه فبات بساباط فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزل والطعام فقال: لا ليس ذلك لنا عليكم فلمّا أصبح وهو بمظلم ساباط قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾.

قال نصر: وحدّثنا منصور بن سلام عن حيان التيمي عن أبي عبيدة عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع عليّ عليه السلام صفّين فلمّا نزل بكربلاء صلّى بنا فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثم قال: واهاً لك يا تربة ليحشرن معك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب.

قال: فلمّا رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير وكانت من شيعة عليّ عليه السلام

حدّثها هرثمة فيما حدث فقال لها : ألا أعجبك من صديقك أبي حسن؟ قال : لمّا نزلنا كربلاء وقد أخذ حفنة من تربتها فشمّها وقال : «واهاً لك أيتها التربة ليحشرنّ منكم قوم يدخلون الجنّة بغير حساب» وما علمه بالغيب؟ فقالت المرأة له : دعنا منك أيّها الرجل فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلاّ حقاً.

قال : فلمّا بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه‌السلام كنت في الخيل التي بعث إليهم فلمّا انتهيت إلى الحسين وأصحابه عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع عليّ والبقعة الّتي رفع من تربتها والقول الذي قاله فكرهت مسيري فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه‌السلام فسلّمت عليه وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل فقال الحسين عليه‌السلام : أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا ابن رسول الله لا معك ولا عليك تركت ولدي وعيالي وأخاف عليهم من ابن زياد. فقال عليه‌السلام : اذهب حتى لا ترى مقتلنا فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم أحد مقتلنا ثم لا يعيننا إلاّ دخل النار. قال: فأقبلت في الأرض أشتدّ هرباً حتى خفي عليّ مقتلهم.

وروي أيضاً عن سعيد بن وهب قال: بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه‌السلام عند توجّهه إلى صفّين فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده ويقول: ها هنا ها هنا فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ثَقَلٌ لآل محمّد ينزل ها هنا فوَيل لهم منكم وويل لكم منهم.

فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال : ويل لهم منكم تقتلونهم وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم إلى النار.

قال نصر : وقد روي هذا الكلام على وجه آخر : قال: فويل لكم منهم وويل لكم عليهم. فقال الرجل: أمّا ويل لنا منهم فقد عرفناه فوَيل لنا عليهم ما معناه؟ فقال : ترونهم يقتلون لا تستطيعون نصرتهم.

قال نصر : وحدّثنا سعيد بن حكيم العبسي عن الحسن بن كثير عن أبيه أن عليّاً عليه‌السلام أتى كربلاء فوقف بها فقيل له: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء؟ فقال : نعم ذات كرب وبلاء ثم أوم بيده إلى مكان آخر فقال : ها هنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم ثم أومى بيده إلى مكان آخر ثم قال: ها هنا مراق دمائهم!! ثم مضى إلى ساباط حتّى انتهى إلى مدينة بهرسير[1].

٣٨٦ - **نهج**: ومن خطبة له عليه‌السلام عند المسير إلى الشام:

الحمد لله كلّما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلّما لاح نجم وخفق، والحمد لله غير مفقود الإنعام ولا مكافأ الإفضال.

أمّا بعد فقد بعثت مقدّمتي وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتّى يأتيهم أمري وقد رأيت أن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج ٣ ص ١١٦، وقعة صفين ص ١٣٢.

أقطع هذه النّطفة إلى شرذمة منكم موطّنين أكناف دجلة فأنهضهم معكم إلى عدوّكم وأجعلهم من أمداد القوّة لكم.

قال السيّد رَحمه الله: يعني بالملطاط السّمت الذي أمرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال ذلك أيضاً لشاطئ البحر وأصله ما استوى من الأرض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها(١).

بيان: قال ابن ميثم روي أنّه عليه السلام خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة متوجهاً إلى صفّين لخمس بقين من شوّال سنة سبع وثلاثين.

ووقب الليل: أي دخل. وغسق أي أظلم. ولاح أي ظهر. وخفق النجم وأخفق إذا انحطّ في الغرب أو غاب. وكافأته مكافأة وكفاءاً أي جازيته وكل شيء ساوى شيئاً فهو مكافئ له. والإفضال: الإحسان. ومقدّمة الجيش - بالكسر وقد يفتح -: أوّله ومتقدّموه «والنطفة» بالضم الماء الصافي قل أو كثر. والشرذمة بالكسر: القليل من الناس. والجار متعلّق بمحذوف أي متوجّهاً إليهم. وأوطن المكان ووطنه واستوطنه: اتّخذه وطناً. والمراد قوم من أهل المدائن روي أنّهم كانوا ثمانمائة رجل. والكنف بالتحريك: الجانب والناحية. ونهض كمنع: قام. وأنهضه غيره: أقامه. والأمداد: جمع مدد بالتّحريك وهو المعين والناصر.

وقال ابن الحديد: وزاد أصحاب السير في هذه الخطبة: «وقد أمّرت على المصر عقبة بن عمرو ولم آلكم ولا نفسي [نُصحاً] فإياكم والتخلّف والتربّص فإنّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعي وأمرته أن لا يترك متخلّفاً إلاّ ألحقه بكم عاجلاً إنشاء الله».

وروى نصر بن مزاحم عوض قوله: «إلى عدوكم» إلى عدو الله.

٣٨٧ - ٣٩٤ - **أقول:** وجدت في كتاب صفّين زيادة وهي:

«الحمد لله غير مفقود النعم ولا مكافأ الإفضال، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ونحن على ذلكم من الشاهدين، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله أمّا بعد..».

وقال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين والله ما يتخلّف عنك إلاّ ظنين ولا يتربّص بك إلاّ منافق فمر مالك بن حبيب فيضرب أعناق المتخلفين.

فقال: قد أمرته بأمري وليس بمقصّر إن شاء الله.

قال وقال مالك بن حبيب - وهو آخذ بعنان دابّته عليه السلام -: يا أمير المؤمنين أتخرج بالمسلمين فيُصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلّفني في حشر الرجال؟ فقال له عليّ عليه السلام: إنّهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلاّ كنت شريكهم فيه وأنت ها هنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم. قال: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٢١ خ ٤٨.

قال نصر: ثمّ سار عليه السلام حتّى انتهى إلى مدينة «بهرسير» وإذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم ينظر إلى آثار كسرى ويتمثّل بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام: ألا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1]. إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين إنّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النقم. [ثمّ قال:] انزلوا بهذه الفجوة.

قال نصر: وحدّثنا عمر بن سعد عن مسلم الأعور عن حبّة العُرني قال: أمر عليّ عليه السلام الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين صلاة العصر فوافوه في السّاعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد فإنّي قد تعجّبت من تخلّفكم عن دعوتكم وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها الهالك أكثر ساكنيها لا معروف تأمرون به ولا منكر تنهون عنه.

قالوا: يا أمير المؤمنين كنّا ننتظر أمرك مرنا بما أحببت.

فسار وخلّف عليهم عدي بن حاتم فأقام عليهم ثلاثاً ثمّ خرج في ثمانمائة رجل منهم وخلّف ابنه زيداً بعده فلحقه في أربعمائة رجل منهم.

وجاء عليّ عليه السلام حتّى مر بالأنبار فاستقبله بنو خُشْنُوشَك [دهاقنتها] قال نصر: الكلمة فارسيّة أصلها خُش أي الطيّب [و «نوشك»: راض يعني بني الطيّب الراضي بالفارسيّة] قال: فلمّا استقبلوه نزلوا عن خيُولهم ثم جاؤا يشتدّون معه وبين يديه ومعهم براذين قد أوقفوها في طريقه. فقال: ما هذه الدواب التي معكم وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منّا نُعظّم به الأمراء وأمّا هذه البراذين فهديّة لك وقد صنعنا للمسلمين طعاماً وهيّأنا لدوابكم علفاً كثيراً.

فقال عليه السلام: أمّا هذا الذي زعمتم أنّه فيكم خلق تعظّمون به الأمراء فوالله ما ينفع ذلك الأمراء وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وأبدانكم فلا تعودوا له.

وأمّا دوابّكم هذه فإن أحببتم أن آخذها منكم وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم. وأمّا طعامكم الذي صنعتم لنا فإنّا نكره أن نأكل من أموالكم إلاّ بثمن!! قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نُقوّمه ثم نقبل ثمنه. قال: إذاً لا تقوّمونه قيمته نحن نكتفي بما هو دونه قالوا: يا أمير المؤمنين فإنّ لنا من العرب موالي ومعارف أتمنعنا أن نهدي لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منّا؟ فقال: كلّ العرب لكم موال وليس لأحد من المسلمين أن يقبل هديّتكم وإن غصبكم أحد

(١) سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٩.

فأعلمونا قالوا: يا أمير المؤمنين إنّا نحب أن تقبل هديّتنا وكرامتنا قال: ويحكم فنحن أغنى منكم. فتركهم وسار.

قال نصر: وحدّثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي سعيد التيمي المعروف بعقيصا قال: كنا مع عليّ عليه السلام في مسيره إلى الشام حتى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السّواد عطش الناس واحتاجوا إلى الماء فانطلق بنا عليّ عليه السلام حتى أتى إلى صخرة مضرّس في الأرض كأنّها ربضة عنز فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا تحتها ماء فشرب الناس منه حتى ارتووا ثم أمرنا فأكفأناها عليه.

وسار الناس حتّى إذا مضى قليلاً قال عليه السلام: أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فانطلقوا إليه فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاة فاقتصصنا الطريق إليه حتى انتهينا إلى المكان الذي نرى أنه فيه فطلبناه فلم نقدر على شيء، حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منّا فسألناهم أين هذا الماء الذي عندكم؟ قالوا: ليس قربنا ماء فقلنا: بلى إنّا شربنا منه قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا: نعم. فقال صاحب الدير: والله ما بني هذا الدير إلاّ بذلك الماء وما استخرجه إلاّ نبي أو وصي نبي.

قال: ثمّ مضى عليه السلام حتى نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بجُزُر فقال عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبيّ: يا يزيد. قال: لبّيك يا أمير المؤمنين. قال: هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم ومن شرابهم فاشرب. قال: نعم.

ثم سار حتى أتى الرقة وجلّ أهلها عثمانية فرّوا من الكوفة إلى معاوية فأغلقوا أبوابها دونه فتحصنوا وكان رئيسهم سماك بن مخرمة الأسدي بالرقّة في طاعة معاوية وقد كان فارق عليّاً في نحو من مائة رجل من بني أسد ثم كاتب معاوية وأقام بالرقّة حتى لحق به منهم سبعمائة رجل.

قال نصر: فروى حبّة أن عليّاً عليه السلام لمّا نزل على الرّقة نزل على موضع يقال له: البليخ على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعليّ عليه السلام إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم أعرضه عليك؟ قال: نعم فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما كتب أنّه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ويدلّهم على سبيل الله لا فظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسّيئة السّيئة بل يعفو ويصفح، أمّته الحمّادون الذين يحمدون الله على كلّ نشر وفي كلّ صعود وهبوط تذلّ ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح وينصره الله على من ناواه. فإذا توفاه الله اختلفت أمّته من بعده ثمّ اجتمعت فلبثت ما شاء الله ثم اختلفت فيمرّ رجل من أمّته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحقّ، ولا يركس في

الحكم الدنيا أهون عليه من الرّماد في يوم عصفت به الريح والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن. يخاف الله في السر وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم.

فمن أدرك ذلك النبيّ ﷺ من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانه والجنّة.

ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّ القتل معه شهادة.

ثمّ قال: أنا مصاحبك فلا أفارقك حتّى يصيبني ما أصابك.

فبكى [عليّ] عليه السلام ثمّ قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده مَنْسيّاً، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار. فمضى الراهب معه فكان فيما ذكروا يتغدّى مع أمير المؤمنين عليه السلام ويتعشّى حتّى أصيب يوم صفّين فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام: اطلبوه فلمّا وجده صلّى عليه ودفنه وقال: هذا منّا أهل البيت واستغفر له مراراً.

روى هذا الخبر نصر في [أواسط الجزء الثالث من] كتاب صفّين عن عمر بن سعد عن مسلم الأعور عن حبّة العُرَني.

ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني بهذا الإسناد عن حبّة أيضاً في كتاب صفّين.

قال نصر: وحدّثني عمر بن سعد [الأسدي] عن نمير بن وعلة عن أبي الودّاك أنّ عليّاً عليه السلام بعث من المدائن معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف وقال له: خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القني بالرقة فإنّي موافيها وسَكِّن الناس وآمنهم ولا تقاتل إلاّ من قاتلك وسر البردين وغوّر بالناس أقم الليل ورفّه في السير ولا تسر أوّل الليل فإنّ الله جعله سكناً، أرح فيه نفسك وجندك وظهرك فإذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر [على بركة الله].

فسار [معقل] حتى أتى «الحَدِيثَة» وهي إذ ذاك منزل الناس إنّما بنى مدينة الموصل بعد ذلك محمد بن مروان فإذا بكبشين ينتطحان ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شدّاد بن أبي ربيعة فأخذ يقول: إيهٍ إيهٍ فقال معقل: ما تقول؟ فجاء رجلان نحو الكبشين فأخذ كلّ واحد منهما كبشاً فانصرفا فقال الخثعمي: لا تَغْلِبون ولا تُغْلَبون قال معقل: من أين علمت؟ قال: أبصرت الكبشين أحدهما مشرّق والآخر مغرّب التقيا فاقتتلا وانتطحا فلم يزل كل واحد من صاحبه منتصفاً حتى أتى كلّ واحد منهما صاحبه فانطلق به فقال معقل: أو يكون خيراً مما تقول يا أخا خثعم. ثمّ مضى [معقل] حتّى وافى عليّاً عليه السلام بالرّقة.

قال نصر: وقالت طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام له: يا أمير المؤمنين اكتب إلى معاوية ومن قبله من قومك فإنّ الحجّة لا تزداد عليهم بذلك إلاّ عظماً فكتب عليه السلام إليهم:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبله من قريش سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد فإنّ لله عباداً آمنوا بالتنزيل وعرفوا التّأويل وفقهوا في الدّين وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرّسول ﷺ مكذّبون بالكتاب مجمعون على

حرب المسلمين من ثقفتم منهم حبستموه أو عذّبتموه وقتلتموه، حتى أراد الله تعالى إعزاز دينه وإظهار أمره فدخلت العرب في الدّين أفواجاً وأسلمت هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً.

فكنتم فيمن دخل هذا الدّين إمّا رغبة وإمّا رهبة على حين فاز أهل السَّبق بسبقهم وفاز المهاجرون والأنصار بفضلهم ولا ينبغي لمن ليست لهم مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولى به فيحوب ويظلم.

ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره ولا يعدو طوره ويشقي نفسه بالتماس ما ليس بأهله فإنّ أولى النّاس بأمر هذه الأُمّة قديماً وحديثاً أقربها من الرسول وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين أولهم إسلاماً وأفضلهم جهاداً وأشدّهم بما تحمله الرعيّة من أمر الله اضطلاعاً فاتّقوا الله الذي إليه ترجعون: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

واعلموا أنّ خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون وأنّ شرارهم الجهّال الّذين ينازعون بالجهل أهل العلم فإنّ للعالم بعلمه فضلاً وإنّ الجاهل لا يزداد بمنازعته العالم إلاّ جهلاً.

ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وحقن دماء هذه الأُمّة فإن قبلتم أصبتم رشدكم واهتديتم لحظكم وإن أبيتم إلاّ الفرقة وشقّ عصا هذه الأُمّة لن تزدادوا من الله إلاّ بعداً ولن يزداد الرّب عليكم إلاّ سخطاً والسّلام.

فكتب إليه معاوية جواب هذا الكتاب سطراً واحداً وهو أمّا بعد فإنّه:

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فقال عليّ عليه السلام لمّا أتاه هذا الجواب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

قال نصر: أخبرني عمر بن سعد عن الحجاج بن أرطاة عن عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث أنّ علياً عليه السلام قال لأهل الرّقة: جسّروا لي جسراً أعبر عليه من هذا المكان إلى الشام فأبوا وقد كانوا ضمّوا السفن إليهم.

فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلّف عليهم الأشتر فناداهم فقال: يا أهل هذا الحصن: إنّي أُقسم بالله إن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لأُجردنّ فيكم السّيف فلأقتلنّ مقاتلتكم ولأخربن أرضكم ولآخذن أموالكم.

فلقي بعضهم بعضاً فقالوا: إنّ الأشتر يفي بما يحلف عليه وإنّما خلفه عليّ عندنا ليأتينا بشرّ فبعثوا إليه إنا ناصبون لك جسراً فأقبلوا.

فأرسل الأشتر إلى عليّ عليه السلام فجاء ونصبوا له الجسر فعبروا الأثقال والرجال وأمر الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلاّ عبر ثم عبر آخر الناس.

قال الحجّاج: وازدحمت الخيل حين عبرت فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين فنزل فأخذها فركب ثم سقطت قلنسوة عبد الله بن الحجّاج فنزل فأخذها ثم ركب فقال لصاحبه:

فإن يك ظنّ الزاجري الطير صادقاً كما زعموا أُقتل وشيكاً وتقتل

فقال [عبدالله بن أبي الحصين]: ما شيء أحبّ إليّ ممّا ذكرت فقتلا معاً يوم صفين.

قال نصر: فلمّا قطع عليّ الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرّحهما أمامه نحو معاوية في اثني عشر ألفاً وقد كان حين سرّحهما من الكوفة مقدمة له أخذا على شاطئ الفرات من قبل البرّ ممّا يلي الكوفة حتّى بلغا عانات فبلغهما أخذ عليّ عليه السلام طريق الجزيرة وعلما أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله فقالا: والله ما هذا برأي أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلّة من العدد منقطعين عن المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها وحبسوا عنهم السّفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ولحقوا عليّاً عليه السلام بقرية دون قرقيسيا فلما لحقوا عليّاً عليه السلام عجب وقال مقدّمتي يأتي من ورائي؟ فأخبره زياد وشريح بالرّأي الذي رأيا فقال: قد أصبتما رشدكما.

فلمّا عبر الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى معاوية لقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من الشام وهو على مقدمة معاوية فدعواه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبى فبعثوا إلى عليّ عليه السلام إنا قد لقينا أبا الأعور السلمي بسور الروم في جند من أهل الشام فدعوناه وأصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبى علينا فمرنا بأمرك.

فأرسل عليّ عليه السلام إلى الأشتر فقال: يا مالك إنّ زياداً وشريحاً أرسلا إليّ.

إلى آخر ما مرّ برواية ابن ميثم.

قال: وكتب عليّ عليه السلام إليهما - وكان الرّسول الحارث بن جمهان الجعفي -: أما بعد فإنّي قد أمّرت عليكما مالكاً فاستمعا له وأطيعا أمره فإنّه من لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما أن لا يبدأ القوم بقتال حتّى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم.

فخرج الأشتر حتّى قدم على القوم فاتّبع ما أمره به عليّ عليه السلام وكفّ عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتّى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم إنّ اهل الشام انصرفوا. ثم خرج [إليهم] هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدّتها وعددها فخرج إليهم أبو الأعور فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا. وبكّر عليهم الأشتر فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التنوخي قتله ظبيان بن عمارة التميمي وما هو يومئذٍ إلاّ فتى حديث السن وإن كان الشاميّ لفارس أهل الشام وأخذ الأشتر يقول: ويحكم أروني أبا الأعور.

ثم إنّ أبا الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه أوّل مرة وجاء الأشتر حتّى صفّ أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أوّل مرة فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى المبارزة. فقال: إلى

مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال الأشتر: أولو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم والذي لا إله إلا هو تعالى لو أمرتني أن أعترض صفّهم بسيفي فعلته حتى أضربه بالسيف فقال: يا ابن أخي أطال الله بقاءك قد والله ازددت فيك رغبة لا ما أمرتك بمبارزته إنّما أمرتك أن تدعوه لمبارزتي فإنّه لا يبارز إن كان ذلك من شأنه إلاّ ذوي الأسنان والكفاءة والشرف وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف ولكنّك حديث السنّ وليس يبارز الأحداث فاذهب فادعه إلى مبارزتي.

فأتاهم فقال: أنا رسول فأمّنوني. فأمّنوه فجاء حتّى انتهى إلى أبي الأعور فقال له: إنّ الأشتر يدعوك إلى المبارزة قال فسكت عنّي طويلاً ثمّ قال: إنّ خفّة الأشتر وسوء رأيه هو الذي دعاه إلى إجلاء عمّال عثمان وافترائه عليه يقبّح محاسنه ويجهّل حقه ويظهر عداوته ومن خفة الأشتر أنّه سار إلى عثمان في داره وقراره فقتله فيمن قتله وأصبح متبعاً بدمه لا حاجة لي في مبارزته!! فقلت: إنّك قد تكلّمت فاسمع حتى أجيبك فقال: لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك اذهب عنّي وصاح بي أصحابه فانصرفت عنه ولو سمع لأسمعته عذر صاحبي وحجّته فرجعت إلى الأشتر فأخبرته أنّه قد أبى المبارزة فقال: لنفسه نظر.

قال: فتواقفنا حتّى حجز بيننا وبينهم الليل وبتنا متحارسين فلمّا أن أصبحنا نظرنا فإذا هم انصرفوا. قال: وصبّحنا عليّ عليه السلام غدوة سائراً نحو معاوية فإذا أبو الأعور قد سبق إلى سهولة الأرض وسعة المنزل وشريعة الماء مكان أفيح وكان أبو الأعور على مقدّمة معاوية واسمه سفيان بن عمرو.

وكان وصول عليّ عليه السلام إلى صفّين لثمان بقين من المحرّم من سنة سبع وثلاثين.

قال نصر: فلمّا انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعاً سبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقناصرين إلى جانب صفّين وساق الأشتر يتبعه فوجده غالباً على الماء وكان في أربعة آلاف من مستبصري أهل العراق فصدموا أبا الأعور وأزالوه عن الماء فأقبل معاوية في جميع الفيلق بقضّه وقضيضه فلمّا رآهم الأشتر انحاز إلى عليّ عليه السلام وغلب معاوية وأهل الشام على الماء وحالوا بين أهل العراق وبينه.

وأقبل عليّ عليه السلام في جمعه فطلب موضعاً لعسكره وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم وهم أكثر من مائة ألف فلمّا نزلوا تسرّع فوارس من فوارس عليّ عليه السلام على خيولهم إلى جهة معاوية يطعنون ويرمون بالسهام ومعاوية بعد لم ينزل فناوشهم أهل الشام القتال فاقتتلوا هويّاً.

قال نصر فحدّثني عمر بن سعد عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال: فكتب معاوية إلى عليّ عليه السلام: عافانا الله وإياك ما أحسن العدل والإنصاف بمن عمل وأقبح الطيش ثم النفش في الرجل وكتب بعده:

اربط حمارك لا تنزع سويّته ... إذاً يردّ وقيد العير مكروب
ليست ترى السيد زيداً في نفوسهم ... كما تراه بنو كوز ومرهوب

إن تسألوا الحقّ يعط الحق سائله   والدّرع محقبة والسيف مقروب
أو تأنفون فإنّا معشر أنف   لا نطعم الضيم إنّ السمّ مشروب

فأمر عليّ عليه السلام أن يوزع الناس عن القتال حتى أخذ أهل الشام مصافّهم ثم قال: أيها الناس إنّ هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة ومن فلج فيه فلج يوم القيامة.

ثمّ قال لمّا رأى نزول معاوية بصفّين:

لقد أتانا كاشراً عن نابه   يُهمّط الناس على اعتزابه
فليأتنا الدهر بما أتى به

قال نصر: وكتب عليّ إلى معاوية جواب كتابه أمّا بعد:

فإنّ للحرب عُراماً شررا   إنّ عليها قائداً عَشَنْزَرا
ينصف من أحجر أو تَنَمَّرا   على نواحيها مِزَجّاً زَمْجرا
إذا وَنَيْنَ ساعة تغشمرا

وكتب بعده:

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم   أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً   لقومي أخرى مثلها إذ تغيّبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمّهاتُهُمْ   وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

قال: فتراجع الناس كلّ من الفريقين إلى معسكره وذهب شباب من الناس إلى الماء ليستقوا فمنعهم أهل الشام[1].

قال ابن أبي الحديد: قلت في هذه الألفاظ ما ينبغي أن يشرح قوله: «فاقتتلوا هويّاً» بفتح الهاء أي قطعة من الزمان، وذهب هويّ من الليل أي هزيع منه «والنفش»: كثرة الكلام. والدعاوى وأصله من نفش الصوف. «والسويّة»: كساء محشوّ بثمام ونحوه كالبرذعة. وكربت القيد إذا ضيّقته على المقيّد، وقيد مكروب أي ضيّق يقول: لا تنزع برذعة حمارك عنه واربطه وقيّده وإلاّ أعيد إليك وقيده ضيّق.

وهذا مثل ضربه لعليّ عليه السلام يأمره فيه بأن يردع جيشه عن التسرّع والعجلة عند الحرب.

وزيد المذكور في الشّعر هو زيد بن حُصَين بن ضرار [ابن عمرو بن مالك بن زيد بن كعْب ابن بجالة بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار ابن معد بن عَدْنان] من بني ضَبَّة وهو المعروف بزيد الخيل وكان فارسهم.

وَبَنُو السيّد من ضبّة أيضاً [وهم بنو السيّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أدّ بن طابَخة - إلى آخر النسب -] وبنُو السيّد بَنُو عمّ زيد الفوارس [لأنّه من بني ذُهْلَ بن مالك] وَهؤُلاء بَنُو

---

(١) وقعة صفين، ص ١٣١-١٦٠.

السيّد بن مالك وبينهم عداوة النسب يقول: إنّ بني السيّد لا يرون زيداً في نفوسهم كما يراه أهله الأدنون منه نسباً وهم بنو كوز وبنو مرهوب يقول: نحن لا نعظم زيداً ولا نعتقد فيه من الفضيلة ما يعتقده أهله وبنو عمه الأدنون.

والمثل لعليّ عليه السلام أي نحن لا نرى في عليّ ما يراه أهل العراق من تعظيمه وتبجيله.

والدرع محقبة أي بحالها في حقابها وهو ما يشدّ به في غلافها والسيف بحاله في قرابه وهو جَفْنَه يقال: حقبت الدرع وقربت السيف كلاهما ثلاثيان يقول: إن سألتم الحقّ أعطيناكموه من غير حاجة إلى الحرب بل نجيبكم إليه والدروع بحالها لم تلبس والسيوف في أجفانها لم تشهر.

وأمّا إثبات النون في «تأنفون» فللشعر يقول: وإن أنفتم وأبيتم إلاّ الحرب فإنّا نأنف مثلكم [أيضاً] لا نطعم الضيم ولا نقبله ثم قال: إنّ السم مشروب أي إنّ السم قد نشربه ولا نشرب الضيم أي نختار الموت على الذلّة.

والشعر لعبد الله بن غنم الضبي من بني السيّد.

فأمّا قوله عليه السلام: «هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة» أي من تلطخ فيه بعيب من فرار أو نكول عن العدوّ. يقال: نطف فلان - بالكسر - إذا تدنّس بعيب ونَطُف أيضاً إذا فسد يقول: من فسدت حاله اليوم في هذا الجهاد فسدت حاله غداً عند الله.

قوله: «من فلج فيه» بفتح اللام أي من ظهر وفاز يقال: فلج على خصمه كنصر أي ظهرت حجّته عليه. قوله عليه السلام «يهمّط الناس» أي يقهرهم ويخبطهم وأصله الأخذ بغير تقدير.

وقوله عليه السلام: «على اعتزابه» أي على بعده عن الإمارة والولاية على الناس.

والعرام بالضم: الشراسة والهوج. والعشنزر: الشديد القوي ينصف من يظلم الناس. وأحجر: ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أي بيوتهم. وتنمر أي تنكر حتّى صار كالنمر يقول: هذا القائد الشديد القوي ينصف من يظلم الناس ويتنكر لهم أي ينصف منه فحذف حرف الجر كقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ أي من قومه.

والمزج بكسر الميم: السريع النفوذ وأصله الرمح القصير كالمزراق ورجل زمجر أي مانع حوزته والميم زائدة. ومن رواها زمخراً بالخاء عنى به المرتفع العالي الشأن وجعل الميم زائدة أيضاً من زخر الوادي أي علا وارتفع. وغشمر السّيل: أقبل. والغشمرة: إتيان الأمر بغير تثبّت يقول: إذا أبطأن ساقهن سوقاً عنيفاً. والأبيات البائية لربيع بن مسروم الضبي.

وروى نصر عن عبد الله بن عوف قال: لمّا قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفّين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واحداً وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم وقد صفّ أبو الأعور عليها الخيل والرجالة وقدّم المرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق وعلى رؤوسهم البيض وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك.

فدعا صعصعة بن صوحان فقال: ائتِ معاوية فقل له: إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنّك قدّمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالحرب ونحن من رأينا الكفّ حتّى ندعوك ونحتجّ عليك وهذه أُخرى قد فعلتموها قد حُلْتُمْ بين الناس وبين الماء فخلّ بينهم وبينه حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم له، وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فلمّا مضى صعصعة برسالته إلى معاوية قال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان حصروه أربعين يوماً يمنعُونه برد الماء ولين الطعام اقتلهم عطشاً قتلهم الله. وقال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم وبين الماء فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته.

وقال عبد الله بن سعيد بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة: امنعهم الماء إلى الليل فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمتهم امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة. فقال صعصعة: إنّما يمنع الماء يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه فقال معاوية كفّوا عن الرجل فإنّما هو رسول.

قال عبد الله بن عوف: إنّ صعصعة لمّا رجع إلينا حدّثنا بما قال معاوية وما كان منه وما ردّه علينا وقال: لمّا أردت الانصراف من عنده قلت: ما تردّ عليّ؟ قال: سيأتيكم رأيي. قال: فوالله ما راعنا إلاّ تسوية الرجال والصفوف والخيل فأرسل إلى أبي الأعور امنعهم الماء فازدلفنا والله إليهم فارتمينا وأطعنّا بالرماح واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا فقلنا: لا والله لا نسقيهم. فأرسل عليّ عليه السلام أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا معسكركم وخلّوا بينهم وبين الماء فإنّ الله قد نصركم عليهم ببغيهم وظلمهم.

وقال نصر: قال عمرو بن العاص خلّ بينهم وبين الماء فإنّ عليّاً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتّى يشرب أو يموت وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق وقد سمعته أنا مراراً وهو يقول: «لو أنّ معي أربعين رجلاً» يوم فتّش البيت - يعني بيت فاطمة - لو استمكنت من أربعين رجلاً يعني في الأمر الأوّل.

قال: ولمّا غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة وقال معاوية: يا أهل الشام هذا والله أوّل الظفر لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتّى يقتلوا بأجمعهم عليه وتباشر أهل الشام. فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همداني ناسك يقال له المعرّي بن الأقبل فقال: يا معاوية سبحان الله ألئن سبقتم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء؟ أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه، أليس عظم ما تنالون من القوم أن تمنعونهم [فرضة من] الفرات فينزلون على فرضة أُخرى فيجازونكم بما صنعتم! أما تعلمون أنّ فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له؟ هذا والله أوّل الجهل. فأغلظ له معاوية.

قال [نصر]: ثمّ سار [الرجل] الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام ومكث أصحاب عليّ عليه السلام بغير ماء واغتمّ عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش فأتى الأشعث علياً فقال: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا؟ خلّ عنّا وعن القوم فوالله لا نرجع حتّى نرده أو نموت ومر الأشتر يعلو بخَيله ويقف حيث تأمر فقال عليّ عليه السلام ذاك إليكم.

فنادى الأشعث في الناس من كان يريد الماء [أ] والموت فميعاده موضع كذا فإنّي ناهض فأتاه اثنا عشر ألفاً من كندة وأفناء قحطان واضعي سيوفهم على عواتقهم فشدّ عليه سلاحه ونهض بهم حتّى كاد [أن] يخالط أهل الشام وجعل يلقي رمحه ويقول لأصحابه: بأبي وأمّي وأنتم تقدّموا إليهم قاب رمحي هذا فلم يزل ذلك دأبه حتّى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى: أنا الأشعث بن قيس خلّوا عن الماء فنادى أبو الأعور: أما والله حتى لا تأخذنا وإيّاكم السيوف فلا فقال الأشعث: قد والله أظنّها دنت منّا ومنكم.

وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره عليّ عليه السلام فبعث إليه الأشعث: أقحم الخيل فأقحمها حتّى وضعت بسنابكها في الفرات وأخذت أهل الشام السيوف فولّوا مدبرين.

قال: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر وزيد بن الحسن قالا: فنادى الأشعث عمرو بن العاص فقال: ويحك يا ابن العاص خلّ بيننا وبين الماء فوالله لئن لم تفعل لتأخذنا وإيّاكم السيوف. فقال عمرو: والله لا نخلي عنه حتّى تأخذنا السيوف وإيّاكم فيعلم ربنا سبحانه أيّنا أصبر اليوم. فترجّل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب عليّ عليه السلام وترجّل معهما اثنا عشر ألفاً فحملوا على عمرو وأبي الأعور ومن معهما من أهل الشام فأزالوهم عن الماء حتّى غَمست خيل عليّ عليه السلام سنابكها في الماء.

قال نصر: فروى لنا عمر بن سعد أنّ علياً عليه السلام قال ذاك اليوم: هذا يوم نصرتم فيه بالحمية. قال نصر: فحدّثنا عمرو عن جابر قال: خطب عليّ عليه السلام يوم الماء فقال:

أمّا بعد: فإنّ القوم قد بدأوكم بالظلم وفاتحوكم بالبغي واستقبلوكم بالعدوان وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء فأقرّوا على مذلّة وتأخير محلّة أو روّوا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين ألا وإنّ معاوية قاد لمّة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتّى جعل نحورهم أغراض المنيّة.

قال نصر: ودعا الأشتر بالحارث بن همّام النخعيّ فأعطاه لواءه ثم صاح الأشتر في أصحابه فدتكم نفسي شدّوا شدّة المحرج الراجي للفرج فإذا نالتكم الرماح التووا فيها فإذا عضّتكم السيوف فليعض الرجل على ناجذه فإنّه أشدّ لِشئون الرأس ثم استقبلوا القوم بهامكم.

قال: وكان الأشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم كأنّه حُلْك الغراب وقتل بيده من أهل الشام من فرسانهم وصناديدهم سبعة صالح بن فيروز العكّي ومالك بن أدهم السلماني

ورياح بن عتيك الغسّاني والأجلح بن منصور الكندي وكان فارس أهل الشام وإبراهيم بن وضّاح الجمحي وزامل بن عتيك الجذامي ومحمد بن روضة الجمحي وسمع أمير المؤمنين مرثية بعض نساء القتلى فقال: أما إنّهم أضرّوا بنسائهم فتركوهنّ أيامى حزانى بائسات قاتل الله معاوية اللّهم حمّله آثامهم وأوزاراً وأثقالاً مع أثقاله اللهم لا تعف عنه.

وعن صعصعة قال: أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء وحمل أبو الأعور وحمل الأشتر عليه فلم ينتصف أحدهما من صاحبه.

قال: وقال عمرو بن العاص لمعاوية لمّا ملك أهل العراق الماء: ما ظنّك يا معاوية بالقوم إن منعوك الماء كما منعتهم أمس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة؟ فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنّك بعليّ بن أبي طالب؟ قال ظنّي أنّه لا يستحل منك ما استحللت منه وأنّ الذي جاء له غير الماء.

قال نصر: فقال أصحاب عليّ عليه السلام له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك. فقال: لا خلّوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون فسنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلاّ ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله قال: فوالله ما أمسى الناس حتّى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشّام وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنساناً(١).

أقول: [رجعنا] إلى أصل كتاب نصر(٢) فوجدناه مطابقاً لما رواه ابن أبي الحديد عنه.

توضيح: قال الفيروزآبادي: منبج كمجلس: موضع. وقال: زجر الطائر: تفأل به. والزجر: العيافة والتكهّن. وقال: الرهق محرّكة: السفه والنوك والخفّة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم. وقال: السقاط: الوقعة الشديدة والعثرة. وقال: بحر أفيح: واسع. والفيحاء: الواسعة من الدّور. وقال: الفيلق - كصيقل -: الجيش. وقال: جاءوا بقضّهم بفتح الضاد وبضمها وفتح القاف وكسرها وبقضيضهم وجاؤا قضّهم وقضيضهم أي جميعهم. أو القضّ: الحصى الصغار والقضيض: الكبار أي جاؤا بالكبير والصّغير أو القضّ بمعنى القاض والقضيض بمعنى المقضوض. قوله: «لو استمكنت» لو للتمنّي أو الجزاء محذوف والأمر الأوّل بيعة أبي بكر. وقاب رمحي أي قدر رمحي قوله: «قد استطعموكم».

أقول: روى السيّد في [المختار (٥١) من] النهج من هذا الموضع إلى آخر الكلام أي طلبوا منكم القتال كأنّهم اضطرّوكم إليه إذ لا طاقة لكم على العطش فجعلوه مرغوباً لكم كما يرغب الإنسان إلى الطعام الذي به قوام بدنه «فأقرّوا على مذلّة» أي اعترفوا بها وانّه لا قدرة لكم

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٢١٧-٢٢٨.

(٢) وهو نصر بن مزاحم مؤلف كتاب صفين راجع ص ١٥٧ منه.

على دفعهم واصبروا عليها. أو اسكنوا أنفسكم في مكان الذلّ والمقهورية «وتأخير المحلة» دناءة المرتبة «أو روّوا السيوف» أي اجعلوها ريًّا - ضدّ عَطْشى - وقاد الفرس: ضد ساقه فالقود من أمام والسوق من خلف. واللّمة بالضم والتخفيف: الجماعة وقيل المثل في السن والترب. وعمّس بالمهملتين وتشديد الميم أي أبهم وأخفى ويظهر من ابن الأثير أنّه بالتخفيف. ويروى بالغين المعجمة وهو موجود في بعض نسخ النهج لكن بالتشديد وغمسه في الماء أي غطّه وغمس النجم أي غاب والغميس: الليل المظلم والظلمة والشيء الذي لم يظهر للناس ولم يعرف بعد. وفي بعض النسخ و«رمس عليهم» بالتّشديد والرمس: كتمان الخبر والمراد بالخبر خزي الدنيا أو عذاب الآخرة أو الأعمّ. والغرض: الهدف الذي يرمى فيه. والمنيّة: الموت. وقال الجوهري: الحلك: السّواد يقال: أسود مثل حلك الغراب وهو سواده.

١٢ - باب باب جمل ما وقع بصفين من المحاربات والاحتجاجات إلى التحكيم

قال ابن أبي الحديد - موافقاً لما وجدتُهُ في أصل كتاب صفّين لنصر بن مُزاحم -: لمّا ملك عليّ عليه السلام الماء بصفّين ثمّ سمح لأهل الشّام بالمشارَكَةِ فيه والمساهَمَة استمالة لقلوبهم مكث أيّاماً لا يُرْسل إلى معاوية أحداً ولا يأتيه من عند معاوية أحد، وَاسْتَبْطَأ أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا: يا أمير المؤمنين خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة ائذن لنا في قتال القوم فإنّ الناس قد قالوا قال عليّ عليه السلام: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: انّهم يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية للموت ومنهم من يظنّ أنّك في شكّ في قتال أهل الشام.

فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قطّ إنّ من العجب حُبّي لها غلاماً ويَفَعاً وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت وأمّا شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة فوالله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدت يسعني إلاّ القتال أو أن أعصي الله ورسوله ولكنّي أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدي فيهم طائفة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم الخيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس.

قال نصر بن مزاحم: فبعث عليّ عليه السلام إلى معاوية بشر بن عمرو وسعيد بن قيس وشبث بن ربعي فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة وإلى اتباع أمر الله سبحانه.

فقال شبث: يا أمير المؤمنين ألا نُطْمِعهُ في سلطان تولّيه إيّاه ومنزلة يكون لها بها أثرة عندك إن هو بايعك؟ قال: ائتوه الآن والقوه واحتجّوا عليه وانظروا ما رأيه في هذا.

فدخلوا عليه فابتدأ بشر بن عمرو بن محصن فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد يا معاوية فإن الدنيا عنك زائلة وإنّك راجع إلى الآخرة وإنّ الله مجازيك بعملك ومحاسبك بما قدّمت يداك وإنّني أنشدك الله أن تفرّق جماعة هذه الأمّة وأن تسفك دماءها بينها.

فقطع معاوية عليه الكلام فقال: فهلاّ أوصيت صاحبك؟ فقال: سبحان الله إنّ صاحبي لا يوصى إنّ صاحبي ليس مثلك صاحبي أحق الناس بهذا الأمر في الفضل والدّين والسّابقة في الإسلام والقرابة من الرسول. قال معاوية: فتقول ماذا؟ قال: أدعوك إلى تقوى ربّك وإجابة ابن عمّك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ فإنّه أسلم لك في دينك وخير لك في عاقبة أمرك. قال: ويُطلّ دم عثمان؟ لا والرحمن لا أفعل ذلك أبداً.

فذهب سعيد بن قيس ليتكلّم فبدره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن إنّه لا يخفى علينا ما تطلب إنّك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم إلاّ أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوماً فهلمّوا نطلب بِدَمِهِ فاستجاب لك سفلة طغام رذال وقد علمنا أنّك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي تطلب وربّ مبتغي أمراً وطالب له يحول الله دونه وربّما أوتي المتمنّي امنيته وربما لم يؤتها ووالله ما لك في واحدة منهما خير والله إن أخطأك ما ترجو إنّك لشر العرب حالاً ولئن أصبت ما تتمنّاه لا تصيبه حتّى تستحق صلي النار فاتّق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله.

فحمد معاوية الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنّ أوّل ما عرفت به سفَهَك وخفّة حلمك قطعُك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقه ثم عنّفت بعد فيما لا علم لك به ولقد كذبت ولؤمت أيّها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت انصرفوا من عندي فإنّه ليس بيني وبينكم إلاّ السّيف وغضب.

فخرج القوم وشبث يقول: أعلينا تُهوّل بالسيف؟ أما والله لنعجلنّه إليك.

قال نصر: وخرج قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام فعسكروا في ناحية صفّين في ثلاثين ألفاً. قال: وعسكر عليّ عليه السلام على الماء وعسكر معاوية فوقه على الماء أيضاً ومشت القرّاء بين عليّ عليه السلام ومعاوية منهم عبَيْدة السّلماني وعلقمة بن قيس النخعي وعبدالله بن عتبة وعمّار ابن عبد القيس فدخلوا على معاوية فقالوا: يا معاوية ما الذي تطلب؟

قال: أطلب بدم عثمان. قالوا: ممّن تطلب بدم عثمان؟ قال: أطلبه من عليّ. قالوا: أوعليّ قتله؟ قال: نعم هو قتله وآوى قتلته. فانصرفوا من عنده فدخلوا على عليّ عليه السلام وقالوا: إنّ معاوية زعم أنّك قتلت عثمان قال: اللّهم لكذب عليّ لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالأ. فرجعوا إليه عليه السلام وقالوا: يزعم أنّك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت ومالأت على قتل عثمان. فقال: اللّهم لكذب فيما قال.

فرجعوا إلى معاوية فقالوا: إنّ عليّاً يزعم أنه لم يفعل. فقال معاوية إن كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان فإنّهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده. فرجعوا إلى عليّ عليه السلام فقالوا: إنّ معاوية يقول لك إن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكّنا منهم فقال لهم: إن القوم

تأوّلوا عليه القرآن ووقعت الفرقة وقتلوه في سلطانه وليس على ضربهم قود فخصم عليّ معاوية. فقال لهم معاوية إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتزّ الأمر دوننا على غير مشورة منّا ولا ممّن ها هنا معنا؟ فقال عليّ عليه السلام: إنّ الناس تبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولاتهم وأمراء دينهم فرضوا بي وبايعوني ولست أستحلّ أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الأمّة ويركبهم ويشقّ عصاهم.

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال: ليس كما يقول فما بال من هو ها هنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟ فانصرفوا إليه عليه السلام فأخبروه بقوله فقال: ويحكم هذا للبدريين دون الصحابة وليس في الأرض بدريّ إلاّ وقد بايعني وهو معي أو قد أقام ورضي فلا يغرّنكم معاوية من أنفسكم ودينكم.

قال نصر: فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر وجماديين وهم مع ذلك يفزعون الفزعة فيما بينهما ويزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القراء بينهم قال ففزعوا في ثلاثة أشهر خمساً وثلاثين فزعة يزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القرّاء بينهم.

قال نصر: وخرج أبو أمامة الباهلي وأبو الدرداء فدخلا على معاوية فقالا: يا معاوية علامَ تقاتل هذا الرجل؟ فوالله لهو أقدم منك سلماً وأحقّ منك بهذا الأمر وأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله فعلامَ تقاتله؟ قال: أقاتله على دم عثمان فإنّه آوى قتلته فقولوا له: فليقدنا من قتلته وأنا أوّل من بايعه من أهل الشام فانطلقوا إلى عليّ عليه السلام فأخبروه فقال: إنّما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفاً وأكثر متسربلين في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق فقالوا: كلّنا قَتَلَه فإن شاؤا فليروموا ذلك منّا. فرجع أبو أمامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال.

حتّى إذا كان في رجب وخشي معاوية أن يبايع القرّاء عليّاً عليه السلام جد في المكر وكتب في سهم: من عبد الله الناصح إنّي أخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيُغرقكم فخذوا حذركم ثمّ رمى السهم في عسكر عليّ عليه السلام.

فوقع السّهم في يد رجل فقرأه ثم أقرأ صاحبه فلمّا قرأه من أقبل وأدبر قالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع إلى عليّ عليه السلام وبعث معاوية فأتى رجال من العملة إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور والزّبل يحفرون فيها بحيال عسكر عليّ عليه السلام فقال عليه السلام: ويحكم إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا يقوى عليه إنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلك ودعوه.

فقالوا له: هم والله يحفرون والله لنرتحلنّ وإن شئت فأقم فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليّاً وارتحل عليّ عليه السلام في أخريات الناس وهو يقول:

فلو أنّي أطعت عصبت قومي ... إلى ركن اليمامة أو شمام
ولكنّي متى أبرمت أمراً ... مُنِيتُ بخلف آراء الطغام

قال: فارتحل معاوية حتى نزل بمعسكر عليّ عليه السلام الذي كان فيه.

فَدَعا عليّ عليه السلام الأشتر فقال: ألم تغلبني على رأيي أنت والأشعث برأيكما؟ فقال الأشعث: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوي ما أفسدت اليوم من ذلك فجمع كندة فقال لهم: يا معشر كندة لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني فإنّما أنا أقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجّالة يمشون وبيده رمح له يلقيه على الأرض ويقول: امشوا قيس رمحي هذا فيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ويمشون معه حتى أتى معاوية وسط بني سليم واقفاً على الماء وقد جاءه أداني عسكره فاقتتلوا قتالاً شديداً على الماء ساعة وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا وأقبل الأشتر في جند من أهل العراق فحمل على معاوية والأشعث يحارب في ناحية أخرى فانحاز معاوية في بني سليم فردّوا وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالهم والأشعث يهدر ويقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين؟ وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء.

قال نصر: وكان كلّ واحد من عليّ ومعاوية يخرج الرجل الشريف في جماعة ويقاتل مثله وكانوا يكرهون أن يزاحفوا بجميع الفيلق مخافة الاستئصال والهلاك فاقتتل الناس ذا الحجّة كلّه فلمّا انقضى تداعوا إلى أن يكفّ بعضهم عن بعض إلى أن ينقضي المحرّم لعلّ الله أن يجري صلحاً أو اجتماعاً فكفّ الناس في المحرّم بعضهم عن بعض.

قال نصر: حدّثنا عمر بن سعد عن أبي المجاهد عن المحلّ بن خليفة قال: لمّا توادعوا في المحرّم اختلف الرّسل فيما بين الرجلين رجاء الصلح فأرسل عليّ عليه السلام إلى معاوية عدي بن حاتم وشبث بن ربعي ويزيد بن قيس وزياد بن خصفة فلمّا دخلوا عليه حمد الله تعالى عدي بن حاتم وأثنى عليه وقال: أما بعد فقد أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمّتنا ويحقن دماء المسلمين ندعوك إلى أفضل الناس سابقةً وأحسنهم في الإسلام آثاراً وقد اجتمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا وأتوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية: كأنّك إنّما جئت متهدّداً ولم تأت مصلحاً هيهات يا عدي إنّي لابن حرب ما يقعقع لي بالشنان أما والله إنّك من المجلبين على عثمان وإنّك لمن قتله وإنّي لأرجو أن تكون ممن يقتله الله.

فقال له شبث بن ربعي وزياد بن خصفة وتنازعا كلاماً واحداً: أتيناك فيما يُصْلحنا وإيّاك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينفع من القول والفعل وأجبنا فيما يعمّنا وإيّاك نفعه.

وتكلّم يزيد بن قيس فقال: إنّا لم نأتك إلاّ لنبلّغك الذي بعثنا به إليك ولنؤدّي عنك ما سمعنا منك ولم ندع أن ننصح لك وأن نذكر ما ظننّا أنّ فيه عليك حجّة أو أنّه راجع بك إلى الأمّة والجماعة إنّ صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ولا أظنّه يخفى عليك أنّ

أهل الدين والفضل لا يدلونك بعلي ولا يساوون بينك وبينه فاتق الله يا معاوية ولا تخالف علياً فإنّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعلم بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه. فحمد معاوية الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنّكم دعوتم إلى الجماعة والطاعة فأمّا التي دعوتم إليها فنعمّا هي وأما الطاعة لصاحبكم فإنّه لا نرضى به إن صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوى ثأرنا وقتلتنا وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله فنحن لا نردّ ذلك عليه أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فَلْيَدْفَعهم إلينا فلنقتلنّهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث: أيسرّك يا معاوية إن أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته؟ قال: وما يمنعني من ذلك والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سميّة ما أقتله بعثمان ولكن كنت أقتله بنائل مولى عثمان!! فقال شبث: وإله السماء ما عدلت معدلاً ولا والذي لا إله إلاّ هو لا تَصِلُ إلى قتل ابن ياسر حتى تندر الهام عن كواهل الرجال وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها فقال معاوية: إذا كان ذلك كانت عليك أضيق. ثم رجع القوم عن معاوية فبعث إلى زياد بن خَصَفَة من بينهم فأدخل عليه فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أخا ربيعة فإنّ علياً قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتلة صاحبنا وإني أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك ولك عليّ عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أولّيك أيَّ المِصْرَيْن أحببت.

قال زياد فلمّا قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: أمّا بعد فإنّي لعلى بيّنة من ربّي وبما أنعم الله عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ثم قمت. فقال معاوية لعمرو بن العاص وكان إلى جانبه: ما لهم عضبهم الله ما قلبهم إلاّ قلب رجل واحد.

قال نصر: وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى عليّ عليه السلام و[بعث معه] شرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد فدخلوا عليه عليه السلام فتكلّم حبيب وحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنّ عثمان بن عفّان كان خليفةً مهدياً يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمر الله فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلة عثمان لنقتلهم به فإن قلت: إنّك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له عليّ عليه السلام: ومن أنت لا أُمّ لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر اسكت فإنّك لست هناك ولا بأهل لذاك فقام حبيب بن مسلمة وقال: والله لتريَنّي حيث تكره فقال له عليّ عليه السلام: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوّب وصعد ما بدا لك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت. فقال شرحبيل بن السّمط: إن كلّمتك فلعمري ما كلامي لك إلاّ نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبته؟ قال: نعم. قال: فقله. فحمد الله عليّ عليه السلام وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فأنقذ به من الضلالة ونَعَشَ به من الهلكة وجمع

به بعد الفرقة ثم قَبضه الله إليه وقد أدى ما عليه فاستخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فأحسنا السيرة وعدلا في الأمّة وقد وجدنا عليهما أن تولّيا الأمر دوننا ونحن آل الرسول وأحقّ بالأمر فغفرنا ذلك لهما.

ثمّ ولي أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس فقتلوه ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي: بايع فأبيت عليهم فقالوا لي: بايع فإنّ الأمّة لن ترضى إلاّ بك وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس فبايعتهم فلم يَرُعني إلاّ شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية إياي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب لم يزل لله ولرسوله عدوّاً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين فيا عجباً لكم ولانقيادكم له وتدعون آل نبيكم الذي لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم أحداً من الناس إنّي أدعوكم إلى كتاب الله عزّوجلّ وسنّة نبيّكم صلى الله عليه وآله وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة.

فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد: أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ فقال لهما: إني لا أقول ذلك. قالا: فمن لا يشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن براء منه ثم قاما فانصرفا.

فقال عليّ عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾[(١)].

ثمّ أقبل على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء في ضلالتهم بأولى بالجد منكم في حقّكم وطاعة إمامكم ثمّ مكث الناس متوادعين إلى انسلاخ المحرّم.

فلمّا انسلخ [شهر المحرّم] واستقْبَلَ الناس صَفَراً من سَنَةِ سبع وثلاثين [من هجرة النبيّ] بعث عليّ عليه السلام نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام يزيد بن الحارث فنادى عند غروب الشمس يا أهل الشام إنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم: إنّا والله لم نكفّ عنكم شكّاً في أمركم ولا بُقياً عليكم، وإنّما كففنا عنكم لخروج المحرم وقد انسلخ وإنّا قد نبذنا إليكم على سواءٍ فإنّ الله لا يحبّ الخائنين. قال: فسار الناس إلى رؤسائهم وأمرائهم[(٢)].

٣٩٥ - قال نصر: وأما رواية عمرو بن شمر عن جابر عن أبي الزبير أنّ نداء ابن مرثد الخثعمي كانت صورته: يا أهل الشام ألا إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول لكم: إنّي قد استأنيت بكم لتراجعوا الحقّ وتنيبوا إليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه فلم تتناهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى حقّ فإني قد نبذت إليكم على سواء إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين.

---

(١) سورة النمل، الآيتان: ٨٠-٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٤٩-٢٥٧.

قال: فسار الناس إلى رؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتّبان الكتائب ويعبّنان العساكر وأوقدوا النيران وجاؤا بالشموع وبات عليّ عليه السلام ليلته تلك كلّها يعبّي الناس ويكتّب الكتائب ويدور في الناس ويحرّضهم.

قال نصر: فخرجوا أوّل يوم من صفر سنة سبع وثلاثين وهو يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً جلّ النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدّتها فخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السُلَمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض.

وخرج في اليوم الثالث عمّار بن ياسر وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشدّ قتال كان وجعل عمّار يقول: يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلمّا أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب ثم قبض الله رسوله وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودّة المجرم ألا وإنّه معاوية فقاتلوه والعنوه فإنّه ممّن يطفي نور الله ويظاهر أعداء الله.

قال: وكان مع عمّار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل في الخيل فحمل فصبروا له وشدّ عمّار في الرجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه ورجع الناس يومهم ذلك[1].

٣٩٦ - قال نصر: وحدّثني أبو عبد الرحمن المسعودي عن يونس بن الأرقم عمّن حدّثه من شيوخ بكر بن وائل قال: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين فرفع عمرو بن العاص شقّة خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يزالوا يتحدّثون حتّى وصل ذلك إلى عليّ عليه السلام فقال: أتدرون ما هذ اللواء إنّ عمرواً أخرج له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الشقّة فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟ فقال: لا تقاتل بها مسلماً ولا تقرّبها من كافر فأخذها فقد والله قرّبها من المشركين وقاتل بها اليوم المسلمين والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكنّهم استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه[2].

بيان: قوله عليه السلام: «عصبت قومي» يقال: عصبت الشجرة إذا ضممت أغصانها ثم ضربتها ليسقط ورقها، قال الحجاج: لأعصبنكم عصب السّلم. واليمامة: ناحية من الحجاز واليمن. «والشآم» على فعال الشامي كاليمان وفي الديوان المصرع الثاني هكذا:

ولكنّي إذا أبرمت أمراً تخالفني أقاويل الطغام

(١) - (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٥٧ و٢٥٨.

وقال الميداني: القعقعة: تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره. والشنان جمع شنّ وهي القربة اليابسة وهم يحرّكونها إذا أرادوا حثّ الإبل على السّير لتفزع فتسرع قال النابغة:

كأنّك من جمال بني أقيس   يقعقع خلف رجليه بشنّ

يضرب لمن لا يتّضع لما تنزل به من حوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له.

وقال أيضاً ابن أبي الحديد كما وجدته في أصل الكتاب: كان أوّل أيّام الحرب بصفّين في صفر من سنة سبع وثلاثين.

قال نصر بن مزاحم: كان عليّ عليه السلام يركب بغلة له قبل أن تلتقي الفئتان بصفّين فلمّا حضرت الحرب وبات تلك الليلة يعبّئ الكتائب حتّى أصبح قال: ائتوني بفرسي فأُتي بفرس له أدهم يبحث الأرض بيديه جميعاً له حمحمة وصهيل فركبه وقال: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

٣٩٧ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: كان عليّ عليه السلام إذا سار إلى قتال ذكر اسم الله تعالى حين يركب كان يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى السماء ويقول:

اللهم إليك نقلت الأقدام وأُتعبت الأبدان وأفضت القلوب ورفعت الأيدي وشخصت الأبصار ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ ثم يقول: سيروا على بركة الله، ثم يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمّد اكفف عنّا شر الظالمين. الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إيّاك نعبد وإيّاك نستعين بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. وكانت هذه الكلمات شعاره بصفّين[(١)].

٣٩٨ - قال: وروى سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال: ما كان عليّ في قتال قطّ إلاّ نادى يا كهيعص[(٢)].

٣٩٩ - قال نصر: وحدّثنا قيس بن ربيع عن عبد الواحد بن حسّان العجلي عمّن حدّثه عن عليّ أنّه سمعه يقول يوم صفّين:

اللهم إليك رفعت الأبصار وبسطت الأيدي ونقلت الأقدام ودعت الألسن وأفضت القلوب وإليك التحاكم في الأعمال فاحكم بيننا وبينهم بالحقّ وأنت خير الحاكمين.

اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وقلّة عددنا وتشتّت أهوائنا وشدّة الزّمان وظهور

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٣٠ و٢٣١.

الفتن فأعنّا على ذلك بفتح تعجّله ونصر تعزّ به سلطان الحقّ وتظهره(١).

٤٠٠ - وعن عمر بن سعد عن سلام بن سويد عن عليّ عليه السلام في قوله: «وألزمهم كلمة التقوى» قال: هي لا إله إلاّ الله. وفي قوله: «الله أكبر» قال: هي آية النصر.

قال نصر: [هذه] كانت شعارُهُ يقولها في الحرب ثمّ يحمل فَيُورِدُ والله من اتّبعه ومن حادّه حياض الموت(٢).

٤٠١ - قال نصر: وحدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمان بن جندب عن أبيه قال: لمّا كان غداة الخميس لسبع خلون من [شهر] صفر سنة سبع وثلاثين صلّى عليّ عليه السلام الغداة فغلّس - ما رأيت عليّاً غلّس بالغداة أشدّ من تغليسه - يومئذ وخرج بالناس إلى أهل الشام فزحف نحوهم وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم فإذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم(٣).

٤٠٢ - وعن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال: لمّا خرج عليّ عليه السلام إليهم غداة ذلك اليوم فاستقبلوه رفع يديه إلى السماء فقال:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَحْفُوظِ الْمَكْفُوفِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ وَجَعَلْتَ فِيهِ مَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَنازِلَ الكَواكِبِ وَالنُّجُومِ وَجَعَلْتَ سُكّانَهُ سِبْطاً مِنَ الْمَلائِكَةِ لاَ يَسْأَمُونَ الْعِبادَةَ وَرَبَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَها قَراراً لِلأَنامِ وَالْهَوامِّ وَالأَنْعامِ وَما لاَ يُحْصى مِمّا يُرى وَمِمّا لا يُرى مِنْ خَلْقِكَ الْعَظِيمِ وَرَبَّ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَرَبَّ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ الْمُحِيطِ بِالْعالَمِينَ وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِي الَّتِي جَعَلْتَها لِلأَرْضِ أَوْتاداً وَلِلْخَلْقِ مَتاعاً إِنْ أَظْهَرْتَنا عَلى عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فارْزُقْنِي الشَّهادَةَ وَاعْصِمْ بَقِيَّةَ أَصْحابِي مِنَ الْفِتْنَةِ.

قال: فلمّا رأوه قد أقبل تقدّموا إليه بِزُحُوفهم وكان على ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل والنّاس على راياتهم ومراكزهم وعليّ عليه السلام في القلب في أهل المدينة جمهورهم الأنصار ومعه من خزاعة وكنانة عدد حسنٌ(٤).

قال نصر: ورفع معاوية قبّة عظيمة وألقى عليها الكرابيس وجلس تحتها وقد كان لهم قبل هذا اليوم ثلاثة أيام وهو اليوم الرابع من صفر.

وخرج في هذا اليوم محمّد بن الحنفيّة في جمع من أهل العراق فأخرج إليه معاوية عبيد الله ابن عمر بن الخطّاب في جمع من أهل الشام فاقتتلوا فطلب عبيد الله محمّداً إلى المبارزة فلمّا خرج إليه دعاه عليّ عليه السلام وخرج بنفسه راجلاً بيده سيفه وقال: أنا أُبارزك فهلمّ. فقال عبيد الله لا حاجة بي إلى مبارزتك فرجع إلى صفّه.

---

(١) - (٤) وقعة صفين، ص ٢٣١.

قال نصر: وأمّا اليوم الخامس فإنّه خرج عبد الله بن العبّاس فخرج إليه الوليد بن عقبة وأكثر من سبّ بني عبد المطّلب فأرسل إليه ابن عبّاس ابرز إليّ فأبى أن يفعل وقاتل ابن عبّاس ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم انصرفوا وكلّ غير غالب.

وخرج ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري فلحق بعليّ عليه السلام في ناس من قرّاء أهل الشام ففتّ ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص.

وقال عمرو: يا معاوية إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد صلى الله عليه وآله قرابة قريبة ورحم ماسّة وقدم في الإسلام ليس لأحد مثله قد سار إليك بأصحاب محمّد المعدودين وفرسانهم وأشرافهم ومهما نسيت فلا تنس أنّك على باطل وعلياً على الحقّ فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك فقام معاوية في أهل الشام خطيباً وحثهم على القتال.

فخطب عليّ عليه السلام أصحابه - قال أبو سنان الأسلمي كأنّي أنظر إليه متكئاً على قوسه وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يلونه كأنّه أحبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه فقال: أيّها النّاس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي فإنّ الخيلاء من التجبّر وإنّ النخوة من التكبّر وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل.

ألا إنّ المسلم أخو المسلم فلا تنابذوا ولا تجادلوا.

ألا إنّ شرائع الدّين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لحق ومن فارقها محق ومن تركها مرق. ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن ولا بالمخلف إذا وعد ولا الكاذب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الصدق وفعلنا القصد ومنّا خاتم النبيّين وفينا قادة الإسلام وفينا حملة الكتاب ألا إنّا ندعوكم إلى الله وإلى رسوله وإلى جهاد عدوّه والشدّة في أمره وابتغاء مرضاته وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء على أهله. ألا وإنّ من أعجب العجائب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السهمي أصبحا يحرّضان على طلب الدّين بزعمهما ولقد علمتم أنّي لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قطّ، ولم أعصيه في أمرٍ قطّ، أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وترعد فيها الفرائص نجدة أكرمني الله سبحانه بها وله الحمد.

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لفي حجري ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلّبه الملائكة المقرّبون معي وأيم الله ما اختلفت أمّة قطّ بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله. قال: فقال أبو سنان الأسدي فسمعت عمّار بن ياسر يقول: أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أنّ الأمّة لم تستقم عليه [أوّلاً] وأنّها لن تستقيم عليه [آخراً] ثم تفرّق الناس وقد نفذت بصائرهم[1].

(١) وقعة صفين، ص ٢٢١.

٤٠٣ - وعن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام قال في هذه الليلة: حتّى متى لا نناهض القوم بأجمعنا فقام في الناس عشيّة الثلاثاء بعد العصر فقال:

الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ولا ينقض ما أبرم ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأُمّة ولا من خلقه ولا تنازع البشر في شيء من أمره ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار حتى لفّت بيننا في هذا الموضع ونحن من ربّنا بمرأى ومسمع ولو شاء لعجل النقمة ولكان منه التغيير حتّى يكذب الله الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنّه جعل الدّنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار الجزاء والقرار: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[1] ألا إنكم لاقو العدو غداً إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله الصّبر والنّصر والقوهم بالجدّ والحزم وكونوا صادقين.

قال: فوثب الناس إلى رماحهم وسيوفهم ونبالهم يصلحونها وخرج عليه السلام وعبّأ الناس ليلته تلك كلّها حتّى أصبح وعقد الألوية وأمّر الأمراء وبعث إلى أهل الشام منادياً ينادي فيهم: اغدوا على مصافكم.

فضجّ أهل الشام في معسكرهم واجتمعوا إلى معاوية فعبأ خيله وعقد ألويته وأمّر أمراءه وكتّب كتائبه وكان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضّعف ونصب لمعاوية منبر فقعد إليه في قبة ضربها عظيمة ألقى عليها الثياب والدّرانك.

ثم تناهض القوم يوم الأربعاء سادس صفر واقتتلوا إلى آخر نهارهم وانصرفوا عند المساء وكلّ غير غالب.

فأمّا اليوم السابع فكان القتال فيه شديداً والخطب عظيماً وكان عبد الله بن بديل الخزاعي على ميمنة العراق فزحف نحو حبيب بن مسلمة وهو على ميسرة أهل الشام حتّى اضطرهم إلى قبة معاوية وقت الظهر[2].

٤٠٤ - قال نصر: وحدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي عمرو عن أبيه أنّ علياً عليه السلام خطب هذا اليوم فقال: معاشر المسلمين استشعروا الخشية. إلى آخر ما سيأتي بطوله. وبالإسناد أنّ علياً خطب ذلك اليوم فقال: أيّها النّاس إنّ الله تعالى ذكره قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم إيمان بالله ورسوله وجهاد في سبيله.

إلى آخر ما سيأتي برواية المفيد رحمه الله ثم قام قيس بن سعد وخطب خطبة بليغة حثّ الناس فيها على الجهاد. ثم قام الأشتر رحمه الله بمثل ذلك وكذا يزيد بن قيس الأرحبيّ وغيرهم[3].

٤٠٥ - وروي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وزيد بن الحسن قالا:

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣١. (٢) وقعة صفين، ص ٢٢٥.
(٣) وقعة صفين، ص ٢٤٧.

طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوّي صفوف أهل الشام فقال لهم عمرو: يا معشر أهل الشام سوّوا صفوفكم قصّ الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة فإنّه قد بلغ الحقّ مقطعه فلم يبق إلاّ ظالم أو مظلوم.

وأقبل أبو الهيثم بن التيهان وكان من أصحاب محمّد ﷺ بدريّاً عقبياً يسوي صفوف أهل العراق وهو يقول: يا معشر أهل العراق إنّه ليس بينكم وبين الفتح العاجل أو الجنة في الآجل إلاّ ساعة من النهار فأرسوا أقدامكم وسوّوا صفوفكم وأعيروا ربكم جماجمكم واستعينوا بالله ربّكم واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين[1].

٤٠٦ - وروى عن عمرو بن شمر، عن جابر عن الشعبي أنّ أوّل فارسين التقيا في هذا اليوم - وهو اليوم السابع وكان من الأيّام العظيمة - حجر بن عدي من أصحاب عليّ عليه السلام وابن عمّ حجر من أصحاب معاوية كلاهما من كندة فاطعنا برمحيهما وخرج خزيمة الأسدي من عسكر معاوية فضرب حجر بن عدي ضربة برمحه فحمل أصحاب عليّ عليه السلام فقتلوا خزيمة ونجا ابن عمّ حجر فخرج رفاعة الحميري من صفّ العراق وقتل قرن ابن عدي.

ثم إنّ عليّاً عليه السلام دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام فقال: من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما في المصحف فسكت الناس وأقبل فتى اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه. وقال ثانياً ولم يجب إلاّ الفتى فقبضه بيده ثم أتاهم فناشدهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن بديل: احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدماً ويرتجز فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجمع من أصحابه واختلط الناس واصطدم الصّفان ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشام وأقبل ابن بديل يضرب الناس بسيفه قدماً حتّى أزال معاوية عن موقفه وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً وأشفق على نفسه وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مَرَّة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتّى لم يبق مع ابن بديل إلاّ نحو مائة إنسان من القرّاء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولحج ابن بديل في الناس وصمّم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه حتى انتهى إليه فنادى معاوية في الناس ويلكم الصخرة والحجارة إذا عجزتم عن السلاح أثخنوه. فرضخه الناس بالحجارة حتى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه.

(١) وقعة صفين، ص ٢٣٧.

وجاء معاوية وعبدالله بن عامر حتى وقفا عليه فألقى عبد الله عمامته على وجهه وترحّم عليه وكان له أخاً وصديقاً من قبل فقال معاوية: اكشف عن وجهه فقال: لا والله لا يمثّل به وفيّ روح فقال له معاوية: قد وهبناه لك فكشف عن وجهه فقال معاوية هذا كبير القوم وربّ الكعبة اللهم ظفّرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي قال: فاستعلا أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة وأجفلوا إجفالاً شديداً.

فأمر عليّ عليه السلام سهل بن حنيف فاستقدم ممّن كان معه ليريد الميمنة بعقدها فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة فحملت عليهم فألحقتهم بالميمنة وكانت ميمنة أهل العراق متّصلة بموقف عليّ عليه السلام في القلب في أهل اليمن فلمّا انكشفوا انتهت الهزيمة إلى عليّ عليه السلام فانصرف يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة فلم يبق مع عليّ عليه السلام من أهل العراق إلاّ ربيعة وحدها في الميسرة[1].

٤٠٧ - وروى عن زيد بن وهب قال: لقد مرّ عليّ يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها وإنّي لأرى النّبل يمرّ من بين عاتقه ومنكبه وما من بنيه إلاّ يقيه بنفسه فيكره عليّ ذلك فيتقدم عليه ويحول بينه وبين أهل الشام ويأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه من ورائه.

وبصر به أحمر مولى بني أميّة وكان شجاعاً فقال: عليّ وربّ الكعبة قتلني الله إن لم أقتلك فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى عليّ عليه السلام فاختلفا ضربتين فقتله أحمر وخالط عليّاً عليه السلام ليضربه بالسيف فمد [عليّ] يده إلى جيب درعه فجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه والله لكأنّي أنظر إلى رجلي أحمر يختلفان على عنق عليّ ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه.

وشدّ ابناء عليّ حسين ومحمّد فضرباه بأسيافهما حتّى برد فكأنّي أنظر إلى عليّ عليه السلام قائماً وشبلاه يضربان الرجل حتى إذا أتيا عليه أقبلا على أبيهما.

ثم إن أهل الشام دَنَوا منه يريدونه والله ما يزيده قربهم منه ودنوهم سرعة في مشيه فقال له الحسن: ما ضرّك لو أسرعت حتى تنتهي إلى الّذين صبروا بعدك من أصحابك قال يعني ربيعة الميسرة فقال عليّ عليه السلام يا بني إنّ لأبيك يوماً لا يبطئ به عنه السّعي ولا يقرّبه إليه الوقوف إنّ أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه[2].

٤٠٨ - قال نصر: وروى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي إسحاق قال: خرج عليّ عليه السلام يوماً من أيّام صفّين وفي يده عنزة فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوّك؟.

فقال عليّ عليه السلام: إنّه ليس من أحد إلاّ وعليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردّى في قليب أو يخرب عليه حائط أو تصيبه آفة فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه[3].

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٤٣.

(٢) - (٣) وقعة صفين، ص ٢٤٩ و٢٥٠.

٤٠٩ - وعن عمرو عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر قال: لمّا انهزمت ميمنة العراق يومئذ أقبل عليّ نحو الميسرة يركض ليستثيب النّاس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع فمرّ بالأشتر فقال: يا مالك قال: لبّيك يا أمير المؤمنين قال: ائت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم عن الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم؟.

فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم الكلمات فناداهم أيّها الناس أنا مالك بن الحارث فلم يلتفت أحد منهم إليه فقال: أيّها الناس أنا الأشتر فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال: عضضتم بهن أبيكم ما أقبح ما قاتلتم اليوم أيّها الناس غضّوا الأبصار وعضوا على النواجذ واستقبلوا الناس بهامكم وشدّوا عليهم شدّة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم حَنَقاً على عدوّهم قد وطّنوا على الموت أنفسهم كيلا يُسْبَقوا بثار إنّ هؤلاء القوم والله لن يُقاتلوكم إلا عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ويدخلوكم في دين قد أخرجكم الله منه بِحُسْن البصيرة فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم فإنّ الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفيء وذلّ المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه.

ثم قال: أيّها الناس أخلصوا إليّ مذحجاً فاجتمعوا إليه فقال عضضتم بصمّ الجندل والله ما أرضيتم اليوم ربكم ولا نصحتم له في عدوه وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفرسان الطرار وحتوف الأقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يُسْبَقون بثارهم ولم تطل دماؤهم ولم يعرفوا في موطن من المواطن بخَسف، وأنتم سادة مصركم وأعزّ حي في قومكم وما تفعلوا في هذا اليوم مأثور بعد اليوم فاتّقوا مأثور الحديث في غد واصدقوا عدوّكم اللقاء فإنّ الله مع الصّابرين والذي نفسي بيده ما من هؤلاء - وأشار بيده إلى أهل الشام - رجل في مثل جناح البعوضة من دين الله، والله ما أحسنتم اليوم القراع أجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي [و] عليكم بهذا السواد الأعظم فإنّ الله لو قد فضّه تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه.

فقالوا: خذ بنا حيث أحببت فصمد بهم نحو عظمهم واستقبله سنام من هَمْدان وهم نحو ثمان مائة مقاتل قد انهزموا آخر الناس وكانوا قد صبروا في ميمنة عليّ حتى قتل منهم مائة وثمانون رجلاً وأصيب منهم أحد عشر رئيساً كلّما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر [فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عديداً من العرب يحالفوننا ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظهر] فقال لهم الأشتر إنّي أحالفكم وأعاقدكم على أن لا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك فوقفوا معه على هذه النيّة والعزيمة وزحف نحو الميمنة وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والوفاء والحياء فأخذ لا يصمد لكتيبة إلاّ كشفها ولا بجمع إلا جازه وردّه[1].

٤١٠ - فروي عن مولى للأشتر قال: لمّا اجتمع إلى الأشتر من كان انهزم من الميمنة حمل

(١) وقعة صفين، ص ٢٥٠.

على صفوف أهل الشام حتّى كشفهم فألحقهم بمضارب معاوية وذلك بين العصر والمغرب[١].

٤١١ - وعن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام لمّا رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافّها وكشفت من بإزائها أقبل حتّى انتهى إليهم فقال: قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام أعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمّار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون فلولا قتالكم بعد إدباركم وكرّكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المُوَلّي يوم الزحف وكنتم فيما أرى من الهالكين.

ولقد هوّن عليّ بعض وجدي وشفى بعض لاعج نفسي أن رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم فأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحسونهم بالسّيف يركب أوّلهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السّكينة وثبّتكم اليقين.

وليعلم المنهزم أنّه مسخط ربّه وموبق نفسه وفي الفرار موجدة الله عليه والذلّ لازم عليه ومفسدة العيش عليه وإنّ الفارّ لا يزيد الفرار في عمره ولا يرضي ربّه لموت الرجل محقّاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرّضا بالتلبيس بها والإصرار عليها.

قال نصر: فحمل أبو كعب الخثعمي رأس خثعم العراق على خثعم الشام واقتتلوا أشدّ قتال فجعل أبو كعب يقول لأصحابه: يا معشر خثعم خذّموا أي اضربوا الخذمة وهي الخلخال يعني اضربوهم في سوقهم.

فحمل شمر بن عبد الله على أبي كعب فطعنه فقتله ثم انصرف يبكي ويقول: رحمك الله أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمسّ إليّ رحماً وأحبّ إلي منهم نفساً ولكنّي والله لا أدري ما أقول ولا أرى الشيطان إلاّ قد فتننا ولا أرى قريشاً إلاّ قد لعبت بنا.

فوثب كعب بن أبي كعب إلى راية أبيه فأخذها ففقئت عينه وصرع ثم أخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم نحو ثمانين رجلاً وأصيب من خثعم الشّام مثل ذلك ثمّ ردها شريح إلى كعب بن أبي كعب[٢].

٤١٢ - وقال [نصر: وحدّثنا عمرو، قال: حدّثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر] أن راية بجيلة في صفين مع أهل العراق كانت في أحمس مع أبي شدّاد فقالت له بجيلة خذ رايتنا قال: غيري خير لكم منّي قالوا: لا نريد غيرك قال: فوالله لئن أعطيتها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب الّذي هو قائم على رأس معاوية يستره من الشمس فقالوا: اصنع ما شئت فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون النّاس بأسيافهم حتى انتهى إلى صاحب الترس المذّهب وهو في خيل عظيمة من أصحاب معاوية فاقتتل الناس هناك قتالاً شديداً وشدّ أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرّض له رومي فضرب قدم أبي شدّاد فقطعها وضرب أبو

(١) وقعة صفين، ص ٢٥٤.

(٢) وقعة صفين، ص ٢٥٦.

شدّاد ذلك الرومي فقتله فأشرعت إليه الأسنّة فقتل. فأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسيّ وقاتل حتى قتل فأخذها أخوه عبد الرحمن فقاتل حتّى قتل ثم أخذها عفيف بن أياس فلم يزل بيده حتى تحاجز الناس فحمل غطفان العراق على غطفان الشام وقتل منهما كثير وكذا أزد العراق على أزد الشام وكذا كل قبيلة على من بإزائهم(١).

٤١٣ - قال نصر: وروى عمر بن سعد عن الحارث بن حصيرة عن أشياخ النمر أن عتبة بن جويّة قال يوم صفّين: إنّ مرعى الدنيا قد أصبح هشيماً وأصبح شجرها حصيداً وجديدها سملاً وحلوها مرّ المذاق. ألا وإنّي أنبئكم نبأ امرئ صادق أنّي سئمت الدنيا وعزفت نفسي عنها وقد كنت أتمنى الشهادة وأتعرّض لها في كل حين فأبى الله إلاّ أن يبلغني هذا اليوم ألا وإنّي متعرّض ساعتي هذه لها وقد طمعت أن لا أحرمها.

فما تنتظرون عباد الله من جهاد أعداء الله أخوف الموت القادم عليكم الذاهب بأنفسكم لا محالة؟ أو من ضربة كف أو حسّ بالسيف أتستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ ومرافقة النبيّين والصدّيقين والشهداء والصّالحين في دار القرار ما هذا بالرأي السديد.

ثم قال: يا إخوتاه إنّي قد بعت هذه الدار بالدار التي أمامها وهذا وجهي إليه لا يبرح الله وجوهكم ولا يقطع الله أرحامكم. فتبعه أخواه عبيد الله وعوف وقالا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك قبح الله العيش بعدك اللهم إنّا نحتسب أنفسنا عندك فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا(٢).

قال: فاقتتل الناس قتالاً شديداً يوم الأربعاء فقال رجل من أصحاب عليّ عليه السلام والله لأحملنّ على معاوية حتّى أقتله فأخذ فرساً فركبه ثم ضربه حتّى إذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية ودخل معاوية خباءه فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من الخباء وطلع الرجل في أثره فخرج معاوية فأحاط به الناس وقال: ويحكم إنّ السيوف لم يؤذن لها في هذا ولولا ذلك لم يصل إليكم علكيم بالحجارة فرضخوه بالحجارة حتّى همد الرجل ثم عاد معاوية إلى مجلسه.

قال نصر: فلمّا انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا في اليوم الثاني والفيلقان متقابلان فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق فاقتتلا قتالاً شديداً ثمّ إنّ العراقي اعتنقه فوقعا جميعاً وعاد الفرسان ثم إنّ العراقي قهره فجلس على صدره وكشف المغفر عنه يريد [أن] يذبحه فإذا هو أخوه لأبيه فصاح به أصحاب عليّ عليه السلام ويحك أجهز عليه. قال: إنّه أخي قالوا: فاتركه قال: لا والله حتّى يأذن أمير المؤمنين فأخبر عليّ عليه السلام بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه وعاد إلى صفّ معاوية(٣).

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٥٨.
(٢) وقعة صفين، ص ٢٦٤.
(٣) وقعة صفين، ص ٢٧٠.

٤١٤ - وعن الجرجاني قال: كان معاوية يعد لكلّ عظيم حريثاً مولاه وكان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به فإذا قاتل قال الناس: ذاك معاوية وإنّ معاوية دعاه وقال: يا حريث اتّق علياً وضع رمحك حيث شئت. فأتاه عمرو بن العاص وقال: يا حريث إنّك والله لو كنت قرشياً لأحبّ لك معاوية أن تقتل علياً ولكن كره أن يكون لك حظّها فإن رأيت فرصة فاقتحم. وخرج عليّ عليه السلام في هذا اليوم وكان أمام الخيل فحمل عليه حريث.

وفي رواية عمرو بن شمر عن جابر قال: برز حريث مولى معاوية هذا اليوم وكان شديداً ذا بأس لا يرام فصاح يا عليّ هل لك في المبارزة؟ فأقدم أبا حسن إن شئت فأقبل عليّ وهو يقول:

أنا علي وابن عبد المطّلب — نحن لعمر الله أولى بالكتب
منّا النبيّ المصطفى غير كذب — أهل اللواء والمقام والحجب
نحن نصرناه على كلّ العرب

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين فجزع معاوية عليه جزعاً شديداً وعاب عمرواً في إغرائه بعلي. فلمّا قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكي فنادى أبا حسن هلمّ إلى المبارزة فأومى عليّ إلى سعيد بن قيس الهمداني فبارزه فضربه بالسيف فقتله.

قال نصر: وكان لهمدان بلاء عظيم في نصرة عليّ عليه السلام في صفين ومن الشعر الّذي لا يشك أنّ قائله عليّ لكثرة الرّواية له:

دعوت فلبّاني من القوم عصبة — فوارس من همدان غير لئام
بكل رُديني وعضب تخاله — إذا اختلف الأقوام شُعل ضَرام
لهمدان أخلاق كرام يزينهم — وبأس اذا لاقوا وجدّ خصام
وجدّ وصدق في الحروب ونجدة — وقول إذا قالوا بغير أثام
متى تأتهم في دارهم تستضيفهم — تَبت ناعماً في خدمة وطعام
جزى الله همدان الجنان فإنّها — سمام العدى في كلّ يوم زحام
فلو كنت بوّاباً على باب جنّة — لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام(١)

٤١٥ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر قال: ثم قام عليّ بين الصفّين ونادى: يا معاوية يكرّرها فقال معاوية: سلوه ما شأنه؟ قال: أحبّ أن يظهر لي فأكلّمه بكلمة واحدة فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية: ويحك علام تقتل الناس بيني وبينك ويقتل بعضهم بعضاً ابرز إليّ فأيّنا قتل فالأمر إلى صاحبه. فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله؟ قال: قد أنصفك الرجل فاعلم أنّك إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي على ظهر الأرض عربي فقال معاوية: يا ابن العاص ليس

(١) وقعة صفين، ص ٢٧٤.

مثلي يخدع عن نفسه والله ما بارز ابن أبي طالب شجاع قطّ إلاّ وسقى الأرض بدمه ثمّ انصرف معاوية راجعاً حتّى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه فلمّا رأى عليّ عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلى موقفه. قال: وحقدها معاوية على عمرو باطناً.

قال نصر: ثمّ التقى النّاس واقتتلوا قتالاً شديداً وحاربت طيّ مع أمير المؤمنين عليه السلام حروباً عظيمةً وقتل منهم أبطال كثيرون وقاتلت النخع أيضاً معه ذلك اليوم قتالاً شديداً وقطعت رجل علقمة بن قيس النخعي وقتل أخوه أُبي بن قيس فكان علقمة يقول بعد: ما أحبّ أنّ رجلي أصحّ ما كانت لما أرجو بها الثواب وقال: رأيت أخي في نومي فقلت له: ما الذي قدمتم عليه؟ قال: التقينا نحن وأهل الشام بين يدي الله سبحانه فاحتججنا عنده فحججنا فسررت بذلك(١).

٤١٦ - وروي عن الحضين بن المنذر أنّه لمّا تصافّ الناس ذلك اليوم وحمل بعضهم على بعض وضعضعت ميمنة أهل العراق جاءنا عليّ عليه السلام ومعه بنوه فنادى بصوت جهر: لمن هذه الرايات؟ فقلنا: رايات ربيعة فقال: بل هي رايات عصم الله أهلها وصبرها وثبّت أقدامها ثمّ قال لي وأنا حامل راية ربيعة: يا فتى ألا تدني [رايتك] هذه ذراعاً؟ [فقلت: بلى والله وعشرة أذرع ثمّ ملت بها هكذا] فأدنيتها فقال لي: حسبك.

وروي أنّهم أعطوا الراية الحُضَيْن بن المنذر الرقاشي وهو يومئذ غلام وهو يزحف براية ربيعة وكانت حمراء فأعجب علياً عليه السلام زحفه وثباته فقال:

لمن راية حمراء يخفق ظلّها … إذا قيل قدّمها حُضَين تقدّما
ويدنو بها في الصفّ حتّى يديرها … حمام المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم … لدى البأس حراً ما أعزّ وأكرما
وأحزم صبراً يوم يدعى إلى الوغى … إذ كان أصوات الكماة تغمغما
ربيعة أعني إنّهم أهل نجدة وبأس … إذا لاقوا خميساً عَرَمْرَما
وقد صبرت عك ولخم وحمير … لمذحج حتّى لم تفارق دم دما
ونادت جذام يا لمذحج ويحكم … جزى الله شرّاً أيّنا كان أظلما
إمّا تتقون الله في حرماتكم … وما قرّب الرحمن منها وعظّما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا … بأسيافنا حتّى تولّى وأحجما
ومرّ ينادي الزبرقان مراطم … ونادى كلاعاً والكريب وأنعما
وعمراً وسفياناً وجهماً ومالكاً … وَحَوشَبَ والغاوي شُرَيْحاً وأظلما
وكرز بن نبهان وعمرو بن جحدر … وصبّاحاً العبسي يدعو وأسلما

قال نصر: وأقبل ذو الكلاع في الحمير ومن لفّ لفّها ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٧٤.

في أربعة آلاف من قرّاء أهل الشّام فحملوا على ربيعة وهم ميسرة أهل العراق وفيهم عبد الله ابن العبّاس حملة شديدةفضعضعت رايات ربيعة ثمّ إن أهل الشام انصرفوا فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى كرّوا ثانية وعبيد الله بن عمر في أوّلهم يقول: يا أهل الشام هذا الحيّ من العراق قتلة عثمان وأنصار عليّ فإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان فشدّوا على الناس شدّة عظيمة فثبتت لهم ربيعة وصبرت صبراً حسناً إلاّ قليلاً من الضعفاء واشتدّ القتال بين ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر وكثرت القتلى.

ثم خرج نحو خمس مائة فارس أو أكثر من أصحاب عليّ عليه السلام على رؤوسهم البيض غائصون في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم في العدّة فاقتتلوا بين الصّفين والناس وقوف تحت راياتهم فلم يرجع من هؤلاء مخبر لا عراقي ولا شامي قتلوا جميعاً بين الصّفّين.

وكان بصفين تلّ يلقى عليه الجماجم من الرجال فكان يدعى تل الجماجم.

قال نصر: ثمّ ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا في اليوم التاسع من صفر وقد خطب معاوية أهل الشام وحرّضهم فحمل عبيد الله وقراء أهل الشام ومعه ذو الكلاع في حمير على ربيعة في ميسرة عليّ عليه السلام فقاتلوا قتالاً شديداً.

فأتى زياد بن خصفة إلى عبد القيس فقال: لا يكوننّ وائل بعد اليوم إنّ ذا الكلاع وعبيد الله ابن عمر قد أبادا ربيعة فانهضوا لهم وإلاّ هلكت فركبت عبد القيس وجاءت كأنّها غمامة سوداء فشدّت أزر الميسرة وعظم القتال فقتل ذو الكلاع قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف وتضعضعت أركان حمير وثبتت بعد ذي الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر.

فأرسل عبيد الله إلى الحسن بن عليّ عليه السلام إنّ لي إليك حاجة فالقني فلقيه الحسن عليه السلام فقال له عبيد الله: إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً وقد شنئه الناس فهل لك في خلعه وأن تتولى أنت هذا الأمر فقال: كلا والله.

ثم قال: يا ابن الخطّاب والله لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك أو في غدك أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتى أخرجك مخلّقاً بالخلوق تري نساء أهل الشّام موقفك وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال: فوالله ما كان إلاّ بياض النهار حتى قتل عبيد الله وهو في كتيبة رقطاء وكانت تدعى الخضرية كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب مخضر فمرّ الحسن فإذا رجل متوسّد رجل قتيل وقد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه: انظروا إلى هذا وإذا رجل من همْدان وإذا القتيل عبيد الله بن عمر قد قتله الهمداني في أوّل الليل وبات عليه حتّى أصبح.

قال نصر: وقد اختلف الرواة في قاتله فقالت هَمْدان: نحن قتلناه قتله هانئ بن الخطّاب وقالت حضرموت: نحن قتلناه قتله مالك بن عمرو وقال بكر بن وائل: قتله منّا محرز بن

الصحصح وروي أنّ قاتله حريث بن جابر بن الجعفي[1].

٤١٧ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: لمّا حمل ذو الكلاع ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفوف العراق ناداهم أبو شجاع الحميري تبّت أيديكم أترون معاوية خيراً من عليّ أسد الله أضلّ الله سعيكم ثم أنت يا ذا الكلاع قد كنّا نرى أنّ لك نيّة في الدّين فقال ذو الكلاع: إيهاً يا أبا شجاع والله ما معاوية بأفضل من عليّ ولكنّي أقاتل عن دم عثمان. قال: فأصيب ذو الكلاع حينئذ قتله حندف البكريّ في المعركة.

قال نصر: وقال معاوية لما قتل ذو الكلاع: لأنا أشدّ فرحاً بقتل ذي الكلاع منّي بفتح مصر لو فتحتها قال: لأنّ ذا الكلاع كان يحجر على معاوية في أشياء كان يأمر بها.

قال نصر: فلمّا قتل ذو الكلاع اشتدّت الحرب وشدّ عك ولخم وجذام والأشعريون من أهل الشام على مذحج من أهل العراق[2].

٤١٨ - وقال نصر: وحدّثني عمرو بن الزبير: [قال:] لقد سمعت الحضين بن المنذر يقول: أعطاني عليّ ذلك اليوم راية ربيعة ومضر وقال: بسم الله سر يا حُضَين واعلم أنّه لا تخفق على رأسك براية مثلها أبداً هذه راية رسول الله.

قال: فجاء أبو عرفاء جبلة بن عطيّة الذهلي إلى الحضين فقال: هل لك أن تعطيني الراية أحملها فيكون لك ذكرها ويكون لي أجرها؟ فقال الحُضين وما غناي يا عمّ عن أجرها مع ذكرها فقال: إنّه لا غناء بك عن ذلك ولكن أعرها عمّك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك قال حُضَين: فعلمت أنّه قد استقتل وأنّه يريد أن يموت مجاهداً قال فقلت له: خذها فأخذها ثم قال لأصحابه إنّ عمل الجنّة كره كلّه وثقيل وإنّ عمل النار خفّ كله وحبيب إن الجنّة لا يدخلها إلاّ الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره وليس شيء ممّا افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد هو أفضل الأعمال ثواباً عند الله فإذا رأيتموني قد شددت فشدّوا ويحكم أما تشتاقون إلى الجنّة أما تحبّون أن يغفر الله لكم. فشدّ وشدّوا معه وقاتلوا قتالاً شديداً فقتل أبو عرفاء وشدّت ربيعة بعدها شدّة عظيمة على صفوف أهل الشام.

وقال نصر: فاضطرب الناس ذلك اليوم بالسيوف حتى قطعت وتكسّرت وصارت كالمناجل وتطاعنوا بالرماح حتّى تناثرت أسنّتها ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ثم تعانقوا وتكادموا بالأفواه ثم تراموا بالصّخرة والحجارة ثم تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمرّ على أهل الشام فيقول: كيف أصير إلى رايات بني فلان؟ فيقول: ها هنا لا هداك الله ويمرّ الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول: كيف أمضي إلى رايات بني فلان؟ فيقولون: ها هنا لا حفظك الله. فلمّا أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وربيعة محدقة بعليّ عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها.

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٨٨. (٢) وقعة صفين، ص ٣٠٢.

قال نصر: وحدّثني عمرو أنّه لمّا وقف عليه السلام تحت رايات ربيعة قال عتاب بن لقيط: يا معشر ربيعة حاموا عن عليّ منذ اليوم فإن أُصيب فيكم افتضحتم ألا ترونه قائماً تحت راياتكم. فقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة ليس لكم عذر عند العرب إن أصيب عليّ وفيكم رجل حيّ فامنعوه اليوم واصدقوا عدوّكم اللقاء.

فتعاقدت ربيعة وتحالفت بالأيمان العظيمة وتبايع منهم سبعة آلاف على أن لا ينظر رجل خلفه حتّى يردوا سرادق معاوية فقاتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً لم يكن قبله مثله وأقبلوا نحو سرادق معاوية فلمّا نظر إليهم قد أقبلوا قال:

إذا قلت قد ولّت ربيعة أقبلت كتائب منها كالجبال تجالد

ثم قال لعمرو يا عمرو ما ترى؟ قال: أرى أن لا تحنث أخوالي اليوم فقام معاوية وخلّى لهم سرادقه ورحله وخرج فارّاً عنه لائذاً ببعض مضارب العسكر في أُخريات الناس وانتهبت ربيعة سرادقه ورحله وبعث إلى خالد بن المعمّر إنّك قد ظفرت ولك إمرة خراسان إن لم تتمّ فقطع خالد القتال ولم يتمّه وقال لربيعة قد برّت أيمانكم فحسبكم.

فلما كان عام الجماعة وبايع الناس معاوية أمّره معاوية على خراسان وبعثه إليها فمات قبل أن يبلغها(١).

٤١٩ - قال نصر: وفي حديث عمر بن سعد أنّ عليّاً عليه السلام صلّى بهم هذا اليوم صلاة الغداة ثم زحف بهم فلمّا أبصروه استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ثمّ إنّ خيل الشام حملت على خيل العراق فاقتطعوا من أصحاب عليّ عليه السلام ألف رجل أو أكثر فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم.

فنادى عليّ عليه السلام ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته؟! فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث على فرس أدهم كأنّه غراب مقنّعاً في الحديد فقال: يا أمير المؤمنين مرني بأمرك. فقال عليّ عليه السلام:

سَمَحْتَ بِأمْرٍ لا يُطاق حفيظةً وصِدْقاً وإخوان الحِفاظ قليلُ
جَزَاكَ إلهُ النّاس خَيْراً فقد وَفَتْ يداك بِفَضْلٍ ما هناك جَزيلُ

فقال عليه السلام [يا أبا الحارث] شدّ الله ركنك احمل على أهل الشام حتّى تأتي أصحابك فتقول لهم: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ عليكم السّلام ويقول لكم: هلّلوا وكبّروا من ناحيتكم ونهلّل ونكبّر من ناحيتنا واحملوا ونحمل عليهم فضرب الجعفي فرسه وقاتلهم حتّى خلص إلى أصحابه فلمّا رأوه استبشروا به وفرحوا وقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟ قال: صالح يقرئكم السّلام ويقول: هلّلوا وكبّروا واحملوا حملة رجل واحد ونحمل من جانبنا

---

(١) وقعة صفين، ص ٣٠٤.

ففعلوا ما أمرهم به وهلّلوا وكبّروا وهلّل عليّ وكبّر هو وأصحابه وحمل على أهل الشام وحملوهم من وسط أهل الشام فانفرج القوم عنهم وخرجوا وما أصيب منهم رجل واحد ولقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سبعمائة نفر وكان عليّ عليه السلام من أعظم الناس اليوم غناء.

قال: وكان عليّ لا يعدل بربيعة أحداً من الناس فشقّ ذلك على مضر وأظهروا لهم القبيح وأبدوا ذات أنفسهم.

فقام أبو الطفيل عامر بن واثلة وعمير بن عطارد وقبيصة بن جابر وعبد الله بن الطفيل في وجوه قبائلهم فأتوا علياً عليه السلام فتكلّم أبو الطفيل فقال: إنّا والله يا أمير المؤمنين ما نحسد قوماً خصّهم الله منك بخير وإنّ هذا الحيّ من ربيعة قد ظنّوا أنّهم أولى بك منّا فاعفهم عن القتال أيّاماً واجعل لكل امرئ منّا يوماً نقاتل فيه فإنّا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا فقال عليه السلام نعم أعطيكم ما طلبتم. وأمر ربيعة أن تكفّ عن القتال وكانت بإزاء اليمن من صفوف الشام.

فغدا أبو الطفيل في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة فتقدّم أمام الخيل واقتتلوا قتالاً شديداً ثم انصرف إلى عليّ عليه السلام وأثنى عليه خيراً.

ثم غدا في اليوم الثاني عمير بن عطارد بجماعة من بني تميم وهو يومئذ سيّد مضر كوفة فقاتل أصحابه قتالاً شديداً.

ثم غدا في اليوم الثالث قبيصة في بني أسد فقاتل القوم إلى أن دخل اللّيل.

ثم غدا في اليوم الرابع عبد الله بن الطفيل في جماعة هوازن فحاربهم حتّى الليل فانصرفوا. قال نصر: وكتب عقبة بن مسعود عامل عليّ عليه السلام على الكوفة إلى سليمان بن صرد الخزاعي وهو مع عليّ عليه السلام: أمّا بعد فإنّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً فعليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين عليه السلام والسّلام[1].

٤٢٠ - قال نصر: وحدّثنا عمر بن سعد وعمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قام عليّ عليه السلام فخطب الناس بصفّين فقال:

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر وعلى حججه البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه إن يرحم فبفضله ومَنّه، وإن عذّب فبما كسبت أيديهم وإنّ الله ليس بظلاّم للعبيد.

أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة وأتوكّل عليه وكفى بالله وكيلاً ثمّ إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ارتضاه لذلك وكان أهله واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه على خلقه وكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً أكرم خلق الله

(١) وقعة صفين، ص ٣٠٦.

حسباً وأجمله منظراً وأسخاه نفساً وأبرّه بوالد وأوصله لرحم وأفضله علماً وأثقله حلماً وأوفاه بعهد وآمنه على عقد لم يتعلّق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قطّ بل كان يُظْلم فيغفر ويقدر فيصفح ويعفو حتّى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله صابراً على ما أصابه مجاهداً في الله حقّ جهاده حتّى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله فكان ذهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض البرّ والفاجر.

ثم [إنّه] فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً فلست أحيد عنه وقد حضرتم عدوّكم وعلمتم أنّ رئيسهم منافق ابن منافق يدعوهم إلى النّار وابن عم نبيّكم معكم وبين أظهركم يدعوكم إلى الجنّة وإلى طاعة ربّكم والعمل بسنّة نَبيّكم. ولا سواء من صلّى قبل كل ذكر لم يسبقني بالصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد وأنا من أهل بدر ومعاوية طليق ابن طليق، والله إنّا على الحقّ وإنّهم على الباطل ولا يجتمعن عليه وتتفرّقوا عن حقّكم حتى يغلب باطلهم حقكم: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ فإن لم تفعلوا ليعذّبنّهم الله بأيدي غيركم.

فقام أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدوّنا وعدوّك إذا شئت فوَالله ما نريد بك بدلاً بل نموت معك [ونحيا معك].

فقال لهم: والذي نفسي بيده لنظر إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله [و] أضرب بين يديه بسيفي هذا فقال: «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ» فقال لي: «يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي وموتك وحياتك يا عليّ معي» والله ما كَذبت ولا كُذبت ولا ضللت ولا ضُلّ بي ولا نسيت ما عهد إليّ وإنّي على بيّنة من ربّي وعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً.

ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر وما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلاّ تكبيراً[1].

٤٢١ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان قال: برز في أيّام صفّين رجل اشتهر بالبأس والنجدة اسمه كريب بن الوضّاح فنادى من يبارز؟ فخرج إليه المرتفع بن الوضّاح فقتله ثم نادى من يبارز؟ فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله، ثم نادى: من يبارز؟ فخرج إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتله ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ونادى من يبارز؟.

فخرج إليه عليّ عليه السلام وناداه: ويحك يا كريب إنّي أحذّرك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنّة الله وسنّة رسوله ويحك لا يدخلنّك معاوية النار فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ولا حاجة لنا فيها أقدم إذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره. فقال عليّ: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ثمّ مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربةً خرّ منها قتيلاً يتشحّط في دمه.

(١) وقعة صفين، ص ٣١٤.

ثم نادى من يبارز فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث ثم نادى من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطّلب القيني فقتل مطاعاً ثم نادى من يبرز؟ فلم يبرز إليه أحد فنادى ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١) يا معاوية هلمّ إليّ فبارزني ولا يقتلنّ الناس فيما بيننا. فقال عمرو بن العاص: اغتنمه منتهزاً قد قتل ثلاثة من أبطال العرب وإني أطمع أن يظفرك الله به!! فقال معاوية: والله لن تريد إلاّ أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي اذهب إليك فليس مثلي يخدع.

قال نصر: وخطب عبد الله بن العبّاس في هذا اليوم وقال بعد الحمد والثناء والشهادة بالتّوحيد والرّسالة:

وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الأُمّة وانتشر من أمرها أنّ معاوية بن أبي سفيان وجد من طغام الناس أعواناً على ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهره وأوّل ذكر صلّى معه بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كلّ مشاهده التي منها الفضل ومعاوية مشرك يعبد الأصنام والذي ملك الملك وحده وبان به وكان أهله لقد قاتل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ وهو يقول «صدق الله ورسوله» ومعاوية يقول: «كذب الله ورسوله».

فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصّبر والله إنكم لعلى حقّ وإن القوم لعلى باطل فلا يكوننّ أولى بالجدّ على باطلهم منكم في حقّكم وإنّا لنعلم أن سيعذّبهم الله بأيديكم أو بأيدي غيركم. اللّهم أعِنّا ولا تخذلنا وانصرنا على عدوّنا ولا تَخَلَّ عنّا وافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين(٢).

٤٢٢ - قال نصر: وحدّثنا عمرو عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله قال: قام عمّار يوم صفّين فقال: انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنّهم يطلبون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان فقالوا هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدّين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه فقالوا: إنّه لم يحدث شيئاً وذلك لأنّه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعَوْنها ولا يبالون لو انهدمت الجبال والله ما أظنّهم يطلبون بدم إنّهم ليعلمون أنّه لظالم ولكن القوم دانوا للدّنيا فاستحبّوها واستمرأوها وعلموا أنّ صاحب الحقّ لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها.

إن القوم لم تكن لهم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً. ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولاها ما بايعهم من الناس رجلان. اللّهم إن تنصرنا فطال ما نصرت وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.
(٢) وقعة صفين، ص ٣١٦.

ثم مضى ومضى معه أصحابه فدنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر فتبّاً لك فطال ما بغيت الإسلام عِوَجاً.

وفي كتاب نصر: ثم نادى عمّار عبيد الله بن عمر وذلك قبل مقتله فقال: يا ابن عمر صرعك الله بعت دينك بالدّنيا من عدوّ الله وعدوّ الإسلام؟ قال: كلاّ ولكنّي أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم. قال: كلاّ أشهدُ على علمي فيك أنّك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله وإنّك إن لم تقتل اليوم فتموت غداً فانظر إذا أعطى الله العباد على نيّاتهم ما نيّتك.

ثم قال: اللّهم إنّك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي هذا البحر لفعلت.

اللّهم إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت. اللّهم إنّي أعلم ممّا علمتني أني لا أعمل عملاً اليوم هذا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء القاسطين ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته(١).

٤٢٣ - وروى ابن ديزيل في كتاب صفين عن سيف الضبي عن الصعب بن حكيم بن شريك بن نملة المحاربي عن أبيه عن جدّه شريك قال: كان الناس من أهل العراق وأهل الشام يقتتلون أيّام صفّين ويتزايلون فلا يستطيع الرّجل أن يرجع إلى مكانه حتى يسفر الغبار عنه، فاقتتلوا يوماً وأسفر الغبار فإذا عليّ عليه السلام تحت رايتنا يعني بني محارب فقال: هل من ماء؟ فأتيته بإداوة فخنثتها له ليشرب فقال: لا إنّا نهينا أن نشرب من أفواه الأسقية ثمّ علّق سيفه وإنّه لمخضّب بالدم من ظُبته إلى قائمه فصببت له على يديه فغسلهما حتى أنقاهما ثم شرب بيديه حتى إذا روي رفع رأسه ثم قال: أين مضر؟ فقلت: أنت فيهم يا أمير المؤمنين فقال: من أنتم بارك الله فيكم؟ فقلنا: نحن بنو محارب فعرف موقفه ثم رجع إلى موضعه.

قال ابن أبي الحديد خنثت الإداوة إذا ثنيت فاها إلى خارج. وإنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اختناث الأسقية لأنّ رجلاً اختنث سقاء فشرب فدخل إلى جوفه حيّة كانت في السّقاء(٢).

٤٢٤ - قال: وروى نصر بن مزاحم عن يحيى بن يعلى عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن زيد بن أبي رجاء عن أسماء بن حكيم الفزاري قال: كنّا بصفّين مع علي تحت راية عمّار بن ياسر ارتفاع الضحى وقد استظللنا برداء أحمر إذ أقبل رجل فقال: أيّكم عمّار بن ياسر؟ فقال: أنا عمّار. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم قال: إنّ لي إليك حاجة فأنطق بها سرّاً أو علانية؟ قال: اختر لنفسك أيّهما شئت قال: لا بل علانية. قال: فانطق قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصراً في الحقّ الذي نحن عليه لا أشكّ في ضلالة هؤلاء القوم وأنّهم على الباطل فلم أزل على ذلك مستبصراً حتّى ليلتي هذه فإنّي رأيت في مقامي هذا تقدّم منادينا فقام وأذّن وشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى بالصّلاة والفلاح ونادى

(١) وقعة صفين، ص ٣١٩.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٥ ص ١٦٧.

مناديهم بمثل ذلك ثم أقيمت الصّلاة فصلّينا صلاة واحدة وتلونا كتاباً واحداً ودعونا دعوة واحدةً ورسولنا واحد فأدركني الشك في ليلتي هذه فبتّ بليلة لا يعلمها إلاّ الله حتّى أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمّار بن ياسر؟ قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتّبعه. فجئتك لذلك فقال عمّار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة [لي؟] - وأومأ إلى راية عمرو بن العاص - قاتلتها مع رسول الله ﷺ مرّات وهذه الرابعة فما هي بخيرهنّ ولا أبرّهن بل هي شرّهن وأفجرهنّ أشهدت بدراً وأُحداً ويوم حنين أو شهدها أب لك فيخبرها لك؟ قال: لا. قال: فإنّ مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين وإنّ مراكز هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب فهل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ والله لوددت أنّ جميع من أقبل فيه [مع] معاوية [ممن] يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته والله لدماؤهم جميعاً أحلّ من دم عصفور أترى دم عصفور حراماً؟ قال: لا بل حلال قال: فإنّهم حلال كذلك أتراني بيّنت؟ قال: قد بيّنت قال: فاختر أيّ ذلك أحببت.

فانصرف الرجل فدعاه عمّار ثم قال: سيضربونكم بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا على حقّ ما ظهروا علينا والله ما هم من الحقّ على ما يقذي عين ذباب والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على حقّ وأنّهم على باطل(١).

٤٢٥ - قال نصر: وحدّثنا يحيى بن يعلى عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين تقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصّلاة واحدة والحج واحد فماذا أسمّيهم؟ قال: سمّهم بما سمّاهم الله في كتابه. قال: ما كلّ ما في الكتاب أعلمه. قال: أما سمعت الله يقول: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾(٢) فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبيّ وبالحقّ فنحن الّذين آمنوا وهم الّذين كفروا وشاء الله قتالهم فقتالنا هذا بمشيئة الله وإرادته(٣).

توضيح: الأدهم: الأسود. والحمحمة: صوت الفرس إذا طلب العلف. والصهيل: صوته المعروف. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي مطيقين «وأفضت القلوب» أي دنت وقربت ووصلت أو أفضت بسرّها أو سرّها فحذف المفعول أو ظهرت لك بما فيها من عيوبها وأسرارها أو خرجت إلى فضاء رحمتك وساحة مغفرتك.

قال الجوهري: أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء وأفضيت إلى فلان سرّي وقال الخليل في العين: أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه وأصله أنّه سار في فضاء.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٥ ص ١٧٠. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٥ ص ١٧٠.

وقال الجوهري: شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف. والمناع اسم جبل وأريد هنا ما يمتنع به ويُلجأ إليه.

وسيأتي أكثر الأدعية والخطب برواية أُخرى مع شرحها.

وقال الفيروزآبادي: الفتّ: الدّق والكسر بالأصابع. وفتّ في ساعده: أضعفه.

وقال الجوهري: نابذه الحرب: كاشفه.

قوله: «قصّ الشارب» قصّ الشعر: قطعه أي كما يسوّي القاص شعرات الشارب. و[قال ابن الأثير] في [مادة الحج من كتاب] النهاية: لحج في الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب. قوله: «عضضتم بهن أبيكم» العضّ: اللزوم. وهن كناية عن الشيء القبيح أي لزمتم عادات السوء التي كانت لآبائكم. والشدّة بالفتح: الحملة. والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. والثّار بالهمزة وقد يخفّف: طلب الدم وقاتل الحميم. «إلاّ عن دينكم» أي بسببه أو يزيلوكم عنه. «عضضتم بصمّ الجندل» أي الحجارة الصلبة ولعلّه دعاء عليهم بالخيبة أو إخبار بأنّهم خيّبوا أنفسهم. والحتوف: جمع الحتف وهو الموت. ولم تطل أي لم تبطل. فهو مأثور أي مذكور. وقال الجوهري: الصدق بالفتح: الصلب من الرّماح ويقال: المستوي. ويقال أيضاً: رجل صدق اللقاء ويقال للرجل الشجاع: إنّه لذو مصدق بالفتح أي صادق الحملة كأنّه ذو صدق فيما يَعدُك من ذلك. «واستقبله سنام» أي طائفة عظيمة على المجاز. قوله: «قد رأيت جولتكم».

٤٢٦ - **أقول**: روى الكليني عن مالك بن أعين أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام حين مرّ براية لأهل الشام أصحابها لا يزالون عن مواضعهم: إنّهم لن يزالوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النّسيم، وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف وحتى تصدع جباههم بعمد الحديد وتنشر حواجبهم على الصدور والأذقان أين أهل الصبر وطلاب الأجر. وصارت إليه عصابة من المسلمين فعادت ميمنته إلى موقفها ومصافها وكشفت من بإزائها فأقبل حتى انتهى إليهم وقال عليه السلام: «إني رأيت جولتكم».

وساق [الحديث] نحو ما مرّ إلى قوله: «فأزلتموهم من مصافّهم كما أزالوكم وأنتم تضربونهم بالسيوف حتى ركب أوّلهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم الآن فاصبروا نزلت عليكم السّكينة وثبّتكم الله باليقين وليعلم المنهزم بأنّه مسخط ربّه وموبق نفسه، إنّ في الفرار موجدة الله والذلّ اللاّزم والعار الباقي وإنّ الفارّ لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه ولا يرضي ربه ولموت الرجل محقاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبّس بها والإقرار عليها[1].

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦١١ باب ١٥ ح ٤.

٤٢٧ - **وفي النّهج:** وأنتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والأنف المقدم، والسّنام الأعظم، ولقد شفا وحاوح صدري أن رأيتكم بآخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسّاً بالنصال وشجراً بالرماح تركب أولاهم أُخراهم كالإبل الهيم المطرودة تُرْمى عن حياضها وتذاد عن مواردها[1].

٤٢٨ - وقد روى المفيد في الإرشاد الكلام الأول إلى قوله: «أين أهل النصر أين طلاب الأجر» وسيأتي شرحه عند إيراد ما رواه الرضي ﷺ. ويقال: جال جولة: أي طاف. وانحاز عنه أي عدل وانحاز القوم أي تركوا مراكزهم والجفاة: هم الذين بعدوا عن الآداب الحسنة. والطغام: الأراذل. وفي الكافي: الطغاة. واللهاميم: جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل. واليآفيخ: جمع يافوخ وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل. ولعجه الضرب أي آلمه وأحرق جلده. ويقال: هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحبّ.

والوحوحة: صوت معه بحح يصدر عن المتألم. وفي الكافي «وشفى بعض حاج صدري» والحاج بالتخفيف جمع الحاجة. وضرب من الشوك. ويقال: ما قد صدري حوجاء ولا لوجاء أي لا مرية ولا شكّ. «بأخرة» بالتحريك أي أخيراً. والحوز: الجمع والسوق: اللين والشديد. وحسّيناها حسّاً أي استأصلناهم قتلاً. والنصال جمع نصل: السّهم أو السّيف وغيرهما. وفي بعض النسخ: [النضال] بالمعجمة [وهو مصدر] «ناضَلته» إذا رميته. وشجرت زيْداً بالرّمح: طعنته. والهيم بالكسر: العطاش. والذود: الصّدّ والمنع. ومواردها: المواضع التي تردها للشّرب. والعار الباقي أي في الأعقاب أوله بين الناس. ويومه: أجله المقدّر لموته. وفي القاموس: الخذمة محرّكة: السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشدّ في رسغ البعير ويشدّ إليها سرائح نعلها. والخلخال والسّاق. والهشيم من النبات: اليابس المتكسّر. والهمود: الموت وطفء النار.

قوله عليه السلام: «منّا النبيّ صلى الله عليه وآله».

أقول: في الديوان هكذا: «وبالنبي المصطفى غير الكذب». وفيه رجز آخر مخاطباً لحريث:

أنا الغلام العربي المنتسب ... من غير عود ومصاص المطّلب
يا أيها العبد اللئيم المنتدب ... إن كنت للموت محبّاً فاقترب
واثبت رويداً أيّها الكلْب الكلِب ... أو لا فولّ هارباً ثم انقلب

والعود بالفتح: القديم من السؤدد. وفلان مصاص قومه بالضم إذا كان أخلصهم نسباً. وندبه لأمر أي دعاه وحثّه له فانتدب أي أجاب ورجل كلب بكسر اللام: شديد الحرص. وكلب كلِب أي مجنون يكلب بلحوم الناس.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٣ خ ١٠٦.

[قوله عليه السلام] «أولا» أي أولا تثبت. وقيل أو بمعنى بل. ويروى أنّه لمّا قتل قال معاوية:

حريث ألم تعلم وعلمك ضائر بأنّ عليّاً للفوارس قاهر
وأنّ عليّاً لا يبارز فارساً من الناس إلا أقصدته الأظافر
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فجدّك إذ لم تقبل النّصح عاثر
فدلاّك عمرو والحوادث جمّة غروراً وما جرّت عليك المقادر
وظنّ حُرَيث أنّ عمراً نصيحه وقد يهلك الإنسان إذ لا يحاذر
أيركب عمرو رأسه خوف نفسه ويُصلي حريثاً إنّه لمماكر[1]

وروى في الديوان أبياته عليه السلام في مدح همدان هكذا:

ولمّا رأيت الخيل تقرع بالقنا فوارسها حمر العيون دوامي
وأقبل رهج في السما كأنّه غمامة دجن ملبس بقتام
ونادى ابن هندٍ ذا الكلاع ويحصبا وكندة في لخم وحيّ جذام
تيمّمت همدان الذين هم إذا ناب أمر جُنّتي وسهامي
وناديت فيهم دعوة فأجابني فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزّل غداة الوغا من يشكر وشبام
ومن أرحب الشمّ المطاعين بالقنا ورهم وأحياء السبيع ويام
ومن كلّ حيّ قد أتتني فوارس ذوو نجدات في اللقاء كرام
بكلّ رديني وعضب تخاله إذا اختلف الأقوام شعل ضرام
يقودهم حامي الحقيقة منهم سعيد بن قيس والكريم يحامي
فخاضوا لظاها واصطلوا بشرارها وكانوا لدى الهيجاء كشرب مدام
جزى الله همدان الجنان فإنهم سمام العدى في كلّ يوم خصام
لهمدان أخلاق ودين يزينهم ولين إذا لاقوا وحسن كلام
متى تأتهم في دارهم لضيافة تبت عندهم في غبطة وطعام
ألا إنّ همدان الكرام أعزة كما عن ركن البيت عند مقام
أناس يحبون النبي ورهطه سراع إلى الهيجاء غير كهام
إذا كنت بوّاباً على باب جنّة أقول لهمدان ادخلوا بسلام

٤٢٩ - قال الشارح: وروى ابن أعثم أنّ عمرو بن حصين أتى علياً عليه السلام من عقبه ليغتاله بسنان رمحه فقتله سعيد بن قيس وقال:

ألا أبلغ معاوية بن صخر ورجم الغيب يكشفه الظنون
بأنّا لا نزال لكم عدوّاً طوال الدهر ما سمع الحنين

(١) وقعة صفين، ص ٢٧٣.

ألـم تـر أن والـدنـا عـلـيّ أبـو حـسـن ونـحـن لـه بـنـون
وإنّـا لا نـريـد بـه سـواه وذاك الـرشـد والـحـظّ الـسـمـين

فلمّا سمعه معاوية بعث ذا الكلاع مع كثير من القبائل وقال: اخرج واقصُد بحربك همدان خاصة فلمّا رآهم عليّ قال: يا لهمدان عليكم بهذه الخيل فإنّ معاوية قد قصدكم بها خاصّة دون غيركم فأقبل عليهم ابن قيس مع همدان فهزمهم فقال عليّ عليه السلام لهم: أنتم درعي ورمحي وسناني وجُنّتي والله لو كانت الجنّة في يدي لأدخلتكم إيّاها خاصة يا معشر همدان ثم أنشأ هذه الأبيات.

والدّامي: الملطّخ بالدم. والرهج: الغبار. والدجن: إلباس. الغيم السماء. والقتام: الغبار الأسود. ويحصب بكسر الصاد حي من يمن وكذا اللخم والجذام قبيلتان من يمن. وتيمّمت أي قصدت. والأعزل: الذي لا سلاح معه والعزّل بالتشديد جمعه.

ويشكر بضم الكاف وشبام بكسر الشين وأرحب بالحاء المهملة ورهم بضم المهملة وسبيع بفتح السين ويام بالمثناة التحتانية قبائل همدان والشمّ جمع الأشمّ وهو السيّد ذو الأنفة. والمطاعين جمع المطعان وهو كثير الطعن.

وقال الجوهري: القناة الردينية والرمح الرديني زعموا أنّه منسوب إلى امرأة السمهري تسمّى ردينة وكانا يقومان القنا بخط هجر. والعضب: السّيف القاطع. والشرب بالفتح جمع شارب. والمدام: الخمر. والسّمام بالكسر جمع سم وفرس كهام أي بطيء.

قوله عليه السلام: «لمن راية حمراء» أقول في الدّيوان هكذا:

لـنـا الـرايـة الـسـوداء يـخـفـق ظـلّـهـا إذا قـيـل قـدّمـهـا حُـضَـيـن تـقـدّمـا
فـيـوردهـا فـي الـصّـف حـتـى يـزيـرهـا حياض المنايا يقطر الموت والدّما
تـراه إذا مـا كـان يـوم كـريـهـة أبـى فـيـه إلاّ عـزّة وتـكـرّمـا
وأجمل صبراً حين يدعى إلى الوغا إذا كـان أصـوات الـرجـال تـغـمـغـمـا
وقـد صـبـرت عـكّ ولـخـم وحـمـيـر لـمـذحـج حـتّـى أورثـتـهـا تـنـدّمـا
ونـادت جـذام يـا لـمـذحـج ويـحـكـم جـزى الله شـرّاً أيـنـا كـان أظـلـمـا
أمـا تـتّـقـون الله فـي حـرمـاتـنـا ومـا قـرّب الـرحـمـن مـنّـا وعَـظّـمـا
جزى الله قـومـاً قـاتـلـوا فـي لـقـائـهـم لـدى الـمـوت قـدمـاً مـا أعزّ وأكـرما
ربـيـعـة أعـنـي إنّـهـم أهـل نـجـدة وبـأس إذا لاقـوا خـمـيـسـاً عَـرَمْـرَمـا
أذقـنـا ابـن هـنـد طـعـنـنـا وضـرابـنـا بـأسـيـافـنـا حـتّـى تـولّـى وأحـجـمـا
وولّـى يـنـادي زبـرقـان بـن ظـالـم وذا كـلـع يـدعـو كـريـبـاً وأنـعـمـا
وعـمـرواً ونـعـمـانـاً ويـسـراً ومـالـكـاً وحـوشـب والـدّاعـي مُـعـادٍ وأظـلـمـا
وكـرز بـن نـبـهـان وابـنـي مـحـرق وحـرثـاً وقـيـنـيّـاً عـبـيـداً وسـلّـمـا

وخفقت الراية تخفِق وتخفُق [على زنة تضرب وتنصر]: اضطربت. «حتى يزيرها» أي يذهب بها إلى الزيارة. والكماة جمع الكميّ وهو الشجاع المتكمّي في سلاح لأنّه كمى نفسه أي سترها بالدّرع والبيضة. والغمغمة: أصوات الأبطال عند القتال. والكلام الذي لا يبين كالتّغمغم. والعكّ واللخم بالخاء المعجمة وحمير كمنبر ومذحج بالذّال المعجمة كمسجد وجذام بضم الجيم وإعجام الذّال قبائل من اليمن. واللاّم في قوله: يا لمذحج للاستغاثة. والخميس: الجيش. والعرمرم: الجيش الكثير. والزبرقان بكسر الزّاي والراء: ابن بدر الفزاري. وذو كلع: بفتح الكاف واللام. وكريب: مصغر كرب ابن صباح الحميري. وعمرو: ابن العاص. ونعمان: ابن بشير القيسي. وبسر: ابن أرطأة. ومالك: ابن مسهر القضاعي. وحوشب: المكنى ذا الظليم. وكرز: بضم الكاف وتقديم المهملة، ونبهان بالنّون ثم الباء الموحّدة ابنا محرق بالحاء المهملة والراء المشدّدة. وحرث بالثاء المثلثة: ابن وداع الحميري. والقيني: مطاع بن مطلب. وعبيدالله بن عمر بن الخطاب. وسلم: أبو الأعور السلمي. كلّهم أشقياء من أصحاب معاوية عليه وعليهم اللعنة وأنعم أي أجاب. ومعاوٍ مرخّم معاوية للشعر. وأظلم أي أتى بالظلم أو كان أشدّ ظلماً أو كان مظلماً ذا سواد وشقاوة.

وقتل ذو الكلاع بصفّين وقتل كريب بيد أمير المؤمنين بعد أن قتل مترقع بن وضاح الخولاني وشرحبيل بن طارق وحرب بن الجلاّج وعباد بن مسروق مبارزة. وقتل مالك بسيف حجر بن عدي وحوشب بسيف سليمان بن صرد الخزاعي وحرث ومطاع بسيفه عليه السلام وعبيدالله بسيف عبد الله بن سوار أو حريث بن خالد أو هانئ بن خطّاب أو هانئ بن عمر أو محرز بن صحصح.

وقال الجوهري: وقولهم: جاؤا ومن لفّ لفّهم أي ومن عدّ فيهم وتأشب إليهم.

٤٣٠ - **أقول:** ثم قال نصر بن مزاحم في كتاب صفّين بعدما ذكر قتل عمّار وهاشم بن عتبة رضي الله عنهما كما سيأتي في الباب الآتي:

وبعث عليّ عليه السلام خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادته فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها وجاءت عيون عليّ عليه السلام فأخبرته بما قد كان فقال عليه السلام لأصحابه: فما ترون فيما ها هنا؟ فاختلفوا فقال عليه السلام فاغدوا إلى القتال فأمرهم غدوة بالقتال فانهزم أهل الشام وانهزم عتبة بن أبي سفيان حتى أتى الشام[1].

٤٣١ - وعن عمر بن سعد عن سليمان الأعمش عن إبراهيم الهجري عن القعقاع بن الأبرد قال: والله إنّي لواقف قريباً من عليّ عليه السلام بصفّين يوم وقعة الخميس وقد التقت مذحج وكانوا في ميمنة عليّ وعكّ وجذام ولخم والأشعريون وكانوا مستبصرين في قتال عليّ عليه السلام فلقد

---

(١) وقعة صفين، ص ٣٦٠.

سمعت من قتالهم صوتاً ليست أصوات هذه الجبال ولا الصّواعق بأعظم هولاً في الصّدور من ذلك الصوت وعليّ عليه السلام يقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله المستعان الله ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول: «ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» فلا والله ما حجز بيننا وبينهم إلاّ الله ربّ العالمين في قريب من ثلث اللّيل وقتلت يومئذ أعلام العرب وكان في رأس عليّ عليه السلام ثلاث ضربات وفي وجهه ضربتان.

قال: وكتب معاوية كتابين أحدهما إلى أبي أيوب الأنصاري وكتب فيه: «لا تنسى شيباء أبا عذرتها ولا قاتل بكرها» فلم يدر أبو أيّوب ما هو فأتى به عليّاً عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية كتب إليّ بكتاب لا أدري ما هو؟ فقال عليه السلام: هذا مثل ضربه لك يقول: ما أنسى الذي لا تنسى الشيباء [هي] لا تنسى أبا عذرتها الشيباء المرأة البكر ليلة افتضاضها لا تنسى بعلها الذي افترعها أبداً ولا تنسى قاتل بكرها وهو أوّل ولدها كذلك لا أنسى أنا قتلة عثمان.

وكتب الآخر إلى زياد بن سميّة وكان عاملاً لعليّ على بعض فارس فكتب إليه يتهدّده ويوعده فقال زياد: ويلي على ابن آكلة الأكباد، وكهف المنافقين وبقية الأحزاب يتهدّدني ويوعدني وبيني وبينه ابن عمّ محمّد صلى الله عليه وآله معه سبعون ألف طوائع سيوفهم عند أذقانهم ولا يلتفت أحد منهم وراءه حتّى يموت أما والله لو خلص الأمر إليّ ليجدني أحمر ضرّاباً بالسّيف. والأحمر يعني أنّه مولى فلمّا ادّعاه معاوية صار عربيّاً [منافياً].

وكتب معاوية في أسفل كتاب أبي أيّوب أبياتاً. فأجابه أبو أيّوب بأبيات ردّها عليه [وكان نصّ كتابه في جواب معاوية:] [أما بعد فإنّك كتبت إليّ]: «لا تنسى الشيباء ثكل ولدها ولا أبا عذرتها» فضربتها مثلاً بقتل عثمان وما نحن وقتل عثمان؟ إنّ الذي تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لأنت، وإنّ الذين قتلوه لغير الأنصار. فلمّا أتي معاوية بكتاب أبي أيّوب كسره(١).

٤٣٢ - وعن عمر بن سعد عن مجالد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال: شهدت مع عليّ عليه السلام بصفّين فاقتتلنا ثلاثة أيّام وثلاثة ليال حتّى تكسّرت الرّماح ونفدت السهام ثم صارت إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتّى صرنا في أهل الشام في اليوم الثالث وعانق بعضنا بعضاً ولقد قاتلنا بجميع السلاح فلم يبق شيء من السلاح إلاّ قاتلنا به حتّى تحاثينا بالتراب وتكادمنا حتّى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل فلمّا كان نصف الليل انحاز معاوية وخيله من الصف من اللّيلة الثالثة وغلب عليّ عليه السلام على القتلى تلك الليلة وأقبل عليّ عليه السلام على أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله فدفنهم وقتل شمر بن أبرهة وقتل جماعة كثيرة من أصحاب عليّ عليه السلام يومئذ(٢).

٤٣٣ - وعن ابن أبي شقيق أنّ عبد الله بن جعفر ذي الجناحين كان يحمل على الخيل

---

(١) وقعة صفين، ص ٣٦٣. (٢) وقعة صفين، ص ٣٦٩.

بصفّين إذ جاء رجل من خزيمة فقال: هل من فرس؟ قال: نعم خذ أيّ الخيل شئت فلمّا ولى قال ابن جعفر إن يصب أفضل الخيل يقتل. قال: فما عتم أن أخذ أفضل الخيل فركبه وحمل على الذي دعاه إلى البراز فقتله [الشامي] وحمل غلامان من الأنصار جميعاً أخوان حتّى انتهيا إلى سرادق معاوية فقتلا عنده وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتتلت قياماً على الرّكب لا يسمع السّامعون إلاّ وقع السيوف على البيض والدروع.

قال وجاء عدي بن حاتم يلتمس عليّاً ما يطأ إلاّ على إنسان ميّت أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال: يا أمير المؤمنين ألا نقوم حتّى نموت؟ فقال عليّ عليه السلام: ادنه. فدنا حتّى وضع أذنه عند أنفه فقال: ويحك إنّ عامّة من معي يعصيني وإنّ معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه.

قال: وكتب إلى معاوية: أمّا بعد فإنّك قد ذقت ضرّاء الحرب وأذقتها وإنّي عارض عليكم ما عرض المخارق على بني فالج:

أيا راكباً إمّا عرضت فبلّغا بني فالج حيث استقرّ قرارها
هلمّوا إلينا لا تكونوا كأنّكم بلاقع أرض طار عنها غبارها
سليم بن منصور أناس بحرّة وأرضهم أرض كثير وبارها

فأجابه معاوية: من معاوية إلى عليّ أما بعد عافانا الله وإيّاك فإنّي إنّما قاتلت على دم عثمان وكرهت التدهين في أمره وإسلام حقّه فإن أدرك به فبها وإلاّ فإنّ الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم ثم تمثّل ببعض الأبيات.

قال: وأرسل عليّ عليه السلام إلى معاوية أن ابرز لي واعف الفريقين من القتال فأيّنا قتل صاحبه كان الأمر له. قال عمرو: لقد أنصفك الرجل فقال معاوية: إنّي لأكره أن أبارز الأهوج الشجاع لعلّك طمعت فيها يا عمرو؟ [و] قال عليّ عليه السلام: وا نفساه أيطاع معاوية وأعصى؟ ما قاتلت أمّة قط أهل بيت نبيّها وهي مقرّة بنبيّها إلاّ هذه الأُمّة.

ثم إنّ عليّاً عليه السلام أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام فحملت خيل عليّ عليه السلام على صفوف أهل الشام فقوّضت صفوفهم فقال عمرو يومئذ: على من هذا الرّهج؟ فقيل على ابنيك عبد الله ومحمّد فقال عمرو: يا وردان قدّم لواءك فتقدّم فأرسل إليه معاوية إنّه ليس على ابنيك بأس فلا تنقض الصفّ والزم موقفك فقال عمرو: هيهات

الليث يحمي شبليه ما خيره بعد ابنيه

ثمّ قال: إنّك لم تلدهما إنّي أنا ولدتهما.

فأرسل عليّ عليه السلام إلى أهل الكوفة وأهل البصرة أن احملوا فحمل الناس من كل جانب فاقتتلوا قتالاً شديداً فخرج رجل من أهل الشام فقال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب عليّ عليه السلام فاقتتلا ساعة ثم إنّ العراقيّ ضرب رجل الشامي فقطعها فقاتل ساعة ثم ضرب يده

فقطعها فرمى الشامي بسيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام ثمّ قال: يا أهل الشام دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على عدوّكم فأخذوه فاشترى معاوية ذلك السيف من أولياء المقتول بعشرة آلاف[١].

٤٣٤ - قال نصر: وحدّثني رجل عن مالك الجهني عن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام مرّ على جماعة من أهل الشام فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه فأخبروه بذلك فوقف في ناس من أصحابه فقال: انهدوا إليهم وعليكم بالسّكينة وسيماء الصّالحين ووقار الإسلام والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجلّ قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الحرام والمجلود حدّاً في الإسلام وهم أولى يقومون فيقصبوني ويشتموني وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعوني إلى عبادة الأصنام فالحمد لله ولا إله إلاّ الله وقديماً ما عاداني الفاسقون.

إنّ هذا هو الخطب الجليل أنّ فسّاقاً كانوا عندنا غير مرضيّين وعلى الإسلام وأهله متخوّفين أصبحوا قد خدعوا شطر هذه الأمّة فأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان وقد نصبوا لنا الحرب وجدّوا في إطفاء نور الله والله متمّ نوره ولو كره الكافرون. اللّهم فإنّهم قد ردّوا الحقّ فافضض جمعهم وشتّت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم فإنّه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت[٢].

٤٣٥ - وعن نمير بن وعلة عن عامر الشعبي أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم فحرّض الناس على قتالهم وذكر أنّهم غسّان فقال:

إنّ هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النّسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف حتى تصدع جباههم وتنثر حواجبهم على الصدور والأذقان أين أهل الصبر وطلاب الخير؟ أين من يشري وجهه لله عزّ وجلّ ؟

فثابت إليه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمّداً فقال له: امش نحو هذه الراية مشياً رويداً على هينتك حتّى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك يدك حتّى يأتيك أمري ورأيي ففعل وأعَدَّ عليّ مثلهم فلمّا دنا منهم محمّد وأشرع الرماح في صدورهم أمر عليّ الذين أعدّ فشدّوا عليهم ونهض محمّد في وجوههم فزالوا عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالاً واقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً فما صلّى كثير من الناس إلاّ إيماء[٣].

٤٣٦ - وعن شيخ من حضرموت قال: كان منّا رجل يدعى هانئ بن نمر، فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد فقال: سبحان الله ما يمنعكم أن يخرج رجل منكم إلى هذا فلولا أنّي موعوك وأنّي أجد لذلك ضعفاً لخرجت إليه فما ردّ عليه رجل من

---

(١) وقعة صفين، ص ٣٧٣. (٢) - (٣) وقعة صفين، ص ٣٩١.

أصحابه شيئاً فوثب فقال أصحابه: سبحان الله تخرج إليه وأنت موعوك؟ قال: والله لأخرجن إليه ولو قتلني فلمّا رآه عرفه وإذا الرجل من قومه يقال له معمّر بن أسيد الحضرمي وبينهما قرابة من قبل النساء فقال له: يا هانئ ارجع إنّه ان يخرج إليّ غيرك أحبّ إليّ إنّي لست أريد قتلك قال له هانئ: ما خرجت إلاّ وأنا موطّن نفسي على القتل ما أبالي أنت قتلتني أو غيرك ثم مشى نحوه فقال: اللّهم في سبيلك وسبيل رسولك ونصراً لابن عمّ نبيّك ثم اختلفا ضربتين فقتل هانئ صاحبه وشدّ أصحابه نحوه وشدّ أصحاب هانئ نحوهم ثم اقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلاً.

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام أرسل إلى الناس أن احملوا فحمل الناس على راياتهم كلّ قوم بحيالهم فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لا يسمع إلاّ أصوات الحديد ومرّت الصلوات كلّها ولم يصلّوا إلاّ تكبيراً عند مواقيت الصّلوات حتى تفانوا ورقّ الناس. فخرج رجل بين الصفّين فقال: أخرج فيكم المحلّقون؟ قلنا: لا قال: إنّهم سيخرجون ألسنتهم أحلا من العسل وقلوبهم أمرّ من الصّبر لهم حمة كحمة الحيات ثم غاب الرّجل فلم يعلم من هو[1].

٤٣٧ - وعن محمّد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي يحيى عن عبد الرحمن بن حاطب قال: خرجت ألتمس أخي في القتلى بصفّين سويداً فإذا رجل قد أخذ بثوبي صريع في القتلى فالتفت فإذا بعبد الرحمن بن كلدة فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون هل لك في الماء؟ قال: لا حاجة لي في الماء قد أنفذ فيّ السلاح وخرّقني ولست أقدر على الشرب هلى أنت مبلّغ عنّي أمير المؤمنين عليه السلام رسالة؟ قلت: نعم. قال: إذا رأيته فأقرئه منّي السّلام وقل يا أمير المؤمنين احمل جرحاك إلى عسكرك حتى تجعلهم من وراء القتلى فإنّ الغلبة لمن فعل ذلك ثم لم أبرح حتى مات فخرجت حتّى أتيت عليّاً عليه السلام فقلت له إنّ عبد الرحمن بن كلدة يقرأ عليك السلام قال: وعليه أين هو؟ قلت: قد والله يا أمير المؤمنين أنفذه السلاح وخرّقه فلم أبرح حتّى توفّي فاسترجع قلت: قد أرسلني إليك برسالة [قال: فما هي؟] فلمّا أبلغته الرسالة قال: صدق والّذي نفسي بيده. فنادى منادي العسكر أن احملوا جرحاكم إلى عسكركم ففعلوا.

فلما أصبح نظر أهل الشام وقد ملّوا من الحرب وأصبح عليّ قد رحّل الناس وهو يريد أن ينزل على أهل الشّام في عسكرهم فقال معاوية: فأخذت معرفة فرسي ووضعت رجلي في الركاب حتى ذكرت أبيات ابن الأطنابة:

أبت لي عفّتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

إلى آخر الأبيات فعدت إلى مقعدي فأصبت خير الدنيا[2].

وكان عليّ عليه السلام إذا أراد القتال هلّل وكبّر ثمّ قال:

من أيّ يوميّ من الموت أفرّ يوم لم يقدّر أم يوم قدر

(١) وقعة صفين، ص ٣٩٣. (٢) وقعة صفين، ص ٣٩٤.

وأقبل عبد الرحمان بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الأعظم مرتجزاً فاستقبله جارية ابن قدامة واطّعنا ملياً ومضى عبد الرحمن وانصرف جارية وعبد الرحمن لا يأتي على شيء إلاّ أهمده فغمّ ذلك علياً عليه السلام.

وأقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده فقال: أقحم يا ابن سيف الله فإنّه الظّفر.

وأقبل الناس على الأشتر فقالوا: يوم من أيّامك الأُول وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى فأخذ الأشتر لواءه ثم حمل فضارب القوم حتى ردّهم على أعقابهم فرجعت خيل عمرو.

وذكروا أنّه لما ردّ لواء معاوية ورجعت خيل عمرو انتدب لعليّ عليه السلام همام بن قبيصة وكان من أشتم الناس لعليّ عليه السلام وكان معه لواء هوازن فقصد المذحج فقال عدي بن حاتم لصاحب لوائه: ادن منّي فأخذه فحمل وطعن ساعة ثم رجع ثم حمل جندب بن زهير مرتجزاً.

فلمّا رأى ابن العاص الشرّ استقبل فقال له معاوية: ائت ببني أبيك فقاتل بهم. فأتى جماعة أهل اليمن فقال: أنتم اليوم الناس وغداً لكم الشأن هذا يوم له ما بعده من الأمر احملوا معي على هذا الجمع قالوا نعم فحملوا وحمل عمرو. فقال عمرو بن الحمق: دعوني والرّجل فإن القوم قومي فقال له ابن بديل: دع القوم يلقى بعضهم بعضاً فأبى عليه وحمل ثم طعنه في صدره فقتله وولّت الخيل وأزال القوم عن مراكزهم.

ثمّ إنّ حوشباً ذا ظليم أقبل في جمعه وصاحب لوائه يرتجز فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي فطعنه فقتله واستدار القوم وقتل حوشب وابن بديل وصبر بعضهم لبعض وفرح أهل الشام بقتل هاشم واختلط أمرهم حتى ترك أهل الرايات مراكزهم وأقحم أهل الشام من آخر النهار وتفرّق الناس عن عليّ عليه السلام فأتى ربيعة وكان فيهم وتعاظم الأمر.

وأقبل عدي بن حاتم يطلب علياً عليه السلام في موضعه الّذي تركه فيه فلم يجده فأصابه في مصاف ربيعة فقال: يا أمير المؤمنين أمّا إذا كنت حيّاً فالأمر أمم ما مشيت إليك إلاّ على قتيل وما أبقت هذه الواقعة لنا ولهم عميداً فقاتل حتى يفتح الله عليك فإنّ في الناس بقيّة بعد.

وأقبل الأشعث يلهث جزعاً فلمّا رأى علياً عليه السلام هلّل وكبّر وقال: يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه فعد إلى مقامك الذي كنت فيه فإنّ الناس يظنّونك حيث تركوك.

وأرسل سعيد بن قيس [إلى أمير المؤمنين عليه السلام] إنّا مشتغلون بأمرنا مع القوم وفينا فضل فإن أردت أن نمدّ أحداً أمددناه.

وأقبل عليّ عليه السلام على ربيعة فقال أنتم درعي ورمحي فقال عدي بن حاتم إنّ قوماً أنست بهم وكنت فيهم في هذه الجولة لعظيم حقهم علينا والله إنّهم لصبر عند الموت أشدّاء عند القتال. وركب على فرسه الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان يقال له: المرتجز ثمّ قدم عليّ

بغلة رسول الله ﷺ الشهباء فركبها ثم تعصّب بعمامة رسول الله ﷺ السوداء ثمّ نادى أيّها الناس من يشري نفسه لله يربح هذا يوم له ما بعده إنّ عدوّكم قد قرح كما قرحتم.

فانتدب له من بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً وضعوا سيوفهم على عواتقهم وتقدّمهم عليّ عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ وهو يقول:

دبّوا دبيب النّمل لا تفوتوا وأصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا أو لا فإنّي طال ما عصيت
قد قلتم لو جئتنا فجيت ليس لكم ما شئتم وشيت
بل ما يريد المحيي المميت

وتبعه ابن عدي بن حاتم مرتجزاً وتقدّم الأشتر مرتجزاً وحمل الناس حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صفّ إلاّ انتقض وأهمدوا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية وعليّ عليه السلام يضربهم بسيفه ويقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الأخزر العين العظيم الحاوية
هوت به في النار أم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فوضع رجله في الركاب ثم ندم وتمثل بأبيات وقال: يا ابن العاص اليوم صر وغداً فخر. فقال عمرو: صدقت وانصرفوا وقد غلبوا وقهروا وكلّ قد كره صاحبه. ثم إنّ معاوية لمّا أسرع أهل العراق في أهل الشّام قال: إنّ هذا يوم تمحيص إنّ القوم قد أسرع فيهم ما أسرع فيكم اصبروا يومكم هذا وخلاكم ذمّ.

وحضّ عليّ عليه السلام أصحابه فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين إنّك جعلتني على شرطة الخميس وقدّمتني في الثقة دون الناس وإنّك اليوم لا تفقد لي صبراً ولا نصراً أمّا أهل الشام فقد هدّهم ما أصبنا منهم وأمّا نحن ففينا بعض البقية فاطلب بنا أمرك وأذن لي في التقدم فقال له عليّ عليه السلام تقدّم بسم الله.

وأقبل الأحنف بن قيس السعدي فقال: يا أهل العراق والله لا تصيبون هذا الأمر أذلّ عنقاً منه اليوم قد كشف القوم عنكم قناع الحياء وما يقاتلون على دين وما يصبرون إلاّ حياءً فتقدّموا فقالوا: إنّا إن تقدّمنا اليوم فقد تقدّمنا أمس فما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقدّموا في موضع التقدّم وتأخّروا في موضع التأخّر تقدّموا من قبل أن يتقدموا إليكم.

وحمل أهل العراق وتلقّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص معلماً مرتجزاً فاعترضه عليّ عليه السلام وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل والخصر والأنامل الطفول
أنّي بنصل السيف خنشليل أحمي وأرمي أوّل الرّعيل
بصارم ليس بذي فلول

ثم طعنه فصرعه واتّقاه عمرو برجله فبدت عورته فصرف عليّ وجهه عنه وارتث فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين قال: وهل تدرون من هو إنّه عمرو بن العاص تلقّاني بعورته فصرفت وجهي عنه.

فلما رجع [عمرو إلى صفّه] قال له معاوية: احمد الله وعورتك.

ثم ذكر نصر سعي معاوية في افتتان الأشعث بن قيس وعبدالله بن العبّاس والمراسلة والمكاتبة إليهما وإجابتهما بما لم يرض به وندم.

[ثمّ] قال: ولمّا تعاظمت الأمور على معاوية دعا عمرواً وبسراً وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمان بن خالد فقال لهم: قد غمّني رجال من أصحاب عليّ منهم سعيد بن قيس في همدان والأشتر في قومه والمرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الأنصار وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها أياماً كثيرة حتّى لقد استحييت لكم وأنتم عدّتهم من قريش وقد عبّأت لكلّ رجل منهم رجلاً منكم فاجعلوا ذلك إليّ فقالوا: ذلك إليك قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال وأنت يا بُسر لقيس بن سعد وأنت يا عبيد الله للأشتر وأنت يا عبد الرحمان لعدي بن حاتم ثم ليرد كل رجل منكم من حماة الخيل فجعلها نوائب في خمسة أيام لكل رجل منهم يوماً.

فأصبح معاوية في غده فلم يدع فارساً إلاّ دعاه ثمّ قصد لهمدان بنفسه وتقدّم الخيل فطعن في أعراض الخيل مليّاً ثم إنّ همدان نادت بشعارها وأقحم سعيد بن قيس على فرسه على معاوية واشتدّ القتال وحجز بينهم الليل وذكرت همدان أنّ معاوية فاته ركضاً فانصرف معاوية ولم يعمل شيئاً. وإنّ عمرو بن العاص غدا في اليوم الثاني في حماة الخيل نحو المرقال ومع المرقال لواء عليّ الأعظم في حماة الناس وكان عمرو من فرسان قريش فتقدم وارتجز وطعن في أعراض الخيل مزبداً فحمل هاشم مرتجزاً وطعن عمرواً حتّى رجع واشتدّ القتال وانصرف الفريقان ولم يسرّ معاوية ذلك.

وإنّ بسراً غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الأنصار كأنّه فنيق مقرم فطعن في خيل بسر وبرز له بسر بعد ملي وطعن بسر قيساً فضربه قيس بالسيف فردّه على عقبه ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل.

وإنّ عبيد الله بن عمر تقدّم في اليوم الرابع ولم يترك شيئاً وجمع من استطاع فقال له معاوية إنّك تلقى أفاعي أهل العراق فارفق واتئد فلقيه الأشتر أمام الخيل مزبداً وكان الأشتر إذا أراد القتال أزبد فردّ الخيل فاستحيى عبيد الله فبرز أمام الخيل وكان فارساً فحمل عليه الأشتر فطعنه واشتدّ الأمر وانصرف القوم وللأشتر الفضل فغمّ ذلك معاوية.

وإنّ عبد الرحمن غدا في اليوم الخامس وكان أرجاهم عند معاوية فقوّاه بالخيل والسلاح وكان يعدّه ولداً فلقيه عدي بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة فبرز عبد الرحمان أمام الخيل

ثم حمل فطعن الناس وقصده عدي بن حاتم وحمل في حماة الناس حتّى تواروا في العجاج وفضح القوم ورجع عبد الرحمان إلى معاوية وانكسر معاوية وان القرشيين استحيوا مما صنعوا وشمتت بهم اليمانية وعيّرهم معاوية وأنّبهم فانقطعوا عنه أيّاماً ثم اعتذر [اليهم] معاوية في أبيات فأتوه واعتذروا إليه واستقاموا له على ما يحبّ.

ثمّ إنّ معاوية ضاعف الفرائض والعطايا لعكّ والأشعريين وهم بذلوا جهدهم في القتال ووفى لهم بذلك فلم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلاّ طمع في معاوية وشخص بصره إليه حتّى فشا ذلك في الناس.

وبلغ عليّاً عليه السلام فساءه [ذلك] فقال المنذر بن أبي حَمِيصة وكان فارس همدان وشاعرهم: يا أمير المؤمنين إنّ عكّاً والأشعريين طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم فباعوا الدين بالدنيا وإنّا قد رضينا بالآخرة من الدنيا وبالعراق من الشام وبك من معاوية والله لآخرتنا خير من دنياهم ولعراقنا خير من شامهم ولإمامنا أهدى من إمامهم فامتحنّا بالصّبر واحملنا على الموت.

فقال عليّ عليه السلام حسبك رحمك الله وأثنى عليه وعلى قومه خيراً.

ولما أصبح الناس غدوا على مصافّهم ونادى معاوية في أحياء اليمن فقال عليّ عليه السلام يا آل همدان فأجابه سعيد بن قيس فقال له: احمل فحمل حتّى خلط الخيل بالخيل واشتدّ القتال وحطمتهم همدان حتى ألحقوهم معاوية وأسرع في فرسان أهل الشام القتل وأثنى عليّ عليه السلام على همدان وقال: أنتم درعي ورمحي يا همدان ما نصرتم إلاّ الله ولا أجبتم غيره.

فقال سعيد: أجبنا الله وإيّاك ونصرنا نبيّ الله صلى الله عليه وآله في قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارم بنا حيث أحببت.

فدعا معاوية مروان وأمره أن يخرج فأبى ثمّ دعا عمرو بن العاص وأمره بالخروج فلمّا خرج لقيه الأشتر أمام الخيل فلمّا غشيه الأشتر بالرمح راوغه عمرو فطعنه الأشتر في وجهه فلم يصنع شيئاً ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على وجهه ورجع إلى العسكر.

فجاء ذو الكلاع إلى معاوية وقال: تولّي علينا من لا يقاتل معنا؟ ولّ رجلاً منّا وإلاّ فلا حاجة لنا بك. فقال لهم معاوية: لا أولّي عليكم بعد يومي هذا إلاّ رجلاً منكم.

قال: وحرّض عليّ عليه السلام أصحابه فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين قدّمني في البقيّة من الناس فإنّك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً قال عليه السلام تقدّم باسم الله والبركة فتقدّم وأخذ رايته فمضى بالراية مرتجزاً فرجع قد خضب سيفه ورمحه دماً وكان شيخاً ناسكاً عابداً وكان إذا لقي القوم لا يغمد سيفه وكان من ذخائر عليّ عليه السلام ممن قد بايعه على الموت وكان من فرسان أهل العراق وكانوا قد ثقلوا عن البراز حين عضّتهم الحرب.

فقال الأشتر: يا أهل العراق أما من رجل يشري نفسه لله؟ فخرج أثال بن حجل فنادى بين

العسكرين هل من مبارز؟ فدعى معاوية حجلاً فقال: دونك الرجل وكانا مستبصرين في رأيهما. فبرز كلّ منهما إلى صاحبه فبدره الشيخ بطعنة فطعنه الغلام فانتسبا فإذا هو ابنه فنزلا واعتنق كلّ منهما صاحبه وبكيا فقال له الأب: أي أثال هلمّ إلى الدنيا. فقال له الغلام: يا أباه هلمّ إلى الآخرة والله يا أبت لو كان من رأيي الانصراف إلى أهل الشام لكان من رأيك لي أن تنهاني وا سوأتاه فما يقول لي عليّ؟ كن على ما أنت عليه وأنا أكون على ما أنا عليه وانصرف كلّ منهما إلى أصحابهما.

ثم إنّ معاوية دعا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد فقال: يا هذان ما لقيت من الأوس والخزرج؟ صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتّى والله جبّنوا أصحابي الشجاع منهم والجبان حتّى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلاّ قالوا قتلته الأنصار أما والله لأعبينّ لكلّ فارس منهم فارساً ينشب في حلقه ثم لألقينّهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطَّفَيْشَل يقولون نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقّهم بباطلهم. فغضب النعمان وقال: يا معاوية، لا تلومنّ الأنصار بسرعتهم في الحرب فإنّهم كذلك كانوا في الجاهليّة. وأمّا دعاؤهم إلى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ.

وأمّا لقاؤك إيّاهم في أعدادهم من قريش[1] فإنّ لها وفاء به.

وأمّا التمر والطفيشل فإن التمر كان لنا فلمّا أن ذقتموه شاركتمونا فيه.

وأمّا الطفيشل فكان لليهود فلمّا أكلناهم غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السّخينة.

ثم تكلّم مسلمة بنحو من ذلك ولم يكن مع معاوية غير هذين الرجلين من الأنصار.

وانتهى الكلام إلى الأنصار.

فجمع قيس بن سعد الأنصار وقام خطيباً فيهم وقال: إنّ معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحباكم فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه أمس وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشرك وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الذي أنتم عليه فجدّوا اليوم جدّاً تنسونه ما كان أمس وجدّوا غداً فتنسونه ما كان اليوم وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب.

وأمّا التمر فإنّا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه.

وأما الطفيشل فلو كان طعامنا سمّيناه اسماً كما سمّيت قريش السّخينة.

وتحرّكت الخيل غدوة فظنّ قيس أنّ فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فقنّعه بالسيف فإذا غير معاوية وحمل الثانية [على آخر يشبهه أيضاً] فضربه ثم انصرف.

---

(١) في المصدر: . . فقد علمتَ ما لقيتْ قريش منهم قديماً، فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفاً فافعل.
بدل: فإن لها وفاءً به.

ثمّ إنّ النعمان خرج حتى وقف بين الصّفّين فقال: يا قيس أنا النعمان بن بشير. قال قيس: ما حاجتك. قال: يا قيس إنّه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم المدينة وقتلتم أنصاره يوم الجمل وإقحامكم على خيولكم أهل الشام بصفّين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً ولكنكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتّى أعلمتم في الحرب ودعوتم إلى البراز ثم لم ينزل بعليّ أمر قطّ إلاّ وهوّنتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد أخذت الحرب منّا ومنكم ما قد رأيتم فاتّقوا الله في البقية.

قال: فضحك قيس ثمّ قال: ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة، إنّه لا ينصح أخاه من غشّ نفسه وأنت والله الغاشّ الضّال المضلّ.

وأمّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها مني واحدة قَتَلَ عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك. وأمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث.

وأمّا معاوية فوالله لئن اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار.

وأمّا قولك إنّا لسنا كالناس فنحن في هذه الحروب كما كنّا مع رسول الله ﷺ نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتّى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلاّ طليقاً أو اعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور.

انظر أين المهاجرون والأنصار والتّابعون لهم بإحسان الذين ﷺ ورضوا عنه. ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصارياً غيرك وغير صويحبك ولستما والله ببدريّين ولا عَقَبيين ولا أُحديّين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك[1].

٤٣٨ - وذكروا أنّه كان فارس أهل كوفة الذي لا ينازع رجلاً يقال له العكبر بن جدير الأسدي وكان فارس أهل الشام الذي لا ينازع عوف بن مجزأة المرادي وكان العكبر له عبارة ولسان لا يطاق فلمّا خرج الناس إلى مصافّهم خرج المرادي نادراً من النّاس وكذلك كان يصنع وقد كان قتل قبل ذلك نفراً [من أهل العراق] مبارزة فنادى يا أهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا أغرّكم من نفسي فأنا عوف بن مجزأة فارس زوُف فصاح الناس بالعكبر فخرج إليه منقطعاً من أصحابه والناس وقوف ووقف المرادي مرتجزاً فبرز إليه العكبر وارتجز فاطعنا فصرعه العكبر فقتله ومعاوية على التلّ في أناس من قريش وأناس من الناس قليل فوجّه العكبر فرسه فملأ فروجه ركضاً ويضربه بالسوط [مسرعاً] نحو التل فنظر إليه معاوية فقال: إنّ هذا الرّجل مغلوب على عقله أو مستأمن فاسألوه فأتاه رجل فناداه فلم يُجبه فمضى حتى انتهى إلى معاوية وجعل يطعن في أعراض الخيل ورجا العكبر أن يُفردوا له معاوية

(١) وقعة صفين، ص ٣٩٦.

فقتل رجلاً وقام القوم دون معاوية بالسيوف والرّماح فلمّا لم يصل إلى معاوية نادى أولى لك يا ابن هند أنا الغلام الأسدي ورجع إلى عليّ عليه السلام فقال [له عليّ] عليه السلام : ماذا دعاك إلى ما صنعت يا عكبر لا تلق نفسك إلى الهلكة قال: أردت غرّة ابن هند فحيل بيني وبينه.

وانكسر أهل الشام لقتل المرادي ونذر معاوية دم العكبر فقال العكبر: يد الله فوق يد معاوية فأين دفاع الله عن المؤمنين. ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام دعا قيس بن سعد فأثنى عليه خيراً وسوّده على الأنصار وكان طلائع أهل الشام وأهل العراق يلتقون فيما بين ذلك ويتناشدون الأشعار ويفخر بعضهم على بعض ويحدّث بعضهم بعضاً على أمان(١).

٤٣٩ - قال نصر: وروى عمر بن سعد؛ عن عبد الرحمان بن عبد الله أنّ عبد الله بن كعب قتل يوم صفّين فمرّ به الأسود بن قيس وهو بآخر رمق فقال: عَزَّ عليّ والله مصرعك أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك ولو أعرف الذي أشعرك لأحببت أن لا يُزايلني حتّى [أقتله أو] يلحقني بك ثم نزل إليه فقال: والله إن كان جارك ليأمن بوائقك وإن كنت من الذّاكرين الله كثيراً أوصني رحمك الله. قال: أوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وأن تقاتل معه المحلّين حتى يظهر الحق أو تلحق بالله وأبلغه عنّي السّلام وقل له: قاتل على المعركة حتّى تجعلها خلف ظهرك فإنّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب ثمّ لم يلبث أن مات. فأقبل الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال: يرحمه جاهد معنا عدوّنا في الحياة ونصح لنا في الوفاة. ثم إنّ عليّاً عليه السلام غلّس بالناس بصلاة الفجر ثم زحف بهم فخرج الناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام(٢).

٤٤٠ - قال نصر: وحدّثني عمرو بن شمر عن جابر عن عامر عن صعصعة بن صوحان والحارث بن أدهم أنّ أبرهة بن الصباح قام فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن والله إنّي لأظنّ الله آذن بفنائكم ويحكم خلّوا بين هذين الرجلين فليقتتلا فأيّهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً وكان [أبرهة] من أصحاب معاوية.

فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فقال: صدق أبرهة بن الصباح والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشدّ سروراً منّي بهذه. وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخّر آخر الصفوف وقال لمن حوله والله إنّي لأظنّه مصاباً في عقله فارتجّ أهل الشام يقولون: والله إنّ أبرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً ولكن معاوية كره مبارزة عليّ عليه السلام . وبرز يومئذٍ عروة بن داود الدّمشقي فقال: إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلمّ إليّ فتقدم إليه عليّ وحمل عليه وقتله ثم قال: يا عروة اذهب فأخبر قومك أما والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين.

فنظر إليه معاوية وكان واقفاً على التلّ فقال: والله لقد دعاني عليّ إلى البراز حتّى لقد

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٥٠.

(٢) وقعة صفين، ص ٤٥٦.

استحييت من قريش. وإنّما أراد بذلك [أن يبرز إليه] بسر بن أرطاة فقبل بسر أن يبارزه عليه السلام ثم ندم واستحيا من الاستعفاء فغدا عليّ عليه السلام منقطعاً من خيله ومعه الأشتر وهو يريد التلّ فاستقبله بسر قريباً من التّل فطعنه وهو لا يعرفه فاتّقاه بسر برجله فانكشفت عورته فانصرف عليّ عليه السلام عنه وناداه الأشتر يا أمير المؤمنين إنّه بسر قال: دعه عليه لعنة الله.

وحمل ابن عم لبسر على عليّ عليه السلام فطعنه الأشتر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة عليّ وولّت خيله فقال له معاوية قد أدال الله عمرواً منك فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل الّتي فيها عليّ عليه السلام تنحّى ناحية وتحامى فرسان أهل الشام عليّاً عليه السلام (١).

٤٤١ - وعن عمر بن سعد بإسناده قال: كان من أهل الشام بصفّين رجل يقال له الأصبغ ابن ضرار وكان يكون طليعة ومسلحة [لمعاوية] فندب عليّ عليه السلام له الأشتر فأخذه أسيراً من غير أن يقاتل وكان عليّ عليه السلام يَنْهى عن قتل الأسير الكاف فجاء به ليلاً وشدّ وثاقه وألقاه مع أضيافه ينتظر به الصباح فأنشد فيها أشعاراً أثرت في الأشتر فغدا به الأشتر على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس فوالله لو علمت أنّ قتله الحق قتلته وقد بات عندنا الليلة وحرّكنا بشعره فإن كان فيه القتل فاقتله وإن غضبنا فيه!! وإن كنت فيه بالخيار فهبه لنا. قال: هو لك يا مالك فإذا أصبت أسيراً فلا تقتله فإنّ أسير أهل القبلة لا يفادى ولا يقتل فرجع به الأشتر إلى منزله وقال: لك ما أخذنا منك ليس لك عندنا غيره.

وذكروا أنّ عليّاً عليه السلام أظهر أنّه مصبح معاوية ومناجزه فبلغ ذلك معاوية ففزع أهل الشام لذلك وانكسروا لقوله فكتب معاوية إليه عليه السلام:

«أمّا بعد فإنّي أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت»(٢).

إلى آخر ما سيأتي برواية سليم الهلالي وما جرى بين معاوية وبين عمرو في ذلك.

قال: ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام غلّس بالناس صلاة الغداة ثم زحف إليهم فخرج الناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام إلى آخر ما سيأتي.

توضيح: قوله: «لا تنسى شيباء» هذا مثل لمن وقع به من رجل سوء شديد وشرر عظيم فإنّه لا ينساها ويظهر من المثل أن مضربها امرأة تزوّجت رجلاً فلمّا كان ليلة الزفاف غلب على زوجها رجل فقتله وأخذها قهراً فإنّها لا تنسى تلك الواقعة أبداً فمثل بذلك قتل عثمان وأخذ الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام.

قال الجوهري: «باتت فلانة بليلة شيباء» بالإضافة إذا افتضّت. وباتت بليلة حُرَّة إذا لم تُفْتَضّ. وقال الفيروزآبادي: باتت بليلة شيباء بالإضافة وبليلة الشيباء إذا غلبت على نفسها ليلة هدائها. وقال: العذرة: البكارة ومفتضها أبو عذرها.

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٥٧.

(٢) وقعة صفين، ص ٤٦٧.

وفي بعض الكتب: يقال: فلان أبو عذرة هذا الكلام أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه إليه أحد وهو مستعار من قولهم أبو عذرتها أي هو الذي افتضّ بكارتها ويقال: إنّ المرأة لا تنسى أبا عذرتها. وقال الميداني في مجمع الأمثال: لا تنسى المرأة أبا عذرها وقاتل بكرها أي أوّل من ولدها يضرب في المحافظة على الحقوق انتهى. والأظهر هنا ما ذكرنا.

وقال [ابن الأثير] في [مادّة «حمر» من كتاب] النهاية: في حديث عليّ عليه السلام قيل له: غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنون العجم والرّوم، والعرب تسمّي الموالي الحمراء [و] في حديث عبد الملك: «أراك أحمر قرفاً قال: الحسن أحمر» يعني أنّ الحسن في الحمرة ومنه قول الشاعر:

وإذا ظـهـرت تـقـنّـعـي   بـالـحُـمْـر إنّ الـحـسـن أحـمـر

وقيل: كني بالأحمر عن المشقّة والشدّة أي من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها انتهى. قوله: «وخضدت السّهام» الخضد: الكسر والقطع وفي بعض النسخ بالمهملتين على الاستعارة. وقال الجوهري: العتم: الإبطاء. ويقال: ما عتّم أن فعل كذا - بالتشديد - أي ما لبث وما أبطأ. وقال في النهاية: الأهوج: المتسرع إلى الأمور كما يتّفق. وقيل: الأحمق القليل الهداية انتهى.

والتقويض: الهدم. والرهج: بالتحريك: الغبار. ويقال: قصبه يقصبه أي عابه. وأبسلت فلاناً: أسلمته للهلكة. وقال في النهاية: في حديث الحسن: لا يزال أمر هذه الأمّة أمماً ما ثبتت الجيوش في أماكنها. الأمم: القرب واليسير.

وقال الجوهري: قال ابن السّكيت: الأمم: بين القريب والبعيد وهو من المقاربة. والأمم: الشيء اليسير ويقال: أخذت ذلك من أمم أي من قرب. وداري أمم داره أي مقابلتها. والقرن: الذؤابة والخصلة من الشعر. وبالتحريك: السيف والنّبل. والأوّل أنسب. والحصر بالحاء المهملة محرّكة: ضيق الصدر والعيّ في المنطق. وبالخاء المعجمة: وسط الإنسان. وكشح مخصر: دقيق.

وقال الجوهري: الطفل بالفتح: الناعم يقال: جارية طفلة وبنان طفل انتهى أي يعرف النساء المخدرات النواعم ذلك فكيف الرجال. والخنشليل: الماضي. والرعيل: القطعة من الخيل ومقدّمتها. ويقال: ارتثّ فلان على ما لم يسمّ فاعله أي حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق والفَنيق: الفحل المكرّم والمقرم: البعير لا يحمل عليه ولا يذلّل.

وقال في القاموس: راغ الرجل والثعلب روغاً وروَغاناً: مال وحاد عن الشيء والمراوغة: المصارعة وأن يطلب بعض القوم بعضاً. وقال: الطفيشل كسميدع: نوع من المرق. وفي النهاية: في حديث فاطمة أنّها جاءت النبيّ صلى الله عليه وآله ببرمة فيها سخينة أي طعام حار. وقيل طعام يتّخذ من دقيق وسمن. وقيل: دقيق وتمر أغلظ من الحساء وأرق من

العصيدة وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيّرت بها حتّى سمّوا سخينة انتهى.

والشغب: تهييج الشرّ. واطّعنا على بناء الافتعال أي طعن كلّ منهما صاحبه.

وفي النهاية: وفي حديث أبي جعفر الأنصاري: «فملأت ما بين فروجي» جمع فرج وهو ما بين الرّجلين يقال للفرس: ملأ فروجه وفرجه إذا عدا وأسرع، وبه سمّي فرج الرجل والمرأة لأنّهما بين الرجلين. وقال: إشعار البدن هو أن يشقّ أحد جانبي السّنام حتّى يسيل دمها ويجعل ذلك علامة يعرف بها أنها هدي ومنه حديث مكحول: لا سلب إلاّ لمن أشعر علجاً أو قتل أي طعنه حتى يدخل السّنان جوفه.

٤٤٢ - **أقول:** ثمّ قال ابن أبي الحديد: قال نصر بن مزاحم في [الجزء ٧ من] كتاب صفّين - وهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هَوى ولا إدْغال وهو من رجال أصحاب الحديث -: حدّثنا عمرو بن شمر عن أبي ضرار عن عمّار بن ربيعة قال: غلّس عليّ عليه السلام صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثلاثين وقيل: عاشر صفر ثمّ زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنّها في أهل الشام أشدّ نكاية وأعظم وقعاً قد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت أركانهم.

قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه السّلاح لا يرى منه إلاّ عيناه وبيده الرمح فجعل يضرب رؤوس أهل العراق بالقناة ويقول: سوّوا صفوفكم رحمكم الله حتى إذا عدّل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولّى أهل الشام ظهره ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: الحمد لله الذي جعل فينا ابن عمّ نبيّه أقدمهم هجرة وأوّلهم إسلاماً سيف من سيوف الله صبّه الله على أعدائه فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسّر المرّان وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلاّ غمغمة أو همهمة فاتّبعوني وكونوا في أثري قال: ثمّ حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثمّ رجع فإذا هو الأشتر.

قال: وخرج رجل من أهل الشام ونادى بين الصّفين: يا أبا الحسن يا عليّ ابرز إليّ فخرج إليه عليّ عليه السلام حتّى اختلفت أعناق دابّتيهما بين الصّفين فقال: إنّ لك يا عليّ لقدماً في الإسلام والهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدّماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى رأيك؟ قال: وما هو؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلّي بينك وبين العراق ونرجع نحن إلى شامنا فتخلّي بيننا وبين الشام.

فقال عليّ عليه السلام: قد عرفت ما عرضت إنّ هذه لنصيحة وشفقة ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم.

قال: فرجع الرّجل وهو يسترجع وزحف الناس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنبل والحجارة حتّى فنيت ثم تطاعنوا بالرّماح حتى تكسرت واندقّت ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيوف وعُمُد الحديد فلم يسمع السّامعون إلاّ وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشدّ هولاً في صدور الرجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدك بعضها وانكسفت الشمس بالنقيع وثار القطام والقسطل فضلّت الألوية والرايات وأخذ الأشتر يسير فيما بين اليمنة والميسرة فيأمر كلّ قبيلة أو كتيبة من القرّاء بالإقدام على التي تليها فاجتلدوا بالسيوف وعُمُد الحديد من صلاة الغداة من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلّوا لله صلاة فلم يزل الأشتر يفعل ذلك حتّى أصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك اللّيلة وهي ليلة الهرير المشهورة وكان الأشتر في ميمنة الناس وعليّ عليه السلام في القلب والناس يقتتلون ثم استمرّ القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضّحى والأشتر يقول لأصحابه - وهو يزحف بهم نحو أهل الشام -: ازحفوا قَيْدَ رمحي هذا ويلقي رمحه فإذا فعلوا ذلك قال: ازحفوا قاب هذا القوس فإذا فعلوا ذلك سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس من الإقدام فلمّا رأى ذلك قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم.

ثم دعا بفرسه وركز رايته وكانت مع حيّان بن هوذة النخعي وسار بين الكتائب وهو يقول: ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتّى يظهر أمر الله أو يلحق بالله؟ فلا يزال الرّجل من الناس يخرج إليه فيقاتل معه[1].

٤٤٣ - قال نصر: وحدّثني عمر بن سعد عن أبي ضرار عن عمّار بن ربيعة قال: مرّ بي الأشتر فأقبلت معه حتّى رجع إلى المكان الذي كان به فقام في أصحابه فقال: شدّوا فداءً لكم عمّي وخالي شدّة ترضون بها الله وتعزّون بها الدين إذا أنا حملت فاحملوا ثم نزل يضرب وجه دابّته وقال لصاحب رايته: اقدم فتقدّم بها ثم شدّ على القوم وشدّ معه أصحابه فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند المعسكر قتالاً شديداً وقتل صاحب رايتهم وأخذ عليّ عليه السلام لمّا رأى الظفر قد جاء من قبله يمدّه بالرجال[2].

٤٤٤ - وروى نصر عن رجاله قال: لمّا بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه قام عليّ عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيّها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلاّ آخر نَفَس وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله.

قال فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص وقال: يا عمرو إنّما هي الليلة حتّى يغدو علينا

(١) - (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣.

بالفضل فما ترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله وهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم ولكن ألق إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردّوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك في القوم وإنّي لم أزل أدّخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه فعرف معاوية ذلك وقال له: صدقت[١].

٤٤٥ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر بن عمير الأنصاري قال: والله لكأني أسمع عليّاً عليه السلام يوم الهرير وذلك بعدما طحنت رحا مذحج فيما بينها وبين عكّ ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي حتّى استقلت الشمس وقام قائم الظهيرة وعليّ عليه السلام يقول لأصحابه: حتّى متى نخلّي بين هذين الحيّين قد فَنَيا [فَنِيَا «خ»] وأنتم وقوف تنظرون أما تخافون مقت الله؟ ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله عزّ وجلّ ثم نادى:

يا الله يا رحمان يا واحد يا صمد يا الله يا إله محمّد إليك اللّهم نقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج. اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. سيروا على بركة الله ثم نادى: لا إله إلاّ الله والله أكبر كلمة التقوى.

قال: فلا والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب إنّه قتل فيما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً فيقول: معذرة إلى الله وإليكم من هذا لقد هممت [مرّات] أن أفلقه ولكن يحجزني عنه أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كثيراً: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ وأنا أقاتل به دونه عليه السلام. قال: فكنّا نأخذه ونقوّمه ثم يتناوله من أيدينا. فيقتحم به عرض الصفّ فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه[٢].

٤٤٦ - وعن عمرو بن شمر عن جابر عن تميم بن حُذَيم قال: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف عليّ عليه السلام ومعاوية فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرّماح وهي عظام مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة رماح جميعاً وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط[٣].

٤٤٧ - قال نصر: وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف ووضعوا في كل مُجَنَّبة مائتي مصحف وكان جميعها خمسمائة مصحف.

قال أبو جعفر عليه السلام: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام وقام أبو شريح حيال الميمنة وورقاء بن المعتمر حيال الميسرة ثمّ نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات

(١) - (٣) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

والأبناء من الرّوم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال عليّ عليه السلام: اللّهم إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنّك أنت الحكم الحقّ المبين.

فاختلف أصحاب عليّ عليه السلام في الرأي فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب. فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها(١).

٤٤٨ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لمّا كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاوية: والله لا نبرح اليوم العرصة حتّى نموت أو يفتح لنا. وقال أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مثل ذلك فَبَاكروا القتال غدوَة في يوم من أيّام الشعرى طويل شديد الحرّ فتراموا حتى فنيت النّبال وتطاعنوا حتّى تقصّفت الرماح ثمّ نزل القوم عن خيولهم ومشى بعضهم بعضهم إلى بعض بالسيوف حتّى تكسّرت جفونها وقام الفرسان في الركب ثمّ اضطربوا بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السّامعون إلاّ تغمغم القوم وصليل الحديد في الهام وتكادم الأفواه وكسفت الشمس وثار القتام وضلّت الألوية والرايات ومرّت مواقيت أربع صلوات ما يسجد فيهنّ لله إلاّ تكبيراً ونادت المشيخة في تلك الغمرات: يا معشر العرب الله الله في الحرمات من النساء والبنات.

قال جابر: فبكى أبو جعفر عليه السلام وهو يحدّثنا بهذا الحديث قال: وأقبل الأشتر على فرس كميت محذوف قد وضع مغفره على قَرَبوس السّرج وهو يقول: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس ورجعت الشمس من الكسوف واشتدّ القتال وأخذت السباع بعضها بعضاً.

فقال رجل في تلك الحال: أيّ رجل هذا لو كانت له نيّة! فقال له صاحبه: وأيّ نيّة أعظم من هذه ثكلتك أمّك وهبلتك إنّ رجلاً فيما قد ترى قد سبح في الدّماء وما أضجرته الحرب وقد غَلَتْ هام الكماة من الحرّ وبلغت القلوب الحناجر وهو كما تراه جَذِعاً يقول هذه المقالة اللّهم لا تبقنا بعد هذا(٢).

٤٤٩ - قال نصر: وروى الشعبي عن صعصعة أنّه بدر من الأشعث بن قيس ليلة الهرير قول نقله الناقلون إلى معاوية فاغتنمه وبنى عليه تدبيره وذلك أنّه خطب أصحابه من كندة تلك الليلة وقال في خطبته: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي وقد فني فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السنّ ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط ألا فليبلغ الشاهد الغائب وإنّا إن نحن تواقفنا غداً إنّه لفناء العرب وضيعة الحرمات.

أو [قال] نحو ذلك ممّا يخذلهم عن القتال.

---

(١) - (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٠٥.

فلمّا بلغ ذلك معاوية قال: أصاب وربّ الكعبة فدبّر تلك الليلة ما دبّر من رفع المصاحف على الرماح فأقبلوا بالمصاحف ينادون كتاب الله بيننا وبينكم.

قال فجاء عديّ بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين إنّه لم تصب منّا عصبة إلاّ وقد أصيب منهم مثلها وكلّ مقروح ولكنّا أمثل بقيّة منهم وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلاّ ما تحبّ فناجزهم. وقام الأشتر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله المجيد.

وقال عمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين إنّا والله ما أجبناك ولا نصرناك على الباطل ولا أجبنا إلاّ الله ولا طلبنا إلاّ الحقّ ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه لاستشرى فيه اللجاج وطال فيه النّجوى وقد بلغ الحقّ مقطعه وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين إنّا لك اليوم على ما كنّا عليه أمس وليس آخر أمرنا كأوّله وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام منّي فأجب القوم إلى كتاب الله عزّوجلّ فإنّك أحقّ به منهم وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال.

فقال عليّ عليه السلام هذا أمر ينظر فيه. ونادى الناس من كل جانب الموادعة الموادعة.

وفي حديث عمر بن سعد قال: لمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح قال عليّ عليه السلام : أيّها الناس إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّي أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال ويحكم إنّها كلمة حق يراد بها باطل إنّهم ما رفعوها وإنّهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الظالمين.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السّجود يتقدّمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حُصَين وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين [قالوا:] يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفّان فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم.

فقال لهم [عليّ عليه السلام]: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله وأوّل من أجاب إليه وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله إنّي إنّما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. - وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله -(١).

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٠٦.

٤٥٠ - قال نصر: فحدّثني فضيل بن خديج قال: سأل مصعب [ابن الزبير] إبراهيم بن الأشتر عن الحال كيف كانت؟ فقال: كنت عند عليّ عليه السلام حين بعث إلى الأشتر ليأتيه وقد كان الأشتر أشرف على عسكر معاوية ليدخله فأرسل إليه عليّ عليه السلام يزيد بن هانئ أن ائتني فأتاه فأبلغه فقال له الأشتر: آتيه فقل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي إنّي قد رجوت الفتح فلا تعجلني. فرجع يزيد إليه عليه السلام فأخبره فما هو إلاّ أن انتهى إلينا حتّى ارتفع الرهج وعلت الأصوات قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام فقال القوم لعليّ: ما نراك أمرته إلاّ بالقتال!! قال: أرأيتموني ساررت رسولي إليه؟ أليس إلاّ كلّمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلاّ والله اعتزلناك. فقال: ويحك يا يزيد قل له: أقبل إليّ فإن الفتنة قد وقعت. فأتاه فأخبره فقال الأشتر: أبِرَفْع هذه المصاحف قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة إنّها مشورة ابن النابغة ثم قال ليزيد بن هانئ: ويحك ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الّذي يصنع الله لنا أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟ فقال له يزيد: أتحبّ أنّك ظفرت ها هنا وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوّه؟ فقال: سبحان الله لا والله لا أحبّ ذلك. قال: فإنّهم قد قالوا له وحلفوا عليه: لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنّك إلى عدوّك.

فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح: يا أهل الذلّ والوهن أحين علوتم القوم وظنّوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وتركوا سنّة من أنزلت عليه فلا تجيبوهم أمهلوني فواقاً فإنّي قد أحسست بالفتح. قالوا: لا نمهلك. قال: فأمهلوني عدوة الفرس فإنّي قد طمعت في النصر. قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك قال: فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم متى كنتم محقّين؟ أحين كنتم تقتلون أهل الشام؟ فأنتم الآن حيث أمسكتم عن قتالهم مبطلون؟ أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقّون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وأنّهم خير منكم في النار قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله إنّا لسنا نطيعك فاجتنبنا فقال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنّا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ألا فقبحاً يا أشباه النّيب الجلاّلة ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبّوه وسبّهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابّهم وصاح بهم عليّ عليه السلام فكفّوا.

وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين احمل الصفّ على الصفّ تصرع القوم فتصايحوا أنّ أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن. قال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد قبل

ورضي فقد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين. فأقبل الناس يقولون: قد رضي أمير المؤمنين عليه السلام قد قبل أمير المؤمنين عليه السلام وهو ساكت لا يفيض بكلمة مطرق إلى الأرض ثم قام فسكت الناس كلّهم فقال:

أيّها الناس إنّ أمري لم يزل معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوّكم فلم تترك وإنّها فيهم أنكى وأنهك ألا وإني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

ثم قعد ثم تكلّم رؤساء القبائل فكلّ قال ما يراه ويهواه إمّا من الحرب أو من السلم(١).

٤٥١ - قال ابن أبي الحديد: وذكر ابن ديزيل في كتاب صفّين قال: خرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية فارتجز فخرج إليه جارية بن قدامة ثم اطّعنا فلم يصنعا شيئاً وانصرف كل واحد منهما عن صاحبه فقال عمرو بن العاص لعبد الرحمن: اقحم يا ابن سيف الله فتقدّم عبد الرحمن بلوائه وتقدّم أصحابه فأقبل عليّ عليه السلام على الأشتر فقال له: قد بلغ لواء معاوية حيث ترى فدونك القوم فأخذ الأشتر لواء عليّ عليه السلام وارتجز وضارب القوم حتّى ردّهم فانتدب له همّام بن قبيصة وكان مع معاوية فشدّ عليه في مذحج فانتصر عديّ بن حاتم للأشتر فحمل عليه في طيّ فاشتدّ القتال جدّاً.

فدعا عليّ عليه السلام ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فركبها ثم تعصّب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى: أيّها الناس من يشري نفسه لله؟ إنّ هذا يوم له ما بعده فانتدب معه ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً فتقدّم عليّ عليه السلام وقال:

دبّوا دبيب النّمل لا تفوتوا   وأصبحوا في أمركم وبيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا

وحمل الناس كلّهم حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صَفّ إلاّ أزالوه حتّى أفضوا إلى معاوية فدعا معاوية بفرسه ليفرّ عليه فكان معاوية بعد ذلك يحدّث ويقول لمّا وضعت رجلي في الرّكاب ذكرت قول عمرو بن الإطنابة:

أبت لي عِفّتي وأبى بلائي   وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي   وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلّما جشأت وجاشت   مكانك تحمدي أو تستريحي

فأخرجت رجلي من الركاب وأقمت ونظرت إلى عمرو فقلت له: اليوم صبر وغداً فخر. فقال: صدقت فكان ذلك يوم الهرير ورفعت المصاحف بعده.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٠٨.

وروى إبراهيم [بن ديزيل] عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال: شهدنا صفين فمطرت السماء علينا دماً عبيطاً.

قال: وفي حديث الليث بن سعد: إن كانوا ليأخذونه بالصّحاف والآنية.

وفي حديث ابن لهيعة: حتى أنّ الصحاف والآنية لتمتلئ ونهريقها وذلك في يوم الهرير وفزع أهل الشام وهمّوا أن يتفرقوا فقام عمرو بن العاص فيهم فقال: أيّها الناس إنّما هذه آية من آيات الله فأصلح امرؤ ما بينه وبين الله ثمّ لا عليه أن ينتطح هذا الجبلان فأخذوا في القتال.

وعن ابن عبّاس قال: حدّثني معاوية أنّه كان يومئذٍ قد قرّب إليه فرس له أنثى بعيدة البطن من الأرض ليهرب عليها حتى أتاه آت من أهل العراق فقال له: إنّي قد تركت أصحاب عليّ عليه السلام في مثل ليلة الصدر من منى فأقمت.

قال نصر وإبراهيم أيضاً: وكتب معاوية إلى عليّ عليه السلام: أما بعد إن هذا الأمر قد طال بيننا وبينك وكل منّا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ولن يعطي واحد منّا الطّاعة للآخر وقد قتل فيما بيننا بشر كثير وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشد مما مضى وإنّا سوف نسأل عن هذه المواطن ولا يحاسب به غيري وغيرك وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأمّة وحقن للدماء وذهاب للضغائن والفتن وأن تحكم بيني وبينك حكمين مرضيين أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك فيحكمان بيننا بما أنزل الله فهو خير لي ولك واقطع لهذه الفتن فاتّق الله فيما دعيت إليه وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد فإن أفضل ما شغل به المرء المسلم نفسه اتّباع ما حسن به فعله واستوجب فضله وسلم من عيبه، وإن البغي والزّور يزريان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان من خلله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره. فاحذر الدنيا فإنّه لا فرح في شيء وصلت إليه منها ولقد علمت أنّك غير مدرك ما قضى فواته وقد رام قوم أمراً بغير الحقّ وتألّوه على الله عزّ وجلّ فأكذبهم ومتّعهم قليلاً ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ.

فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحادّه وغرته الدنيا واطمأن إليها. ثمّ إنّك قد دعوتني إلى حكم القرآن وقد علمت أنّك لست من أهل القرآن ولا حكمه تريد والمستعان الله فقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إيّاك أجبنا نعم فبيننا وبينك حكم القرآن ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

فكتب معاوية إلى أمير المؤمنين: أما بعد عافانا الله وإيّاك فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا وألفة [ما] بيننا وقد فعلت الذي فعلت وأنا أعرف حقّي ولكنّي اشتريت بالعفو صلاح الأُمّة ولم أكثر فرحاً بشيء جاء ولا ذهب وإنّما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي والمبغيّ عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوت إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك فإنّه لا يجمعنا وإيّاكم إلاّ هو نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن والسلام.

قال نصر: فكتب عليّ عليه السلام إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده:

أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها ولن يصيب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً يزيده فيها رغبة ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغ ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسّعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أبا عبد الله أجرك ولا تجار معاوية في باطله والسّلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص الجواب: أمّا بعد فالذي فيه صلاحنا وألفتنا الإنابة إلى الحق، وقد جعلنا القرآن بيننا حكماً وأجبنا إليه فصبر الرجل منّا نفسه على ما حكم عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجزة والسّلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام أما بعد فإنّ الذي أعجبك من الدّنيا ممّا نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمنقلبٌ عنك ومفارق لك فلا تطمئن إلى الدنيا فإنّها غرّارة ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي وانتفعت منها بما وعظت به والسلام.

فأجابه عمرو: أمّا بعد فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ودعا الناس إلى أحكامه فاصبر أبا حسن فإنّا غير منيليك إلاّ ما أنالك القرآن والسّلام.

قال نصر: وجاء الأشعث إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلاّ وقد رضوا وسرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل؟ قال: ائته إن شئت فأتاه فسأله: يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به فيها فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ونبعث منّا رجلاً ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يعدوانه ثم نتّبع ما اتّفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحقّ وانصرف إلى عليّ عليه السلام فأخبره فبعث عليّ عليه السلام قرّاء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصفّين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن ورجع كلّ فريق إلى صاحبه فقال أهل الشام: إنّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص. وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: وقد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم عليّ عليه السلام: فإنّي لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أولّيه. فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة: إنّا لا نرضى إلاّ به فإنّه قد كان حذّرنا ما وقعنا فيه! فقال عليه السلام: فإنّه ليس لي برضاً وقد فارقني وخذل الناس عني وهرب منّي حتّى آمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عبّاس أولّيه ذلك. قالوا: والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عبّاس ولا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر فقال عليّ عليه السلام فإنّي أجعل الأشتر. فقال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا إلا الأشتر وهل نحن إلاّ في حكم الأشتر؟ قال عليّ عليه السلام: وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسّيف حتى يكون ما أردت وما أراد(١).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤١١.

٤٥٢ - قال نصر: وحدّثنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام قال: لمّا أراد الناس عليّاً أن يضع الحكمين قال لهم: إنّ معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنّه لا يصلح للقرشيّ إلاّ القرشيّ فعليكم بعبدالله بن العباس فارموه به فإنّ عمرواً لا يعقد عقدةً إلاّ حلّها عبد الله ولا يحلّ عقدة إلاّ عقدها ولا يبرم أمراً إلاّ نقضه ولا ينقض أمراً إلاّ أبرمه.

فقال الأشعث: لا والله لا يحكم فينا مضريّان حتّى تقوم الساعة ولكن نجعل رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من أهل مضر فقال عليه السلام: إنّي أخاف أن يخدع يمنيّكم فإنّ عمرواً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى. فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ في حكمهما وهما مضريّان.

قال وذكر الشعبي أيضاً مثل ذلك.

قال نصر: وفي حديث عمرو: فقال عليّ عليه السلام: قد أبيتم إلاّ أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما شئتم. فبعثوا إلى أبي موسى وهو بأرضٍ من أرض الشّام يقال لها عرض قد اعتزل القتال فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا قال: الحمد لله ربّ العالمين. قال: وقد جعلوك حكماً فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر عليّ عليه السلام.

وجاء الأشتر عليّاً فقال: يا أمير المؤمنين ألزّني بعمرو بن العاص فوالله الذي لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلنّه. وجاء الأحنف بن قيس عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّك قد رُمِيتَ بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام إنّي قد عجمت هذا الرّجل يعني أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر كليل المدية وإنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفّهم ويتباعد منهم حتّى يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني وإن شئت أن تجعلني ثانياً أو ثالثاً فإنّ عمرواً لا يعقد عقدة إلاّ عقدت لك أشدّ منها. فعرض عليّ عليه السلام ذلك على النّاس فأبوه وقالوا: لا يكون إلاّ أبو موسى.

فبعث أيمن بم خُرَيْم الأسدي وكان معتزلاً لمعاوية بأبيات تدل على أنّ صلاحهم في اختيار ابن عباس وترك أبي موسى فطارت أهواء قوم من أولياء عليّ عليه السلام وشيعته إلى ابن عبّاس وأبت القرّاء إلاّ أبا موسى.

قال نصر: فلمّا رضي أهل الشام بعمرو وأهل العراق بأبي موسى أخذوا في سطر كتاب الموادعة وكانت صورته: هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان.

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثم قاتلته! وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه واسم أبيه إنّما هو أميركم فأمّا أميرنا فلا فلمّا أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه فقال الأحنف: لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك فإنّي أتخوّف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها.

فقال عليّ عليه السلام: إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا ما تصالح عليه محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أعلم أنّك لرسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله وأنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبد الله.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّي لرسول الله وأنا محمّد بن عبد الله ولن يمحو عنّي الرسالة كتابي لهم من محمّد بن عبد الله فاكتبها فامح ما أراد محوه أما إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد[1].

٤٥٣ - قال نصر: وروي أن عمرواً عاد بالكتاب إليه عليه السلام وطلب أن يمحو اسمه من إمرة المؤمنين فقصّ عليّ عليه وعلى من حضر قصة صلح الحديبية وقال: إنّ ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً فقال عمرو: سبحان الله أتشبّهنا بالكفّار ونحن مسلمون؟ فقال عليّ عليه السلام: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدوّاً؟ فقام عمرو وقال: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم. فقال عليّ عليه السلام أما والله إنّي لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك. وجاءت عصابة قد وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا: يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت فقال لهم سهل بن حنيف: أيّها الناس اتّهموا رأيكم لقد شهدنا صلح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبيّة ولو نرى قتالاً لقاتلنا[2].

٤٥٤ - وروى أبو إسحاق الشيباني أنّه قيل لعليّ عليه السلام - حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام -: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال عليّ عليه السلام: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه.

فكتبوا: هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى عليّ بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين أنّا ننزل عند حكم الله وكتابه ولا يجمع بيننا إلاّ إيّاه وأنّ كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان أنّ ذلك في كتاب الله اتّبعناه وإن لم يجداه أخذا بالسنّة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص.

وقد أخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين أنّهما آمنان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما والأمّة لهما أنصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤١٥. (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤١٨.

الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه ما وافق الكتاب والسنّة وأنّ الأمن والموادعة ووضع السلاح متّفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم.

وعلى كلّ واحد من الحكمين عهد الله ليحكمنّ بين الأمّة بالحقّ لا بالهوى.

وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحبّ الحكمان أن يعجلا الحكم عجّلاه وإن توفّي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار معه رجلاً لا يألو الحقّ والعدل وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرتضون أمره ويحمدون طريقة اللّهم إنّا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إلحاداً أو ظلماً(١).

٤٥٥ - قال نصر: هذه رواية محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام والشعبي وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النسخة(٢).

أقول: وذكر تلك الرواية وساقها إلى أن قال: وشهد فيه من أصحاب عليّ عليه السلام عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين.

قال: ولما كتبت الصحيفة دُعِيَ لها الأشتر ليشهد مع الشهود عليه فقال: لا صَحِبَتْني يميني ولا نفعتني بعدها الشمّال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة أولست على بيّنة من أمري ويقين من ضلال عدوّي؟ أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!

وجرى بينه وبين الأشعث كلام ثمّ قال: ولكنّي قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه فإنّه لا يدخل إلا في الهدى والصواب.

قال: فلمّا تمّ الكتاب خرج الأشعث ومعه ناس بنسخة الكتاب يقرأها على الناس ويعرضها عليهم فمرّ به على صفوف من أهل الشام وهم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به ثمّ مر على صفوف من أهل العراق وهم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به حتى مرّ برايات عَنَزَة وكان معه عليه السلام [منهم] أربعة آلاف فقال فتيان منهم: لا حكم إلاّ لله ثمّ حملا على أهل الشّام بسيوفهما حتى قتلا ثمّ مرّ به على مراد فقال صالح بن شقيق وكان من رؤوسهم: لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون.

ثمّ مرّ على رايات بني راسب فقرأ عليهم فقالوا: لا حكم إلاّ لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله. ثم مرّ على رايات تميم فقرأه عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلاّ لله يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين. فشدّ عليه رجل بسيفه فرجع إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى فقال عليه السلام: هل هي غير راية أو رايتين أو نبذ من الناس؟ قال: لا. قال: فدعهم فظنّ عليه السلام أنّهم قليلون فما راعه إلاّ نداء الناس من كل ناحية: لا حكم إلا لله الحكم لله يا عليّ لا لك لا نرضى بأن نحكم الرجال في دين الله إنّ الله قد أمضى حكمه في معاوية

(١) - (٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤١٨.

وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم وقد كنّا زللنا حين رضينا بالحكمين وقد بان لنا زللنا وخطأنا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت يا عليّ كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا وإلاّ برئنا منك.

فقال عليه السلام: ويحكم أبعد الرّضا والميثاق والعهد نرجع؟ أليس الله تعالى قد قال: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[(١)] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[(٢)] وقال: فأبى أن يرجع وأبت الخوارج إلاّ تضليل التحكيم والطعن فيه فبرؤا من عليّ وبرئ منهم عليّ[(٣)].

٤٥٦ - وعن عمر بن سعد بإسناده قال: أتى سليمان بن صرد علياً أمير المؤمنين عليه السلام بعد كتاب الصحيفة ووجهه مضروب بالسّيف فلمّا نظر إليه عليّ عليه السلام قال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وأنت ممن ينتظر وممن لم يبدل فقال: يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً أما والله لقد مشيت في الناس ليعودوا إلى أمرهم الأوّل فما وجدت أحداً عنده خيراً إلاّ قليلاً.

وقام محرز بن حويش فقال: يا أمير المؤمنين أما إلى الرّجوع عن هذا الكتاب سبيل فوالله إنّي لأخاف أن يورث ذلاً. فقال عليه السلام: أبعد أن كتبناه ننقضه، إنّ هذا لا يحلّ[(٤)].

٤٥٧ - قال نصر: وحدّثني عمرو بن تمير عن أبي الودّاك قال: لمّا كتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال عليّ عليه السلام إنّما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الخور والفشل عن الحرب فجاءت إليه همدان كأنّها ركن حَصِير فيهم سعيد بن قيس وابنه عبد الرحمن فقال سعيد: ها أنا ذا وقومي لا نردّ أمرك فقل ما شئت نعمله فقال: أما لو كان هذا قبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي ولكن انصرفوا راشدين فلعمري ما كنت لأعرّض قبيلة واحدة للناس[(٥)].

٤٥٨ - قال نصر: وروى الشعبي أنّ علياً عليه السلام قال يوم صفّين حين أقرّ الناس بالصّلح:

إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحق ولا ليجيبوا إلى كلمة سواء حتّى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتّى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتى تجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتّى تدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم وحتّى تشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ وحتّى تتلقّاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلاّ جدّاً في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٢١.
(٤) وقعة صفين، ص ٥١٩.
(٥) وقعة صفين، ص ٥٢٠.

ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وأخوالنا وأعمامنا لا يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضيّاً على أمضّ الألم وجدّاً على جهاد العدوّ والاستقلال بمبارزة الأقران ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولا ن تصاول الفحلين ويتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرّة لنا من عدوّنا ومرّةً لعدوّنا منّا فلما رآنا الله صدقاً صبراً أنزل بعدوّنا الكبت وأنزل علينا النصر ولعمري لو كنّا نأتي مثل هذا الذي أتيتم ما قام الدين ولا عزّ الإسلام وأيم الله لتحلبنّها دماً فاحفظوا ما أقول لكم يعني الخوارج(١).

٤٥٩ - وروى نصر عن عمرو بن شمر عن فضيل بن خديج قال: قيل لعليّ عليه السلام لمّا كتب الصحيفة: إنّ الأشتر لم يرض بما في الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم فقال عليّ عليه السلام: بلى إنّ الأشتر ليرضى إذا رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلاّ أن يعصى الله ويتعدّى ما في كتابه.

وأمّا الّذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ولا أعرفه على ذلك وليت فيكم مثله اثنان بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوّي مثل رأيه إذاً لخفّت مؤنتكم عليّ ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم.

وأمّا القضيّة فقد استوثقنا لكم فيها وقد طمعت أن لا تضلّوا إن شاء الله ربّ العالمين.

وكان الكتب في صفر والأجل في شهر رمضان لثمانية أشهر يلتقي الحكمان.

ثم إنّ الناس أقبلوا على قتلاهم يدفنونهم(٢).

إيضاح: الوطيس: شبه التنور. أو الضراب في الحرب. أو حجارة مدوّرة حيث لم يقدر أحد يطؤها عبّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق وقد مرّ مراراً. والقتام: الغبار. والمرّان كعثمان: رماح القنا. والغمغمة: أصوات الأبطال عند القتال والكلام الذي لا يبين. والنقع والقسطل: الغبار والمجنبة بفتح النون: المقدمة والمجنبتان بالكسر الميمنة والميسرة.

وقال الجوهري صلّ المسمار وغيره يصلّ صليلاً أي صوّت. وقال الكدم: العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار. وأصحرته الشمس: آلمت دماغه.

وفي القاموس: لزّه لزّاً ولززاً: شدّه وألصقه كألزّه. واللّز: الطعن ولزوم الشيء بالشيء وإلزامه به. و [قال:] في النهاية: فيه «وعجمتك الأمور» أي جرّبتك من العجم: العض. يقال: عجمت العود إذا عضضته لتنظر أصلب هو أم رخو.

وقال وفي حديث الأحنف: إنّي قد عجمت الرجل وحلبت أشطره. الأشطر جمع شطر وهو خلف النّاقة. وقيل للناقة أربعة أخلاف كلّ خلفين منها شطر وجعل الأشطر موضع الشطرين كما تجعل الحواجب موضع الحاجبين يقال: حلب فلان الدهر أشطره أي اختبر

---

(١) - (٢) وقعة صفين، ص ٥٢٠.

ضروبه من خيره وشرّه تشبّهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حَفِلاً وغير حَفِل وداراً وغير دارّ. والمدية: السّكين.

وقال [و] في حديث الحديبية: «لأقاتلنّهم على أمري حتّى تنفرد سالفتي» هي صفحة العنق ومجمعها وهما سالفتان من جانبيه وكَنّى بانفرادها عن الموت لأنّها لا تنفرد عن ما يليها إلاّ بالموت. وقيل: أراد حتى يفرّق بين رأسي وجَسدي.

٤٦٠ - **شا:** ومن كلامه عليه السلام [إنّ هؤلاء القوم] لم يكونوا لينيبوا إلى الحقّ. إلى آخر ما مرّ برواية ابن أبي الحديد وزاد في آخره: «وأيم الله لتحتلبنّها دماً عبيطاً فاحفظوا ما أقول»(١).

بيان: السّواء: العدل والوسط والمعنى إلى كلمة حقّ نساوي نحن وهم فيه كما قال تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والمنسر: قطعة من الجيش يكون أمام الجيش الأعظم. والكتيبة: طائفة من الجيش. وأجلبوا: إذا جاؤا من كلّ أوب للنصرة. والأعناق النّواحي. وأحناء الوادي: جمع حنو بالكسر وهو منعطفه. والمسارب: المراعي. والمسرح أيضاً المرعى. والفرق بينهما أن السّروح إنّما يكون في أوّل النهار وليس ذلك بشرط في السّروب.

٤٦١ - **نهج** ومن كلام له عليه السلام: ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم وصبراً على مضض الألم وجدّاً في جهاد العدوّ ولقد كان الرّجل منّا [والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منّا] فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت وأنزل علينا النّصر حتّى استقر الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدّين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود وأيم الله لتحتلبنّها دماً وَلَتُتْبِعُنّها نَدَماً(٢).

توضيح: اللقم: منهج الطريق. والمضض: حرقة الألم. يتصاولان أي يحمل كلّ من القرنين على صاحبه. والتخالس: التسالب. «أنفسهما» أي كلّ منهما يختلس نفسه صاحبه أو نفسه من يد صاحبه والأوّل أظهر. والمنون: الموت والكبت: الإذلال والصّرف. والجران: مقدّم عنق البعير من منحره إلى مذبحه. وإلقاؤه كناية عن استقراره في قلوب عباد الله كالبعير الذي أخذ مكانه واستقرّ فيه. وتبوّأ وطنه: سكن فيه. ولعله شبّه الإسلام بالرجل الخائف المتزلزل الذي استقرّ في وطنه بعد خوفه. «لتحتلبنها» الضمير المؤنث مبهم يرجع في المعنى إلى أفعالهم وكذا في قوله «لتتبعنّها» شبّهها بالناقة التي أصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها والمقصود عدم انتفاعهم بتلك الأفعال عاجلاً وآجلاً.

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ١٤٢.
(٢) نهج البلاغة، ص ١٢٩ خ ٥٦.

٤٦٢ - **كتاب الصّفين:** قال نصر: حدّثني عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن جندب قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من صفّين أقبلنا معه فقال عليّ عليه السلام: آئبون عائدون لربّنا حامدون اللّهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل.

قال: ثم أخذ بنا طريق البرّ على شاطئ الفرات حتّى انتهينا إلى «هيت» وأخذنا على «صندودا» فخرج الأنماريّون بنو سعد بن حزيم واستقبلوا عليّاً فعرضوا عليه النُزل فلم يقبل، فبات بها ثم غدا وأقبلنا معه حتّى جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة فإذا نحن بشيخ جالس في ظلّ بيت على وجهه أثر المرض فأقبل إليه عليّ عليه السلام ونحن معه حتّى سلّم وسلّمنا عليه قال: فردّ ردّاً حسناً ظننّا أن قد عرفه فقال له عليّ: ما لي أرى وجهك منكفتاً أمن مرض؟ قال نعم قال فلعلّك كرهته؟ فقال: ما أحبّ أنّه بغيري!! قال: أليس احتساباً للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى قال: أبشر برحمة ربّك وغفران ذنبك فمن أنت يا عبد الله؟ قال: أنا صالح بن سليم. قال: أنت ممن؟ قال: أمّا الأصل فمن سلامان بن طيء وأمّا الجوار والدعوة فمن بني سليم بن منصور. قال: سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أدعيائك واسم من اعتزيت إليه هل شهدت معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا والله ما شهدتها ولقد أردتها ولكن ما ترى فيّ من لَجَب الحمّى خذلني عنها قال عليّ عليه السلام: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: منهم المسرور فيما كان بينك وبينهم وأولئك أغِشّاء الناس ومنهم المكبوت الآسف لما كان من ذلك وأولئك نصحاء الناس لك. فذهب لينصرف فقال: صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيّئاتك فإنّ المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع للعبد ذنباً إلاّ حطّه إنّما الأجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وإنّ الله عزّ وجلّ يدخل بصدق النيّة والسريرة الصّالحة [عالماً جمّاً] من عباده الجنّة.

ثم مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري فدنا منه وسأله فقال له: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا؟ قال: منهم المعجب به ومنهم الكاره له والنّاس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾(٢) فقال له: فما يقول ذوو الرأي؟ قال: يقولون: إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه وحصن حصين فهدمه فحتّى متى يبني مثل ما هدم وحتى متى يجمع مثل ما قد فرّق؟! فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك إذاً كان ذلك هو الحزم. فقال عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أم أنا فرّقت أم هم تفرّقوا؟ وأمّا قولهم: لو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذاً كان ذلك هو الحزم. فوالله ما غبي عنّي ذلك الرأي وإن كنت لسخيّاً بنفسي عن الدنيا طيّب النفس

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٨.

بالموت ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدماني فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسب محمّد ﷺ من هذه الأمة فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا ولقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما يعني بذلك ابنيه الحسن والحسين وأيم الله لئن لقيتهم بعد يومي لألقينّهم وليس هما معي في عسكر ولا دار.

قال: ثمّ مضى حتى جزنا دور بني عوف فإذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذه القبور؟ فقال له قدامة بن العجلان الأزدي: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك فأوصى أن يدفن في الظّهر وكان الناس يدفنون في دورهم وأفنيتهم فدفن الناس إلى جنبه. فقال: رحم الله خبّاباً فقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسده أحوالاً ولن يضيّع الله أجر من أحسن عملاً.

فجاء حتى وقف عليهم ثم قال: عليكم السلام يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف وفرط ونحن لكم تبع وبكم عمّا قليل لاحقون اللّهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنّا وعنهم. ثمّ قال: الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً الحمد لله الذي جعل منها خلقنا وفيها يعيدنا وعليها يحشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله بذلك.

ثمّ أقبل حتى دخل سكّة الثوريين فقال: خُشّوا [بين] هذه الأبيات.

وعن عمر بن سعد بن عبد الله بن العاصم الفائشيّ قال: لما مرّ عليّ عليه السلام بالثوريين يعني ثور همدان سمع البكاء فقال: ما هذه الأصوات؟ قيل: هذا البكاء على من قتل بصفّين قال: أما إني شهيد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة.

ثمّ مرّ بالفائشيّين فسمع الأصوات فقال ذلك.

ثم مرّ بالشّاميّين فسمع رَنَّةً شديدةً وصوتاً مرتفعاً عالياً فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشّامي فقال عليّ عليه السلام: أتغلبكم نساؤكم ألا تنهونهنّ عن هذا الصياح والرنين؟ قال: يا أمير المؤمنين لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثة قدرنا على ذلك ولكن من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس من دار إلاّ وفيها بكاء أمّا نحن معاشر الرجال فإنّا لا نبكي ولكن نفرح لهم بالشهادة فقال عليّ عليه السلام: رحم الله قتلاكم وموتاكم وأقبل يمشي معه وعليّ راكب فقال له عليّ عليه السلام: ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن.

ثم مضى حتى مرّ بالنّاعطيّين فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد فقال: ما صنع عليّ والله شيئاً ذهب ثم انصرف في غير شيء فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبلس فقال عليه السلام لأصحابه: قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء ثم قال:

أخوك الذي إن أجهضتك ملمّة ... من الدهر لم يبرح لبثّك واجما
وليس أخوك بالذي إن تشعبت ... عليك أمور ظلّ يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة[١].

بيان: قال في النهاية فيه: إنّه انكفأ لونه عام الرّمادة أي تغيّر عن حاله ومنه حديث الأنصار: ما لي أرى لونك منكفئاً؟ قال: من الجوع انتهى والإجهاض: الغلبة. ولم يبرح أي لم يزل. والواجم: الذي اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام. والتشعّب: التفرق.

٤٦٣ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام فتداكّوا عليّ تداكّ الإبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت أنّهم قاتليّ أو بعضهم قاتل بعض لديّ وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتّى منعني النوم فما وجدتني يسعني إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب وموتات الدّنيا أهون عليّ من موتات الآخرة[٢].

بيان: قال ابن ميثم: «هذا إشارة إلى صفة أصحابه بصفّين لمّا طال منعه لهم من قتال أهل الشام» كما هو الظاهر من آخر الكلام لكن كثير من الشواهد تدل على أنّه لبيان حالة البيعة [بعد هلاك عثمان] كما سيأتي بعضها لا سيّما ما كان في نسخة ابن أبي الحديد فإنّه ذكر العنوان هكذا: «من كلام له عليه السلام في ذكر البيعة».

قوله عليه السلام «تداكّوا» أي دكّ بعضهم بعضاً والدكّ هو الدقّ وقيل: أصله الكسر. والهيم: العطاش. والورد بالكسر: النصيب من الماء والإشراف عليه. وفي بعض النسخ «ورودها» وهو حضورها لشرب الماء. و«أرسلها» أي أهملها وأطلقها. والمثاني جمع مثناة بفتح الميم وكسرها وهي حبل من صوف أو شعر أو غيره تثنى ويعقل بها البعير و«قاتلي» على صيغة الجمع مضافة إلى ياء المتكلم. وجملة: «يسعني» مفعول ثان والضمير في «قتالهم» يعود إلى معاوية وأصحابه على الأوّل وإلى النّاكثين على الثاني.

والمعالجة: المزاولة. وموتات الدّنيا: شدائدها وأهوالها ومتاعبها بقرينة موتات الآخرة. ويحتمل أن يراد بالأولى أنواع الموت وبالثانية الشدائد التي هي أشدّ من الموت.

٤٦٤ - **نهج:** ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفّين:

أما قولكم: كلّ ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ. وأمّا قولكم: شكّاً في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها[٣].

توضيح: استبطأه أي عدّه بطيئاً وزعم أنّ المصلحة في التعجيل.

---

(١) وقعة صفين، ص ٥٢٨.
(٢) نهج البلاغة، ص ١٢٧ خ ٥٤.
(٣) نهج البلاغة، ص ١٢٨ خ ٥٥.

روى ابن ميثم أنّه عليه السلام لمّا ملك الماء بصفّين وسمح بأهل الشام في المشاركة كما سبق مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية أحداً ولا يأتيه من عنده أحد قال له أهل العراق: يا أمير المؤمنين خلّفنا نساءنا وذرارينا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتّخذها وطناً فأذن لنا في القتال فإنّ الناس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية الموت ومنهم من يظنّ أنّك في شكّ من قتال أهل الشام!! فأجابهم عليه السلام بذلك.

و «كلّ» مرفوع و«كراهية» منصوب في أكثر النسخ وروي «كلّ ذلك» بالنصب وهو مفعول فعل مقدر أي تفعل كلّ ذلك و«كراهية» منصوب بأنّه مفعول لأجله. ومن رواه بالرفع أجاز في «كراهية» الرفع والنصب أمّا الرفع فبالخبريّة وأمّا النصب فلكونه مفعولاً له للخبر المحذوف.

وعشى النار وإليها عَشواً وعُشوّاً: رآها ليلاً من بعيد ببصر ضعيف فقصدها ويقال لكلّ قاصد: عاش وفيه تعريض بضعف بصائر أهل الشام.

«وتبوء بآثامها» أي ترجع إلى ربّها متلبّسة بمعاصيها.

٤٦٥ - **نهج** ومن كلام له عليه السلام في بعض أيّام صفّين:

معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السّكينة، وعضّوا على النواجذ فإنّه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللأمة وقلقلوا السّيوف في أغمادها قبل سلّها والحظوا الخزر، واطعنوا الشزر، ونافحوا بالظبى، وصلوا السيوف بالخطى، واعلموا أنّكم بعين الله مع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فعاودوا الكرّ واستحيوا من الفرّ فإنّه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا إلى الموت مشياً سُجحاً وعليكم بهذا السواد الأعظم والرّواق المطنّب فاضربوا ثَبَجَهُ فإنّ الشيطان كامن في كسره قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً فَصمداً صمداً حتّى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم[1].

إيضاح: قال بعض الشارحين: هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام وفي رواية نصر ابن مزاحم أنّه خطب به أوّل أيّام الحرب بصفّين وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين.

والمعشر: الجماعة. واستشعار الخشية أن يجعلوا من الله عزّ وجلّ ملازماً لهم كالشعار وهو من اللباس ما يلي شعر الجسد. ويحتمل على بعد أن يراد به إخفاء الخوف عن العدوّ إذا لم يمكن سلبه عن النفس. والجلباب بالكسر: القميص أو ثوب واسع للمرأة دون الملحفة أو الملحفة أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها. وتجلبب أي اتّخذه [جلباباً] والسّكينة: الوقار والتأنّي في الحركة والسّير. والنواجذ: أقاصي الأضراس وهي أربعة بعد الأرحاء. وقيل: هي الضّواحك التي تبدو عند الضحك. وقيل الأنياب. وقيل: التي تليها. وقيل: الأضراس كلّها.

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٣٩ خ ٦٥.

ونبا السيف عن الضريبة إذا لم يعمل فيها. والهام: جمع هامة وهي رأس كل شيء.

والأمر إمّا محمول على الحقيقة لأنّ هذا العضّ يصلب الأعصاب والعضلات فيكون تأثير السّيف في الرأس أقلّ أو كناية عن شدّة الاهتمام بأمر الحرب أو الصّبر وتسكين القلب وترك الاضطراب فإنّه أشدّ إبعاداً لسيف العدوّ عن الرأس وأقرب إلى النصر.

والضمير في قوله: «فإنّه» يعود إلى المصدر الّذي دلّ عليه «عضّوا» كقولك: من أحسن كان خيراً له. واللأمة بفتح اللام والهمزة السّاكنة: الدّرع. وقيل: جميع آلات الحرب والسلاح. وإكمال اللأمة على الأوّل أن يزاد البيضة والسّواعد ونحوهما أو اتّخاذها كاملة شاملة للجسد. والقلقلة: التحريك. والغمد بالكسر: جفن السيف. وسلّ السيف: إخراجه من الغمد وقيل سَلّها أي قبل وقت الحاجة إلى سلّها. واللحظ: النظر بمؤخّر العين.

والخزر بسكون الزاي: النظر بلحظ العين. والشّزر بالفتح: الطعن عن اليمين والشمال. وقيل: أكثر ما يستعمل في الطّعن عن اليمين خاصّة.

وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «الحظوا الشزر واطعنوا اليسر» والشزر: النّظر بمؤخر العين وهو نظر الغضبان، واليسر بالفتح الطّعن حذاء الوجه. والخزر والشزر صفتان لمصدرين محذوفين أي الحظوا لَحظاً خَزراً واطعنوا طعناً شزراً. واللام للعهد.

وفائدة الأمر الأوّل واضحة فإنّ النّظر بمؤخر العين يهيّج الحمية والغضب ويدفع طمع العدوّ ويغفله عن التعرّض وبملء العين يورث الجبن وعلامة له عند العدوّ ويصير سبباً لتحرّزه وأخذ أهبته والتوجه إلى القرن.

وأمّا الأمر الثاني فقيل إنّه يوسّع المجال على الطّاعن وأكثر المناقشة للخصم في الحرب تكون عن يمينه وعن شماله ويمكن أن تكون الفائدة أن احتراز العدوّ عن الطّعن حذاء الوجه أسهل والغفلة عنه أقلّ هذا على ما في الأصل وما في النهاية يخالفه.

والمنافحة: المضاربة والمدافعة. والظبى جمع ظبة بالضمّ فيهما وهي طرف السيف وحدّه ويطلق على حدّ السيف والسّنان. قيل: المعنى قاتلوا بالسيوف وأصله أن يقرب أحد المتقاتلين إلى الآخر بحيث يصل نفح كلّ منهما أي ريحه ونفسه إلى صاحبه. وقيل: أي ضاربوا بأطراف السيوف وفائدته أن مخالطة العدوّ والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من حربه وأيضاً لا يؤثر الضرب كما ينبغي مع القرب المفرط قوله عليه السلام: «وصلوا السيوف بالخطى» وصل الشيء بالشيء جعله متّصلاً به. والخطى جمع خطوة بالضمّ فيهما والمعنى إذا قصرت السيوف عن الضريبة فتقدّموا تلحقوا ولا تصبروا حتّى يلحقكم العدوّ وهذا التقدّم يورث إلقاء الرعب في قلب العدو.

وروى أنه قيل له عليه السلام في بعض الغزوات: ما أقصر سيفك فقال: أُطوّله بخطوة.

وفي رواية ابن الأثير: «صلوا السيوف بالخطى والرماح بالنبل» أي إذا لم تلحقهم بالرماح فارموهم بالسّهام.

والمراد بكونهم بعين الله أنّه سبحانه يراهم ويعلم أعمالهم والباء مثلها في قولك: «أنت بمرأىً منّي ومسمع» أي بحيث أراك وأسمع كلامك. فيكون تمهيداً للنّهي عن الفرار وأنّه سبحانه يحفظهم وينصرهم لكونهم على الحقّ كما يناسب كونهم مع ابن عمّ الرّسول ﷺ.

والكرّ: الرجوع والحملة ومعاودته عند التحرّف للقتال، أو التحيّز إلى فئة أو عند الفرار جبناً لو كان أو المراد لا تقصروا على حملة لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا واحملوا كرّة بعد أُخرى. والأعقاب: جمع عقب بالضّم وبضمتين أي العاقبة والمعنى أنّ الفرار عار في عاقبة أمركم وما يتحدّث به الناس في مستقبل الزّمان على ما قيل. أو جمع عقب ككتف أو عقب بالفتح أي الولد وولد الولد والمعنى إنّ الفرار مما يعيّر به أولادكم.

وطاب نفسي بالشيء وطبت به نفساً. إذا لم يكرهك عليه أحد والتعدية بـ«عن» لتضمين معنى التجافي والتّجاوز. و«نفساً» منصوب على التميز وإفراده مع عدم اللّبس أولى ولعلّ المعنى وطّنوا أنفسكم على بذلها في سبيل الله وارضوا به للحياة الباقية واللّذات الدّائمة.

والسّجح بضمّتين: السّهل. وسواد الناس: عامّتهم والمراد معظم القوم المجتمعين على معاوية. والرّواق ككتاب: الفسطاط والقبّة. وقيل: هو ما بين يدي البيت. والمطنب: المشدود بالأطناب والمراد مضرب معاوية وكان في قبّة عالية وحوله صناديد أهل الشام.

وثبج الشيء بالتحريك: وسطه ومعظمه «وكمن» كنصر وسمع أي استخفى. وكسر الخباء بالكسر: الشقّة السّفلى يرفع أحياناً ويرخى أُخرى والوثبة: الطفرة. ونكص كنصر وضرب أي رجع. والشيطان: هو «إبليس» لا معاوية كما قيل لأنّه كان بارزاً في الصدر لا كامناً في الكسر إلاّ أن يكون ذلك لبيان جُبْنه. وتقديم اليد للوثبة وتأخير الرّجل للنكوص لا ينافي إرادة إبليس فإنّه كان من رفقاء معاوية وأصحابه يثب بوثوبهم ويرجع برجوعهم. ويمكن أن يراد بوثبته طمعه في غلبة أصحاب معاوية وتحريضهم على القتال وبالنكوص ما يقابله.

ويحتمل أن يراد بالشيطان عمرو بن العاص والأوّل أظهر. وحمله على القوة الوهمية كما قيل من الأوهام الفاسدة.

«والصمد» بالفتح القصد وناصبه محذوف والتأكيد للتحريض على قصد العدو والصبر على الجهاد أو التقرّب إلى الله تعالى وإخلاص النيّة في الأعمال التي من جملتها الجهاد.

وانجلى الشيء وتجلّى أي انكشف وظهر و«عمود الحق» لعله للتشبيه بالفجر الأوّل وفيه إشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغي «وأنتم الأعلون» الواو للحال أي الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحق والله معكم أي بالنّصر والحياطة أو لأنكم أنصاره «ولن يتركم» أي لا ينقصكم الله جزاء أعمالكم بل يوفّيكم أجوركم. وقيل أي لا يضيع أعمالكم من

وترت الرجل إذا قتلت له حميماً ولعلّ حاصل المعنى: اقصدوا ربّكم بأعمالكم التي منها جهاد أعدائكم وأخلصوا نياتكم حتى ينجلي لكم أنكم على الحقّ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ والجملة الحالية تفيد أنّهم على الحقّ ومن أنصار الله وحزبه.

أو اقصدوا أعداءكم بتصميم الغرم حتى يظهر آية النصر وينجز الله لكم ما وعد من الظفر ووعده الحقّ. ويمكن أن يراد بالحقّ الطريقة المستقيمة وأن يكون الظفر سبباً لظهوره للقوم.

٤٦٦ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيّام حربهم بصفّين: إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر فقلتم مكان سبكم إيّاهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به[1].

بيان: قوله عليه السلام: وأبلغ في العذر أي العذر في القتال معهم أو في إتمام الحجّة عليهم وإبداء عذر الله تعالى في عقابهم.

وفي النهاية: حقنت له دمه إذا منعت من قتله وإراقته أي جمعته له وحبسته عليه و«يرعوي» أي يرجع ويكفّ. واللهج بالشيء: الولع به. وقد لهج بالكسر: أغرى به.

٤٦٧ - **نهج**: ومن كلام له عليه السلام في بعض أيّام صفّين وقد رأى الحسن يتسرّع إلى الحرب: أملكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني فإنّني أنفس بهذين يعني - الحسن والحسين عليهما السلام - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال السيّد الرضيّ: وقوله عليه السلام: أملكوا عنّي هذا الغلام، من أعلى الكلام وأفصحه.

بيان: في أكثر النسخ «أملكوا» بفتح الهمزة وقال ابن أبي الحديد: الألف في «أملكوا» ألف وصل لأن الماضي ثلاثي من ملكت الفرس والدار أملك بالكسر أي احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه و«عن» متعلّقة بمحذوف وتقديره استولوا عليه وأبعدوه عنّي ولمّا كان الملك سبب الحجر عبر بالسّبب عن المسبب.

ووجه علوّ هذا الكلام وفصاحته أنّه لمّا كان في «أملكوا» معنى العبد أعقبه بعن وذلك أنّهم لا يملكونه دونه إلاّ وقد أبعدوه عنه. قوله: «لا يهدّني» «أي لئلا يَهُدّني وهدّ البناء: كسره. ونفست به بالكسر أي بخلت به.

٤٦٨ - **كا**: في حديث مالك بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفّين فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وتشفي بكم على الخير

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٧ خ ٢٠٤.

والإيمان بالله والجهاد في سبيل الله وجعل ثوابه مغفرة للذّنب ومساكن طيّبة في جنّات عدن وقال عزّوجلّ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾(١) فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص فقدّموا الدّارع وأخّروا الحاسر وعضّوا على النّواجذ فإنّه أنبا للسيوف عن الهام والتووا على أطراف الرماح فإنّه أمور للأسنّة وغضّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل وأولى بالوقار ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم فإنّ المانع للذّمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ ولا تمثّلوا بقتيل.

وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سِتْراً، ولا تدخلوا داراً؛ ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول وقد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهن مشركات وإن كان الرّجل ليتناول المرأة فيعيّر بها وعقبه من بعده.

واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الّذين يحفّون براياتكم ويكتنفونها ويصبرون حفافيها ووراءها وأمامها ولا يضيعونها لا يتأخرون عنها فيُسلموها ولا يتقدّمون عليها فيفردوها.

رحم الله امرأً واسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك اللائمة ويأتي بدناءة وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين وهذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هارباً ينظر إليه وهذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله عزّوجلّ فإنّما ممرّكم إلى الله وقد قال الله عزّوجلّ : ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٢) وأيم الله لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة فاستعينوا بالصّبر والصّدق فإنّما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حق جهاده ولا قوّة إلاّ بالله(٣).

٤٦٩ - وفي كلام آخر له [قال عليه السلام :].

وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلوكم فإذا بدأوا بكم فانهدوا إليهم وعليكم السّكينة والوقار وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام وغضّوا الأبصار ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلّوا الكلام فإنه أطرد الفشل وأذهب بالوهل ووطّنوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة والمجادلة واثبتوا واذكروا الله عزّوجلّ كثيراً فإنّ المانع للذمار عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويضربون حافَتَيْها وأمامها وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحل وعليكم بالتحامي فإنّ الحرب سجال لا يَشْتدّنّ عليكم كرّة

(١) سورة الصف، الآية: ٤. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.
(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦١١ باب ١٥ ح ٤.

بعد فرّة ولا حملة بعد جولة ومن ألقى إليكم السّلام فاقبلوا منه واستعينوا بالصّبر فإنّ بعد الصبر النصر من الله عزّوجلّ ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

بيان: قال الجوهري: رصصت الشيء رصّاً: ألصقت بعضه ببعض ومنه «بنيان مرصوص» والدارع: لابس الدّرع. والحاسر: الذي لا مغفر عليه ولا درع.

[قوله عليه السلام:] «والتووا على أطراف الرماح» في القاموس: تلوّى: انعطف كالتوى. والمور: التحرّك والاضطراب أي إذا وصلت إليكم أطراف الرّماح فانعطفوا ليزلق ويتحرّك فلا ينفذ. وحمله ابن ميثم على الالتواء عند إرسال الرمح ورميه إلى العدوّ بأن يميل صدره ويده فإنّ ذلك أنفذ. وفيه بعد.

وقال الجوهري: الجأش جأش القلب وهو رواعه إذا اضطرب عند الفزع يقال فلان رابط الجأش أي ربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

و [مثله] في القاموس [وزاد:] ونفس الإنسان، وقد لا يهمز [وجمعه جؤش].

وإنّما أمرهم عليه السلام بغضّ الأبصار لئلاّ يروا ما يهولهم لئلاّ يرى العدو منهم جبناً وكذا قلّة الكلام وترك رفع الأصوات علامة الشجاعة فإنّ الجبان يصيح ويرعد ويبرق.

وقال الجوهري قولهم: فلان حامي الذمار أي إذا زمر وغضب وحمي ويقال: الذمار: ما وراء الرّجل ممّا يحقّ عليه أن يحميه لأنهم قالوا: حامي الذمار كما قالوا حامي الحقيقة وسمّي ذماراً لأنّه يحق على أهله الدفع عنها.

فالأظهر أنّ الحقائق هنا جمع الحقيقة بمعنى ما يحقّ للرجل أن يحميه والمراد بنزول الحقائق نزولها به أو نزوله بها وما يعرض للإنسان في الحرب هي حالة تحقّ أن يحمي عنها.

ويحتمل أن يكون جمع الحقيقة بمعنى الراية كما ذكره الجوهريّ والفيروزآبادي.

وقال ابن ميثم: أي الشدائد الحقّة المتيقّنة وأمّا ما ذكره ابن أبي الحديد وتبعه غيره من أن الحقائق جمع حاقّة وهي الأمر الصّعب الشديد ففي كونه جمعاً لها نظر. والحفاظ بالكسر: الذبّ عن المحارم. وقوله عليه السلام «حفافيها» متعلّق بقوله «يكتنفونها» أو بقوله: «يصبرون» أيضاً على التنازع. والحفافان: اليمين واليسار.

وفي بعض النسخ: «وراءها» بدون العطف فهما الأمام والوراء.

قوله عليه السلام: «من سيوف الآجلة» سمّى عقاب الله على فرارهم وتخاذلهم سيفاً على الاستعارة أو مجاز المشاكلة. وفي القاموس: نهد الرجل: نهض. ولعدوّه: صمد لهم.

قوله عليه السلام: «وَمُدُّوا جباه الخيول ووجوه الرّجال» لعلّ المراد بهما تسوية الصفوف وإقامتها راكبين وراجلين أو كناية عن تحريكها وتوجيهها إلى جانب العدو. والوهن:

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦١٢ باب ١٥ ذيل حديث ٤.

الضّعف والفزع. وفي النهاية فيه: «والحرب بيننا سجال» أي مرّة لنا ومرّة علينا وأصله أن المستقين بالسجل يكون لكلّ واحد منهم سجل والسجل: الدلو الملأى ماءًا.

والسّلام: الاستسلام. وقد مرّ شرح بعض أجزاء الخبرين وسيأتي بعضها.

٤٧٠ - **شا:** من كلامه عليه السلام في تحضيضه على القتال يوم صفّين بعد حمد الله والثناء عليه: عباد الله اتّقوا الله وغضّوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلّوا الكلام ووطّنوا أنفسكم على المنازلة والمجادلة والمبارزة والمبالطة والمبالدة والمعانقة والمكادمة واثبتوا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾(١) اللهمّ ألهمهم الصّبر وأنزل عليهم النّصر وأعظم لهم الأجر(٢).

إيضاح: [قال الفيروزآبادي:] في القاموس: بالط القوم تجالدوا بالسيف كتبالطوا. وبني فلان: نازلوهم بالأرض وقال: المبالدة: المبالطة بالسّيوف والعصي.

كدمه يكدِمه ويكدُمه [كضرب ونصر]: عضّه بأدنى فمه أو أثّر فيه بحديدة وكمعظم المعضض. وأكدم الأسير بالضم: استوثق منه. وقال: الريح: الغلبة والقوّة والرحمة والنصرة والدّولة.

٤٧١ - **شا:** [و] من كلامه عليه السلام أيضاً في هذا المعنى:

معشر الناس إنّ الله قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وتشفي بكم على الخير العظيم الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله والجهاد في سبيله وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ومساكن طيّبة في جنّات عدن ثم أخبركم أنّه: ﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٣) فقدّموا الدّارع وأخّروا الحاسر وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام، والتووا في أطراف الرماح فإنّه أمور للأسنّة، وغضّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل وأولى بالوقار ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلّوها ولا تجعلوها إلاّ في أيدي شجعانكم فإنّ المانعين للذّمار الصّابرين على نزول الحقائق [هم] أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويكتنفونها.

رحم الله امرءاً منكم آسا أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه فتكتسب بذلك لائمة ويأتي به دناءة فلا تعرّضوا لمقت الله ولا تفرّوا من الموت فإنّ الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٤) وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآجلة، فاستعينوا بالصّبر والصلاة

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٤٥-٤٦.
(٢) الإرشاد، ص ١٤١.
(٣) سورة الصف، الآية: ٤.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

والصدق في النيّة فإنّ الله تعالى بعد الصبر ينزّل النصر(١).

بيان: في رواية ابن أبي الحديد: ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾ ثم أخبركم بالّذي يحبّ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ وفيه: «إلاّ بأيدي شجعانكم المانعي الذّمار والصّبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الّذين يحفّون برايتكم ويكتنفونها يضربون خلفها وأمامها، وهلاّ أجزأ كلّ امرىءٍ منم قرنه وآسى أخاه» إلى قوله: «ويأتي دنائة أنّى هذا وكيف يكون هذا [و] هذا يقاتل اثنين وهذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هارباً منه أو قائماً ينظر إليه من يفعل هذا يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله فإنّما مردّكم إلى الله قال الله تعالى لقوم عابهم: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢) إلى قوله: «واستعينوا بالصدق والصبر فإنه بعد الصبر ينزل النصر»(٣).

وسيأتي شرحه في رواية السّيد رحمه الله.

٤٧٢ - **قب:** تفسير الحسن والسدي ووكيع والثعلبيّ ومسند أحمد أنّه قال الزبير في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ لقد لبثنا أزماناً ولا نرى أنّا من أهلها فإذا نحن المعنيّون.

قال السدّي في قوله: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نزلت في حربين في يوم صفّين ويوم الجمل فسمّى الله أصحاب الجمل وصفّين ظالمين ثم قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصر والحقّ مع أمير المؤمنين وأصحابه.

بعض المفسّرين في قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾ أي فيما بعد ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أنهم أهل صفين وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للأعراب الذين تخلّفوا عنه بالحديبية وعزموا على خيبر: «قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل».

أبو سعيد الخدريّ وعبدالله بن عمر قالا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ كنّا نقول: ربّنا واحد ونبيّنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة؟ فلمّا كان حرب صفّين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا.

قال الباقر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقاتل معاوية: «قاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون» الآيات هم هؤلاء وربّ الكعبة.

ابن مسعود قال: [قال:] النبيّ صلى الله عليه وآله: أئمّة الكفر معاوية وعمرو.

ولما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من [حرب] الجمل نزل في الرحبة السادس من رجب وخطب فقال: الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه وأعزّ الصادق المحقّ وأذلّ الناكث المبطل.

---

(١) وقعة صفين، ص ٢٣٥. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

(٣) شرح ابن ابي الحديد، ج ٥ ص ١٢٦.

ثم إنه دعا الأشعث بن قيس من ثغر آذربيجان والأحنف بن قيس من البصرة وجرير بن عبد الله البجلي من همدان فأتوه إلى الكوفة فوجّه جريراً إلى معاوية يدعوه إلى طاعته فلمّا بلغها توقّف معاوية في ذلك حتّى قدم [بطلب منه] شرحبيل الكندي ثمّ خطب فقال: أيّها الناس قد علمتم أنّي خليفة عمر وخليفة عثمان وقد قتل عثمان مظلوماً وأنا وليّه وابن عمّه وأولى الناس بطلب دمه فماذا رأيكم؟ فقالوا: نحن طالبون بدمه.

فدعا عمرو بن العاص على أن يطعمه مصر فكان عمرو يأمر بالحمل والحط مراراً فقال له غلامه وردان: تفكر أن الآخرة مع عليّ عليه السلام والدنيا مع معاوية فقال عمرو:

لا قاتل الله وردانا وفطنته ... أبدى لعمري ما في الصدر وردان

فلمّا ارتحل قال ابن عمرو له:

ألا يا عمرو ما أحرزت نصراً ... ولا أنت الغداة إلى رشاد
أبعت الدين بالدنيا خساراً ... وأنت بذاك من شر العباد

فانصرف جرير فكتب معاوية إلى أهل المدينة أنّ عثمان قتل مظلوماً وعليّ آوى قتلته فإن دفعهم إلينا كففنا عنه وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين كما جعله عمر عند وفاته فانهضوا رحمكم الله معنا إلى حربه فأجابوه بكتاب فيه:

معاوي إنّ الحقّ أبلج واضح ... وليس كما ربّصت أنت ولا عمرو
نصبت لنا اليوم ابن عفّان خدعة ... كما نصب الشيخان إذ زخرف الأمر
رميتم عليّاً بالذي لم يضرّه ... وليس له في ذاك نهي ولا أمر
وما ذنبه إن نال عثمان معشر ... أتوه من الأحياء تجمعهم مصر
وكان عليّ لازماً قعر بيته ... وهمّته التسبيح والحمد والذّكر
فما أنتما لا درّ درّ أبيكما ... وذكركم الشورى وقد وضع الأمر
فما أنتما والنّصر منّا وأنتما ... طليقا أسارى ما تبوح بها الخمر

وجاء أبو مسلم الخولاني بكتاب من عنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيه: وكان أنصحهم لله خليفته ثم خليفة خليفته ثم الخليفة الثالث المقتول ظلماً فكلّهم حسدت وعلى كلّهم بغيت. إلى آخر ما سيأتي.

فلمّا وصل الخولاني وقرأ على الناس [كتاب معاوية] قالوا: كلّنا [له] قاتلون ولأفعاله منكرون. فكان جواب أمير المؤمنين:

وبعد فإنّي رأيت قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعتي ثمّ حاكم القوم إليّ أحملكم على كتاب الله وسنّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله.

وأمّا الذي تريدها فإنّها خدعة الصبي عن اللّبن ولعمري لئن نظرت بعقلك لعلمت أنّي من أبرأ النّاس من دم عثمان وقد علمت أنّك من أبناء الطّلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة،

وأجمع عليه السلام على المسير وحضّ الناس على ذلك.

قال ابن مردويه: قال ابن أبي حازم التميمي وأبو وائل: قال أمير المؤمنين عليه السلام: انفروا إلى بقيّة الأحزاب أولياء الشيطان انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله.

وجاء رجل من عَبس إلى أمير المؤمنين عليه السلام [بكتاب من معاوية] فسأل: ما الخبر؟ فقال: إنّ في الشام يلعنون قاتلي عثمان ويبكون على قميصه. فقال أمير المؤمنين: ما قميص عثمان بقميص يوسف ولا بكاؤهم إلاّ كبكاء أولاد يعقوب فلمّا فتح الكتاب وجده بياضاً فحولق. فقال قيس بن سعد:

ولست بناج من عليّ وصحبه وإن تك في جابلق لم تك ناجيا

وكتب [معاوية] إلى أمير المؤمنين عليه السلام: ليت القيامة قد قامت فترى المحقّ من المبطل!! فقال أمير المؤمنين عليه السلام [في جوابه]: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾(١).

فقال لعبد الله بن أبي رافع اكتب:

إنّ بيعتي شملت الخاص والعام وإنّما الشورى للمؤمنين من المهاجرين الأوّلين السّابقين بالإحسان من البدريين وإنّما أنت طليق ابن طليق لعين ابن لعين وثن ابن وثن ليست لك هجرة ولا سابقة ولا منقبة ولا فضيلة وكان أبوك من الأحزاب الّذين حاربوا الله ورسوله فنصر الله عبده وصدق وعده وهزم الأحزاب ثمّ وقع في آخر الكلام:

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم أجابوا وإن يغضب على القوم يغضب

وكتب معاوية اتّق الله يا عليّ وذر الحسد فطالما لم ينتفع به أهله إلى آخر كتابه اللعين.

فأجابه عليه السلام بعد كلام طويل: عظتي لا تنفع من حقّت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقاراً ولم يخف [له] حذاراً فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله عزّ وجلّ في ذلك بالمرصاد.

ثم قال في آخره: فأنا أبو الحسن قاتل جدّك عتبة وعمك شيبة وأخيك حنظلة الّذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر وذلك السّيف معي وبذلك القلب ألقى عدوّي فنهاه عمرو عن مكاتبته ولم يكتب إلاّ بيتاً:

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قاتلت الناكثين وهؤلاء القاسطين وسأقاتل المارقين. ثم ركب فرس النبيّ صلى الله عليه وآله وقصده في تسعين ألفاً.

قال سعيد بن جبير: منها تسعة مائة رجل من الأنصار وثمانمائة من المهاجرين.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: سبعون رجلاً من أهل بدر ويقال: مائة وثلاثون رجلاً.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٨.

وخرج معاوية في مائة وعشرين ألفاً يتقدمهم مروان وقد تقلّد بسيف عثمان فنزل صفّين في المحرّم على شريعة الفرات وقال:

أتاكم الكاشر عن أنيابه ليث العرين جاء في أصحابه

ومنعوا عليّاً عليه السلام وأصحابه الماء.

فأنفذ عليّ عليه السلام شبث بن ربعي الرياحي وصعصعة بن صوحان فقالا في ذلك لطفاً وعنفاً فقال: أنتم قتلتم عثمان عطشاً.

فقال [عليّ] عليه السلام: رووا السيوف من الدّماء تُرْوَوا من الماء إلى آخر ما مرّ.

[فرجز الأشتر والأشعث] وحملا في سبعة عشر ألف رجل حملة رجل واحد فتفرق بعضهم وانهزم الباقون فأمر عليّ عليه السلام أن لا يمنعوهم الماء.

وكان نزوله عليه السلام بصفّين لليالي بقين من ذي الحجّة سنة ست وثلاثين.

وأنفذ سعيد بن قيس الهمدانيّ وبشر بن عمرو الأنصاري [إلى معاوية] ليدعوه إلى الحقّ فانصرفا بعدما احتجّا عليه.

ثم أنفذ شبث بن ربعي الرياحي وعدي بن حاتم الطّائي ويزيد بن قيس الأرحبيّ وزياد بن حفص بمثل ذلك. فكان معاوية يقول: سلّموا [إليّ] قتلة عثمان لأقتلهم به ثم نعتزل الأمر حتى يكون شورى.

فتقاتلوا في ذي الحجّة وأمسكوا في المحرّم فلما استهل صفر سنة سبع وثلاثين أمر عليّ عليه السلام فنودي في أهل الشام بالإعذار والإنذار ثم عبأ عسكره فجعل على ميمنته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل.

وعلى ميسرته محمّد بن الحنفية ومحمّد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال.

وعلى القلب عبد الله بن العبّاس وعبّاس بن ربيعة بن الحارث والأشتر والأشعث.

وعلى الجناح سعيد بن قيس الهمداني وعبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ورفاعة بن شدّاد البجلي وعدي بن حاتم.

وعلى الكمين عمّار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن واثلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي. وجعل معاوية على ميمنته ذا الكلاع الحميري وحوشب ذا الظليم وعلى الميسرة عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وعلى القلب الضحّاك بن قيس الفهري وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الساقة بسر بن أرطأة الفهري وعلى الجناح عبد الله بن مسعدة الفزاري وهمّام بن قبيصة النمري وعلى الكمين أبا الأعور السّلمي وحابس بن سعد الطّائي.

فبعث عليّ عليه السلام إلى معاوية أن اخرج إليّ أبارزك فلم يفعل.

وقد جرى بين العسكرين أربعون وقعة يغلبها أهل العراق أوّلها يوم الأربعاء بين الأشتر وحبيب بن مسلمة والثاني بين المرقال وأبي الأعور السلمي والثالث بين عمّار وعمرو بن

العاص والرابع بين ابن الحنفيّة وعبيدالله بن عمر والخامس بين عبد الله بن العبّاس والوليد بن عقبة والسادس بين سعيد بن قيس وذي الكلاع إلى تمام الأربعين وقعة آخرها ليلة الهرير.

وخرج عوف بن عون الحارثي قائلاً:

إنّي أنا عوف أخو الحروب ... صاحبها ولست بالهيوب

فبارزه علقمة [بن عمرو] قائلاً:

يا عوف لو كنت امرءاً حازماً ... لم تبرز الدهر إلى علقمة
لقيت ليثاً أسداً باسلاً ... يأخذ بالأنفاس والغلصمة

وخرج أحمر مولى عثمان قائلاً:

إنّ الكتيبة عند كلّ تصادم ... تبكي فوارسها على عثمان

فأجابه كيسان مولى عليّ عليه السلام:

عثمان ويحك قد مضى لسبيله ... فاثبت لحدّ مهند وسنان

فقتله الأحمر فقال عليه السلام: قتلني الله إن لم أقتلك وأخذ بجربّان درعه ورفعه وضربه على الأرض وجعل يجول في الميدان ويقول:

لهف نفسي وقليل ما أسرّ ... ما أصاب الناس من خير وشر
لم أرد في الدهر يوماً حربهم ... وهم الساعون في الشرّ الشمر

فحثّ معاوية غلامه حريثاً أن يغتال علياً في قتله فطيّر أمير المؤمنين عليه السلام قحفه في الهواء وجعل يجول ويقول:

ألا احذروا في حربكم أبا الحسن ... فلا تروموه فذا من الغبن
فإنّه يدقه دقّ الطحن ... فلا يخاف في الهياج مَن ومَن

وخرج عمرو بن العاص مرتجزاً يقول:

لا عيش إن لم ألق يومي هاشما ... ذاك الّذي جشّمني المجاشما
ذاك الذي يشتم عرضي ظالما ... ذاك الذي لم ينج منّي سالما

فبرز هاشم مرتجزاً:

ذاك الذي نذرت فيه النذرا ... ذاك الذي أعذرت فيه العذرا
ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا ... أو يحدث الله لأمر أمرا

فضربه هاشم وخرج عبد الرحمن بن خالد بن وليد يقول:

قل لعليّ هكذى الوعيد ... أنا ابن سيف الله لا مزيد
وخالد تربية الوليد ... قد افتر الحرب فزيد وازيدوا

فبرز الأشتر مرتجزاً يقول:

يا ربّ جنّبني سبيل الفجرة بالضرب أو في ميتة مؤخرة
واجعل وفاتي بأكفّ الكفرة ولا تخيّبني ثواب البررة

فضربه الأشتر فانصرف قائلاً: أفنانا دم عثمان. فقال معاوية: هذه قاشرة الصباة في اللعب فاصبر فإنّ الله مع الصابرين.

وخرج معاوية يشير إلى همدان وهو يقول:

لا عيش إلاّ فلق قحف الهام من أرحب ويشكر شبام
قوم هم أعداء أهل الشام كم من كريم بطل همام
وكم قتيل وجريح دامي كذاك حرب السادة الكرام

فبرز سعيد بن قيس يرتجز ويقول:

لا هم رب الحلّ والحرام لا تجعل الملك لأهل الشام

فحمل وهو مشرع رمحه فولّى معاوية هارباً ودخل في غمار القوم وجعل قيس يقول:

يا لهف نفسي فاتني معاوية على طمرّ كالعقاب هاوية
والرّاقصات لا يعود ثانية إلاّ هوى معفّراً في الهاوية

وبرز ابو الطفيل الكناني قائلاً:

تحامت كنانة في حربها وحامت تميم وحامت أسد
وحامت هوازن من بعدها فما حام منها ومنهم أحد
طحنّا الفوارس يوم العجاج وسقنا الأرازل سوق النكد

وجال عليّ عليه السلام في الميدان قائلاً:

أنا عليّ فاسألوني تخبروا ثم ابرزوا لي في الوغى وابدروا
سيفي حسام وسناني يزهر منّا النبي الطّاهر المطهّر
وحمزة الخير ومنّا جعفر وفاطم عرسي وفيها مفخر
هذا لهذا وابن هند محجر مذبذب مطرّد مؤخر

فاستخلفه عمرو بن الحصين بن السكوني على أن يطعنه فرآه سعيد بن قيس فطعنه وأنشد:

أقول له وفي رمحي حشاه وقد قرّت بمصرعه العيون
ألا يا عمرو عمرو بني حصين وكلّ فتى ستدركه المنون
أتطمع أن تنال أبا حسين بمعضلة وذا ما لا يكون

وأنفذ معاوية ذا الكلاع إلى بني همدان فاشتبكت الحرب بينهم إلى اللّيل ثم انهزم أهل الشام. ثم أنشأ أمير المؤمنين عليه السلام أبياتاً منها:

فوارس من همدان ليسوا بعزّل غداة الوغى من شاكر وشبام
يقودهم حامي الحقيقة ماجد سعيد بن قيس والكريم محامي
جزى الله همدان الجنان فإنّهم سمام العدى في كلّ يوم حمام

وبرز أبو أيوب الأنصاري فنكلوا عنه فحاذى معاوية حتى دخل فسطاطه فترفع ابن منصور فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

وعلّمنا الحرب آباؤنا وسوف نعلّم أيضاً بنينا

وخرج رجل في براز رجل كوفي فصرعه الكوفي فإذا هو أخوه فقالوا: خلّه فأبى أن يطلقه إلاّ بأمر عليّ فأذن له بذلك.

وبرز عبد الله بن خليفة الطائي في جماعة من طي وارتجز:

يا طيّ طيّ السهل والأجبال ألا اثبتوا بالبيض والعوالي
فقاتلوا أئمة الضلال

وخرج من العسكرين زهاء ألف رجل فاقتتلوا حتّى لم يبق منهم أحد وفيهم يقول شبث بن ربعي:

وقاتلت الأبطال منّا ومنهم وقامت نساء حولنا بنحيب

وخرج بسر بن أرطأة مرتجزاً:

أكرم بجند طيّب الأردان جاؤا يكونوا أولياء الرحمان
إنّي أتاني خبر شجاني أن عليّاً نال من عثمان

فبرز إليه سعيد بن قيس قائلاً:

بؤساً لجند ضائع الإيمان أسلمهم بسر إلى الهوان
إلى سيوف لبني همدان

فانصرف بسر من طعنته مجروحاً.

وخرج أدهم بن لام القضاعي مرتجزاً:

أثبت لوقع الصارم الصقيل فأنت لا شك أخو قتيل

فقتله حجر بن عدي. فخرج الحكم بن الأزهر قائلاً:

يا حجر حجر بني عدي الكندي أثبت فإنّي ليس مثلي بعدي

فخرج إليه مالك بن مسهر القضاعي يقول:

أنا ابن مالك بن مسهر أنا ابن عمّ الحكم بن الأزهر

فأجابه حجر:

إنّي حجر وأنا ابن مسعر أقدم إذا شئت ولا تؤخّر

وبرز علقمة فأصيب في رجله.

وقتل من أهل العراق عمير بن عبيد المحاربي وبكر بن هوذة النخعي وابنه حيان وسعيد بن نعيم وابان بن قيس. فحمل عليّ عليه السلام فهزمهم فقال معاوية: كنت أرجو اليوم ظفراً.

وبرز الأشتر وجعل يقتل واحداً بعد واحد فقال معاوية في ذلك فبرز عمرو بن العاص في أربعمائة فارس إليه وتبع الأشتر مائتا رجل من نخع ومذحج وحمل الأشتر عليه فوقعت الطعنة في القربوس فانكسر وخرّ عمرو صريعاً وسقطت ثناياه فاستأمنه.

وبرز الأصبغ بن نباتة قائلاً:

حتّى متى ترجو البقا يا أصبغ   إنّ الرجاء للقنوط يدمغ

وقاتل حتى حرّك معاوية من مقامه.

وخرج عوف المرادي قائلاً:

أنا المرادي واسمي عوف   هل من عراقيّ عصاه سيف

فبرز إليه كعير الأسدي مرتجزاً فقتله ورأى معاوية على تلّ فقصد نحوه فلمّا قرب منه حمل عليه مرتجزاً:

ويلي عليك يا بني هند   أنا الغلام الأسدي حمد

فأخذه أهل الشام بالطعان والضّراب فانسلّ من بينهم قائلاً:

فلو نلته نلت الّذي ليس بعدها   من الأمر شيئاً غير مين مقال
ولو متّ من نيلي له ألف ميتة   لقلت لما قد نلت ليس أبالي

وخرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

فبرز إليه حارثة بن قدامة السعدي فقتله. فخرج أبو الأعور السلمي فانصرف من طعنته زياد ابن كعب الهمداني مجروحاً وقتل بنو همدان خلقاً كثيراً من أهل الشام فقال [معاوية]: بنو همدان أعداء عثمان. وبرز عمير بن عطار التميميّ في قومه قائلاً:

قد صابرت في حربها تميم   لها حديث ولها قديم
دين قديم وهدى قديم

فقاتلوا إلى الليل. وبرز قيس بن سعد وقال:

أنا ابن سعد وأبي عبادة   والخزرجيّون رجال سادة
حتّى متي أنثني إلى الوسادة   يا ذا الجلال لقّني الشهادة

فخرج بسر بن أرطاة الفهري وارتجز:

أنا ابن أرطأة الجليل القدر   في أسرة من غالب وفهر
إن أرجع اليوم بغير وتر   فقد قضيت في ابن سعد نذري

فانصرف مجروحاً من ضربة قيس.

وخرج المخارق بن عبد الرحمان فقتل المرادي ومسلم الأزدي ورجلين آخرين.

فبرز إليه عليّ عليه السلام متنكراً فقتله وقتل سبعة بعده.

وخرج كريب بن الصباح فقتل مبرقعاً الخولاني وشرحبيل البكري والحارث الحكيمي وعبد الرحمن الهمداني فقتله أمير المؤمنين ثم قتل الحارث بن وداع والمطاع بن المطّلب وعروة بن داود. وخرج مولى لمعاوية مرتجزاً:

إنّي أنا الحارث ما بي من خور مولى ابن صخر وبه قد انتصر

فقتله قنبر.

وخرج يزيد الكلبي فقتله الأشتر وخرج مشجع الجذامي فطعنه عدي بن حاتم.

ونادى خالد [ابن معمّر] السدوسي من يبايعني على الموت؟ فأجابه تسعة آلاف فقاتلوا حتّى بلغوا فسطاط معاوية فهرب معاوية فنهبوا فسطاطه.

وأنفذ معاوية إليه فقال يا خالد لك عندي إمرة خراسان متى ظفرت فأقصر ويحك عن فعالك هذا فنكل فتفل أصحابه في وجهه وحاربوا إلى الليل وفيه يقول النجاشي:

وفرّ ابن حرب غيّر الله وجهه وذاك قليل من عقوبة قادر

وخرج حمزة بن مالك الهمداني فقتله المرقال فهجموا على المرقال فقتلوه فأخذ سفيان ابن الثور رايته فقاتل حتى قتل ثم أخذها عتبة بن المرقال فقاتل حتى قتل فأخذها أبو الطفيل الكناني مرتجزاً:

يا هاشم الخير دخلت الجنة قتلت في الله عدوّ السنّة

فقاتل حتى جرح فرجع القهقرى. وأخذها عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي مرتجزاً:

أضربكم ولا أرى معاوية الأبرح العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أمّ هاوية جاوره فيها كلاب عاوية

فهَجَمُوا عليه وقتلوه. فأخذها عمرو بن الحمق قائلاً:

جزى الله فينا عصبة أيّ عصبة حسان وجوه صرّعوا حول هاشم

وقاتل أشدّ قتال فخرج ذو الظليم قائلاً:

أهل العراق ناسبوا وانتسبوا أنا اليمانيّ واسمي حوشب

من ذي الظليم أين أين المهرب

فبرز إليه سليمان بن صرد الخزاعي قائلاً:

يا أيّها الحي الّذي تذبذبا لسنا نخاف ذا الظليم حوشبا

فحملت الأنصار حملة رجل واحد وقتلوا ذا الكلاع وذا الظليم وساروا إليهم وكاد يؤخذ معاوية فقال الأنصاري:

معاويّ ما أفلتّ إلا بجرعة من الموت حتى تحسب الشمس كوكبا
فإن تفرحوا بابن البديل وهاشم فإنّا قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

وخرج عبيد الله بن عمر ودعا محمّد بن الحنفية فنهض محمّد فنهاه أبوه [وبرز هو عليه السلام إليه راجلاً فتقهقر عبيدالله] فقتله عبد الله بن سوار ويقال حريث بن خالد ويقال هانئ بن عمرو ويقال: محمد بن الصّبيح. فأمر معاوية بتقديم سبعين راية.

وبرز عمّار في رايات فقتل من أصحاب معاوية سبعمائة رجل ومن أصحاب عليّ مائتا رجل. وخرج عليّ عليه السلام في مقاتلة همدان وقال بعضهم: برك الجمل برك الجمل فبركوا وبركت أيضاً همدان فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

قد حمل القوم فبركاً بركا لا يدخل القوم على ما شكّا

وخرج عمرو بن العاص مرتجزاً فقصده الأشتر مرتجزاً:

إنّي أنا الأشتر معروف السّير إنّي أنا الأفعى العراقي الذكر

فهزمهم وجرح عمرواً.

وخرج الفراز بن الأدهم ودعا العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فقتله العباس فنهاه عليّ عليه السلام عن المبارزة.

فقال معاوية من قتل العباس فله عندي ما يشاء فخرج رجلان لخميان فدعاه أحدهما فقال: إن أذن لي سيّدي أبارزك وأتى علياً عليه السلام فبرز عليّ في سلاح العبّاس وفرسه متنكراً فقال الرّجل آذنك سيّدك؟ فقال عليه السلام: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ فقتله وتقدّم الآخر فقتله. وخرج قبيصة النميري وكان يشتم علياً ويرتجز:

أقدم إقدام الهزبر العالي في نصر عثمان ولا أبالي

فبرز عدي بن حاتم قائلاً:

يا صاحب الصّوت الرفيع العالي نفدي علـيّاً ولدي ومالي

وخرج حجل بن آثال العبسي فطلب البراز فبرز إليه ابنه آثال فلمّا رآه قال: انصرف إلى الشام فإنّ فيها أموالاً جمّة فقال ابنه: يا أبت انصرف إلينا وجنّة الخلد مع عليّ.

وعبّأ معاوية أربعة صفوف فتقدّم أبو الأعور السّلمي يحرّضهم ويقول: يا أهل الشام إيّاكم والفرار فإنّها سبّة وعار فدقّوا على أهل العراق فإنّهم أهل فتنة ونفاق.

فبرز سعيد بن قيس وعدي بن حاتم والأشتر والأشعث فقتلوا منهم ثلاثة آلاف ونيّفاً وانهزم الباقون. وخرج كعب بن جعيل شاعر معاوية قائلاً:

ابرز إليّ الآن يا نجاشي فإنني ليث لدى الهراش

فأجابه النجاشي شاعر عليّ عليه السلام وبرز إليه:

إربع قليلاً فأنا النجاشي لست أبيع الدين بالمعاش
انصر خير راكب وماش ذاك علي بين الرياش

وبرز عبد الله بن جعفر في ألف رجل فقتل خلقاً حتى استغاث عمرو بن العاص.

وأتى أويس القَرَني متقلّداً بسيفين ويقال: كان معه مرماة ومخلاة من الحصى فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام وودّعه وبرز مع رجالة ربيعة فقتل من يومه فصلّى عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه. ثمّ إنّ عماراً جعل يقاتل ويقول:

نحن ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحقّ إلى سبيله

فلم يزل يقاتل حتى قتل.

وبرز أمير المؤمنين عليه السلام ودعا معاوية وقال: أسألك أن تحقن الدماء وتبرز إليّ وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب فبهت معاوية ولم ينطق بحرف.

فحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الميمنة فأزالها ثمّ حمل على الميسرة فطحنها ثمّ حمل على القلب وقتل منهم جماعة وأنشد:

فهل لك في أبي حسن علي لعلّ الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فعكت عنه ولو بارزته تربت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين عليه السلام ثم برز متنكراً فخرج عمرو بن العاص مرتجزاً:

يا قادة الكوفة من أهل الفتن يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كفى بهذا حزناً من الحزن أضربكم ولا أرى أبا الحسن

فتناكل عنه عليّ عليه السلام حتى تبعه عمرو ثم ارتجز:

أنا الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبيض ليث كالشطن
يرضى به السّادة من أهل اليمن أبو الحسين فاعلمن أبو الحسن

فولّى عمرو هارباً فطعنه أمير المؤمنين فوقعت في ذيل درعه فاستلقى على قفاه وأبدا عورته فصفح عنه استحياءاً وتكرّماً.

فقال معاوية أحمد الله الذي عافاك واحمد استك الذي وقاك. قال أبو نواس:

فلا خير في دفع الرّدى بمذلة كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وقال حيص بيص:

قبح مخازيك هازم شرفي سوءة عمرو ثنت سنان علي

وبرز عليّ عليه السلام ودعا معاوية فنكل عنه وخرج بسر بن أرطاة يطمع في عليّ عليه السلام فصرعه أمير المؤمنين عليه السلام فاستلقى على قفاه وكشف على عورته فانصرف عنه عليّ عليه السلام فقال:

ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون من معاملة المخانيث لقد علّمكم رأس المخانيث عمرو. ولقد روى عن هذه السيرة عن أبيه عن جدّه في كشف الأستاه وسط عرصة الحروب.

فخرج غلامه لاحق ثم قال:

أرديت بسراً والغلام ثائرة ... وكلّ آب من عليه قادرة

فطعنه الأشتر قائلاً:

في كلّ يوم رجل شيخ بارزة ... وعورة وسط العجاج ظاهرة

أبرزها طعنة كف فاترة ... عمرو وبسر رهبا بالقاهرة

فلمّا رأى معاوية كثرة براز أمير المؤمنين عليه السلام أخذ في الخديعة فأنفذ عمرو إلى ربيعة خالاته فوقعوا فيه فقال: اكتب إلى ابن عبّاس وغرّه فكان فيما كتب:

طال البلاء فما ندري له آسى ... بعد الإله سوى رفق ابن عبّاس

فكان جواب ابن عبّاس:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس ... فاذهب فما لك في ترك الهدى آسي

إلاّ بوادر طعن في نحوركم ... تشجي النفوس له في النّقع إفلاس

إن عادت الحرب عدنا والتمس هرباً ... في الأرض أو سلماً في الأفق يا فاسي

ثم كتب معاوية إليه يذكر فيه: إنّما بقي من قريش ستّة أنا وعمرو بالشام ناصبان، وسعد وابن عمر بالحجاز، وعليّ وأنت بالعراق على خطب عظيم ولو بويع لك بعد عثمان لأسرعنا فيه. فأجابه ابن عباس:

دعوت ابن عبّاس إلى السّلم خدعة ... وليس لها حتى تموت بخادع

وأمر معاوية لابن خديج الكندي أن يكاتب الأشعث والنعمان بن بشير أن يكاتب قيس بن سعد في الصّلح. ثم أنفذ عمرواً وعتبة وحبيب بن مسلمة والضحّاك بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا كلّموه قال: أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فإن تجيبوا إلى ذلك فللرّشد أصبتم وللخير وفقتم وإن تأبوا لم تزدادوا من الله إلاّ بعداً. فقالوا: قد رأينا أن تنصرف عنّا فنخلّي بينكم وبين عراقكم وتخلّون بيننا وبين شامنا فنحن نحقن دماء المسلمين فقال عليه السلام: لم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله عزّ وجلّ على محمّد صلى الله عليه وآله

ثم برز الأشتر وقال: سوّوا صفوفكم وقال أمير المؤمنين: أيّها الناس من يبع يربح في هذا اليوم، في كلام له، ألا إنّ خضاب النساء الحنّاء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في عواقب الأمور ألا إنّها أحنٌ بدرية وضغائن أُحديّة وأحقاد جاهلية وقرأ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ فتقدم وهو يرتجز:

دبّوا دبيب النمل لا تفوتوا ... واصبحوا في حربكم وبيتوا

كيما تنالوا الدين أو تموتوا أو لا فإنّي طال ما عصيت
قد قلتم لو جئتنا فجيت

وحمل في سبعة عشر ألف رجل فكسروا الصفوف فقال معاوية لعمرو: اليوم صبر وغداً فخر. فقال عمرو: صدقت يا معاوية ولكن الموت حق والحياة باطل ولو حمل عليّ في أصحابه حملة أخرى فهو البوار. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنّة.

فبرز أبو الهيثم بن التيهان قائلاً:

أحمد ربي فهو الحميد ذاك الذي يفعل ما يريد
دين قويم وهو الرشيد

فقاتل حتى قتل. وبرز خزيمة بن ثابت قائلاً:

كم ذا يرجى أن يعيش الماكث والناس موروث وفيهم وارث
هذا على من عصاه ناكث

فقاتل حتّى قتل. وبرز عدي بن حاتم قائلاً:

أبَعْدَ عمار وبعد هاشم وابن بديل صاحب الملاحم
ترجو البقاء من بعد يا ابن حاتم

فمازال يقاتل حتى فقئ عينه. وبرز الأشتر مرتجزاً:

سيروا إلى الله ولا تعرّجوا دين قويم وسبيل منهج

وقتل جندب بن زهير فلم يزالوا يقاتلون حتّى دخل وقعة الخميس وهي ليلة الهرير وكان أصحاب عليّ عليه السلام يضربون الطبول من أربع جوانب عسكر معاوية ويقولون عليّ المنصور وهو يرفع رأسه إلى السماء ساعة بعد ساعة ويقول:

اللّهم إليك نقلت الأقدام وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدّت الأعناق وطلبت الحوائج وشخصت الأبصار اللّهم افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

و [كان] ينشد:

الليل داج والكباش تنتطح نطاح أسد ما أراها تصطلح
أسد عرين في اللقاء قد مرح منها قيام وفريق منبطح
فمن نجا برأسه فقد ربح

وكان يحمل عليهم مرّة بعد مرّة ويدخل في غمارهم ويقول الله الله في البقيّة الله الله في الحرم والذريّة فكانوا يقاتلون أصحابهم بالجهل.

فلما أصبح كان قتلى عسكره أربعة آلاف رجل وقتلى عسكر معاوية اثنين وثلاثين ألف رجل فصاحوا يا معاوية هلكت العرب فاستغاث هو بعمرو فأمره برفع المصاحف.

قال قتادة: القتلى يوم صفين ستّون ألفاً.

وقال ابن سيرين: سبعون ألفاً. وهو المذكور في أنساب الأشراف وضعوا على كلّ قتيل قصبة ثم عدّوا القصب(١).

بيان: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ قال الطبرسي رحمه الله: قيل: هم هوازن وخيبر وقيل: هم هوازن وثقيف. وقيل: هم بنو حنيفة مع مسيلمة وقيل: أهل فارس. وقيل: الروم. وقيل: هم أهل صفّين أصحاب معاوية انتهى.

واستدلّ على كونهم أصحاب معاوية بأنّ الله تعالى أخبر عن المتخلّفين بأنهم لن يتّبعوا الرّسول أبداً فلا بدّ أن يكون بعده صلى الله عليه وآله وبعده أصحاب معاوية أظهر من غيرهم أو الغرض محض نفي قول من قال: إنّها فيما وقع في حياته صلى الله عليه وآله.

وقال الفيروزآبادي: ربص بفلان ربصاً: انتظر به خيراً أو شراً يحلّ به كتربّص ويقال: ربصني أمر وأنا مربوص. والمراد بالشيخين طلحة والزبير.

وفي القاموس الدر: النفس واللبن وكثرته ولله درّه أي عمله. ولا درّ درّه: لا زكا عمله. ودرّ العِرْق: سال. قوله: «ما تبوح بها الخمر» باح بسرّه: أظهره. والضمير راجع إلى الخمر أي ما دام الخمر تظهر نفسها ولا يمكن كتمانها والباسل: البطل الشجاع. والعلقمة: المرارة. وجربّان القميص بضمّ الجيم والرّاء وتشديد الباء معرّب كريبان، شمرّ بكسر الشين والميم وتشديد الراء: أي شديد.

قوله عليه السلام: «من ومن» أي من هو ومن هو. وفي الديوان: وشرّ «من وهن» وبعده «وقد غذي بالباس في وقت اللين» والغبن بالتسكين في البيع وبالتّحريك في الرّأي. والطحن - بالكسر - الدقيق ولعل التحريك من ضرورة الشعر والوهن بالفتح وقد يحرّك: الضعف في العمل. وجشّمته الأمر تجشيماً: كلّفته. وفرس طمر بكسر الطاء والميم وتشديد الراء هو المستقر للوثب والعدو [قوله]: «كالعقاب هاوية» أي كالعقاب وقت هُويّها فإنّها أسرع. ونكد عيشهم: اشتدّ ورجل نكد أي عسر.

قوله عليه السلام: «ومنها جعفر» في الديوان: «وتربي جعفر» والترب بالكسر: من ولد معك. «هذا لهذا» أي هذا الفخر لهذا اليوم ولعلّه عذر للمفاخرة. وتقول: أجحرتُهُ إذا ألجأته إلى أن دخل جحره. والتذبذب: التحرّك. والمذبذب: المتردّد بين أمرين. أكرم بجند أي ما أكرمهم والأردان: جمع الردن بالضم: أصل الكمّ وطهارتها كناية عن كرم الأخلاق والأمانة. وشجاني أي أحزنني. والمين: الكذب.

قوله: «الأبرح العين» أقول: نسب في الديوان هذا الرّجز إليه عليه السلام وفيه: «الأخزر

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٤٨-٣٦٢.

العين» أي الضيق العين. والحاوية: البطن كلّه أو المعاء. والهاوية: الهواة والمرأة الثاكلة. ولطفها هنا ظاهر.

قوله عليه السلام: «أنا الغلام القرشي» في الدّيوان «أنا الإمام القرشي» وفيه: «كالشطن» و[زاد] بعد قوله: «من أهل اليمن»:

من ساكني نجد ومن أهل عدن   أبو حسين فاعلمن وأبو حسن

والأبلج: المشرق الوجه أو منفصل الحاجبين «والقطن» بالتحريك جبل لبني أسد و«الشطن» بالتحريك: الحبل الطويل. قوله: «يا فاسي» من الفسوة ويحتمل القاف.

قوله عليه السلام: «أولا» أي بل لا تقبلون قولي فإني كثيراً ما عصيت. وما كافة أو مصدرية.

قوله عليه السلام: «لو جئتنا» لو للتمنّي وزاد في الديوان في آخره:

ليس لكم ما شئتم وشيت   بل ما يريد المحيي المميت

وفي الديوان في الرّجز الآخر بعد قوله عليه السلام «تصطلح»:

أسد عرين في اللقاء قد مرح.

والعرين: مأوى الأسد. والعدول في «مرح» من الجمع إلى المفرد لضرورة الشعر وللإشعار بأنّها لاجتماعها كأسد واحد كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ ويقال: بطحه أي ألقاه على وجهه فانبطح. قوله عليه السلام: «الله الله» أي اتقوه واذكروه.

٤٧٣ - **شي**: عن أبي الأغرّ التميمي قال: إنّي لواقف يوم صفّين إذ مرّ بي العبّاس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب شاك في السلاح على رأسه مغفر وبيده صفيحة يمانية يقلّبها وهو على فرس له أدهم وكأنّ عينيه عينا أفعى فبينا هو يروض فرسه ويلين في عَريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم: يا عبّاس هلمّ إلى البراز. قال: فالنزول إذاً فإنّه أيأس من القفول. قال: فنزل الشاميّ ووجد وهو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا   أو تنزلون فإنّا معشر نزل

قال: وثنّى عباس رجله وهو يقول:

ويصدّ عنك مخيلة الرجل   العريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك   والكلم الأصيل كأرعب الكلم

ثم عصب فضلات درعه في حجزته ودفع فرسه إلى غلام يقال له أسلم كأنّي أنظر إلى قلاقل شعره ودلف كلّ واحد منهما إلى صاحبه قال: فذكرت قول أبي ذؤيب:

فتنازلا وتواقفت خيلاهما   وكلاهما بطل اللقاء مخدّع

قال ثم تكافحا بسيفهما مليّاً من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته إلى أن لحظ العباس وهياً [وَهناً «خ ل»] في درع الشّامي فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثندوته ثم عاود

لمحاولته وقد أصحر له مفتق الدرع فضربه العبّاس ضربة بالسيف فانتظم به جوانح صدره وخرّ الشامي صريعاً بخدّه وسما العبّاس في الناس وكبّر الناس تكبيرة ارتجّت لها الأرض فسمعت قائلاً يقول من ورائي: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ﴿١٥﴾﴾ فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: يا أبا الأغرّ من المبارز لعدوّنا؟ قلت: هذا ابن شيخكم العبّاس ابن ربيعة قال عليّ عليه السلام: يا عبّاس. قال: لبّيك. قال: ألم أنهك وحسناً وحسيناً وعبدالله بن جعفر أن تخلّوا بمركز أو تباشروا حَدَثاً؟ قال: إنّ ذلك لكذلك. قال: فما عدا ممّا بدا؟ قال: أفأُدعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلت فداك؟ قال: نعم طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوّك ودّ معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة إلاّ طعن في نيطه إطفاء لنور الله: «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون» أما والله ليهلكنّهم منّا رجال ورجال يسومونهم الخسف حتى يتكفّفوا بأيديهم ويحفروا الآبار. [ثم قال:] إن عادوا لك فعد لي.

قال: ونمى الخبر إلى معاوية فقال: الله دم عرار ألا رجل يطلب بدم عرار؟ قال فانتدب له رجلان من لخم فقالا: نحن له. قال: اذهبا فأيكما قتل العبّاس برازاً فله كذا وكذا فأتياه فدعواه إلى البراز فقال: إنّ لي سيّداً أؤامره.

قال: فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره فقال: ناقلني سلاحك بسلاحي فناقله قال: وركب أمير المؤمنين على فرس العبّاس ودفع فرسه وبرز إلى الشاميّين فلم يشكّا أنّه العبّاس فقالا له: أذن لك سيّدك فتحرّج أن يقول نعم فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾(١) قال: فبرز إليه أحدهما فكأنّما اختطفه ثمّ برز إليه الثاني فألحقه بالأول وانصرف وهو يقول: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾(٢) ثمّ قال: يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي.

قال: ونمى الخبر إلى معاوية فقال: قبّح الله اللّجاج إنه لقعود ما ركبته قطّ إلاّ خذلت.

فقال عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت. قال: اسكت أيّها الشيخ فليس هذه من ساعاتك. قال: فإن لم يكن فَرَحم الله اللخميين وما أراه يفعل. قال: ذلك والله أضيق لجحرك وَأخسَر لصفقتك. قال أجل ولولا مصر لقد كانت المنجاة منها. فقال: هي والله أعمَتْك ولولاها لألفيت بصيراً(٣).

بيان: [و] رواه ابن أبي الحديد عن ابن قتيبة من كتاب عيون الأخبار عن أبي الأغرّ بأدنى تغيير وزاد بعد قوله: «من إجابة عدوّك»: ثم تغيّظ واستطار حتّى قلت الساعة الساعة ثم سكن

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٨٥ ح ٣٠ من سورة التوبة.

وتطامن ورفع يديه مبتهلاً وقال: اللّهم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه. وساق الخبر إلى قوله: «فقال عليّ: فوالله لودّ معاوية».

والمخيلة: الظنّ والكبر. والعريض كسكيت: من يتعرّض للنّاس بالشرّ أي يمنع عنك ظنّ المتعرض للشرّ وكبره وخيلاءه ضربة أو شجة موضحة عن العظم أو كلام بلسانك فإنّ الكلام الأصيل في التأثير كأرعب الكلم أي الجرح وفي بعض النسخ: «قارعة الكلم» بالقاف أو الفاء أي تفوقه وتزيد عليه والأوّل أظهر. والعصب: الطيّ الشديد. والقلاقل بالضمّ: السريع التحرّك. ودلف: مشى بتثاقل كمشي الشيخ. ودلفت الكتيبة في الحرب: تقدّمت.

قال الجوهري: قال الأصمعي: كافحوهم إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس. وقال: مضى مليّ من النهار أي ساعة طويلة. وقال الجوهري: اللأمة: الدّرع اللامة.

وقوله عليه السلام: «فَما عَدا مِمَّا بَدا» أي ما صرفك عمّا ظَهَرَ لك. وقدْ مرّ سابقاً.

وقال [الجوهري]: الضّرمة السّعفة أو الشّحة في طرفها نار يقال ما بِها نافخ ضرَمة أي أحد. وقال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام: «والله لودّ معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمةٍ إلا طعن في نيطه» الضرمة بالتحريك: النار وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك لأنّ النار ينفخها الصغير والكبير والذكر والأنثى أي ما بقي أحد منهم.

ويقال: طعن في نيطه أي في جنازته ومن ابتدأ في شيء أو دخله فقد طعن فيه ويروى طُعِنَ على ما لم يسمّ فاعله. والنيط نياط القلب وهو علاقته.

وقال في [مادة] «نيط»: يقال طعن في نيطه وجنازته إذا مات. والقياس النوط لأنّه من ناط ينوط إذا علق غير أن الواو تعاقب الياء في حروف كثيرة. وقيل: النيط نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلّق به.

وقال الجوهري: سامه خسفاً أي أولاه ذلاً ويقال: كلّفه المشقّة والذُلّ. وقال: استكفّ وتكفّف بمعنى وهو أن يمدّ كفّه يسأل الناس يقال فلان يتكفكف الناس. وقال: القعود من الإبل هو البكر حين يركب أي يمكّن ظهره من الركوب.

قوله «أضيق لجحرك» أي إقرارك ببطلان أمرنا يضيق الأمر عليك ويجعل صفقتك أي بيعتك لي خاسرة بائرة.

٤٧٤ - جا: التمّار عن محمّد بن الحسن عن أبي نعيم عن صالح بن عبد الله عن هشام عن أبي مخنف عن الأعمش عن أبي إسحاق السبيعي عن الأصبغ بن نباتة قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أيّها الناس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي إنّ الخيلاء من التجبّر والنخوة من التكبّر وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل.

ألا إنّ المسلم أخو المسلم فلا تنابزوا ولا تخاذلوا فإنّ شرائع الدين واحدة وسُبله قاصدة من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق ومن فارقها محق.

ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن ولا بالمخلف إذا وعد ولا بالكذوب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الحق وفعلنا القسط ومنّا خاتم النبيّين وفينا قادة الإسلام وأمناء الكتاب ندعوكم إلى الله وإلى رسوله وإلى جهاد عدوّه والشدّة في أمره وابتغاء مرضاته وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء لأهله.

ألا وإن [من] أعجب العجب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السّهمي يحرّضان النّاس على طلب دم ابن عمّهما و[قد علمتم] أنّي والله لم أخالف رسول الله ﷺ قط ولم أعصه في أمره قط أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وترعد منها الفرائص بقوّة أكرمني الله بها فله الحمد.

ولقد قبض النبيّ ﷺ وإنّ رأسه لفي حجري ولقد وليت غسله بيدي تقلّبه الملائكة المقرّبون معي وأيم الله ما اختلفت أمّة بعد نبيّها إلاّ ظهر باطلها على حقّها إلاّ ما شاء الله.

قال: فقام عمّار بن ياسر رضي الله عنه فقال: أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أنّ الأمّة لم يستقم عليه. [قال:] فتفرّق الناس وقد نفذت بصائرهم(١).

٤٧٥ - **كشف:** خرج من عسكر معاوية المخراق بن عبد الرحمٰن وطلب البراز فخرج إليه من عسكر عليّ عليه السلام المؤمّل بن عبيد الله المرادي فقتله الشامي فنزل فجزّ رأسه وحكّ وجهه بالأرض وكبّه على وجهه فخرإليه فتى من الأزد اسمه مسلم بن عبد ربّه فقتله الشاميّ وفعل به كما فعل فلمّا رأى عليّ عليه السلام ذلك تنكّر والشامي واقف يطلب البراز فخرج إليه وهو لا يعرفه فطلبه فبدره عليّ عليه السلام بضربة على عاتقه فرمى بشقّه فنزل فاجتزّ رأسه وقلب وجهه إلى السّماء وركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس فقتله وفعل له كما فعل وركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس فقتله وفعل كما فعل كذا إلى أن قتل سبعة فأحجم عنه الناس ولم يعرفوه.

وكان لمعاوية عبد يسمّى حرباً وكان شجاعاً فقال له معاوية: ويلك يا حرب اخرج إلى هذ الفارس فاكفني أمره فقد قتل من أصحابي ما قد رأيت فقال له حرب: إنّي والله أرى مقام فارس لو نزل إليه أهل عسكرك لأفناهم عن آخرهم فإن شئت برزت إليه واعلم أنه قاتلي وإن شئت فاستبقني لغيره فقال معاوية: لا والله ما أحبّ أن تقتل فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك. وجعل عليّ عليه السلام يناديهم ولا يخرج إليه أحد فرفع المغفر عن رأسه ورجع إلى عسكره.

فخرج رجل من أبطال الشام اسمه كريب بن الصبّاح فطلب البراز فخرج إليه المبرقع

(١) أمالي المفيد، ص ١٤٥ مجلس ٢٧ ح ٢٥.

الخولاني فقتله الشامي وخرج إليه آخر فقتله أيضاً فرأى عليّ عليه السلام فارساً بطلاً فخرج إليه عليّ عليه السلام بنفسه فوقف قبالته وقال له: من أنت قال: أنا كريب بن الصباح الحميري فقال له عليّ عليه السلام: ويحك يا كريب إنّي أحذّرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنّة نبيّه فقال كريب: من أنت؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالب فالله الله في نفسك فإنّي أراك فارساً بطلاً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا وتصون نفسك من عذاب الله ولا يدخلنّك معاوية نار جهنم. فقال كريب: ادن منّي إن شئت وجعل يلوّح بسيفه فمشى إليه عليّ عليه السلام والتقيا بضربتين فبدره عليّ عليه السلام فقتله فخرج إليه الحرث بن الحميري فقتله وآخر فقتله حتى قتل أربعة وهو يقول: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ثم صاح عليّ عليه السلام يا معاوية هلمّ إلى مبارزتي ولا تفنينّ العرب بيننا. فقال معاوية: لا حاجة لي في ذلك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك.

فصاح شخص من أصحاب معاوية اسمه عروة بن داود يا عليّ إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلمّ إلى مبارزتي فذهب عليّ عليه السلام نحوه فبدره عروة بضربة فلم يعمل شيئاً وضربه عليّ فأسقطه قتيلاً ثم قال: انطلق إلى النار. وكبر على أهل الشام قتل عروة وجاء الليل.

وخرج عليّ عليه السلام في يوم آخر متنكراً فطلب البراز فخرج إليه عمرو بن العاص وهو لا يعرف أنّه عليّ وعرفه عليّ عليه السلام فاطّرد بين يديه ليبعده عن عسكره فتبعه عمرو مرتجزاً:

يا قادة الكوفة يا أهل الفتن ... أضربكم ولا أرى أبا الحسن

فرجع إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

أبو الحسين فاعلمنّ والحسن ... جاءك يقتاد العنان والرّسن

فعرفه عمرو فولى ركضاً ولحقه عليّ فطعنه طعنة وقع الرمح في فضول درعه فسقط إلى الأرض وخشي أن يقتله فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف عليّ عليه السلام وجهه وانصرف إلى عسكره.

وجاء عمرو ومعاوية يضحك منه فقال:ممّ تضحك والله لو بدا لعليّ من صفحتك ما بدا له من صفحتي إذاً لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأنهب مالك فقال معاوية: لو كنت تحتمل مزاحاً لمازحتك فقال عمرو: وما أحملني للمزاح ولكن إذا لقي الرجل رجلاً فصدّ عنه ولم يقتله أتقطر السماء دماً؟ فقال معاوية: لا ولكنّها تعقب فضيحة الأبد حيناً وحيناً أما والله لو عرفته لما أقدمت عليه.

وكان في أصحاب معاوية فارس مشهور بالشجاعة اسمه بسر بن أرطأة فلمّا سمع بسر عليّاً عليه السلام يدعو معاوية إلى البراز ومعاوية يمتنع قال: قد عزمت على مبارزة عليّ فلعلّي أقتله فأذهب بِشُهْرَتِهِ في العرب وشاور غلاماً يقال له لاحق فقال: إن كنت واثقاً من نفسك وإلاّ فلا تبارز إليه فإنّه والله الشجاع المطرق. [وأنشد]:

فأنت له يا بسر إن كنت مثله   وإلاّ فإنّ الليث للضبع آكل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه   وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال: ويحك هل هي إلاّ الموت ولا بدّ من لقاء الله على كلّ حال إمّا بموت أو قتل.

ثم خرج بسر إلى عليّ عليه السلام وهو ساكت بحيث لا يعرفه عليّ عليه السلام لحالة كانت صدرت منه. فلما نظر إليه عليّ عليه السلام حمل عليه فسقط بسر عن فرسه على قفاه ورفع رجليه وانكشفت سوأته فصرف عليّ عليه السلام وجهه عنه، ووثب بسر قائماً وسقط المغفر عن رأسه فصاح أصحاب عليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين إنّه بسر بن أرطأة فقال عليّ عليه السلام ذروه عليه لعنة الله. فضحك معاوية من بسر وقال: لا عليك فقد نزل بعمرو مثلها!. وصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشّام أما تستحيون لقد علّمكم ابن عاص كشف الأستاه في الحروب؟ وأنشد:

أفي كل يوم فارس ذو كريهة   له عورة وسط العجاجة بادية
يكفّ بها عنه عليّ سنانه   ويضحك منه في الخلاء معاوية
فقولا لعمرو وابن أرطأة أبصرا   سبيلكما لا تلقيا اللّيث ثانية
فلا تحمدا إلاّ الحيا وخُصاكما   هما كانتا والله للنّفس واقية
فلولاهما لم تنجوا من سنانه   وتلك بما فيها من العود ثانية

وكان بسر يضحك من عمرو فعاد عمرو يضحك منه!!

وتحامى أهل الشام عليّاً فخافوه خوفاً شديداً.

وكان لعثمان مولى اسمه أحمر فخرج يطلب البراز فخرج إليه كيسان مولى عليّ عليه السلام فحمل عليه فقتله فقال عليّ عليه السلام: قتلني الله إن لم أقتلك ثمّ حمل عليه فاستقبله بالسيف فاتقى عليّ عليه السلام ضربته بالحَجَفة ثم قبض ثوبه واقتلعه من سرجه وضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه ودنا منه أهل الشام فما زاده قربهم إسراعاً فقال له ابنه الحسن عليه السلام: ما ضرّك لو سعيت حتّى تنتهي إلى أصحابك فقال: يا بنيّ إنّ لأبيك يوماً لم يعدوه ولا به يبطئ عنه السّعي ولا يعجل به إليه المشي وإنّ أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وكان لمعاوية عبد اسمه حريث وكان فارساً بطلاً فحذّره معاوية من التعرّض لعليّ فخرج وتنكّر له فقال عمرو بن العاص لحريث: لا يفوتك هذا الفارس وعرف عمرو أنّه عليّ عليه السلام فحمل حريث فداخله عليّ وضربه ضربة أطار بها قحف رأسه فسقط قتيلاً واغتم معاوية عليه غمّاً شديداً وقال لعمرو: أنت قتلت حريثاً وغرّرته.

وخرج العبّاس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي فأبلى.

وخرج [إليه] فارس من أصحاب معاوية فتنازلا وتضاربا ونظر العباس إلى وَهْن في درع الشاميّ فضربه العبّاس على ذلك الوهن فقدّه باثنتين فكبّر جيش عليّ عليه السلام وركب العبّاس فرسه فقال معاوية: من خرج إلى هذا فقتله فله كذا وكذا.

فوثب رجلان من لخم من اليمن فقالا: نحن نخرج إليه فقال: اخرجا فأيّكما سبق إلى قتله فله من المال ما ذكرت وللآخر مثل ذلك فخرجا إلى مقرّ المبارزة وصاحا بالعبّاس ودعواه إلى القتال فقال: أستأذن صاحبي وأعود إليكما وجاء إلى عليّ عليه السلام ليستأذنه فقال له: أعطني ثيابك وسلاحك وفرسك ولبسها وركب الفرس وخرج إليهما [فظنّا] على أنّه العباس فقالا: استأذنت صاحبك؟ فتحرّج من الكذب فقرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فتقدّم إليه أحد الرجلين فالتقيا ضربتين ضربه عليّ عليه السلام على مراق بطنه قطعه باثنتين فظنّ أنّه أخطأه فلمّا تحرّك الفرس سقط قطعتين وغار فرسه وصار إلى عسكر عليّ عليه السلام وتقدّم الآخر فضربه عليّ عليه السلام فألحقه بصاحبه ثم جال عليهم جولة ورجع إلى موضعه. وعلم معاوية أنّه عليّ فقال: قبّح الله اللّجاج إنّه لقعود ما ركبته إلاّ خذلت. فقال عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميّان لا أنت. فقال له معاوية: اسكت أيّها الإنسان ليس هذه الساعة من ساعاتك. فقال عمرو: فإن لم تكن من ساعاتي فرحم الله اللخميّين ولا أظنّه يفعل.

وقال في وصف ليلة الهرير: فما لقي عليه السلام شجاعاً إلاّ أراق دمه ولا بطلاً إلاّ زلزل قدمه ولا مريداً إلاّ أعدمه ولا قاسطاً إلاّ قصر عمره وأطال ندمه ولا جمع نفاق إلاّ فرّقه ولا بناء ضلال إلاّ هدمه وكان كلّما قتل فارساً أعلن بالتكبير فأحصيت تكبيراته ليلة الهرير فكانت خمسمائة وثلاثاً وعشرين تكبيرة بخمسمائة وثلاثة وعشرين قتيلاً من أصحاب السّعير.

وقيل: إنّه في تلك الليلة فتق نيفق درعه لثقل ما كان يسيل من الدم على ذراعه وقيل: إنّ قتلاه عرفوا في النهار فإنّ ضرباته كانت على وتيرة واحدة إن ضرب طولاً قدّ أو عرضاً قطّ وكانت كأنها مكواة بالنار(١).

بيان: قال الجوهري القذال: جماع مؤخر الرأس وفي القاموس: نيفق السراويل بالفتح: الموضع المتّسع منه.

٤٧٦ - **بشا:** إبراهيم بن الحسين البصري عن محمّد بن الحسين بن عتبة عن محمد بن أحمد بن مخلد عن أبي المفضّل الشيباني عن محمّد بن محمد بن معقل عن محمّد بن أبي الصهبان عن البزنطي عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما كشفت النساء ذُيولهنّ عن مثله لا والله ما رأيت فارساً محدثاً يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفّين وعلى رأسه عمامة سوداء وكأنّ عينيه سراجا سليط يتوقدّان من تحتهما يقف على شرذمة شرذمة يحضّهم حتّى انتهى إلى نفر أنا فيهم وطلعت خيل لمعاوية تدعى

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص ٢٤٦.

بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب فاقشعرّ الناس لها لمّا رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فيم النخع والخنع يا أهل العراق هل هي إلا أشخاص ماثلة فيها قلوب طائرة لو مسّها سيوف قلوب أهل الحقّ لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح في يوم عاصف.

ألا فاستشعروا الخشية وتجلببوا السّكينة وادرعوا الصّبر وغضّوا الأصوات وقلقلوا الأسياف في الأغماد قبل السلة وانظروا الشزر واطعنوا الوجر وكافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والنّبال بالرماح وعاودوا الكرّ واستحيوا من الفرّ فإنّه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا إلى الموت مَشْيَةً سُجحاً فإنكم بعين الله عزّ وجلّ ومع أخي رسول الله صلى الله عليه وآله. وعليكم بهذا السرادق الأدلم والرواق المظلم فاضربوا ثبجه فإنّ الشّيطان راقد في كسره نافج حضنيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً فصمداً صمداً حتّى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ها أنا شادّ فشدّوا بسم الله حَم لا ينصرون.

ثم حمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وعلى ذرّيته حملته وتبعه خويلة لم يبلغ المائة فارس فأجالهم فها جولان الرحى المسرّحة بثقالها فارتفعت عجاجة منعتني النظر ثم انجلت فأثبتّ النظر فلم نر إلاّ رأساً نادراً ويداً طائحة فما كان بأسرع أن ولّوا مدبرين كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قَسْوَرَة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل وسيفه ينطف ووجهه كشقّة القمر وهو يقول: قاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون.

قال عكرمة: وكان ابن عبّاس رضي الله عنه يحدّث قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وقال: يا عليّ إنّك لمقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله(١).

بيان: قال في القاموس: نخع لي بحقي - كمنع -: أقرّ. والذبيحة: جاوز منتهى الذبح فأصاب نخاعها. وفلان الودّ والنصيحة: أخلصهما له. وأنخع الأسماء: أذلها وأقهرها. ونخع العود كفرح: جرى فيه الماء. وقال: الخانع: المريب الفاجر. وقد خنع كمنع. والخنعة: الفجرة والريبة. وكصبور: الغادر الذي يحيد عنك. وبالضم: الخضوع والذلّ. والخنع: التجميش والللين.

قوله عليه السلام: ماثلة أي قائمة أو متمثلة مشبهة بالإنسان [وقال الفيروزآبادي] في القاموس: مَثَلَ: قام منتصباً - كمثل بالضمّ - ولطأ بالأرض ضد زال عن موضعه. وفلان فلاناً: صار مثله. وفي بعض النسخ: «مائلة» من الميل أي عادلة عن الحق «فيها قلوب طائرة» أي من الخوف. والقيعة بالكسر: الأرض المستوي أو جمع القاع. «واطعنوا الوجر» بالجيم والراء المهملة قال في القاموس: أوجره بالرّمح: طعنه به في فيه. وفي النهاية: في حديث عبد الله بن

(١) بشارة المصطفى، ص ١٧٢.

أنيس: «فوجرته بالسيف وجراً» أي طعنته والمعروف في الطعن أوجرته الرّمح ولعلّه لغة فيه.

أو بالحاء المهملة وهو الحقد والغيظ. أو بالخاء والراي. وهو الطعن بالرّمح وغيره لا يكون نافذاً ولا يناسب إلاّ بتكلّف. أو بالجيم والزاي وهو السّريع الحركة وقد مرّ على وجه آخر. والمكافحة: المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه كالمنافحة ويروى بهما «والنبال بالرّماح» أي ارموهم بالنبال فإذا قربتم فاستعملوا الرّماح والعكس أظهركما سيأتي أي إذا لم تصل الرّماح فاستعملوا النبال كأنكم وصلتموها بها فيكون أنسب بالفقرة السابقة وكذا في النهاية أيضاً وقد مر. والأدلم: الأسود صورةً أو معنى كالمظلم.

قوله عليه السلام «نافج حضنيه» [الحِضن] بالكسر: ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر أو العضدين أو ما بينهما. ونفجت الشيء أي رفعته وعظمته قال في النهاية: كنّى به عن التعظّم والتكبر والخيلاء. وفي بعض النسخ «نافش» بالشين ولا يناسب المقام وقال في [مادّة بيت من] النهاية: في حديث الجهاد «إذا بُيِّتُّم فقولوا حم لا ينصرون» قيل: معناه اللّهم لا ينصرون ويريد به الخبر لا الدّعاء وأنّه لو كان دعاء لقال: لا ينصروا مجزوماً فكأنّه قال: والله لا ينصرون. وقيل: إنّ السور التي أوّلها «حم» سور لها شأن فَنَبّه أنّ ذكرها لشرف منزلتها مما يستظهر به على استنزال النّصر من الله وقوله: «لا ينصرون» كلام مستأنف كأنّه حين قال: قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها؟ فقال: لا ينصرون. «والخويلة» كأنه تصغير الخيل وإن لم «يساعده» القياس وتصغير الخول بمعنى الخدم والحشم.

وقال في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام: «تدقّهم الفتن دق الرحا بثفالها» الثفال بالكسر جلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق ويسمّى الحجر الأسفل ثفالاً بها والمعنى أنّها تدقّهم دق الرحا للحب إذا كانت مثفّلة ولا تثفّل إلاّ عند الطحن انتهى.

والعجاجة بالفتح: الغبار. وندر الشيء: سقط. وطاح يطوح ويطيح: هلك وأشرف على الهلاك وذهب وسقط. وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف. والقسورة: الأسد. وسيفه ينطف أي يقطر وفي النهاية: نَطَف الماء ينطِف وينطُف إذا قطر قليلاً قليلاً ومنه صفة المسيح ينطف رأسه ماءاً. والشقة بالكسر: القطعة المشقوقة ونصف الشيء إذا شقّ.

قوله صلى الله عليه وآله: «على تأويل القرآن» أي ليقبلوا منك تأويل القرآن أو أنّ آيات قتال المشركين والكافرين ظاهرها قتال من قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وباطنها يشتمل قتال من قاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا آية «وإن طائفتان» فليست بنازلة فيهم لعدم إيمان هؤلاء وإن كان عليه السلام قرأها في بعض المواطن إلزاماً عليهم مع أنّه يحتاج إجراؤها في ابتداء قتالهم إلى استدلال ونظر وقد مرّ شرح سائر اجزاء الخبر في رواية النّهج.

٤٧٧ - **كا**: عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة وفضيل ومحمّد بن

مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشة: يصلّي كلّ إنسان منه بالإيماء حيث كان وجهه وإن كانت المسايفة والمعانقة وتلاحم القتال فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى ليلة صفّين وهي ليلة الهرير لم تكن صلواتهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء عند كلّ وقت صلاة إلاّ التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء فكانت تلك صلواتهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة[1].

٤٧٨ - فر: إبراهيم بن بنان الخثعمي عن جعفر بن أحمد بن يحيى عن عليّ بن أحمد بن القاسم الباهلي عن ضرار بن الأزور أنّ رجلاً من الخوارج سأل ابن عبّاس رضي الله عنه عن أمير المؤمنين عليه السلام عليّ بن أبي طالب فأعرض عنه ثمّ سأله فقال: والله لقد كان أمير المؤمنين يشبه القمر الزاهر والأسد الخادر والفرات الزاخر والربيع الباكر فأشبه من القمر ضوءه وبهاءه ومن الأسد شجاعته ومضاءه ومن الفرات جوده وسخاءه ومن الرّبيع خصبه وحياءه عقمت النساء أن يأتين بمثل عليّ بعد النبيّ والله ما سمعت ولا رأيت إنساناً محارباً مثله وقد رأيته يوم صفّين وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجان وهو يتوقف على شرذمة شرذمة يحضّهم ويحثّهم إلى أن انتهى إليّ وأنا في كنف من المسلمين فقال:

معاشر النّاس استشعروا الخشية وأميتوا الأصوات وتجلببوا بالسّكينة وأكملوا اللأمة وقلقلوا السيوف في الغمد قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الخزر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والرّماح بالنبال فإنّكم بعين الله [و] مع ابن عمّ نبيّكم وعاودوا الكر واستحيوا من الفرّ فإنّه عار باق في الأعقاب ونار يوم الحساب فطيبوا عن أنفسكم أنفساً واطووا عن الحياة كشحاً وامشوا إلى الموت مشياً وعليكم بهذا السّواد الأعظم والرّواق المطنّب فاضربوا ثبجه فإن الشيطان عليه اللعنة راكد في كسره نافج حضنيه ومفترش ذراعيه قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

قال: وأقبل معاوية في الكتيبة الشهباء وهي زهاء عشرة آلاف بجيش شاكّين في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق تحت المغافر فقال عليه السلام:

ما لكم تنظرون بما تعجبون؟ إنّما هم جثثٌ ماثلة فيها قلوب طائرة مزخرفة بتمويه الخاسرين ورجل جراد زفت به ريح صبا ولفيف سداه ولحمته الضلالة وصرخ بهم ناعق البدعة وفيهم خور الباطل وضحضحة المكاثر فلو قد مسّها سيوف أهل الحقّ لتهافتت تهافت الفراش في النار ألا فسوّوا بين الرّكب، وعضّوا على النواجذ واضربوا القوابض بالصّوارم وأشرعوا الرّماح في الجوانح وشدّوا فإني شادّ حم لا ينصرون.

فحملوا حملة ذي لبد فأزالوهم عن مصافّهم ودفعوهم عن أماكنهم ورفعوهم عن مراكبهم

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٢٣٨ باب ٢٥٨ ح ٢.

وارتفع الرّهج وخمدت الأصوات فلا يسمع إلاّ صلصلة الحديد وغمغمة الأبطال ولا يرى إلاّ رأس نادر ويد طائحة وأنا كذلك إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من موضع يريد أن ينجلي من الغبار وينفذ العلق من ذراعيه سيفه يقطر الدماء وقد انحنى كقوس النازع وهو يتلو هذه الآية: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فما رأيت قتالاً أشدّ من ذلك اليوم.

يا بنيّ إنّي أرى الموت لا يقلع ومن مضى لا يرجع ومن بقي فإليه ينزع إنّي أوصيك بوصيّة فاحفظها واتقّ الله وَلْيَكُن أولى الأمر بك الشكر لله في السرّ والعلانية فإنّ الشكر خير زاد(١).

بيان: قال في القاموس: الخدر: أجمة الأسد ومنه أسد الخادر. والربيع الباكر أي أوّل ما دخل فإنّه أكثر مطراً وأظهر آثاراً وكل من بادر إلى شيء فقد أبكر إليه وبكّر أي وقت كان. والباكورة: أوّل الفاكهة ذكره الجوهري وقال: مضى الأمر مضاءاً: نفذ. وقال: الحياء مقصوراً: الخصب والمطر. «وأنا في كنف» أي في ناحية وجانب. وفي بعض النسخ «في كتيبة» وهو أظهر والرجل: الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة. والخور: الضعف. وضحضحة المكاثر هي التوهيم والتهديد الذي يأتي به المكاثر ويدّعيه ولا أصل له. قال في القاموس: ضحضح السراب: ترقرق والضّحضحة جري السراب. «واضربوا القوانِص» أي الأعناق والصدور تشبيهاً بقانِصة الطير أو الفرق التي يريدون اصطيادكم من قَنَصَهُ أي صاده. ويحتمل القوابض بالباء والضاد المعجمة أي الأيدي القابضة. والصّارم: السّيف القاطع. وأشرعت الرّمح قبله أي سدّدت وكذا شرعت. والجوانح: الأضلاع التي تلي الصدر. والشدّة بالفتح: الحملة في الحرب. والرّهج بالتحريك: الغبار. والغمغمة: أصوات الأبطال في القتال. وفي القاموس: اللبدة بالكسر: شعر زبرة الأسد وكنيته ذو لِبدة.

٤٧٩ - **نهج** ومن كلامه عليه السلام لمّا عزم على لقاء القوم بصفّين:

اللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ، لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَرَبَّ هٰذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالأَنْعَامِ، وَمَا لا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لا يُرَى، وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ. أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ!(٢)

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٤٣١ في تفسيره للآية ٩ من سورة الحجرات.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٤٥ خ ١٦٩.

بيان الجوّ: مَا بين السماء والأرض. والهواء. وغاض الماء غيضاً: نضب وقلّ. والمراد هنا بالسّقف المرفوع السماء وبالجوّ المكفوف السماء أيضاً من كفّه أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض أو الهواء لكونه مضموماً بالسماء محفوظاً عن الانتشار كما ورد في الدعاء «وسدّ الهواء بالسماء» لكن يأبى عنه وصفه بكونه مجرىً للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيّارة وكونه مغيضاً للّيل والنّهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة الليل وعن وجهها لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما. وقيل: المغيض الغيضة وهي في الأصل الأجمة يجتمع إليها الماء فيسمّى غيضة ومغيضاً وينبت فيها الشجر وكذلك اللّيل والنّهار يتولدان من جريان الفلك فكان كالغيضة لهما والاختلاف: التردّد. قوله عليه السلام: «سبطاً» أي قبيلة. قوله عليه السلام: «قراراً» أي موضع استقرارهم و«ومدرجاً» أي موضع سيرها وحركاتها والهوام: الحشرات قوله عليه السلام: «وللخلق اعتماداً» لأنهم يجعلونها مساكن لهم ويستغنون عن بناء جدار مثلاً ولأنّها من أمّهات العيون ومنابع المياه وفيها المعادن والأشجار والثمار والأعشاب فهي معتمد للخلق في مرافقهم ومنافعهم وذمار الرجل: كل شيء يلزمه الدّفع عنه وإن ضيّعه لزمه الذّم أي اللوم والحقائق الأمور الشديدة. العار ورائكم أي يسوقكم إلى الحرب ويمنعكم من الهرب وفي بعض النسخ «النّار» بهذا الوجه أو لأن الهارب مصيره إليها.

٤٨٠ - **نهج:** روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجّاج مع ابن الأشعث أنّه قال فيما كان يحضّ به الناس على الجهاد: إنّي سمعت عليّاً عليه السلام رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصدّيقين يقول يوم لقينا أهل الشام: أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدْعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسّيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السّفلى فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين(١).

بيان: قوله عليه السلام: فقد سلم وبرئ أي من العذاب المترتّب على فعل المنكر والرضا به لأنّه خرج بمجرّد ذلك عن العهدة.

وقال ابن ميثم: إنّما خصّصه بالسّلامة والبراءة من العذاب لأنّه لم يحمل إثماً وإنّما لم يذكر له أجراً - وإن كان كل واجب يثاب عليه - لأنّ غاية إنكار المنكر دفعه والإنكار بالقلب ليس له في الظاهر تأثير في دفع المنكر فكأنّه لم يفعل ما يستحقّ به أجراً انتهى وفيه ما فيه.

٤٨١ - كتاب سليم بن قيس عن أبان بن أبي عياش عنه قال: سألت عبد الله بن عباس هل شهدت صفّين؟. قال: نعم قلت: هل شهدت يوم الهرير؟ قال: نعم قلت: كم كان أتى عليك

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧١١ قصار الحكم برقم ٣٧٢.

من السن؟ قال: أربعون سنة. قلت: فحدّثني رحمك الله. قال: نعم مهما نسيت من شيء من الأشياء فلا أنسى هذا الحديث ثم بكى وقال: صفّوا وصففنا فخرج مالك الأشتر على فرس أدهم وسلاحه معلّق على فرسه وبيده الرمح وهو يقرع به رؤوسنا ويقول: أقيموا صفوفكم فلمّا كتب الكتائب وأقام الصفوف أقبل على فرسه حتى قام بين الصفين فولّى أهل الشام ظهره وأقبل علينا بوجهه فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثم قال: أمّا بعد فإنّه كان من قضاء الله وقدره اجتماعنا في هذه البقعة من الأرض لآجال قد اقتربت وأمور تصرّمت يسوسنا فيها سيّد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيّين وابن عمّ نبيّنا وأخوه ووارثه وسيف من سيوف الله ورئيسهم ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقيّة الأحزاب يسوقهم إلى الشقاء والنار ونحن نرجو بقتالهم من الله الثواب وهم ينتظرون العقاب فإذا حمي الوطيس وثار القتام وجالت الخيل بقتلانا وقتلاهم رجونا بقتالهم النصر من الله فلا أسمعنّ إلاّ غمغمة أو همهمة.

أيّها الناس غضوا الأبصار وعضّوا على النواجذ من الأضراس فإنّها أشد لصرر الرأس واستقبلوا القوم بوجوهكم وخذوا قوائم سيوفكم بأيمانكم فاضربوا الهام واطعنوا بالرّماح ممّا يلي الشرّسوف فإنّه مقتل وشدّوا شدّة قوم موتورين بآبائهم وبدماء اخوانهم حنقين على عدوّهم قد وطّنوا أنفسهم على الموت لكيلا تذلّوا ولا يلزمكم في الدنيا عار.

ثم التقى القوم فكان بينهم أمر عظيم فتفرّقوا عن سبعين ألف قتيل من جحاجحة العرب وكانت الوقعة يوم الخميس من حيث استقلّت الشمس حتّى ذهب ثلث الليل الأوّل ما سجد لله في ذينك العسكرين سجدة حتى مرّت مواقيت الصلوات الأربع الظهر والعصر والمغرب والعشاء. قال سليم ثم إنّ علياً عليه السلام قام خطيباً فقال:

أيّها الناس إنّه قد بلغ بكم ما قد رأيتم بعدوّكم فلم يبق منهم إلاّ آخر نفس وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغوا فيكم ما قد بلغوا أنا غاد عليهم بالغداة إن شاء الله ومحاكمهم إلى الله.

فبلغ ذلك معاوية ففزع فزعاً شديداً وانكسر هو وجميع أصحابه وأهل الشام كذلك فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّما هو الليلة حتّى يغدوا علينا فما ترى؟ قال: أرى الرجال قد قلّوا وما بقي فلا يقومون لرجاله ولست مثله وإنما يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام علياً إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم ولكن ألق إليهم أمراً فإن ردّوه اختلفوا وإن قبلوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله وارفع المصاحف على رؤوس الرماح فإنّك بالغ حاجتك فإنّي لم أزل أدّخرها لك.

فعرفها معاوية وقال: صدقت ولكن قد رأيت رأياً أخدع به علياً طلبي إليه الشام على الموادعة وهو الشيء الأول الذي ردّني عنه.

فضحك عمرو وقال: أين أنت يا معاوية من خديعة عليّ وإن شئت أن تكتب فاكتب.

قال فكتب معاوية إلى عليّ عليه السلام كتاباً مع رجل من أهل السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة أمّا بعد فإنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمناه نحن لم يجنها بعضنا على بعض وإنا إن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منها ما يزمّ به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجوه ولا تخاف من الفناء إلاّ ما أخاف وقد والله رقّت الأكباد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ولا يسترقّ به ذليل والسّلام.

قال سليم فلما قرأ عليّ عليه السلام كتابه ضحك وقال: العجب من معاوية وخديعته لي فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع فقال له: اكتب:

أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك إلى ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وأنا وإيّاك يا معاوية على غاية منها لم نبلغها بعد.

وأمّا طلبك [إليّ] الشام فإنّي لم أعطك اليوم ما منعتك أمس.

وإمّا استواؤنا في الخوف والرجاء فإنّك قلت لست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين وليس أهل الشام أحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض فكذلك نحن ولكن ليس أميّة كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المنافق كالمؤمن ولا المحقّ كالمبطل وفي أيدينا فضل النبوّة التي ملكنا بها العرب واستعبدنا بها العجم والسلام.

فلما انتهى كتاب عليّ عليه السلام إلى معاوية كتمه عمراً ثم دعاه فأقرأه فشمت به عمرو وقد كان نهاه ولم يكن أحد من قريش أشدّ تعظيماً لعليّ عليه السلام من عمرو بعد اليوم الذي صرعه عن دابّته فقال عمرو:

ألا لله درّك يا بن هند ... ودرّ المرديِ المحال المسود
أتطمع لا أبا لك في عليّ ... وقد قرع الحديد على الحديد
وترجو أن تخادعه بشكّ ... وترجو أن يهابك بالوعيد
وقد كشف القناع وجرّ حرباً ... يشيب لهولها رأس الوليد
له جأواء مظلمة طحون ... فوارسها تلهب كالأسود
يقول لها إذا رجعت إليه ... بقتل بالطعان اليوم عودي
فإن وردت فأوّلها وروداً ... وإن صدرت فليس بذي ورود
وما هي من أبي حسن بنكر ... وما هي من مساتك بالبعيد
وقلت له مقالة مستكين ... ضعيف القلب منقطع الوريد

طلبت الشّام حسبك يا بن هند من السوآت والرأي الزهيد
ولو أعطاكها ما ازددت عزاً وما لك في استزادك من مزيد
فلم تكسر بهذا الرأي عوداً سوى ما كان لا بل رَقّ عود

فقال معاوية: والله لقد علمت ما أردت بهذا. قال عمرو: وما أردت به قال عيبك رأيي في خلافك ومعصيتك والعجب لك تفيّل رأيي وتعظّم علياً وقد فضحك. فقال: أمّا تفييلي رأيك فقد كان وأما إعظامي علياً فإنّك بإعظامه أشدّ معرفة منّي ولكنّك تطويه وأنشره وأما فضيحتي فلن يفتضح رجل بارز علياً فإن شئت أن تبلوها أنت منه فافعل فسكت معاوية وفشا أمرهما في أهل الشام.

قال أبان قال سليم ومرّ عليّ عليه السلام بجماعة من أهل الشام فيهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهم يشتمونه فأخبر بذلك فوقف فيمن يليهم من أصحابه وقال لهم:

انهضوا إليهم وعليكم السكينة وسيماء الصّالحين ووقار الإسلام أقربنا من الجهل بالله والجرأة عليه والاغترار لقوم رئيسهم معاوية وابن النابغة وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الخمر والمجلود الحدّ في الإسلام والطريد مروان وهم هؤلاء يقربون ويشتمون وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعوني إلى عبادة الأوثان فالحمد لله على ما عاداني الفاسقون إنّ هذا لخطب جليل أنّ فسّاقاً منافقين كانوا عندنا غير مؤتمنين وعلى الإسلام منحرفين [متخوفين «خ ل»] خدعوا شطر هذه الأمّة وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة واستمالوا أهواءهم إلى الباطل فقد نصبوا لنا الحرب وجدّوا في إطفاء نور الله والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

ثم حرّض عليهم وقال: إنّ هؤلاء لا يزولون عن موقفهم هذا دون طعن دراك تطير منه القلوب وضرب يفلق الهام وتطيح منه الأنوف والعظام ويسقط منه المعاصم وحتّى تقرع جباههم بعمد الحديد وتنشر حواجبهم على صدورهم والأذقان والنحور.

أين أهل الدين وطلاّب الأجر. [قال:] فثارت عليه عصابة نحو أربعة آلاف فدعا محمّد ابن الحنفية [و] قال: يا بنيّ امش نحو هذه الراية مشياً ونيداً على هِينَتِكَ حتى إذا أشرعت في صدورهم الأسنّة فأمسك حتّى يأتيك رأيي ففعل. وأعدّ عليّ مثلهم فلمّا دنا محمّد وأشرع الرماح في صدورهم أمر عليّ الذين كان أعدّهم أن يحملوا معه فشدّوا عليهم ونهض محمد ومن معه في وجوههم فأزالوهم عن مواقفهم وقتلوا عامتهم(١).

بيان: لصرر الرأس كأنّه جمع صرة على الاستعارة، فشبه خرائط الدماغ وأوعية الرأس بالصرّة التي تجعل فيها الدراهم.

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ١٩٩.

وقال الجوهري: الشراسيف: مقاط الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن ويقال: الشرسوف: غضروف معلّق بكلّ ضلع مثل غضروف الكتف. وقال: الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. وقال: الجَحْجَاح: السّيد، والجمع: الجَحَاجِح، وجمع الجحاجح: جحاجحة. قوله: ودرّ المردي الحال [كذا].

أقول: روى ابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم كتاب معاوية وجوابه عليه السلام وما جرى بين معاوية وبين عمرو في ذلك وفي الأبيات اختلاف وفيها: «و درّ الآمرين لك الشهود» والمسود: الرعيّة لسيّد يقال: ساد قومه يسودهم وفيها:

وترجو أن تحيّره بشك وتأمل أن يهابك [بالوعيد]

والوليد: الطفيل.

وقال الجوهري: كتيبة جأواء: بيّنة الجأي وهي التي يعلوها لون السّواد لكثرة الدروع. وفيها [أيضاً]:

[يقول لها] إذا رجعت إليه وقد ملّت طعان القوم عودي

والضمير في «لها» راجع إلى الجأواء.

[وبدل] قوله: «وإن صدرت» في الرواية «وإن صدت فليس بذي صدود».

وفيها [أيضاً]:

ولو أعطاكها ما ازددت عزاً ولا لك لو أجابك من مزيد

فلم تكسر بذاك الرأي عوداً لركته ولا ما دون عود

والدقّ بالكسر الدقيق. والزكّة: الرقة والضعف. وقال الجوهري: فَيّل رأيه: ضعّفه. وقال: مشى مشياً وئيداً أي على تؤدة. وقال: يقال: امش على هينتك أي على رسلك وقد مرّ شرح سائر أجزاء الخبر ولم أبال بالتكرار للاختلاف الكثير بين الروايات.

أقول: وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين هذه المراسلة مع ما جرى فيه بين معاوية وعمرو والأبيات باختلاف وقد أشرنا إلى بعضه(١).

٤٨٢ - **لي:** الحافظ عن أحمد بن عبد العزيز بن الجعد عن عبد الرحمن بن صالح، عن شعيب بن راشد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قام عليّ عليه السلام يخطب الناس بصفّين يوم جمعة وذلك قبل [ليلة] الهرير بخمسة أيّام فقال:

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع خلقه البرّ والفاجر وعلى حججه البالغة على خلقه من عصاه أو أطاعه إن يعف فبفضل منه، وإن يعذّب فبما قدمت أيديهم وما الله بظلاّم للعبيد.

---

(١) وقعة صفين، ص ٤٧٢.

أحمده على حُسْن البلاء وتظاهر النّعماء وأستعينه على ما نابنا من أمر ديننا وأؤمن به وأتوكّل عليه وكفى بالله وكيلاً.

ثم إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودينه الذي ارتضاه وكان أهله واصطفاه على جميع العباد بتبليغ رسالته وحججه على خلقه وكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً أكرم خلق الله حسباً وأجملهم منظراً وأشجعهم نفساً وأبرّهم بوالد وآمنهم على عقد لم يتعلّق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قطّ بل كان يظلم فيغفر ويقدر فيصفح ويعفو حتى مضى مطيعاً لله صابراً على ما أصابه مجاهداً في الله حقّ جهاده عابداً لله حتى أتاه اليقين فكان ذهابه عليه السلام أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض البرّ والفاجر.

ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لن أخرج عنه وقد حضركم عدوّكم وقد عرفتم من رئيسهم يدعوهم إلى باطل وابن عمّ نبيّكم صلى الله عليه وآله بين أظهركم يدعوكم إلى طاعة ربّكم والعمل بسنّة نبيّكم ولا سواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقني بالصلاة غير نبي الله، وأنا والله من أهل بدر، والله إنّكم لعلى الحقّ وإنّ القوم لعلى الباطل فلا يصبر القوم على باطلهم ويجتمعوا عليه وتتفرقوا عن حقكم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فإن لم تفعلوا ليعذبنّهم الله بأيدي غيركم.

فأجابه أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين انهض [بنا] إلى القوم إذا شئت فوالله ما نبغي بك بدلاً نموت معك ونحيا معك فقال لهم مجيباً لهم:

والذي نفسي بيده لنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أضرب قدّامه بسيفي فقال: «لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ» ثم قال لي: يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي وحياتك يا عليّ وموتك معي» فوالله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضلّ بي ولا نسيت ما عهد إليّ إنّي إذاً لنسيّ وإنّي لعلى بيّنة من ربّي بيّنها لنبيه صلى الله عليه وآله فبيّنها لي وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً. ثم نهض إلى القوم يوم الخميس فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق ما كانت صلاة القوم يومئذ إلاّ تكبيراً عند مواقيت الصلاة فقتل عليّ عليه السلام يومئذ بيده خمس مائة وستّة نفر من جماعة القوم فأصبح أهل الشام ينادون يا عليّ اتّق الله في البقية ورفعوا المصاحف على أطراف القنا[1].

بيان: وموتك معي أي بعد الموت معي وأنا حاضر عندك ونصري وتأييدي معك في حياتك وبعد موتك أو حياتك كحياتي وموتك كموتي.

[قوله عليه السلام]: «ألفظه لفظاً»[2] أي أقول هذا الكلام جهراً ولا أُبالي أن أُبينه للناس.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٣٢ مجلس ٦٣ ح ١٠.

(٢) جاءت العبارة هنا وفي المصدر: ألقطه لقطاً، لكن الظاهر أنها جاءت هكذا في (ألفظه لفظاً) في نسخ أخرى.

وقال الجوهري: القنا جمع قناة وهي الرمح ويجمع على قنوات. وقنى على فعول وقناء.

٤٨٣ - **فس:** هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال: حدّثني رجل من ولد عدي بن حاتم عن أبيه عن جدّه عديّ بن حاتم وكان مع عليّ صلوات الله عليه في حروبه أن عليّاً عليه السلام قال ليلة الهرير بصفّين حين التقى مع معاوية رافعاً صوته يسمع أصحابه: لأقتلنّ معاوية وأصحابه ثم قال في آخر قوله: «إن شاء الله» يخفض به صوته وكنت منه قريباً فقلت: يا أمير المؤمنين إنّك حلفت على ما قلت ثم استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال: إنّ الحرب خدعة وأنا عند أصحابي صدوق فأردت أن أُطمع أصحابي في قولي كي لا يفشلوا ولا يفرّوا فافهم فإنّك تنتفع بها بعد إن شاء الله تعالى(١).

٤٨٤ - **ختص:** أحمد بن هارون الفامي عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن محمد البرقي عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: شهد مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام من التابعين ثلاثة نفر بصفّين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنّة ولم يرهم أويس القرني وزيد بن صوحان العبدي وجُندب الخير الأزدي رحمة الله عليهم(٢).

بيان: قال الشيخ في رجاله: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ويقال جندب الخير وجندب الفارق ويظهر من ابن عبد البرّ أنّ الفارق وهو جندب بن كعب الأزدي الذي قتل الساحر بين يدي الوليد بن عقبة كما مرّ في مطاعن عثمان ولذا لُقّب بالفارق لأنّه فرق بضربة بين الحقّ والباطل وذكر أنّه شهد مع عليّ عليه السلام بصفّين ولعله المذكور في الخبر.

٤٨٥ - **مد:** بإسناده إلى صحيح مسلم بإسناده إلى شقيق قال: سمعت سهل بن حنيف يقول بصفّين: اتّهموا رأيكم على دينكم والله لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أردّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لرددته والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قطّ إلا سهل بنا إلى أمر نعرفه إلاّ أمركم هذا(٣).

بيان: «أسهل بنا» كناية عن انتهاء الأمر ورفع الحرب من قولهم: أسهل إذا صار إلى السهل من الأرض ضدّ الحزن وقصة أبي جندل واشتباه الأمر فيها على الصحابة قد مرّ في باب الحديبية وغرضه أنّ هذا الأمر شبيه بذاك فلا تنكروه.

٤٨٦ - **مد:** من تفسير الثعلبي قال: روى خلف بن أبي خليفة عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا نقول ربّنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلمّا كان يوم صفّين وشدّد بعضنا على بعض بالسّيف قلنا نعم هو هذا(٤).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٠. (٢) الاختصاص، ص ٨١.

(٣) - (٤) كتاب العمدة لابن البطريق، ص ١٦٢.

٤٨٧ - **نهج:** روي أنّه عليه السلام لمّا ورد الكوفة قادماً من صفّين مرّ بالشّاميّين فسمع بكاء النساء على قتلى صفّين وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشاميّ وكان من وجوه قومه فقال له: أيغلبكم نساؤكم على ما أسمع ألا تنهونهنّ عن هذا الأنين [الرنين «خ ل»] وأقبل يمشي معه وهو عليه السلام راكب فقال له: ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن(١).

٤٨٨ - **نهج:** قال عليه السلام وقد رجع من صفّين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة: يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا أهل التربة يا أهل الغربة يا أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق أمّا الدّور فقد سكنت وأمّا الأزواج فقد نكحت وأمّا الأموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى(٢).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٩٩ قصار الحكم رقم ٣٢٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٥٥ قصار الحكم رقم ١٣١.

فهرس الجزء الحادي والثلاثون

الموضوع الصفحة

فهرس الجزء الثاني والثلاثون